



جمهورية مصر العربية
مجمع اللغة العربية
لجنة اللهجات

لغة تميم

دراسة تاريخية وصفية

تأليف

الدكتور ضاحى عبدالباقى

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م



جمهورية مصر العربية
مجمع اللغة العربية
لجنة اللهجات

لغة تميم

دراسة تاريخية وصفية

تأليف

الدكتور ضاحى عبدالباقى

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير
لدراسة الدكتور رمضان عبد السّواب

عميد كلية الآداب - جامعة عين شمس
والخبير بالمجمع

تذكرت وأنا أكتب هذه المقدمة ، أيام أن كنت أ حضر للدكتوراه في ألمانيا الغربية في الخمسينات ، واتفقت مع أستاذي المشرف الألماني هناك : على دراسة لهجة من اللهجات المصرية النائية ، كلهجة الواحات مثلا ، لإيماني العميق بأن كثيرا من الخصائص اللهجية المعاصرة ليست إلا امتدادا لبعض اللهجات القديمة .

ولكن بعض الجاهلين بقيمة هذه الدراسات ، وقف حجر عثرة أمام العمل في هذا الميدان المهم من ميادين الدراسة اللغوية ، وتلقيت آنذاك تلغرافا من القاهرة ينص على أن دراسة اللهجات ليست من فقه اللغة . واضطرت آسفا إلى اختيار اتجاه آخر غير هذا الاتجاه الذي لم يرض عنه المعوّقون لحاجة في نفس يعقوب !

وعشت بعد ذلك زمنا رأيت فيه أستاذنا كبيرا يتقدم بشكوى مطولة إلى وزير المعارف بإحدى الدول العربية ، يتهم فيها أساتذة اللغة العربية بجامعة من جامعاتها بأنهم يدرسون اللهجات العربية القديمة والحديثة ، وأن أحد هؤلاء الأساتذذ قام بترجمة كتاب عن الإنجليزية في لهجات شرق الجزيرة العربية !

وما درى القوم أنه لا يخلو كتاب من كتب اللغويين العرب القدامى من التعرض لما كانت تموج به جزيرة العرب من خصائص لهجية هنا وهناك . ومع ذلك لم تكن البلاغة بين اللغة واللهجة واضحة في أذهان كثير من هؤلاء اللغويين من القدماء ولذلك نجد بعضهم

يخلط بينهما خلطاً بلا حدود ويعد اللهجات العربية لغات مختلفة وكتابتها حجة ،
وعلى رأسهم ابن جني في كتابه « الخصائص » .

وقد تنبه المحدثون من اللغويين إلى أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة
وليس أدل على هذا من وجود لجنة متخصصة في هذا الجانب من جوانب الدراسة اللغوية
في مجمع اللغة العربية ، وقد قدمت الكثير ولا تزال تقدم في هذا الميدان .

كما حصل الكثير من طلاب البحث العلمي على درجات الماجستير والدكتوراه
من الجامعات المصرية ببحوثهم في اللهجات العربية المختلفة ومنهم مع عشرات غيره صاحب
هذا البحث الأخ الصديق الدكتور ضاحي عبد الباقي محمد ، وذلك لإيمانهم معي بأن
البحث في اللهجات العربية الحديثة ، يتبين منه بالدليل القاطع أنها ترجع في كثير من
الحالات إلى اللهجات العربية القديمة أكثر من رجوعها إلى اللغة الفصحى كما أن
الكثير من الدارسين للهجات يعرفون أن التعمق في هذا النوع من الدراسة قد يحسم الإجابة
عن السؤال العويص التالي : هل العربية الفصحى ولغة الشعر عبارة عن حصيلة لهجات
عدة ، أم أنها لهجة قسيلة معينة ، سادت واتخذها الشعراء قالبا ينظمون فيه أشعارهم ؟ .

! وقد سار الأخ الدكتور ضاحي في بحثه هذا على المنهج العلمي السليم ، فتتبع هذه المقتطفات
المبتورة هنا وهناك عن لهجة تميم ، وجمعها وبوبها وفسرها بحسب القوانين اللغوية التي
وصل إليها المحدثون من علماء اللغات . وهو حين أقدم على هذه الدراسة كان يعرف
تماما الصعوبات التي ستعرض له ، فإن البحث في هذا الميدان يتطلب في الحقيقة تصفح
جميع المؤلفات العربية ، لأن اهتمام العلماء العرب بالمسائل اللغوية لم يقتصر على اللغويين
والنحويين ، فإننا نجد هذا الاهتمام عند الجغرافيين والمؤرخين ، بل عند الفلاسفة
والأطباء و الرياضيين ، بمناسبة وبغير مناسبة ، ولذلك فإننا كثيرا ما نعثر على ملاحظات
مهمة عن اللهجات العربية في غير كتب اللغويين كذلك .

ومن الصعوبات التي يلاقيها الباحث في هذا الميدان كذلك ، عدم ذكر اللغويين للقبائل
التي ينتمي إليها اللهجات ، واكتفاؤهم بعبارة : « وهي لغة » مثلا . وقد أثبت صاحب

هذا البحث أن كثيرا من الخصائص اللهجية التي لم تعز إلى قبيلة بعينها في بعض المصادر ، إنما هي خصائص تيمية خالصة .

والحق أن الأخ الدكتور ضاحي في بحثه هذا يعد مثالا للأمانة العلمية ، والدقة المتناهية ، والإخلاص في العمل . وقد خرج من بحثه هذا بالكثير من النتائج العلمية الطيبة التي تحسب له في مجال الدرس اللغوي ، وهذا الجهد المبذول في هذا الكتاب القيم يعد نموذجا يحتذى في دراسة اللهجات القديمة يمكن للدارسين الاستفادة منه في دراسة لهجات عربية أخرى ، بهذه الروح الطيبة في الصبر والجلد ، والإخلاص و التفاني في البحث والدرس .

وإني أدعو الله سبحانه وتعالى أن ينفع به ، وأن يرزقه التوفيق والسعادة ، والمثابرة في خدمة العلم ، والدفاع عن لغة الضاد ، لغة الكتاب العزيز .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب »

أ. د. رمضان عبد التواب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين ، أشرف من نطق بالضاد
محمد بن عبد الله - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه - وبعد :

فإن موضوع هذا البحث هو « لغة تميم : دراسة تاريخية وصفية » ، وهو يتناول لغة
أولئك الأقوام الذين ينسبون إلى تميم بن مر بن أد ، والذين كانوا يقيمون في الربع الشامي الشرقي
من الجزيرة ، وذلك على اختلاف بطونهم وتعدد سكناتهم ، وهو دراسة تاريخية historical
وصفية descriptive للغة هذه القبيلة في الزمن السابق لتسرب اللحن إلى العربية ، وهو المعروف
بمعصور الاحتجاج . وسأحاول التأريخ لكل ظاهرة أو كلمة نسبت إلى تميم ، وذلك بعد دراستها
دراسة وصفية ، كي أتبين - إن أمكن - ما إذا كانت لغة التميميين . هي القديمة أو المحدثثة .
وتوسلت إلى ذلك بعدة أمور : كاللجوء إلى الساميات ، فما اتفق معها عد أقدم من غيره سواء
أكان تميمياً أم غير تميمي ، وبالرجوع إلى المعاني الكلية للمادة ، فما كان الصق بها حكم بأصالتها
وحداثة الآخر . وكان من وسائل أيضاً الرجوع بالكلمات المعربة إلى لغاتها التي دخلت منها ،
سواء أكانت سامية أم غير سامية كالفارسية . فما اقترب من الأصل شبهها رجح قدمه .
كما سأتابع كل ظاهرة لأرى مدى استعمالها عبر التاريخ وعلى الأخص في وقتنا الراهن .

ولقد كان نهجى الذى سلكته بعد اختيار الموضوع هو جمع المادة العلمية من مظانها :
فحرصت على تدوين كل ما نسب إلى تميم أو أحد فروعها من ظواهر لغوية منسوبة إلى
قائليها - إن كانت منسوبة - ولم أكتف بالتميمية ، بل حرصت على تدوين ما ينسب
إلى الأماكن التي كانت تقيم بها تميم ، فدونت لغة نجد واليامة والبحرين : وما إلى ذلك من
بلاد كان يقيم بها بعض بطونها . ثم عند الدراسة وضعتها تحت المخبر ، فاخترت منها
ما تيقنت أن تميمياً تكلمت به مثل اللغة النجدية التي درج اللغويون على أن يذكروها لتشمل
سكان هذه المنطقة ومنهم تميم . وما كان في النفس منه شيء لم أعرض له إلا للاستئناس به
أحياناً ، فلم أتناول لغة البحرين ، لأنهم وإن كانوا من سكانها فإن الغالب على
هؤلاء السكان نسبهم إلى عبد القيس وبكر بن وائل^(١) ، ولم أتناول لغة اليامة لاقتران

(١) معجم ما استجزم ١/ ٨٠ ، ٨١ ، ومعجم قبائل العرب ٢/ ٧٢٦

بنى حنييفة بها^(١) . كما سجلت كل لغة نسبت إلى الحجاز ، لأن اللغويين كانوا غالباً يستعملون الحجاز في مقابل تميم ، ومع جمعي إياها لم أستخدمها إلا للاستثناس . فإذا قالوا مثلاً : إن كلمة كذا بضم أولها وفتحها ، والفتح لغة الحجازيين ، لا أنسب الضم لبنى تميم ، لاحتمال أن يكونوا قد نطقوا بالكسر أو شاركوا الحجازيين في الفتح ، وأن الضم لقبيلة أخرى مثل أسد ولم ينص على ذلك . كما أنني سجلت كل لغة قيل : إنها لغة سفلى مضر ، أو لغة سائر العرب غير الحجازيين ؛ لأن اللغويين كانوا يستعملون ذلك في مقابل الفصيحة المشتركة أو لغة الحجاز أو لغة أهل العالية . وجمعت كذلك كل لغة وصفت بالضعف أو الرداءة ؛ لأن اللغويين كانوا يعنون بذلك أى لغة غير الحجازية ومنها تميم . وقد وضحت ذلك بالشواهد عند الحديث عن « مرادفات اللغة التميمية » في الباب الأول .

وبالنسبة للمراجع فكل باحث تواجهه صعوبات خاصة بمراجع دراسته ، وقارئ البحث يقدر ذلك في أثناء اطلاعه . على أنني أقف هنا مع مرجعين :

أما أولهما ، فهو كتاب « العجم » لأبي عمرو الشيباني المتوفى نحو سنة ٢١٦ هـ ، وأحب أن أشير إلى جهد مفسر بذلته في دراسة هذا الكتاب ، وهو يتميز بأنه كثيراً ما يصدر اللفظ ودلالته باسم شخص منسوب إلى قوم معينين مثل التميمي والعقيلي ، وقد جمعت كل ما هو مسبوق بلفظ « التميمي » أو أحد بطون تميم كالعنبري ، وتبين لي أن هذه الألفاظ موزعة بين الدلالة والصرف والصوت ، وكان للدلالة النصيب الأوفر ، ودرستها على أن المراد بالتميمي شخص غير محدد من تميم وأن « ال » في هذا اللفظ للجنس ، فقد يكون المراد به تميميا واحداً أو أكثر . إلا أنني بعد دراسة هذه المادة رأيت أن أحذفها موافقاً ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب من أن المراد بالتميمي وما شابهه كالعقيلي اسم راو معين ينقل عن قبيلته وعن غيرها^(٢) ، والذي دعاني إلى ذلك :

١- أن أبا عمرو نسب بعض اللغات إلى ذويها على نهج غيره من اللغويين مثل قوله : « بنو تميم يقولون : خُفَّان مُقَرَّعان ، أى مثقلان »^(٣) ، وقوله : « تقول بنو أسد الزمِّل والزمِّل : رديفك »^(٤) .

(١) معجم ما استمع ٨٣/١ ، ومعجم قبائل العرب ٣١٢/١

(٢) النظر : فصول في فقه العربية ٢٧٢ ، ٢٧٣

(٣) العجم ٧٤/٣ والنص أيضاً في : تهذيب اللغة ٢٣٣/١ - والذات (قرئ) ١٤١/١٠ (٤) العجم ٥٩/٢

٢ - أننا لاحظنا أن أبا عمرو عندما يصدر عبارة ب « وقال » فإن الضمير يعود على راوى العبارة السابقة مباشرة (التميمي أو الأسدي . . . إلخ) وذلك من مقارنة نصوص الجيم بما ورد في «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ت نحو سنة ٢٤٤ هـ) - وهو من تلاميذ أبي عمرو^(١) - من ذلك أنه ورد في «إصلاح المنطق» النص التالي :

« قال أبو عمرو : قال التميمي العدوي : البَجَال : الرجل السيد السمح^(٢) » . فإذا ما رجعنا إلى الجيم نجد النص كما يلي :

« وقال التميمي العدوي : المُبْسَق : التي يجيء لبنها قبل نتاجها . وقال : البجال : الرجلُ الشَّيخُ السَّيدُ^(٣) » .

وإذا كان هذا نهج أبي عمرو فإننا نجده يذكر^(٤) : « وقال : النُّولُ من لغة حمير : الوادي الذي يسيل^(٥) » واسم الراوى السابق لهذه العبارة هو « السعدى »^(٥) . ومعنى ذلك أن السعدى لم يكتف بالنقل عن قومه بنى سعد وإنما روى أيضا عن اليمنيين .

ومثال آخر لعدم اقتصار الراوى على النقل عن قومه : قول صاحب الجيم : « وقال الطائي : دَائِيْتهُ ، أى دَارَأْتُهُ وَرَفَقْتُ بِهِ .

وقال : الدُّنْدِنُ : ما يَبْسُ من الكَلأ والشجر وبلي^(٦) » .

ونجد لفظ « الدُّنْدِنُ » بدلالته التي ذكرها أبو عمرو يعزى إلى تميم^(٧) لا إلى طيء . على أننى عقب دراسة آية ظاهرة معينة واستنتاج نهج تميمي خاص ، أشير أحيانا إلى ما ورد في الجيم منسوبا للتميمي ومتفقا ونهج تميم هذا الذى توصلت إليه ، وذلك على سبيل الاستثناس ، لاحتمال أن يكون الراوى التميمي نقل هنا عن قومه .

وثمة كتاب يستحق أن نقف معه وقفة قصيرة^(٨) ، ذلك هو « المزهري في علوم اللغة » لجلال الدين السيوطي (ت سنة ٩١١ هـ) ، وهو كتاب جامع ، نقل عن كثير من مؤلفات سابقيه ، وترجع أهميته إلى أن من الكتب التي نقل عنها ما عدت عليها العوادى ، فقدت

(١) بنية الوعاة ٣٤٩/٢ (٢) إصلاح المنطق ١٢٢
(٣) الجيم ٩١/١ والملاحظ أن هناك تحريفا في أحد الكتابين المطبوعين في أحد اللغتين « السمح » الوارد بالإصلاح و « الشيخ » الوارد بالجيم .
(٤) الجيم ٢٦٩/٣ (٥) المرجع السابق ٢٦٨ (٦) المرجع السابق ٢٥٢/١
(٧) انظر : النبات لأبي حنيفة ١٧٥/٥

وأوضحت أثرًا بعد عين . ومن هذا المفقود ما اهتم بلغات القبائل ، مثل كتاب « النوادر » ليونس بن حبيب^(١) (ت سنة ١٨٢ هـ) ، ونوادر اليزيدى^(٢) (ت سنة ٢٠٢ هـ) . وقد طبع المزهر - فيما نعلم - أربع طبعات : الأولى بالمطبعة الأميرية سنة ١٢٨٢ هـ ، والثانية بمطبعة السعادة ، والثالثة بمطبعة صبيح بالقاهرة^(٣) ، والرابعة قام بتحقيقها الأستاذة محمد أحمد جاد المولى ، وعلى محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم . وثلاثتهم من العلماء الأجلاء . وطبعت في مطبعة عيسى البابى الحلبي بالقاهرة لأول مرة سنة ١٩٥٨ م .

ويذكر المحققون أنهم رجعوا إلى الطبعات السابقة فوجدوها جديداً صورة واحدة لا تختلف إحداها عن الأخرى^(٤) ، وأنها قد ملئت تحريفاً وتصحيحاً ، وقرروا أنهم رجعوا إلى دار الكتب للاطلاع على نسخ الكتاب المخطوطة ، فأجابهم الثقات بأن الطبعة الأميرية لا تختلف عن نسخ الدار في حرف واحد^(٥) .

وهذه الطبعة الأخيرة هي التي لاقت - حقاً - عناية أكثر مما سبقها من حيث الضبط والرجوع إلى الكتب المطبوعة التي نقل عنها السيوطى . لكن عندما يكون الكتاب المنقول عنه مفقوداً ، لم يكن أمامهم بد من الاجتهاد والاعتماد على الكتب والمعاجم للاستعانة بها في الضبط ، أو إهماله . وهذا ما حدث بالنسبة لما رواه السيوطى عن يونس ، وقد روى عنه ألفاظاً اختلفت فيها لغة تميم عن لغة الحجاز .

وقد لاحظت على هذه الطبعة ، فيما يتصل بهذا البحث : خطأ في الضبط أو إهمالاً له ، وتصحيحاً في الكتابة ، وهذه أمور من شأنها أن تضلل الباحث وتجعله يصل إلى نتائج غير سليمة ويصدر أحكاماً تخالف ما كانت عليه تلك اللغة ، فزجعت إلى النسخ المخطوطة بدار الكتب علماً تهدينى إلى الصواب ، فوجدت ثلاث نسخ تحت أرقام ٢٥٢ ، ٣٣٤ ، ٦٤٢ لغة ، والنسخة الأخيرة كتبت بخط إبراهيم بن نجم الدين بن يحيى بن على بن يحيى الشهير بابن المبلط كتبها سنة ٩٦٧ هـ أى بعد وفاة المؤلف بست وخمسين سنة . وهذه النسخة وجدتة كاملة الضبط ، واستطعت بوساطتها أن أصوب وأضبط الكلمات التي تنصل بموضوعنا هذا ، وفيما يلى أمثلة على ما نقول : ١ .

(١) انظر : المزهر ٢/٢٧٥ (٢) المرجع السابق ٢/٢٧٦

(٣) انظر المرجع السابق الصفحة (ب) من (مقدمة المحققين) .

(٤) المرجع : السابق . (٥) المرجع السابق : الهامش ١

١ - الخطأ في الضبط :

جاء عند الحديث عن العننة « وفي أُذُنْ عُنْدُنْ »^(١) وضبطت الهمزة والعين بالضممة ، وورد النص أيضًا في « الاقتراح »^(٢) للسيوطي بدون ضبط . والصواب بتكسر الهمزة والعين وفتح الذال ، أي « إِذْنُ » و « عِذْنُ »^(٣) . وقد كان من آثار هذا الضبط أن تابعهم من جاء بعدهم . ومن هؤلاء ناشرو كتاب « لهجات العرب » لأحمد تيمور^(٤) رغم أنهم : أوردوا في الصفحة التالية النص الذي شرحه والمنقول عن كتاب « نشر الانشراح » ، والذي ضبط الكلمة بالعبرة^(٥) . ولنا عودة إلى هذا اللفظ عند الحديث عن « العننة » .

٢ - إهمال الضبط :

ونلاحظه فيما نقله السيوطي عن يونس واليزيدي^(٦) . وقد نتج عن ذلك إهمال الباحثين ما لم يجدوه مضبوطًا في مراجع أخرى ، فصاحب « معجم لهجة تميم » أهمل قول اليزيدي « أهل الحجاز : غرفت الماء غَرْفَةً وتميم غَرْفَةً »^(٧) كما لم يتعرض لكلمة « غرفة » الدكتور صبحي الصالح^(٨) والدكتور أحمد علم الدين الجندى . وأهمل صاحب « معجم لهجة تميم » أيضًا قول يونس « أهل الحجاز : حَقْدَ يحَقِدُ ، وتميم حَقْدَ يحَقِدُ »^(٩) .

٣ - التصحيف :

ونلاحظ ذلك في قول يونس : « أهل الحجاز » ليست له همة إلا الباطل ، وتميم ليست له همة إلا الباطل^(١٠) . وقد وردت هذه العبارة في هذه الطبعة من الزهر كما يلي : « أهل الحجاز ليست له همة إلا الباطل وتميم ليس له همة إلا الباطل »^(١١) ، دون ضبط اللام من كلمة « الباطل » في الموضعين ولم أجد أحدًا من الباحثين تعرض لهذه العبارة .

وعندما اطلعت على نص المطبوعة في بادئ الأمر ، أخذت أسائل نفسي عن موضع هذه العبارة من البحث ، فرأيت أن مكانها « الجنس » أي التذكير والتأنيث ، فإذا بالمخطوطة ترشدني إلى أن الخلاف نحوي خاص بالاستثناء .

- | | |
|---|--|
| (١) الزهر ٢٢٢/١ (ط) | (٢) الاقتراح ٩٩ |
| (٣) الزهر ٧٠ / ب. (خ) ، ولهجات العرب ٤٦ (عن نشر الانشراح ، شرح الاقتراح ٤٤١) . | |
| (٤) انظر : لهجات العرب ٤٥ (٥) المرجع السابق ٤٦ (٦) انظر : الزهر ٢٧٧-٢٧٥/٢ | |
| (٧) النص في الزهر ٢٧٧/٢ والضبط من المخطوط ٢٩٩ / ب وانظر : معجم لهجة تميم (مجلة المورد العراقية) م / ٧ العدد / ٣ ص ١٧١ « باب الغين » . | |
| (٨) انظر : دراسات في فقه اللغة ٨٤ | (٩) الزهر ٢٩٩/أ (خ) والعبارة في المطبوعة ٢٧٦/٢ |
| (١٠) الزهر ٢٩٩/أ (خ) | (١١) المرجع السابق ٢٧٦/٢ (ط) |

ولم أر من القدماء من خص اللغة التميمية أو غيرها من لغات اللسان العربي بدراسة مستقلة ؛ لأنهم كانوا ينظرون إلى العربية على مختلف لغاتها أنها وحدة متكاملة . وما لاحظوه من خصائص للغات بعض القبائل عدوه خروجاً على النظام ، ولم يعيشوا به كثيراً . لذلك نراهم يقررون أن اللغات على اختلافها حجة^(١) .

أما حديثاً : فقد تنبه علماءنا إلى ضرورة دراسة هذه اللغات ، فكانت البداية من حفنى ناصف في كتابه « مميزات لغات العرب » الذى نشر لأول مرة سنة ١٣٠٤هـ ، ثم تتابعت المسيرة فألف الدكتور إبراهيم أنيس كتابه « فى اللهجات العربية » سنة ١٩٤٦ م ، والدكتور رابين Rabin كتابه : « Ancient West-Arabian » سنة ١٩٥١ م . ورغم أنه خاص بلغات غرب الجزيرة فإنه كان يثير إلى التميمية كثيراً فى مجال المقارنة ، والدكتور صبحى الصالح فى كتابه « دراسات فى فقه اللغة » وقد خصص للغة التميمية فصلاً خاصاً ، والدكتور أحمد علم الدين الجندى فى رسالته « اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة » .

بل إن بعض اللغويين أفرد للغات بحوثاً خاصة ، فقد درس الدكتور عبد الجواد محمد الطيب « لغة هذيل » ويقوم أيضاً بدراستها الآن الدكتور أحمد علم الدين الجندى ، ويتابع الدكتور رمضان عبد التواب دراسة « لهجة طي » للجنة اللهجات بمجمع اللغة العربية . وقد فوجئت بعد أن جمعت المادة الخاصة بهذا البحث وكتبت قدراً كبيراً من الرسالة ببحث أعده الأستاذ فاضل المطلبى بعنوان « لهجة تميم وأثرها فى العربية الموحدة » ، فوجدت نفسى بين أمرين : الاستمرار فى الموضوع ، أو الإعراض عنه ، وترددت قليلاً ، ثم رأيت أن أمضى فيما بدأت ؛ لأن الموضوع الواحد مهما تعددت فيه البحوث ، فكل باحث لابد أن يقدم ببحثه فى ثوب يختلف عن ذلك الثوب الذى ألبسه إياه الكاتب السابق ، وأن يصبغه بصبغة مغايرة ، وذلك لاعتبارات عديدة كاختلاف المنهج ومصادر الدراسة . وإن المطبعة لتقدم لنا فى كل يوم جديداً يوجه تفكير الباحث إلى أمور لم يتنبه إليها غيره ، كما إنها تقدم لنا من التراث ما كان مجهولاً لدى الباحث الأول . وألاحظ على سبيل المثال بعض الصفات اللغوية المذمومة كالعننة والكشكشة . فقد تناولها القدماء كأصحاب المعجمات اللغوية وتناولها كل من كتبوا فى اللهجات حديثاً ، مثل حفنى ناصف ، والدكتور إبراهيم

(١) انظر : المصانع ١/٤١٠ - ٤١٢ ، والمزهر ١/٢٥٧ - ٢٥٩

أنيس ، والدكتور علم الدين الجندى ، والدكتور رمضان عبد التواب ، ولجنة اللهجات بمجمع اللغة العربية . ولم ير اللاحق غضاضة في أن سابقه تناولوها بالبحث والدراسة ، بل كتب كل منهم وأضفى على ما كتب من شخصيته العلمية . وإننى فى مثل هذا المقام لا أوافق أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس فيما كتبه بمقدمة الطبعة الثالثة لكتابه « فى اللهجات العربية » من أنه يجب على الباحثين - بعد البحث الذى أعده الدكتور أحمد علم الدين الجندى (اللهجات العربية) - الاتجاه إلى دراسة اللهجات الحديثة فقط ، دون القديمة التى استوفيت بحثاً ودراسة ، يقول رحمه الله : « لم نعد الآن بحاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب فى بطون الكتب القديمة التى عرضت فى ثناياها للهجات العرب »^(١) . إننى لا أتفق مع المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس ، بل أقول : لقد بقيت أشياء وأشياء ستكشف عنها البحوث المتعددة ، ويزيد من معرفتنا بها ماتقدمه لنا المطبعة كل يوم من مخطوطات لم يسبق نشرها . كما علمت ببحث آخر بعنوان « خصائص لغة تميم : أصواتاً وبنية ودلالة » قدمه محمد بن أحمد بن سعيد العمرى لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز سنة ١٣٩٦ هـ .

وقد اطلعت على الباحثين بعد الانتهاء من كتابة بحثى ، فلم أجدهما مادة جديدة يمكن أن أضيفها إلى ما كتبته .

ولما كانت تميم إحدى القبائل التى اعتد اللغويون بلغتها عند تسجيل العربية وجمعها - على ما سندر عند الحديث عن مكانة هذه اللغة - فإن اللغويين لم يكونوا حريصين عند ما تتفق هذه اللغات فى ظاهرة ما على نسبتها إلى أصحابها ، قال ابن نوفل : « سمعت أبى يقول لأبى عمرو ابن العلاء : أخبرنى عما وضعت مما سمعته عربية : أيدخل فيها الكلام كله ؟ فقال : لا . فقال : فما تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات »^(٢) . ووفقاً لذلك إذا نسب إلى لغة من اللغات خاصية معينة ، كأن يقال مثلاً : إن بنى سليم يكسرون همزة « آيان »^(٣) ، وإن « الساجد » فى لغة طيء : المنتصب ، وفى لغة سائر العرب المنحني^(٤) ، لا أتناول مثل هاتين الخاصيتين بالدراسة فأقول : إن تميماً تفتح همزة آيان

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٣٤

(٤) المخصص ١١٤/١١

(١) فى اللهجات العربية ٤

(٣) مع المراجع ٥٧/٢

في مقابل كسرهما عند بنى سليم ، وإن بنى تميم كانت تعنى بالساجد « المنحنى » على حين تعنى طيئ بها المنتصب ، لأن الفتح في أيان والساجد بمعنى المنحنى يعدّان حينئذ من عناصر اللغة المشتركة التي شاركتها فيها اللغة التميمية . وإن مثل هذه المخالفات للغة المشتركة لا نتعرض لها ، لأنها ليست مخالفات تميمية .

وكان نهجى بعد عرض الظاهرة ودراستها أن أعرج بعد ذلك على موقف القراءات القرآنية منها ثم الشعر وخاصة التميمي . وفيما يتصل بالقراءات القرآنية لم أقف عند القراءات المتواترة ، بل تعديتها إلى الشاذ منها .

وأما الشعر فقد ركزت على التميمي منه كيلا يتشعب الموضوع ، لأرى هل من شعرائهم من نطق بالظاهرة موضع البحث . وبالطبع لم ألجأ إليهم في الموضوعات التي كانت الكتابة لا توضيحها : كالإمالة والتبادل بين الحركات القصيرة ؛ لأنها معرضة للتصحيف على أيدي الناطقين الرواة أولاً ، ثم على أيدي النساخ ، ثم المحققين من بعدهم لالتزام الصنفين الأخيرين بالضبط وفق اللغة المشتركة .

ولم يكن الشعراء في الغالب يمثلون لغاتهم شأنهم في ذلك شأن القراء ، بل كانوا ينطقون باللغة المشتركة ، وهي العربية الفصحى ؛ لأن الشاعر يريد أن يكون على مستوى الجزيرة ، ولذا لم نجد لديهم الخصائص التي نسبت إلى اللغات والتي عدت من العيوب كالكشكشة . لكنهم لا يخلون أحياناً من التأثير بالبيئة .

وقد أدت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة ، وخمسة أبواب ، وخاتمة .

أما المقدمة ، فقد عرضت فيها - كما سبق - أهمية لغة تميم ، وبينت الخطة التي اتبعتها في دراسة الموضوع .

وأما الباب الأول : وهو تمهيدى ، فقد تناولت فيه نسب القبيلة ومساكنها ، ثم تكلمت عن اللغة التميمية ومكانتها بين لغات العربية .

والباب الثاني : خصصته الحديث عن السمات الصوتية عند تميم . وقد جاء فيه أربعة فصول : تكلمت في الأول عن الإبدال (بنوعيه الحر والمقيد « التركيبي » ، ويشمل الأخير التماثل والتغاير) بين الأصوات الساكنة ، ثم بين أشباه أصوات اللين وكذلك بين

الحركات قصيرها وطويلها . وتناولت في الثاني الهمزة . أما الثالث فكان عن القلب المكاني ، واختتمته بالرابع وكان خاصاً بالوقف .

يلي ذلك الباب الثالث : وقد تناولت فيه الخصائص التي تميزت بها اللغة التميمية في البنية من حيث الطول والقصر ، سواء أكان ذلك في الأفعال أم في الأسماء أم في الحروف ، ثم انتقلت إلى الفعل ومشتقاته ، وتناولت بعد ذلك الجمع ، ثم عرجت على الجنس (التذكير والتأنيث) .

وجاء بعد ذلك الباب الرابع : وهو الذي درست فيه الخصائص النحوية للغة تميم . وقد تناولت فيه تسعة موضوعات ، هي : هلم ومعاملتها عندهم على أنها فعل وعند الحجازيين على أنها اسم فعل ، وباب سنين بين جمعه عندهم جمع تكسير ، وإلحاقه بجمع المذكر السالم في اللغة المشتركة ، واختلافهم مع غيرهم في إعراب وبناء بعض الكلمات ، وصرفهم كلمات لم يصرفها غيرهم ، وإعرابهم الكلام دون حكايته . ثم تكلمت عن ثلاث ظواهر هي الميل إلى الرفع ، والنصب ، والإتياع ، وختمت بالحديث عن حذف خبر « لا » النافية للجنس .

ولم أحرص في دراستي لهذا الباب — وكذلك سابقه الخاص بالصرف — على تسجيل علل نحائنا الأقدمين ، بل اقتصر على عرض الخصائص المعينة التي تنسب إليهم . ثم درستها في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ؛ لأن البحث أساساً في فقه اللغة وليس في النحو وهو كما حدده عنوانه « دراسة تاريخية وصفية » ولو وقفت مع النحاة لتشعب بي الأمر وطال الحديث . ثم كان الباب الخامس والأخير : فعرض لدلالة الألفاظ من ترادف ومشارك وتضاد . وذلك من خلال صلتها بغيرها من اللغات العربية .

وأخيراً جاءت الخاتمة التي لخصت فيها الرسالة في عرض موجز مبيناً أهم النتائج التي توصلت إليها وما عن لي من مقترحات أرى ضرورة تنفيذها .

وهذا البحث هو رسالة تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة عين شمس بإشراف الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب عميد الكلية . وإنه ليسعدني أن أقدم إلى سيادته جزيل الشكر وعظيم الامتنان على ما قدمه لي من عون صادق وما بذله من جهد كبير . ولقد كان لنظراته الثاقبة الدقيقة التي لا ينفذ إليها سوى أمثاله من العلماء ما فتح لي آفاقاً عريضة لفهم الموضوع وعلاج قضاياها .

كما لا أنسى ما للأستاذ الدكتور شوقي ضيف عضو المجمع ، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد ، رئيس قسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة من فضل لما قدماه لى من ملاحظات سديدة فى أثناء مناقشة البحث قومت ما اعوج منه .

ولا يفوتنى أن أزجى الشكر الوفير لكل من قدم إلى يد العون فى إعداد هذا البحث . وإنه . ليطيب لى أن أقدم التحية إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة اللهجات بالمجمع وبخاصة مقررهما الأستاذ محمد شوقي أمين لاقتراحهم على المجمع رعاية البحث بطبعه على نفقته .

وإن ترحيب العلامة الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع بمقترح اللجنة وموافقته على أن يكون هذا البحث من مطبوعات المجمع لتحقيق بالثناء الجميل والتقدير الحميد . ولا أملك إلا أن أدعو المولى - عز وجل - أن يجزيه عن العلم وطالبه خير الجزاء ، وأن يسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

وآمل بعد هذا أن أكون قد أسهمت بدراستى هذه فى خدمة لساننا العربى الذى أكرمه الله وخص به آخر كتبه المنزلة على خاتم رسله محمد - صلى الله عليه وسلم - .

الرموز المستعملة في البحث

الرمز	مدلوله
گ	القاف المعقودة التي كان ينطقها التميميون ، وينطقها الآن سكان البوادي وأهل الصعيد ، واستعملت أيضاً في مقابل الجيم اليمنية قديماً ، والقاهرية حديثاً .
ا	ألف قصيرة تحت الصوت الساكن الذي تليه فتحة قصيرة أو طويلة للدلالة على إمالة هذه الفتحة .

والرموز المستعملة في كتابة الساميات هي :

الرمز	مقابله	الرمز	مقابله	الرمز	مقابله
c	الهمزة	s	الصاد	a	الفتحة القصيرة
b	الباء	d	الضاد	ā	الفتحة الطويلة
p	الطاء	t	الظاء	i	الكسرة القصيرة الخالصة
t	التاء	z	الظاء	I	الكسرة الطويلة الخالصة
ṭ	الثاء	c	العين	e	الكسرة القصيرة الممالة
ḡ	الجيم	g	الغين	ē	الكسرة الطويلة الممالة
h	الحاء	f	الفاء	u	الضمة القصيرة الخالصة
ḥ	الخاء	b	الفاء	ū	الضمة الطويلة الخالصة
d	الدال	k	القاف	o	الضمة القصيرة الممالة
ḏ	الذال	k	الكاف	o	الضمة الطويلة الممالة
r	الراء	L	اللام	ä	الفتحة المخطوفة
z	الزاي	m	الميم	ë	الكسرة المخطوفة
s	السين	n	النون	ö	الضمة المخطوفة
š	السامخ في العبرية	h	الهاء	â	المد غير الأصلي
š	الشين في العربية	w	الواو		
		y	الياء		

الباب الأول
(تمهيدى)

أولا : تميم نسبها وفروعها

توطئة :

يقسم النسابون العرب إلى قسمين :

(أ) بائدة : وهم الذين بادوا واندثروا مثل ثمود .

(ب) باقية : ويقسمونها إلى :

١ - عاربة : وهم القحطانيون .

٢ - مستعربة : وهم الذين ينتمون إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام ، ويعرفون بالعدنانية^(١) . ومن هؤلاء المستعربة بنو تميم .

نسب تميم :

هو تميم بن مر بن أد^(٢) بن طابخة^(٣) (واسمه عمرو) بن إلياس^(٤) بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان^(٥) الذي ينتمى إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام^(٦) وكان لتمييم فروع متعددة ، ولكثرة عددهم أطلق عليهم وعلى بكر بن وائل « الجفان »^(٧) .

ويجمل بنا قبل الحديث عن فروع تميم أن نبدأ بتوطئة عن طبقات العرب تعين على تحديد الطبقة التي تنتمى إليها فروع تميم .

(١) قلائد الجمان ١٤ ، ١٥

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٣٤٤/٢ ، وعجالة المبتدى ٣١ ، وسبائك الذهب ٢٣ ، ٢٤

(٣) العقد الفريد ٣٤٤/٣ ، وعجالة المبتدى ٣١ ونهاية الأرب ١٨٨/٢

(٤) في العقد الفريد « إلياس » .

(٥) جمهرة أنساب العرب ١٠ ، وعجالة المبتدى ٣١

(٦) جمهرة أنساب العرب ٩ ، وسبائك الذهب ١٦

(٧) اللسان (جفف) ٣٧٣/١٠ وانظر : جمهرة أنساب العرب ٤٨٧ ، والجف في اللغة ؛ العدد الكثير (اللسان - الموضع السابق) وكان هذا اللقب يطلق أيضا على مضر وربيعة (اللسان - الموضع السابق) وهما أصلا تميم وبكر ؛ لأن بكرا تنتمى إلى ربيعة (جمهرة أنساب العرب ٣٠٢) .

طبقات العرب :

يقسم النسابون العرب إلى طبقات ويختلفون فيما بينهم في ترتيبها وفي عددها وفي التمثيل لها ، كأن يُمثل أحدهم لطبقة بشخص معين ، ويمثل الآخر بحفيد له . وأشهر هذه التقسيمات هي :

- ١- الشعب : وهو النسب الأبعد كعدنان .
- ٢- القبيلة : وهي ما انقسم فيها الشعب كربيعة ومضر .
- ٣- العِمارة : وهي ما دون القبيلة كقريش وكنانة .
- ٤- البطن : وهي ما دون العِمارة كبنى عبد مناف وبنى مخزوم .
- ٥- الفخذ : وهي دون البطن كبنى هاشم وبنى أمية .
- ٦- الفصيلة : وهي ما انقسم فيها أنساب الفخذ كبنى العباس^(١) .
- ٧- وزاد بعض النسابين العشيرة ، وهي دون الفصيلة مثل أولاد المنصور^(٢) ، ومثل الزمخشري (ت سنة ٥٣٨ هـ) والفيومي (ت نحو سنة ٧٧٠ هـ) للشعب بخزيمة وللقبيلة بكنانة وللعمارة بقريش وللبن بقمص بن كلاب وللخند بهاشم وللصيلة بالعباس^(٣) . ومثل صاحب « عجالة المبتدئ » للشعب بمضر وربيعه وللقبيلة بطابخة ومدركة ابني إلياس وللعمارة بتميم وكنانة بن خزيمة ، وللبن بفهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وللخند بلؤي بن غالب بن فهر ، وللصيلة بقمص بن كلاب ، وللعشيرة بعبد مناف بن قصى^(٤) .

بعد هذا العرض نحب أن نعرف « وضع تميم » واللقب الذي يطلق عليها .

إن من يلاحظ هذا العرض يستطيع أن يقرر أنه قد يعبر عن الطبقة الواحدة بأكثر من لفظ ، وهذا واضح بالنسبة لربيعة ومضر ، فبعضهم يعد كلا منهما شعباً ، وبعضهم

(١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ١٣ ، وصبح الأعشى ٣٠٨/١ ، ٣٠٩ ، وقلائد الجمان ١٤ ،
١٥ ، وسبائك الذهب ٥ ، وياوغل الأرب ١٨١/٣ (عن الأحكام السلطانية للماوردي) . ويتفق صاحب العجالة (ص ٧)
مع ما مثل هنا ولم يختلف إلا في البعث ، فقد مثل لما ب « قصى بن كلاب » ، واقتصر في تمثيله للفخذ ب « بنى هاشم » .

(٢) عجالة المبتدئ ٦

(٣) الكشف ٣٩٩/٢ ، والمصباح (شعب) ٤٤٧

(٤) عجالة المبتدئ ٨

يعد ذلك قبيلة ، وكذلك بالنسبة لقريش يعدها بعضهم قبيلة وبعضهم عمارة ؛ فالتسمية إذن نسبية ، فما يسميه بعضهم قبيلة يمكن أن يطلق عليه غيرهم شعباً .

وفيما يتعلق بتميم نلاحظ أنها تناظر قريشا وكنانة ، أو بمعنى أدق النضر بن كنانة والد قريش ، فهما يلتقيان في إلياس الجد الثالث لهما^(١) ، فهي إذن يمكن أن توصف بأنها قبيلة أو عمارة . ذلك إلى الأوصاف الأخرى ، فهي زحى من أرحاء العرب الست ، لقوتها وعددها ، ولأنها حمت دوراً ومياها ومرابع لم يكن لغيرهم من العرب مثلها ، فدارت في دور الرحى على أقطابها لا تفارقها طلبا للنجاة^(٢) ، كما إنها إحدى جماجم العرب التسع ، يقول صاحب عجالة المبتدى : « فاعلم - وفقك الله - أن في العرب أرحاء وجماجم وشعوبا وقبائل . أما الأرحاء من العرب فست والجماجم تسع وسائر العرب قبائل وعمائر ليست بأرحاء ولا جماجم »^(٣) ، ثم ذكر تيمما بين الأرحاء^(٤) والجماجم^(٥) .

إن صاحب العجالة يرى أن الرحى والجمجمة أكبر من القبيلة ، ويعد تيمما إحدى أرحاء العرب وإحدى جماجمها ، وهو في الوقت ذاته يبتل عليها بلقب القبيلة ويكتفي بلفظ « عمارة » التي هي دون القبيلة .

والذي ألاحظه أن كلا من الرحى والجمجمة تطلق على الجماعة الكبيرة ، سواء أكانت قبيلة أم عمارة أم غيرهما ، وأن إحدى العمارات قد تكون أكثر عددا من قبيلة أخرى لا تنتمي إليها ، بل إن بطننا ما قد يكون أكثر في العدد وأقوى من قبيلة ، ولعل هذا هو الذي حدا بكثير من المؤرخين أن يطلق على بعض العمائر والبطون لفظ قبيلة .

وعلى ذلك فإذا كانت تميم تعد في نظر بعض العلماء « عمارة » فإن الذي دعاهم إلى ذلك التزام التسلسل في الألقاب وإطلاق قبيلة على « مضر » . إلا أننا نظرا لأنها من أكبر قواعد العرب لما لها من فروع متعددة فسنستكمل عنها على أنها قبيلة مناظرينها بكنانة التي

(١) نسبهما كالأق : النضر بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس (عجالة المبتدى ١٠٣) و تميم بن مر بن أد ابن طابخة بن إلياس .

(٢) عجالة المبتدى هـ (٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق . (٥) المرجع السابق .

عدها صاحب عُدْجَالَة المبتدئ « قبيلة » والتي تلتقى معها في إلياس بن مضر . ويؤازرنا في هذا الرأي الماوردي إذ يقول : « إذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوبا والعمائر قبائل ، يعني وتصير البطون عمائر والأفخاذ بطونا والفصائل أفخاذا ، والحادث من النسب بعد ذلك فصائل »^(١) .

وفيما يلي فروع بني تميم .

بنو تميم

فروع تميم كثيرة ومتعددة تنتمي كلها إلى أولاده الثلاثة : الحارث وعمرو وزيد مناة^(٢) .

أولا : بنو الحارث بن تميم :

ويسمى الحارث أبا شقرة^(٣) ، وذلك لبيت قاله ، وهو :

وقد أخضب الرُمَحَ الأصمَّ كُعْبُهُ

به من دماء القوم كالشُّقِرَاتِ^(٤)

ويقال لبنيه الشُّقِرَاتِ^(٥) ، ويقول عنهم ابن حزم : « وهم قليل »^(٦)

ثانيا : بنو عمرو بن تميم :

كان لعمرو من البنين : العنبر ، والهَجِيمُ ، وأُسَيْدٌ ، ومالك ، والحارث ، وكعب ، وقُليِّب^(٧) .

(١) صبح الأُمُشَى ٣٠٩/١

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٠٧

(٣) نسب عدنان وقحطان ١٦ وجمهرة اللغة ٣٤٦/٢

(٤) نسب عدنان وقحطان ٦ وجمهرة اللغة ٣٤٦/٢ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٠٧ . وفي العقد الفريد ٣٤٤/٣ ، وعُدْجَالَة المبتدئ ٧٩ أن القائل هو معاوية بن الحارث ، ودو الذي يلقب بشقرة ورواية البيت في جمهرة أنساب العرب والعقد « أحمل » بدل « أخضب » وعلق ابن عبد ربه على البيت بقوله « الشُّقِرَاتِ : شقائق النعمان ، شبه الدماء بها في حمرتها » وانظر تعليق محقق جمهرة أنساب العرب بالحاشية ١ ص ٢٠٧ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ٢٠٧

(٦) المرجع السابق .

(٧) جمهرة أنساب العرب ٢٠٧ ، ونسب عدنان وقحطان ٧ ، والمعارف ٣٥ (ولم يذكر كعبا) والاشتقاق ٢٠١ (وليس فيه قليب ويذكر في ص ٢٠٦ أنه من بني مازن) ونهاية الأرب للقله شندى ٣٧٣ (ولم يذكر كعبا وقليبا) والعقد الفريد ٣٤٥/٣ (عدا كعبا وقليبا وذكر مازنا بدل مالك) .

- ١ - بنو العنبر : ويقال أيضاً بالعنبر^(١) ، وهم : جُنْدَب وكعب ومالك^(٢) . ومن بنى العنبر « بنو دُعَّة » التي يضرب بها المثل في الحمق ، فيقال « أحقق من دُعَّة^(٣) » ، وهي من إِيَاد بن نزار تزوجها عمرو بن جُنْدَب بن العنبر ، فولدت له .
- ٢ - بنو الهجيم بن عمرو : وهم : عمرو ، وسعد ، وربيعة^(٤) .
- ٣ - بنو أُسَيْد^(٥) : عمرو ، ونُمَيْر ، وعُقَيْل ، والحارث ، وجُرْدَة^(٦) ، ويصفهم القلقشندي بأنهم من أشرف بنى تميم^(٧) .
- ٤ - بنو مالك بن عمرو : مازن ، والجِرْمَاز ، وغَيْلَان ، وغَسَّان^(٨) .
- ٥ - بنو الحارث بن عمرو : ويعرفون بالحَبَطَات^(٩) . وقد لقب الحارث بالحَبِيط لعظم بطنه^(١٠) ، وقيل : لأنه أكل صمغا كثيرا فَحَبِطَ عنه ، أى ورم بطنه^(١١) .
- ٦ - بنو كعب بن عمرو : وقد ولى كعب البيت قبل قريش^(١٢) ولم يذكر النسابون - فيما قرأت - له أفضاذا .
- ٧ - بنو قُلَيْب بن عمرو : وهؤلاء قد دخلوا فى بنى سعد بن زيد مناة^(١٣) الآتى ذكرهم

(١) نهاية الأرب للقلقشندي ٦٠ (وهناك بنو العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وسيرد ذكرهم) .
 (٢) نهاية الأرب للنويرى ٣٤٥/٢ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٠٨ (ولم يذكر مالكا) .
 (٣) انظر المثل وأصله فى : مجمع الأمثال ٢١٩ / ١
 (٤) جمهرة أنساب العرب ٢٠٩
 (٥) قيل إنه بتشديد الياء وتخفيفها (عجالة المبتدى ١٤) ، وذكره محمد بن حبيب بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء فقط (مختلف القبائل ٣٦٣) .
 (٦) جمهرة أنساب العرب ٢١٠
 (٧) نهاية الأرب للقلقشندي ٤٠
 (٨) الاشتقاق ٢٠٢ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١١ وذكر صاحب العقد (٣٤٥/٣) أن مازنا هو ابن عمرو ابن تميم ، وذكر أن بنى مالك هم : غيلان وأسلم وحرماز . ولعل أسلم تحريف « غسان » .
 (٩) الاشتقاق ٢٠٢ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١٣ ، ونسب عدنان ٧ ، والعقد الفريد ٣٤٥/٣ ، والمعارف ٣٥ ، ونهاية الأرب للقلقشندي ٤٥ ، ١١٠
 (١٠) جمهرة أنساب العرب ٢١٣
 (١١) الاشتقاق ٢٠٢
 (١٢) نهاية الأرب للنويرى ٣٤٥/٢
 (١٣) جمهرة أنساب العرب ٢٠٧

ثالثا : بنو زيد مناة :

كان لزيد من الأبناء : سعد ، ومالك ، وامرؤ القيس ، وعامر^(١) ، وعوف (ويسمى أيضاً مكسرا) ، وبكر^(٢) ، والحارث^(٣) . وكل منهم يمثل بطنا :

١ - أما بكر فلم يذكر النسابةون له أفخاذا ، وذكروا من نسله يعلى بن منية (ومنية أمه) أحد الصحابة ، كان واليا على اليمن^(٤) .

٢ - بنو عوف (مكسر) : كانوا مع بنى حِمْيَر بن عبد العزى بن كعب^(٥) ابن سعد بن زيد مناة^(٦) . ويذكر صاحب « سبائك الذهب » أن كعبا ابن لزيد مناة^(٧) .

٣ - بنو الحارث : ويذكر صاحب « المعارف » أنهم قليل^(٨) .

٤ - بنو عامر : خصيف ، ويزيد ، وكانوا يعرفون ببني الصَّخَصَح^(٩) . ويذكر صاحب « كتاب المعارف » أن ولد عامر انتسبوا إلى عامر بن مجاشع^(١٠) .

٥ - بنو امرئ القيس^(١١) : مالك ، والحارث ، وعُصَيَّة^(١٢) .

٦ ، ٧ - يبقى بعد ذلك بنو سعد وبنو مالك ، وقد كان فيهم العدد ، وهذا تفصيل

لأفخاذهم وفصائلهم وعشائريهم :

(أولا) بنو سعد : وردت في الكامل للمبرد عبارة تشير إلى مكانة بنى سعد . فقد روى أن معاوية بن أبي سفيان قال - وكان عنده بعض بنى سعد وخرجوا - « إن مضر كاهل العرب^(١٣) ، وتما كاهل مضر ، وسعدا كاهل تميم ، وهؤلاء كاهل سعد^(١٤) » .

(١) جمهرة أنساب العرب ٢١٣ ، والمعارف ٣٥

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢١٣ (٣) المعارف ٣٥

(٤) جمهرة أنساب العرب ٢١٣ (٥) المرجع السابق

(٦) المرجع السابق ٢٢٠ ، والمعارف ٣٦ (وفيه : بنو حِمْيَر بن كعب بن سعد) .

(٧) راجع ص ٢٥ (٨) انظر ص ٣٤

(٩) جمهرة أنساب العرب ٢١٤ (١٠) المعارف ٣٥

(١١) النسبة إليه « مرقى » بفتح الميم والراء (معجالة المبتدئ ١١٤) (١٢) جمهرة أنساب العرب ٢١٤

(١٣) أي ، متقدمهم وسندهم في المهمات ، إذ أخذ من كاهل البير ، وهو مقدم ظهره الذي يكون عليه الحمل (اللسان

« كهل » ١٢٢/١٤ ، ١٢٣) . (١٤) الكامل للمبرد ٤٠/١

وكان لسعد هذا من البنين :

كعب ، وجشم ، وعبد شمس^(١) ، ومالك^(٢) ، والحارث ، وعمرو^(٣) ، وعُوفَة^(٤) ،
وعوف^(٥) ، وهبيرة^(٦) ، ونجدة^(٧) ، وزيد الله^(٨) . وقد عقب ابن حزم بعد
ذكره السبعة الأول : « كلهم يُدْعَوْنَ الأبناء سوى كعب وعمرو فإنهما يدعون البطون »^(٩) .
وكذلك نقل القلقشندي عن أبي عبيد بأنه « يقال لولد سعد هذا غير كعب وعمرو : الأبناء »^(١٠) .
ولم يذكر النسابون فروعا إلا لكعب بن سعد . وهذا بيان بأفخاذه :

بنو كعب بن سعد ، هم :

عوف ، وعمرو ، وحرام ، وربيعة ، وعبد العزى ، ومالك ، وعبد شمس^(١١) ،
وجشم ، والحارث الأعرج^(١٢) .
ويقال لمالك وعمرو المزروعان^(١٣) ، وذلك لكثرة أموالهما^(١٤) ولإخوتهم الأجارب^(١٥) :

-
- (١) كتب في بعض المصادر « عبشمس » (انظر المعارف ٣٥ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١٥) والنسبة إليه وإلى
ابن أخيه عبد شمس بن كعب « عبشمى » بتشديد الياء . أما عبشمسى فنسبة إلى عبد شمس بن عبد مناف (انظر : حجالة المبتدى ٨٨) .
(٢) نسب عدنان ٨ ، والمعارف ٣٥ ، ٣٦ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١٥ ، والعقد الفريد ٣/٣٤٦ ، ونهاية
الأرب للقلقشندي ٢٨٥ ، وسبائك الذهب ٢٦
(٣) المراجع السابقة عدا العقد الفريد .
(٤) المراجع السابقة عدا « المعارف » .
(٥) المراجع السابقة عدا « الجمهرة » .
(٦) المراجع السابقة عدا « نسب عدنان » و « الجمهرة » و « العقد » .
(٧) المراجع السابقة عدا « نسب عدنان » و « المعارف » و « الجمهرة » و « العقد » .
(٨) حجالة المبتدى ٧٠ وورد في إحدى نسخ هذا الكتاب المخطوط بدون لفظ الجلالة (انظر الحاشية رقم ١ / ص ٧٠) .
(٩) جمهرة أنساب العرب ٢١٥
(١٠) نهاية الأرب للقلقشندي ٢٨٥ وفي ص ١٦٢ منه « الأبناء : بطن من بني تميم ، وهم الحارث وعوافة وجشم
وعبشمس ، ومالك وعوف وهبيرة ، ونجدة ، ورجاء أبناء سعد بن زيد مناة بن تميم) وواضح أن هناك تحريفا في نهاية
الأرب للقلقشندي ؛ فقد انفرد في موضع بنميرة اليشكري وفي موضع آخر ب رجاء .
(١١) كتب في جمهرة أنساب العرب ٢١٦ « عبشمس » .

(١٢) المرجع السابق .

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) القاموس (زرع) ٣/٣٤

(١٥) جمهرة أنساب العرب ٢١٦ ، ونهاية الأرب للقلقشندي ١٦٣ ، وفي نسب عدنان ٩ : إن الأجارب ولد كعب
ماعدًا عمرا وعوفا ، وفي العقد ٣/٣٤٦ إن الأجارب هم بنو ربيعة وبنو الأعرج ، وفي هامش العقد إنهم سموا الأجارب
لأنهم نَحَرُوا جملا أجرب ، فأكأوا لحمه ، وغمسوا أيديهم في دمه وتحالفوا .

(١ ، ب) أما مالك والحرث الأعرج^(١) وجشم فلم تذكر لهم كتب الأنساب

— فيما نعلم — فروعاً .

(ج) وقيل عن بني جشم : إنهم قليل^(٢) .

(د) وأما بنو حرام فكانت لهم خطة بالكوفة^(٣) .

(هـ) بنو ربيعة : ويطلق عليهم الخُدعة^(٤) ، وهم جشم ، ولأى ، وعمرو ، وهو المستوغر بن ربيعة الشاعر أحد المعمرين^(٥) .

(و) بنو عبد العزى بن كعب وهم : حِمْيَان^(٦) ، وجابان ، وجُزَيّ ، وعوف^(٧) ، فمن بني حمان نمرة بن مُرة بن حِمْيَان ويذكر ابن حزم أنه كان بيت بني تميم في القديم^(٨) .

(ز) بنو عوف بن كعب : وهم : عَطَارِد ، وبَهْدَلَة ، وقُرَيْع^(٩) ، وجُشَم^(١٠) ، وبرنيق ، وقرين ، وعِلْبَاء^(١١) . ومن بني قريع : جعفر ، وهو أنف الناقة^(١٢) .

(ح) بنو عمرو بن كعب^(١٣) : ومنهم مُقَاعِس واسمه الحرث^(١٤) .

واشتهر من بني مقاعس مِنْقَر بن عُبيد بن مُقَاعِس^(١٥) ، ثم ابنه فُقَيْم الذي يعده ابن حزم بطناً^(١٦) .

(١) ويسمى بلعرج والنسبة إليه العرجى (عجالة ٩٢) .

(٢) عجالة ٢٨ ، وهناك جشم آخران : جشم بن معاوية من قيس عيلان ، وجشم الخزرج (عجالة ٣٨) .

(٣) المرجع السابق ٤٩ (٤) التكملة (خدع) ٢٣٦/٤

(٥) السيرة النبوية ٨٨/١ (٦) في المعارف ٣٦ ، « جمان بن كعب » .

(٧) جمهرة أنساب العرب ٢٢٠ (٨) المرجع السابق .

(٩) المرجع السابق ٢١٨ ، ونهاية الأرب للقلقشندي ٣٨٢ ، ونسب عدنان ٩ ، ١٠ ، والكمال للمبرد ٣٤٩/١

وذكر أنه لم يكن لعوف سوى هؤلاء الثلاثة ، والمعارف ٣٦ ، والعقد ٣٤٧/٣

(١٠) جمهرة أنساب العرب ٢١٨ والعقد الفريد ٣٤٧/٣ ونهاية الأرب للقلقشندي ٣٨٢

(١١) جمهرة أنساب العرب ٢١٨ ، ونهاية الأرب للقلقشندي ٣٨٢ وذكر الأخير (مزين بدل قرين) .

(١٢) تاريخ ابن خلدون ٢٥٦/٢ ، وراجع سبب هذه التسمية في جمهرة أنساب العرب ٢١٩

(١٣) في سبائك الذهب ٢٦ ، ٢٨ « عمرو بن سعد بن زيد مناة » .

(١٤) نسب عدنان ٩ ، والمعارف ٣٦ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١٦

(١٥) نسب عدنان ٩ ، وجمهرة أنساب العرب ٢١٦

(١٦) جمهرة أنساب العرب ٢١٦

(ثانيا) بنو مالك بن زيد : وهم : حنظلة ، وربيعه ، ومعاوية ، وقيس^(١) .

١ - بنو ربيعة ويعرفون بربيعة الجوع^(٢) ، وسنعرض لها مع بقية الربائع .

٢ ، ٣ - بنو ربيعة وقيس : ويسمون الكرذوسان^(٣) ، وكانوا في بني فقيم بن جرير بن دارم^(٤) ، الآتي ذكرهم .

٤ - بنو حنظلة بن مالك : وكان فيهم البيت والعدد^(٥) ، وكان لحنظلة من الهثين :

مالك ، ويربوع ، وربيعه ، وعمرو ، ومرة وهو الظليم ، وغالب وكلفة ، وقيس^(٦)

(١) البراجم^(٧) : وهم : بنو عمرو ، والظليم ، وغالب ، وكلفة^(٨) وقد سموا بذلك ، لأن عددهم كان قليلا ، فقال لهم حارثة بن عامر بن عمرو بن حنظلة : « أيتها القبائل التي قل عددها ، تعالوا فلنجتمع فلنكن كبراجم^(٩) اليد^(١٠) » ففعلوا^(١١) وهم كلهم من بني عبد الله ابن دارم^(١٢) .

(ب) بنو ربيعة بن حنظلة : وهم أحد ربائع تميم ، وسنشير إليهم في نهاية سرد النسب مع بقية الربائع .

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، وأمثال العرب للضبي ١١١

(٢) نهاية الأرب للنويري ٣٤٤/٢ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، ونهاية الأرب للنويري ٣٤٤/٢ ، والمزهر ٢ / ١١٨ والكرذوسان مثني الكرذوس ، أي العظيمة تشبها بالخيال العظيمة التي يطلق عليها هذا اللفظ (انظر : اللسان « كردس » ٧٩/٨) .

(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢

(٥) المرجع السابق .

(٦) المرجع السابق ، وسبائك الذهب ٢٨

(٧) مفردة برجمى بفتح الباء وضمها . وبضم الجيم (عجالة المبتدئ ٢٤) .

(٨) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، والمعارف ٣٥ ، والاشتقاق ٢١٨ ، ونسب عدنان ٧ ، ونهاية الأرب للنويري ٣٤٤ ، وتاريخ ابن خلدون ٦٥٧/٢ وفيه « الظلم » بدل « الظليم » « وكلبة » بدل « كلفة » .

(٩) براجم اليد مفردا برجمة وهي التي إذا ضمنت كفك نثرت من تحت الأصابع .

(١٠) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، وانظر : عجالة المبتدئ ٢٤ ، وفيها رواية أخرى وهي أن البراجم ست قبائل أضافت إلى الخمسة المذكورة مرة ، لكن ابن حزم - كما ذكرنا - يذكر أن مرة والظليم شخص واحد .

(١١) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ .

(ج). بنو يربوع بن حنظلة : كُليب ، وُغْدانة ، وعمرو ، والحارث ، ورياح ، وصُبَيْر ، وُثَعْلبة ، والعنبر^(١) .

ويقول ابن حزم عن بني صُبَيْر إنهم قليل جدا^(٢) . وكان يطلق على بني ثعلبة والحارث وعمرو وصُبَيْر : الأحمال^(٣) في حين كان يسمى بنو كليب وُغْدانة والعنبر : العُقداء ، لأنهم تعاقدوا على بني أخيهام رياح وصار الأحمال مع بني رياح^(٤) .

(د) بنو مالك بن حنظلة : أبناء مالكهم : دارم ، وربيعه ، وكعب ، ورِزام ، وزيد ، والصدى^(٥) ، ويربوع ، وأبو سود . وعوف^(٦) ، وجُشيش^(٧) .

١ - أما جُشيش : فلم يذكر النسابون له فروعا .

٢ - وأما ربيعة : فمنها بنو العجيف^(٨) .

٣ ، ٤ - ويطلق على بني أبي سود وعوف الطهويون نسبة إلى أمهم طُهَيَّة بنت عبد شمس ابن سعد بن زيد مناة^(٩) .

٥ - ٧ : كما يطلق على بني زيد والصدى ويربوع بنو العَدَوِيَّة نسبة إلى أمهم^(١٠) وقد كانت من بني عدى بن عبد مناة بن أدد^(١١) .

٨ - ودخل بنو كعب في بني فُقيم^(١٢) .

٩ - كما دخل بنو رِزام في بني نَهْشَل^(١٣) .

(١) نسب عدنان ٧ ، ٨ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٤ ، وفي الحاشية رقم ١ أن في جمهور النسخ « هبير » بدل « صبير » ونهاية الأرب للقلقشندي ٤٥٠ وفيه « هبير » . ويضيف ابننا آخر هو زيد ، وسبائك الذهب ٢٩ وفيه « جبير » ويضيف ابننا هما زيد - الذي ذكره القلقشندي - وعرب .

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٢٥

(٣) نسب عدنان ٧ ، وجمهرة ٢٢٤ . والأحمال جمع حمل وهو الخروف ، ويذكر ابن منظور أن به سميت الأحمال من بني تميم (اللسان « حمل » ١١٢/١٣) .

(٤) جمهرة ٢٢٤

(٥) في الجمهرة ٢٢٨ « عون » .

(٦) في سبائك الذهب ٢٨ « الصدا » .

(٧) الاشتقاق ٣٣ ، وجمهرة ٢٢٨ . وذكر ابن حزم أن أبناء مالك أحد عشر رجلا ولكنه عند ذكرهم اكتفى بهؤلاء

(٨) نهاية الأرب ٦٧

الشرة .

(٩) جمهرة ٢٢٨ ، وعجالة ٨٥ .

(١٠) نسب عدنان ٧ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٨ ، ٤٦٧ ، ونهاية الأرب للقلقشندي ٦٧

(١١) جمهرة أنساب العرب ٢٢٨

(١٢) المرجع السابق .

(١٣) المرجع السابق .

١٠ - أما دارم^(١) فكان فيه العدد وكانت فيه الفروع ، وهم : عبد الله ،
ومُجاشع ، ونهشل ، وسُدُوس ، وخَـبَرِيّ - وجريز ، وأبان ، ومناف^(٢) ، وأبو سود^(٣) .
وكان زيد من ولد عبد الله^(٤) ، وكان من ولد زيد : عدس وربيعه^(٥) .

وكان من بني عدس بنو زُرارة ، وكانوا مركزا لبني عبد الله ، وهم بيت بني تميم
أحد بيوتات العرب الثلاثة في الجاهلية^(٦) .
تغريب :

ولا أحب أن أختم الحديث عن نسب تميم دون أن أشير إلى أمرين :

الأول : توجد تميم ، غير تميمنا هذه ، وهي إحدى بطون « هذيل » نسبة إلى تميم
ابن سعد بن هذيل^(٧) .

الآخر : هناك فروع لتميم تتفق في لفظها مع قبائل أو فروع لقبائل أخرى . من ذلك :
١ - ربيعة : وتطلق على قبيلة عظيمة ، نسبة إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان^(٨)
وتعرف ربيعة هذه بربيعة الفرس^(٩) . وهناك ربائع دون هذه القبيلة يهمن أن نشير إلى التميمية
منها والتي سبق أن عرضنا لها في أثناء سرد النسب ، وهي : ربيعة بن مالك بن زيد
مناة والمعروفة بربيعة الجوع^(١٠) ، وربيعه بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة : وربيعه بن مالك

(١) اسمه بحر ويسمى دارما لأن قوما أتوا أباه يسألونه فقال : اذهب فات بالخريطة التي عند أمك لتعطيم منها ، فجاء بها يحملها يقارب خطوه منقلا ، فقال : قد جاءكم يدرم بها ، (عجالة ٥٨) .

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٢٩ ، والمقد الفريد ٣/٣٤٩ ، ونهاية الأرب للقلقشندي ٢٤٩ ، وسبائك الذهب ٣٠

(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٢٩ ، سبائك الذهب ٣٠

(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٣١

(٥) المرجع السابق ٢٣٢

(٦) الكامل للبرد ٣٥/١ ، والبيتان الآخران هما بيت قيس وبيت بكر بن وائل (المرجع السابق نفسه) .

(٧) جمهرة أنساب العرب ١٩٧

(٨) جمهرة أنساب العرب ٤٨٣

(٩) اللسان ربيع ٤٦٩/٩ . ويقال : إن سبب هذه التسمية أن أباه أعطاه من ماله الخيل وأعطى أخاه مضر الذهب

نفسى مضر الحمراء (المرجع السابق) .

(١٠) جمهرة اللغة ٢٦٥/١ ، واللسان (ربيع) ٤٦٩/٩ ، ونهاية الأرب للنويري ٣٤٤/٢ . وفي حاشية جمهرة

اللغة (٢٦٥/١) أنهم سموا ربيعة الجوع لأنهم كانوا يهجون الأضياف .

وربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، وربيعه بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك ابن حنظلة .

واقصر الجوهري على الأولى والثانية ، وعدّ الأولى - وهي التي تسمى ربعة الجوع - البطن الكبرى ، والثانية البطن الصغرى^(١) .

٢ - فُقَيْم : بطن من تميم ، وتوجد فقيم أخرى تنسب إلى كنانة^(٢) .

٣ - السعود في العرب كثيرة مثل سعد بن مالك في ربعة ، وسعد بن ذبيان في غطفان ، وسعد بن بشر في هوازن ، وسعد بن هذيم في قضاة ، وسعد بن زيد مناة في تميم^(٣) .

وفما يلي جدول بنسب القبيلة وأهم فروعها :

(١) الصحاح (ربيع^٣) ١٢١٦/٣

(٢) جمهرة اللغة ١٥٥/٣ ، وتحصيل عین الذهب ٢٦٦/١

(٣) تحصيل عین الذهب ٢٨٩/١

ثانياً : مساكن تميم وصلتها بغيرها من القبائل

(١) مساكن تميم

لكي نعطي صورة واضحة عن مساكن تميم يحسن أن نعرض للهيكل العام للجزيرة العربية وأقسامها الرئيسية ، ولنبدأ ببيان :

حدود الجزيرة :

الجزيرة العربية هي تلك المساحة الشاسعة من الأرض التي تحد من جهة الشرق بالخليج العربي وبحر عمان ، ومن الجنوب بالمحيط الهندي ، ومن الغرب بالبحر الأحمر ، ومن الشمال ببادية الشام والعراق .

ولم يتفق العلماء على تحديد دقيق لأقسام الجزيرة وبيان حدود كل منها. ونحن لا يعنيننا هنا الدخول في مثل هذه الخلافات وبيان أسبابها . وكل الذي يهمنا هو إعطاء صورة سريعة تمكننا من معرفة مواطن التميميين .

وهذه الجزيرة يقسمها جغرافيو العرب إلى أقسام خمس ، هي : تهامة ، والحجاز ، واليمن ، والعروض ، ونجد^(١) .

١ - تهامة :

وهو ذلك الجزء الواقع بين جبل السراة شرقاً والبحر الأحمر غرباً ، ويسمى أيضاً الغور^(٢) .

٢ - الحجاز :

وسمى حجازاً ؛ لأنه حجز بين تهامة ونجد^(٣) ، وهو يبدأ من تخوم صنعاء جنوباً إلى تخوم الشام^(٤) « وذلك أن جبل السراة ، وهو أعظم جبال العرب وأذكرها ، أقبل من

(١) صفة جزيرة العرب ٤٧ ، ٤٨ (٢) المرجع السابق ٤٨

(٣) بلاد العرب ١٤ . وهناك أكثر من تعليل في تسمية الحجاز (انظر : معجم ما استعجم ١٢/١ ، وصفة جزيرة

(٤) بلاد العرب ٤٨ . (٤) بلاد العرب ١٤

تُعْرَة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام ، فسمته العرب حجازاً ؛ لأنه حجز بين الغور وهو مابط وبين نجد وهو ظاهر ^(١) .

٢ - اليمن :

وهو الجزء الواقع جنوب كل من تهامة والحجاز والعروض ، ويحدده الهمدان بقوله : « وصار ما خلف تشليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها إلى حضرموت والشحر وعمان وما يليها : اليمن » ^(٢) .

٤ - نجد :

وهو ما دون جبل السراة من شرقيه إلى أطراف العراق والساوة وما يليها ^(٣) « ويحدده عمارة ^(٤) بقوله : « ما سال من ذات عرق متبلاً ، فهو نجد إلى أن يقطعه العراق » ^(٥) ، ويفصل الإصطخرى تحديده لنجد ، فيقول « وما كان من حد اليمامة ^(٦) إلى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة حتى تمتد على البحرين إلى البحر ، فمن نجد » ^(٧) .

ويقسمه علماء العرب قسمين : نجد العالية وهو ما ولي الحجاز وتهامة ، ونجد السافلة وهو ما ولي العراق ^(٨) .

٥ - العروض :

وهو المنطقة التي تقع بين نجد والحجاز غرباً واليمن جنوباً والخليج شرقاً . ويشمل اليمامة التي تقع في الجنوب الشرقي من نجد ، كما يشمل البحرين . قال الهمدان « وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض » ^(٩) . على أن صاحب معجم البلدان عدّ اليمامة من نجد لا من العروض ، وذكر أن قاعدتها حَجْر وتسمى أيضاً جَوًّا والعروض ^(١٠) .

(١) صفة جزيرة العرب ٤٨

(٢) صفة جزيرة العرب ٤٨

(٣) المرجع السابق .

(٤) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جربر (الشاعر الأموي) (انظر : نخبات بلاد العرب ١٤) .

(٥) بلاد العرب ١٤

(٦) تقع اليمامة في الجنوب الشرقي من نجد (انظر : مهد العرب ٧٨) .

(٧) مسالك الممالك ١٤

(٨) تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ١٤٧/١

(٩) صفة جزيرة العرب ٤٨

(١٠) معجم البلدان (اليمامة) ١٦/٨ هـ

مساكن تميم :

بنو تميم كما قلنا ينتسبون إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام . والمشهور أنه أول من أقام بمكة . فبعد أن تركه أبوه فيها هو وأمه وتفجرت لهما زمزم ، وجاءت قبيلة جرهم اليمنية ونزلت بجوارهما ^(١) . ثم لما شب تزوج منهم ^(٢) ، وتولت جرهم أمر البيت لا ينازعهم أبناء إسماعيل لختولتهم ^(٣) ، وظلوا كذلك إلى أن قدمت قبيلة أخرى يمنية هي خزاعة استقرت حول مكة وقاتلت جرهما وأجاثها وتولت أمر البيت ، كما أجات آل إسماعيل حيث تفرقوا حول مكة وفي تهامة ^(٤) .

ثم كان يحدث بين الحين والحين نزاع بين بني إسماعيل يؤدي إلى إخراج بعضهم من مساكنهم : فأجات نزار قضاعة إلى نجد ^(٥) ، ثم اجتمعت مضر وربيعه على بني قنص بن معد فأخرجوهم من مساكنهم ^(٦) . وبعد ذلك وقعت حرب بين ربيعة أدت إلى تفرقها ، فكان مصير عبد القيس وشن بن أفصى البحرين وهجر ^(٧) خندف من العدنانيين في تهامة مضر ، لكن أسباب الحياة جعلت النزاع يدب بينهم ، فحدث قتال انتصرت فيه خندف - بنو إلياس بن مضر - على قيس مما جعلها ترحل إلى بلاد نجد . عدا هوازن التي انحازت إلى أطراف الغور من تهامة ^(٨) . وأخيراً حدث نزاع بين بني خندف أنفسهم . فشبت حروب بين أولاد مدركة وأولاد طابخة ابني إلياس بن مضر كانت الغلبة فيها لبني مدركة مما اضطرب بني طابخة - ومنهم تميم - إلى الرحيل عن تهامة إلى الحجاز ونجد ^(٩) . والذي يهنا هنا هو قبيلة تميم ، يقول البكري : « وظهرت تميم بن مر بن أد بن طابخة ، وخبية بن أد بن طابخة . وعُكل بن أد ^(١٠) إلى بلاد نجد وصحاريها فحلوا منازل بكر وتغلب التي كانوا ينزلونها في الحرب التي كانت بينهم . ثم مضوا حتى خالطوا أطراف هجر ^(١١) ، ونزلوا

-
- (١) السيرة النبوية ١٢٣/١ ، ١٢٤ . (٢) المرجع السابق ١٢٥/١ . (٣) المرجع السابق .
 (٤) تاريخ الرسل والملوك (الطبري) ١٨٧/١ (ظل بنو خزاعة يلون البيت إلى أن أجلاهم قصي بن كلاب جد الرسول صلى الله عليه وسلم) (الطبري ١٥/٢) .
 (٥) معجم ما استعجم ٢٠/١ . (٦) المرجع السابق ٥٢/١ .
 (٧) المرجع السابق ٨٠/١ . (٨) المرجع السابق ٨٧/١ .
 (٩) المرجع السابق .
 (١٠) يذكر ابن حزم أن الكلبيين بنو عوف بن عبد مناة بن أد (بجمرة ١٩٨) .
 (١١) مدينة البحرين (معجم ما استعجم ١٣٤٦/٤) .

« بين الهامة وهجر ، ونفذت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم إلى يبرين ^(١) وتلك الرمال حتى خالطوا بني عامر بن عبد القيس في بلادهم قطر ووقعت طائفة منهم إلى عمان منازل ومناهل كانت لإياد بن نزار فرفضتها إياد وساروا عنها إلى العراق » ^(٢) .

ويحدد ابن خلدون موطن تميم ، فيقول : « وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة والهامة وانتشرت إلى العذيب من أرض الكوفة » ^(٣) ، وإذا انتقلنا إلى تحديد الهمداني لمنازل تميم نجده يقول — بعد أن ذكر مواضع بالهامة — « ثم ترجع إلى البحرين فالأحساء منازل ودور لبني تميم ثم لسعد من بني تميم » ^(٤) .

ونستطيع بعد هذا أن نحدد موطن تميم بعد أن رحلت عن تهامة بأنها الربع الشمالي الشرقي للجزيرة العربية على وجه التقريب ، ونعني بذلك نجدا والعروض ومنها الهامة سواء أعدت من العروض — كما يرى ياقوت — أم من نجد ، كما يرى غيره .

والمواضع التميمية بعضها أسماء أماكن أقاموا بها وبعضها أسماء جبال كان فيها بالطبع بعض أماكن سكنهم ، وبعضها أسماء مياه . وهذه المواضع بأنواعها الثلاثة كثيرة جداً ، ولو أردنا حصرها لتشعب بنا الأمر وملنا عن دائرة البحث .

ولنسر مع لغدة الأصفهاني : الحسن بن عبد الله (ت نحو ٣١٠ هـ) ^(٥) في كتابه « بلاد العرب » حيث يذكر موطن تميم بشيء من التفصيل ، إذ يقول : « وعظم بلاد تميم : الوشم ، والدهناء ، والجواء ، والصمان ، والدو ، والسيدان ، والهاه ، وغر ، ويبرين ، وفليج ، وفليج ، والحزن » ^(٦) . وفيما يلي تبیان لهذه البلاد :

١- الوشم : من أقاليم نجد يحده غرباً السر وشرقاً المحمل وجنوباً العرض وشمالاً البطين ^(٧) ، ومن مواضع التميمية : مرآة ، وثرمداء ، وأثيفية ، والقصيبة ، وذات

(١) ذكره لغدة الأصفهاني من بلاد تميم (بلاد العرب ٢٧٦) وعقب المحققان بأنه لا يزال معروفاً ، ويحرف في الكتب الحديثة إلى « جبرين » تأثراً بكتابات الإفرنج ، وانظر : قلب جزيرة العرب ٥٢ ، ٥٧ فقد استعمل « جبرين » .

(٢) معجم ما استعجم ٨٨/١ (٣) تاريخ ابن خلدون ٦٥٣/٢

(٤) صفة جزيرة العرب ١٣٧ (٥) معاصر لأبي حنيفة الدينوري (معجم الأدباء لياقوت ١٣٩/٨)

(٦) بلاد العرب ٢٧٤-٢٧٦ (٧) حواشي كتاب : بلاد العرب للجاسر والعلی ٢٧٢

(٧) حواشي بلاد العرب للجاسر والعلی ٢٧٢

رسل ، والشقر ، وأشيقر^(١) وحل هذا الإقليم كان يقيم به بنو امرئ القيس^(٢) بن زيد مناة . كما شاركهم في سكناه بنو ربيعة بن مالك بن زيد مناة^(٣) وبنو سعد ، قال الأزهري عن « ثموداء » إنه ماء لبني سعد ورده^(٤) . وسكن « أثيفية » بنو كليب بن يربوع^(٥) بن حنظلة .

٢ - الدهناء : منطقة رملية تمتد طولا من الجنوب إلى الشمال ، تحد جنوباً برمل يبرين^(٦) وشمالاً بحزن ينسوعة^(٧) في طريق البصرة^(٨) ، ويقول الأصفهاني « وأحد طرفيها يبرين ، ويقال طرفها الآخر في الشام »^(٩) ، ويقدر طولها بمئات الكيلو مترات ، أما عرضها فلا يتجاوز الثلاثين كيلو متراً^(١٠) . وهي في الجنوب أكثر اتساعاً منه في الشمال^(١١) .
والدهناء بمجموعها تفصل بين مرتفعات العارض والقصيم والسدير وبين سواحل الحسا والكويت^(١٢) ، وقد وصفها الأزهري فقال : « وهي من أكثر بلاد الله كلاً . . . وإذا أخضبت الدهناء ربت العرب جميعاً لسعتها وكثرة شجرها »^(١٣) . ومن سكنها من تميم بنو سعد كانوا يبرين^(١٤) ، ومن مياهم بها سلح والحفير^(١٥) ، وبنو يربوع وكان لهم دحل^(١٦) اسمه يسر^(١٧) .

-
- (١) بلاد العرب ٢٧٣ ، ٢٧٤
 - (٢) المرجع السابق ٢٧٣
 - (٣) معجم ما استعجم (الوشم) ١٣٧٩/٤
 - (٤) تهذيب اللغة (ثمود) ١٦٨/١٥ ، ومعجم البلدان (ثموداء) ١١/٣
 - (٥) التكملة والذيل والصلة ٣٨٤/٦
 - (٦) وهو الربع الخالي (قلب جزيرة العرب ٢٩) .
 - (٧) تهذيب اللغة ٢٠٩/٦ ، وانظر : معجم البلدان ١١٥/٤
 - (٨) معجم البلدان ٥٢٨/٨
 - (٩) بلاد العرب ٢٧٧
 - (١٠) قلب جزيرة العرب ٢٨ (عن شمال نجد تأليف لويس موزيل ١٦٠)
 - (١١) قلب جزيرة العرب ٣٩ ، ٤٠
 - (١٢) المرجع السابق ٣٩
 - (١٣) تهذيب اللغة ٢٠٩/٦ ، وانظر : معجم البلدان ١١٥/٤
 - (١٤) معجم ما استعجم (يبرين) ١٣٨٧/٤
 - (١٥) معجم قبائل العرب ٥١٥/٢
 - (١٦) الدحل : ثقب ضيق فيه ثم يتسع أسفله حتى يمشي فيه وربما أنبت السدر (اللسان « دحل » ١٣/٢٤٢) .
 - (١٧) معجم ما استعجم (يسر) ١٣٨٥/٤

٣ - الصَّمان : وتقع بين الدهناء غرباً والمنطقة السهلية الساحلية شرقاً ، ويختلف عرضها من ٥٠ إلى ٩٠ ميلاً ، وهى أعرض فى الشمال منها فى الجنوب ^(١) ، ويقول لغدة : « والصَّمان لأخلاق تميم والرباب » ^(٢) .

٤ - الجِواء : وهو منطقة تقع بين الدهناء والصَّمان ^(٣) .

٥ - الدَّو : ويسمى الآن الدُّبْدِبَة ^(٤) . ويقع جنوب وادى الباطن (فلج) ^(٥) . وهو فى طريق البصرة إلى اليمامة ، يفصل بينه وبين الصَّمان وادى طُوَيْلَع ^(٦) ، سكنه بنو عدى بن جُنْدَب ^(٧) بن العنبر .

٦ - السَّيْدَان : وادٍ يلي الدَّو فى الطريق إلى البصرة به مياه لأفناء تميم ^(٨) .

٧ - غَرَّ : ويحدد لغدة « بطن غَرَّ » بأنه يقع بعد الجَوْف بعد أن تخرج من الأحساء ^(٩) .

٨ - يَبْرَيْن : يحددها الهمداني بقوله : « وعن يمين البحرين ودونها يبرين » ^(١٠) . وبقوله : « يبرين فى شرقى اليمامة وهى على محجة عمان إلى مكة ، وكأنها أدخل فى محاذاة اليمامة إلى الجنوب شيئاً » ^(١١) ، ويحددها الأصمعى بأنها « بحذاء عُمان » ^(١٢) . كان يقيم بها من تميم ناس من بنى عوف بن سعد بن زيد مناة ، وآخرون من بنى عوف بن كعب ^(١٣) .

(١) فلب جزيرة العرب ٤١

(٢) بلاد العرب ٢٧٨

(٣) حواشى بلاد العرب ٢٧٥ (وهناك جواء يقع فى القصيم لا يزال معروفاً - المرجع السابق) .

(٤) تحقیقات بلاد العرب ٢٧٥

(٥) المرجع السابق ٢٩٧

(٦) المرجع السابق ٣١٤ (عن : الأمكنة والمياه والجبال « لنصر ») .

(٧) بلاد العرب ٢٤٦-٢٤٨

(٨) المرجع السابق ٣٤٤ (أفناء جمع فنو -- بكسر الفاء : أحلاق - « اللسان - فنا ٢٠/٢٤ » أى من بطون مختلفة) .

(٩) المرجع السابق .

(١٠) صفة جزيرة العرب ١٣٧

(١١) المرجع السابق ١٦٥

(١٢) بلاد العرب ٣٤٣ (ورملة يبرين هى التى تعرف الآن بالربع الخالى - المرجع السابق) .

(١٣) المرجع السابق .

٩ - فُلُج : ويقع في العروض ^(١) ، ويطلق عليه الآن الباطن ^(٢) . وهو يخرق شرق نجد من الدهناء إلى قرب البصرة ^(٣) . وبه حَفَر الباطن ، وقد سكنه من تميم بنو عدي بن جندب ^(٤) .

١٠ - الحزن : وهناك حُزُون ثلاثة : حزن بنى يربوع . وحزن غاضرة من بنى أسد . وحزن كلب من قضاعة ^(٥) . والذي يعنينا هنا « حزن بنى يربوع » ويسمى الآن الصُّلب . وهو يقع في شرق نجد في جهات الحَفَر إلى لَيْبَةِ ^(٦) . وعرفه نصر بأنه : « صقع واسع نجدى بين الكوفة وفَيْد من ديار يربوع » ^(٧) .

هذه المنازل التي ذكرناها لتمييم والتي تقع في الشمال الشرقي للجزيرة كانت بعد رحيلهم من تهامة في الجاهلية وظلت لهم حتى ما بعد الإسلام ، ونحب أن نضيف هنا موضعين لهما أهمية لهما أنشأ بعد الإسلام وسكنهما تميميون وغير تميميين ، وهما : البصرة والكوفة ، وقد أنشأنا نحو سنة ١٧ هـ ^(٨) :

(أ) البصرة : ومن كان يقيم بها منهم بنو رياح بن يربوع ^(٩) ، وبعض ^(١٠) التَّهَوِيَّين . وسنعرض لبعض الرواة التميميين الذين كانوا يقيمون بها .

(ب) الكوفة : ويذكر ماسينيون أنها كانت في الثلاثين سنة الأولى من تأسيسها منتمية إلى سبع مناطق قبلية كانت تقيم تميم في إحداها ^(١١) . ومن كان يسكنها منهم : بنو عامر بن زيد مناة ^(١٢) ، وبنو عمرو بن سعد بن زيد مناة ^(١٣) . وبنو حرام من بنى سعد بن زيد مناة ^(١٤) .

-
- | | |
|--|----------------------------|
| (١) صفة جزيرة العرب ١٥٩ | (٢) تحقيقات بلاد العرب ٢٧٦ |
| (٣) المرجع السابق . | (٤) بلاد العرب ٢٤٦ |
| (٥) المرجع السابق ١٠٣ | (٦) تحقيقات بلاد العرب ١٠٢ |
| (٧) المرجع السابق ٢٨١ (عن الأمكنة والمياه والجبال ، لنصر) . | |
| (٨) معجم البلدان ٤/٤٩١ ، وقيل غير ذلك (انظر المرجع السابق بالصفحة نفسها ، و ١/١٩٦) . | |
| (٩) عجمالة المبتدئ ٦٧ | (١٠) المرجع السابق ٨٥ |
| (١١) رواية اللغة ١٥٥٤ (عن : خطط الكوفة تأليف ماسينيون ٦ « ترجمة المصعب ط صيدا ١٩٣٩ ») . | |
| (١٢) جمهرة أنساب العرب ٢١٤ | (١٣) الاشتقاق ٢٥٨ |
| (١٤) عجمالة المبتدئ ٣٨ | |

(ب) صلة تميم بالقبائل

أولا - القبائل المجاورة لتمييم :

المساحة التي أقامت بها تميم كانت شاسعة ، لذا لم تكن خالصة لها كلها ، بل شاركتها قبائل أخرى أو فروع لقبائل ، كما إن هناك قبائل أحاطت بها . ومعرفة القبائل المجاورة يفيدنا في التأثير والتأثير بينهما . نذكر من هذه القبائل :

١ ، ٢ - ضبة بن أد بن طابخة ، وعكل بن عبد مناة بن أد ، وقد ذكرنا عند الحديث عن مساكن تميم أنهما كانتا مجاورتين لها في تهامة ثم رحلوا جميعاً إلى نجد وحلوا منازل بكر وتغلب^(١) وجاورت ضبة وعكل بنى حمان في الفقه باليامة^(٢) .

٣ - ربيعة بن نزار : وكانت ديارهم في « العروض ونجد »^(٣) ويحددها صاحب سبائك الذهب بما بين اليامة والبحرين والعراق^(٤) .

٤ - أسد بن خزيمه : كانت بلادهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد مجاورين لطبيء^(٥) وجاورهم من بنى تميم بنو يربوع^(٦) . وقد نقل ياقوت عن الهيثم بن عدي أن « الوادي الذي في بلاد بنى تميم في أرض بنى سعد يسمونه الدهناء ، يمر في بلاد بنى أسد فيسمونه منعجا »^(٧) وقد سكنوا بعد الإسلام الكوفة وملكوا الحلة وجهاتها وذلك من سنة ١٩ هـ حتى سنة ٥٨٨ هـ^(٨) وتجاورا فيها مع بنى تميم^(٩) .

٥ - بكر بن وائل (من ربيعة)^(١٠) : كانت ديارهم « من اليامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة فأطراف سواد العراق فالأبلة فهيت »^(١١) . وقد وقعت بينها وبين

(١) راجع ص ٣١

(٢) بلاد العرب ٢٥٣

(٣) صفة جزيرة العرب ١٧١

(٤) سبائك الذهب ١٨

(٥) معجم قبائل العرب ٢٢/١

(٦) معجم ما استعجم (خو) ٥١٩/٢ ، و (خوى) ٥٢٠/٢

(٧) معجم البلدان ١١٦/٤

(٨) معجم قبائل العرب ٢١/١

(٩) رواية اللغة ١٥٥ (عن خطط الكوفة ٦) وانظر : معجم ما استعجم ١١٣٦/٤

(١٠) جمهرة أنساب العرب ٣٠٣

(١١) صفة جزيرة العرب ١٦٩

بنى يربوع عدة حروب ، منها : حرب بالغبيط ، وهو واد بالحزن لبني يربوع^(١) وأخرى بمليحة من منازل يربوع^(٢) .

٦ - بنو عجل (فرع من بكر بن وائل)^(٣) : كانت مساكنهم من اليمامة إلى البصرة^(٤) .

٧ - بنو حنيقة : وينتمون إلى بكر بن وائل وكانوا يقطنون اليمامة^(٥) .

٨ - بنو تغلب : (وهم فرع من ربيعة)^(٦) ، والمعروف أنهم كانوا يسكنون الجزيرة بين قضاة وبكر^(٧) ، ولكن صاحب العبر يذكر أنهم كانوا بالبحرين^(٨) . ولا أعتقد أن بين الروايتين تناقضا ؛ لأن المعروف أن كل قبيلة كان لها فروع متعددة . قد تسكن في أماكن مختلفة . وفي كلا الرقعتين (الجزيرة والبحرين) كانت تقيم فروع تميمية .

٩ - بنو رزاح (من بني تغلب) : كانوا يسكنون نطاع ، وهي أرض قريبة من البحرين ، وقد أغارت عليهم فيها تميم^(٩) .

١٠ - عبد القيس (من جديلة من ربيعة)^(١٠) : وقد سكنوا البحرين^(١١) .

١١ - قيس عيلان (بن مضر)^(١٢) : وسبق أن ذكرنا أنها كانت تقطن تهامة ثم نزلت منها إلى نجد عدا فرعا منها هو « هوازن » ، ووجدنا من هذه الفروع من يجاور « تميم » . نذكرها فيما يلي :

-
- (١) بلاد العرب ٢٨٣
 - (٢) معجم ما استعجم ١٢٦٠/٤
 - (٣) جمهرة أنساب العرب ٣١٢
 - (٤) معجم قبائل العرب ٧٥٧/٢
 - (٥) صبح الأعشى ٣٣/١ ، وصفة جزيرة العرب ١٦١
 - (٦) جمهرة أنساب العرب ٣٠٣
 - (٧) انظر : وصفة جزيرة العرب ١٧٠
 - (٨) صبح الأعشى ٣٨٢/١ ، ومعجم قبائل العرب ٧٢٦/٢
 - (٩) معجم ما استعجم (نطاع) ١٣١٣/٤
 - (١٠) جمهرة أنساب العرب ٢٩٥
 - (١١) صبح الأعشى ٣٣٧/١ ، وانظر : معجم قبائل العرب ٧٢٦/٢
 - (١٢) جمهرة أنساب العرب ٢٤٣

١٢ - بنو سُليم (فرع من قيس) ^(١) : كانوا يقيمون في عالية نجد قرب خيبر ^(٢) وكانوا من قبل في البحرين ^(٣) .

١٣ - باهلة (فرع من قيس) ^(٤) : وقد أقاموا بالهامة ^(٥) .

١٤ - غنى (فرع من قيس) ^(٦) : كانوا يسكنون نجداً ^(٧) في أول جبل التسرير وتميم في شرقيه ^(٨) .

١٥ - بنو عُتميل (من قيس) ^(٩) : سكنوا البحرين ثم أجلوا عنها ^(١٠) كما سكنوا نجداً ^(١١) .

١٦ - غطفان (من قيس) ^(١٢) : كانت مساكنهم في نجد ^(١٣) . وقد فضل بين ديارهم وديار تميم موضع يسمى « ساجرا » ^(١٤) .

١٧ - فزارة (وهو ابن ذبيان من غطفان) ^(١٥) : كانت تعيش بنجد ووادي القري ^(١٦) .

١٨ - عبس (فرع من غطفان) ^(١٧) : كانوا يعيشون بنجد ، وقد فصل بين ديارهم وديار بني يربوع جبل زُرود ^(١٨) .

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٦١

(٢) صفه جزيرة العرب ١٣١ ، وصيح الأعشى ١/٣٤٥ ، ومعجم قبائل العرب ٢/٥٤٣

(٣) صيح الأعشى ١/٣٤٢ ، ومعجم قبائل العرب ٢/٨٠١

(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٤٤

(٥) معجم ما استمع ١/٩٠ ، ومعجم قبائل العرب ١/٦٠

(٦) جمهرة أنساب العرب ٤٨٠

(٧) معجم ما استمع ٣/٨٨٢ ، (وانظر مباحثهم بنجد في : بلاد العرب ٨١-٩١) .

(٨) معجم قبائل العرب ٣/٨٩٥

(٩) جمهرة أنساب العرب ٤٨٢

(١٠) صيح الأعشى ١/٣٤٢

(١١) انظر مباحثهم بنجد في : بلاد العرب ٣-٦

(١٢) جمهرة أنساب العرب ٢٤٨

(١٣) معجم قبائل العرب ٣/٨٨٨

(١٤) معجم ما استمع ٣/٧١٢

(١٥) جمهرة أنساب العرب ٤٨١

(١٦) صيح الأعشى للقاء شندى ١/٥٣٤ ، ومعجم قبائل العرب ٣/٩١٨

(١٧) جمهرة أنساب العرب ٤٨١ (١٨) معجم ما استمع ٢/٦٩٦

١٩ - بنو عامر (بن صعصعة من هوازن) ^(١) : كانوا يسكنون نجدا ^(٢) ، وقد دارت بينهم وبين تميم وقعة في « ذو نَجَب » ^(٣) .

٢٠ - بنو قُشَيْر (بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) ^(٤) . ومن ديارهم قَرْن باليَمامة ودارة واسط وفلج ^(٥) ، وقد جاوروا تميماً في المَرُوت ^(٦) .

٢١ - بنو كلاب (بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) ^(٧) : ومن بلادهم المَضْجَع بسرة نجد ^(٨) .

٢٢ - الضناب (بن كلاب بن ربيعة) ^(٩) : وكانوا يعيشون بعلالية نجد ^(١٠) .

٢٣ - غسان : وقد تجاور بعضهم مع بني عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع عند ماء كِنْهَل ^(١١) في بطن غَرٍّ ^(١٢) .

٢٤ - جرم (من قضاة) ^(١٣) : وكانت ديار بعضهم باليَمامة والبصرة ^(١٤) .

٢٥ - لخم (من كهلان) ^(١٥) : وكان لهم ملك بالحيرة نيابة عن الأكاسرة بدأ بعمر بن عدى ، وانتهى بالمنذر بن النعمان حين قضى خالد بن الوليد على ملكه وانتزعه منه ^(١٦) ، وقد تولى بنو يربوع ردافتهم على ما سنشئير إليه عند الحديث عن مكانتهم في الجاهلية .

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٧٢ (٢) معجم قبائل العرب ٧٠٨/٢

(٣) معجم ما استعجم (ذو نجب) ١٢٩٧/٤ (٤) جمهرة أنساب العرب ٤٨٢

(٥) معجم قبائل العرب ٩٥٤/٣

(٦) معجم ما استعجم (المروت) ١٢١٣/٤ ، والمجاز ٦٣

(٧) جمهرة أنساب العرب ٤٨٢

(٨) بلاد العرب ١٣٢

(٩) جمهرة أنساب العرب ٢٨٧

(١٠) انظر : بلاد العرب ٩١ وما بعدها وكذلك تعليقات المحققين .

(١١) معجم ما استعجم (كنهل) ١١٣٦/٤

(١٢) بلاد العرب ٣٤٤

(١٣) جمهرة أنساب العرب ٤٥١

(١٤) صفة جزيرة العرب ١٦٣

(١٥) جمهرة أنساب العرب ٤١٩

(١٦) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ٣٠/١ - ٣٢

وكانت بينهم وبين تميم حروب ، منها يوم إواردة كان بين دارم وبين عمرو بن المنذر^(١)
ويوم طخفة بين بنى يربوع وقابوس بن المنذر بن ماء السماء^(٢) .

٢٦ ، ٢٧ - بنو عديّ وتيم ابن عبد مناة^(٣) وكانوا ينزلون الفقاء ، بالهامة مجاورين
لبنى حمان^(٤) .

٢٨ - كندة : ويرجع نسبها إلى كهلان^(٥) ، وقد تولى بعضهم الملك على قبائل نجد ،
منهم شرحبيل بن الحارث الذي شمل ملكه بنى حنظلة وطوائف من بنى دارم^(٦) .

ثانيا - صلتها بالقبائل غير المجاورة :

لم تقتصر صلات تميم على القبائل المجاورة ، بل تعدتها إلى غيرها من قبائل كانت
تقيم في جميع أنحاء الجزيرة ، وساعد على هذه الصلة تبادل السلع عن طريق الأسواق
المنتشرة في الجزيرة وتعظيم القبائل العربية للكعبة مما يجعلهم يتجهون إلى مكة للحج .
وكان لتميم دور مذكور في هذين الأمرين .

أما بالنسبة للأسواق فقد كان العرب في الجاهلية يقيمونها في شهور السنة وينتقلون
ن بعضها إلى بعض ويحضرها سائر قبائل العرب من بعد منهم ومن قرب ، فكانوا ينزلون
دومة الجندل^(٧) أول يوم من ربيع الأول ، ثم ينتقلون إلى سوق هجر بالبحرين في شهر
ربيع الآخر ثم إلى عمان ثم إلى إرم وقرى الشحر حيث يقيمون أسواقهم ثم يرتحلون
إلى عدن ثم إلى « الرابية » بحضر موت ومنهم من يذهب إلى صنعاء ثم يذهبون إلى
عكاظ في الأشهر الحرم^(٨) ، وهي بالقرب من عرفة^(٩) ، ثم سوق « ذى المجاز » وهي بالقرب

(١) تميم (دائرة المعارف الإسلامية) ٥٧/١٠

(٢) مجمع الأمثال ٤٣٣/٢ ، ويذكر جرجي زيدان (العرب قبل الإسلام ٢٣٨) أن قابوسا هو ابن النعمان بن

المنذر .

(٣) جمهرة أنساب العرب ١٩٨

(٤) بلاد العرب ٢٥٣

(٥) عجالة ١٠٨

(٦) العرب قبل الإسلام ٢٤٤

(٧) تقع ما بين الحجاز والشام (معجم ما استمع ٥٦٥/٢)

(٨) نهاية الأرب للقلة شندى ٤٦٤

(٩) المحبر ٢٦٧

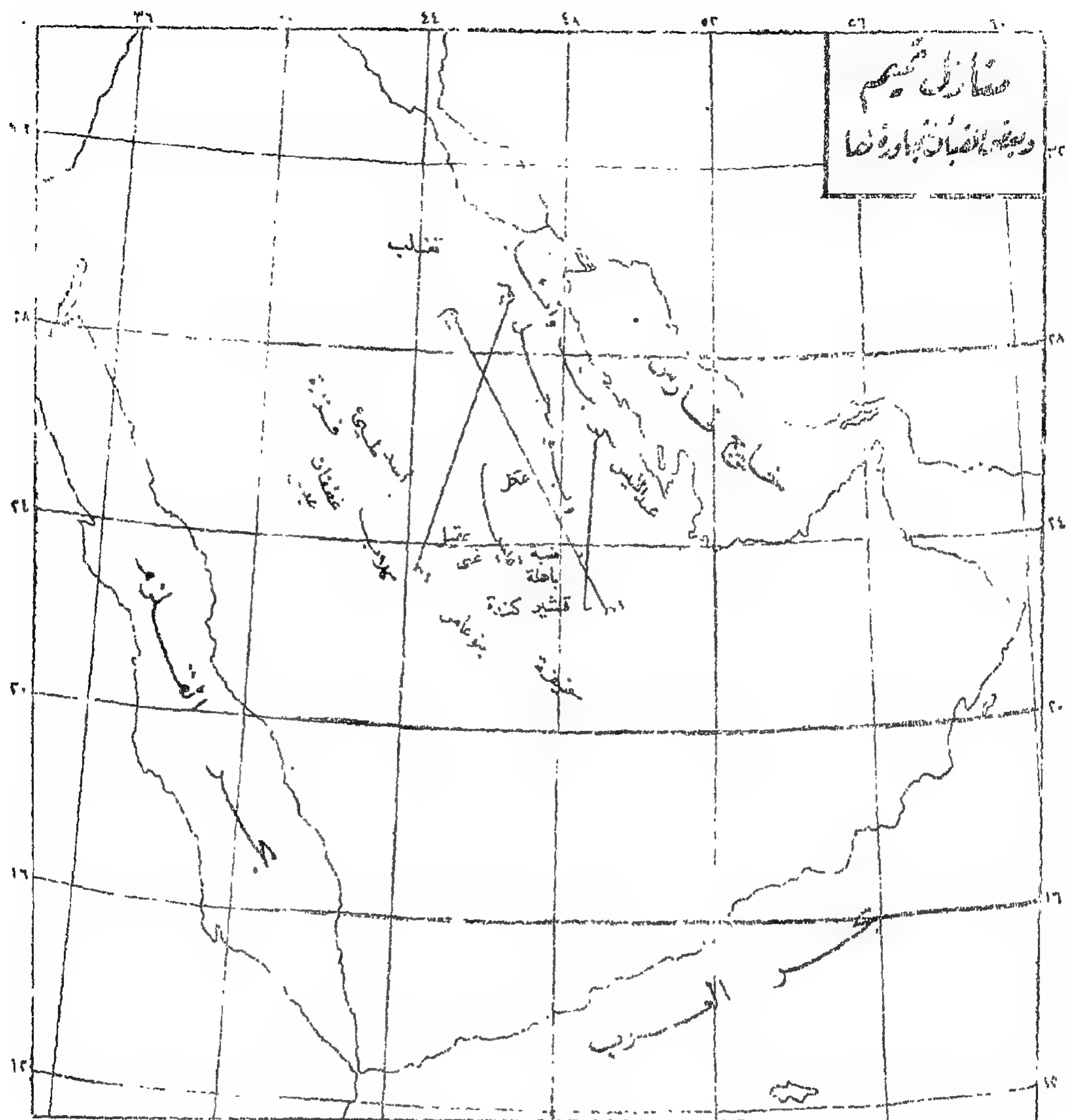
من « عكاظ » من أول ذى الحجة إلى يوم التروية^(١) أى الثامن . منه . ثم تقوم « نطاة » بخيبر ، وسوق حجر باليمامة يوم عاشوراء إلى آخر المحرم^(٢) .

ويروى أن بعض العرب كأسد وطيء كانوا يستحلون المظالم في الأسواق وكانوا يسمون المحللين ، وكان بنو عمرو بن تميم وبنو حنظلة بن زيد مناة وشاركهم في ذلك بنو شيبان وبنو هذيل وبنو كلب يحماون السلاح لمنع الظلم وسفك الدماء وارتكاب المنكر وكانوا لذلك يسمون الذادة المحرمين^(٣) . كما كان يتولى فض ما يحدث بهذه الأسواقحكام من تميم^(٤) ، وآخر من قام بالحكومة في عكاظ الأقرع بن حابس^(٥) .

أما بالنسبة للحج فكان التميميون يتولون الإفاضة بالناس من عرفة وسنشير إلى ذلك عند الحديث عن « دياناتهم في الجاهلية » . وكان من أحكام الحج في الجاهلية أن يطوف غير القرشي عريانا إذا لم يكن له صديق قرشي يعطيه ثيابه ليطوف بها . وكان هذا الصديق يسمى جرّميّا ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرّمى عياض بن حمار^(٦) من بني مجاشع بن دارم^(٧) .

وتبين لنا مدى صاة التميميين بأهل مكة وجود مصاهرة بينهما ، فوالدة أبى جهل أسماء بنت مخزبة بن جندل كانت من بني نهمشل^(٨) وابنة أخيها أسماء بنت سلمة بن مخزبة كانت زوجا لعياش بن أبي ربيعة وهى من المهاجرات إلى الحبشة^(٩) . كما أن السيدة خديجة رضى الله عنها كانت متزوجة قبل الرسول - صلى الله عليه وسلم - من رجل تسمى يدعى أبا هالة هند بن زُرارة النباش بن على من بني جُرْدَة بن أُمَيَّة بن عمرو ابن تميم^(١٠) ، وقد توفى بمكة في الجاهلية^(١١) وأنجب منها هند بن هند^(١٢) .

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (١) المرجع السابق . | (٢) المرجع السابق ٢٦٨ |
| (٣) تاريخ اليعقوبى ٢٧٠/١ ، ٢٧١ | (٤) نقائض جرير والفرزدق ٤٣٨ / ١ |
| (٥) المحبر ١٨٢ | (٦) جمهرة أنساب العرب ٢٣١ |
| (٧) المرجع السابق ٢٣٠ | |
| (٨) المرجع السابق . | |
| (٩) المرجع السابق . | |
| (١٠) المرجع السابق ٢١٠ | |
| (١١) الاشتقاق ٢٠٨ | |
| (١٢) جمهرة أنساب العرب ٢١٠ | |



١ - دول العرب، ودوليات المحيطين
 ٢ - دول البحر الأحمر والبحر الهندي، والبحر الأبيض المتوسط
 ٣ - دول الشرق الأوسط، والبحر الأحمر، والبحر الأبيض المتوسط
 ٤ - دول الشرق الأوسط، والبحر الأحمر، والبحر الأبيض المتوسط

ثالثاً : تاريخ القبيلة ومكانتها

(أ) تاريخ القبيلة السياسي

عنى علماؤنا القدامى بتميم وأخبارها وألفوا عنها كتباً خاصة ، ذلك إلى جانب تناولها في عديد من المؤلفات التي تحدثت عن العرب بصفة عامة . نذكر من الكتب الخاصة « أخبار تميم » و « حلف تميم بعضها بعضاً » لأبى اليقظان سحيم (عامر بن حفص)^(١) (ت ١٩٠ هـ) و « حلف كلب و تميم » لابن الكلبي هشام بن محمد^(٢) (ت ٢٠٤ هـ) ، و « حلف كلب و تميم » للهيثم بن عدي^(٣) (ت ٢٠٧ هـ) . وفيما يلي نبذة سريعة عن تاريخ القبيلة السياسي :

(أ) في الجاهلية :

عاشت تميم حياة بدوية لا تخضع لسلطان ولا تحكمها سوى التقاليد القبلية التي تجعل الأفراد لا يأترون إلا بأمر شيخ القبيلة الذي يعد الأب الروحي لهم جميعاً . وقد عاشت تميم في بدء أمرها في تهامة ثم انتقلت إلى شرق الجزيرة - كما ذكرنا عند الحديث عن مساكنها - وعاشت في حروب مع جيرانها ، ولم تتبع حكومة - كما كان الشأن مع عرب اليمن مثلاً - اللهم ما كان من أمر بعض بطونهم في عهد الحارث بن عمرو الكندي الذي اتصل بقباز كسرى فارس وولاه حكم الحيرة بدل المنذر بن ماء السماء ، واتجهت إليه قبائل نجد ليرلى أبناءه ماوكا عليهم لتنتهى الحروب التي كانت دائرة بينهم والتي كادت تفنيهم ، ففرق فيهم أبناءه فتولى شرحبيل بن الحارث بكر بن وائل وبني حنظلة ابن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني دارم والرباب . ولما تولى أنو شروان الأمر بعد موت قباز ، أعاد المنذر وطرده الحارث ، وحدثت منازعات بين شرحبيل بن الحارث وأخيه سلمة . انتهت بمقتل شرحبيل^(٤) ، وبذلك عادت البطون التميمية إلى ما كانت عليه .

(١) الفهرست ١٣٨ وفيه « حلق » « بدل » « حلف » .

(٢) المرجع السابق ١٤٠

(٣) المرجع السابق ١٤٥

(٤) العرب قبل الإسلام لزيدان وتعليقات المحقق ٢٤٤ ، ٢٥٥

ونجد أيضاً الحكومة المنظمة تتمثل في حكم المنذر بن ساري الأسبذي من بني دارم حاكم هجر بالبحرين^(١) من قبل الفرس^(٢) . وقد ظل يحكمها حتى جاء الإسلام فدعاه الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى الدين الجديد فأسلم وأقره حاكماً عليها وتوفي بعد موت الرسول قبل ردة أهل البحرين^(٣) .

وفي تسميته بالأسبذي عدة أقوال ، ف قيل : نسبة إلى أسبذ وهي قرية بهجر نزلها فنسب إليها^(٤) . وقال ابن الكلبي : إنما قيل -يعني لولده- أسبذيون لأنهم كانوا يعبدون فرسا^(٥) قال ياقوت : الفرس بالفارسية « أسب » زادوا فيه ذالا تعريفا له^(٦) ، وقال الهيثم بن عدي : إنما قيل لهم الأسبذيون أي الجماع^(٧) وفسر الفيروزابادي جماع الناس بأنهم أخلاطهم من قبائل ثنتي^(٨) .

ويفهم من هذا التفسير الأخير أن حكم المنذر لم يكن قاصرا على ذوى عشيرته من عجم ، ويؤكد هذا ما جاء في جواب المنذر للرسول -صلى الله عليه وسلم- : « أما بعد يا رسول الله : فإنني قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث لي في ذلك أمرك »^(٩) ، كما يؤكد هذا الاستنتاج أيضاً وصف الخضرى للمنذر بأنه « سيد عبد القيس وتميم »^(١٠) .

(ب) بعد الإسلام :

جاء الإسلام وكان ثورة على كثير من التقاليد العربية التي لا تتفق والفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، وجاءهم بتعاليم لم يكن لهم بها سابق عهد ، وبنظم لم يكن لهم بها معرفة ، فصدت عنها تميم كما صيد غيرها من العرب ، وظلوا على صلواتهم هذا إلى أن تمكن الرسول -عليه الصلاة والسلام- من الانتصار على أكبر معقل في الجزيرة

(٢) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ١٥ / ١

(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٣٢ ، وعجالة المبتدئ ١٥

(٦) معجم البلدان (أسبذ) ٢٢٠ / ١

(٨) القاموس (جمع) ١٤ / ٣

(١٠) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ٣٨ / ١

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٣٢

(٣) السيرة النبوية ٢٢٢ / ٤

(٥) عجالة ١٥

(٧) عجالة ١٥

(٩) إنسان العيون ٢٨٤ / ٣

وهو مكة المكرمة في العام الثامن للهجرة^(١) فقدم عليه وفد منهم في العام التاسع - عام الوفود - كان فيه عطارد بن حاجب بن زُرارة والزُّبرقان بن بدر والأقرع بن حابس ، وحضر معهم عيينة بن حصن الفزازي^(٢) . وقد نادوا الرسول -عليه الصلاة والسلام- من وراء الحجرات فخرج إليهم وهو متأدٍّ من طريقتهم ، وطلبوا منه مناظرتهم خطابة وشعرا ، فأجابهم إلى مطلبهم ثم أسلموا^(٣) ومنهم الأقرع الذي كان قد شهد هو وعيينة الفزازي مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- فتح مكة وحنينا وحضرا الطائف^(٤) وعدهما من المؤلفة قلوبهم^(٥) لأنهما كانا يحاربان معه كجنديين مرتزقين .

ولما توفي الرسول -صلى الله عليه وسلم- ارتدت أو امتنعت قبائل كثيرة التي كانت حديثة عهد بالإسلام ومنها تميم . وكان الرسول قد عين على تميم عمالا تميميين ، منهم : الزبرقان بن بدر ، وقيس بن عاصم ، ووكيع بن مالك ، ومالك بن نويرة ، وصفوان ابن صفوان . فلما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وقى بعضهم ، فأرسل صفوان الزكاة إلى سيدنا أبي بكر ، ومنهم من منعها كمالك بن نويرة ، ومنهم من تردد كقيس^(٦) وبينما هم على تلك الحال أقبلت عليهم سجاح بنت الحارث اليربوعية^(٧) وكانت تعيش هي وبنو أبيها في تغلب ثم ادعت النبوة بعد موت الرسول -صلى الله عليه وسلم- فوادعها مالك بن نويرة اليربوعي ، ووكيع بن مالك بن حنظلة^(٨) وهما من بني حنظلة^(٩) . ولم يدخل في أمرها من بني تميم عَمْرَى ولا سَعْدَى ، وقامت بينها وبين بطون تميم حروب^(١٠) ثم اتجهت إلى اليمامة وانضمت إلى مسيامة الكذاب^(١١) .

أرسل سيدنا أبوبكر الصديق إلى تميم خالد بن الوليد ليثوبوا إلى رشدهم ، فلما سمعوا به وكانت سجاح قد فارقتهم ندموا على فعلتهم وأرسلوا الزكاة إلى خالد ، ولم يشد عنهم

-
- | | |
|--|-------------------------------------|
| (١) تاريخ الرسل والملوك ٤٢/٣-٦١ | (٢) تاريخ الرسل والملوك ١١٥/٣ |
| (٣) المرجع السابق ١١٥/٣ - ١٢٠ | (٤) أسد الغابة ١٢٨/٢ |
| (٥) المعارف ١٤٩ | (٦) تاريخ الرسل والملوك ٢٦٧/٣ ، ٢٦٨ |
| (٧) في جمهرة أنساب العرب (بنت أوس بن حريز) ٢٢٦ | : |
| (٨) تاريخ الرسل والملوك ٢٦٩/٣ | (٩) المرجع السابق ٢٧٠/٣ |
| (١٠) المرجع السابق ٢٧١/٣ | (١١) المرجع السابق |
| (١٢) المرجع السابق | |

في موقفه سوى مالك الذي وقف متحيرا وأمر أتباعه أن يتفرقوا ، وجاء إليه خالد في « البطاح » وقضى على ترمد هؤلاء التميميين^(١) ، وبذلك عادت تميم كلها إلى حوزة الخلافة واشتركوا في الفتوحات الإسلامية بعدئذ . فمن ذلك أنه في عام ١٤ هـ انضم منهم إلى جيش سعد بن أبي وقاص ثلاثة آلاف^(٢) .

ثم جاء عهد الإمام علي بن أبي طالب وحدثت فيه الفتنة الكبرى وكان بعضهم معه على معاوية إلى أن جاء التحكيم فخرج عليه جمع كبير منهم ، وينسب إلى أحدهم وهو عروة بن جرير من ربيعة بن حنظلة ويقال له : ابن أدية (نسبة إلى أمه) أنه أول من قال : لا حكم إلا لله ، على مذهب الخوارج يوم صفين^(٣) . وفي الكامل للبهرد : إن اسمه عروة بن حدير وأدية جدة له^(٤) ، وقيل إن أول من حكم رجل آخر من تميم من بني صريم من بني سعد بن زيد مناة اسمه الحجاج بن عبد الله ويعرف بالبرك ، وهو الذي ضرب معاوية على أليته^(٥) . وقد دخل عدد كبير منهم في الخوارج ، وكانت لهم مع الخلفاء بدءا من سيدنا علي ثم بني أمية من بعده مواقف عدائية .

وقد اتجه بعض التميميين إلى خارج الجزيرة العربية مثل خراسان التي كثر عددهم فيها^(٦) ومنهم من اتجه إلى شمال إفريقية وكون بنو الأغلب هناك دولة عرفت بدولة الأغالبة^(٧) وهم ينتمون إلى مالك بن سعد بن زيد مناة^(٨) ، ومنهم من أقام بمصر^(٩) .

بنو تميم في الجزيرة العربية الآن :

بعد أن حدد ابن خلدون منازل تميم في الماضي ، قال : « ثم تفرقوا في الحواضر حتى لم يبق منهم أثر يذكر »^(١٠) . لكن الواقع الحاضر يخالف ماقرره ابن خلدون ، ففروع تميم مازالت

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ١٧٧/١ (٢) تاريخ الرسل والملوك ٤٨٦/٣

(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٢٣ (٤) الكامل للبهرد ١٣٤/٢

(٥) المرجع السابق ١٤٠/٢ (٦) انظر : نقائص جرير والفرزدق ٣٦٨/١

(٧) جمهرة أنساب العرب ٢٢١ (٨) المرجع السابق .

(٩) انظر : القبائل العربية في مصر ٩٩

(١٠) تاريخ ابن خلدون ١٢٩/٢ ، وعنه أخذ البستاني في دائرة المعارف وإن لم يشر إليه (انظر مادة « تميم » بالدائرة) .

منتشرة في النصف الشرق من الجزيرة ، وقد كثروا حتى ضرب بهم المثل ، فقيل :
«لولا تميم لا نكفأت الأرض بأهلها»^(١) . ويمكن حصر هؤلاء التميميين في ثلاثة بطون ،
هي :

١ - بطن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

٢ - بطن سعد بن زيد مناة .

٣ - بطن عمرو بن تميم^(٢) .

فمن بنى حنظلة : الوهبة^(٣) نسبة إلى محمد بن عاوى بن وهيب^(٤) ومنهم بيت الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بالرياض^(٥) وآل البسام والقضاة (آل القاضي) وآل مانع ، وآل شيحة ، وآل مسند ، وآل ابن ناصر ، وآل حراز ، والوزان ، وآل شبل ، وآل عثيمين بعنيزة^(٦) ، وآل البسام في زميقة من بلاد الخرج^(٧) ، وآل حسن في أشيقر^(٨) وآل معيوف في جلال وفي روضة سدير^(٩) وآل فيروز بن بسام في بريدة^(١٠) ، وآل عبدان في بريدة وفي الحسا^(١١) وآل معضاد (المعاضيد) ومنهم آل ثان حكام قطر^(١٢) ، والسواكت في الزليفي وفي الكويت ، وآل مانع في أشيقر وشقراء وعنيزة والحسا وآل حميد في أشيقر^(١٣) . ومن بنى حنظلة أيضاً في عمان بنو مقاعس^(١٤) . ويعرفون في الباطنة بعمان باسم المجاعسة « بإبدال القاف جيماً على قاعدة بدو عمان^(١٥) ، والحنظلة (نسبة

(١) إسماف الأعيان في أنساب أهل عمان ٦٣

(٢) زهر الآداب ٤٥

(٣) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ٧٣

(٤) زهر الآداب ٥٧

(٥) قلب جزيرة العرب ١٤٠ وعنه : معجم قبائل العرب ١٢٥

(٦) القبائل التميمية في عنيزة (مجلة « العرب ») س ٥ ع ١١٦٢/٢

(٧) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ٢٢٠

(٨) المرجع السابق

(٩) المرجع السابق ٢٢١

(١٠) المرجع السابق ٢٢٣

(١١) المرجع السابق ٢٢٤

(١٢) المرجع السابق ٢٢٦

(١٣) المرجع السابق ٢٢٤

(١٤) راجع سلسلة نسبة في ص ٢٧

(١٥) إسماف الأعيان ٢٤

إلى حنظلة) ، وبنو غدانة (نسبة إلى غدانة بن يربوع بن حنظلة ^(١)) ، وبنو كليب (نسبة إلى كليب بن يربوع) : وبنو زيد (من بني يربوع) ^(٢) .

ومن بطن سعد بن زيد مناة : العناقر في ثرمداء . وآل أبو عليان وآل حسن في بريدة ^(٣) ، وآل حسنون في عنيزة ^(٤) .

ومن بطن بني عمرو بن تميم : النواصر في عنيزة ^(٥) . وآل ماض في الروضة من سدير وآل حماد وهم فرع من المزاريع في الحوطة ^(٦) .

(ب) دياناتهم في الجاهلية

١ - كانت تميم في الجاهلية على بقية من دين إبراهيم عليه السلام شأن غالبية العرب فكانوا يعظمون الكعبة ويحججون إليها . وكان لهم دور بارز في أداء هذه الشعيرة . فلم يكن لحاج أن يغادر عرفة إلا بعد أن يأذن الموكِّل بهذا الأمر ، وكان من آل صفوان ابن شحنة من بني سعد بن زيد مناة ^(٧) .

٢ - وعبد التميميون - كغيرهم من العرب - الأصنام ويجارها ، وكان من أصنامهم : (١) شمس ^(٨) : وقد شاركته في عبادتها بنو أد كلها (ضبة ، وقيم ، وعدي . وعُكُل ، وشور) ^(٩) وكان سدننتها من بني أسيد بن عمرو ، وقد هدمها هند

(١) المرجع السابق ٦٦ ، ٦٧ (٢) المرجع السابق ٧٧

(٣) قلب جزيرة العرب ١٤٠ ، ١٤١ (٤) القبائل التيممية في عنيزة (مجلة العرب س ٥) ١١٦٣

(٥) المرجع السابق

(٦) زهر الآداب ٥٨ ، وللتوسع في معرفة الفروع التيممية يراجع :

(أ) قلب جزيرة العرب ١٤٠ ، ١٤١

(ب) معجم قبائل العرب ١٢٥ وما بعدها .

(ج) زهر الآداب ٥٥-٦٢

(د) مجلة العرب (السنة الخامسة) .

(٧) جمهرة أنساب العرب ٢١٩ ، والمعارف ٣٦

(٨) جمهرة أنساب العرب ٤٩٣ وضبطه ياقوت في « معجم البلدان » ٢٩٣ / ٥ ، وابن حبيب في المحبر ٣١٦

بضم الشين .

(٩) المحبر ٣١٦ ، ومعجم البلدان (شمس) ٢٩٣ / ٥ (وضبة بن أد وعُكُل بن عوف بن عبد مناة بن أد ، والثلاثة

الباقون أبناء عبد مناة بن أد - جمهرة أنساب العرب ٤٨٠) .

ابن أبي هالة وصفوان بن أسيد بن الحلاحل^(١) . ووجدناهم يذكرونها في تركيب بعض أسمائهم فقالوا عبد شمس .

(ب) رضاء : وقد عبده بنو ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة وكسرها المستوغر ابن ربيعة^(٢) ، وقال في ذلك :

ولقد شددتُ على رضاء شدةً فتركها قفراً بقاع أسحما^(٣)

(ج) ويظهر أنهم عبدوا كذلك « مناة » التي ورد ذكرها في القرآن الكريم (ومناة الثالثة الأخرى)^(٤) وكانت على البحر الأحمر بين مكة والمدينة^(٥) ، عبدوها قبل أن يرحلوا من تهامة ويشهد بذلك تسميتهم « زيد مناة » .

٣- وشذ منهم نفر - كما شذ من غيرهم من القبائل - خرجوا على دين قومهم إلى أديان أخرى :

(١) فقل إن منهم من اعتنق المجوسية مثل : زرارة بن عدس ، وابنه حاجب ، والأقرع بن حابس^(٦) . وقد ذكرنا عند الحديث عن التاريخ السياسي للقبيلة أن المنذر بن ساوى ذكر في كتابه للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن من رعيته من يعتنقون المجوسية ، فلعل من هؤلاء تميميين .

(ب) كما أن ممن نزلوا الحيرة منهم من اعتنقوا المسيحية^(٧) ، كعدى بن زيد .

(١) المحبر ٣١٦ ، وجمهرة أنساب العرب ٤٩٣ ، ومعجم البلدان ٥ / ٢٩٣

(٢) السيرة النبوية ١ / ٨٩ ، وجمهرة أنساب العرب ٤٩٤ ، والأصنام ٣٠

(٣) السيرة النبوية ١ / ٩٠ والأصنام ٣٠ (باختلاف في المعجز) .

(٤) النجم ٥٣ / ٢٠

(٥) الأصنام ١٣ ، ويلوغ الأرب ٢ / ٢٠٢

(٦) المعارف ٢٦٦

(٧) يلوغ الأرب للأوسى ٢٤١

(ج) مكانتهم في الجاهلية

لقد وصف الإمام ابن حزم بنى تميم بقوله : « وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب »^(١) ولا عجب في وصفه هذا ، فقد كانت لهم مكانة سامقة بين العرب ، واختصوا بأعمال^(٢) جليلة حتى إن رجلاً من طيئ أدرك الإسلام وصفهم بقوله :

فإن بيت تميم ذو سمعت به فيه تتمت وأرست عزها مضر^(٣)

من تلك الأعمال العظيمة :

١- الرّدافة : وهي أن يجلس ملك الحيرة الرّدف عن يمينه ، فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس ، وإذا غزا الملك جلس الردف في موضعه وخلفه على الناس ونصيبه المربع من الغنيمة . وكانت الرّدافة في الجاهلية لبنى يربوع يتوارثونها ، ويرجع سبب اختصاصهم بها كثرة غاراتهم على ملوك الحيرة ، فصالحوهم على أن يجعلوا لهم الرّدافة على أن يكفوا عنهم الغارة^(٤) .

ولما كانت أيام النعمان بن المنذر (ت ٦١٣ م)^(٥) ، وقيل : أيام ابنه المنذر (ت ٦٣٢ م)^(٥) سألها حاجب بن زرارة لقومه بنى دارم ، فطلب النعمان من بنى يربوع أن يجيبوا إلى ذلك فرفضوا ودارت بينهما حرب في « طخفة » انتصر فيها بنو يربوع واضطر ملك الحيرة لإقرارهم على الرّدافة^(٦) . ومن تولاهم منهم مالك بن نويرة^(٧) . قال جرير ، وهو يربوعي :

رَبَعْنَا وَرَادَفْنَا الْمُلُوكَ فَظَلَّلُوا وَطَابَ الْأَحَالِيْبُ الشَّمَامُ الْمُنَزَّعَا^(٨)

(١) جبهة أنساب العرب ٢٠٧

(٢) نوادر أبي زيد ٦١

(٣) الصحاح (ردف) ٤ / ١٣٦٣

(٤) العرب قبل الإسلام لزيدان ٢٣٦

(٥) المرجع السابق ٢٣٩

(٦) المرجع السابق ١٣٧ ، ١٣٨

(٧) الكامل للمبرد ٣٥٨/٢ ، ٣٦٠

(٨) ديوانه ٢٢٦ وهو جرير بن عطية الخطفي ، من بنى كليب بن يربوع . عده ابن سلام في الطبقة الأولى من فحول الشعراء الإسلاميين . توفي سنة ١١٠ هـ (جبهة أنساب العرب ٢٢٥ ، والخزانة ٧٥/١ ، وطبقات فحول الشعراء ٣١٥ ، ووفيات الأعيان ١ / ٢٩٠) .

٢- الإفاضة بالناس من عرفة في الحج ، فلم يكن لحاج أن ينتقل من عرفة إلا بعد أن يأذن أحد الموكلين بذلك وكان من آل صفوان بن شحنة من بني سعد ، وقد ذكرنا ذلك عند الحديث عن ديانات تميم في الجاهلية .

٣- التحكيم : كان من بني تميم حكام يقرضون بين المتنازعين في الأسواق وغيرها^(١) .

٤- اشتراكهم مع قبائل أخرى في الدفاع عما يحدث في الأسواق من منازعات وظلم^(٢) .

(١) انظر ما كتب تحت عنوان « صلاتهم بالقبائل غير المجاورة لهم » ص ٤١ .

(٢) راجع ما كتبناه تحت عنوان « صلاتهم بالقبائل غير المجاورة لهم » ص ٤١ .

رابعاً : مرادفات اللغة التميمية

ومتزلتها بين لغات القبائل

(١) مرادفات اللغة التميمية

عندما كان اللغويون يريدون النص على ظاهرة تميمية ، كانوا أحياناً يذكرون ألفاظاً أخرى ترادفها أو تندرج تحتها ، فتشملها هي ولغات أخرى مواها - وهذا بالطبع بخلاف العزو إلى بعض بطونهم مثل بلعنبر وبلهجم - وهذه الألفاظ هي :

أولاً - لغة نجد :

والمعروف عن نجد أنه كان موطن معظم التميميين منذ الجاهلية بعد أن رحلوا من تهامة - كما اتضح من الحديث عن مساكنهم - فإذا أطلقت لغة نجد أريد بها :

(١) لغات تميم ومن كانوا يجاورونهم في هذه البقعة مثل قيس وأسد ، وكانت اللفظة حينئذ تذكر في مقابل لغة الحبشة أو أهل العالية^(١) .

(١) قيل في تعريف « أهل العالية » عدة أقوال :

(أ) يحددهم ابن دريد (٣٢١ هـ) بأنهم أهل الحجاز ، ما يليه (الاستقاق ٥٥) .

(ب) ويحددهم المبرد (ت ٢٨٦ هـ) بأنهم قريش ومن والاها (الكامل ١٦ / ١) .

وإذا كان هذان التعريفان مقتضيين فإننا نراه موضحاً في التعريفات التالية .

(ج) مافوق نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكة (الغريب المصنف ١٢٦ / ١) .

(د) اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة ومن وقراها وعمايرها إلى تهامة فهي العالية ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة (معجم البلدان « العالية » ١٠٠ / ٦) .

(هـ) « ماجاور الرمة إلى مكة ، وهم : عكل وقيم ، وطائفة من بني ضبة ، وعامر كلها ، وغنى ، وباهلة ، وطوائف من بني أسد ، وعبد الله بن غطفان ومن شقه الشرق : أبان بن دارم وهم علويون ، وأهل أمرة من بني أسد والمأمهم ، وطائفة من عوف بن كعب بن سعد بن سليم ، وعجز هوازن ، ومحارب كلها ، وغطفان كلها علويون نجديون » (معجم البلدان « العالية » ١٠٠ / ٦) .

^١ ونلاحظ أن هذا التعريف الأخير رغم أنه أكثر من غيره وضوحاً لم يذكر قريشا من العالية ، ولكنه نسب إلى قبائل نجدية ، منهم : أبان بن دارم وهم تميميون . لكن النصوص التي عثرنا عليها تذكر العالية وتحتيها الحجاز ، لأنها تذكرها مقابل تميم أو نجد بصفة عامة ، وفي ثنابا البحث أمثلة كثيرة لهذا التماثل .

وفي المقارنة بين كل نصين مما يلي توضيح لذلك :

١ - الجنس المميز واحده بالناء :

الأول : قال الفراء (ت سنة ٢٠٧ هـ) : « كل جمع كان واحدته بالهاء وجمعه بطرح الهاء ، فإن أهل الحجاز يؤنشونه . . . وأهل نجد يذكرون ذلك . . . »^(١)

الثاني : وقال أبو حيان (ت سنة ٧٥٤ هـ) : « الجنس الذي ميزوا واحده بتاء يؤنشيه الحجازيون ويذكره التميميون وأهل نجد »^(٢) .

٢ - أفتن :

الأول : يقول الفراء : « . . . وأهل نجد يقولون : أفتنته »^(٣) . . .

الثاني : ينقل النحاس (ت نحو سنة ٣٣٧ هـ) عن الدراة قوله : « وتميم وربيعه وفيس وأسد وجميع أهل نجد يقولون : أفتنت الرجل »^(٤) .

٣ - القصيا :

الأول : جاء في « تهذيب اللغة » : « أهل الحجاز قالوا : القصوى . . . وتميم وغيرهم يفتواون : القصيا »^(٥) .

الثاني : ورد في « المخصص » : « قال أهل العالية : القصوى ، وأهل نجد يقولون : القصيا »^(٦) .

(ب) المطابقة للغة التميمية : فمن اللغويين من كان يذكر كلمة « نجد » ويعملها

مطابقة للغة تميم أو يعكس ، فيذكر لغة تميم ويعني بها لغة نجد . وشاهدنا على ذلك :

١ - مذ :

الأول : نقل السيوطي (ت سنة ٩١١ هـ) عن نوادر يونس « أهل الخجاز : ما رأيته منذ يومين ومنذ يومان ، وتميم منذ يومين ومنذ يومان »^(٧) .

(٢) البحر المحيط ٨٣/١

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٩٧/ب

(٦) المخصص ٢٣/١٤

(١) المذكر والمؤنث للفراء ١٠١

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٩٤/٢

(٥) تهذيب اللغة ٢١٩/٩

(٧) المزهر ٢٩٨/ب (خ)

الثانى : نقل الصغاني فى رسالته « ماتفرد به بعض الأئمة » عن يونس النص السابق على النحو التالى : « أهل العالية يقولون : ما لقينته منذُ اليوم ، وأهل نجد يقولون : منذُ اليوم »^(١).

٢ - الود :

الأول : قال ابن دريد (ت سنة ٣٢١ هـ) : « الود لغة تميمية »^(٢).

الثانى : قال الفيدي (ت نحو سنة ٧٧٠ هـ) : « وأهل نجد يُسَكِّنون التاء فيدغمون لا بعد القلب فيبقى وَّ »^(٣).

٣ - الطريق :

الأول : قال الفراء (ت سنة ٢٠٧ هـ) : « والطريق يؤنثه أهل الحجاز ويذكره أهل نجد »^(٤).

الثانى : وجاء فى الصحاح : « قال الأنخفش : أهل الحجاز يؤنثون الطريق . . . وبينو تميم يذكرون هذا كله »^(٥).

٤ - السدفة :

الأول : قال أبو زيد (ت نحو سنة ٢١٥ هـ) : « السُدفة فى لغة قيس الضموء وفى لغة تميم الظلمة »^(٦).

الثانى : وورد باللسان : حكى الجوهري عن الأصمعى : « السُدفة والسُدفة فى لغة نجد الظلمة ، وفى لغة غيرهم الضموء »^(٧).

(١) ما تفرد به بعض الأئمة ١٠ (خ) .

(٢) جمهرة اللنة ٧٧/١

(٣) المصباح (وتد) ٦٤٦

(٤) المذكر والمؤنث ٨٧

(٥) الصحاح (زقق) ١٤٩١/٤ ، والنص أيضا فى اللسان (زقق) ٩/١٢

(٦) الغريب المصنف ١/٢٥٥ ، وأمالى القال ١٢٥/٢

(٧) اللسان (سدف) ٤٦/١١

ثانيا - سفلى مضر :

والمعروف أن تميمًا ومن كانوا يجاورونها كقيس وأسد ينتمون إلى مضر ، وكذلك معظم سكان الحجاز كقريش وكنانة وهذيل . وقد أطلق على سكان الحجاز « عُلَيّا مضر » وعلى سكان نجد « سفلى مضر » ، ويتبين ذلك من مقارنة النصين التاليين :

١- قال أبو حيان (ت سنة ٧٥٤ هـ) في مضارع حَسِبَ : « والفتح في السين لغة تميم والكسر لغة الحجاز »^(١) .

٢- وجاء في الصحاح نقلًا عن أبي زيد : « عُلَيّا مضر يحسب وينعم وييسر بالكسر ، وسفلاها بالفتح »^(٢) .

ثالثا - غير لغة الحجاز :

وقد يراد بتميم غير لغة الحجاز ، ويتضح ذلك من عرض النصين التاليين :

١- قول اليزيدي (ت سنة ٢٠٢ هـ) في نوادره : « أهل الحجاز برأت من المرض وتيمم برئت »^(٣) .

٢- قول ابن دريد : « برأت من المرض أبرأ بُرءا ، وهذه لغة أهل الحجاز وسائر العرب برئت من المرض أبرأ »^(٤) .

ومع ذلك فلم أعالج هذا النوع - إلا على سبيل الاستثناس - خشية أن تكون تميم قد شاركت الحجازيين ، إذ قد يكون المراد باللغة الأخرى غير الحجازية لغة قيس أو أسد أو زبيعة ، وذلك مثل قول النحاس (ت نحو سنة ٣٣٨ هـ) : « أهل الحجاز يبخلون وقد يخلوا ، وسائر العرب يخلوا يبخلون »^(٥) . وقد لاحظنا مثل ذلك عند الكلام عن المقارنة بين روايتي أبي زيد والأصمعي عن « السدفة » فقد نسبها أبو زيد بمعنى الظلمة إلى

(١) البحر ٢/٢٧٨

(٢) الصحاح (ياس) ٣/٩٩٢

(٣) المزهر ٢/٢٧٦

(٤) جوهرة اللغة ٣/٢٧٧ ، وانظر : اللسان (برا) ١/٢٢ ، ٢٣

(٥) إعراب القرآن ٢/٤٢

تميم ، وبمعنى الضوء لقيس ، وعزاها الأصمعي بالمعنى الآخر أى الضوء لنجد - وهو كما لاحظنا مرادف لتميم ، أو يشمل التميميين ومجاورهم - وبالمعنى الثانى لغير العرب . والقارئ لرواية الأصمعي بمغزل عن رواية أبي زيد يفهم أن الذين كانوا يعنون بالسدفة الضوء هم الحجازيون ؛ لأنهم المذكورون عادة فى مقابل التميميين والنجديين .

وإلى جانب هذين المترادفين (نجد وسفلى مضر) توصف اللغة التميمية بأوصاف تقلل من شأنها إذا ما قورنت باللغة الحجازية التى كانوا ينظرون إليها على أنها اللغة المشتركة ، فقد وصفت بأنها :

١ - فى مقابل وصف الحجازية بالفصيحة ، ونلمس ذلك بالمقارنة بين النصين التاليين :

(أ) قال الفراء : « والسوق أنثى ، وربما ذكرت . والتأنيث أغلب عند الفصحاء »^(١) .

(ب) وقال الأخفش : « أهل الحجاز يؤنثون الطريق والسرائط والسبيل والسوق والزقاق والكلاء » ، وهو سوق البصرة وبنو تميم يذكرون هذا كله »^(٢) .

٢ - وتوصف كذلك بأنها « لغة لاخير فيها » ويتضح ذلك مما يلى :

(أ) جاء فى « معانى القرآن » للفراء : « ذلك وتلك لغة قريش وتميم تقول ذلك

وتيك »^(٣) . وقد ورد مثل هذا النص فى شرح الأشموني وفيه « الحجاز » بدل

« قريش »^(٤) .

(ب) وجاء فى المزهرة : « قال أبو عمرو : أكثر العرب تقول تلك ، وتيك لغة لاخير

فيها »^(٥) .

(١) المذكر والمؤنث للفراء ٩٦

(٢) الصحاح (زقق) ١٤٩١/٤

(٣) معانى القرآن ١٠٩/١

(٤) شرح الأشموني ١٤٢/١

(٥) المزهرة ٢٢٥/١

(ب) اللغة التميمية

ومنزلتها بين لغات العربية

١

احتلت اللغة التميمية مكانة كبيرة بين لغات العربية ، ونلمس هذه المكانة من تفسير العلماء لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ »^(١) . ولقد كثرت الأقوال حول تفسير هذا الحديث إلى نحو أربعين قولاً^(٢) . والذي يعيننا منها أن من العلماء من فسر الأحرف باللغات مثل أبي عبيدة وثعلب^(٣) ، وأن من هؤلاء العلماء من عد اللغة التميمية إحدى هذه اللغات ، قال أبو حاتم السجستاني (ت نحو سنة ٢٥٥ هـ) : « نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعه وهوازن وسعد ابن بكر »^(٤) واعتد اللغويون بهذه اللغة التميمية عندما أرادوا تدوين العربية ، فقد وضعوا قواعد جعلوها أساساً لتسجيل اللغات إذ حرصوا على أن تكون من اللغات المنعزلة التي لم تتأخر ألسنة أجنبية قد يكون لمجاورتها إياها أثر في سريان الوهن إليها ، قال أبو نصر الفارابي (ت سنة ٣٥٠ هـ) في أول كتابه « الألفاظ والحروف » : « والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه . وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجمله فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم »^(٥) .

ويتبين لنا مدى اهتمام الرعيل الأول من اللغويين والنحاة بلغة تميم مدحهم إياها حتى في مجال ذكر عيوبها ، قال سيبويه : « وقد شبه بعض العرب ممن ترتضى عربيته هذه الحروف

(١) الإتيان ١/١٦٤ وقد ورد هذا الحديث بروايات متعددة منها : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه » (البخاري ٦/٢٤) و « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » (تفسير الطبري ١/٤٧) .

(٢) الإتيان ١/١٦٤

(٣) المرجع السابق ١/١٦٩

(٤) المرجع السابق

(٥) المزهر ١/٢١١ ، ٢١٢ والاقتراح ١٩ وانظر كذلك : فصول في فقه العربية ١٠٣ ، ١٠٤

الأربعة : الصاد والضاد والطاء والظاء في فعلت بهن في افتعلت ^(١) . وقد وضع في موضع سابق من الكتاب أن أصحاب هذه اللغة المعتد بها بنو تميم ^(٢) . وإذا كانت اللغات تتفاوت في بلاغتها وفي بعدها عن الحوشى ^(٣) بدليل قول الفارابي : « كانت أقريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس » ^(٤) ، فإن تميماً تميزت لغتها بالفصاحة ، ويدل على ذلك ما رواه الطبري عن أبي العالية من أنه « قرأ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كل خمسين رجلاً فاختلفوا في اللغة ، فرضى قراءتهم كلهم فكان بنو تميم أعرب القوم » ^(٥) .

ثم إن بنى تميم تفاوتوا فيما بينهم في الفصاحة ، قال أبو عمرو بن العلاء : « أفصح العرب علياً هوازن وسفلى تميم » ^(٦) . ويوضح السيوطي « سفلى تميم » بقوله : « يعني بنى دارم » ^(٧) .

ولذلك كانت تميم مقصد اللغويين ، حرصوا على أن يسجلوا لغتها من أفواه أبنائها وكان هذا التسجيل على ضربين : إما عن طريق التميميين الذين أطلق عليهم « الرواة » وكانوا يفتدون إلى الحضر ، حيث يقيم العلماء ، وإما أن يرحل اللغويون أنفسهم إليهم في مواطنهم .

أولاً - طريق الرواية :

تركز علماء اللغة بعد الإسلام في ثلاثة مدن هي : البصرة والكوفة ثم بغداد . وقد رحل إلى هذه المدن - وعلى الأخص الأوليين - أعراب أخذ عنهم اللغويون ، نذكر من هؤلاء الرواة التميميين :

١ - جهم بن خلف المازني ، من آل عمرو بن العلاء . كان عالماً بالغريب والشعر بالبصرة في زمن خلف والأصمعي ^(٨) .

(٢) الكتاب ٢٤٠/٤

(٤) تفسير الطبري ٤٥/١

(٦) الإتيان ١٦٩/١

(١) الكتاب ٤٧١/٤

(٣) المزهري ٢١١/١

(٥) المزهري ٢١١/١ ، والإتيان ١٦٩/١

(٧) الفهرست ٧٠

- ٢- أبو علي الحسن بن علي الحرمازي ، نسبة إلى حرماز بن مالك بن عمرو بن تميم ،
وقيل : إنه نزل بني الحرماز فنسب إليهم ، قدم البصرة وعاش بها^(١) .
- ٣- أبو الخنساء عباد بن كسيب من بني عمرو بن جندب من بني العنبر^(٢) قال عنه
القنطري : « أخذ الناس عنه طرفاً من اللغة الفصحى ، وهو قديم العهد قد يرد اسمه في كتب
اللغويين وأسندوا إليه جملة من الغريب »^(٣) .
- ٤- أبو الخطاب عمرو بن عامر البهذلي ، أخذ عنه الأصمعي^(٤) .
- ٥- أبو المُنَجِّيب الربيعي مَرثِد بن محيّا^(٥) ، من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة^(٦) روى
عنه ابن الأعرابي^(٧) .
- ٦- أم الهيثم المنقرية ، كانت بالبصرة وأخذ عنها أبو عبيدة^(٨) وأبو حاتم
السجستاني^(٩) .
- ٧- زيد بن كثوة العنبري ، كان يقيم بالبصرة في عهد الجاحظ^(١٠) .
- ٨- عمارة بن عتميل بن بلال بن جرير ، كان يسكن البصرة وقد أخذ عنه المبرد^(١١) .
- ٩- أبو الصقر العدوي^(١٢) ، وقد سجل له صاحب « البارع » ، (ت ٣٥٦ هـ) فقال :
أبو الصقر وهو رجل من تميم^(١٣) .
- ١٠- هَذَاب الهجيمي^(١٤) .

(١) الفهرست ٧٢ (٢) المرجع السابق ٧٣
(٣) إنباء الرواة ٣٨٨/٢ (٤) الفهرست ٧٠
(٥) المرجع السابق وإنباء الرواة ١١٤/٤ (٦) مجالس ثعلب ٣٩٤
(٧) الفهرست ١٠٣
(٨) الأمل للقال ٦٩/٣ ، والمزهر ٥٣٩/٢
(٩) انظر : المقاييس (جلس) ٤٧٤/١ والمزهر ١٤٦/١
(١٠) انظر : البيان والتبيين ١٦٣/١
(١١) نزهة الألباء ١٢١
(١٢) إنباء الرواة ١٤/٤ ، وفي الفهرست ٧٠ « الصمق » تحريف .
(١٣) البارع ١٤٧ ونص البارع في التكملة للصناني وفيه « أبو السقر » .
(١٤) الفهرست ٧٠

والملاحظ أن المعلومات عن هؤلاء الرواة ضئيلة ، بل إن بعضهم اكتفت كتب التراجم بذكر اسمه ، لكنني حرصت على تدوين أسمائهم لانتماهم إلى بطون تيممية .

ثانيا - الرحلة إلى التميميين :

لم يكتف العلماء بتسجيل اللغة التميمية من أفواه الأعراب الذين جاءوا إلى الحضرة ، بل ذهبوا بأنفسهم إلى مواطنها في قلب الجزيرة العربية ، ونذكر من العلماء :

١، ٢ - الخليل بن أحمد (نحو سنة ١٧٥ هـ) ، والكسائي (نحو سنة ١٨٩ هـ) :
ونلمس ذلك مما رواه ابن الأنباري من أن الكسائي « خرج إلى البصرة ولقي الخليل بن أحمد وجلس في حلقة ، فقال رجل من الأعراب : تركت أسداً وتيمماً وعندهما الفصاحة وجئت إلى البصرة . وقال لل خليل بن أحمد : من أين علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فخرج وأنفذ خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه »^(١) .

ومن الأدلة المادية على تأثر الكسائي بالتميميين قوله : « وسمعت في بني تميم من بني يربوع وطهية من ينصب الثاء على كل حال في الخفض والنصب والرفع »^(٢) .

٣ - الفراء : وقد نسب إليه أنه قال : « سمعت رجلين من بني تميم قال أحدهما :
سوغه ، وقال الآخر : سوغته »^(٣) .

٤ - أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس : وقد قال بعد تجواله في الجزيرة العربية وتدوينه عن أهلها : « لست أقول : قالت العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء : بكر بن هوازن ، وبني كلاب ، وبني هلال ، أو من عالية السافلة أو سافلة العالية »^(٤) . والمقصود بعالية السافلة أهل نجد .

(١) نزهة الألباء ٤٣

(٢) المحكم ٣/٣٢٢

(٣) اللسان (سوغ) ٣١٨/١٠

(٤) المزهري ١/١٥١

هـ - الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد (ت سنة ٣٧٠ هـ) كان قد أخذ أسيراً أيام فتنة القرامطة ونحاطط في أسره تميميين ، وتحدث عن هذه الفترة فقال : « وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير^(١) وكان القوم الذين وقعت في سبيلهم عرباً ، عامتهم من هوازن ، واختلط بهم أصرام من تميم وأسد بالهبير نشثوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النُّجَع ويرجعون إلى أعداد المياه [في محاضرتهم زمان القيظ] ، ويرعون النِّعم ، ويعيشون باللبانها ، ويتكلمون بطبعائهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد يقع في منطقهم لحن أو خطأ فاحش فبقيت في إسارهم دهرًا طويلاً . وكنا نتشتى الدهناء ونرتبع الصَّمان ونتقيظ السُّتارين واستفدت من مخاطباتهم ومحاوره بعضهم بعضاً ألفاظاً جملة ونوادير كثيرة »^(٢) .

ونلمس تأثره بالتميميين في استشهاده بهم وذكره مواضع تيممية مر بها : من ذلك قوله :

(أ) « وثرمداء : ماء لبني سعد في وادي السُّتارين قد وردته يستقى منه بالعقال لقربه »^(٣) .

(ب) « والحِجَاءَتَان : رملتان في ديار تميم ، قلت : ورأيت في ديارهم ركيّة تُدعى الحِجَاءَة وقد وردتها وفي مائها صفرة »^(٤) .

(ج) « ورأيت في بلاد بني سعد بن زيد مناة رملّة يقال لها : غَزَّة وفيها أحساء جمّة ونَخْلٌ بَعْلٌ »^(٥) .

(د) « ونَطَاع بوزن قَطَام : مائة في بلاد بني تميم قد وردتها »^(٦) .

(هـ) « وسمعت أعرابياً من بني تميم يقول : هجعنا هجعة خفيفة وقت السَّحَر »^(٧) .

(١) رمل في طريق مكة (معجم البلدان ٤٤٤/٨) .

(٢) تهذيب اللغة ٧/١

(٣) المرجع السابق (ثرمد) ١٦٨/١٥

(٤) المرجع السابق (حنا) ٢٥٢/٥ واللسان (حنا) ١/٥٥

(٥) المرجع السابق (المستدرک) ٤٥

(٦) المرجع السابق (نطح) ١٧٩/٢

(٧) المرجع السابق ١٢٩/١

٦- الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت ٤٠٠ هـ) صاحب « تاج اللغة وصحاح العربية » المعروف باسم الصحاح . وقد استقى بعض مادة معجمه مما دونه عن العرب في أثناء تجواله ببلادهم - ومنهم تميم - من ذلك ما ذكره في مادة (نخس) قال : « سألت أعرابياً من بني تميم وهو يستقي وبكرته نخيس^(١) . فوضعت إصبعي على النخاس ، فقلت : ما هذا ؟ وأردت أن أتعرف منه الحاء والخاء ، فقال : نخاس - بخاء معجمة - فقلت : أليس قد قال الشاعر :

* وَبَكْرَةٌ نَحَّاسُهَا نَحَّاسٌ *

فقال : ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين^(٢) .

صنف آخر سمع من التميميين :

هذا ولم تسعفنا التراجم الخاصة ببعض العلماء ببيان ما إذا كانوا قد رحلوا إلى البادية وأخذوا عن سكانها - ومنهم تميميون - أو أنهم قد تلقوا ذلك عن الأعراب الرواة الذين ذهبوا إلى البصرة والكوفة ، نذكر من هؤلاء العلماء :

سيبويه : (ت نحو سنة ١٨٠ هـ) الذي ذكر في مواضع كثيرة من « الكتاب » أنه سمع من التميميين ، من ذلك قوله :

(أ) « وسمعنا بعض بني تميم من بني عدى يقولون : قد ضَرَبَتْهُ وَأَخَذَتْهُ^(٣) .

(ب) « سمعنا جميع ما ذكرنا لك من الإمالة والنصب في هذه الأبواب من العرب^(٤) .

(ج) « وسألنا العلويين والتميميين ، فرأيناهم يقولون من قُديديمة ومن وريثة^(٥) ، لا يجعلون ذلك إلا نكرة^(٥) .

(د) « وسمعناهم ينشدون هذا البيت . . .^(٦) والضمير « هم » يعود على « بني تميم » الواردة قبل هذا الكلام .

(١) وضع بها نخاس - بكسر النون - وهو شيء يلغم خرق البكرة إذا اتسعت (اللسان - نخس) .

(٢) الصحاح (نخس) ٩٨٢/٣

(٣) الكتاب ١٨٠/٤

(٤) المرجع السابق ١٤٣/٤

(٥) المرجع السابق ٢٩١/٣

(٦) الكتاب ٤٧١/٤

الباب الثاني
المستوى الصوتي

الفصل الأول الإبدال

توطئة :

الإبدال هو النطق بصوت أو أكثر مكان غيره في الكلمة^(١). وهو ظاهرة عامة في كل لغات البشر^(٢)، إذ هو إحدى وسائل نمو اللغة، بوساطته تكون العديد من ألفاظها. وسنتناول هنا الإبدال التميمي في ضوء القواعد التي قررها علماء اللغة : القدامى منهم والمحدثون.

شروط الإبدال :

(١) عند القدامى :

اشترط القدامى للإبدال - دون أن يتعرضوا للحركات - تقارب الصوتين ، وقد نص على ذلك صراحة أبو علي الفارسي (ت سنة ٣٧٧ هـ) في قوله : « أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدال والطاء والتاء ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخرجه »^(٣) وقال ابن سيده : « ما لم يتقارب مخرجاه البتة فقليل : على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلًا ، وذلك كإبدال حرف من حروف القسم من حرف من حروف الحلق »^(٤). لكن القدماء الذين ألفوا في الإبدال كابن السكيت وأبي الطيب لم يلتزموا بهذا الشرط فوجدوا أبا الطيب يورد مثلاً كلمات وقع فيها الإبدال بين الباء والهاء^(٥) ، والثاء والحاء^(٦) ، والثاء والخاء^(٧) ، والحاء واللام^(٨).

(١) يعرف الأستاذ عز الدين التنوخي «الإبدال» بأنه « إقامة حرف مكان حرف ، مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة » (مقدمته لكتاب الإبدال لأبي الطيب ٩) وقوله : «حرف» يخرج الحركة وإن كان كلامه يتفق ومادة الكتاب الذي قدم له . ويفهم من تعريفه أن الإبدال يكون في حرف واحد من حروف الكلمة ، وهذا يخالف ملاحظناه من إبدال صوتين ساكنين في بعض الكلمات مثل « لعل » و « لئن » اللتين سنعرض لهما . هذا وقد استعمل اللغويون القدامى مصطلحات أخرى مرادفة للإبدال ، مثل : البديل ، والمبدول ، والقلب ، والمقلوب ، والمحول ، والمضارعة ، والتعاقب ، والمعاقبة ، والاعتقاب ، والنظائر والاشتقاق الكبير أو الأكبر (مقدمة الإبدال لأبي الطيب للتنوخي ٧) .

(٢) من ذلك أن من متكلمي الإنجليزية من ينطقون oupm, hapm بدلا من open, happen أي بإحلال m مكان n

- | | | |
|----------------------------|-------------------------|-----------------------------|
| (٣) سر صناعة الإعراب ١٩٧/١ | (٤) الخصاص ٢٧٤/١٣ | (٥) الإبدال لأبي الطيب ٨٧/١ |
| (٦) المرجع السابق ١٥٦/١ | (٧) المرجع السابق ١٥٧/١ | (٨) المرجع السابق ٣١٠/١ |

(ب) عند المحدثين :

يوافق الدكتور صبحي الصالح القدماء في رأيهم ، فيقول : « فالمعول عليه في باب الإبدال . . . على المخرج لا على الصفة »^(١) ، لكن الدكتور إبراهيم أنيس يرى أن العلاقة الصوتية التي تحكم الإبدال هي قرب الصوتين المبدل والمبدل منه في الصفة أو في المخرج^(٢) ، ثم طبق مقياسه هذا على ما ورد في كتاب « الإبدال » لابن السكيت (ت سنة ٢٢٤ هـ) فوجد معظمه يتفق مع مقياسه هذا والقليل منه لا يتفق وهذا المقياس ، وحكم على هذا النوع الأخير أنه ليس من الإبدال وأن كلاً من الصورتين مستقلة عن الأخرى^(٣) .

وإذا كان الدكتور أنيس قد أجاز التبادل عند قرب الصوتين في الصفة فقط ، فإنه لم يضرب لنا مثلاً واحداً على لفظين تباعداً مخرجاً وتقارباً صفة وعدداً من الإبدال .

الابدال بين اللغتين :

وقد قرر بعض اللغويين العرب أنه لا يعد إبدالاً إذا حدث بين لغتين مثل قشط وكشط لأنهما لغتان لأقوام مختلفين^(٤) .

والواقع أن في هذه مبالغة إذ إننا يجب أن ننظر إلى العربية على اختلاف لغاتها ككل ، وإلاً لألغينا كل ما قيل : إنه إبدال ؛ لأنه وإن لم ينسبه اللغويون إلى قبائل معينة ، فهو ينتمي بالفعل ، فهم — كما سبق أن أوضحنا — أهملوا جانب النسبة . وإن مما أهمل ابن السكيت نسبته عزاه غيره إلى ناطقيه ، مثل تبادل الميم والنون في « أيم » و « أين »^(٥) ، والعين والغين في « لعل » و « لغن »^(٦) ، وغير ذلك مما سنعرض لنسبة إحدى صيغتيه إلى

(١) دراسات في فقه اللغة ٢٣٥

(٢) من أسرار اللغة ٧٥

(٣) راجع : من أسرار اللغة ٧٥-٨٣

(٤) المحكم (كشط) ٩٥/٦ وعنه نقل اللسان (كشط) ٢٦٢/٩ ، فقد ورد فيهما « قال : يعقوب : تميم وأسد يقولون قشطت بالقاف ، وقيس تقول : كشطت ، وليست القاف في هذا بدلا من الكاف ، لأنهما لغتان لأقوام مختلفين » والحقيقة أن التعقيب ليس لابن السكيت وإنما هو لابن سيده (قارن هذا النص وماورد بالإبدال لابن السكيت ١١٣ ، ١١٤)

(٥) الإبدال لابن السكيت ٧٧

(٦) المرجع السابق ١١١

تميم . ذلك إلى أن ابن السكيت نفسه ذكر ألفاظاً ونسبها إلى القبائل الناطقة بها ، من ذلك :
ذأى لأهل الحجاز ، وذوى لأهل نجد^(١) ، وقلب الياء جيماً عند بني حنظلة^(٢) .

أنواع الإبدال :

يقسم العلماء الإبدال إلى نوعين : صرفي ، ولغوي ، يقول أبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) :
« اللغويون يذهبون إلى أن جميع ما أمليناه إبدال ، وليس هو كذلك عند علماء أهل
النحو »^(٣) .

والصرفي^(٤) (أو الدحوى) هو الذى يقع فى حروف معينة مثل تاء افتعل إذا جاء بعدها
حرف إطباق فتقلب طاءً كاصتبر التى صارت اصطبر ، وهو قياسى تسرى قوانينه على كل
لغاتها ولا تتخلف .

لكن اللغوى لا ينتظم كل لغات العرب .

أما الأول فقد اختلف فى عدد حروفه ، فعدها ابن مالك (ت سنة ٦٧٢ هـ) تسعة
جمعتها فى قوله : « هدأت موطيا »^(٥) وعدها بعضهم اثني عشر ، جمعها أبو علي القالي فى
قوله : « طال يوم أنجدته » وأسقط بعضهم اللام وعدها أحد عشر ، وزاد بعضهم الصاد
والزاي وعدها أربعة عشر وذكر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ثلاثة عشر وجمعها فى
« استنجده يوم طال » . أما سيبويه (ت نحو ١٨٠ هـ) فهى عنده أحد عشر : ثمانية
من حروف الزيادة ما عدا اللام والسين وثلاثة من غيرها وهى الدال ، والطاء ، والجيم^(٥) .
وقد تناولت كتب الصرف هذا النوع بالتفصيل فلا حاجة بنا إلى التعرّيج عليه .

(١) المرجع السابق ١٣٨

(٢) المرجع السابق ٩٥

(٣) الأمل للقال ١٨٦/٢

(٤) الألفية : انظر شرح الأشموني ٢٨٠/٤

(٥) شرح الأشموني ٢٨٣/٤

أما الذى يهمنى هنا فهو النوع الثانى ، وليس معنى ذلك أن الأصوات التى تناولها الصرفيون لا تدخل فى نطاق الإبدال اللغوى ، وإنما الفرق هو أن وجودها هناك عام فى كل لغات العرب ، أما هنا فهى قاصرة على لغة أو لغات معينة ، وقد يكون استعمالها هنا على أنها شئ غير مستحسن كما سنرى .

وهذا النوع نستطيع أن نقسمه بدوره إلى قسمين :

(أ) مطرد : وهو ما يسير على نم محدد دون تخلف .

(ب) غير مطرد : وهو ما لا يسير على وتيرة واحدة ، فأحيانا تكثر أمثله وأحيانا تقل .

وسندرس الإبدال من زاويتين أولاهما حرة وآخراهما مقيدة أو تركيبية . ولن نقتصر فى دراستنا على الأصوات الساكنة ، وإنما سنتناوله أيضا فى أشباه أصوات اللين ، والحركات : قصيرها وطويلها ، مستهلين كل صنف بالمطرد منه ثم نشئ بغير المطرد .

أولاً : فى الأصوات الساكنة

١ - الإبدال الحر

الإبدال الحر هو تحول الصوت اللغوى فى الكلمة إلى آخر دون تأثره بصوت غيره فى الكلمة نفسها ، كما هو الشأن فى الإبدال التركيبى (المقيد)^(١) .

والإبدال الحر عند تميم قد يكون للصوت فى كل سياقاته عندهم مثل نطقهم القاف كافاً ، وقد يكون فى سياق معين وهذا ما نلاحظه فى نطق بعضهم - وهم بنو سعد - الجيم المشددة فى آخر الكلمة حالة الوقف ياء . وهذان الصنفان يدخلان تحت ما نسميه المطرد . وقد يكون الصوت المتغير فى كلمة أو بضع كلمات غير مشروط بموقع معين من الكلمة . وهذا النوع يدخل تحت الصنف غير المطرد .

وفى ما يلى بيان ما وجدناه معزواً إلى تميم من هذا القسم الحر مبتدئين بما حدث فيه الإبدال عند تميم ومثنيين بما كان الأصل فيه عند تميم ثم تطور فأصابه الإبدال عند غيرهم . ثم نعرض بعد ذلك المجهول الأصل ، وهو الذى يصعب بيان أى الصيغتين هى الأصلية أو المتطورة .

أولاً - عند تميم

(١) المطرد :

١ ، ٢ - الكشكشة والكسكسة :

من الظواهر التى تنسب إلى تميم وتعد مذمومة ظاهرنا الكسكسة والكشكشة ونلاحظ أن سيبويه رغم أنه تناولهما لم يذكر لقبيهما^(٢) . ويجمل أن نعرض كذلك إلى ظاهرة ثالثة ذات صلة بهما وهى « الشنشنة » ، وفى ما يلى تعريف بالظواهر الثلاث .

١ - الشنشنة :

ويعرفها الفراء (ت ٢٠٧ هـ) بأنها : فى لغة اليمن تجعل الكاف شينا مطلقاً . كَلْبَيْشَ اللّهم لَبَيْشَ ، أى لَبَيْكَ اللّهم لَبَيْكَ^(٣) . وإذا كان هذا التعريف لم يحدد نوع الكاف ، بل نص على إطلاقها - وإن كان قد اقتصر فى التمثيل على كاف المخاطب المذكور - فإننا نجد شارح الاقتراح « يوضح كلمة « مطلقاً » ، فيقول : « (مطلقاً) أى سواء كانت

(١) انظر : التطور اللغوى : مظاهره وعمله وقوانينه ١٧ ويطلق عليه « الإبدال التاريخى » .

(٢) المظهر ٢٢٢/١ ، والاقتراح ٩٩

(٣) انظر : الكتاب ١٩٩/٤ ، ٢٠٠

للمذكر أو مؤنث «^(١) . وكلام المسعودي عن أهل الشَّحَرِ يؤيد ذلك ، فهو يذكر أن لغتهم بخلاف لغة العرب ؛ لأنهم يجعلون الشين بدلا من الكاف ، وضرب لذلك مثالين هما : « هل لئن فيما قلت لَشَ » . و « أن تجعلى الذى معى فى الذى معش » بدلا من : « هل لك فيما قلت لك » و « أن تجعلى الذى معى فى الذى معك »^(٢) . ونسب القلقشندي هذه الظاهرة إلى حمير^(٣) ، كما نسبت إلى تغلب^(٤) .

٢ - الكسكة :

وكان للعرب فى استعمالها عدة مناهج :

(أ) قلب كاف الخطاب المؤنث سينا ، مثل أبوس وأمس ، يريدون « أبوك وأملك . ونسبت هذه الطريقة إلى بعض بكر ، نسبها إليهم المبرد^(٥) (ت ٢٨٥ هـ) والثعالبي^(٦) (ت ٤٢٩ هـ) .

(ب) زيادة سين بعد كاف المؤنث فى الوقف مثل أعطيتكِش وأكرمكِش^(٧) ، ونسب هذه الطريقة إلى بكر ابن فارس^(٨) ، والزمخشري^(٩) (ت ٥٢٨ هـ) ، وإلى بعض البكريين المبرد^(١٠) . ونسبها الفيروزبادي (ت ٨١٧ هـ) إلى تميم^(١١) ونسبها الأصمعى إلى هوازن^(١٢) .

(ج) حدها الفراء بأنها إلحاق السين بكاف المخاطب المذكر أو قلب الكاف سينا وعزاها إلى ربيعة ومضر^(١٣) .

(١) لهجات العرب ١٢٣ (من نشر الانشراح ٤٤٣) .

(٢) مروج الذهب ٩٢/١

(٣) صبح الأعشى ١٦٠/١

(٤) العقد الفريد ٢٧٥/٢ ، ٣٢٠/٣

(٥) الكامل للمبرد ٣٧١/١

(٦) فقه اللغة للثعالبي ١٠٧ وعبارته « الكسكة تعرض فى لغة بكر » .

(٧) الكتاب ١٩٩/٤

(٨) الصحاح ٢٤

(٩) الأساس (كسر) ٨٢٢

(١٠) الكامل ٣٧١/١

(١١) القاموس (كسر) ٢٤٦/٢

(١٢) سر صناعة الإعراب ٢٣٥/١

(١٣) الاقتراح ٩٩ ، والمزهر ٢٢١/١

٣ - الكشكشة :

وهي مثل الكسكسة رويت لها عدة أشكال :

(أ) قلب كاف المخاطب المؤنث شينا في حالة الوقف . فيقولون للمرأة : جعل الله البركة في دارش . ويحك مالش . ونسبها سيبويه إلى « ناس كثير من تميم وناس من أسد^(١) وعزاها الزمخشري إلى تميم^(٢) وحدد المبرد التميميين بأنهم بنو عمرو بن تميم^(٣) ، ونسبها ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) إلى ربيعة^(٤) .
لكننا وجدنا سيبويه يمثل بما يفيد قلب الكاف في الوصل (إنش ذاهبة ، وما لش ذاهبة ، يريد إنك ، ومالك)^(٥) .

(ب) إلحاق شين بكاف المخاطب المؤنث في الوقف مثل أعطيتكش وأكرمكش^(٦) ونسب ذلك إلى تميم^(٧) ، كما عزي إلى ربيعة^(٨) .

(ج) إجراء الوصل مجرى الوقف : ذكر صاحب المحكم هذا الرأي عقب ذكره زيادة الشين بعد الكاف في الوقف وسياق كلامه يوحى بأنه خاص بالحالتين السابقتين (قلب الكاف شينا ، وإلحاق الشين بالكاف) لكن الشواهد التي استشهد بها هو وغيره اختصت بحالة قلب الكاف شينا فقط ، فقد استشهد بببيت المجنون :

فَعَيْنَاش عَيْنَاهَا وَجِيدُش جِيدَهَا وَلَكِنْ عَظَمَ السَّاقِ مِنْشٍ دَقِيقُ^(٩)

واستشهدوا بنداء أعرابية لجارية : « تعالى إلى مولايش يناديش » أي مولاك يناديك^(١٠) ، وبقراءة بعضهم (قد جعل ربش تحتش سريا)^(١١) ، وقوله : (إن الله اصطفاش وطهرش)^(١٢) .

- | | |
|--|---------------------------------|
| (١) الكتاب ٤ / ١٩٩ | (٢) أساس البلاغة (كس) ٨٢٢ |
| (٣) الكامل ١ / ٣٧١ | (٤) المحكم ٦ / ٣٩٧ |
| (٥) الكتاب ٤ / ١٩٩ | (٦) المرجع السابق ٤ / ١٩٩ ، ٢٠٠ |
| (٧) لسان العرب (كشكش) ٨ / ٢٣٤ | (٨) سر صناعة الإعراب ١ / ٢٣٥ |
| (٩) المحكم ٦ / ٣٩٨ | (١٠) القاموس (كشكش) ٢ / ٢٨٦ |
| (١١) مريم ٢٤ / ١٩ ، وانظر القراءة في : فقه اللغة للثعالبي ١٠٧ | |
| (١٢) آل عمران ٣ / ٤٢ ، وانظر القراءة في : ألف باء ٢ / ٤٣١ ، عن الخطابي . | |

ونجد الفراء بعد أن ينسبها إلى ربيعة ومضر يقسم الناطقين بها إلى فريقين : فريق يستبدل بالكاف شينا ، وآخر يلحق بها شينا ، نراه يقسم كل فريق إلى طائفتين أيضاً ، فمنهم من يتكلم بها في حالة الوقف فقط ، ومنهم من يتكلم بها في حالة الوصل ، وأن الفريق الأول منهما : وهو الذى يقلب الكاف شينا ، يكسر الشين في حالة الوصل ويسكنها في الوقف^(١) .

نخلص لهما تقدم أن أصحاب الكشكشة كانوا فريقين :

(أ) فريق قلب كاف المؤنثة شينا ، وهو بدوره انقسم إلى فئتين : فئة التزمت بذلك في حالة الوقف دون الوصل ، والأخرى لم تفرق بين وصل ووقف .

(ب) فريق زادوا شينا بعد الكاف المؤنثة ، وهذا الفريق انقسم أيضاً بدوره إلى طائفتين بالنسبة للوقف والوصل .

بين الظواهر الثلاث :

أمامنا ثلاث ظواهر هي الشنشنة والكسكسة والكشكشة ، أما الأولى فقد نسبها بعض اللغويين إلى اليمن ، وبعض آخر حدد من اليمنيين حمير ، والاختلاف في نسبتها غير جوهري بالنسبة لنا ؛ لأنها لم تنسب إلى قيم موضوع بحثنا .

وأما الظاهرتان الثانية والثالثة فتتحدان في القبائل التي نطقت بها ، وهى : مضر ، وربيعه ، وبكر ، وهوازن ، وتميم . وانفردت الكشكشة بنسبتها إلى أسد بالإضافة إلى تلك القبائل .

أما ربيعة ومضر ، فهما شعبان كبيران نسبت إليهما القبائل الأخرى التي نسبت إليها هذه الظاهرة بالإضافة إلى غيرها من قبائل عدنانية ، أو بمعنى آخر كل القبائل التي كانت تقطن شبه الجزيرة العربية عدا اليمنية التي نسبت إليها الشنشنة ، ونلاحظ أن اللغوى الذى نسبها إليهما واحد وهو الفراء . وأوضح أن نسبته غير دقيقة ؛ لأن الحجازيين وهم عدنانيون لم ينطقوا بهما . ونرجح أن الظاهرتين الأخيرتين شاعتا بين القبائل الأربعة :

بكر وهوازن وأسد وتميم ، وهى التى كانت تقيم وسط الجزيرة وشرقها ويجمعها التجاور .
وليس معنى ذلك أن القبيلة الواحدة كان أفرادها جميعاً ينطقون الظاهرتين معا أو كانوا
ينطقون الظاهرة الواحدة بكل صورها ، فالقبيلة الواحدة كانت تنتسب إلى بطون وأفخاذ
وقد تكون موزعة جغرافياً يفصل بينها الآلاف من الكيلو مترات .

ويتضح مما عرضنا أن تيميا كان ينطق معظمها بالكشكشة وبعضها بالكسكسة ومصدرنا
فى نطقهم الكشكشة بصورها المختلفة المصدر الأول من اللغويين وسيبويه الذى نص على
نسبتها إلى « ناس كثير من تميم » . وحدد المبرد الناطقين بأنهم بنو عمرو بن تميم . وإذا
كان قد نسب إلى التميميين نطقهم إياها بصورها المختلفة ، فإن هذا يعنى توزع هذه الصور
فى بطون تيممية لا يجمعها موطن واحد .

أما نسبة الكسكسة إلى تميم فلم نجد لها إلا عند الفيروزابادى بصورة واحدة وهى إضافة
السين إلى الكاف . وليس هناك ما يمنع من نطقهم بها ، ونرجح أن المتكلمين بها منهم
كانوا فى منطقة بعيدة عن متكلمى الكشكشة تأثروا بغيرهم من الناطقين بالكسكسة .

ولعل مما يعضد نسبة الظاهرتين إلى تميم أنهما مازالا يتكلم بهما فى مناطق يسكنها تميميون ،
فمنطقة الخليج مازالت تنطق بالكشكشة بالصور التى نطقت بها تميم ، وجهات القصيم كبرىدة
وعنيزة وزميقة تنطق الكاف بإحدى الصور التى كان ينطق بها التميميون الكسكسة وفيما يلى
توضيح ذلك .

الكشكشة والكسكسة فى ضوء نطقهما الآن :

أما عن كيفية نطق هاتين الظاهرتين ، فقد قلنا إنه كان لكل منهما نطقان : قلب
الكاف شينا فى الظاهرة الأولى - كنطق الشنشنة - ، والآخر الاحتفاظ بالكاف مع الشين .
والنطقان يستعملان أحياناً فى الوقف وأحياناً فى الوقف والوصل ، وكذلك الشأن بالنسبة
للكسكسة . وهى بالنسبة للكشكشة خاصة بكاف المؤنث فقط . ولا نحب أن نقول إن
اللغويين لم يصيبوا فى وصف الظاهرتين ، وإن النطق كان واحداً لكل ظاهرة ، وإن الكشكشة

كانت تنطق مثلاً « تش » ch فقط^(١) ؛ لأننا نجد اليوم في منطقة الخليج - وقد كانت من قبل ولا تزال موطناً لبعض التميميين - صور الكشكشة التي ذكرها القدماء لا تزال حية . ومن خلال جولات قام بها الدكتور عبد العزيز مطر في أثناء عمله بتلك المنطقة ، لاحظ ما يلي :

١ - لهجات الخليج بصفة عامة تنطق الكاف تش (ch) في حالتين :

(١) إذا جاورت صوت اللين الأمامي (الكسرة وياء المد والفتحة المرققة وألف المد المرققة) سواء سبقها أو لحقها ، وذلك مثل كاذب ويبكى^(٢) . ولاحظ الدكتور مطر أن أحد هذه الأصوات المجاورة إذا كان قد تغير عن نطقه في الفصحى فالكشكشة تراعى الأصل ، فمثلاً يبارك تنطق بالكشكشة بسبب الكسرة ، أما دكان فالكاف عادية لأن كسرة الدال مضمومة الأصل^(٣) .

(ب) في خطاب المؤنثة ، مثل : أبوك .

وما عدا هاتين الحالتين تنطق الكاف المعهودة مثل مركب^(٤) .

٢ - في لهجة « المحرق » ومناطق أخرى تشاركها تنطق الكاف تش (ch) في كاف المؤنث فقط . وما عدا ذلك مثل شلونك وكيف ، فكاف عادية^(٥) .

٣ - في جزيرة ستره وغيرها من القرى مثل توبلى والكورة و « جد حفص » تنطق الكاف كما يلي :

(١) تحول إلى شين خالصة إذا كانت كاف المؤنث مثل : عُمرش^(٦) ، وتشيع هذه الخاصية أيضاً في القطيف والأحساء من المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية^(٧)

(١) انظر : في اللهجات العربية ١٢٥

(٢) ظواهر نادرة في لهجات الخليج العربي ٧٩ ، وانظر بشأن هذه الحالة : لهجات شرق الجزيرة العربية ٨٥ ، ٩٩ ، ١٠٠

١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣

(٣) خصائص اللهجة الكويتية ٣٩ وما بعدها . (٤) ظواهر نادرة ٧٩ ، ٨٠

(٥) المرجع السابق ٨٠ ، ودراسة صوتية في لهجة البحرين ٥٥ (٦) ظواهر نادرة ٨١ ، ولهجة البحرين ٥٧

(٧) ظواهر نادرة ٨١ ، ولهجة البحرين ٦٠ ، ٦١

(ب) تنطق تش (ch) في خطاب المذكور مثل كيف حالتش بدلا من كيف حالك ،
ونلقاتشم بخير في نلقاتكم بخير^(١) .

هذا ما يتصل بالكشكشة .

أما الكسكسة فلا تزال أيضا لها بقايا في وسط الجزيرة وتنطق « تش » ونلاحظ ذلك
على سبيل المثال لدى سكان بريدة وعنيزة بالقصيم وزميقة وشقراء حيث يسكن تميميون .
لكن الظاهرة لم تعد مقصورة على كاف المخاطب أو المخاطبة فيقولون : تسيف حالك
في : كيف حالك .

التفسير الصوتي :

إذا لاحظنا مخارج الأصوات الخمسة (ك ، ش ، س ، تش ، تس) نجد الكاف
من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى^(٢) أي طبقى^(٣) ، والشين مما بين وسط
اللسان ووسط الحنك^(٤) ، أي غارى^(٥) ، والسين مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا^(٦) ،
أي أسناني لثوى^(٧) ، أما الصوتان « تش » و « تس » فكل منهما مركب من صوتين يبدأ
بالتاء ومخرجه مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا^(٨) أي أسناني لثوى^(٩) وينتهى مع الصوت
الأول بمخرج الشين وذلك بالامتداد إلى وراء أي الغار (وسط الحنك) ومع الصوت الثاني
بأن يمتد إلى الأمام قليلا .

وقلب الكاف إلى أي من الأصوات الخمسة ، سواء أكان ذلك مع المذكور أم مع المؤنث
يتفق وقانون الأصوات الحنكية (palatal law) الذي لاحظته بادوان دى كورتناى

(١) ظواهر نادرة ٨٥

(٢) الكتاب ٤/٣٣

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٧١

(٤) الكتاب ٤/٣٣

(٥) المدخل إلى علم اللغة ٦٧

(٦) الكتاب ٤ / ٣٣

(٧) المدخل إلى علم اللغة ٤٥

(٨) الكتاب ٤/٣٣

(٩) المدخل إلى علم اللغة ٤٥

Baudouin de courtenay . سنة ١٨٩٣ . وهو أن الأصوات تتقدم من أقصى الحنك (طبق) إلى الشفتين كالكاف مثلاً تصبح سينا (مثلاً) ^(١) .

وإذا كان يسبرسن Jespersen يرى أن ذلك مقيد بأن يقتصر هذا الصوت صوت اللين الأمامي وهو الكسرة القصيرة أو الطويلة ^(٢) ، فإننا نستطيع أن نقرر أنه تم أولاً مع المؤنث فقط ثم شمل بعد ذلك المذكور ، وذلك مع الكسكة أو الشنشنة .

ويمكن أن تكون الشنشنة وبعض صور الكشكشة والكسكة تمت على مرحلتين : الأولى : من الكاف إلى الصورتين المزدوجتين تش ، وتس .

الثانية : تطور الصوتان عند بعض الناطقين بالظاهرتين إلى « ش » و « س » ^(٣) فحدثت بذلك الشنشنة وبعض صور الكشكشة والكسكة . وتحلل الأصوات المزدوجة من سنن التطور اللغوي . وشبيه بذلك تطور الجيم العربية التي ينطق بها في الفصحى الآن والتي تبدأ بدال مخرجها أصول الثنايا (أي مقدم الحنك) يعقبها شين مجهورة مخرجها وسط الحنك (أي الغار) فتطورت إلى دال ينطقها بعض أهل الصعيد وشين مجهورة وهي الجيم الشامية ^(٤) .

ذلك إلى مرحلة ثالثة وهي عدم اقتصارها على كاف المؤنثة إذ شملت كاف المذكور أيضاً بالنسبة لناطقى الشنشنة والكسكة فقط .

صفة الأصوات المزدوجة :

وفي هذه الظواهر الثلاث لا ينحبس الهواء انحباساً تاماً عند مخرجه كما كان شأنه مع الكاف الشديدة ، بل يسمح للهواء بالمرور وإن كانت منطقة مجرى الهواء مع الشين أوسع منها مع السين ^(٥) . أما مع « تش » و « تس » فيحتفظ كل من الصوتين بالشدة

(١) Jespersen Language .p. 327 وانظر شرح هذا القانون في : الأصوات اللغوية ٧٩ ، وفي اللهجات العربية ١٢٣ ، والتطور اللغوي : مظاهره وعمله وقوانينه ٩٢

(٢) Ibid.

(٣) انظر : فصول في فقه العربية ١٤٩

(٤) المرجع السابق ١٤٨

(٥) انظر : الأصوات اللغوية ٧٧

التي هي صفة للكاف ؛ لأن كلا منهما يتركب من عنصرين أحدهما التاء الشديدة ^(١) .
والملاحظ أن الكاف تتفق والأصوات المبدلة إليها (ش - تش - س - تس) في الهمس ^(٢) .

٢ ، ٤ - بين الجيم والياء :

ظاهرتان متضادتان وجدناهما لدى التميميين ، هما : قلب الجيم ياء ، وقلب الياء جيم . ومن البديهي أنه لم يكن كل تيمى ينطق الظاهرتين ، فلا بد أن تكون كل ظاهرة لدى فرع أو فروع لا تنطق الأخرى .

العلاقة بين الجيم والياء :

ولنبداً ببيان العلاقة التي تربط الصوتين حتى إن أحدهما ينقلب إلى الآخر . إنهما يخرجان من حيز واحد ، وهو ما بين وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى ^(٣) ، وهما أيضاً مجهوران ^(٤) . لكن اختلافهما يرجع إلى أن الجيم - كما يقول القدماء - صوت شديد ، أو هو كما يقول المحدثون صوت مزدوج يجمع بين الشدة والرخاوة . يبدأ نطقه بارتفاع مقدم اللسان إلى وسط الحنك الأعلى فيلتصق به ولكنه لا يزول فجأة شأن الأصوات الشديدة وإنما يتم انفصال العضوين ببطء فيحتك الهواء الخارج من الرئتين بهما (أى بالعضوين) كما هو الشأن في الأصوات الرخوة ^(٥) . أما الياء فهو صوت بين الشديد والرخو ^(٦) ، يمر الهواء عند تكونه فيحدث نوعاً من الحفيف أقل من الاحتكاك الذي يحدث مع الأصوات الرخوة ^(٧) أى يتقارب وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى .

(١) الكتاب ٤/٤٣٤

(٢) انظر المرجع السابق ٤/٤٣٤ ، وانظر بشأن (تش ch)

Jones, An outline of English Phonetics p. 148.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣ وانظر : الأصوات اللغوية ١٢٩ والأصوات اللغوية ١٤٦ ، ١٤٧

(٤) الكتاب ٤/٤٣٤

(٥) المدخل إلى علم اللغة ٦٨

(٦) سر صناعة الإعراب ١/٦٩

(٧) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٩٣ ، ٩٤

ولننظر إلى موقف تميم من كل من الظاهرتين :

أولاً - قلب الجيم ياء :

يذكر أبو زيد (ت نحو ٢١٤ هـ) أن الكلابيين يقولون : الصهاريج والواحد صهريج ،
وبنى تميم يقولون : صهارى والواحد صهرى^(١) ، وقال أبو علي القالى (ت ٣٥٦ هـ) :
« ويمكن أن يكون جار لغة في يار » ، كما قالوا الصهاريج والصارى ، وصهريج وصهرى
لغة تميم ، وكما قالوا : شيرة لشجرة وحقروه فقالوا شيرة^(٢) .

ولقد شاعت هذه اللغة التميمية فوجدنا الأصمعى ينشد :

* تَحْسَبُهُ بَيْنَ الْأَنَامِ شِيرَةً^(٣) *

ووجدنا من يقرأ بها في كتاب الله ، فقد حكى أبو زيد (هذه الشيرة^(٤)) ، وإن كان
أبو عمرو قد كره القراءة بها ونسبها إلى برابر مكة وسودانها^(٥) .

وما زالت هذه اللغة حتى وقتنا الحاضر يتكلم بها بعض البدو^(٦) ، ونجدها لدى سكان
زميقة الذين يقولون مثلاً حى ويماعة أى حج وجماعة . كما نجدها شرق الجزيرة العربية
في الكويت والبحرين وقطر وأبى ظبي والبريمي ودبي ، ومن أمثلتها : حير (حجر) ، ويه
(وجه) ، يديد (جديد) ، ريال وريال (رجل) ، عيوز (عجوز)^(٧) . والمتصفح
لمعجم الألفاظ الكويتية للشيخ جلال الحنفي يجده يشتمل على عدة ألفاظ تتسم بهذه الظاهرة
منها : الين (الجن)^(٨) ، والمسيد (المسجد)^(٩) ، والدياية (الدجاجة) وجمعها ديبائى^(١٠) ،

(١) الإبدال لأبى الطيب ٢٦١

(٢) الأمالى للقالى ٢/٢١٤ ، والنص في المخصص ٤/٣٤٦ ، وفيه « يار لنة في جار » والمعنى لا يستقيم . وتعقيب القالى
على قولهم « حار يار » وهو اتباع ، ويراد باليار الرغيف أخرج من الثنور ، وكذلك كل شيء حميت عليه الشمس (اللسان -
يرر ٨/١٥٧ ، ١٥٨) واللفظ مأخوذ من اليرة بمعنى النار (انظر المرجع السابق ١٥٧)

(٣) البحر المحيط ١/١٥٨

(٤) مختصر في شواذ القرآن ٤ ، والآية في البقرة ٢/٣٥

(٥) البحر المحيط ١/١٥٨

(٦) انظر : الشعر عند البدو ١٢٤

(٧) دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربية ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٦ ، وانظر : خصائص اللهجة الكويتية

١٧ وما بعدها .

(٩) المرجع السابق ٣٤٦

(٨) معجم الألفاظ الكويتية ٧٧

(١٠) المرجع السابق ١٣٩

وَمَيَّنُون (مجنون)^(١) والياعد (وينطق أيضاً جاعد) وهو فراش يتخذ من جلد الضأن^(٢) بصوفه^(٣).

ويذكر الدكتور مطر أن هذه الظاهرة شائعة في البحرين بمنطقة المحرق وقسم كبير من المنامة ، والجدة ، والحالة ، وقلالي ، والجسرة ، والزلاق ، والبديع ، والرقاع الغربي والرقاع الشرقي ، وذكر طائفة من الكلمات كأمثلة لها وأن الجيم فيها غير مرتبطة بموقع صوتي معين^(٤).

وإذا كانت هذه البلاد تشيع فيها هذه الظاهرة بحيث تعد من خصائص لهجاتهم فما ذلك إلا لأن من سكان هذه البلاد من ينتمون إلى تميم ، ووجدنا إلى جانب ذلك تسرب هذه الظاهرة إلى مناطق أخرى في كلمات مفردة ، من ذلك أن أهل بغداد في القرن السادس الهجري كانوا ينطقون كلمة « مسجد » بالياء (مسيد)^(٥). وقد لاحظت هذا النطق لدى سكان « المخواة » وهم ينتمون إلى زهران^(٦). ويوجد في مدينة أسيوط مسجد يسمى « جامع المجذوب » يطلق عليه العامة « جامع الميذوب » وهذه لاشك من بقايا هذه اللغة لكنها دخيلة عند هؤلاء الأقوام لخلو لغاتهم من هذه الظاهرة .

رأى ابن جنى في شيرة :

ولا نحب أن نختم الحديث عن هذه الظاهرة دون أن نعرض لرأى ابن جنى في كلمة شيرة ، فهو يرى أن الياء فيها أصل وليست مبدلة من الجيم ، وحجته في ذلك :

١ - ثبات الياء في التصغير (شيرة) ولو كانت بدلا من الجيم لردوها إليها ليدلوا على الأصل .

٢ - أن شين شجرة مفتوحة وشين شيرة مكسورة والبدل لا تغير فيه الحركات^(٦).

(١) المرجع السابق ٦

(٢) المرجع السابق ٧١

(٣) دراسة صوتية في لهجة البحرين ٢٧-٣١

(٤) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ١٨٧ ، ١٨٨

(٥) انظر : في سرة غامد وزهران ٢٥٦ ، ٢٥٨

(٦) اللسان (شجر) ٦٢/٦ ، والتاج (شجر) ٢٩١/٣

منافشة رأى ابن جنى :

١ — أما بالنسبة للحجة الأولى فإن الإبدال هنا ظاهرة في كل جيم ، ودليل ذلك شيوعها الآن في مناطق كثيرة من الجزيرة العربية ، ففيه إذن ليست خاصة بكلمة أو كلمتين فيكون الإبدال للكلمة في حالة معينة من حالاتها كالأفراد مثلا .

٢ — وأما الحجة الأخرى فليس هناك ما يمنع من وجود ظاهرتين في كلمة واحدة والأمثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها :

أن بعض أهل الصعيد الذين يقلبون الجيم دالا وفي الوقت ذاته يحركون الحرف الحلقى الساكن بفتحة إذا سبقه حرف مفتوح كما كان شأن بنى عَظِيل^(١) . يجمعون : بين الظاهرتين فيقولون مثلا مَعْدُون (أى معجون) .

وبعد :

فإن هذه الظاهرة رغم شيوعها في تميم فإنه لم يلتزم بها جميع التميميين ، بدليل أننا وجدنا بعضهم يعكس الأمر فيقلب الياء جيما . وهذا ما سننتقل إلى الحديث عنه .

ثانياً — قلب الياء جيما :

لم تنسب هذه الظاهرة إلى تميم بصفة عامة ، بل نسبت إلى بعض بطونهم ، فرأيناها تعزى إلى :

١ — بعض بنى سعد وقد نسبها إليهم سيبويه ، وقيدتها بحالة الوقف . قال سيبويه : «وأما ناس من بنى سعد ، فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف ، لأنها خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف ، وذلك قولهم : هذا تَمِجٌ ، يريدون : تَمِيمٌ ، وهذا عَلِجٌ ، يريدون : عَلِيٌّ ، وسمعت بعضهم يقول عَرَبَانِجٌ يريد عربانِيٌّ ، وحدثني من سمعهم يقولون :

* خَالِي عَوَيْفٌ وَأَبُو عَلِجٌ *

* الْمُطْعَمَانِ الشَّحْمَ بِالْعَشِجِ *

* وَبِالْغَدَاةِ فَلَقَ الْبَرَنْجِ *

يريد بالعشيّ والبرنيّ ، فزعم أنهم أنشدوا هكذا ^(١) .

وقد وضع البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) موقف بني سعد بقواه : « بعض بني سعد يبدلون الياء شديدة كانت أو خفيفة جيا في الوقف » ^(٢) .

وإذا كانت السعود كثيرة في بلاد العرب ، فنرجح أن المراد هنا سعد التميمية لأن هذه الظاهرة وردت في شعر أحد شعرائهم ، وهو هميان بن قحافة السعدي ^(٣) وسنذكر البيت الذي وردت فيه بعد قليل .

٢ - فقيم حنظلة ، وقد عزاها إليهم أبو عمرو بن العلاء ، قال : « قلت لرجل من بني حنظلة : ممن أنت ؟ فقال : فقيمج . قال : قلت : من أيهم ؟ قال : مُرَج ، يريد : فقيمي ومري ، وأنشد لهميان السعدي :

* يُطيرُ عنها الوبرَ الصُّهابِجا *

يريد : الصُّهابي من الصُّهبة ^(٤) .

ويفهم من هذا أن المقصود قلب الياء الأخيرة المشددة ، بدليل أن الياء التي وقعت في وسط الكلمة « فقيمج » لم تقلب هي الأخرى جيا .

ونلاحظ أن هذه الظاهرة نسبت في الوقت ذاته إلى غير التميميين :

١ - نسبها الفراء إلى بني ذبير من بني أسد ، وذكر أنها تكون عندهم الياء الخفيفة ^(٥) .

٢ - نسبها الفراء كذلك إلى طيء وهي عندهم في الياء المشددة ^(٦) .

(١) الكتاب ١٨٢/٤ فلق : جمع (فلقة بسكون اللام : الشق - البرني : ضرب من التمر ، وهو أجوده) .

(٢) شرح البغدادي على شواهد الشافية ٢٣٩

(٣) ودوشاعرأوى من بني عوافة بن سعد بن زيد مناة ، وقيل : من بني عامر بن الحارث (مقاص) بن عمرو ابن كعب بن سعد (معجم الشعراء للمرزباني ١٩٧) .

(٤) سر صناعة الإعراب ١٩٢/١ ، ١٩٣ ، وأمالى القالي ٧٩/٢

(٥) الإبدال لأبي الطيب ٢٦٠/١

(٦) المرجع السابق ٢٥٧/١ ، ٢٥٨

٣ - ويبدو أنها كانت أيضاً عند هذيل ، فقد روى عن ابن مسعود - وهو هذلي - « على كل غنَّيجٍ » : يريد غنى^(١) ، كما روى عنه أيضاً أنه قال « فلما وضعت رجلى على مذمَّر أبي جهل قال : اعل عُنَّج « أي : اعل عنى^(٢) .

٤ - قضاة : وهى عندهم فى الياء الواقعة بعد « عين » وقد اشتهرت قضاة بهذه الظاهرة ، وأطلق عليها « عَجْجَة قضاة »^(٣) على أن بعض العلماء كالسيوطى لم يقيدها باقتران الياء بالعين^(٤) لكن اسمها (العججة) يوحى بالتقييد مثل بقية الظواهر التى عرضنا بعضها كالعننة والكشكشة .

وبعد : فالملاحظ أن قبائل عربية يجمعها تجاور فى المسكن قابت الياء جيا ، ونلاحظ أنها قاصرة على الياء الأخيرة ، وأنها شاعت بصفة خاصة لدى قضاة . إلا أنها قيدت عندها بوقوع العين قبلها فلقبت بالعججة . ومن المحتمل أنها انتقلت منها إلى بعض تميم لكن دون تقييد بحرف العين ، وهم فُقَيْم دارم الحنظلية وبعض بنى سعد (وهى عندهم فى حالة الوقف فقط) . وساعد على هذا الانتقال أن بعض قضاة كانوا يسكنون اليمامة مجاورين لتميم .

تعليل وجود الظاهرة :

وقد يكون سبب تسرب هذه الظاهرة عند تميم أن التميمى - كما قلنا - كان يميل إلى قلب الجيم ياءً . وما دامت هذه إحدى خصوصياته ، فكان ينظر إليها على أنها عيب من العيوب ، فكان يحاول التخلص منها بأن ينطق الجيم صريحة كما هو شأنها لدى عامة العرب ، وكما هى فى الفصحى فأخطأ فى هذه الياء إذ لم يستطع دائما أن يفرق بين الأصلية والمقلوبة ، فكان يقلب الأصلية ياء ظنا منه أنها مقلوبة عن الياء ثم تكرر هذا الخطأ وأصبح قاعدة عند بعضهم .

(١) اللسان (شجر) ٦/٦١ ، والتاج (شجر) ٣/٢٩١

(٢) اللسان (عج) ٣/١٥٥

(٣) الصحاح (عجج) ١/٣٢٨ ، واللسان (عجج) ٣/١٤٤

(٤) الاقتراح ٩٩

ونلاحظ مثل هذه الظاهرة لدى بعض سكان الصعيد الذين ينطقون الجيم دالا فنجد بعضهم يحاول التخلص من هذا العيب فلا يفرق أحيانا بين الدال الأصلية والدال المقلوبة فيقلب الدال الأصلية جيمًا أو جيمًا قاهرية أحيانا إذا كان يتحدث مع قاهري.^(١)

وشبيه بذلك أيضًا كلمة طوارئ، فقد رأيتها مكتوبة على جدار إحدى العربات بأسوان « طوارق ». لقد سمعها الأسوانى فظن أن الهمزة هنا ليست أصلية وإنما هي مقلوبة عن القاف، وأن هذا النطق هو نطق سكان القاهرة. ومثلها أيضًا قول بعض أهل الصعيد: « بيتهَيَّك لى » بدلا من أن يقول: « بيتهَيَّا لى ». وهذه الظاهرة وما ذكرناه من أمثلة أخرى مماثلة لها تندرج تحت ما يسمى بـ « الحذقة » أو المبالغة في التفصح.^(٢)

بين صيفتى أزييم (التميمية) وأزجم :

يذكر شمر أنه سمع « بغير أزجم - بالزاي والجيم - قال : وليس بين الأزييم والأزجم إلا تحويل الياء جيمًا وهي في تميم معروفة »^(٣). وهو البعير الذى لا يرغو^(٤).

وكلام شمر يفهم منه أن تميمًا كانت تنطق الصيغة الجيمية (أزجم) وهذا يتناقض وما عرف عنهم من قلبهم الجيم ياء . ولا زالت هذه الظاهرة عند المحدثين منهم . اللهم إلا أن يكون ذلك عند من نسبت إليهم الظاهرة المضادة وهم بنو سعد وبنو فقيم . ولكن ذلك مشروط عندهم بحالة الوقف . أما الياء في هذه الكلمة فغير مشددة وفي وسط الكلمة . ومما يدل على تناقض شمر أننا إذا رجعنا إلى المادتين (زجم) و (زيم) نجد الأولى تدل على صوت ضعيف ومنه : ما تكلم بزجمة أى بنبسة^(٥) . أما (زيم) فتدل على التجمع ومنه : لحم زيم ، أى مكثنز^(٦) .

ويتبين من هذا أن الصيغة الجيمية هي الأصل في قولهم : « بغير أزجم » وأن الجيم تحولت إلى الياء . وهذا يتفق ونهج تميم لا العكس كما يقول شمر . وحينئذ يمكن أن نعد « أزييم » عند تميم من الإبدال الحر المطرد .

(١) انظر التعريف بهذا المصطلح وأمثلة له في : التطور اللغوى مظاهره وعمله وقوانينه ٧٩

(٢) اللسان (زيم) ١٧١/١٥ ، ١٧٢ (٣) المرجع السابق ١٧١

(٤) مقاييس اللغة (زجم) ٤٨/٣ (٥) المرجع السابق (زيم) ٤١/٣

(ب) غير المطرد :

١ - قلب الهمزة عينا :

(أ) العننة :

نسب إلى تميم قلب الهمزة عينا ، وأطلق على هذا النوع من الإبدال « العننة » .
وأول ما يتبادر إلى الذهن هو : هل المراد بالعننة نطق كل همزة عينا ، أو أن ذلك
خاص بهمزة معينة ؟ وهل هي خاصة بتميم وحدها ، أو أن هناك قبائل أخرى شاركتها فيها ؟
ولنبداً بالإجابة عن السؤال الأول :

تعريف العننة :

لم يتفق اللغويون على إمدادنا بتعريف العننة . وقد وجدنا لهم عدة آراء نجملها
فيما يلي :

الأول - ويحدد وقوعها في « أن » المفتوحة الهمزة ، مشددة كانت أو مخففة فقط.
وممن قال بذلك الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، جاء في تهذيب اللغة : « وقال الفراء : لغة
قريش ومن جاورهم أن ، وميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أن إذا كانت مفتوحة
عينا ، يقولون : أشهد عنك رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف »^(١) .

ونضم إلى مثلى هذا الرأي :

١ - ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) الذي يعرف « العننة » بقوله : « أما العننة
فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينا » ثم استشهد بأن وأن^(٢) : فلعل استعماله كاجة « بعض »
ثم استشهاده بأن وأن فقط. يدخله في ذلك هذا الرأي^٣ .

٢ - ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) الذي ينص على أن تكون العننة . « في أن وأن
خاصة »^(٣) .

كما نستطيع أن نضم إليهما ابن هشام (ت سنة ٧٦١ هـ) الذي يذكر أنها تكون في
« أن » المصدرية و « أن » المشددة^(٤) .

(١) تهذيب اللغة (عنن) ١١٢/١ والنص أيضا في (عنن) باللسان ١٦٨/١٧ ، والتاج ٢/٩

(٢) الصاحبى ٢٤

(٣) شرح المفصل ١٩٨/٨

(٤) معنى اللبيب ١٣٠/١ ، ١٣١

الثاني - ويوسع الدائرة عن الأول فيجعلها خاصة بكل همزة تبدأ بها كل كلمة ، مثل عَنكَ ، وعَسَلِمَ ، وعِذَنَ في : أَنْكَ ، وَأَسَلِمَ وإِذَن . وهذا الرأي ينقله السيوطي (ت ٩١١ هـ) عن الفراء ، جاء في المزهري والاقتراح « قال الفراء : دخلت لغتهم [أى قريش] من مستبشع اللغات . . . ومن ذلك العننة ، وهى فى كثير من العرب فى لغة قيس وتميم ، تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً فيقولون فى أَنَّكَ عَنكَ وفى أَسَلِمَ عَسَلِمَ وفى إِذَنَ عِذَن »^(١) .

ويردد حنفى ناصف وهو من المعاصرين كلام الفراء ، ولكنه يستشهد بعَنكَ وعِذَنَ وعِذَنَ بدل إِنَّكَ وَأَنْتَ وإِذَن^(٢) . وقد وضح ذلك ابن الطيب وهو يشرح نص السيوطي بأن حده ب « الهمزة المبدوء بها سواء كانت مكسورة أو مفتوحة »^(٣) كما نص على أن « إِذَن هى الجوابية »^(٤) .

والملاحظ أن الفراء يتناقض فى تحديده للعننة ، فى حين إنه هنا يجعلها تشمل كل همزة فى أول الكلمة نجده فى النص الذى نقله عنه الأزهرى فى رأى الأول يجعلها خاصة بأن المفتوحة فقط . مشددة كانت أو مخففة . وتناقضه هذا يحتمل أحد أمرين :

(أ) إما صحة نسبتهما له ويكون حينئذ قد ذكر الرأيين فى كتابين مختلفين فى فترتين من حياته ، فصبوب فى المرة الثانية ما كان قد كتبه فى المرة الأولى . وليس بأيدينا دليل على ترجيح أحدهما .

(ب) وإما أن أحد الناقلين (الأزهرى أو السيوطي) لم يتحر الدقة فى نقله ونرجح فى هذه الحالة أن يكون تعريف العننة التى وردت فى كتابى الاقتراح والمزهري ، هى للسيوطي نفسه ذكره بعد أن ذكر كلاما للفراء دون التنبيه إلى نهاية كلامه . أما النص الأول فاحتمال الخطأ فيه أقل من الآخر .

(١) الاقتراح ٩٨ ، ٩٩ والمزهري ٧٠ / ب = ٢٢١ / ١ ، ٢٢٢ (ط) وضبطت فيه « اذن » و « عذن » بضم الهمزة والعين والصواب بكسرهما كما فى النسخة المخطوطة . ويؤيد ذلك توضيح ابن الطيب فى شرحه للاقتراح فى كتاب « نشر الانشراح » انظر : لهجات العرب لتييمور ٤٦) بأن ذلك فى الفتح والكسر فقط ، وضبط حنفى ناصف لهذا اللفظ المشار إلى مكانه فى الهامش التالى .

(٢) مميزات لغات العرب ١١

(٣) لهجات العرب لتييمور ٤٦ (عن : نشر الانشراح ٤٤١) .

(٤) المرجع السابق .

الثالث - وهو ما نجده لدى جمهرة اللغويين الذين يعرفونها بأنها قالب الهمزة عينا دون تحديد لهمزة معينة ، لكنهم لا يتفقون على منهج في الاستشهاد على قاعدتهم ، ونستطيع أن نقسمهم إلى فريقين :

(أ) فريق يكتفى بالاستشهاد بنصوص تشتمل على «أن» (مشددة النون أو مخففتها) فقط ونلاحظ ذلك عند :

١ - صاحب «العين» الذي استشهد بقول « شاعرهم » ، أي شاعر بني تميم :

إن الفؤاد على الدلفاء قد كَوِّدا

وحبها موشك عَنْ يَصْدَعُ الكبداء^(١)

٢ - ٤ - أبو حاتم السجستاني (ت نحو ٢٥٥ هـ) والأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ،
والجوهري (ت ٤٠٠ هـ) الذين يتفقون في الاستشهاد بببيت ذى الرمة :

أَعَنْ تَرَسَّمتَ من خرقاء مَنْزِلَة

ماء الصَّباة من عينيك مَسْجُوم^(٢)

٥ - ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) الذي استشهد بما أنشده يعقوب :

فلا تُلهِكَ الدنيا عن الدين واعتَمِلْ

لاخِرَة لا بُدَّ عَنْ سَتَـصِيرُها^(٣)

(ب) والفريق الآخر لا يحدد همزة معينة ، ونلاحظ ذلك فيما أورده صاحب الجمهرة وتاج العروس :

١ - قابن دريد (ت ٣٢١ هـ) يقول : « العننة حكاية كلام نحو قولهم عننة تميم ، لأنهم يجعلون الهمزة عينا »^(٤) ويقول في موضع آخر : « بني تميم يحققون الهمزة فيجعلونها عينا »^(٥) ، ويكرر هذه العبارة في موضع آخر من معجمه نقلا عن

(١) العين ١٠٤/١ (درويش) .

(٢) جمهرة اللغة ٧٦/٣ (عن أبي حاتم) ، وتهذيب اللغة ١١١/١ ، والصحاح (عن) ٢١٦٧/٦

(٣) المحكم ٤٩/١ (اعتمل : اعمل - اللسان « عمل » ٥١٢/١٣)

(٤) جمهرة اللغة ١٦٠/١ (٥) المرجع السابق ٢٣٧/١

أبى حاتم الذى يعزو قلب الهمزة إلى « بنى تميم ومن يليهم »^(١) ونجده فى الموضعين الأخيرين يضرب أمثلة بكلمات بعضها مهموز الأول وبعضها مهموز الوسط وبعضها مهموز الآخر . ومثل لمهموز الأول - نقلا عن أبى حاتم - ب « أَنْ » فى قول ذى الرمة :

فَعَيْنَاشَ عَيْنَاهَا . . . البيت^(٢)

وب « أَنْ » لرجل من أهل اليمامة يُنحَل مجنون قيس :

فَعَيْنَاشَ عَيْنَاهَا وَجِيدُشَ جِيدُهَا
سوى عَنْ عَظَمَ السَّاقِ مِنْشٍ دَقِيقُ^(٣)

ومثل لمهموز الوسط بقول بنى تميم : كمص أى كأص بمعنى أكل^(٤) ، وبمهموز الآخر بما حكاه عنهم « هذه خباعنا ، يريدون خباؤنا ، ويقولون ، جارية خُبْعَةٌ طُلْعَةٌ ، أى تختبئ مرة وتطلع أخرى »^(٥) .

٢ - أما صاحب تاج العروس (ت ١٢٠٥ هـ) فيكتفى بالهمزة التى تمثل فاء الكلمة وذلك فيما نقله عن صاحب العين والكسائى « ، فيقول « قال الليث : وبعض بنى تميم يقول اعتنف الأمر بمعنى اتنزهه وهذه هى العننة »^(٦) ، ويقول : « قال الكسائى يقال كان ذلك منا عُنْفَةً^(٧) - وعُنْفَةٌ - بضمهمتين - واعتنفا ، أى اتتنافا ، قلبت الهمزة عينا . وهذه عننة بنى تميم » .

والذى أراه أن كلمة العننة فى هذين النصين اللذين ذكرهما الزبيدى ، لم تكن من قول صاحب العين والكسائى ، وإنما العبارتان المختتم بهما النصان « وهذه هى العننة » و « هذه عننة تميم » من تعقيب الزبيدى عليهما وهذا واضح فى العبارة الأولى ، فقد أوردها الأزهرى سماعا عن بنى تميم دون أن ينص على أنها « عننة » رغم أنه ذكرها - كما سبق

(٢) المرجع السابق ٢٣٨/١ ، ٧٧/٣

(١) المرجع السابق ٧٦/٣

(٣) المرجع السابق ٢٣٨/١

(٤) جبهة اللغة (كمص) ٧٦/٣

(٥) المرجع السابق (خبج) ٢٣٧/١ ، ٢٣٨

(٦) التاج (عنف) ٢٠٥/٦

(٧) المرجع السابق

أن ذكرنا - في موضع آخر من التهذيب ، قال الأزهري « وسمعت بعض تميم يقول اعتنفت الأمر بمعنى ائتنفته ^(١) . واكتفى بالتعليق على ذلك بقوله : « وهذا كقولهم : أعن ترسمت » .

الرابع - ويذكره الأشموني (ت ٩٠٠ هـ) الذي يطلقها على الهمزة المتحركة ^(٢) وهو لا يختلف عن سابقه إلا في قيد تحرك الهمزة ، لكنه يقتصر في تمثيله على « أن » في قوله « ظننت عنك ذاهب ، أي أنك » ^(٣) .

ومجمل آراء اللغويين أن العننة تعني قاب :

١ - كل همزة كيفما كان موقعها وضبطها .

٢ - الهمزة المتحركة .

٣ - الهمزة المبدوء بها مفتوحة كانت أو مكسورة .

٤ - همزة أن وأن المفتوحين فقط .

ونميل إلى رفض الأقوال الثلاثة الأولى ، وذلك لأن :

١ - هذا يعني أن لغة تميم وغيرها من القبائل التي تشاركها في العننة خالية من كل همزة وفقاً للقول الأول ، أو كل همزة متحركة وفقاً للثاني ، أو كل همزة مفتوحة أو مكسورة بدئاً بها ، وذلك يتنافى مع المروى عن تميم ، بل إن النصوص التي استشهد بها على العننة لتحتوي كلمات مهموزة . مثال ذلك « أشهد » في أشهد عنك رسول الله و « ماء » في بيت ذي الرمة و « إن » و « الذلفاء » في البيت الذي ذكره الخليل ، فهذه الكلمات وغيرها من كلمات لم نذكرها ، لم تقاب همزتها عينا في حين أن همزة « أن » فيها هي التي قلبت . كما أن ذلك يتناقض مع القاعدة التي تقول إن تيمنا تميل إلى تحقيق الهمزة التي يخففها الحجازيون .

٢ - ونرجح أن المقصود بالعننة هو الرأي الأخير ، وهو قاب همزة أن وأن ؛ لأن اللغويين كما سبق أن قلنا كانوا يكتبون بالتمثيل بضرب أمثلة لهما ، وبهما قرىء

(١) تهذيب اللغة ٣/٣

(٢) شرح الأشموني ٢٨٢/٤

(٣) المرجع السابق .

في الشاذ قوله تعالى : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلِّمُهُ بشرٌ) ^(١) «عَنَّهُمْ» بدل «أَنَّهُمْ» ^(٢) .

٣ - ولأنَّ العنونة المشتقة من «عن» توحى بهذا ، وقد لاحظ ذلك ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ونص عليه فقال : « وقولهم عنونة مشتق من قولهم عَن عَنْ في كثير من المواضع . ومجىء النون في العنونة يدل على أن إبدالهم إياها إنما هو في همزة أن دون غيرها . وقد اشتقت العرب أفعالا من الحروف » ^(٣) ، ويعضد هذا ما يرويه أبو الحسن الأخفش الأوسط (ت نحو ٢١٥ هـ) عن أعرابية من بنى كلاب عندما نطقت أمامه « عَنِّي » بدل « أَنِّي » : « هذه عَنَّتْنَا . وفي رواية عنونة بنى فلان » ^(٤) .

وليس معنى رفضنا لغير الرأي الأخير أننا ننكر الكلمات التي قلبت همزتها عينا في غير « أن » و « أن » ونسبت إلى تميم ، بل إنما على العكس من ذلك نقول إنها تتفق وطبيعة تميم ، ولكن لا تسمى « عنونة » ، وإنما هي كلمات شأنها شأن الكلمات الأخرى التي حدث فيها إبدال . وإن أطلق عليها ابن دريد والزبيدي أحيانا عنونة - على فرض اتضاح مفهوم العنونة عندهما - فإن ذلك من باب التجوز .

أصحابها :

نلاحظ أن عظم اللغويين اكتفوا بإضافة هذه الظاهرة إلى تميم فقط ، ومن هؤلاء : صاحب العين ^(٥) ، والأصمعي ^(٦) (ت نحو ٢١٦ هـ) ، وابن فارس ^(٧) ، والجوهري ^(٨) ، وابن دريد ^(٩) والأزهري ^(١٠) ، وابن سيده ^(١١) ، وابن هشام ^(١٢) ، والأشموني ^(١٣) . هذا في حين إن بعضا آخر ككأبي حاتم نسبها إلى تميم ومن والاه ^(١٤) وفصل بعض هذا الفريق فمنهم من نسبها إلى أسد بإضافة إلى تميم كأبي جعفر النحاس ^(١٥) (ت نحو ٣٣٨ هـ) ، والزمخشري ^(١٦) ، وابن يعيش ^(١٧) . ومنهم

- | | |
|---|------------------------------|
| (١) النحل ١٠٣/١٦ | (٢) شواد القراءة للكرمانى ٢٦ |
| (٣) سر صناعة الإعراب ٢٣٧/١ وضبطت « أن » بسكون النون . | (٤) النوادر لأبي زيد ٢٩٠، ٢٨ |
| (٥) العين ١٠٤/١ (درويش) . | (٦) سر صناعة الإعراب ٢٣٤/١ |
| (٧) الصحاح ٢٤ | (٨) الصحاح (عنن) ٢١٦٧/٦ |
| (٩) جمهرة اللغة ١٦٠/١ | (١٠) تهذيب اللغة ١١١/١ |
| (١١) المحكم ٤٩/١ | (١٢) مغنى اللبيب ١٣١/١ |
| (١٣) شرح الأشموني ٢٨٢/٤ | (١٤) جمهرة اللغة ٧٦/٣ |
| (١٥) إعراب القرآن ١٢ / أ | (١٦) شرح المفصل ١٤٩/٨ |
| (١٧) المرجع السابق | |

من نسبها إلى قيسن وتميم كالسيوطي نقلا عن الفراء - كما اتضح من نصه الذي ذكرناه آنفا - وأبى الطيب اللغوي^(١) . (ت ٣٥١ هـ) وتابعه في ذلك حفي ناصف^(٢) ، ونسبها الفراء إلى هذه القبائل الثلاث ومن جاورها^(٣) . ويبدو أنها كانت عند بني كلاب^(٤) . وإذا رجعنا إلى الشواهد الخاصة بهذه الظاهرة ، وجدنا بعضها منسوبا وبعضها غير منسوب .

(أ) أمّا غير المنسوب ، فقد وجدنا :

١ - قولهم « أشهد عنك رسول الله »^(٥) بدل « أنك » . ولا نستطيع أن ننسب هذه الصيغة إلى قوم معينين ، فكل المسلمين يرددون هذه الشهادة .

٢ - البيت الذي أنشده يعقوب ، وهو :

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتل لآخرة لأبد عن ستيرها

فهذا البيت وإن كان ابن سيده قد أورده بعد أن عرّف العننة ونسبها إلى تميم^(٦) إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بنسبته إليهم ؛ لأننا لاحظنا اللغويين أضافوا العننة إلى تميم ثم استشهدوا بشعراء من غير تميم^(٧) .

(ب) أمّا النصوص التي وجدناها منسوبة ، فهي .

١ - قول الراجز :

* تَعَرَّضْتُ لِي بِمَكَانٍ حِلٍّ *
* تَعَرَّضًا لَمْ تَأُلْ عَنْ قِتْلًا لِي *^(٨)

(١) ارتشاف الضرب ٢٢ أ (٢) مميزات لغات العرب ١٣

(٣) تهذيب اللغة ١/١١٢ ، وانظر اللسان (عن) ١٦٨/١٧ ، والتاج (عن) ٢٨٣/٩

(٤) انظر : النوادر لأبي زيد ٢٨ ، ٢٩ ، والصفحة السابقة من هذا البحث .

(٥) تهذيب اللغة ١/١١٢ ، واللسان (عنده) ١٦٨/١٧ ، والتاج (عن) ٢٨٣/٩

(٦) المحكم ١/٤٩ ، واللسان (عن) ١٦٨/١٧ ، والتاج (عن) ٢٨٣/٩

(٧) انظر الصحاح (عن) ٢١٦٦/٦ ، واللسان (عن) ١٦٨/١٧ ، والتاج (عن) ٢٨٣/٩ فقد ورد فيها بيت

ذي الرمة بعد التعريف بالعننة ونسبها لميم .

(٨) الصاحبي ٢٤ ، واللسان (أن) ١٧٨/١٦

وقد عقب ابن منظور على هذا الرجز بقوله « فإنه أراد لم تأل أن قتلا أي قتلتي فأبديل العين مكان الهمزة وهذه عننة تميم »^(١) وقائل هذين البيتين هو منظور بن مرثد الأسدي :^(٢)

٢ - أَعَنْ تَرَسَّمَتْ مِنْ خِرْقَاءَ مَنْزِلَةَ

ماءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِيكَ مَسْجُومٌ ..

وقائل هذا البيت هو ذو الرمة - كما سبق أن ذكرنا - وهو من بني عدى بن عبد مناة ابن أد بن طابخة^(٣) ، فهو ياتقى في نسبه مع تميم في أد بن طابخة . ثم إنه كان على صلة بتميم ، فقد كان صاحب « مية » ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم^(٤) .

٣ - فَمَا أُبْنِ حَتَّى قَانِ : يَا لَيْتَ عَنَّا تَرَابٌ وَعَنْ الْأَرْضِ بِالنَّاسِ تُخَسِفُ
وهذا البيت لجران العود^(٥) ، وهو من بني نمر من قيس^(٦) .

٤ - وَعَنْ تَخْلِطِي فِي طِيبِ الشَّرْبِ بَيْنَنَا مِنْ الْكَدْرِ الْعَابِي شَرْبًا مُطَبَّعًا
وقائل هذا البيت يزيد بن الطثرية^(٧) وهو من قشير من قيس^(٨)

٥ - فَعَيْنَاشَ عَيْنَاهَا وَجِيدُشَ جِيدَهَا سَوَى عَنْ عَظْمِ السَّاقِ مَنْشَ دَقِيقِ
وينسب هذا البيت لمجنون قيس^(٩) .

٦ - أَعَنْ تَغَنَّتْ عَلَى سَاقِ مُطَوَّقَةٍ وَرَقَاءُ تَدْعُو هَدِيلاً فَوْقَ أَعْوَادِ
هذا البيت أنشده ابن هرمة لهارون الرشيد^(١٠) ، وابن هرمة هذا (إبراهيم بن علي)

(١) اللسان (أنن) ١٧٨/١٦

(٢) لامية منظور بن مرثد الأسدي (مجلة مجمع اللغة العربية العدد ٢٩ / ٢١٠)

(٣) جمهرة أنساب العرب ١٩٨ ، ٢٠٠ (٤) المرجع السابق ٢١٦

(٥) تهذيب اللغة ١١٢/١

(٦) انظر : جمهرة أنساب العرب ٢٧٢

(٧) اللسان (طبع) ١٠٤/١٠ وفيه « ابن الطثرية » بحذف « يزيد » ، والتاج (طبع) ٤٣٩/٥

(٨) جمهرة أنساب العرب ٤٨٢ ، ٤٨٣ (٩) جمهرة اللغة ٢٣٨/١

(١٠) سر صناعة الإعراب ٢٣٤/١ ، ٢٣٥ ، ومجالس ثعلب ٨١

وهو وإن كان من بنى الحارث بن فهر بن مالك من قريش^(١) إلا أنه تربى في بنى تميم^(٢) ، فهو يمثل البيئة التميمية .

٧ - وفي حديث قبيلة « تحسب عنتى نائمة » أى تحسب أنى نائمة^(٣) . ويذكر صاحب « أسد الغابة » امرأتين كلتيهما اسمها قبيلة إحداهما خزاعية والأخرى تميمية^(٤) ونرجح أن الأخيرة هي صاحبة هذا الخبر ، لأن العننة لم تعز لخزاعة .

٨ - حديث حصين بن مُشَمَّت : « أخبرنا فلان عن فلانا حدثه » ، أى أن فلانا^(٥) . وحصين هذا تميمى من بنى سعد بن زيد مناة له صحبة برسول الله^(٦) ، صلى الله عليه وسلم .

٩ - ونستطيع أن نضم إلى الشواهد المنسوبة قول الشاعر :

إن الفؤاد على الدلفاء قد كمدا

وحبها موشك عن يصدع الكبدا

فهذا البيت قد أورده صاحب العين شاهدا على العننة ، فبعد أن عرفها ونسبها إلى تميم عقب بقوله « قال شاعرهم » وذكر البيت^(٧) .

وبعد : فإن هذه النصوص المنسوبة أحدها منسوب للأسدى وبعضها منسوب لتمييمين أو قيسييين ، وهذا يؤكد لنا أن هذه الظاهرة ليست خاصة بتميم وحدها بل شاركتها قيس وأسد . ولا عجب أن تشارك أسد وقيس وغيرهما من قبائل مجاورة تميما في هذه الخاصية ، لأن الجوار من عوامل التأثير والتأثير . أما تخصيص بعض اللغويين لتمييم ، فلأنها أعظمها شأنًا وتمثل الكتلة الشرقية ، كما أرجح ألا تكون منتشرة بينهم انتشارها بين بنى تميم . خاصة وأن الذين اكتفوا بنسبها إلى تميم هم رواد اللغويين أمثال صاحب العين . ولا عجب في ذلك ، بل العجب أن نرى من اللغويين من ينسبها إلى غير هذه القبائل ، فقد نسبها الثعالبي إلى قضاة^(٨) ، لكن العجب يزول إذا ما أمعنا في قراءة كلام الثعالبي

(١) جمهرة أنساب العرب ١٧٧

(٣) النهاية لابن الأثير ٣/٢١٤

(٠) النهاية ٣/٢١٤

(٦) انظر نسبه في جمهرة أنساب العرب ٢٢٠ ، وأسد الغابة ٢/٢٧

(٧) العين (عن) ١/١٠٤ (درويش)

(٢) مجالس ثعلب ٨١

(٤) أسد الغابة ٥/٣٣٢

(٨) فقه اللغة ١٠٧

الذى ينسب إليها ، يقول « العننة تعرض في لغة قضاة ، كقولهم : ظننت عنك ذاهب :
أى أنك »^(١) .

وكلمة « تعرض » تفيد أن العننة غير متمكنة في هؤلاء القوم . ثم إن قضاة قبيلة
ذات فروع متعددة^(٢) متفرقة في الجزيرة . ومن فروعها « جرم » التي كان بعض ديارها
باليمامة^(٣) ، فلا يبعد أن يتأثر هذا الفرع بتميم في العننة .

تفسير الظاهرة :

أما تفسير ظاهرة العننة هذه فهو أن الانتقال من الهمزة إلى العين (أو العكس)
يسوغه قرب مخرجيهما ، فهما كما يرى القدماء صوتان حلقيان : الهمزة من أقصى
الحلق والعين من الحيز الذي يليه وهو وسط الحلق^(٤) ، وإن كان المحدثون يرون أن مخرج
الهمزة هو الحنجرة^(٥) . فلقرّب مخرجيهما حدث بينهما تبادل . وإن قلب تميم الهمزة
عيناً يتفق وطبيعتها البدوية ، فهم يرغبون في إظهارها ، فالعين صوت مجهور^(٦) ،
أما الهمزة — كما يصفها بعض المحدثين — فهي لا مجهورة ولا مهموسة^(٧) ، لأن فتحة
المزمار معها مغلقة فلا تسمع ذبذبة الوترين الصوتيين^(٨) ، أو هي مهموسة — كما يرى محدثون
آخرون^(٩) — لذا فإن العين تمثل مشكلة لغير العرب ويندر أن ينطقها واحد منهم بصورة صحيحة^(١٠) .

(١) المرجع السابق

(٢) نسب عدنان وقحطان ١٤

(٣) صفة جزيرة العرب ١٦٣

(٤) الكتاب ٤/٣٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/٥٢

(٥) علم اللغة للدكتور السمران ١٧١ ، والأصوات للدكتور بشر ١٤٢ ، واللغة العربية : معناها ومبناها ٧٩

(٦) الكتاب ٤/٣٤ . والأصوات اللغوية ٨٨

(٧) الأصوات اللغوية ٩٠ ، وعلم اللغة ، للدكتور السمران ١٧١ ، والأصوات للدكتور بشر ١٤٢

(٨) الأصوات اللغوية ٩٠ ، والأصوات للدكتور بشر ١٤٢

(٩) اللغة العربية : معناها ومبناها ٧٩

(١٠) الأصوات للدكتور بشر ١٥٦

(ب) قلبت الهمزة عيناً في غير العنونة (اعتنف - كعص - خباع - عدر) :

رأينا ونحن نعرض العنونة أن التميميين قلبوا الهمزة عيناً في بعض الكلمات وأن ذلك لم يكن محدداً بموضع معين من الكلمة ، فقد يكون في أولها أو في وسطها أو في آخرها . والكلمات التي عرضناها هناك هي : اعتنف ومشتقاتها ، وكعص أي أكل ، وخباع وخبعة في مقابل اثتف ، وكأص ، وخباء ، وخبأة . ونضيف إليها هنا عأر وأصلها أدر^(١) وهذا الإبدال في هذه الكلمات ليس من النوع المطرد ..

خروج عن القاعدة (نزا - أئكول) :

ينقل أبو حيان عن الخليل أن « تميم تبدل الهمزة من العين ، والعين من الهمزة . يقولون : عئى ، وخبع وعأر ، بمعنى أنى وخبأ وأدر . ويقولون : نزا بمعنى نزع ، وقالوا : أئكول في عئكول »^(٢) .

ويفهم من كلام الخليل أن قلب العين همزة كان في ألفاظ معينة . ونستطيع أن ننسب إلى تميم كذلك « استعديت » في مقابل « استأديت » المعزوة إلى الحجاز . فقد ورد في الصحاح « وأهل الحجاز يقولون آديته على أفعلته ، أى أعنته ، ويقولون : استأديت الأمير على فلان فأداني بمعنى استعديته فأعداني عليه »^(٣) .

في اللهجات الحديثة :

ونجد لقلب الهمزة عيناً في غير العنونة أثلة عند البدو المعاصرين فهم يقولون مثلاً : « قُرْعان ومُسْعَله وقِراعِه وسُعال » يريدون بها « قرآن ومسألة وقراءة وسؤال »^(٤) وما يزال بعض أهل الصعيد يقولون : « لع » بدل « لأ » و « مسعلة » في « مسألة » ، ونلاحظ ذلك بصفة خاصة بين كبار السن غير المثقفين . وهذا النوع من الإبدال يوجد أيضاً في شمال المغرب (تطوان وما حولها) فهم يقولون : تُعْبِعُ ونشاع لله في تخبأ وإن شاء الله^(٥) .

(١) ارتشاف الضرب ٢٣ / ١ ، والصيغتان بمعنى انتفاخ الحصية (اللسان « أدر » ٧٢ / ٥ ، « وعدر » ٢١٩ / ٦)

(٢) ارتشاف الضرب ٢٣ / ١ (٣) الصحاح (أدا) ٢٢٦٥ / ٦

(٤) الشعر عند البدو ١٢٠ (٥) لهجة شمال المغرب : تطوان وما حولها ٧٣

في الساميات :

قلب الهمزة عيناً لم تنفرد به العربية دون أخواتها فهو مستعمل ، نجده في لغة التجري (الحبشية) فيقولون مثلاً : عرب في أربع^(١) .

تعقيب :

إن الذي يتفق وطبيعة تميم قلب الهمزة عيناً وليس العكس . وإن هذا ليتسق ومحافظة لهم على تحقيق الهمزة التي خففها الحجازيون على نحو ما سنبينه في موضعه : وأما نطقهم كلمات على خلاف نهجهم مثل نزا وأثكول اللذين مثل بهما الخليل ، فإن هذا النطق لا يعدو أن يكون نوعاً من الحذقة ، توهم التميمي أن أصلها الهمزة ونطقها بالعين وفق ميل تميم إلى قلب الهمزة عيناً وأراد أن ينطقهما كما ينطقان في اللغة المشتركة فضل السبيل .

ونستطيع بعد هذا أن نقرر على ضوء هذه الدراسة الخاصة بقلب الهمزة عيناً سواء أكان ذلك في العننة - السابق دراستها - أم في غيرها . أنه إذا وردت كلمة بصيغتين إحداهما تشتمل على عين والأخرى على همزة أن نرجح نسبة العينية إلى تميم ومن على شاكلتهم ، وذلك مثل : عِفَّان وإِفَّان بمعنى حين^(٢) ، وجعف وجأف بمعنى صرع^(٣) ، والعيككة والأيككة بمعنى الشجر الملتف^(٤) .

٢ - إبدال العين غينا (لغن) :

« لعل » كلمة تفيد الرجاء ، فهي لذلك كثيرة الدوران على الألسنة . وهذه الكثرة جعلت التغيير يصيبها في كل أصواتها من حذف للمصوت الأول ، ففيل : عل^(٥) ومن إبدال في أصواتها الثلاثة ، ففيل : لعن^(٦) ، ورعن^(٧) ، ورغن^(٨) ، ولغن^(٩) ، وقد عزيت الأخيرة إلى بعض بني تميم^(١٠) . وسنتناول هنا إبدال الغين من العين تاركين الخلاف بين النون واللام إلى الحديث عن التغير .

(١) انظر : البحوث والمحاضرات للدورة ٣٣ بمجمع اللغة العربية ١٢٨

(٢) الصحاح (عفف) ١٤٠٦/٤

(٣) المرجع السابق (جأف) ١٣٣٤/٤

(٤) اللسان (عيك) ٣٦٠/١٢

(٥) الإبدال لابن السكيت ٦٤ ، واللسان (علل) ٥٠٢/١٣

(٦) اللسان (علل) ٥٠٢/١٣

(٧) اللسان (لغن) ٢٧٥/١٧

التفسير الصوتي :

إبدال الغين من العين له ما يبرره صوتياً ، فهما متجاوران مخرجاً : العين من وسط الحلق ، والغين من أدناه إلى الفم^(١) . ويتفقان في الجهر^(٢) إلا أن العين متوسطة بين الشدة والرخاوة^(٣) ، والغين رخوة^(٤) . فلقلب العين غيناً يتقدم مخرج العين إلى الأمام قليلاً جهة الفم مع جعله تام الرخاوة .

وقد وجدنا الاستعمال التميمي يرد في النماذج الأدبية على لسان شعراء تميميين قال الفرزدق :

قف يا صاحبي لغنا نرى العرصات أو أثر الخيام^(٥)

حول مخرج الغين :

مخرج الغين من الحلق من أدناه إلى الفم هو رأى سيبويه وتابعه في ذلك من جاء بعده من القدماء^(٦) ، أما المحدثون فيخالفونهم في تحديد مخرج هذا الصوت وصنوه الخاء ، فيرون أن مخرجهما من أقصى الحنك بعد القاف من جهة الفم^(٧) . لكني أرى أن هذا المقياس خاص بنطق هذين الصوتين في بعض البلدان العربية الآن كمصر ، أما اللغة الفصحى المشتركة فكانت تلتزم بنطقهما من الحلق بدليل أنهما لا يدغمان ولا يخفيان في النون الساكنة التي لاحظ العلماء أن لها ثلاثة أحكام :

(١) الإدغام : ويكون مع ستة أحرف جمعوها في قولهم : « يرملون » .

(١) الكتاب ٤/٣٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/٥٢

(٢) المرجع السابق ٤/٣٤

(٣) الكتاب ٤/٣٥ ، وسر صناعة الإعراب ١/٦٩

(٤) الكتاب ٤/٣٤

(٥) اللسان (لنن) ١٧/٢٧٥ . والديوان ٨٣٥ ، ورواية الصدر : ألتسم عائجين بنا لغنا (العرصات جمع عرصة ، وهي كل بقعة بين الدور واسعة ، لبس فيها بناء - اللسان عرص) ، والشاعر هو همام بن غالب من بني مجاشع ابن دارم . ومن أكبر شعراء العصر الأموي . ذكره الجهمي في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين (الشعر والشعراء ٤٧٢ ، وطبقات فحول الشعراء ٢٥٠) .

(٦) انظر الأصوات اللغوية ١٢٨

(٧) الأصوات للدكتور بشر ١٥٧ ، ١٥٩ وانظر : اللغة العبرية ١٢٨

(ب) الإظهار : ويكون مع أحرف الحلق الستة : الهمزة والهاء والعين والحاء ،
والغين والحاء .

(ج) الإخفاء : ويكون مع بقية الحروف^(١) .

على أن نطق هذين الصوتين (الغين والحاء) كما يراه علماء الصوتيات المحدثون ليس جديداً عليهما اقتضاه التطور في نطقهما وتقدم مخرجهما إلى الأمام قليلاً ، إنما هو منحدر إلينا من بعض القبائل العربية ؛ لأننا إذا استشرنا القراءات القرآنية - وهي صورة اللهجات العربية - لنرى هل منها ما يخفى هذين الصوتين في النون الساكنة ، نجد أبا جعفر أحد الثلاثة بعد السبعة وقارئ المدينة كان يقرأ بإخفاءهما^(٢) .

٣ - إبدال الحاء هاء (مده) :

يعزو المبرد (ت سنة ٢٨٥ هـ) إلى بني النعمان بن زيد مناة بن تميم وكذلك إلى لخم ومن قاربها قولهم : « مده » بدلاً من « مدح » ، واستشهد على ذلك بقول رؤبة :

* لله دَرُّ الغانيات المده *

أبي المدح^(٣) .

ورؤية هذا من بني سعد . وقد ورد هذا اللفظ أيضاً في رجز لتمي من بني سعد جاهلي أنشده أبو عبيدة ، وهو قوله :

* حَسْبُكَ بعضُ القولِ لَا تَمْدَهُي^(٤) *

وقد أوردت كتب اللغة مشتقات هذا اللفظ مشتملا على الصوتين المبدلين دون نسبة إلى قوم معينين ، جاء في « الإبدال » لابن السكيت (ت سنة ٢٤٤ هـ) « الاصمعي يقال : مَدَحَ وَمَدَه ، وما أحسن مَدَحَهُ ، وَمَدَحْتَهُ وَمَدَّهَهُ وَمَدَّهْتَهُ »^(٥) .

(١) انظر : اتحاف ٣٢ ، ٣٣

(٢) إتخاف ٣٢ ، وأذكر أني قرأت « في تهذيب اللغة » للأزهري أن المؤلف سمع بعض العرب ولم يحدد لهم - ينطقون هذين الصوتين كما يصنعهما المحدثون ، والقارئ هو : أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، تابعي وأحد القراء المشهورين ومن أئمة قراء المدينة قرأ على أبي هريرة وابن عباس وروى عنه نافع وتوفي نحو سنة ١٣١ هـ (معرفة القراء ١/٥٨ - ٦٢) .

(٣) الكامل ١١٢/٢ ، وبيت رؤبة في شرح ديوانه ١٢٣ وهو رؤبة بن العجاج بن رؤبة من بني مالك بن سعد . كان يقيم بالبصرة واشتهر بالرجز ، وكان إلى جانب ذلك عالماً باللغة وحشياً وغريباً (جمهرة أنساب العرب ٢١٥ وخزانة

الأدب ١/٩٠ ، ٩١)

(٤) الصحاح (برزخ) ١٣١٥/٤ ، واللسان (برزخ) ٢٩٩/١٠ ، ٣٠٠ ومته ضبط البيت

(٥) الإبدال ٩٠

بنو سعد والظاهرة :

نلاحظ أن قلب الحاء هاء ورد في غير « المُدَّة » عند بني سعد وهو اللفظ الذي نسبه إليهم المبرد ، فقد ورد في رجز لرؤبة - وهو كما قلنا من بني سعد - مما يعضد ميلهم إلى أطراد ذلك ، وإن كنا لانستطيع الجزم به لعدم النص عليه ، من ذلك :

١ - الأجله بدل الأجلح ، وهو الذي انحسر شعر مقدم رأسه^(١) . وقد ورد في قول رؤبة في الأرجوزة التي وردت فيها كلمة « المُدَّة » :

* بَرَّاق أَصْلَادِ الْعَبِينِ الْأَجْلَه^(٢) *

٢ - الكُدَّة بدل الكُدَح أي الكسر في قول رؤبة أيضًا :

* أَوْ خَافَ صَقَعَ الْقَارَعَاتِ الْكُدَّة^(٣) *

وقد وردت مشتقات هاتين الكلمتين بالصوتين الحاء والهاء^(٤) .

التفسير الصوتي :

الحاء والهاء صوتان مهموسان رخوان مخرجهما من الحلق ، إلا أن الحاء من وسطه والهاء من أقصاه^(٥) ، وبتعبير المحدثين من الحنجرية^(٦) أو من داخل المزمار^(٧) ، فهما متقاربان مخرجاً متحدان صفة ، مما يسوغ التبادل بينهما . لذا جاءت كلمات في اللغة مشتركة بينهما ، مثل الهقهقهة والحققة أي السير الشديد^(٨) ، وفي كتب الإبدال أمثلة كثيرة^(٩) .

(١) المصباح (جلح) ١٠٤

(٢) شرح ديوان رؤبة ١٢٣ ، والكامل ١١٢/٢

(٣) شرح الديوان ١٢٥ (الصقع : كل ضرب على يابس - القارعات : الدواهي - شرح الديوان) .

(٤) الإبدال لابن السكيت ٩١

(٥) الكتاب ٤/٤٣٣ ، ٤٣٤

(٦) الأصوات للدكتور بشر ١٥٦ والمدخل إلى علم اللغة ٧٧

(٧) الأصوات اللغوية ٨٨

(٨) المصباح (هقق) ١٥٧٠/٤

(٩) انظر : الإبدال لابن السكيت ٩٠-٩٤

٤ - بين القاف والكاف :

تمهيد :

قبل أن نعرض للتبادل بين القاف والكاف نرى أن نبداً بذكر وصفهما .

١ - الكاف : وصفت بأنها صوت شديد مهموس مخرجه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى^(١) قرب اللهاة^(٢) .

٢ - القاف : أما القاف فقد كان لها - فيما نعلم - ثلاث صور^(٣) :

(أ) الفصيحة : وقد وصفت بأنها صوت شديد مجهور مخرجها من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى ، فهي والكاف من حيز واحد إلا أنها أدخل في الفم^(٤) .

(ب) التميمية : ويسميتها السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) المعقودة^(٥) ، وقد وصفها ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، فقال : « فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ فيقولون : الكوم ، يريدون القوم ، فتكون القاف بين القاف والكاف وهذه لغة معروفة في بني تميم ، قال الشاعر :

ولا أكول لكدر الكوم كد نصجت ولا أكول لباب الدار مكفول^(٦) »

فمخرجها إلى الأمام قليلاً من الفصيحة ، وتجمع بين الشدة والرخاوة^(٧) .

(ج) القاف التي كالكاف : عزيت إلى بعض العرب وكانوا يقولون : الكمح في القمح وقد وصفت بأنها من الحروف المستقبحة^(٨) .

(١) الكتاب ٤/٣٣ ، ٤٣٤ ، وانظر : علم اللغة للدكتور السمران ١٦٩ ، والأصوات للدكتور بشر ١٣٨

(٢) الأصوات اللغوية ٨٤

(٣) هناك صورة رابعة نجدها الآن لدى سكان عمان ، فهم ينطقونها جيما فيقولون مثلاً : جاد ، وجاسم ، والجوم في : قاد وقاسم والقوم (انظر : إسعاف الأعيان ٢٤)

(٤) الكتاب ٤/٣٣ ، ٤٣٤

(٥) ارتشاف الضرب ٤/ب

(٦) جمهرة اللغة ١/٥ (من المقدمة) ، وانظر : الصاحبى ٢٥ (عن ابن دريد) وفيه « يلحقون القاف باللهة

حتى تغلظ جداً »

(٧) انظر : الأصوات اللغوية ٨٦

(٨) ارتشاف الضرب ٤/ب

وما زال لكل صورة من صور القاف هذه امتداد حتى يومنا هذا :

(أ) فالقاف القصبيحة أو الصريحة ينطقها أهل اليمن^(١) ، وذكر حفي ناصف أن لها بقايا في مصر ، إذ توجد في رشيد وضواحيها وإيبار^(٢) .

(ب) والقاف التي كالکاف : نجدها في فلسطين فيقولون مثلاً : كال أي قال .

(ج) القاف التميمية : وقد كانت هي الشائعة أيام أبي حيان (ت ٧٤٥ هـ) ، وابن خلدون^(٣) (ت ٨٠٨ هـ) يقول أبو حيان : « وهي الآن غالبية في لسان من يوجد في البوادي من العرب حتى لا يكاد عربي ينطق إلا بالقاف المعقودة لا بالقاف الخالصة الموصوفة في كتب النحويين والمنقولة على وصفها الخالص على ألسنة أهل الأداء من أهل القرآن »^(٤) وما زالت هذه الصورة هي السائدة اليوم ، نجدها مثلاً في معظم أنحاء الجزيرة العربية ، وينطقها التميميون المقيمون وسطها وشرقها - عدا عَمَان - ونجدها في صعيد مصر .

من الوجهة التاريخية :

وأول ما يتبادر إلى الذهن إذا ما أردنا أن نعرف مكانة الصورة التميمية تاريخياً أنها هي القدي ، لأن ذلك يتفق وطبائع الأمور ، إذ إنها الصورة الأكثر شدة من الثانية . والتخفيف يتناسب واللغة المشتركة المنتقاة ، وما يؤيد ذلك ما ذهب إليه ابن خلدون من أنها لغة مضر الأولين ، حيث يقول : « فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأنصار ، كما هو مذكور في كتب العربية . . . بل يجيئون بها متوسطة بين القاف والكاف وهي موجودة للجميع أجمع حيث كانوا : من غرب أو شرق حتى صار ذلك علامة عليهم بين الأمم »^(٥) ثم يقول : « وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل ، بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ، ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين ، ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها ، ادعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا : من قرأ من أم القرآن (اهدنا السراط المستقيم) بغير القاف التي لهذا الجيل ، فقد لحن وأفسد صلاته »^(٦) .

(٢) مميزات لغات العرب ٣

(٤) ارتشاف الضرب ٤/ب

(٦) المرجع السابق ٤/١٣٩٤

(١) سمعتها من يمينين كثيرين .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٤/١٣٩٣

(٥) مقدمة ابن خلدون ٤/١٣٩٣

فقهائ أهل البيت — كما يقول ابن خلدون — يرون أن الـكاف هي لغة قريش وقت ظهور الإسلام ، لذا يوجبون القراءة بها في القرآن الكريم . وكنت قد سمعت فقيهاً حضرمياً — قبل أن أطلع على هذا النص — يلتزم ذلك^(١) ففعله شيعي .

وسواء أكانت لغة قريش التزمت القاف الصريحة أو الـكاف ، فليس هذا موضوع بحثنا .

ولنتقل بعد هذا إلى :

التبادل بين القاف والكاف :

لقد صادفتنا كلمات رويت مرة بالقاف (المنطوقة كـأفاً) وأخرى بالكاف ، ونسبت في إحدى الروايتين إلى تميم . وكون التميمي يستبدل بالكاف كـأفاً أنه رجع بمخرج الصوت إلى الورا قليلاً مع انحباس الهواء بشدة أكثر وتذبذب الوترين الصوتيين . وكونه ينطق القاف كـأفاً فهذه القاف أحد أنواع ثلاثة — كما ذكرنا من قبل — :

١ ـ أنها القاف الفصيحة كما وصفها القدماء ، فالتميمي حينئذ تقدم بمخرج الصوت إلى الأمام ، مع عدمذبذبة الوترين الصوتيين ، وإما أنها الـكاف التميمية منطوقة عند غيرهم فتحدث العملية السابقة نفسها على أن التقدم إلى الأمام أقل درجة من سابقتها . وإما أنها القاف التي كالـكاف فلا تغير حينئذ .

وهذه أمثلة معزوة إلى تميم :

(١) ايثار القاف (الـكاف) قشط (كشط) :

يذكر يعقوب بن السكيت (ت سنة ٢٤٤ هـ) أن تميماً كانت تقول : « قشط » بمعنى نزع وكشف شاركته في ذلك أسد وقيس في مقابل « كشط » عند قريش^(٢) . وفي رواية أخرى عن يعقوب أيضاً أن أسداً وحدها هي التي شاركت تميماً في مقابل (كشط) عند قيس^(٣) أو عند قريش^(٤) .

(١) إمام مسجد بن محفوظ بجدة في عامي ١٩٧٤ م ، ١٩٧٥ م .

(٢) الإبدال ١١٣ ، ١١٤ وأعتقد أن فائل هذا الكلام هو الفراء لنسبة الكلام السابق له (انظر : الإبدال ١١٣) .

(٣) المحكم (قشط) ٩٥/٦ ، واللسان (قشط) ٢٥٥/٩ ، والتاج (قشط)

(٤) المحكم (كشط) ٤٢٢/٦ ، واللسان (كشط) ٢٦٢/٩ ، والتاج (كشط) ٢٠٧/٥

ونحن نرجح نسبة « كشط » إلى « قريش » بدليل ورودها في القرآن الكريم في سورة مكية^(١) ، قال تعالى : (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ)^(٢) ، وقرىء بها كذلك في القراءات المعتد بها . أما قيس وهي قبيلة نجدية فيناسبها الصيغة التميمية وأعتقد أن الرواية التي تنسب إليها « كشط » حرفت فيها « قريش » إلى « قيس » ومما يرجح هذا التحريف أن الروایتين تنسبان إلى شخص واحد هو يعقوب بن السكيت . والرواية التي تنسب إلى قريش توجد في كتاب ابن السكيت نفسه . أما التي تنسب إلى قيس فهي في كتاب المحكم لابن سيده وعنه نقل من جاء بعده ممن رجع إليه مثل ابن منظور والزبيدي . ثم إن ابن سيده نفسه يعزو في موضع آخر وهو « كشط » إلى قريش^(٣) . وفي الموضعين ينقل عن ابن السكيت ، كما يذكر في كتاب آخر غير المحكم وهو « المخصص » رواية ابن السكيت وفيها يعزو الصيغة الكافية (كشط) إلى قريش لا إلى قيس^(٤) على أن الذي يعيننا هنا أن تميمًا آثرت القاف (والمراد الكاف) وبلغتها أو بالفصحى القريبة منها قرأ عبد الله بن مسعود^(٥) وعامر لابن شراحيل الشعبي ، وإبراهيم بن يزيد النخعي^(٦) قوله تعالى : (وَإِذَا السَّمَاءُ قُشِطَتْ) .

حادثة الصيغة التميمية :

يتضح قدم الصيغة القرشية وحداثة التميمية باتجاهنا إلى المعاجم اللغوية ، إذ نجد المعنى العام لمادة (كشط) المحو والإزالة^(٧) في حين إننا نجد بعض المعاجم تهمل (قشط) ، وذلك مثل مقاييس اللغة لابن فارس ، والصحاح للجوهري . والمعاجم التي ذكرتها لاتعدو أن تكرر ما ورد في (كشط) مع حذف بعض المعاني الواردة فيها .

(١) التكوثر ١١/٨١

(٢) المحكم (كشط) ٤٢٢/٦

(٣) المخصص ٢٧٧/١٣

(٤) مختصر في شواذ القرآن ١٦٩ ، وهو : عبد الله بن مسعود الهذلي ، أحد السابقين للإسلام ، وأحد من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول : « حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة » وتوفي سنة ٣٢ هـ (معرفة القراء ٣٤ ، ٣٥) .

(٥) تاج العروس (قشط) ٢٠٧/٥ ، والقارئان هما :

(أ) هو أبو عمرو الشعبي عامر بن شراحيل الكوفي الإمام الكبير وهو القائل : « القراءة سنة فاقروا كما قرأ أولوكم توفي سنة ١٠٥ هـ (غاية النهاية ٣٥٠/١) .

(ب) أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي إمام مشهور قرأ عليه سليمان الأعمش ومات سنة ٩٥ وقيل سنة ٩٦ هـ (غاية النهاية ٢٩/١ ، ٣٠) .

(٦) انظر على سبيل المثال : مقاييس اللغة (كشط) ١٨٤/٥ ، واللسان (كشط) ٢٦٢/٩ ، ٢٦٣

(ب) إشار الكاف (بكع) :

يذكر الجوهري أن « تميم » تقول : « ما أدري أين بكع ؟ بمعنى أين بَقَعَ »^(١) ويوضح ابن منظور (ت سنة ٧١١ هـ) « بقع » بأنها بمعنى ذهب ، ويقول : « كأنه قال : إلى أي بقعة من البقاع ذهب »^(٢) ومن هذا يتبين حداثة الصيغة التميمية . واللجوء إلى الساميات يؤيد ذلك ، فإننا نجد « بقع » في العبرية (باقع : בָּקַע) بمعنى شق واخترق وفتح بلداً عنوة^(٣) ، وهو أيضاً في الآرامية بالدلالة نفسها ܒܩܥ ^(٤) . وهذا المعنى قريب من « ذهب » ولانجد ذكراً لكلمة « بكع » .

التفسير الصوتي :

وذلك في ضوء ما ذكرناه في التمهيد من وصف لهذين الصوتين :

أولاً : إشار الكاف على الكاف : قد يكون مر بمرحلة واحدة أو مرحلتين :

(أ) بالنسبة للمرحلة الواحدة : تحول من الكاف إلى الكاف مباشرة وذلك بالرجوع بمخرج الكاف إلى الراء قليلاً مع جهرها وزيادة في شدتها .

(ب) بالنسبة للمرحلتين : أي من الكاف إلى القاف الفصيحة أولاً بالرجوع بالمخرج قليلاً إلى الراء مع الجهر بالصوت والاحتفاظ بشدته ، ثم في المرحلة الثانية بالتقدم بالمخرج إلى الأمام مع الاحتفاظ بالجهر والزيادة في الشدة .

ثانياً : إشار الكاف على القاف : والتحول من القاف إلى الكاف قد يكون :

(أ) مباشرة : وذلك بالتقدم بالمخرج إلى الأمام حيث مخرج الكاف ثم يهمس الصوت .

(ب) غير مباشرة : وذلك بأن ينطقها المتكلمون بالقاف كافاً بتغيير مخرجها وصفتها — وذلك كالطريق المباشر — ثم توهم التميمي أن هذه القاف كافاً فنطقها كنطق هؤلاء القوم . وقد مررت بهذه التجربة ، إذ سمعت فلسطينيين ينطقون العلم « بوقس » (بوكس) بالكاف فظننت أنه بالكاف وقلدتهم في نطقهم إلى أن اتضح لي النطق السليم .

(١) الصحاح (بكع) ١١٨٨/٣ ، والنص أيضاً في اللسان (بكع) ٣٦٧/٩ ، والتاج (بكع) ٢٨١/٥

(٢) اللسان (بقع) ٣٦٥/٩

Gesenius, Hebrew and English Lexicon p. 131.

Ibid.

(٣)

(٤)

٥ - إبدال القاف غيناً^(٣٥) (غس) :

كان التميميون يقولون : « غَسَّ » في مقابل « قَسَّ » عند غيرهم بمعنى : دخل في البلاد وتوغل فيها^(٣٦) . وبهذه اللغة قال شاعرهم رؤبة :

* كالحوت لما غَسَّ في الأنهار *^(٣٧)

التفسير التاريخي :

إذا رجعنا إلى مادتي (غسس) و (قسس) رأينا الأولى منهما تندرج معانيها تحت المعنى الكلى « الضعف »^(٣٨) أما (قسس) فكما يقول ابن فارس : « معظم بابيه تتبع الشيء »^(٣٩) .

من الواضح أن المعنى موضع الاختلاف بين تميم وغيرهم يرجع إلى (قسس) . وهذا يعني أن الصيغة التميمية أحدث .

التفسير الصوتي :

قلب القاف غيناً له ما يبرره صوتياً ، فالصوتان متجاوران مخرجاً : الغين - كما سبق أن قلنا نقلاً عن سيبويه - من أدنى الحلق جهة الفم ، والقاف من المخرج الذى يليه ، وهو أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى وأنهما يتفقان في الجهر إلا أن الغين رخوة والقاف شديدة^(٤٠) . فكان على التميمي أن يعود بمخرج القاف إلى الورااء قليلاً مع ضيق في مجرى الهواء ليحدث نوعاً من الحفيف . أو أن التميمي تقدم بمخرج القاف وفقاً لما يراه بعض المحدثين .

ولتقارب هذين الصوتين قلب كل قاف غيناً وكل غين قافاً في أغلبية لهجات الصحراء الشرقية^(٤١) .

(*) الترتيب الطبيعي لهذا الموضوع أن يكون قبل الموضوع السابق . لكننا اضطررنا إلى تأخيرها لضرورة التوسع في دراسة القاف والمقارنة بينها وبين الكاف .

(١) تهذيب اللغة (المستدرک) ٤٢ ، واللسان (غسس) ٣٣/٨

(٢) المرجعان السابقان

(٣) انظر : مقاييس اللغة (غسس) ٤٨٢/٤ ، واللسان (غسس) ٣٣/٨ ، ٣٤

(٤) مقاييس اللغة (قسس) ٩/٥ ، وانظر اللسان (قسس) ٥٦/٨

(٥) راجع ص ٩٨ ، ١٠١

(٦) دروس في علم أصوات العربية ١١٤ ، ١١٥

٦- إبدال القاف جيماً (هِجْرَس) :

ينسب أبو مالك إلى بنى تميم أنهم كانوا يقولون : « هِجْرَسٌ^(١) » (بالجيم والراء) ويعنون به الثعلب^(٢) . ويروى المفضل أن الكلمة كانت تنطق أيضاً « هِجْلِس » (بالقاف واللام) وإن لم يُحدد الناطقين بها^(٣) .

الكلمة إذن بها تبادلان : أحدهما بين القاف والجيم ، والآخر بين اللام والراء ، ويعنيها هنا الأول منهما .

التفسير الصوتي :

ذكرنا من قبل صفة كل من الصوتين : القاف ، والجيم :

١- فالقاف مخرجها من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى ، وهي تجمع بين الشدة والجهازة .

٢- والجيم من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ، وهو أيضاً شديد مجهور أو كما يقول المحدثون : هو صوت مزدوج يبدأ بالشدة وينتهي بالرخاوة ، كما سبق أن ذكرنا .

الصوتان إذن متقاربان مخرجاً ومتحدان في صفتي الشدة والجهازة وفق رأى القدماء أو يكادان - إذا أخذ برأى المحدثين ، وهذا مسوغ لتبادلتهما . لكننا نعلم أن :

١- اليمنيين كانوا ينطقون الجيم بين الكاف والجيم ، ويقولون مثلاً : **گمل** في جمل^(٣) أى مثل الجيم التي ينطقها سكان القاهرة الآن .

٢- بعض العرب مثل التميميين كانوا ينطقون القاف كالجيم القاهرية الحالية - كما سبق أن ذكرنا^(٤) .

النطق الأصلي للجيم :

إننى أميل إلى أن الجيم اليمينية (الكيم) هي الأصل ، ثم تطورت عند سواهم إلى الجيم الفصحى وقرأ بها قرائه القرآن الكريم ، وذلك بدليل شيوع الجيم في اللغات السامية الأخرى

(١) تهذيب اللغة ٥٠٩/٦ ، واللسان (هجرس) ١٣٣/٨

(٢) تهذيب اللغة ٤٩٨/٦ ، واللسان (هجرس) ١٣٣/٨

(٣) جهرة اللغة ٥/١ (٤) راجع ص ١٠١

بهذا النطق، فكلمة جمل مثلاً تنطق في العبرية גַּמְלָא وفي السريانية $qāmal$ وفي الأكدية يعني الفعل $gamlā$ وفي الحبشية $gama$ ^(١). وفي الأكدية يعني الفعل $gamālu$ رحم^(٢).

ويرى « ليمان » أن التطور تم مع الكيم التي يليها كسرة ثم عم الحركات الثلاث^(٣). وتطور الكاف إلى جيم إذا وليه صوت لين أممي (الكسرة القصيرة والطويلة) يتفق وقانون الصوت الحنكي Palatal law وعلى ذلك فإننا نرى أن سبب التبادل بين القاف والجيم في كلمة « هجرس » يرجع إلى أن اللفظ كان ينطق بالجيم اليمينية فنطقه التميميون « هجرس » بالجيم لعلمهم أنها هي الكيم ، وأما الذين قالوا « هقلس » فكانوا ينطقون القاف كما في مثل التميميين لكنهم توهموا أن الكيم هي الكاف .

٧- إبدال الجيم شينا (أشاء) :

استعملت تميم « أشاء » ومشتقاته في مقابل « أجاء » عند الحجازيين بمعنى ألجأ واضطر . نقل الجوهري (ت ٤٠٠ هـ) عن الأصمعي (ت نحو ٢١٥ هـ) أن « شِيَّاتُ الّجَلِّ على الأمر : حملته عليه ، وأشاءه لغة في أجاءه أي ألجأه ، وتميم تقول : شرّ ما يُشِيئُك إلى مُخَّة عُرْقُوب ، أي يُجِيئُك »^(٤) ، وقال أبو عمر الشيباني (ت نحو ٢١٣ هـ) : « الإشاءة : الاضطراب ، وأهل الحجاز يقولون : الإجاءة »^(٥).

اتفسير الصوتي :

آثرت تميم في هذه الكلمة صوت الشين على صوت الجيم . وهذا تبادل له ما يبرره صوتياً ، فالصوتان - كما وصفهما القدماء - يتفقان مخرجاً ، فهما من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى^(٦) وإن كانا يختلفان صفة ، فالجيم شديد مجهور^(٧) والشين رخو مهموس^(٨) أو أن الجيم - كما يصفه بعض المحدثين - صوت مزدوج يجمع بين الشدة

(١) بقايا اللهجات العربية (مجلة كلية آداب القاهرة م - ١٠ ج ١ / ٢) ، واللغة العبرية ١٢٧ ، والمدخل إلى علم اللغة ٧٠

(٢) بقايا اللهجات العربية ٢ (٣) المرجع السابق

(٤) الصحاح (شياً) ٥٩/١ ، وانظر اللسان (جياً) ٥/١ و (شياً) ١٠١/١

(٥) الجيم ٧٠/١ (٦) الكتاب ٣٣٣/٤

(٧) المرجع السابق . (٨) الكتاب ٣٣٣/٤

والرخاوة ، وهو في حقيقته صوت دال مغور ينطق من سقف الحنك الصلب يعقبه صوت شين مجهور^(١) . والذي حدث في هذه الكلمة هو أن صوت الجيم انحلّ عند تميم إلى أحد مكوّنيه وهو الشين التي همست بعد أن كانت مجهورة^(٢) ، وفق رأى المحدثين . وأما بالنسبة لرأى القدماء فإن الجيم تغيرت صفتها من شدة وجهر إلى رخاوة وهمس .

نظائر لهذا الأبدال في العاميات :

ولقلب هذه الجيم شيئاً نظائر في العاميات العربية . من ذلك أن المصريين يقولون : « وش » في وجه و « اشتر » في اجتر .

لغة تميم والأدب :

وجدنا الصيغة التميمية مستعملة في الأدب العربي نشره وشعره فمن أمثال العرب « قد أَشْتَتْ عُقَيْلُ إِلَى عَقْلِكَ » أى قد اضطرت إلى عقلك^(٣) ، وقال زهير بن ذؤيب العدوى :
 فيالَ تميم صابِرُوا قد أَشْتَتُمْ إِلَيْهِ وَكُونُوا كَالْمُحَرَّبَةِ الْبُسْلِ^(٤)

وقال الأخطل - وإن كان غير تميمي - :

* وَأَطْعَنَ إِنْ أَشْتَتْ إِلَى الطَّعَانِ^(٥)

تدبيل :

ولا أحب أن أنهى الكلام في هذا الموضوع دون أن أسجل أنه من الجائز أن تكون هذه الشين المبدلة من الجيم هي الصوت الذي بين الجيم والشين ، وذكره سيبويه بقوله : « والجيم التي كالشين^(٦) ، وأنه حرف من حروف « غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر »^(٧) . لكنه لم يصفه ولم يمثل له ولم ينسبه إلى قوم معينين . وإذا كانت اللغة بصفة عامة وكذلك اللغات المنسوبة للقبائل

(١) المدخل إلى علم اللغة ٦٨ ، وانظر : الأصوات للدكتور بشر ١٦١

(٢) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٦٩

(٣) الجيم ٧٠/١

(٤) الصحاح (شياً) ٥٩/١

(٥) الجيم ٧٠/١ ، وهو في ديوانه ١٩٢ ، وهو معجز بيت والرواية فيه : * وتطعن إن أشئت إلى الطعان *

(٦) الكتاب ٤٣٢/٤

(٧) الكتاب ٤٣٢/٤

ومنها هذا اللفظ وصلت إلينا عن طريق الكتابة . والكتابة وسيلة غير تامة الدقة في وصف النطق وعلى الأخص القديم ، فإن هذا يجعلنا لا نستطيع الجزم بأن الشين التي وردت في النص هي التي ذكرها سيبويه . اللهم إلا إن كانت لدى بعض بطون تميم التي عاشت في أطراف الجزيرة مجاورة لبعض الفرس متأثرة بنطقهم لهذا الصوت .

٨- إبدال الطاء صادًا (حصب) :

آثر النجديون - ومنهم تميميون - « حصب » على « حطب » وشاركهم في استعمالهم هذا أهل اليمن ، قال الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) « الحصب : (الحطب) عامة » . وقال الفراء : هي لغة اليمن^(١) (و) كل (ما يرمى في النار) من حطب وغيره ، فهو (حصب) وهو لغة أهل نجد كما روى عن الفراء^(٢) أيضا^(٣) .

التفسير الصوتي :

الصاد والطاء متجاوران مخرجًا فالأولى - كما لاحظ القدماء - مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا العليا والثانية من أصولها^(٤) أو - كما يقول المحدثون - هما صوتان أسنانيان لشويان إلا أن مخرج الطاء مما بين مقدمة اللسان واللثة والأسنان العليا^(٥) ، وأن الصاد تخرج بوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا^(٦) . ويتفقان في أنهما من أصوات الإطباق^(٧) ، غير أن الطاء شديدة^(٨) والصاد رخوة^(٩) ، والطاء مجهورة^(١٠) والصاد

(١) نص قول الفراء في تهذيب اللغة ٤/٦٠ « الحصب في لغة أهل اليمن : الحطب »

(٢) نص الفراء في تهذيب اللغة ٤/٦٠ ، واللسان (حصب) ١/٣١١ « الحصب في لغة أهل نجد : مارميت به في النار » .

(٣) تاج المروس (حصب) ١/٢١٤ وما بين قوسين نص القادوس وآثرنا النقل من التاج عن القدماء لإيجازه وشموله ، ثم إنا أشرنا في الحاشيتين السابقتين إلى النصوص الواردة عن القدماء .

(٤) الكتاب ٤/٣٣

(٥) المدخل إلى علم اللغة ٤٥ ، ٥٩ ، ٦٠

(٦) المرجع السابق ٦٣ ، ٦٤

(٧) الكتاب ٤/٣٦

(٨) الكتاب ٤/٣٤

(٩) المرجع السابق ٤/٣٥

(١٠) المرجع السابق ٤/٣٤

مهموسة^(١) . ويرى المحدثون من علماء اللغة المصريين - وفقاً لسماعهم قراء القرآن الكريم بمصر - أن الطاء مهموسة^(٢) .

التبادل بين الصوتين جائز إذن وله نظائر أخرى في العربية^(٣) .

الصيغتان في الساميات :

إذا رجعنا إلى الساميات نجد العبرية والحبشية تستعملان الصيغة الطائية (حطب) فقط ، أي غير النجدية ، ففي العبرية חֲטָב بمعنى يقطع ، ويجمع الخشب ، والخشب الذي تقاد به النار وهو في الحبشية *hataba* ، بمعنى يقطع الخشب أو يجمع حطب النار^(٤) . وهذا يؤكد ما نقله صاحب اللسان عن عكرمة من أن « حصب جهنم هو حطب جهنم - بالحبشية »^(٥) .

الصيغتان في القرآن الكريم :

وردت كلمة « حصب » في قوله تعالى : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)^(٦) ، وقد قرئت وفق الصيغة التميمية (النجدية) ولم يقرأ بالطاء إلا في الشاذ من القراءات ، فقد نسب إلى الإمام علي أنه قرأها بالطاء^(٧) . ونجد الصيغة الطائية ترد في آيتين هما : قوله تعالى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)^(٨) ، وقوله : (وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)^(٩) .

من الوجهة التاريخية :

وإن استعمال القرآن الكريم للصيغة الطائية في آيتين واستعماله إياها وإن كان . في قراءة شاذة ووجودها في العبرية والحبشية ليدعو إلى أنها القدمى والنجدية الجديدة .

(١) الكتاب ٤/٤٣٤

(٢) الأصوات اللغوية ٦٢ ، وعلم اللغة للدكتور السعران ١٦٨ ، والأصوات للدكتور بشر ١٣٠ ، والمدخل إلى علم اللغة ٦٠

(٣) الإبدال لابن السكيت ١٢٠

(٤) Gesenius, Hebrew and English Lexicon p. 310. (٥) اللسان (حصب) ٣١١/١

(٦) الأنبياء ٩٨/٢١ (٧) تهذيب اللغة ٤/٢٦٠

(٨) الجن ١٥/٧٢ (٩) المسد ٤/١١١

٩ - إبدال اللام نونا (إسرائيلين) :

كان بنو تميم يقولون إسرائيلين (بالنون) في إسرائيل^(١) ، وهذا اللفظ علم أعجمي دخل العربية

من العبرية فتصرف فيه العرب فهو في العبرية יִשְׂרָאֵל yisrā'ēl

يسرائيل^(٢) ويقول الدكتور يعقوب بكر « ولعله مركب من yisrē يسرى :

يحارب و ēl : الله أى يحارب الله^(٣) وواضح أن اللام أصل في الكلمة ، وهذا يعنى أن النون عند بنى تميم ليست هي الأصل وإنما مبدلة من اللام .

وللتبادل بين هذين الصوتين نظائر كثيرة في العربية مثل علوان الكتاب وعنوانه^(٤) ، وهملت السماء وهتنت^(٥) .

التبادل الصوتي عبر التاريخ :

ولم يقتصر التبادل بين هذين الصوتين على عصور الاحتجاج بل استمر طوال عصور التوليد حتى عصرنا الراهن . فمن ذلك قول أهل الأندلس في القرن الرابع الهجرى في الطعام زُوال بدلا من زُوان وزُوان (أى حب يخالط الحنطة)^(٦) وقول أهل صقلية في القرن الخامس الهجرى أدان الله لنا على العدو بدل أдал^(٧) ، وقول أهل بغداد في القرن السادس الجُنْدَار وزَجَّان الحمام بدل الجُنْدَار وزَجَّال الحمام^(٨) . وفي الوقت الراهن يقول أهل تطوان بالمغرب سَمْنَاخ ، وَطَيْحَانْ ، وَلَنْ فَنْ بدلا من السلاح والطحال والفُل^(٩) ، ويقولون لا رَنْجْ وَلَنْ غَلْمْ بدلا من النارنج والغنم^(١٠) . وسمعت أحد العامة من أبناء صعيد مصر يقول دَلْمُو وصوابها دِنْمُو فهي معربة عن الكلمة الأجنبية dynamo (مولد كهربائى) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٣١/١

(٢) الدخيل في اللغة العربية للدكتور فؤاد حسنين (مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة) م ١٠ ج ٢ ص ٨٣ ، والمعجم

الكبير ٢٧٨/١

(٣) المعجم الكبير ٢٧٨/١ ، وانظر : ٦٨٠ (ولم ينسب التأصيل السامى للدكتور يعقوب بكر وفقا لنهج المعجم الذى لا يشير إلى المشتركين في إعداد مواده في ثنايا المعجم) .

(٤) الإبدال لابن السكيت ٦١

(٥) الصحاح (عنا) ٢٤٤١/٦

(٦) لحن العوام ١٦٨ ، ولحن العامة للدكتور مطر ١٠٦ (٧) لحن العامة ١٥٠

(٨) لحن العامة ١٩٠ ، (والجُلْنَار) : زهر الرمان - القاموس ٣٨٩/١

(٩) المرجع السابق ٨٣

(١٠) لهجة شمال المغرب ٨٢

التفسير الصوتي :

والتبادل بين اللام والنون له ما يبرره صوتيا فهما متحدان صفة . فكلاهما مجهوران^(١) متوسط لا هو بالشديد ولا بالرخو^(٢) . ومتقاربان في المخرج . فاللام من بين حافة اللسان^(٣) (من أدناها إلى منتهى طرف اللسان) وبين ما يليها من الحنك الأعلى^(٤) . ومخرج النون مما بين طرف اللسان وما فوق الثنايا^(٥) . لكن مجرى الهواء يختلف مع كل منهما ، فهو مع النون يتخذ مجراه من الأنف^(٦) ، في حين إنه مع اللام يتخذ مجراه من الفم^(٧) . فقلب اللام نونا ينتقل مخرج اللام إلى مخرج النون ويتخذ الهواء مجراه من الأنف .

١٠- إبدال الميم نونا (الأئين) :

كان « أهل الحجاز يسمون الجان من الحيات الأئيم ، وبنو نعيم يقولون : الأئين »^(٨) .

الصلة الصوتية بين الصوتين :

النون والميم وإن كانا غير متقاربين مخرجا ، متحدان صفة فالنون مخرجها - كما سبق أن قلنا - مما بين طرف اللسان وما فوق الثنايا^(٩) . ومخرج الميم مما بين الشفتين^(١٠) . ويشترك النون والميم في أن مجرى الهواء معهما دون سائر الحروف من الأنف^(١١) ، كما أنهما مجهوران^(١٢) ومتوسطان بين الشدة والرخاوة^(١٣) . وفي العربية أمثلة للإبدال بين هذين الصوتين أوردتها المعاجم اللغوية وكتب الإبدال^(١٤) وذلك مثل إبزيم وإبزين للحديدة التي تكون في طرف

(١) الكتاب ٤/٤٣٤ وانظر : سر صناعة الإعراب ١/٦٩

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٣٤

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٥٢

(٤) المرجع السابق

(٥) الأصوات اللغوية ٦٦ ، والمدخل إلى علم اللغة ٦٦

(٦) الأصوات اللغوية ٦٤

(٧) المخصص ٨/١٠٩ وانظر : مقاييس اللغة ١/١٦٦ وعزا الصيغة التيمية فقط .

(٨) سر صناعة الإعراب ١/٥٢

(٩) الكتاب ٤/٤٣٣

(١٠) الكتاب ٤/٤٣٤ ، والأصوات اللغوية ٦٧

(١١) الكتاب ٤/٤٣٤

(١٢) سر صناعة الإعراب ١/٦٩ ، والأصوات اللغوية ٤٥ ، ٦٦

(١٣) انظر : الإبدال لابن السكيت ٧٧-٨٣ ، والإبدال لأبي الطيب ٢/٤٢٣-٤٤٣

حزام السَّرج يسرج بها^(١) ، والغَيْم والغَيْن ، أى السحاب^(٢) والمدى والنَّدى بمعنى الغاية^(٣) ، ومن ذلك أيضًا أن جمع الغائبين في العربية (هُم) يقابله في المهرية (إحدى لغات جنوب الجزيرة) هُن^(٤) .

الإبدال في عصور التوليد :

ولقد استمر التبادل بين هذين الصوتين بعد عصور الاحتجاج من ذلك أن أهل الأندلس في القرن الرابع الهجرى كانوا يقولون : « حَلَزُوم » بدلًا من « حَلَزُون » للدود الذى يغيب في قشره ويتطالع منه^(٥) ، ويقولون كذلك « خَمَمْتُ » وأصلها في الفصحى « خَمَمْتُ »^(٦) وكان أهل بغداد يقولون في القرن السادس الهجرى : « مِنْطَر » لضرب من الثياب يتخذ من الصوف ، وهو يسمى في الفصحى « مِمَطَر »^(٧) ، كما كانوا يقولون : سمك منقور والأصل « ممقور »^(٨) ، وهو سمك ينقع في الخل والملح يتخذ إدامًا^(٩) .

في الوقت الراهن :

ونسلم أهل مصر يقولون في وقتنا هذا : فاطنه وإنبابه ونطر وبهتين بدلًا من فاطمة وإمبابة ومطر وبهتيم . ويقال في جهات من صعيد مصر (البدارى وما حولها) . رَمِخ^(١٠) ، للبلح قبل أن يستوى ، ويطلق عليه في بعض جهاته (أولاد طوق شرق بسوهاج) « نارِخ » وذلك بإحداث قلب مكافئ في الكلمة ثم إبدال النون من الميم ، وأصل هذه الكلمة الرُمِخ في لغة طيء بمعنى البلح^(١١) . ومنه أيضًا ملّين في ملّيم .

(١) لحن العوام للزبيدي ١٥ ، ١٦

(٢) المصباح (غيم) و (غين) ٤٦٠

(٣) الإبدال لابن السكيت ٨٠

(٤) فقه اللغات السامية ٨٦

(٥) لحن العوام ١٨٨ ، وانظر : لحن العامة للدكتور مطر ١٠٥

(٦) لحن العوام ٢٧١ ، ولحن العامة ١٠٥

(٧) تقويم اللسان ١٨٧

(٨) المرجع السابق ١٨٥

(٩) انظر : اللسان (مقر) ٣٢/٧

(١٠) لسان العرب (رمخ) ٤٩٦/٣

وقيس عيلان من القبائل المجاورة لتميم في نجد فإما أن يكون الشاعر متأثراً بلغة تميم ، وإما أن يكون التميميون مشاركين للتميميين . وكما قلنا من قبل كثيراً ما يطلق لفظ تميم ويراد به النجديون .

وهذا الذي انتهينا إليه يتفق وما ذهب إليه من قبل ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، فهو يقول : « الهمزة والياء والميم ثلاثة أصول متباينة : الدُّخَانُ ، والحَيَّةُ ، والمرأة لا زوج لها »^(١) ، ويقول : « الهمزة والياء والنون يدل على الإعياء وقُرب الشيء . . . وأما الحَيَّةُ التي تُدعى الأَيْن ، فذلك إبدال والأصل الميم »^(٢) .

١١ - إبدال الزاي لا ما (لغب) :

يقال : أخذ بزَغْب رقبته ولَغَب رقبته ، وذلك إذا تبعه وقد ظن أنه لم يدركه فلاحقه أخذ برقبته أو لم يأخذ ، وهى باللام فى تميم^(٣) .

التفسير الصوتى والتاريخى :

مخرج اللام والزاي ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا ، إلا أن مخرج اللام أدخل فى الحنك قليلاً^(٤) ذلك إلى أنها صوت متوسط بين الشدة والرخاوة . أما الزاي فهى صوت رخو^(٥) ، كما تتميز بأن مجرى الصوت معها يضيق جداً عند مخرجها محدثاً صغيراً^(٦) .

وإذا رجعنا إلى مادتي (لغب) و (زغب) وجدنا الأولى تدور معانيها حول التعب والمشقة^(٧) . أما الزغب فهو أول ما ينبت من الريش^(٨) ، وكذلك ما يشبهه من شعر صغير^(٩) . ومعنى ذلك أن المعنى الأصلي هو غير التميمى وأن الإبدال حدث عند التميميين ،

(١) مقاييس اللغة ١/١٦٥

(٢) المرجع السابق ١/١٦٧

(٣) تهذيب ٨/١٣٨ ، ١٣٩

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣

(٥) المرجع السابق ٤/٤٣٥

(٦) الأصوات اللغوية ٧٤

(٧) مقاييس اللغة (لغب) ٥/٢٧٦ ، ٢٧٧ ، واللسان (لغب) ٢/٢٣٨ - ٢٤٠

(٨) مقاييس اللغة (زغب) ٣/١٣

(٩) القاموس (زغب) ١/٧٩



1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

وذلك بتأخر المخرج إلى الورا قليلا حيث مخرج اللام ، واتساع مجرى الصوت بحيث لا يسمع له صفير .

ورغم أن الصوتين يكادان يصدران من مخرج واحد إلا أن تميز الزاى بالصفير جعل التبادل بينهما شبه شاذ غريب على السمع . ومع ذلك فنجد له نظائر في العربية من ذلك : في أجواف الإبل أزيز وأليل أى صوت ، وزهاء مئة ولهاء مئة أى قدر ، وزُحزح ولُحَلَح^(١) .

١٢ - إبدال التاء طاء (أفلط) :

نسب إلى تميم أنها كانت تقول : أفلطني في أفلطني ، وقد نعتت هذه اللغة بأنها قبيحة^(٢) وأفلت هنا بمعنى تخلّص بسرعة . وقد أورد اللغويون شاهداً على ذلك نسب إلى ساعدة ابن جؤية ، هو :

بأصدق بأساً من خليل ثمينه

وأَمْضَى إِذَا مَا أَفْلَطَ الْقَائِمَ الْيَدُ^(٣)

وساعدة هذا من تميم هذيل^(٤) ، مما جعلني أميل إلى أن تميما المعنية هي الهذلية ، إلا أن شارح ديوان الهذليين قد أعفانا من نسبة اللفظ بهذه الدلالة إلى تميم هذيل ، إذ ذكر لنا أن « فلط » هنا بمعنى فاجأ^(٥) . كما ورد أيضاً بهذه الدلالة الهذلية عند شاعر هذلي آخر لا ينتمى لتمييم هذيل هو المتنخل ، فقد قال :

أَفْلَطَهَا اللَّيْلُ بِعَيْرٍ فَتَسْمَى ثَوْبُهَا مَجْتَنِبُ الْمَعْدَلِ^(٦)

ويرى ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) أن اللام في « فلط » بمعنى فاجأ ، أى بالدلالة الهذلية مبدلة من الراء ، وأصل الكلمة « فرط »^(٧) .

(١) الإبدال لأبي الطيب ١٥٠/٢

(٢) الصحاح (فلط) ١١٥٠/٣ ، وانظر : المزهري ٢٢٤/١ (عن الصحاح) واللسان (فلط) ٢٤٧/٩

(٣) اللسان (فلط) ٢٤٧/٩ والمراد : أفلط القائم (بضم الميم) اليد (بفتح الدال) فقلب . والبيت في شرح ديوان

الهذليين ١١٦٩/٣

(٤) انظر ترجمته في : المؤلف ٨٣

(٥) شرح ديوان الهذليين ١١٦٩/٣ ، وانظر : تاج العروس (فلط) ٢٠٠/٥

(٦) شرح ديوان الهذليين ١٢٦٠/٣ (المعدل : الطريق)

(٧) المقاييس (فلط) ٤٥١/٤

التفسير الصوتي :

المسوغ لإبدال التاء طاء أنهما من مخرج واحد : وهو أصول الثنايا العليا^(١) . ولكن يرجع قبج اللغة التميمية هنا أن الطاء كما وصفها القدماء حرف مطبق مجهور نظيره المنفتح الدال ، في حين إن التاء منفتح مهموس^(٢) ، والانتقال من التاء إلى الطاء عملية تحتاج إلى جهد ، خاصة وأنه لا يوجد بالكلمة صوت مطبق آخر يساعد على عملية الإطباق هذه ، كما سنلاحظ عند قلبها طاء في التماثل .

واعتقد أنه كان لدى العرب نوعان من الطاء : نوع نظيره الدال وهو الفصيح وكان مجهوراً ، والآخر نظيره التاء وكان مهموساً ، وأنه كان ظاهرة في بعض القبائل وقد تكون منها تميم بدليل ورود هذه الظاهرة عندهما كما في هذا اللفظ . وكما نلاحظه في تاء الفاعل بعد أصوات الإطباق ، على ما سندرسه في التماثل . وهذا النوع الأخير هو الذي ينطق في مصر^(٣) ويقرأ به مجيدو القراء ، ولعله كذلك في اليمن ولقد سمعت بعضهم يقرأ قوله تعالى (إهدنا الصراط) بالتاء بدلاً من الطاء^(٤) .

أما أن الطاء الفصيحة كان نظيرها المنفتح الدال لا التاء — كما نص على ذلك سيبويه — فإني ألاحظ في القراءات القرآنية أن التاء تدغم في الطاء^(٥) ، بخلاف الدال فإنها لا تدغم فيها^(٦) . والذي ألاحظه أن المطبق ونظيره المنفتح لا يدغمان^(٧) وهو السين والصاد ، والدال والطاء^(٨) .

كما ألاحظ أن العربي في نظمه . للشعر يجعل القافية أحياناً دالا وأخرى طاء وهو ما سماه الخليل « الإجازة »^(٩) .

وما زال هذا الصوت ينطق — كما وصفه سيبويه — في صنعاء والمناطق الشمالية من اليمن^(١٠) .

(١) الكتاب ٤/٣٣

(٢) المرجع السابق ٤/٣٤ ، ٤٣٦ ، والأصوات اللغوية ٦١-٦٣

(٣) الأصوات اللغوية ٦٣

(٤) إمام مسجد ابن محفوظ بجدة سنة ١٩٧٥ م . (٥) انظر : إتخاف ٢٣

(٦) المرجع السابق ٢٣ ، ٢٤

(٧) المرجع السابق ٢٣ ، ٢٤

(٨) الكتاب ٤/٣٦

(٩) اللسان (جوز) ١٩٥/٧

(١٠) الصوت والدلالة في اللهجات اليمنية ١١٧

يمكن إذن أن نقول - إن صح هذا الحدس - إن التاء قلبت في لغة تميم إلى نظيرها المطبق وهو الطاء . أما إذا لم يصح ظني فيمكن أن نفسر الظاهرة بأن التاء تحولت إلى نظيرها المجهور وهو الدال ، ثم قلبت الدال إلى نظيرها المطبق وهو الطاء . ولعل مما يؤيد رأيي في هذه الحالة ورود كلمات بالتاء والدال والطاء مثل : تريباق ودريباق وطريباق^(١) . ومَتَّ ومَدَّ ومَطَّ^(٢) ، وأفلعَطَّ الرجلُ (أى اشتدت جفونه فصارت كشعر الزنج) وأفلَعَدَّ وأفلَعَتَّ^(٣) .

وأظن أننا لا نكون بعيدين عن الصواب بعد هذا ، إذا قلنا إنه إذا وردت لنا صيغتان لكلمة إحداهما بالتاء والأخرى بالطاء أن نرجح نسبة الطائية إلى تميم ، وذلك مثل اللتخ واللتخ^(٤) .

١٣ - إبدال التاء فاء (جدف) :

الجَدَث بمعنى القبر في لغة الحجاز بالتاء ، وهو عند التميميين بالفاء (الجَدَف)^(٥) .

التفسير الصوتي :

قلب التاء فاء تبرره القوانين الصوتية إذ إن مخرج التاء مما بين طرف اللسان وأطراف الشنايا العليا^(٦) ، فهو صوت أسناني ، وهو أيضاً رخو^(٧) مهموس^(٨) . أما الفاء فمخرجه من باطن الشفة السفلى وأطراف الشنايا العليا^(٩) ، فهو شفهي أسناني . وهو كذلك رخو^(١٠) مهموس^(١١) ، فالصوتان إذن متجاوران مخرجا متحدان صفة . لذا وردت في العربية على اختلاف عصورها كلمات كثيرة اشتركت كل كلمتين في هذين الصوتين مع اتحاد مبنيهما .

(١) اللسان (درق) ٣٨٤/١١

(٢) المرجع السابق (ثبن) ٢٢٠/١٦

(٣) المخصص ٦٧/١

(٤) اللسان (لتخ) ١٩/٤

(٥) المحتسب ٦٦/٢ ، وانظر المصباح (جدث) ٩٢ ، وعزا الصيغة الثانية إلى تهامة ، والفائية إلى نجد .

(٦) الكتاب ٤٣٣/٤ ، والأصوات اللغوية ٤٧

(٧) الكتاب ٤٣٥/٤ ، والأصوات اللغوية ٤٧

(٨) المرجع السابق ٤٣٣/٤

(٩) الكتاب ٤٣٤/٤

(١٠) المرجع السابق ٤٣٤/٤

(١١) المرجع السابق ٤٣٥/٤

التبديل بين الصوتين عبر التاريخ :

(١) في عصور الاحتجاج :

من الكلمات التي حدث فيها إبدال بين الثاء والفاء وأبدلت الثانية من الأولى : الثروة والقروة بمعنى كثرة العدد من الناس والمال^(١) ، وثم وفم^(٢) وهو حرف عطف يفيد التراخي ، والحفالة والحثالة ، أي الرديء من كل شيء^(٣) ، وقد حوت كتب الإبدال طائفة من هذا الصنف^(٤) .

(ت) في عصور التوليد :

ونم يقتصر هذا التبادل على عصور الاحتجاج بالعربية ، بل استمر حتى عصرنا الحاضر ، ففي القرن الخامس الهجري لا حظ ابن مكى الصقلي (ت ٥٠١ هـ) أن أهل صقلية كانوا يقولون فم بدل ثم^(٥) ، وأفرم بدل أثرم^(٦) ، وهو الذي انعكست ثنيته^(٧) .

وفي الوقت الراهن لاحظ الدكتور عبد العزيز مطر خلال جولاته بالخليج العربي أن الشيعة بالبحرين يقلبون كل ثاء فاء^(٨) ، وذلك مثل : فوب ، ومفلا ، وافنين وفلافه ، وفمانيه بدلا من ثوب ، ومثلا ، واثنين ، وثلاثة ، وثمانية^(٩) . وكذلك يفعل أهل القطيف فيقولون مثلا : فلافه وفلافين بدلا من ثلاثة وثلاثين^(١٠) . وهم يشتركون مع أهل البحرين في اعتناق المذهب الشيعي .

الصيغة القدي :

إذا كان التميميون قد خالفوا غيرهم فقالوا « جدف » في « جدث » وهو اسم مفرد ، فإن كتب اللغة نصت على أن الجمع في الصيغتين أجداث بالثاء فقط^(١١) وكذلك وافق

(٢) القاموس (فهم) ١٦٠/٤

(١) اللسان (فرا) ١٠/٢٠

(٣) اللسان (حفل) ١٦٧/١٣

(٤) انظر : الإبدال لابن السكيت ١٢٥ - ١٢٧

(٥) لحن العامة للدكتور مطر ٢٢٢ (عن : تثقيف اللسان)

(٦) المرجع السابق ١٥٠ ، ٢٢٢ (عن : تثقيف اللسان)

(٧) المصباح المنير (ثرم) ٨١

(٨) ظواهر نادرة في لهجات الخليج العربي ٢٦

(٩) المرجع السابق

(١٠) عن : حمودي مباركى - كاتب العدل بريحمة .

(١١) اللسان (جدث) ٤٣٣/٢

التميميون الحجازيين في نطق الفعل ، يقول ابن جنى « وقالوا : أَجْدَثْتُ له جدثاً ، ولم يقولوا أَجْدَفْتُ »^(١) وهذا ما حدا به إلى الميل بأن الفاء بدل من الثاء ، لكنه عقب على ذلك بقوله : « وقد يجوز أن يكونا أصليين إلا أن أحدهما أوسع تصرفاً من صاحبه »^(٢) . واحتمال أصالة الصيغتين بعيدة ، لأن الصوتين متقاربان مخرجا متحدان صفة — كما قلنا — . وإن استعمال « جدث » دون « جدف » في اللغات السامية بالمعنى الوارد هنا ، يرجح أن صوت الثاء هو الأصل وأن الفاء الذى نطقت به تميم هو البدل . ففي العبرية גָּדַשׁ (جديشا)^(٣) . أما جدف גָּדַף فهي في العبرية المتأخرة بمعنى قطع وأنكر المعروف . وفي الآرامية גָּדַף بمعنى كفر^(٤) .

١٤ — إبدال الباء فاء (مصطفة) :

كان لبنى حنظلة وهم بطن من تميم نطق خاص بكلمة « مصطفة » . ونستهل دراستها بعرض النصين التاليين عن معجم لسان العرب :

١ — « قال الأزهري : سمعت أعرابياً من بني فزارة يقول لخدام له : ألا وارفع لى عن صعيد الأرض مِصْطَبَةً أبيت عليها بالليل . فرفع له من السَّهْلَةِ شبه دكان مربع قدر ذراع من الأرض يتقى بها من الهوام بالليل . قال : وسمعت آخر من بني حنظلة سماها المِصْطَفَّةَ بالفاء »^(٥) .

٢ — « قال الأزهري : سمعت أعرابياً من بني حنظلة يسمى المِصْطَبَةَ المِصْطَفَّةَ بالفاء »^(٦) .

(١) المحتسب ٦٦/٢

(٢) المرجع السابق

(٣) Gesenius, Hebrw and English Lexicon, p. 155.

(٤) المعجم الكبير (جدث) عن خير اللغات السامية

(٥) Gesenius, Hebrew and English p. 154

(٦) اللسان (صطب) ١١/٢ والمادة ليست في « تهذيب اللغة » المطبوع .

(٧) اللسان (صطف) ٩٥/١١ والمادة ليست في « تهذيب اللغة » المطبوع .

الصلة الصوتية بين الصوتين :

الصوتان موضع الخلاف في هذه الكلمة هما : الباء ، والفاء المتجاوران مخرجا . فالباء مما بين الشفتين^(١) ، أما الفاء فمن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا^(٢) ، فالتبادل بينهما تجيزه القوانين الصوتية .

وهناك أمور ثلاثة جديرة بالتعليق عليها في هذه الكلمة ، وهى :

١ - نسب النص الأول الخاص بهذه الكلمة نطق الباء لأحد بنى فزارة في مقابل الفاء لبنى حنظلة من بنى تميم . ونطق الباء ليس خاصاً ببنى فزارة ، وإنما هو النطق الذى شاع في اللغة المشتركة ، ودليل ذلك :

(١) ما نقله ابن منظور عن الأزهري في مادة (صطف) وهو النص الثانى الذى ذكرناه والذى يفهم منه شيوع نطق الباء في اللغة المشتركة .

(ب) ما روى عن ابن سيرين من أنه قال « وأقيمت على مصطبة بالبصرة »^(٣) .

(ج) قول أبى الهيثم « المصطبة - بالتشديد - مجتمع الناس ، وهو شبه الدكان تجلس عليها »^(٤) .

٢ - ضبط الباء والفاء المبدلة منها : ضبطت الفاء في النص الأول بالتشديد ، وكذلك الباء في « تاج العروس »^(٥) وفي قول أبى الهيثم الآنف ذكره . ولكن ضبط بفتح الباء والفاء دون تشديد في النص الثانى الذى نقله ابن منظور عن الأزهري .

٣ - ضبط الميم : ضبطها بعض اللغويين بالفتح وبعضهم الآخر بالكسر . وقد لاحظنا الكسر في النص الأول بالنسبة للغة بنى فزارة وكذلك كسر الفيروزابادى الميم في « مصطبة »^(٦) ،

(١) الكتاب ٤/٣٣٣

(٢) المرجع السابق

(٣) لسان العرب (صطب) ١١/٢ ، ١٢

(٤) المرجع السابق ١٢/٢

(٥) تاج العروس (صطب) ١/٣٣٤

(٦) القاموس (صطب) ١/٩٢

ونرى الفتح في قول ابن سيرين السابق ذكره . ورأينا الفتح والكسر في قول أبي الهيثم السابق إيراده .

كل هذا الخلاف مرجعه أن الكلمة سريانية الأصل^(١) . متصلاً *mastabto* ونرجح أنه كان ينطق كذلك لدى العرب فالذين نطقوا الكلمة بكسر الميم عاملوا الكلمة على أنها اسم لآلة . والذين فتحوا نظروا إليها - إلى جانب أنها تنطق كذلك في الأصل مفتوحة - على أنها اسم مكان ، والذين نطقوا بالباء وهم الأكثر راعوا الأصل . وأما الناطقون بالفاء وهم بنو حنظلة ، فقد قلبوا الباء فاءً . أما تشديد الفاء مرة وعدم تشديدها أخرى ، فأرى أنه تصحيف لأن المنسوب إليهم الحالتان قوم معينون هم بنو حنظلة ومصدر النسبة واحد وهو الأزهرى ، وإن تعددت المادتان الوارد بهما النص .

(١) الألفاظ السريانية في المعاجم العربية (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ٢٥ ج ١٠) ١٧

ثانياً : ما احتفظت فيه تميم بالأصل

وهذا الصنف كله غير مطرد :

١ — إبدال الحاء عينا (الحرجلة) :

ذكر الخليل أن « العرجلة » القطيع من الخيل ، وهى بلغة تميم « الحرجلة »^(١) ومعنى ذلك أن تما آثرت فى هذه الكلمة الحاء على العين .

الصيغة القدى :

هذه الكلمة مأخوذة من الكلمة الآرامية *hargēlā* « حرجلا »^(٢) . ونطق الكلمة

بالحاء فى الآرامية يجعلنا نقرر أن الصيغة التميمية هى القدى تطورت عند غيرهم .

التفسير الصوتى :

تتفق العين والحاء فى المخرج ، فهما حلقيان من حيز واحد ، وهو وسط الحلق^(٣) إلا أن العين مجهورة والحاء مهموسة^(٤) ، أى أن غير التميميين جهروا بالصوت بعد أن كان مهموساً . والتبادل بين هذين الصوتين أمر طبيعى . وفى كتب الإبدال أمثلة كثيرة له ، منها : الحَبَكَّة والعَبَكَّة ، وهى الحَبَّة من السويق^(٥) وسَجَع الحمام وسَجَج^(٦) ، كما نجد لهما أمثلة كثيرة فى لهجاتنا الحديثة ، من ذلك شُعْط ، وعُكَّى بدلاً من شَحْطه (أى جعله يضطرب) وحكى فى تطوان^(٧) ، وذلك بإبدال الحاء عينا كما هو الشأن فى كلمة حرجلة . ونجد عكس ذلك لديهم يبدلون العين حاء كما فى سَخْتَرْ وَل كُحْكُ بدلاً من سَعْتَر والكَعَك^(٨) .

ونلاحظ التبادل بين الصوتين فى العامية المصرية إذ تستعمل الصوتين العين والحاء حرف استقبال . الحاء يستعملها أهل القاهرة فى مثل قولهم : حيكتب ، والعين يستعملها سكان الصعيد فيقولون : عيكتب .

(١) الصحاح (عرجل) ١٧٦٣/٥ ، وانظر : اللسان (حرجل) ١٥٨/١٣ ، و(عرجل) ٤٦٥/١٣

(٢) الدخيل فى اللغة العربية (مقال نشر بمجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة) م / ١٠ ج ٢ ص ١٠٣

(٣) الكتاب ٤٣٣/٤ (٤) المرجع السابق ٤٣٤/٤

(٥) الصحاح (حبك) ١٥٧٨/٤ و (عبك) ١٥٩٨/٤

(٦) القاموس (سجج) ٢٢٧/١ و (سجج) ٣٦/٣ ، وانظر أمثلة أخرى فى : الإبدال لابن السكيت ٨٦ ، ٨٧

(٧) لهجة شمال المغرب ٧٧ (٨) المرجع السابق ٨١

٢- إبدال القاف كافا (زحلوقة) :

كانت تميم تقول : « زُحلوقة » وتجمعها على « زَحاليق » وتعني بها « آثار تزليج الصبيان من فوق إلى أسفل وشاركتهم في هذا النطق هوازن »^(١) . ونطق بعض العرب - من غير أهل العالية - هذا اللفظ بالكاف فقالوا : « زُحْلُوكة »^(٢) . وسنعود إلى هذا اللفظ عند الحديث عن « التبادل بين الأصوات المتباعدة » .

ويمكن أن يكون قاب الكاف كافاً مر بمرحلة واحدة أي من الكاف التميمية إلى الكاف مباشرة ، أو مر بمرحلتين ، أي إلى القاف الفصيحة ثم منها إلى الكاف سواء أكان ذلك عند من ينطقون القاف كافاً أم عند غيرهم . وقد وضعنا من قبل الصلة الصوتية بين هذه الأصوات الثلاثة الكاف والقاف الفصيحة والكاف .

٣- إبدال الضاد ظاء (فاض) :

عرض كثير من العلماء للصيغتين « فاضت نفسه » و « فاضت » بمعنى مات وتعددت آراء العلماء في نسبة كل صيغة . ومجمل هذه الآراء :

١- ينسب الكسائي (ت ١٨٩ هـ) الصيغة الضادية (فاضت نفسه) إلى ناس من تميم ولم ينسب الأخرى^(٣) . وهذا يعني أنها المستعملة في اللغة المشتركة .

٢- نسب السرقسطي (ت نحو ٤٠٠ هـ) الضادية إلى تميم فقط دون تعرض للظائية^(٤) . وهذا يتفق والرأي السابق مع تعميمه النسبة إلى جميع التميميين .

٣- عزأ أبو عبيدة (ت نحو ٢٠٩ هـ) الضادية إلى تميم والظائية إلى قيس^(٥) .

٤- ذكر الفراء (ت ٢٠٧ هـ) أن الصيغة الضادية خاصة بتميم وأشرك معهم كلباً ، وعد الظائية هي الفصحى^(٦) .

(١) الإبدال لابن السكيت ١٤٤

(٢) اللسان (زحلك) ٣٢٠/١٢

(٣) الغريب المصنف ٢٢٥ / ب ، وإصلاح المنطق ٣١٧ ، والمخصص ١٢٦/٦ ، عن أبي عبيد .

(٤) الأفعال ٣٣/٤

(٥) اللسان (فيض) ٧٧/٩

(٦) اللسان (فوظ) ٣٣٣/٩

- ٥- ونسب الضادية أيضًا إلى تميم وقيس وقضاعة ، والظائية إلى الحجاز وطي^(١) .
- ٦- عزّا أبو زيد (نحو ٢١٥ هـ) الصيغة الضادية إلى بنى ضبة وحدهم والظائية إلى بقية العرب^(٢) .
- نخلص من ذلك أن العلماء المذكورين اتفقوا على نسبة « فاض » إلى تميم سوى أبي زيد الذى عزّاها إلى ضبة وحدهم . ثم إن هؤلاء الذين نسبوها إلى تميم لم يتفقوا على قول موحد ، فمنهم من قصره على بعض تميم ، ومنهم من نسبها إليهم جميعا بل أشرك معهم قبائل أخرى ، هى : ضبة ، أو قضاعة وقيس ، أو كلب .
- أما الصيغة الظائية فبالرغم من وجود خلاف بين العلماء فى نسبتها إلى أقوام معينين ، فإن هناك شبه إجماع على أنها المستعملة فى اللغة المشتركة .
- ومرد الخلاف بين العلماء هو مدى اتصالهم بقبائل العرب وملاحظة لغاتهم ، فمن عزّا إلى تميم بصفة عامة قد يكون لاحظها عندهم جميعا ، أو لدى بعضهم ولكنه عممها . وكل من عزّا إلى قبيلة أخرى ، فإن تحديده على قدر علمه .
- ونلاحظ أن أبا عبيدة نسب الصيغة الظائية إلى قيس فى حين إن غيره ضم القيسيين إلى الناطقين بالضادية كتميم . وأرجح أن ما نسب إلى أبي عبيدة فيه تحريف ، إذ المقصود « قريش » لا « قيس » ؛ وذلك لأن الظائية عزيت عند غيره إلى الحجاز التى تضم قريشًا وغيرها ، والتى يذكرها بعض اللغويين مرادفة لها . ثم إن الظائية وصفت بأنها الفصحى وهذا يتلاءم وقريشًا لا قيسًا . والذى يعيننا هنا أن تميمًا آثرت الصيغة الضادية . وسواء أكان هذا النطق لدى بعضهم أو عامًا فيهم ، فإنها خاصية من خاصياتهم . ومن الملاحظ أن القبائل التى ذكر العلماء أنها شاركتهم فى هذا النطق هى من القبائل التى كانت تتجاورهم فى المسكن مما يجعل ذلك أمرًا طبيعيًا .

(١) المرجع السابق (فيظ) ٣٣٤/٩

(٢) المرجع السابق .

الصيغة القدمى :

إذا اتجهنا إلى المادتين فى كتب اللغة لنتبين المعنى الكلى لكل منهما ، نجد أن (فيض) تدل على سيولة الشيء بعد امتلائه^(١) . يقال : فاض الماء والدمع ونحوهما : كثر حتى سال^(٢) . ومن ذلك أيضًا : فاض أى مات^(٣) .

أما (فيظ) فلا تشتمل من المعانى إلّا على فاض بمعنى مات^(٤) وكذلك مادة (فوظ)^(٥) . وما دامت الصيغة الضادية تشتمل على عدة معان ترجع إلى السيولة بعد الامتلاء ، والظائية لا تشتمل إلّا معنى فرعياً واحداً ورد أيضاً فى الضادية ، فإن ذلك يعنى أن الصيغة التميمية هى القدمى والأخرى هى الحديثة رغم أنها شاعت فى اللغة المشتركة .

تفسير الظاهرة :

الضاد كما وصفها سيبويه صوت مجهور^(٦) ، رخو^(٧) ، مطبق^(٨) يخرج من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس^(٩) ، ويقول صاحب النشر : « والمخرج للضاد المعجمة من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر ومن الأيمن عند الأقل ، وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين »^(١٠) .

أما الظاء فقد وصفها سيبويه أيضًا بأن مخرجها مما بين طرف اللسان وأطراف الشايبا^(١١) ، وأنها مجهورة^(١٢) ورخوة^(١٣) ومطبقة^(١٤) .

الصوتان إذن متفقان صفة متجاوران مخرجاً .

(١) مقاييس اللغة (فيض) ٤/٤٦٥ ، ٤٦٦ ، واللسان (فيض) ٧٦/٩ - ٧٨

(٢) اللسان (فيض) ٧٦/٩

(٣) مقاييس اللغة (فيض) ٤/٤٦٦ ، واللسان (فيض) ٧٦/٩ - ٧٨

(٤) انظر : مقاييس اللغة (فيظ) ٤/٤٦٦ ، اللسان (فيظ) ٣٣٣/٩ ، ٣٣٤

(٥) اللسان (فوظ) ٣٣٣/٩ (٦) الكتاب ٤/٤٣٤

(٧) المرجع السابق ٤/٤٣٥ (٨) المرجع السابق ٤/٤٣٦

(٩) المرجع السابق ٤/٤٣٣

(١٠) النشر ١/٢٠٠

(١١) الكتاب ٤/٤٣٣

(١٢) المرجع السابق ٤/٤٣٤

(١٣) المرجع السابق ٤/٤٣٥

(١٤) المرجع السابق ٤/٤٣٦

وهناك ضادٌ وظاءٌ غير هذين ذكرهما سيبويه على أنهما غير مستعملين في اللغة المشتركة فهما من الأصوات غير المستحسنة في لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر^(١). ولم يصف هذين الصوتين - وكذلك بقية الأحرف غير المستحسنة - وإنما اكتفى بقوله عن الضاد بأنها « الضعيفة »^(٢) وأنها تتكلف من الجانب الأيمن ، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف^(٣).

ويظهر أنه كان للضاد نطق غير هذين اللذين ذكرهما سيبويه ، فالسيوطي ينقل في الهمع عن أبي حيان قوله : « وذهب الخليل إلى أن الضاد شجرية من مخرج الجيم والشين »^(٤). وإن اختلف النطق لهذين الصوتين جعل التفريق بين نطقيهما من الأمور العسيرة . ولذا اهتم العلماء بوضع مؤلفات لتحديد الفرق بينهما كأرجوزة ابن قتيبة ، و « الفرق بين الأحرف الخمسة » للبطلاني^(٥).

ولصعوبة النطق بهذين الصوتين سقطا من الأكديّة والعبريّة وحل محلّهما الضاد التي أصبحت تقابل فيهما ثلاثة أصوات في العربيّة هي الضاد والضاد والظاء^(٦).

وإذا كانت تميم تنطق الضاد والظاء حسب وصف سيبويه للحروف التسعة والعشرين المستحسنة - وهذا ما نميل إليه ؛ لأن لغة تميم إحدى اللغات الستة التي اعتدّها اللغويون ، ولأن العلماء لم يشيروا إلى وجود هذا العيب كما أشاروا إلى العيوب الأخرى مثل العنونة والكشكشة - فإن الصوتين متفقان صفة متجاوران مخرجاً كما قلنا . ومن الملاحظ أن طريقة نطق الضاد أصعب من الظاء ، بل هي كما يقول السيوطي : « أصعب الحروف

(١) الكتاب ٤/٣٢٢

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) همع الهوامع ٢/٢٢٨.

(٥) انظر : مشكلة الضاد العربيّة وتراث الضاد والظاء في مجلة المجمع العلمي العراقي ٢١/٢١٤-٢٤٠

(٦) أسس علم اللغة ١٤٣

في النطق ^(١) . ويقول برجشتراسر « فالضاد العتيقة حرف غريب جدا غير موجود حسبها أعرف في لغة من اللغات إلا العربية » ^(٢) .

وإذا طبقنا نظرية السهولة التي تنادى بأن الإنسان يميل في نطقه إلى الاقتصاد في المجهود العضلي ^(٣) ، وطبقنا كذلك ما لاحظته يسبرسن Jespersen — في ضوء دراسته للغات البدائية في أنها تحوى أصواتاً صعبة — أننا كلما بحثنا في المراحل السابقة للغة ما وجدناها تحوى أصواتاً صعبة ^(٤) . إننا إذا طبقنا ذلك نستطيع أن نؤكد ما ذهبنا إليه من أن الصيغة التميمية (فاض) هي الأصل وأن الصيغة الأخرى (فاظ) هي الفرع. وهذا الذي ذهبنا إليه قد لاحظته القدماء من قبل ، جاء في تاج العروس « الضاد حرف هجاء، وهو حرف مجهور وهو أحد الحروف المستعلية يكون أصلاً لا بدلاً » ^(٥) .

٤- بين الراء واللام (مُبْرَسَم . هِجْرَس . لَغَن) :

١- ذكر أبو عمرو بن العلاء أن « قيس تقول للمريض : مُبْرَسَم ، وتميم تقول : مُبْرَسَم » ^(٦) .

٢- كانت تميم تطلق على الثعلب « هِجْرَس » ونطقه بعض العرب « هِغْلَس » ^(٧) .

٣- كان التميميون يقولون أيضاً : « لَغَن » ونطقها بعض العرب « رَغَن » ^(٨) .

التفسير التاريخي :

أمامنا ثلاثة ألفاظ تعددت صور نطق كل منها، ويعنيها هنا أن تميماً آثرت في اثنين منها الراء على اللام وفي الثالثة اللام على الراء والصيغ التميمية هي الأصلية تطورت عند غيرهم ، وفيما يلي بيان ذلك :

(١) هم الموامع ٢٢٨/٢

(٢) التطور النحوى ١٨

(٣) الأصوات اللغوية ٢٢٤

(٤) قضايا لغوية ١٢٦

(٥) تاج العروس ٤٠٦/٢

(٦) تهذيب اللغة ١٥٨/١٣

(٧) المرجع السابق ٤٩٨/٦ .

(٨) اللسان (لغز) ٢٧٥/١٧

١- مُبرَسَم ومبلسم :

الصيغتان مشتقتان من « بَرَسَم » و « بِلَسَام »^(١) وهما يرجعان إلى أصل فارسي هو « بَرَسَام » بمعنى مرض الصدر، واكتئاب وورم في المعدة^(٢) والكلمة مركبة من كلمتين هما : « بَر » أي صدر^(٣) و « سام » بمعنى ورم أو مرض^(٤). ومعنى ذلك أن الصيغة التميمية هي القدي والقيسية متطورة عنها .

٢- هَجْرَس وهقلس :

وترجيحنا هنا قدم الصيغة التميمية ؛ لأنها هي التي شاعت بدلالة أخرى هي القرد عند الحجازيين^(٥).

٣- لغن ورغن :

وإذا كان التميمي في الكلمتين السابقتين آثر الراء على اللام ؛ فإنه هنا فعل العكس وهو في الحالين مؤثر للصيغة القدي وترجع أصالة اللام هنا إلى أنها هي التي كانت شائعة في اللغة المشتركة وإن كانت بصورة أخرى هي (لعل) لكنها تشترك مع التميمية اللام الأولى .

التفسير الصوتي :

ما حدث من تطور في هذه الكلمات الثلاث من إبدال الراء لاما أو العكس يتفق وقانون الإبدال ، فالصوتان يشتركان في أن كلاهما صوت مجهور ومتوسط بين الشدة والرخاوة^(٦) وأنهما يخرجان من حيز واحد ، فاللام مما بين حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وبين ما يليها من الحنك الأعلى والراء من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا

(١) انظر : اللسان (برسم) ٣١٢/١٤ و (بلسم) ٣٢٢ / ١٤

(٢) F.Steingass, Persian - English Dictionary p. 174.

(٣) Ibid p. 166.

(٤) Ibid. p. 643.

وانظر في المواضع الثلاثة السابقة : تفسير الألفاظ الدخيلة ٩

(٥) اللسان (هجرس) ١٣٣/٨

(٦) الكتاب ٣٣٤/٤

مع دخوله في ظهر اللسان قليلاً^(١). ورغم اتحاد هذين الصوتين في الصفة إلا أن الراء التي اختارتها تميم في كلمتين أوضح في السمع من اللام^(٢).

وفي كتب اللغة - وعلى الأخص الإبدال - أمثلة كثيرة للتبادل بين هذين الصوتين^(٣) مثل الطَّرْجَهالة والطَّرْجَهارة لإناء كالفِنْجانة^(٤).

ومن ذلك أيضاً قول بعض العامة في مصر : « السَّحالي » ويعنون « الصحارى ».

هـ - إبدال اللام نونا (جَبْرُئِيل) :

كان بنو تميم - وشاركهم في ذلك القيسيون - يقولون : « جَبْرُئِيل » في حين إن بني أسد كانوا ينطقونه جَبْرَيْن بالنون^(٥). وهذه الكلمة علم أعجمي من الكلمة العبرية **גְּבְרִיִּל** (جَبْرِيئِيل) بمعنى رجل الله^(٦). وهذا يعني أن الصيغة الأسدية هي المتطورة عن التميمية.

وقد ذكرنا في القسم السابق الصلة بين هذين الصوتين (اللام والنون) مما يجعل أحدهما يبدل منه الآخر.

موقف القراءات من الصيغة التميمية :

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات في قوله تعالى : (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيْلَ)^(٧) وقد قرأ ثلاثتها وفق النهج التميمي (جَبْرُئِيل) حمزة والكسائي^(٨) وخلف^(٩) والأعمش ، والعُليّمي عن أبي بكر^(١٠).

(١) سر صناعة الإعراب ٥٢/١

(٢) في اللهجات العربية ١٨٩

(٣) انظر على سبيل المثال : الإبدال لابن السكيت ١١٥-١١٧

(٤) اللسان : طرجهل ٤٢٥/١٣

(٥) تفسير الطبري ٣٨٨/٢ ، ٣٨٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/١٤ .

(٦) Gesenius, Hebrew and English Lexicon p. 150.

(٧) البقرة ٩٧/٢ ، وانظر اللفظ في الآيتين : البقرة ٩٨/٢ ، والتحريم ٤/٦٦

(٨) السبعة ١٦٧ ، والتيسير ٧٥

(٩) تحبير ٨٨

(١٠) إتحاف ١٤٤ ، وفيما يلي تعريف بهؤلاء القراء :

الصيغة التميمية في الشعر :

وإذا ما عرجنا على الشعر نجد الصيغة التميمية ترد على لسان أحد الشعراء التميميين وهو جرير في قوله يهجو الأخطل :

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل وكذبوا ميكالا^(١)

كما وردت في قول كعب بن مالك الأنصاري :

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة يد الدهر إلا جبرئيل أمامها^(٢)

٦- إبدال الشاء فاء (لثام - ثوم) :

(أ) لثام :

ذكر أبو زيد (ت نحو ٢١٥ هـ) أن « تميم تقول : تلثمت على الفم وغيرهم تلثمت »^(٣) . ولم يكن الخلاف بين تميم وغيرها محصوراً في الفعل وإنما تعداه إلى الاسم والمصدر ، ففعل : لثام ولفام^(٤) ، وتلثم وتلفم^(٥) . إلا أن الفراء فرق بين الصيغتين

= (أ) حمزة : هو أبو عمار بن حبيب الزيات التميمي ولاء . أحد القراء السبعة المشهورين . قرأ على سليمان الأعمش وابن أبي ليلى وجعفر الصادق (التيسير ٩٧٤ ، معرفة القراء ١ / ٩٣ - ٩٩) .

(ب) الكسائي : هو علي بن حمزة الكسائي ، أحد الأئمة السبعة المشهورين ومن أئمة الكوفة . قرأ على حمزة واختار من قراءته وقراءة غيره قراءة متوسطة . وتوفي سنة ١٨٩ هـ (السبعة في القراءات ٧٨ ، وغاية ١ / ٥٣٥ - ٥٤٠) وكان إلى جانب ذلك إماماً في اللغة والنحو (نزهة الألباء ٤٢ - ٤٨) .

(ج) خلف : هو أبو محمد خلف بن هشام البزاز أحد القراء العشرة المشهورين وأحد الرواة عن سليم عن حمزة (اتحاف ٧) وتوفي سنة ٢٢٩ هـ (التيسير ٧) .

(د) الأعمش : هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي ولاء . قرأ القرآن على يحيى بن وثاب ، وقرأ عليه حمزة الزيات وغيره . توفي سنة ١٤٨ هـ (معرفة القراء ١ / ٧٨ - ٨٠) ، وغاية النهاية ١ / ٣١٥ ، ٣١٦) .

(هـ) العليمي : هو أبو محمد يحيى بن محمد بن قيس العليمي (بضم العين وفتح اللام) الأنصاري الكوفي . أخذ عن أبي بكر شعبة (أحد راوي عاصم) ، وكان ثقة صحيح القراءة . توفي سنة ٢٤٣ هـ (لطائف الاشارات ١ / ١٤٠) .

(و) أبوبكر : هو شعبة بن عياش الأسدي بالولاء أحد راوي عاصم توفي بالكوفة سنة ١٩٤ هـ (التيسير ٦) .

(١) ديوانه ٣٦١ ، وتفسير الطبري ٣٨٨ / ٢ ، ٣٨٩

(٢) الصحاح (جبر) ، واللسان (جبر) ١٨٤ / ٥

(٣) الغريب المصنف ٣ / ١ (باب لباس النساء وثيابهن) والنص أيضاً في اللسان (لثم) ٥ / ١٦ ، و (لفم) ١٩ / ١٦

وانظر : الصحاح (لفم) ٢٠٣٠ / ٥ ، والتاج (لثم) ٥٥ / ٩ ، و (لفم) ٦١ / ٩

(٤) اللسان (لثم) ٥ / ١٦ ، و (لفم) ١٩ / ١٦

(٥) الصحاح (لفم) ٢٠٣١ / ٥

فجعل اللثام على الأنف واللفام على الأرنبه^(١) . ولا أعتقد أن هناك فرقاً في الدلالة بينهما ، وإنما مرد ما ذكر من تفریق إلى اختلاف عادات القبائل في طريقة التلثم ، وهذا لا يكون مدعاة لتغيير في بعض أصوات الكلمة ، وإنما تصادف أن رأى مسجل اللغة من ينطق لثاماً يضعه على أنفه ، ومن ينطق لثاماً يضعه على الأرنبه .

(ب) ثوم :

قال تعالى : (فاذع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها ومها وعكاسها مصلها)^(٢) . وقد فسر القوم بأنه :

١- الحنطة .

٢- الثوم المشاكل للبصل وأن الفاء مبدلة من الثاء . وهذا رأى الكسائى والفراء^(٣) . ويذكر الكرمانى (ت ٥٠٥ هـ) أن الثوم لغة بنى تميم وبها قرأ ابن مسعود ، وابن عباس^(٤) .

ويعنينا هنا أن كلمة الثوم المشاكل للبصل نطقت أيضاً بالفاء وأن النطق الأول خاص ببنى تميم ، فأى النطقين هو الأصل وأيهما المتطور عنه ؟

إذا لجأنا إلى الساميات نجد أن الشين العبرية تقابل التاء في الآرامية والفاء في العربية . وإذا كانت كلمة الثوم في العربية يقابلها شوم šūm في العبرية وتوما tawmā في الآرامية ، وهذا يعنى أن أصل الكلمة في العربية بالشاء وأما الفاء فتطور عنها^(٥) . ويؤكد أيضاً قدم النطق التميمى وتطور الآخر عنه .

وقد ذكرنا عند الحديث عن « الإبدال عند تميم » الصلة بين الصوتين التى تجعل إبدال أحدهما من الآخر أمراً تقره القوانين الصوتية .

(١) اللسان (لثم) ١٦/٥

(٢) البقرة ٦١/٢

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٥/١

(٤) شواذ القراءة للكرمانى ٢٦ والتارىء الثانى هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب . قرأ القرآن على أبى وروى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - وعمر وعثمان وعلى وغيرهم^(٥) ، وقرأ عليه خلق كثير لا يحصون أمثال مجاهد وسعيد بن جبير والأخرج . توفى سنة ٦٨ هـ (معرفة القراء ١/٤١ ، ٤٢) .

(٥) فصول فى فقه العربية ٤٩

ثالثا : المجهول الأصل

وهذا النوع كله من غير المطرد :

١- بين القاف والكاف (النُّكَّة) :

يذكر الجوهري أن « النُّكَّة » من الإبل : التي ذهبت أصواتها من الضعف ، وهي لغة تميم في النُّكَّة^(١) . وقد وردت الصيغة التميمية على لسان رؤبة الراجز التميمي في قوله :
* بعد اهتضام الراغيات النُّكَّة *^(٢)

وإذا رجعنا إلى مادتي هاتين الصيغتين في المعاجم العربية ، وجدنا أن النون والكاف والهاء (نكه) تدل على ريح فم الإنسان^(٣) . أما (نقه) فهي بمعنى برئ من المرض وبمعنى فهم^(٤) ، ولا أجد صلة تربط ريح الفم بالإبل التي ذهبت أصواتها من الضعف ، وهذا ما لاحظته ابن فارس من قبل حيث قال بعد أن ذكر المعنى الكلي لمادة (نكه) : « ويقولون - وما أدرى كيف هو ؟ - : إن النكه من الإبل التي ذهبت أصواتها من الضعف »^(٥) . لكننا إذا رجعنا إلى مقلوب هذه المادة الأخيرة (نهك) فإننا نجد من دلالاتها الضعف من أثر المرض^(٦) .

أما إذا توجهنا إلى الساميات فنجد أن (نقه) في العبرية والآرامية נָקַח بمعنى نظف ، ومنه الكلمة العربية « نقي »^(٧) . لكن (نكه) נִכְה (ناخا) من معانيها في العبرية أصيب بمرض^(٨) .

(١) الصحاح (نكه) ٢٢٥٤/٦ / والنص أيضا باللسان (نكه) ٤٤٨/١٧

(٢) شرح الديوان ١٢٦ (اهتضام : قسر ، والبعر إذا رغا ذل) .

(٣) مقاييس اللغة (نكه) ٤٧٤/٥

(٤) اللسان (نقه) ٤٤٧/١٧

(٥) مقاييس اللغة (نكه) ٤٧٤/٥

(٦) اللسان (نهك) ٣٩٠/١٢

Gesenius, Hebrew and English p. 667.

(٧)

Ibid, p. 640

(٨)

ومعنى ذلك أحد احتمالات ثلاثة :

١- أن العربى استعمل (نقه) فى معنى مضاد لمعناها الأصلى على سبيل التفاؤل ، والعربى كثيراً ما يستعمل كلمات مبتعداً عن معناها لهذا السبب ، وذلك مثل استعماله السليم بمعنى اللديغ^(١) ، ثم قلب التميمى القاف كافاً ، أى أن نطقه هو المتأخر تاريخياً .

٢- أن الكلمة مقلوبة عن « نهك » عند التميمى ثم تحولت الكاف كافاً عند غير تميم ، فاللغة التميمية تمثل حينئذ مرحلة بين مرحلتين أخريين .

٣- أن الأصل « نكه » كما هو الشأن فى العبرية ثم تحولت إلى « نقه » عند غير تميميين .

وقد ذكرنا عند الكلام عن « القاف التميمية والكاف » فى التطور التاريخى عند تميم لصلة التى تربط بين الهمذين الصهتين مما يجعل إبدال أحدهما من الآخر مستساغاً ، سواء مرت الصيغة - منهم أو إليهم - بمرحلة واحدة أم بمرحلتين .

١- بين الراء والواو (التَّوْصِيص) :

يذكر أبو زيد أن « التَّوْصِيص : ألا يُرى إلّا عينها ، وتميم تقول : هو التَّوْصِيص . قد رَصَّصْتُ ووصَّصْتُ »^(٢) .

موضع الخلاف بين الصيغتين هو الراء والواو ، وهما صوتان مجهوران^(٣) متوسطان بين الشدة والرخاوة^(٤) . ويصف القدماء مخرجيهما بأن الراء من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا غير أنها أدخل فى ظهر اللسان قليلاً^(٥) ، وأن مخرج الواو مما بين لشففتين^(٦) ، لكن المحدثين يقررون أن مخرج الواو ليس من بين الشفتين كما ظن القدماء

(١) اللسان (سلم) ١٨٤/١٥

(٢) الغريب المصنف ١/٣٤٩

(٣) الكتاب ٤/٤٣٤

(٤) سر صناعة الإعراب ١/٦٩

(٥) الكتاب ٤/٤٣٣ وسر صناعة الإعراب ١/٥٢

(٦) الكتاب ٤/٤٣٣ ، وميزر صناعة الإعراب ١/٥٣

بل هو في الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك غير أن الشفتين حين النطق بهما تستديران^(١) ، فالواو والراء بالإضافة إلى أنهما متفقان في الصفة يتقاربان في المخرج إذ الأولى من أقصى الحنك والأخرى من وسطه .

نخلص مما سبق أن بين الراء والواو صلة تدعو إلى إمكان التبادل بين الترصيص والتوصيص وبين الفعلين وَصَّصَ ورَصَّصَ . لكننا مع ذلك يصعب علينا معرفة الصيغة القدي والأخرى المتطورة عنها ؛ لأن مادة (رصص) تدل على إحكام الشيء وجمعه وضم بعضه إلى بعض^(٢) . وتدل (ووصص) على إحكام العمل من بناء وغيره^(٣) . فالمعنى الكلي للصيغتين واحد .

ومن أمثلة الإبدال بين هذين الصوتين في العربية قولهم : إنه لرزين الرأي ووزينه^(٤) ورَمِهَ اليوم وكذلك ومِهَ بمعنى اشتد حره ، ورجل وفِيق في أمره ورَفِيق^(٥) .

٣- بين الراء واللام (فرق) :

ذكر قطرب (ت سنة ٢٠٦ هـ) أن تميماً كانت تقول : فرق الصبح ، وغيرهم : فلق الصبح^(٦) .

وإذا رجعنا إلى المادتين (فرق) و (فلق) في كتب اللغة نجد المعاني الواردة في كل منهما تندرج تحت معنى كلي واحد ، هو الفصل بين شيئين والتمييز بينهما^(٧) . فمن الصعب إذن الحكم على أصالة إحداهما وتطور الأخرى عنها .

وقد ذكرنا عند الحديث عن « الراء واللام » فيما احتفظت فيه تميم بالأصل تفسير التبادل بين هذين الصوتين .

(١) الأصوات اللغوية ٤٣

(٢) اللسان (رصص) ٣٠٦/٨ ، ٣٠٧

(٣) انظر : المرجع السابق (ووصص) ٣٧٤/٨

(٤) الإبدال لأبي الطيب ٩٩/٢

(٥) المرجع السابق ١٠١/٢

(٦) الأزمنة والأمكنة ٣٢٧/١

(٧) انظر : اللسان (فرق) ١٧٤/١٢ و (فلق) ١١٨٤/٧٧١٢

٤- بين أصوات الصفيير : السين والصاد والزاي (لصق) :

نسب إلى تميم أنها كانت تقول : لصق يلصق لصوقا ، وقيس تقول : لسق ، وربيعه تقول : لزق^(١) .

والأصوات الثلاثة السين والصاد والزاي تتفق في أنها من مخرج واحد وهو طرف اللسان وفويق الشنايا^(٢) ، وأنها جميعها رخوة^(٣) . ويحدث عند النطق بها صفيير عال لا يشتركها في نسبة علوه غيرها من الأصوات^(٤) . وموضع الخلاف بينها أن الزاي صوت مجهور والصوتين السين والصاد مهموسان^(٥) ثم تختلف الصاد عن السين في أن اللسان مع الصاد يتخذ شكلاً مقعراً وهو ما يطلق عليه الإطباق^(٦) . أما السين فهو المقابل المفتوح له^(٧) . وإذا رجعنا إلى المواد (لصق) ، و (لزق) و (لسق) في تهذيب اللغة^(٨) ولسان العرب^(٩) نراها تدل على « الاتصال » ونجد من الصعب معرفة أيها الأصل .

ولكن إذا صح ما ذهب إليه الدكتور عبد الصبور شاهين من أن إبدال المجهور مهموساً أكثر من قلب المهموس مجهوراً^(١٠) ، فإن هذا يعنى قدم « لزق » على الصيغتين الأخريين « لسق » و « لصق » .

ونلاحظ إلى جانب ذلك أن استعمال تميم الكلمة بالصاد (لصق) يتفق ونهج فرع منهم وهم بنو العنبر أو بنو عمرو بن تميم - وبنو العنبر بطن منهم - فقد كانوا يقبلون السين صاداً إذا وليها أحد حروف الاستعلاء ومنها القاف - على ما سنوضحه في « التامل التخلني

(١) تهذيب اللغة ٣٧١/٨ ، واللسان (لصق) ٢٠٥/١٢ ، والتاج (لسق) ٦١/٧

(٢) الكتاب ٤٣٣/٤

(٣) المرجع السابق ٤٣٥/٤

(٤) الأصوات اللغوية ٧٤

(٥) الكتاب ٤٣٤/٤

(٦) المرجع السابق ٤٣٦/٤

(٧) الأصوات اللغوية ٧٦

(٨) انظر : التهذيب (لصق) ٣٧١/٨ و (لزق) ٤٣٠/٨ ، ٤٢١ ، و (لصق) ٤٠٦/٨ ، ٤٠٧

(٩) اللسان (لصق) ١٢ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ و (لزق) ٢٠٥/١٢ ، و (لسق) ٢٠٥/١٢

(١٠) القراءات القرآنية ٤٠٥

الجزئى المنفصل « - والقول بهذا معناه أن الصيغة التميمية هى الحديثة ويعنى فى الوقت ذاته أمراً آخر وهو وجودها عند فرع من تميم فقط . وفى الوقت نفسه نحب أن نقرر أنه ليس أمراً حتمياً أن تكون كل كلمة من هذا النوع صيغتها الصادية متطورة عن السينية وفقاً للقانون العنبرى لأن هذا يعنى خلو كل كلمة تشتمل على حرف إطباق من الصاد .

والنتيجة بعد هذا كله أننا لانستطيع الجزم بقدم أى من الصيغ الثلاث .

هـ - بين الصاد والزاي (الهيصم) :

يذكر ابن منظور أن « الهيصم : حجر أملس يتخذ منه الحقائق . وأكثر ما يتكلم به بنو تميم . وربما قلبت فيه الصاد زايًا »^(١) . وقد وضعنا فى الحديث عن الكلمة السابقة الصلة بين صوتى الصاد والزاي مما يجعل التبادل بينهما مستساغاً .

وينفهم من كلام صاحب اللسان أن الصيغتين كان يتكلم بهما فى بنى تميم وأن الصيغة الصادية هى القديمة تحولت عند بعضهم إلى الزائية . وهذا يخالف ما أشرنا إليه عند الحديث عن الكلمة السابقة (لصق) من ملاحظة للدكتور عبد الصبور شاهين من إبدال المجهور مهموساً أكثر من عكسه .

إننا لانستطيع الجزم بقدم أى من الصيغتين ، فنحن إذا اتجهنا إلى كتب اللغة نجد ألفاظاً وردت بالصيغتين وليس من اليسير الحكم على أصالة أى منهما ، من ذلك نشزت المرأة على زوجها ونشصت^(٢) ، والشَّرْز والشَّرْص بمعنى الغلظ^(٣) .

كما أن قلب الصاد زايًا له نظائر فى عامياتنا ، فأهل القاهرة يقولون : أزيدير بدل قصدير ، وفى تطوان وما حولها يقولون فى صعلوك : زعلوك^(٤) .

(١) اللسان (هصم) ٩٦/١٦ ، وانظر : التاج (هصم) ١٠٦/٩

(٢) الإبدال لابن السكيت ١٠٥ وانظر : اللسان (نشز) ٢٨٥/٧ و (نشص) ٣٦٦/٨

(٣) الإبدال ١٠٥ ، وانظر : اللسان (شرز) ٢٢٨/٧

(٤) لهجة شمال المغرب ٨٠

رابعاً : بين الأصوات المتباعدة

١ - بين الهمزة والنون (منشار) :

قال ابن سيده : « ونشترته بالمنشار ووشترته وأشترته . . . وزعم الفارسي أن تميماً تهمز المنشار وغيرهم لا يهزّه »^(١) .

ويفهم من هذا النص أن تميماً كانوا يقولون : « منشار » بالهمز وغيرهم يقول : « منشار » بالنون . والصلة المخرجية بين الهمزة والنون بعيدة إذ إن الهمزة من أقصى الحلق كما يقول القدماء^(٢) أو هي من الحنجرة وفق تعبير المحدثين^(٣) ، في حين إن النون من فوق الشنايا ملتقياً مع طرف اللسان^(٤) . فلا نستطيع إذن أن نفسر الخلاف بين بني تميم وغيرهم بتبادل هذين الصوتين . وقد تنبه إلى هذا ابن سيده من قبل فأدرجه تحت عنوان « ومما يسرى مجرى البذل »^(٥) .

وقبل أن نفسر سر هذا الاختلاف نلجأ إلى معجماتنا العربية لنرى موقفها من المادتين (أشْر) و (نشر) . نجد أن المادة الأولى تدل على الحدة ، ومنه الأشر وهو رقة وحدة في أطراف الأسنان^(٦) . ويعلق ابن فارس على هذا المعنى فيقول : « وأشرت الخشبة بالمنشار من هذا »^(٧) . أمّا (نشر) فتدل على فتح الشيء وتشعبه ومنه « نشرت الخشبة بالمنشار »^(٨) .

فهل يعني هذا أن كلاً من « المنشار » و « المنشار » ترجع إلى مادة غير التي تشتق منها الأخرى ، وهذا يعني أيضاً أن اللفظين مترادفان ؟

إنني أميل إلى أن أصل الكلمتين واحد هو « نشر » . أمّا كيف وصلت إلينا هاتان الصيغتان ؟

-
- | | | |
|--|-------------------|-----------------------------------|
| (١) المخصص ٢٨٧/١٣ | (٢) الكتاب ٤٣٣/٤ | (٣) علم اللغة للدكتور السمران ١٧١ |
| (٤) الكتاب ٤٣٣/٤ | (٥) المخصص ٢٨٧/١٣ | |
| (٦) انظر : مقاييس اللغة (أشْر) ١٠٨/١ ، ١٠٩ | | |
| (٧) المرجع السابق ١٠٩ | | |
| (٨) المرجع السابق (نشر) ٤٣٠/٥ | | |

استعمل العرب صيغة اسم الآلة من (نشر) ، فقال : « مِنْشَار » ثم تطور هذا اللفظ إلى « مِشَار » والصلة بين النون والياء تسوغ التبادل بينهما ، فإذا كان مخرج النون - كما سبق أن قلنا ، نقلاً عن سيبويه - فوق الشايات فإن مخرج الياء قريب منها ، فهى من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى^(١) . ذلك إلى أن النون تشترك فى الراء واللام فى أنها أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً فى السمع وهذا وجه شبهها مع أصوات اللين^(٢) .

ثم تطورت الكلمة إلى مرحلة ثالثة وهى الصيغة التميمية (مَشَار) لأنه لما كان من عادة التميمى تحقيق الهمزة التى يسهلها الحجازى نظر إلى هذا اللفظ فتوهم أن الياء هنا مقابولة عن الهمزة فحتمتها وقال : « مَشَار » .

٢ - بين النون والهاء (تفكن) :

(أ) قال تعالى : (فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ)^(٣) . قرأ جمهور القراء : « تَفَكَّهُونَ »^(٤) « وقرأ أبو حرام العكلى : « تَفَكَّنُون »^(٥) .

(ب) فسر ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) اللفظين بأن تفكه بمعنى تعجب ، وتفكن بمعنى تَنَدَّمَ^(٦) .

(ج) فُسِّر اللفظان بـ « تعجبون » ونسب « تفكهون » إلى أزد شنوءة ، و « تفكنون » إلى تميم^(٧) .

(د) فسر اللفظان بـ « تَنَدَّمُون » ونسبت الهائية إلى أزد شنوءة والنونية إلى بنى تميم^(٨) وكذلك إلى عكلى^(٩) .

(١) الكتاب ٤/٤٣٣

(٢) الأصوات اللغوية ٦٣

(٣) الواقعة ٦٥/٥٦

(٤) البحر ٨/٢١٢

(٥) مختصر فى شواذ القرآن ١٥١ ، والبحر ٨/٢١٢

(٦) مختصر فى شواذ القرآن ١٥١

(٧) المزهر ١/٤٧٣

(٨) الربيع لأبى الطيب ٢/٤٥٩ ، واللسان (فكن) ١٧/٢٠١ ، (فكه) ١٧/٢٠

(٩) (مبه) ١٧/٢٠

نخلص مما سبق أنَّ « تفكهون » قرئت بالهاء والنون وفسرت اللفظة الأولى بـ « تعجبون » والثانية بـ « تندمون » ، كما فسر اللفظان مرة بـ « تعجبون » وأخرى بـ « تندمون » ، وكلا التفسيرين يحتملهما ولا يناقض الآخر .

وإذا رجعنا إلى مادتي اللفظين وجدنا (فكه) تفيد التعجب^(١) و (فكن) تدل على الندامة^(٢) . لذا أرجح تفسير اللفظين كما وضحهما ابن خالويه بأن « تفكهون » بمعنى تعجبون فقط . والصيغة الأخرى وهى التميمية بمعنى تندمون فقط . ومرجع ما قيل من تفسير فى الروايتين الأخريين أنَّ تفسير الآية الكريمة يحتمل المعنيين ، وهذا واضح من ذكر بقية هذه الآية والآيتين السابقتين لها : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ)^(٣) .

تفسير القراءة باللفظين :

والكلمة وردت فى القرآن وفق اللفظة الأزدية (تفكهون) بدليل قراءة جمهور القراء بها . أما اللفظة التميمية فقد قرئ بها فى الشاذ . ومرجع القراءة بها - فيما أرى - ضعف فى سمع المتلقى أو عدم تيقظه عند السماع فتهياً له أنَّ القارئ نطق « تفكنون » بالنون وساعد على ذلك أنَّ سياق الآية احتتمل ذلك .

حقيقة إن الهاء والنون صوتان متباعدان مخرجا ، فالأول من أقصى الحلق^(٤) أو بتعبير بعض المحدثين من الحنجرة^(٥) ، والثانى من فوق الثنايا^(٦) أو بتعبير آخر من اللثة^(٧) ، وإنيهما يختلفان أيضاً فى الصفات فالهاء صوت مهموس رخو^(٨) والنون صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة^(٩) ، إلا أنَّ عدم وضوح الهاء فى السمع يجعلها لا تسمع بدقة . وهذا

(١) انظر اللسان (فكه) ١٧/١٩٤-٢١٤

(٢) انظر : اللسان (فكن) ١٧/٢٠١

(٣) الواقعة ٦٣/٥٦ - ٦٥

(٤) الكتاب ٤/٣٣

(٥) الأصوات للدكتور بشر ١٥٦ ، والمدخل إلى علم اللغة ٧٧

(٦) سر صناعة الإعراب ١/٥٢

(٧) المدخل إلى علم اللغة ٦٤

(٨) الأصوات اللغوية ٨٨ والمدخل إلى علم اللغة ٨٠

(٩) الأصوات اللغوية ٦٦

أمر نبيه إليه الخليل بن أحمد من قبل إذ قال معللاً بدء معجمه بالعين دون الهمزة والألف (وفق رأى القدماء ومنهم الخليل) والهاء السابقين لها في المخرج ، فقال : « لم أبدأ بالهمزة ؛ لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف . ولا بالألف ؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء ، لأنها مهموسة خفية لا صوت لها »^(١) .
ودليل ذلك أن الألف تمال إذا سبقت بكسرة بينها وبين حرف متحرك مثل عماد ولا تحسب الهاء حرفاً ، فلذا تمال الألف في مثل يضربها على ما سنوضحه عند الحديث عن أسباب الإمالة .

٣ - بين الخاء والجيم (أصلج) :

سمع الأزهرى غير واحد من أعراب قيس وتميم يقول للأصم : أصلج ، وعزا إلى بنى أسد ومن جاورهم أنهم كانوا يطلقون عليه الأصلج (بالخاء)^(٢) .

والحاء والجيم صوتان متباعدان مخرجاً ، فالأول حلقى والثاني مما بين وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى^(٣) ، مما يحول بين تبادلهما . ويبدو أن من العلماء الأقدمين من تنبه إلى هذا وأرجع الخلاف إلى تصحييف الخاء إلى جيم^(٤) مما جعل علماء غيرهم يؤكدون وجود اللغتين وينفون التصحييف ، قال الصغاني : « الأصلج (بالتحريك) : الصَّمَم ، والأصلج : الأصم ، وليس بتصحييف الأصلج (بالخاء) ، بل هو لغة صحيحة فصيحة لأعراب : قيس وتميم »^(٥) .

وإذا كان تباعد الصوتين ينفي وجود تطور صوتي بين الكلمتين ، وإذا كان العلماء قد نفوا فكرة التصحييف ، - وهذا ما نراه - لأن الأزهرى نص على أنه سمع الصيغة الجيمية من أعراب قيس وتميم ، وهو عالم ثقة . وقد أورد اللغويون الكلمة بهذه الصيغة بتصرفاتها

(١) المزهر ٩٠/١

(٢) اللسان (صلج) ١٣٥/٣ ، والنص ليس بالتهذيب المطبوع .

(٣) الكتاب ٤٣٣/٤

(٤) ومن يرى هذا رأى من المحدثين الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب : فصول ٢٤٩

(٥) التكملة والذيل (صلج) ٤٥٧/١ ، وانظر : القاموس (صلج) ١٩٧/١ دون نسبة .

المتنوعة من اسم (الصَّلَج) ، وصفة (الأصلاج) ، وفعل (تَصَالَج)^(١) ، ومصدر (التَصَالَج)^(٢) فما سر الصلة بين هاتين الكلمتين ؟

أرى أنه يمكن تفسير ذلك بأن الصيغة الخائية (أصلخ) مرت في طريقها إلى أصل-ك بمرحلتين :

الأولى - الخاء عند قوم ممن كانوا ينطقون الجيم كيما ، فكانت الكلمة تنطق أصل-ك . وإذا كانت الخاء تنطق من الحلق بأول منطقة من جهة الفم^(٣) والكيم وهي من مخرج الكاف^(٤) وهو كما يحدده سيبويه بأنه أقصى اللسان وما فوقه من الحنك ، أي بينه وبين مخرج الخاء مخرج القاف^(٥) . فإن التبادل بين الصوتين ممكن .

وربما كان مخرج الخاء عند قوم كانوا ينطقونها كما تنطق الآن بمصر أي من مخرج الكاف ، وهو المعروف بالطبق^(٦) وسبق أن عرضنا لذلك . وفي هذه الحالة يكون الإبدال أكثر جوازاً من الحالة السابقة ؛ لأن الصوتين من مخرج واحد .

الثانية - إن التمييزين نطقوا هذه الجيم بلغتهم أي نطقوا الكيم جيماً .

٤ - بين القاف والفاء (زحلوقه) :

ينسب الأصمعي إل تميم أنهم كانوا يقولون : الزحاليق (بالقاف) ويعنون بها آثار تنزلج الصبيان من فوق إلى أسفل ، وأهل العالية يقولون : زحاليق (بالفاء) والواحدة زحلوقة^(٧) ، وزحلوقه عند تميم^(٨) . ونسبت الصيغة القافية أيضاً إلى من يلي تميم من هوازن^(٩) .

(١) التكملة والذيل والصلة (صليج) ٤٥٧/١ ، والقاموس (صليج) ١٩٧/١

(٢) القاموس (صليج) ١٩٧/١

(٣) الكتاب ٤٣٣/٤

(٤) انظر : الأصوات اللغوية ٨٣

(٥) الكتاب ٤٣٣/٤

(٦) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٧١ ، ٧٢

(٧) الرحل والمنزل (ضمن كتاب البلغة) للأصمعي ١٢٩ ، وانظر أيضا : الغريب المصنف ٦٢ / أ (عن الأصمعي)

والصحاح (زحلف) ١٣٦٨/٤ (عن الأصمعي) ، والإبدال لابن السكيت ١٤٣ والأمالى للقالى ١٧٨/٢ (وهو نص كلام ابن السكيت) ، ٤١/١ ، ٤٢ (عن ابن دريد) .

(٨) المراجع السابقة عدا « الرحل والمنزل » .

(٩) راجع : الإبدال لابن السكيت ١٤٤ ، والأمالى للقالى ١٧٨/٢

وقد وردت الصيغة التميمية في قول عائمة التميمي يصف فرسا :

وجوف هواء تحت متني كأنه من الهضبة الخلقاء زحلق ملعب^(١)

كما وردت في رجز لرؤبة في قوله :

* من خر في طخطاخيه تزحلقا^(٢)

تفسير التبادل :

إذا نظرنا إلى مخرجي الصوتين القاف والفاء نجدهما متباعدين ، فالأولى من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك ، والفاء صوت شفوي أسناني^(٣) . وإذا كان هذا التباعد يحول ون تبادلهما ، فكيف نفسر هذا الاختلاف بين الكلمتين ؟

هناك احتمالات أربعة ، هي :

١- رغم أن الصوتين متباعدان لكن يمكن تفسير الاختلاف وفقا لقانون لاحظته بادوان دي كورتناي Baudouin de courtenay سنة ١٨٩٣ Post Palatal velar وهو أن الأصوات تتقدم من أقصى الحنك إلى الأسنان والشفيتين ، فالكاف والقاف مثلاً تصبحان باء أو پاء وأحياناً سيناً^(٤) ، ومعنى ذلك أن الصيغة القافية التميمية هي الأصل وصيغة أهل العالية هي المتطورة

٢- والتفسير الثاني هو أن كلا من الكلمتين تكونت بطريق النحت ، وهو وسيلة تم بوساطتها تكوين كثير من الكلمات الزائدة عن ثلاثة أحرف . وقد لاحظ ذلك بعض علمائنا السابقين أمثال ابن فارس^(٥) فزحاف أصلها منحوتة من « زحف » و « زلف » أو « زحل » والألفاظ الثلاثة تدل على الاندفاع والتقدم^(٦) .

(١) شرح ديوان علقمة ٩٨ (الخلقاء : الملاء) :

والشاعر هو علقمة بن عبدة بن ناشرة ، من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، عرف بعلقة الفحل . عده ابن سلام في الطبقة الرابعة من الجاهليين (جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، وطبقات فحول الشعراء ١١٥ ، ١١٦) وله ديوان مطبوع .

(٢) شرح ديوانه ٥٦ (الطخطاخ : الكثرة من الماء) .

(٣) الكتاب ٤/٣٣

(٤) Jespersen, Language p. 327.

(٥) انظر : الصاحبي ٢٢٧

(٦) انظر : مقاييس اللغة (زحف) ٣/٩ ، و (زلف) ٣/٢١ ، و (زحل) ٣/٩٩

و « زحلق » منجوتة من « زحل » و « زلق » وكلا اللفظين يدل أيضاً على التقدم^(١) .

٣- أصل الكلمتين « زحل » وهى كما قلنا تدل على التقدم ، ثم زيدت عليها القاف عند تميم والفاء عند أهل العالية ، ويعضد هذا الرأى أننا نجد من العرب من كان يقول : زحليل بدلاً من زحاليق وزحاليق^(٢) فكررنا الحرف الأخير .

٤- أنها تكونت بطريق التغاير Dissimilation وهذا رأى الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب ، فهو يرجح أن « زحلف » نتج بطريق المخالفة من زحف ، وأن زحلق نتج من زلق^(٣) .

وإذا كان الفرض الأول بعيد الاحتمال بدليل أن يسبرسن (Jespersen) يرى أن إعمال القانون الذى لاحظته « بادوان » مقيد بأن يلى الصوت المحوّل صوت اللين الأمامى وهو الكسرة القصيرة أو الطويلة . وهذا غير متحقق فى الصيغة القافية ، فإن الفروض الثلاثة الأخرى يمكن احتمال أحدها .

(١) انظر : مقاييس اللغة (زلق) ٢١/٣ وقارنها بمادة (زليج)

(٢) اللسان (زحلك) ٣٢٠/١٢

(٣) التطور اللغوى : ملاحره وعالله وقوانينه ٣٩ ، ٤٠

(٤) Jespersen, language....p 27 وانظر : فى اللهجات العربية ١٢٣

٢ - الابدال المقيد (التركيبى)

(أ) التماثل

توطئة :

التماثل (assimilation) هو تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض^(١) تأثيراً يؤدي إلى تماثلها أو تقاربها صفة ومخرجاً وهو ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة^(٢) ، وهو أنواع يراعى في تقسيمها عدة اعتبارات ، فهو مثلاً :

١ - كلى أو جزئى :

(أ) الكلى (total) وذلك حين يتماثل الصوتان مثل الشمس^(٣) بإدغام اللام في الشين .

(ب) جزئى (partial) مثل من أنبأك^(٤) فهى تنطق أمبأك بقلب النون ميماً متأثرة بالباء التى تشاركها في المخرج .

٢ - اتباعى أو تخلفى :

(أ) الإِتباعى progressive وفيه يتأثر الصوت الثانى بالأول كما فى ازدان من ازتان^(٥) .

(ب) التخلفى regressive وفيه يتأثر الصوت الأول بالثانى كما فى قراءة الكسائى « يصدر » بإشمام الصاد زائاً فى قوله تعالى : (حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) فتأثرت الصاد المهموسة بالدال المجهورة فانقلبت إلى صوت مجهور هو الزاى^(٦) .

(١) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) ١٦٣/٧ والتجاور لا يعنى التلاصق (دراسة الصوت اللغوى ٣٢٤)

(٢) الأصوات اللغوية ١٧٨

(٣) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ١١٣/٧

(٤) المرجع السابق

(٥) المرجع السابق والتطور اللغوى : مظاهره وعمله وقوانينه ٢٢ وأطلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب « المقبل » .

(٦) مجموعة المصطلحات العلمية ١١٣/٧ والآية من سورة القصص ٢٣/٢٨ ، ويسميه الدكتور رمضان عبد التواب

« المدبر » (التطور اللغوى ٢١٢) .

٣ - متصل أو منفصل :

(أ) المتصل (contact أو contiguous) ويكون بين الصوتين المتلاصقين^(١) ، كما في الأمثلة التي ذكرناها في الأنواع السابقة .

(ب) المنفصل (distant أو noncontiguous) مثل قلب السين صادًا في صراط بتأثير الطاء^(٢) .

أنواع التماثل إذن ثمانية ، هي :

- ١ - الكلى الإتباعى المتصل .
- ٢ - الكلى الإتباعى المنفصل .
- ٣ - الجزئى الإتباعى المتصل .
- ٤ - الجزئى الإتباعى المنفصل .
- ٥ - الكلى التخلفى المتصل .
- ٦ - الكلى التخلفى المنفصل .
- ٧ - الجزئى التخلفى المتصل .
- ٨ - الجزئى التخلفى المنفصل .

ونضيف إلى هذه الأنواع نوعًا تاسعًا وجدناه عند تميم وهو « التماثل التبادلى » وسنوضحه في موضعه .

ولنتقل بعد هذا إلى التماثل عند بنى تميم ، وهو عندهم فى الأصوات الساكنة وفى أشباه أصوات اللين وفى الحركات . كما أنه فى كل صنف من الأصناف التسعة - إن وجد عندهم - يكون مطردًا وغير مطرد معًا ، أو يشتمل على واحد منهما فقط . ولنتناول هنا التماثل بين الأصوات الساكنة - ونترك الحديث عنه بين الحركات إلى ما بعد دراسة التبادل الحر بينهما - وقد لاحظناهم عندهم فى ستة أنواع فقط .

(١) دراسة الصوت اللغوى ٣٢٥ ويطلق عليه الدكتور أحمد مختار عمر « المتاخم » .

(٢) المرجع السابق ويسميه الدكتور أحمد مختار « غير المتاخم أو التباعدى » .

أولاً - التماثل الكلى الاتباعى المتصل :

وهو مطرد فقط ، ويكون فى :

قلب تاء الفاعل طاء :

ويتل هذا النوع عند تميم فى تاء الفاعل عند إسنادها لفعل لامه طاء مثل « خَبَطُ »^(١) .
والأصل « خَبَطَ » أضيف إلى الفعل تاء الفاعل فصار « خَبَطْتُ » بإسكان لام الفعل ثم
تأثرت التاء بالطاء فقلبت إلى صوت مماثل لها فأصبحت خَبَطْتُ . فاجتمع صوتان ساكنان
من جنس واحد سكن أولهما فأدغم فى الثانى فأصبح « خَبَطُ » وإذا كانت التاء المتأثرة
(الأمامية) والتي أدغمت فيها سابقتها ليست من بنية الفعل ، وإنما جىء بها لغرض وهو
الدلالة على الفاعلية فعند هذا النوع من التماثل قبيحاً ، ولقد عتب سيبويه على هذه اللفظة
التي وردت فى بيت لعقمة بن عبدة وأنشد وفق هذه اللغة ، وهو قوله :

وفى كل حى قد خَبَطَ بنيمة فحقّ ليشأس من نَدَاكَ ذُنُوبُ^(٢)

بقوله : « وأعرب اللغتين وأجودهما ألا تقلبها طاء ؛ لأن هذه التاء علامة الإضمار ،
وإنما تجىء لمعنى وليست تلزم هذه التاء الفعل »^(٣) .

أما التفسير الصوتى لقلب التاء طاء ، فقد تناولناه عند الحديث عنهما فى الإبدال الحر .

* * *

ثانياً - التماثل الكلى الاتباعى المنفصل :

وهو غير مطرد ويتمثل فى كلمة : (الأثافي) .

قال ابن السكيت : « وهى الأثافي ولغة بنى تميم الأثافي »^(٤) والأثافي جمع أثفية ، وهى
الحجّر الذى يوضع عليه القدر^(٥) .

(١) الكتاب ٢٤٠/٤ وانظر : الخصاص ٢٧٠/١٣ ، وأبنية الأسماء ٢٣ . وعزى فى الأنير لقوم من تميم .
(٢) البيت فى الكتاب ٤٧١/٤ الشعر والشعراء ١١٠ وخاطب علقمة ، فى هذه القصيدة أبا شمر النسائي وقد أسر أخاه
شأسا وبعض بنى تميم - الشعر والشعراء (خبطت : أسديت - الذنوب : الدلو) .
(٣) الكتاب ٤٧٢/٤
(٤) الإبدال ١٢٧ ، والمزهر ١/٦٥
(٥) اللسان (أثف) ٣٤٤/١٠

الصيغة القديمة :

إذا كان قد عزى إلى تميم خلاف عن غيرهم من العرب في صيغة الجمع ، فلم يذكر أحد - فيما أعلم - وجود خلاف بينهم وبين غيرهم في صيغة المفرد مما يدل على أن التطور أصاب التميمية وأن الأخرى هي الأصل . ويؤيد هذا أن اللفظ نظير في كل من الآرامية اليهودية والسريانية ، فتمد ورد فيهما بالفاء وليس بالثاء ، فهي في الآرامية اليهودية *tēfāyā*

(تَفَايَا) . وفي السريانية *ܬܦܝܝܐ* (تَفَيَّا) ومعناها الموقد يوضع عليه القدر^(١) . والتطور الذي حُذِث في الصيغة التميمية ثم عن طريق التماثل إذ أثرت الثاء في الفاء فقلبت إلى صوت مجانس لها . وساعد على ذلك تقارب الصوتين في المخرج . وقد وضعنا ذلك عند الحديث عن هذين الصوتين في « الإبدال الحر » .

* * *

ثالثاً - التماثل الجزئي الاتباعي المتصل :

وهو عندهم مطرد فقط ، ويكون في :

١ - قاب تاء الفاعل طاء :

تبدل تميم كل تاء فاعل طاءً إذا وقعت بعد أصوات الإطباق : الصاد والضاد والظاء في فعلت^(٢) ، وكانت هذه الأصوات لاماً للفعل وذلك مثل فحَضَطُ بدلاً من فحَضَّتْ^(٣) ، وحَضَطُ بدل حَضَّتْ^(٤) والأصل فحَصَصَ وجاض^(٥) وعندما أضيفت إليها التاء صاراً فحَصَصت وحَضَصت بـبأسه كان لام الفعل وتأثرت التاء بالصوت السابق المتاخم لها لأنه ساكن فقلبت إلى صوت مطابق آخر هو الطاء . والصلة بين هذين الصوتين التاء والطاء وضعناها عند الكلام عنهما في التبادل الحر .

أما في حالة صوت الإطباق الرابع وهو الطاء فقد عالجنه في التماثل الكلي .

(١) نصوص في فقه اللغة العربية ٨٨/١ (المادش رقم ٢) .

(٢) الكتاب ٢٤٠/٤ والمخصص ٢٧٠/١٣

(٣) أبنية الأسماء ٢٣ وعزا الظاهرة إلى « قوم من بني تميم »

(٤) ومعنى : جاض : مال وحاد ، وجاض عن القتال : فر ، وجاض في مشيته : تهبخر (اللسان « جيض » ٤٠١/٨)

حول كلمة « الاستمة » :

وجدنا هذه الكلمة والتي تعنى « معظم الشيء ووسطه » ترد بأربع صيغ منسوبة كلها إلى تميم ، وهى :

١- أُسْتُمَّة (بالسين والتاء) .

٢- أُسْطُمَّة (بالسين والطاء) .

٣- أُصْطُمَّة (بالصاد والتاء) .

٤- أُضْطُمَّة (بالصاد والطاء) .

جاء في اللسان « سُطُمَّة البحر والمحسب وأُسْطُمَّة ، واسْطُمَّة : وسطه ومجمعه ، والجمع الأساطم ... قال : وتميم تقول : أساتِمُ »^(١) . وورد فيه أيضاً « الأُصْطمة : معظم الشيء تميمية . التاء فيها بدل من الطاء . وفلان فى أُصْطمة قومه مثل أُصْطمتهم . التهذيب : والأصاتم جمع الأُصْطُمَّة بلغة تميم ، جمعوها بالتاء كراهة تفخيم أصاطم فردوا الطاء إلى التاء »^(٢) .

ونحن إزاء هذا الاضطراب نرى أن الذى يتفق والبيئة التميمية اجتماع الصاد والطاء فى الكلمة ، وما يرجح ذلك ما أنشده الجوهري لرؤية :

* وصلت من حنظلة الأسْطُما *

وتعقيبه عليه بقوله : « ويروى بالصاد »^(٣) .

وإذا صح نسبة « الأساتم » إلى تميم فلا يناسب منهمجهم نطقها « الأصاتم » فإنهم إذا كانوا قد قلبوا تاء الفاعل طاء لورودها بعد الصاد فمن باب أولى أن يقابوا التاء هنا طاء لورودها بعد الصاد ، كما لا يتفق وهذه البيئة إحدى روايتى بيت رؤبة وهى « الأسطما » وعلى الأخص نسبتها إلى بلعنبر الذين كانوا يقلبون السين صاداً إذا جاء بعدها أحد حروف الاستعلاء^(٤) . وعلى كل فإن تعدد صيغ هذه الكلمة يرجع إلى أنها معربة عن الكلمة اليونانية

(١) اللسان (سطم) ١٥/١٧٨ ، وانظر التاج (سطم) ٨/٣٣٦

(٢) اللسان (صتم) ١٥/٢٢٥ ، وانظر التاج (صتم) ٨/٣٦٤ والجزء المنقول عن الأزهري فى التهذيب ١٢/١٥٨

(٣) الصحاح (سطم) ٥/١٩٤٩

(٤) انظر : التماثل الجزئى التخلوى المنفصل المطرد ص ١٥٢

« سَتُوما » (بمعنى الفم ، ومصب النهر ، والشق في الأرض أو الصخر ينبثق منه جدول ، والمخرج أو المدخل عامة ، ومقدم الشيء)^(١) .

٢ - قلب تاء الفاعل دالا :

يذكر سيبويه أن بني تميم « قالوا : فُزِدُ في فُزْتُ » وأن « الدال إذا كانت بعدها التاء في هذا الباب بمنزلة الزاي »^(٢) وذلك مثل أَخَذْتُ في أَخَذْتُ^(٣) .

وهذا التماثل الكلي الإتياعى المتصل تفسيره أن الدال والتاء تشتركان في المخرج ، وهو التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا^(٤) . لكنهما يفترقان في صفة الجهر والهمس ، فالدال مجهورة والتاء مهموسة^(٥) ، فلما وقعت التاء بعد أحد الصوتين الدال والزاي وهما مجهوران^(٦) ، تأثرت التاء بجهرها فقلبت إلى نظيرها المجهور وهو الدال .

والذي يجعل الإبدال هنا قبيحا أن التاء (وهى تاء الفاعل) أتت بها معنى ، فهى ضمير له وظيفته في الجملة شأنه هنا كشأنه حين قلب طاء لاتصاله بالصاد والضاد والطاء والظاء ، وذلك بخلاف تاء افتعل فقد قلب العربى التاء دالا إذا كانت فاء الافتعال الزاي أو الدال أو الدال وذلك مثل ازدان وأدعى وأذكر^(٧) وأصلها ازتان وادتعى وأذكر . والتاء هنا من بنية الفعل وليست أجنبية عنه .

ولنا هنا وقفة^(٨) قصيرة ، فقد عزا صاحب « لهجة تميم » إلى التاج (في حرف الدال) إبدال تميم تاء الضمير الواقعة بعد الدال دالا كجَلَدْتُ في جَلَدْتُ^(٩) ، وإننا :

(١) دراسات مقارنة في المعجم العربى ٤٣ (عن فرنكل ٢٣١) .

(٢) الكتاب ٤/٢٤٠ وانظر أبنية الأسماء ٢٦ مقارنا بإبدال الطاء من التاء ص ٢٣ .

(٣) أبنية الأسماء ٢٦

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣

(٥) المرجع السابق ٤/٤٣٤

(٦) المرجع السابق ٤/٤٣٤

(٧) الخصاص ١٤٢/٢ (النجار)

(٨) لهجة تميم ٩٦

(*) موضع هذا التعليق « التماثل الكلى الإتياعى المتصل » ولما لم يكن تميم نهج خاص فى إبدال التاء دالا ينضوى

تحت هذا الصنف ذكرناه هنا .

١- إذا رجعنا إلى التاج نجد أنه يذكر ذلك دون عزوه إلى تميم أو غيرهم ونجد أنه يذكر أنه نقل عن ابن القطاع ، فيقول : « وزاد ابن القطاع أنها تُبدل من تاء الضمير الواقعة بعد الدال كجَلَدْتُ في جَلَدْتُ وبعد الزاي ، قالوا : في جَزْتُ جَزْدٌ ^(١) . »

٢- وإذا ما اتجهنا بعد ذلك إلى «أبنية الأسماء والأفعال والمصادر» لابن القطاع نراه يذكر أن « من قال : جَضِطُ قال في فزت وأخذت فُزْتُ وَأَخَذْتُ ^(٢) أى أن التاء تقلب بعد الدال والزاي وأن ذلك عند قوم من تميم كما ذكر عند كلامه عن إبدال الطاء من التاء ^(٣) . وابن القطاع هنا يتفق وما ذهب إليه سيبويه وإن اختلف معه في أنه قصر ذلك على بعض التميميين ، وأما سيبويه فقد عمم ذلك عندهم ، وقدوضحنا ذلك من قبل .

ومن هذا يتبين :

(١) عزو صاحب « لهجة تميم » إلى الزبيدي ما لم يذكره .

(ب) خطأ الزبيدي في فهم كلام ابن القطاع بأن أبدل بالدال (المعجمة) الدال المهملة وضرب لها مثالا داليا من عنده .

* * *

رابعاً وخامساً : التماثل الجزئى التخلفى المتصل والمنفصل :

وهما مطردان ويتمثلان في :

قلب السين صاداً :

جاء في الصحاح ^(٤) : « قال قطرب محمد بن المستنير : إن قوماً من بنى تميم يقال لهم : بلعنبر يقلبون السين صاداً عند أربعة أحرف : عند الطاء والقاف والغين والخاء إذا كن بعد السين ، ولا تبالي أثنائية أم ثالثة أم رابعة بعد أن تكون بعدها . يقولون : سراط وصراط ، وبسطة وبصطة وسيقل وصيقل ^(٥) وسرقت وصرقت ومصبغة ومصبغة ، ومصدغة ومصدغة ، وسخر لكم وصخر لكم ، والسخب والصخب . »

وأمثلة التماثل المتصل الواردة بهذا النص هي : بسطة ، ومصبغة ، وسخر ، التى تحولت إلى بصطة ومصبغة وصخر . وبقية الأمثلة خاصة بالتماثل المنفصل .

(١) التاج (حرف الدال) ٢/٢٨٦
(٢) أبنية الأسماء ٢٦
(٣) المرجع السابق ٢٣
(٤) مادة (صدغ) ٤/١٣٢٣ .
(٥) الصيقل : شحاذ السيوف وجلأوها (اللسان - صقل ١٣/٤٠٣)

وقطرب هنا لم يعز قلب السمين صادا إلى تميم كلها بل إلى فصيلة من بني عمرو هي بلعنبر .
ونجد بجانبه من يتوسع في المنسوب إليهم ومن يضيق دائرة النسبة ، فالفرأء يمثل الفريق
الثاني كما توحى بذلك عبارته فهو يقول : « ونفر من بلعنبر . . . »^(١) أما الرأي الآخر
فيرويه لنا يونس عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت سنة ١١٧ هـ) فهو ينسب هذه
الظاهرة إلى بني عمرو بن تميم ، جاء في « طبقات فحول الشعراء لابن سلام : وقلت [أى
ابن سلام] ليونس هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئا ؟ قال : قلت له : هل يقول أحد
الصويق ؟ يعنى الصويق . قال : نعم ، عمرو بن تميم تقولها . وما تريد إلى هذا ؟ عليك بباب
من النحو يطرد وينقاس »^(٢) .

والذى نميل إليه أن ذلك كان خاصا ببني العنبر جميعا - كما ذكر قطرب - فهو :

(أ) ليس خاصا ببعض أفرادها لأن هذه الظاهرة وصفت بأنها مطردة كما رأينا عند
عبد الله الحضرمي وهو وإن كان قد عمم أبناء بني عمرو فهو إذن لا يجعلها خاصة
بفريق من بني العنبر ثم إن أطرادها عند طائفة من العلماء وإن لم ينسبوها ،
مثل : ابن دريد^(٣) وسيبويه^(٤) وابن جني^(٥) ، والبطلاني^(٦) دليل على شمولها .

(ب) وهو خاص ببني العنبر وحدهم بدليل الإشارة إليها وحدها في كلمات أخرى غير
تلك التى ذكرها قطرب ، من ذلك صاغ ومشتقاتها في صاغ^(٧) والصاق في الصاق^(٨)
والصويق في الصويق^(٩) . ولعل قصر هذه الظاهرة على بني العنبر لأنهم أشهر فروع
بني عمرو .

(١) اللسان (شرط) ١٨٥/٩
(٢) طبقات فحول الشعراء ١٥
(٣) الاقتضاب ٢٠٣
(٤) جاء في اللسان (صاغ) ٣٢٤/١٠ : « وزعم سيبويه أن الأصل السبن (أى أصل صاغ) والصاد مضارعة لمكان
الغين » .

(٥) المختضب ١٦٨/٢
(٦) انظر : الأحرف الخمسة للبطلاني
(٧) اللسان (صاغ) ٣١٧/١٠ (صاغت الشاة والبقرة : تمت أسانها)
(٨) اللسان والتاج (سوق)
(٩) جمهرة اللغة ٤٤/٣

على أن بعض اللغويين كان ينسب بعض الألفاظ التي تندرج تحت هذه القاعدة إلى تميم بصفة عامة ، من ذلك لصق في مقابل لسق لقيس ولزق لربيعة^(١) .

وأعتقد أن هذه النسبة شبيهة بنسبة الحضرمي إلى بني عمرو ، لم يراع أصحابها الدقة فلم يكتفوا بالنسبة إلى الفصيحة وإنما نسبوا إلى القبيلة ككل رغم أنها خاصة بفرع صغير منها . ولعل مما يعضد عدم عموم الظاهرة في تميم :

(١) ما نسب إلى الفراء من أنه قال : « سمعت رجلين من بني تميم قال أحدهما : سوغه وقال الآخر : سوغته »^(٢) . فالتميمي هنا ينطق الكلمة بالسين في حين إنه يليها « غين » ، وفي حين أيضاً إننا نجد اللغويين ينصون على أن الصاد فيها لغة^(٣) ، بل إننا نجد الفراء ينسب هذه الظاهرة (أى النطق بالصاد) إلى بني سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل^(٤) ولم ينسبها إلى بلعنبر .

(ب) كما أن مما يرجح عدم شيوع هذه الخاصية في كل تميم ما يروى عن رؤبة أنه قال :

* وبلّ برد الماء أعضاء اللسّق *^(٥)

ورؤبة من بني سعد بن زيد مناة^(٦) وهو رغم ولوعه بالغريب استعمل « اللسق » ولم يستعمل « اللصق » وهما بمعنى لصوق الرئة بالجنب من العطش^(٧) .

تفسير الظاهرة :

وعلى كل فظاهرة قلب السين صادًا وجدت لدى بعض التميميين وهي تتناسب وبيئتهم البدوية ، فلو رجعنا إلى وصف العلماء لهذين الصوتين لوجدنا أنهما من مخرج واحد

(١) اللسان والتاج (لسق) و (لصق) .

(٢) اللسان والتاج (سوغ) ومعنى سوغه أى يتلوه .

(٣) اللسان (سوغ) ٣١٨/١٠

(٤) اللسان (صوغ) ٣٢٥/١٠ ، والتاج (صوغ) ٢٣/٦

(٥) الصحاح (لسق) ١٥٥٠/٤

(٦) جهرة أنساب العرب ٢١٥

(٧) الصحاح (لسق) ١٥٥٠/٤

هو ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا العليا مع رجوع اللسان إلى الوراء قليلاً وأنهما صوتان رخوان مهموسان إلا أن الصاد تتميز بأنها صوت مطبق أى أن اللسان عند النطق بها يكون مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى كما تتميز بأنها حرف استعلاء أى أن أقصى اللسان وطرفه يتصعدان نحو الحنك الأعلى^(١) .

وإذا ما حاولنا أن نعرف الصفة المشتركة بين الحرف الجديد (الصاد) والحروف الأربعة : (الطاء والقاف والغين والخاء) التي يعد وجود واحد منها بعد السين عاملاً من عوامل إقلابه لوجدناه الاستعلاء ، وقد علل ذلك ابن جني من قبل فقال : « وذلك أن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سفالتها إلى تعاليهن والصاد مستعلية »^(٢) .

وبين أن هذا نوع من التماثل التخلفي وهو أيضاً جزئى منه المتصل والمنفصل . وقد يعترض شخص فيقول : إن حروف الاستعلاء سبعة ولقد ذكرت منها أربعة مؤثرة والخامس هو الناتج وبقي حرفان هما الضاد والظاء ، فالاستعلاء إذن ليس هو الصفة المشتركة .

لقد طرأ على خاطرى هذا الاعتراض فأخذت أستقرى الكلمات العربية فلم أجد كلمة تشتمل على سين أو صاد ويليهما ضاد أو ظاء ، بل لم أجد إلا كلمات نادرة سبقت فيها السين الضاد مثال ذلك : الضرس ، والضغوس أى الحريص النهم^(٣) ، والضمس أى المضغ^(٤) والضمهس أى العض بمقدم الفم^(٥) والضبيس (الحريص والجبان)^(٦) .

واتجاه بلعبر هذا لا يعنى نسبة كل كلمة تشتمل على صاد إليهم وحدهم وحظه على غيرهم ، وإنما هو مطرد لديهم ، فكلمة « سراط » وردت بالسين والصاد ونسبت الصورة الثانية إلى قريش والأولى إلى عامة العرب ، وأرى أن بلعبر شاركوا قريشاً في صيغتهم ، إذ إن ذلك قاعدة لديهم .

(١) الأصوات اللغوية ٧٥ ، ٧٦ ، والأصوات للدكتور بشر ١٥٣

(٢) المختضب ١٦٨/٢

(٣) مقاييس اللغة ٣/٣٦٣ ، وجمهرة اللغة ٣/٢٤

(٤) مقاييس اللغة ٣/٣٧٢ ، وجمهرة اللغة ٣/٢٤

(٥) مقاييس اللغة ٣/٣٧٥ ، وجمهرة اللغة ٣/٢٥

(٦) مقاييس اللغة ٣/٣٨٦

١: ولنقف هنا وقفة قصيرة مع الدكتور إبراهيم أنيس فهو يخالف ما أورده اللغويون من أن السراط هو الأقدم لأن معناه العام « المرور »^(١) ويرى أن الأصل هو النطق بالصاد ثم تطور حتى شاع نطق آخر بالسين ، ويستدل على ذلك بورود الكلمة في القرآن الكريم بالصاد^(٢).

ونحب أن نقول إن القرآن الكريم يلتزم الألفصح ، وهناك فرق بين الأقدم والأفصح . والكلمة ليست عربية الأصل ، وإنما هي أعجمية تكلم بها العرب وتصرفوا فيها شأن معظم العربات . وقد تنبه إلى ذلك بعض علماء العربية ، فقد روى عن ابن عباس وغيره من أهل العلم أنها بالرومية^(٣) . وعلق الدكتور السيد يعقوب بكر على ذلك بقوله : « وقوله بالرومية أي باليونانية . وهذا صحيح ففي اليونانية المتأخرة سترات^(٤) » طريق « وهذه من أصل لا تيني متأخر strata »^(٥).

وقد دخل هذا اللفظ اليوناني الآرامية اليهودية والسريانية ، فهو في الآرامية *ḥīsterātā* (إسطراطا) ، و *ḥīsterātēyā* (إسطراطيا) ، و *sēratyā* (سراطيا) ، وفي السريانية *ḥīsterāt* (إسطراط) ^(٦) . ويقول جفري : إن الكلمة اليونانية انتقلت إلى العربية بوساطة الآرامية^(٧).

ودخول الكلمة العربية عن الآرامية هو المرجح على دخولها من اليونانية أو اللاتينية بدليل اشتغال الكلمة على صوت الطاء الذي أبدله الآراميون من التاء ، ولكن الكلمة ظلت عندهم محافظة على السين كما كانت عند اليونان واللاتين ولم تقلب صاداً . والذي أميل

(١) اللسان (سراط) ١٨٥/٩ ، والتاج (سراط) ١٥٢/٥ ، وانظر : مقاييس اللغة (سراط) ١٥٢/٣ و(سراط) ٣٤٩/٣

(٢) في اللهجات العربية ١٢٩

(٣) الصاحبى ٤٣ (تحقيق السيد صقر)

(٤) عن سوفوكليس

E.A. Sophocles, Greek Lexicon of the Roman and Byzantine periods, 2/1014.

(٥) دراسات مقارنة في المعجم العربي ١٢٣ ، وانظر : بقايا اللهجات العربية (بحث نشر بمجلة كلية الآداب م ١٠)

١٨/١ فقد ذكر أن « سراط مشتقة من كلمة لاتينية وهى Strata »

(٦) المرجع السابق ١٢٤

(٧) المرجع السابق عن :

إليه أن الكلمة دخلت العربية محافظة على صوت السين هذا مع إدخال تغييرات أخرى فأضحت سراطا ، ثم نطقها بنو العنبر بالصناد وفق قاعدتهم في مثيالاتها ، ومنهم انتقلت إلى قريش الذين كانوا ينتقون من الوفود التي وفد عليهم من الحجاج وغيرهم أحسن لغاتهم وأصنى كلامهم^(١) ، وهذا الذي نميل إليه يتفق وتعقيب أبي بكر محمد بن السري السراج (ت ٣٠٦ هـ) على قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم)^(٢) ، فقد جاء في كتاب « الحجة في علل القراءات » لأبي علي الفارسي : قال أبو بكر : والاختيار عندي الصناد للخفة والحسن في السمع^(٣) .

ولنتقل بعد هذا إلى التراث اللغوي لنرى مدى تمثله للغة بلعنبر :

١ - القراءات الشاذة :

نجد القراءات الشاذة قد استعملتها ، وهي حجة من ناحية اللغة ، فمن ذلك :

(أ) قرأ يحيى بن عمار^(٤) (وأصبح عايكم نعمه ظاهرة وباطنة)^(٥)

(ب) يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ (والنخل باسقات)^(٦) (باصقات)^(٧) .

وأرى أننا لسنا هنا في حاجة إلى أن نستشهد بقوله تعالى : (السراط) وأن نقول إن جمهور القراء قرأها بالصناد^(٨) لأن الكلمة شاعت بالصناد أكثر من شيوعها بالسين .

٢ - في البيئة التميمية حديثا :

وظاهرة قلب السين صادا لا تزال تحتفظ بها البيئة التميمية ، ففي الكويت يقولون مثلا : الصبخ ويعنون بها الأرض السبخة^(٩) ، ويقولون الصخلة للسبخة^(١٠) ، ومن أمثالهم

(١) المزهر ٢١٠/١

(٢) الفاتحة ٦/١

(٣) الحجة ٣٧/١

(٤) المحتسب ١٦٨/٢

(٥) لقمان ٢٠/٣١

(٦) ق ١٠ / ٥٠

(٧) المحتسب ٢٨٢/٢

(٨) انظر : تحبير التيسير ٤١ ، ٤٢ وإتحاف ١٢٣

(٩) معجم الألفاظ الكويتية ٢٤١ ، وخصائص اللهجة الكويتية ٧٤

(١٠) معجم الألفاظ الكويتية ٢١٦ ، وخصائص اللهجة الكويتية ٧٤

« الطول طول نخله والعگل عگل صخله »^(١) وصَخْنٌ بمعنى سَخْنٌ^(٢) ، والصَّخَا أَى السخاء^(٣) وهذا ما نجده في بعض جهات صعيد مصر .

ونلاحظ الظاهرة كذلك لدى بعض شعراء البدو الذين يمثلون البيئة التميمية ، فها هو العوفى يقول :

عَرَّقَ الصَّخَا بَحْرَ النَّدى رَهْنِ العدا لا اِشْتَبَّتِ الهيجا تَعْرِفُهُ جَمَالُهَا^(٤)

يريد السخاء .

ويقول أيضاً :

تَهَابُ صَطَوْتُكُمْ ويرجى نوالكم

وَصُدِيدُكُمْ دَائِمٌ يَحْسِبُ خُطُورَهَا^(٥)

يريد سطوتكم .

والعوفى هذا هو : محمد بن عبد الله (ت ١٣٤٢ هـ) ولد في بريدة وهو وإن لم يكن من ذوى البيوتات^(٦) إلا أنه يمثل البيئة التميمية لأن بريدة وما جاورها — كما سبق أن قلنا — يسكنها تميميون .

وإننا لنجد من التميميين المعاصرين من يقلب السين صاداً حتى مع غير الحروف الأربعة ، فمحمد بن عبد الله القاضي (ت ١٢٨٥ هـ) وهو تميمى الأصل من آل بَسَّام بعنيزة وينتهى نسبه بمالك بن حنظلة بن زيد مناة^(٧) ، يقول :

جَنَّتْني شُهُومُ الموتِ يومٌ وَكَفَتْ لى

كَهْلِي غَدًا مِسْمَارٌ وَخُدُودُهُ الماص^(٨)

يريد الماس .

(٢) خصائص اللهجة الكويتية ٧٤

(٤) الشعر عند البدو ١٢٢

(٦) المرجع السابق ٣٢٥ ، ٣٣٦

(٨) المرجع السابق ١٢٢

(١) معجم الألفاظ الكويتية ٢١٦

(٣) المرجع السابق ٧٣

(٥) الشعر عند البدو ١٢٣

(٧) المرجع السابق ٣٠٦

سادسا : التماثل التبادلي :

وهو أن يتأثر صوت سابق بصوت تال (وهذا تماثل تخافى) ثم يتأثر التالى بالسابق (وهذا تماثل إتباعى) . وقد يكون بالعكس أى إتباعى ثم تخافى . ويطلق على العمليتين معاً تماثل تبادلي^(١) .

ولا حظنا النوع الأول (أى المكون من تماثل تخافى ثم إتباعى) عند تميم فى عدة ألفاظ . هى أعهد ، ومعههم ، ومع هؤلاء فنطقوها : أحَد ، ومَحْمٌ ، ومَحْأُولاء .

وفىما يلى تحليل للتطور التبادلي عند تميم فى كل لفظ على حدة :

١ - أحَد :

أصل هذا اللفظ « أعهد » وقد ورد فى قوله تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)^(٢) ونطقته تميم « أَحَد »^(٣) . وتم ذلك بأن قلبت العين (المجهورة والمتوسطة بين الشدة والرخاوة ، كما يرى القدماء^(٤) أو المجهورة الرخوة ، كما يرى المحدثون)^(٥) . حاء ، وهما من مخرج واحد وهو الحلق^(٦) بسبب مجاورة الهاء التى تتفق معها [(أى معها الهاء)] فى الهمس والرخاوة^(٧) فصارت « أَحهد » وهذا تماثل تخافى جزئى متصل . فاجتمع صوتان متفقان صفة ومتجاوران مخرجا هما الحاء والهاء ، ثم انتقل مخرج الثانى إلى مخرج الأول فاجتمع صوتان من جنس (أَحَد) أولها ساكن والثانى متحرك فأدغما . وهذا تماثل كلى إتباعى متصل .

٢ - محم :

ونستهل ذلك بعرض الروايتين التاليتين :

(أ) قال سيبويه : « قول بنى تميم « مَحْمٌ » ، يريدون مَعَهُمْ »^(٨) .

(١) التسمية للدكتور رمضان عبد التواب .

(٢) يس ٦٠/٣٦

(٣) مختصر فى شواذ القرآن ١٢٥

(٤) الكتاب ٤٣٤/٣ ، ٤٣٥

(٥) المدخل إلى علم اللغة ٧٥

(٦) الكتاب ٤٣٣/٤

(٧) المرجع السابق ٤٣٤/٤

(٨) المرجع السابق ٤٥٠/٤

(ب) قال ابن منظور : « غَلَبَتِ الحاءُ على العين في لغة سعد فيقولون : كنت مَحْمٌ في معنى مَعَهُمْ »^(١).

ونلاحظ أن الرواية الأولى عممته في تميم . أما الثانية فقد قصرته على بطن منهم هم بنو سعد . وإذا كانت السعود في العرب كثيرة ولم تحدد الرواية أى بنى سعد هم فإن الرواية الأولى تقطع الشك باليقين ولا تدع مجالا لاحتمال أنهم غير سعد التميمية . وما فعله التميميون في هذا اللفظ شبيه بـ (أَحَد) . وإذا كان هناك بعض الخلاف في اللفظين إذ إن الصوت الأول في هذا اللفظ وهو العين غير ساكن (مَعَهُم) ورغم ذلك قد أدغم فيما يليه (بعد قلب كل منهما إلى حاء) فإن توضيح ذلك يحتمل أحد أمرين :
الأول : إن « مَعَهُم » وهو مكون من كلمتين « مَعَ » والضمير « هم » كان ينطق بسكون العين ، والناطقون متأثرون في ذلك بنطق ربعة لهذا اللفظ^(٢) ، وهى قد جاورت بطونا من تميم .

الثانى : إن هذا الإدغام يتفق ومذهب أبى عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) في الإدغام ، وهذا ما أرجحه ؛ لأن أبى عمرو تميمى ومن الجائز جداً أنه قرأ بهذه الطريقة لأنه وجدها تتفق ولغة قومه التى درج عليها ولا تخالف ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وعند أبى عمرو يمكن أن يكون الصوت المدغم متحركا بشرط أن يكون الصوتان من كلمتين^(٣) ، كما هو الشأن في هذا اللفظ المركب من كلمتين هما « مَعَ » و « هم » .
وبنقتضى مذهب أبى عمرو فإن الإدغام في هذا اللفظ يمكن أن يكون قد تم بقلب العين حاء بتأثير الهاء فصار (مَحَهُم) ثم قلب الهاء حاء بتأثير الحاء فأصبح (مَحَحُم) .
والمرحلة الأولى تماثل جزئى تخلفى منفصل ، والثانية تماثل كلى إتباعى منفصل . ثم أدغمت الحاء في الحاء فقالوا محم ، وذلك بعد إسكان الحاء الأولى .

(١) اللسان (ست) ٣٤٤/٢ ، ٣٤٥

(٢) اللسان (مع) ٢١٨/١٠

(٣) السبعة في القراءات ١١٦

٣- مَحَاوَلَا :

وذكر سيبيويه أن قول بني تميم « مَحَاوَلَاءَ يريدون مع هؤلاء »^(١) وإن ما قلناه عن « مَحَم » يصدق على هذا اللفظ .

وبعد: فإننا نستطيع الحكم على كل كلمة اشتملت على عين تلتها هاء بأن تميما كانت تقلب الصوتين « حاء » عن طريق التماثل التبادلي . وليس ذلك خاصاً بهذه الكلمات الثلاث .

(ب) التغيرات

توطئة :

من سنن العربية أنها تكره توالى الأمثال في الكلمة^(٢) ، لذا فإننا نجد أنها تلجأ إلى التغيرات (Dissimilation) وهو حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة الواحدة^(٣) فهو ، بعكس التماثل . ومن أمثلته قلب أحد صوتي التضعيف في الكلمة إلى صوت لين طويل (واو مد ، أو ياء مد ، أو ألف مد) أو قلبه إلى أحد الأصوات المتوسطة Liquids الشبيهة بأصوات اللين^(٤) وهى اللام والراء والميم والنون^(٥) التي يتسع معها المجرى بما يقرب من اتساعه مع أصوات اللين^(٦) . وللتغيرات عدة صور منها :

(أ) تغير المجاورة Contact مثل إنجاص في إجصاص .

(ب) تغير المباعدة distant مثل بغدادان في بغداد^(٧) .

والتغيرات ظاهرة في كل اللغات ليست قاصرة على لغة دون أخرى^(٨) ، وهو عند تميم قد يكون بين الأصوات الساكنة ، وقد يكون بين الحركات . ونكتفي هنا بالنوع الأول ،

(١) الكتاب ٤٥٠/٤

(٢) الأشباه والنظائر ١٨/١

(٣) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية (مصطلحات علمي الأصوات واللغة) ١٤٣/٣

(٤) الأصوات اللغوية ٢١١ (٥) المرجع السابق ٢٤ يطلق عليها « الأصوات المائعة »

(٦) مجموعة المصطلحات العلمية ١٤١/٣

(٧) المرجع السابق ١٤٣/٣ .

(٨) انظر : دراسة الصوت اللغوي ٣٣٠

ونرجى إلى ما بعد دراسة الحركات . والكلمات التي حدث تخالف في أحد أصواتها الساكنة ، وعزيت إحدى الصيغتين إلى تميم ، وهى :

أَيْمَا ، وذَانِيكَ ، وسَنْبِل ، ويَغْضَى ، وَلَغْن ، وَيُمْلَى ، وَالْمَنْ ، ودهده عند تميم ، وذلك فى مقابل : أَمَّا ، وذَانُكَ ، ويَغْضَضُ ، وَلَعْل ، وَيَمَلِّ والمنا ، ودهدى عند غيرهم . أما سَنْبِل فأصلها سَبَل — كما سَنَبِينَ — وإن لم يعز هذا الأصل لأحد .

والتغاير فى هذه الكلمات قد يكون حدث عند تميم . وقد تكون هى التى حافظت على الأصل وحدث التغاير عند غيرها . ونلاحظ أن الذى تم فى هذه الكلمات كلها من النوع غير المطرد .

أولا : التغاير عند تميم :

(١) تغاير المجاورة :

١ - أَيْمَا :

« أَيْمَا » عند بنى تميم وشاركهم فى ذلك بنو عامر وذلك فى مقابل « أَمَّا »^(١) فى اللغة المشتركة . وهذه الصيغة لم تكن عامة فى بنى تميم ، وإنما كانت لغة كثير منهم^(٢) وهذه اللغة أنشد بيت عمر بن أبى ربيعة (٩٣ هـ) :

رَأَتْ رَجُلًا أَيْمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ

فَيَضْحَى وَأَيْمَا بِالْعَشَى فَيَخْصُرُ^(٣)

وسنذكر عند الحديث عن « الكسر والفتح » أن تيمما فتحت همزة « إِمَّا » التفصيلية ، فنطقتها كما تنطق الشرطية (أَمَّا) ، ولم يحدد العلماء الذين نصوا على قلب الميم الأولى ياء أنها خاصة بالشرطية أو التفصيلية . وإذا كان الشاهد الذى ذكرناه خاصاً بالشرطية ، فإن هناك شواهد خاصة بالتفصيلية ، منها قول الشاعر وإن كان مجهول القائل لدينا :

لا تفسدوا آبالكم أَيْمَا لَنَا أَيْمَا لَكُمْ^(٤)

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/٧

(٢) انظر : مجمع البيان للطبرسى ٦٦/١ وقد نسب الفتح إلى « كثير من تميم » .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/٧ والبيت فى الديوان ١٢١ برواية « أما » فى الموضعين (عارضت : قابلت والضمير

محذوف أى « عارضته » - ينحصر : يبرد « عن هامش الديوان ») .

(٤) معجم الهوامع ١٣٥/٢ ، وشرح الدرر ١٨/٢٢

٢ - ذَانِيكَ :

ذَانِيكَ بدلا من ذَانُكَ بإبدال النون الثانية ياء مد ، وهو اسم إشارة للبعيد . وهذا الاسم نطق بعدة صُور : ذَانِ ، وذَانٌ (بتشديد النون وكسرها) وقد نسبت هذه الصيغة أيضاً إلى تميم - وسنتناولها عند الحديث عن بنية الكلمة - وذَانِي وذَانِي ، وذَانِي^(١) ، ويقول أبوحيان عن هذه الأخيرة : « فذَانِيكَ بياء بعد النون المكسورة ، وهي لغة هذيل ، وقيل بل هي لغة تميم^(٢) . وإذا كان الغالب ألا تنطق القبيلة الواحدة بصيغتين في آن واحد ، وإذا كان من العسير تحديد تطور النطق في عصور الاحتجاج ونسبة كل صيغة إلى زمن معين فنحن أمام أحد احتمالين :

إما أن بعض فروع القبيلة تكلم بهذه الصيغة ، وبعضها بتلك .

وإما أن تكون قد تكلمت بإحدى الصيغتين ولم تتكلم بالأخرى ، وفي هذه الحالة نرجح أن تميزا تكلمت بالصيغة المشددة ، وأن هذه الصيغة - التي نعرضها هنا والتي تأرجحت نسبتها ما بين بني تميم وهذيل - هذلية وأن المراد بتميم إحدى البطون الهذلية ، نسبة إلى تميم بن سعد بن هذيل^(٣) .

وهذه النسبة إلى هذيل لا تتعارض وما نسب إلى تميم من تغاير ، إذ إن هذه الظاهرة ليست خاصة بتميم دون غيرها من قبائل - وهذا واضح من دراسة القسم الثاني من هذا الموضوع ، وهو « التغاير عند غير بني تميم » - بل ولا بالعربية فقط .

٣ - أَفْضَى :

ذكر الأصمعي أنه « يقال : لا يَفْضُضُ الله فاك ، وتميم وقيس ومن دنا منهم يقول : يُفْضِي الله فاك^(٤) » وأصل الفعل فَضَّ يَفْضُضُ بمعنى كسر^(٥) ، ومنه الدعاء : لا يَفْضُضُ الله فاك ، أي لا يكسر أسنانك^(٦) . وهذا ما شاع في اللغة المشتركة - كما يفهم من كلام الأصمعي - أما بنو تميم فكروا توالي الأمثال فأبدلوا بصوت التضعيف الثاني ياء مد .

(١) البحر ١١٨/٧ (٢) المرجع السابق .

(٣) انظر نسب هذا البطن في : جمهرة أنساب العرب ٤٦٦

(٤) شرح ديوان العجاج ٩٣ (٥) المصباح (فضض) ٤٧٥

(٦) اللسان (فضض) ٧٢/٩

٤- أُملى :

يُملى عند تميم وشاركتهم في ذلك قيس في مقابل يُمَلل عند الحجازيين وأسد - كما يذكر الفراء - ^(١) وتطور هذا الفعل عند تميم شبيهه بالفعل السابق إذ الأصل « مَلَّ » تطور إلى « أفعَل » عند أصحاب اللغتين واتخذ عند تميم طريق المخالفة بين المتماثلين .

وقد وردت اللغتان في القرآن الكريم ، قال تعالى (فهى تُمَلَّى عليه بكرة وأصيلا) ^(٢) وفق اللغة التميمية ، وقال جل شأنه (فليمَلل وليه بالعدل) ^(٣) كما كان يتكلم الحجازيون .

٥ - سنبل :

ونضم إلى الكلمات الأربعة السابقة التى عزيت صيغة المخالفة فيها إلى تميم هذا الفعل ، فقد نسب إلى تميم قولهم : سَنَبَل الزرعُ في مقابل أسبل عند الحجازيين وبنى هميان ^(٤) . والجذر الثلاثى لهذا الفعل هو « سبل » تطور من الثلاثى عند الحجازيين إلى أسبل ، وعند التميميين إلى سنبل مارا بمرحلة أخرى سابقة هى سَبَل (وإن لم ينص على ذلك أحد من اللغويين) بقلب أحد صوتى التضعيف إلى نون ، أحد الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين وهو تطور شبيهه بتطور كلمة رز إلى رنز عند عبد القيس ^(٥) . والدليل على أن النون هو الصوت الطارئ بدل أحد صوتى التضعيف أنه يطلق على السنبلة فى السريانية *šebbalta* المتطورة عن ^(٦) *šebbultā* كما يوافقها فى العبرية ^(٧)

נִסְבֵּל *šibboleṭ*

وأرجح أن من هذا الصنف الذى عرضناه كلمة « تَقَضَّى » عند تميم فى مقابل « تقضمض » عند غيرهم ، وذلك لورودها فى قول العجاج التميمى :

* تَقَضَّى البازى إذا البازى كسر ^(٨) *

(١) اللسان (ملل) ١٥٤/١٤ والتاج (ملل) ١٢٠/٨ (٢) الفرقان ٥/٢٥

(٣) البقرة ٢٨٢/٢ (٤) التاج (سبل) ٣٦٨/٧

(٥) لسان العرب (أرز) ١٦٩/٧ ، وارتشاف الضرب ٢٨ ↑ (٦) تطور اللغوى ٣٨

(٦) فقه اللغات السامية ٧٢ (الفقرة ١٣١)

(٨) شرح الديوان ٢٨ وهو العجاج بن ربيعة الراجز المشهور وهو أبو ربيعة الراجز . كان عالما باللغة وحشيها

وغريبها ، توفى فى عهد الوليد بن عبد الملك (خزانة الأدب ٩٠/١ ، ومقدمة ديوانه للمحدث ٧)

(ب) تغيير المباعدة :

وهذا النوع نلاحظه في نطق بعض التميميين لكلمة « لغن » في مقابل لعل^(١) في اللغة المشتركة . وقد تناولنا عند الحديث عن الإبدال الحر التبادل بين الصوتين العين والغين . ونطق تميم اللام الثانية يعد من التغيير المتباعد لوجود فاصل بين اللامين ، وقد قلبت نونا لقرب مخرجي الصوتين واتحادهما صفة^(٢) .

ثانيا : التغيير عند غير بنى تميم :

ويعنى هذا القسم قدم الصيغة التميمية وحدائث الأخرى :

(١) تغيير المجاورة :

الْمَنْ :

ونلاحظ ذلك في كلمة «الْمَنْ» ، وهو كيل أو ميزان يوزن به وقد تطور عند غيرهم إلى «الْمَنَا»^(٣) بإبدال صوت التضعيف ألف مد .

(ب) تغيير المباعدة :

١ - هِيَهَات :

يذكر يونس أن تميما كانت تقول : هيهات هيهات ، وأهل الحجاز يقولون : أيهات أيهات^(٤) ، وإذا كانت تميم قد آثرت في هذا اللفظ الهاء على الهمزة التي نطق بها الحجازيون . فالملاحظ أن الصيغة التميمية هي التي شاعت وأصبحت عضواً في اللغة المشتركة بدليل استعمال القرآن الكريم لها في قوله تعالى (هيهات هيهات لما توعدون)^(٥) . ومعنى ذلك أن التطور كان عند أهل الحجاز ، وأنه تم بطريق التغيير ، فبعد أن كانت الكلمة تشتمل على صوتين من جنس واحد وهما الهاء والهاء قلب أولهما إلى صوت آخر ، وهو الهمزة وساعد على ذلك تقارب الصوتين الجديد والأصلي في المخرج .

(١) اللسان (لغن) ١٧/٢٧٥ ، والتاج ١ (لغن) ٩/٣٣٥

(٢) راجع ص ١١٣

(٣) اللسان (منى) ٢٠/١٦٧

(٤) المزهري ٢٩٨ / ب (خ) .

(٥) المؤمنون ٢٣/٣٦

٢ - دده :

يقال : ددهتُ الحجرَ ودهديتهُ . ونطق التميميون الصيغة الأولى وأهل العالية (أى الحجاز) الصيغة الثانية^(١) وهو من المتباعد لوجود فاصل بين المتماثلين اللذين قلب ثانيهما ألف مد .

٣ - ماجاء على فَعَل عند تميم وفاعل عند غيرهم :

ولا نحب أن نترك هذا الموضوع دون أن نقف وقفة سريعة مع ما جاء على « فَعَل » عند تميم و « فاعل » عند غيرهم إذ إن هناك طائفة من الأفعال وردت : على الوزن الأول عندهم وعلى الثانى عند غيرهم وهذه الأفعال هى : رأى وراءى ، وصَعَّر وصاعر ، وضعَّف وضاعف . وتطور هذه الأفعال عند غير التميميين يحتمل أحد أمرين :

١ - أنها والتميمية تطورتا عن فعل ثلاثى ، واتجهت إحداهما إلى تضعيف العين عند تميم وإلى مضاعفة حركة الصوت الأول عند غيرهم .

٢ - أنها تطورت عن فَعَل التميمية بطريق التغيرات التخلفى المجاور ، وحينئذ تدخل هذه الأفعال فى موضوعنا هذا .

على أننا على أى من الاحتمالين سندرسها فى الباب التالى .

(ج) بين التماثل والتغاير

نقل أبو حنيفة عن أبي عمرو أن « الدُّنْدُن : أصول الصُّلِّيَّان المُحِيل في لغة تميم . وفي لغة بني أسد الدُّنْدُم بالميم »^(١) . وقد ذكرنا في الإبدال الحر الصلة بين الميم والنون التي تسرع التبادل بينهما . وقلنا - هناك - : إننا نميل إلى تطور الصيغة النونية عن الميمية . لكن هذا الميل لا يرقى إلى درجة الترجيح فلذا لن نعالج هذه الكلمة معتبرين أياً من الصيغتين الأصل . غير أننا نحسب أن نسجل أنه :

- ١- إذا كانت الصيغة الأسدية هي الأصل ، فإن الصيغة التميمية تطورت بالتماثل ، بأن قلبت الميم نوناً لتماثل النون السابقة لها . وهذا تماثل كلي إتباعي منفصل .
- ٢- إذا كانت الصيغة التميمية هي القدي ، فالصيغة الأسدية تطورت بطريق التغاير . فبدلاً من وجود صوتين من جنس واحد في الكلمة خالف الثاني الأول وانتقل إلى صوت الميم الذي في الصيغة . وهذا تغاير تقدمي متباعد .

(د) الفصل بين الأمثال

من سنن العربية - كما قلنا - أنها تكررة توالى الأمثال ، لذا لجأت إلى التغاير ، لكنه لم يكن الطريق الوحيد للهروب من اجتماع الأصوات المتماثلة . فقد ينشأ فاصل بين الصوتين يخفف من هذا الاجتماع^(٢) . وقد لجأت تميم إلى هذا الطريق فعزلت بين الصوتين المتماثلين بأحد أصوات المد الثلاثة الألف في كلمة « شرار » وفيما يلي عرض لهذه الكلمة :

كانت تميم تقول : « شرار » في مقابل « شرر » بمعنى ما يتطاير من النار متبدداً في كل جهة^(٣) ، وإذا كانت الصيغة الثانية (شرر) لم تعز إلى قوم معينين ، فلأنها هي التي كانت تنطق في اللغة المشتركة بدليل ورودها في القرآن الكريم والقراءة بها وحدها في قوله تعالى : (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ)^(٤) . وورود الصيغة الأولى عند تميم وحدها دون بقية العرب يجعلنا نرى أنها الحديثة وأن التميميين زادوا الألف بين الصوتين المتماثلين كراهية توالى الأمثال .

(١) النبات ١٧٥/٥ ، وانظر : التكملة للصغاني (دمم) واللسان (دمم) ٩٩/١٥ . (والصليات : نهت « اللسان -صلا- ٢٠٣/١٩ » ، والمحيل : ما أتت عليه السنة « اللسان -حول- ٢٠٠/١٣ ») .

(٢) التطور اللغوي ٤٤ ، وانظر : اللغة لفندريس ٩١

(٤) المرسلات ٣٢/٧٧

(٣) البحر ٤٠٢/٨

ثانيا : بين أشباه أصوات اللين والحركات

لقد سهل علينا في الأصوات الساكنة التمييز بين معظم الصيغ من حيث تطورها التاريخي ، فأمكننا أن ندرس ما يدخل تحت الإبدال التركيبي المبني على ضرورة معرفة الصيغة القدي والأخرى المتطورة عنها ، لكن تحقيق ذلك ليس من اليسير بالنسبة لأشباه أصوات اللين ، وكذلك بالنسبة للحركات . والحالات التي نستطيع الجزم بالحكم عليها قليلة بالنسبة لحالات الأصوات الساكنة . لذا سنضطر إلى دراستها كلها - دون تجزئتها كما فعلنا مع الأصوات الساكنة - مندرجة كلها تحت الإبدال الحر مشيرين في أثناء هذه الدراسة إلى ما نراه يندرج تحت الإبدال التركيبي أو نرجح أنه منه ، محددين الصنف الذي ينتمي إليه . ومشيرين أيضًا إلى الصيغة القدي - سواء أكانت تيمية أم غير تيمية - إن أمكن تحديدها .

ثم بعد أن ننتهي من هذه الدراسة نخصص عنوانًا للإبدال التركيبي (المقيد) في أشباه أصوات اللين وفي الحركات فنشير إلى الكلمات التي رأينا أو رجحنا أنها تكونت عن طريق هذا النوع في أثناء دراستنا إياها من قبل ، ونضم إليها أيضًا - دارسين - ما يندرج تحته مما لم ندرسه .

١ - الابدال الحر

(أ) بين أشباه أصوات اللين

(بين الواو والياء)

روى اللغويون لنا عدة كلمات نطقت بالواو والياء ، فإلى أى من الصوتين كان الاتجاه الغالب لتتميم . لنعرض أولاً الكلمات التى وجدناها منسوبة إلى تميم ، ثم نناقشها لنصل إلى النهج الذى تسيير عليه . وأحب أن أسجل أن هذه الكلمات بعضها أسماء وبعضها أفعال ومصادر . وراعى فى الفعل أن يظهر فيه شبه صوت اللين (الواو أو الياء) وذلك بإسناده إلى ضمير الفاعل فتقول مثلاً : « ضَحَوْتُ » ؛ لأنه فى حالة عدم إسناده نقول : « ضحَا » فيدخل فى دائرة الحركات الطويلة .

أولاً - ايثار الواو :

عزى إلى تميم قولها : حَوْتُ ، وسوغ ، وضحوت ، وقَلَنْسُوة ، وقِنُوة ، وذلك فى مقابل : حيثُ ، وسينغ ، وضحيث ، وقَلَنْسِيَّة ، وقُنِيَّة ، وفيما يلى عرض لكل كلمة :

١- حَوْتُ :

نقل الأزهري عن صاحب العين أن للعرب فى « حَيْثُ » لغتين : الأولى : وهى العالية حَيْثُ مضمومة الثاء والأخرى « حَوْتُ » لبنى تميم^(١) . ورغم ورود الكلمة فى القرآن الكريم ٣٤ أربعاً وثلاثين مرة^(٢) إلا أنها لم تقرأ بالنهج التميمي - فيما أعلم - وهذا النطق لا الواوى لم يكن بالطبع نطق جميع التميميين ؛ لأنه وردت روايات أخرى نسبت « حَيْثُ » بالياء وبفتح الثاء لبنى يربوع وطهية - وسنعرض لذلك عند الحديث عن الضم والفتح - ومرجعنا فى فتح الثاء من « حَوْتُ » تهذيب اللغة للأزهري . أما ابن منظور - وهو ناقل عن

(*) هذا المصطلح يقابل (Semi - vowels) وقد استعمله الدكتور إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية ٤٢) .
ووضع الدكتور السمران بدله « أشباه الصوائت » (علم اللغة ١٩٧) ، ويرى الدكتور بشر أن يقال « أنصاف الحركات » (الأصوات ١٠٨ ، ١٧٠) واستعمل الدكتور أحمد مختار « أنصاف اللل » دراسة الصوت اللغوى ٢٦٧ ، ٢٨٣ .

(١) التهذيب (حيث) ٢١٠/٥ ، وانظر اللسان (حيث) ٤٤٥/٢

(٢) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٢١ ، ٢٢٢

التهذيب - فقد ضبطها بالضم^(١) (حوٲُ) على أَنه ضبطها في موضع آخر من المادة نفسها وهي مادة (حيث) بالضم والفتح (حوٲُ) وذكر في موضع ثالث (مادة حوٲ) « ومن العرب من يقول : حوٲُ فيفتح »^(٢) .

وهذه الصيغة لم تكن خاصة بالتميميّين دون سواهم ، فقد نسبت كذلك إلى طيِّ ، بل إن اللحياني قصرها عليهم ، جاء في المحكم « حوٲُ لغة في حيثُ إمَّا لغة طيِّ وإمَّا لغة تميم ، وقال اللحياني : هي لغة طيِّ »^(٣) ونسبها كذلك مضمومة الثاء إليهم فقط ابن هشام في مغنى اللبيب^(٤) والفيروزابادي في القاموس^(٥) .

ونميل إلى أن « حوٲ » بضم الثاء لطيِّ وبفتحها لميم ، لاتفاق الفتح ونطق بطنين من تميم لها مفتوحة وبالياء ، كما سبق أن ذكرنا .

٢ - سوغ :

والسَّوْغ هو التالي ، يقال : هو سَوْغُه وهي أخته سوغه . إذا لم يكن بينهما ولد^(٦) . وسمع الفراء « رجلين من بني تميم قال أحدهما : سوغه ، وقال الآخر : سوغته »^(٧) . وهناك صيغة أخرى تحمل الدلالة نفسها وتنطق بالياء ، « قال المفضل : هو سوغ هذا وسيغ هذا بالواو والياء »^(٨) . وإذا كانت الواو نسبة إلى بني تميم فاليائية هي إذن لغيرهم .

٣ - ضحوت ضحوا :

ذكر الفراء أن « تميم تقول : ضَحَوْتُ للشمس أضحو »^(٩) . ويذكر شمر الفعل التميمي ومصدره دون عزوه ويقارنه بفعل ذى صيغة أخرى ، فيقول : « ضَحِي يَضْحِي ضُحِيًّا

(١) اللسان (حيث) ٤٤٥/٢

(٢) المرجع السابق (حوٲ) ٤٤٤/٢

(٣) مادة (حوٲ) ٣٨٤/٣

(٤) ١١٦/١

(٥) مادة (حوٲ) ١٦٤/١

(٦) اللسان (سوغ) ٣١٨/٩

(٧) المرجع السابق .

(٨) المرجع السابق .

(٩) تهذيب اللغة (ضحا) ١٥٢/٥

وضحوا يَضْحُو ضُحُوًّا^(١) . وهذا يعنى أن بنى تميم كانوا يقولون فى المصدر « ضُحُوا »
بالواو وغيرهم كان ينطقه « ضُحِيًّا » بالياء .

٤ - قَلَنْسُوة :

وتنطق هذه الكلمة بالواو عند تميم فى مقابل قَلَنْسِيَّة بالياء عند أهل الحجاز^(٢) . وهى
غطاء يلبس فى الرأس . ويرى الأب طوبيا العيسى أن الكلمة معربة عن اليونانية kalyptra
ومعناها الأصلية : غطاء رأس المرأة ، ثم أطلق على النصيف يغطى به الاكليرس ومُوسهم^(٣) .
وهذا التعريب سبب اختلاف العرب فى نطق الكلمة الذى وجدناه يختلف بين التميميين
والحجازيين فى ثلاثة مواضع :

(١) إيشار تميم الواو على الياء ، وهذا الذى يعيننا هنا .

(ب) نطقهم القاف مفتوحة فى حين أن الحجازيين ضموها .

(ج) ضمهم السين التى كسرها الحجازيون .

وسنتناول الظاهرتين الأخيرتين فى موضعيهما .

٥ - قُنُوة :

نطق التميميون قُنُوة فى مقابل قُنِيَّة عند الحجازيين^(٤) ، وذلك بمعنى الكُنْبِيَّة . وهناك
لغتان أخريان ، هما : قُنُوة وقُنِيَّة^(٥) .

(١) تهذيب اللغة (ضحا) ١٥١/٥
(٢) المزهر ٢٩٨/ب وضبط . قلنسوة من اللسان (قلس) والقاموس (قلس) ٢٤٠/٢ وفيه : « إذا فتحت ضممت
السين وإذا ضممت كسرتها » . واكتفى المزهر المطبوع بضبط الحروف الثلاثة الأولى من الصيغتين بفتح القاف واللام وسكون
النون . وواضح أنه خطأ .
(٣) تفسير الألفاظ الدخيلة ٥٧
(٤) المزهر ٢٩٨ / ب
(٥) اللسان (قنا) ٦٣/٢٠

ثانياً : اِثَار الياء :

(١) المطرد :

١ - ما جاء على فعلى :

توطئة :

القاعدة العامة في كل لفظ جاء على « فُعَلَى » أو « فَعَلَى » وكانت لامه معتلة بالواو
أو الياء :

أولاً : ما جاء على فُعَلَى :

١ - إن كانت لامه معتلة بالواو :

- (أ) تسلم هذه الواو إن كان اسماً مثل حُزوى (اسم موضح) .
(ب) وإن كان صفة قلبت الواو ياءً مثل الدنيا والعليا . إلا ما شذ مثل القُصوى
عند أهل الحجاز إذ بقيت لامها سالمة دون إقلاب .

٢ - وأما إن كانت معتلة بالياء فتسلم هذه الياء سواء أكانت :

(أ) في اسم مثل فُتيا .

(ب) أم في صفة مثل القُصيا مؤنث الأقصى .

ثانياً : ما جاء على فَعَلَى :

١ - إذا كانت اللام ياء :

- (أ) قلبت واوا في الاسم مثل تَقْوَى وفتوى .
(ب) وسلمت في الصفة مثل خَزْيَا مؤنث خَزْيَان .

٢ - وإذا كانت واوا بقيت اللام سالمة في كل من :

(أ) الاسم مثل دَعْوَى .

(ب) والصفة مثل نَشْوَى^(١) .

(١) شرح الأشرفي ٤/٣١٠-٣١٢ ، وانظر : شرح ابن عقيل ٢/٥٦٤ ، ٥٦٥

ولنعرض بعد ذلك الروايات الثلاث التالية :

١- قال محمد بن السرى : أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦ هـ) : « الدنيا مؤنثة مقصورة تكتب بالألف . هذه لغة نجد وتميم خاصة ، إلا أن أهل الحجاز وبنى أسد يلحقونها ونظائرها بالمصادر ذوات الواو ، فيقولون : دَنَوَى مثل شَرَوَى ، وكذلك يفعلون بكل فُعْلَى موضع لامها واو يفتحون أولها [ويقلبون ياءها واواً . وأما أهل اللغة الأولى فيضمون الدال] ويقلبون الواو ياءً ؛ لأنهم يستثقلون الضمة والواو »^(١) .

٢- جاء في اللسان : « وفي الحديث : (ما هذه الفتيا التي شَعَبَتْ بها الناس) أى فرقتهم . والمُخاطَب بهذا القول ابن عباس في تحليل المتعة والمُخاطَب له بذلك رجل من بلهجم »^(٢) .

٣- قال ابن السكيت : « ما كان من النعوت مثل العُلْيَا والدُّنْيَا فإنه يأتى بضم أوله وبالياء لأنهم يستثقلون الواو مع ضمة أوله ، فليس فيه اختلاف إلا أن أهل الحجاز قالوا : القُصْوَى ، فأظهروا الواو ، وهو نادر وأخرجوه على القياس إذ سكن ما قبل الواو . وتميم وغيرهم يقولون : القُصْيَا »^(٣) .

وبعد هذا التقديم ، فإن نظرة في النصوص الخاصة بالوزن « فُعْلَى » يتبين لنا :

١- إذا كان النص الأول يقرر أن المعتل اللام بالواو جاء على وزن « فُعْلَى » فإن تميمًا تضم الفاء وتقلب الواو ياء لعدم الجمع بين الضمة والواو ، وتقول : « دُنْيَا » على « فُعْلَى » أما الحجازيون فيفتحون الفاء ويبقون على الواو ، فيقولون : « دَنَوَى » على « فُعْلَى » وفق قاعدة أخرى قياسية .

٢- ووفقاً للقاعدة القياسية الخاصة بهذين الوزنين : (فُعْلَى ، وَفَعْلَى) وجدنا الهُجَيْمِي - كما في النص الثانى - ينطق « فُتْيَا » بضم الفاء وبقلب الواو ياء ، ونطقت كذلك عند غيرهم « فُتَوَى » بفتح الفاء وسلامة الواو وفق قاعدة أخرى .

(١) البحر ٢٨٢/١ وما بين القوسين المعقوفتين سقط من المطبعة وأثبتناه من المخطوطة ج ٢ (رقم ٥٤ تفسير) بدار الكتب المصرية .

(٢) اللسان (شعب) ٤٨٠/١

(٣) تهذيب اللغة (قصا) ٢١٩/٩ ، واللسان (قصا) ٤٤/٢٠ والتاج (قصا) ٢٩٥/١٠

٣- وإذا كان التميميون قد قالوا : « القُصَيّا » فضموا الفاء وقلبوا الواو ياءً ، وقال الحجازيون « القُصوى » - كما في النص الثالث - فضموا الفاء وأبقوا الواو دون إقلاب ، فإن التميميين وفق القاعدة القياسية التي سار عليها العرب واستقرت عليها العربية والتي وضحناها في التوطئة التي قدمنا بها لدراسة ما جاء على « فُعَلَى » عند تميم . وأمّا الشذوذ فقد كان في نطق الحجازيين . ولكنهم رغم هذا الشذوذ فإن لغتهم في هذه الكلمة هي القدي لمحافظة على الواو وعدم إبدالها ، بخلاف الصورة التميمية ، فإنها الحديثة المتطورة . ونلاحظ أنّ ما فعلته تميم من ضم الفاء وقلب الواو الواقعة لأمّا ياءً تسيير وفق قانون المخالفة .

٢ - باب وجل :

وهو كل فِعْلٍ مثال من باب (فَعِلْ يَفْعَلْ) . والقاعدة الخاصة بهذا الباب - كما سنتناول ذلك مفصلاً عند الحديث عن التثنية - أنّ غير الحجازيين يكسرون حرف المضارعة عدا الياء فتفتح من كل فعل كان من باب « فَعِلْ يَفْعَلْ » لكن إذا كان من باب « وَجَلْ » وأسند للغائب ، فإن فيه أربع لغات ، وهذه اللغات الأربعة هي .

١- يَوْجَلْ وهي لغة أهل الحجاز .

٢- يَيْجَلْ وهي لغة تميم .

٣- ياجل وهي لغة قيس^(١) .

٤- ييجَلْ وهي لغة بني أسد^(٢) .

والذي يعيننا هنا المقارنة بين اللغتين الحجازية الواوية (يَوْجَلْ) والتميمية (يَيْجَلْ) . ونلاحظ أنّ كلا من اللغتين راعت في هذا الفعل قاعدة لغتها ، فكلاهما فتح حرف المضارعة

(١) الجيم ٣/٣٠٥

(٢) ذكر الجوهري هذه اللغات الأربعة ، ونسب الرابعة فقط لآسد (انظر الصحاح « وجل » ١٨٤٠/٥) لكن سرتسطنى نقلا عن أبي زيد نسبها إلى قشير وعقيل (الأفعال ٤ « القسم الأول / ٢٧٠ » وهما بطنان من قيس ، راجع : جهمر - ابن حزم ٨٢ : ٤) .

الياء إِلَّا أن الحجازية حافظت على الواو (فاء الكلمة) أما التميمية فقلبت هاء . وقد علل سيبويه ذلك بكراهية الجمع بين الواو والياء^(١) وهذا تماثل إتباعى منفصل ، لوجود فاصل بين الواو والياء في يَوْجَل . وهو الفتحة القصيرة .

(ب) غير المطرد :

نطق التميميون خمسة ألفاظ بالياء نطقها غيرهم بالواو ، هي : حَفَايَة ، وَأُسَيْدٌ ، وَقَلَيْتٌ ، وَقُنْيَانٌ ، وَهَدَايَا . وفيما يلي عرض لكل منها :

١- حَفَايَة :

يقال : حَفَى بالرجل حَفَاوَةً وَحَفَاوَةً وَحَفَايَةً : بالغ في إكرامه^(٢) . وقد عَزَى المصدر الثالث وهو اليائى إلى تميم^(٣) . ونلاحظ أن الصيغة التميمية تكونت بالتماثل المنفصل وهو تماثل كلى لاتفاق الياء والكسر في الجنس .

٢- أُسَيْدٌ :

أُسَيْدٌ وَأُسَيْوُدٌ تصغير أسود . واختار التميميون الصيغة الأولى فسموا بها ، فَبَنُو أُسَيْدٍ نسبة إلى أُسَيْدٍ بن عمرو بن تميم^(٤) . وصنيع تميم من التماثل الإتباعى المتصل .

٣- قَلَيْتُ قَلِيًّا :

ذكر اليزيدى (ت ٢٠٢ هـ) في نوادره أن « أهل الحجاز » يقولون : « قَلَوْتُ الْبُرَّ . وَكُلُّ شَيْءٍ يُقَالُ فَأَنَا أَقْلُوهُ قَلَوًّا ، وَتَمِيمٌ : قَلَيْتُ الْبُرَّ فَأَنَا أَقْلِيهِ قَلِيًّا . وَكُلُّهُمْ فِي الْبَغْضِ سَوَاءٌ يَقُولُونَ : قَلَيْتُ الرَّجُلَ ، فَأَنَا أَقْلِيهِ قَلِيًّا »^(٥) . وإذا كانت تميم قد اختارت الياء وآثرت على الواو التي هي للحجازيين ، وذلك في إحدى دلالات الكلمة ، وهي وضع الحب على النار ، فإن هذا يجعلنا نميل إلى أن الصيغة التميمية هي القدي ، وأن التطور أصاب الحجازية لاتفاق اللغتين في استعمال اليائية في دلالة أخرى هي البغض .

(١) الكتاب ٢/٢٥٧ ١١١/٤ وسيبويه لم يحدد إلا الناطقين بالواو وهم أهل الحجاز أما اللغات الثلاث الأخرى فلم يعزها .

(٢) الأفعال للسرقي ٣٧٥/١

(٣) اللسان (حنى) ٢٠٣/١٨

(٤) المزهر ٢٧٧/٢

(٥) الاشتقاق ٢٠٦

٤- قُنْيَان :

القُنُو : حمل الكِبَاَسَةِ^(١) ، أَيْ عُنُقُود النخل^(٢) . وقد نطق العرب جمع هذا اللفظ بصيغ أربع فقال الحجازيون : قِنْوَان ، وقالت قيس : قُنْوَان ، وهو عند تميم وضبة قُنْيَان^(٣) وعند كلب قِنْيَان^(٤) . ونلاحظ أَنَّ الصيغتين الحجازية والتميمية تمتا بطريق التغير ، فمن ضمَّ أول الكلمة اختار الياء ، ومن كسره نطق بالواو . وذلك بخلاف قيس التي جمعت بين الضمة والواو وكتب التي جمعت بين الكسرة والياء ، وهو عند كل منهما تماثل كلي .

وإذا كان الجمع نطقت لأمه واوا وياء ، فإنَّ العرب يجتمعون في المفرد فيقولون : قَنُو ، وقَنُو (بالواو) ولا يقولون : قَتَى (بالياء)^(٥) . ومعنى هذا أَنَّ الصيغة التميمية حديثة ، تطورت عن القيسية بالتغير الكلي المتباعد .

٥- هدايا :

يذكر أبو زيد أَنَّ الهَدَاوَى لغة عليًا مَعَدَّ ولغة سفلاها الهدايا^(٦) . وإذا كان أبو زيد لم ينسب هدايا إلى تميم صراحة ، وإنما عزاها إلى سفلى معد . وهذه النسبة أشبه بسفلى مضر التي تعني المضريين المقيمين في نجد ، وإن كان التعبير بسفلى معد أوسع لاشتماله على بني مضر وبني ربيعة ؛ لأنَّ معدا جد لكل منهما فهما ابنا نزار بن مَعَدَّ^(٧) . أمَّا عليًا معد فالمراد بهم بنو مضر وربيعه المقيمون بالحجاز ، وإن كنت أرى أَنَّ المراد هنا كل المقيمين بالحجاز سواء أكانوا ممن ينتمون إلى معد أو غيرهم ممن ينتمون إلى ايمن كالأنصار ، ودليلنا على ذلك عزو هداوى في موضع آخر من كل من التهذيب واللسان إلى أهل المدينة^(٨) .

(١) المصباح (قنا) ٥١٨

(٢) المرجع السابق (كبس) ٥٢٤

(٣) تهذيب اللغة (قنا) ٣١٥/٩ ، واللسان (قنا) ٦٧/٢٠

(٤) اللسان (قنا) ٦٧/٢٠

(٥) اللسان (قنا) ٦٧/٢٠

(٦) تهذيب اللغة (هدى) ٣٨٢/٦ ، واللسان (هدى) ٢٣٣/٢٠

(٧) جمهرة أنساب العرب ١٠

(٨) التهذيب ٣٨٢/٦ ، واللسان (هدى) ٢٣٣/٢٠

وهدايا وهداوى مفردهما هدية على وزن فَعيلة والجمع الغالب لهذا الوزن وغيره من كل اسم رباعى قبل آخره مدة ومختتم بتاء تأنيث هو فعائل^(١) ، وأصل هدايا هداى ثم دخلها الإعلال فصارت إلى هذه الصورة .

نخلص مما تقدم أن الصيغة التميمية توافق ما سارت عليه اللغة المشتركة ، وأما الخروج على النهج العام للعربية فهو خاص بالصيغة الأخرى (هداوى) .

التفسير الصوتى :

يرى القدماء أن مخرج الواو مما بين الشفتين^(٢) ، وأن الياء من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى^(٣) فهما على هذا متباعداً مخرجاً مما يجعل شرط التبادل منعداً .

لكن المحدثين عالجوا مخرج الواو من زاوية أخرى غير التى نظر إليها القدماء ، إذ جعلوا مدار تحديد المخرج على حركة اللسان وقرب أحد أجزاء من الحنك الأعلى ، فمخرج الواو عندهم هو أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك ويصحب ذلك استدارة الشفتين^(٤) ، أما الياء فيوافقون القدماء في تحديدهم^(٥) وهم فى هذا يعتمدون على جونز فى وصفه^(٦) لهما . يضاف إلى ذلك أن الصوتين يتفقان فى الجهارة^(٧) .

ومن القدماء من لاحظ أن مخرج الواو ليس مقصوراً على الشفة ، يقول المبرد : « والشفة مخرج الواو والباء والميم ، إلا أن الواو تهوى فى الفم حتى تتصل بمخرج الطاء والضاد وتتفشى حتى تتصل بمخرج اللام »^(٨) .

(١) ينقل ابن سيده تعليل القدامى تطور هذه الكلمة فيقول : « أما هدايا فعلى القياس أصلها هداى [بضم الباء] ، ثم كرهت الضمة على الياء فأسكنت فقبل هداى ثم قلبت الياء ألفاً استخفاً لما كان الجمع فقبل هداوا كما أبدلوها فى مدارى [بفتح الراء] ولا حرف علة هناك إلا الياء— ثم كرهوا همزة بين ألفين لأن الهمزة بمنزلة الألف إذ ليس حرف أقرب إليها منها فيصورها ثلاث همزات ، فأبدلوا من الهمزة ياء لحقتها ولأنه ليس حرف بعد الألف بأقرب إلى الهمزة من الياء ولا سبيل إلى الألف لاجتماع ثلاث ألفات فلزمت الياء بدلاً . ومن قال هداوى [بفتح الواو] أبدل الهمزة واوا لأنهم قد أبدلونها منها كثيراً » (المحكم ٢٦٩/٤ وعنه نقل اللسان ٢٣٣/٢٠) .

(٢) الكتاب ٤٣٣/٤ (٣) المرجع السابق

(٤) الأصوات اللغوية ٤٣ (٥) المرجع السابق

(٦) Jones, An out line of English phonetics p.191, 194.

(٧) الكتاب ٤٣٤/٤ ، والأصوات اللغوية ٣٦ ، والأصوات للدكتور بشر ١٧١

(٨) المقتضب ٣٣٠/١

التبادل بين هذين الصوتين إذن تجيزه القوانين الصوتية . وفي كتب اللغة عديد من الكلمات حدث فيها التبادل بينهما وإن لم تنسب إحدى الصيغتين إلى قوم معينين . وباستعراض الكلمات التي عثرنا عليها منسوبة إلى تميم وخالفتم غيرها في الواو أو الياء يتبين لنا أنها :

أولاً : بالنسبة للواو : آثرتها في خمس كلمات هي : حوث (عند بعض التميميين) وسوغ ، والفعل ضحوت ومصدره ضُحُو ، وقلنسوة ، وقنوة .

ثانياً : بالنسبة للياء : اتجهت إليها في :

(١) حالتين قياسيتين هما :

١- المعتل اللام بالواو مما جاء على « فُعَلَى » بقلب واوه ياء ، في حين إن الحجازيين نطقوه على « فَعَلَى » بفتح الفاء واللام .

٢- فاء المضارع من باب (فَعِلَ يَفْعَلُ = وجل) المثال المسند للغائب وقد حافظ الحجازيون على الواو .

(ب) في خمس كلمات مفردة هي :

حفاية ، وأسيّد ، والفعل قَلَيْتَ ومصدره قَلَيَا ، وقنيان ، وهدايا .

ونلاحظ أن إحدى هذه الكلمات وهي هدايا وافقت فيها تمام اللغة المشتركة وخالفتم الحجازية .

ومن هذا العرض يتبين أن تميماً آثرت الياء على الواو وهذا بخلاف ما قرره بعض العلماء المحدثين^(١) .

وللتعقيب بقية عند الحديث عن (الضم والكسر) .

(١) انظر : التعاقب والمعاينة للدكتور أحمد علم الدين الجندي (مجلة مجمع اللغة العربية) ١١٥/٤٠

(ب) بين الحركات

أولا - الحركات القصيرة

خالفتم تميم غيرها في ضبط طائفة من الكلمات ما بين ضم وكسر ، وكسر وفتح ، وضم وفتح لأحد أصواتها ، وسنعرض لكل وجه من أوجه الخلاف لنعرف إلى أيها اتجهت . ولن نتعرض هنا للأفعال ؛ لأننا نلاحظ أن حركة عين الفعل تحكمها المغايرة في كثير من الأحيان ، فما كان مكسوراً في الماضي يكون في المضارع مفتوحاً في الغالب وبالعكس^(١) . فلو أردنا هنا وضع اعتبار لحركة العين في كل من الماضي والمضارع لوقعنا في اضطراب . ولنكتف بدراسته في موضوع مستقل (مستقبل الفعل الثلاثي) في الباب التالي .

وسنبداً بالمطرود ثم نشئ بغير المطرد مراعين في ترتيب الكلمات النظام الهجائي ، إلا إذا وجدت ألفاظاً أخرى ذات صلة بلفظ ما كاشتراكه معه في الوزن . وهذا النوع الأخير سنجعله في مقدمة غير المطرد لاحتمال أن يكون من المطرد .

١ - بين الضم والكسر

(١) الميل الى الضم :

أولا - شبه المطرد :

١-٧ : ما جاء على « فُعْلة » عند تميم و « فِعْلة » عند غيرهم :

١-٤ : أسوة وعدوة وعشوة وقدوة : ذكر اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) في نوادره أن أهل الحجاز كانوا يقولون : « تركته بتلك العدو ، وأوطأته عشوة » ، ولي بك إسوة وقْدوة و تميم تضم أولئك الأربعة^(٢) . وفما يلي حديث خاص عن كل كلمة من الكلمات الأربعة التي ضمت تميم أوائلها وكسرها الحجازيون متساولين إياها وفق الترتيب الهجائي :

(١) انظر : « مستقبل الفعل الثلاثي » في الباب التالي .

(٢) المزهر ٢٩٩/أ (خ) = ٢٧٧/٢ (ط) وضبط « العدو » و « عشوة » بالفتح .

١- أُسْوَة :

وهي بمعنى القدوة^(١) ، ونسب الضم أيضاً إلى قيس بجانب ميم^(٢) . وقد وردت في كتاب الله ثلاث مرات إحداها في سورة الأحزاب^(٣) في قوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) والآخران في سورة الممتحنة^(٤) .

وقد قرأ وفق النهج التميمي (أُسْوَة) بضم الهمزة في الايات الثلاث عاصم^(٥) من السبعة والأعمش^(٦) من الأربعة عشر .

٢- عُدْوَة :

العُدْوَة : جانب الوادي^(٧) ، وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى)^(٨) . وقد قرأ باللغة التميمية من الأربعة عشر (عُدْوَة) نافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة والكسائي ، وأبو جعفر ، وخالف الأعمش^(٩) .

وهناك لغة ثالثة هي العُدْرَة (بالفتح) سندكرها عند الحديث عن الضم والفتح .

(١) اللسان (أسا) ٣٧/١٨

(٢) إتحاف ٣٥٤

(٣) ٢١/٣٣

(٤) الآيتان ٤ ، ٦

(٥) التيسير ١٧٨ وهو أبو بكر عاصم بن أبي النجود يهذلة الأسدي ولاء ، شيخ قراء الكوفة وأحد السبعة . روى عن زر بن حبیش ، وروى عنه حفص وغيره . توفي سنة ١٢٩ هـ (معرفة القراء الكبار ٧٣/١ - ٧٧) .

(٦) إتحاف ٣٥٥

(٧) اللسان (عدا) ٢٦٧/١٩

(٨) الأنفال ٤٢/٨

(٩) انظر : إتحاف ٢٣٧ ، وفيما يلي تعريف بمن لم يسبق ترجمته من القراء :

(أ) نافع : هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني أحد القراء السبعة المشهورين أخذ القراءة عن الأعرج وأبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح وروى عنه سليمان بن مسلم بن جبار والأصمعي وعثمان بن سعيد الملقب بورش توفي سنة ١٦٩ (السبعة في القراءات ٥٣-٦٤) .
(ب) ابن عامر : هو عبد الله بن عامر اليحصبي إمام القراءة في الشام وأحد القراء السبعة تابعي توفي سنة ١١٨ هـ (التيسير ٦٠٥ ، ومعرفة القراء الكبار ٦٧/١ - ٧٠) .

٣- عُشْوَةٌ :

ومعنى هذه الكلمة ركوب الأمر على غير بيان^(١) وأوطأه عُشْوَةٌ أى حمّله على أن يركب أمراً غير مستبين الرشد ، وربما كان فيه عَطْبُهُ^(٢) .

وفي الكلمة لغة ثالثة سنعرض لها عند الحديث عن « الضم والفتح »^(٣) .

٤- قُدْوَةٌ :

وهى بمعنى فَعَلَ مثل فَعَلَ غيره تَأْسِيًّا به^(٤) . ويبدو أن اللغة التميمية هى التى شاعت وأخذت بها اللغة المشتركة ، بدليل قول الفيومى : « والضم أكثر من الكسر »^(٥) .

٥- رُفْقَةٌ :

الرفقة : الجماعة يرافقون فى السفر ولا يفترقون^(٦) . وعزا الفراء ضم رائيها إلى تميم وكسرها إلى قيس^(٧) . وقد أكد الفيومى وابن منظور نسبة اللغتين إلى أصحابهما^(٨) . وكما أن تميمًا اختلفت عن قيس فى نطق هذين اللفظين وهما مفردان (اسم جمع) فإنها اختلفت عنها فى صيغة الجمع أيضًا فقالت تميم : رُفَقَ وقالت قيس : رَفَقَ إلى جانب رفاق عند الاثنين^(٩) :

٦- غُلْظَةٌ :

وقد نطقته تميم - كما قال الفراء (ت سنة ٢٠٧ هـ) - بضم الغين ونطقه الحجازيون وكذلك بنو أسد بكسرها^(١٠) . وورد اللفظ فى قوله تعالى : (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)^(١١) ولكنه لم يقرأ وفق النطق التميمى (غُلْظَةٌ) إلا فى الشاذ من القراءات ، قرأ به أبان بن تغلب^(١٢) .

-
- | | |
|--|----------------------|
| (١) اللسان (عشا) ٢٨٩/١٩ | (٢) المرجع السابق |
| (٣) المصباح (قدو) ٤٩٤ | (٤) المرجع السابق |
| (٥) انظر : اللسان (رفق) ٤١٠/١١ | (٦) إصلاح المنطق ١٣٠ |
| (٧) المصباح ٤٩٤ ، واللسان (رفق) ٤١٠/١١ | |
| (٨) انظر : اللسان (رفق) ٤١٠/١١ | |
| (٩) إعراب القرآن للنحاس ٩٠/ب وانظر إصلاح المنطق ١٣٠ عن الفراء، وعزى فيه الكسر إلى « قيس » فقط | |
| (١٠) التوبة ١٢٣/٩ | |
| (١١) مختصر فى شواذ القرآن ٥٦،٥٥ ، وهو أبوسعبد أبان بن تغلب الرقى الكوفى . قرأ على حاصم والأعمش وتوفى سنة ١٤١ هـ وقيل سنة ١٥٣ هـ (غاية النهاية ٤/١) . | |

وفي اللفظ لغة ثالثة بفتح الغين منعرض لها عند الحديث عن « الضم والفتح » .

٧- مُرِيَّة :

ذكر يونس (ت سنة ١٨٣ هـ) في نوادره أن « أهل الحجاز مريّة وتميم مريّة »^(١) وإذا كان يونس لم يحدد المراد بالمريّة فإننا إذا رجعنا إلى المعاجم نجد أنها تستعملها بمعنىين :
(١) الشك والجدل ، وضُبطت بضم الميم وكسرهما ، وذكر ثعلب (ت سنة ٢٩١ هـ) أنهما لغتان دون عزوهما^(٢) .

(ب) المسح على ضرع الناقة لتدر اللبن . وذكر أيضاً بالضم والكسر وإن كان الضم هو الأعلى . لكن ثعلباً أنكر الضم ورد عليه ابن برى - (ت سنة ٥٨٢ هـ) نقلاً عن ابن دريد (ت سنة ٣٢١ هـ) بأن الضم هو اللغة العالية واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

شامداً تتقيّ الميسّ على المرّ يّة كرهاً بالصرف ذي الطلاء^(٣)

في الأسلوب الأدبي :

(١) وبالمعنى الأول ورد اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى : (فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِّمَّا يَخْتَفُونَ هَؤُلَاءِ)^(٤) . وقد قرأ الجمهور بالكسر . أمّا اللغة التميمية فقد قرأ بها الحسن^(٥) والسلمي وأبو رجاء وأبو الخطاب السدوسي^(٦) . ونسب أبو حيان وصاحب الإنحاف الضم إلى أسد بالإضافة إلى تميم عند عرض هذه الآية^(٧) .

(١) المزهر ٢٩٨/ب (خ) = ٢٧٦/٢ (ط) . (٢) اللسان (مرا) ١٤٦/٢٠

(٣) المرجع السابق (والشاعر هنا يشبه الحرباء بناقة قد شملت بذنبها أى رفعت، والصرف : صبغ أحمر، والطلاء..

الدم - المرجع السابق « والميس : الذي يدر الناقة للعلب ، انظر : اللسان « بسس » ٣٢٥/٧) .

(٤) هود ١١/١٠٩

(٥) البحر ٢١١/٥ ، وإتحاف ٢٥٥ ، وهو الحسن بن يسار البصري ، قرأ على حطان الرقائشي عن أبي موسى الأشعري توفي سنة ١١٠ هـ (غاية النهاية ٢٣٥/١) . وهو أحد القراء الأربعة عشر (إتحاف ٧) .

(٦) البحر ٢١١/٥ ، وفيما يلي تعريف هؤلاء القراء الثلاثة :

(أ) السلمي : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الضرير ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان قارئ الكوفة . توفي سنة ٧٤ هـ (غاية النهاية ٤١٣/١) .

(ب) أبو رجاء : هو عمران بن تميم - وقيل ابن ملحان أبو رجاء العطاردي البصري أسلم في حياة النبي صلى

الله عليه وسلم ولم يره . تلقن القرآن عن أبي موسى . توفي سنة ١٠٥ هـ (غاية النهاية ٦٠٤/١) .

(ج) أبو الخطاب السدوسي : هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، روى القراءة عن أنس بن مالك

وتوفي ١١٧ هـ (غاية النهاية ٢٥/٢ ، ٢٦) . (٧) البحر ٢١١/٥ ، وإتحاف ٢٥٥

(ب) أما استعمال اللفظ بالمعنى الآخر وفق اللغة التميمية في الأسلوب الأدبي فقد عرضنا من قبل بيتاً ذكرنا أنه ورد فيه مضموماً ، أى كما كان ينطقه التميميون .

٨-١٠ : فُعْلان عند تميم وفِعْلان عند الحجازيين (رُضْوَان - صُنْوَان - قُنْيَان) :

٨- رُضْوَان :

ضمت تميم الراء من هذا اللفظ وشاركتها فيه قيس واختار الحجازيون الكسر^(١) وهو الذى شاع بدليل أن اللفظ ورد في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة^(٢) وقد قرأه القراء الأربعة عشر في جميع مواضعه بالكسرة سوى الحسن الذى قرأ بالضم ، وأبى بكر بن عيَّاش الذى قرأها هو الآخر بالضم ما عدا في قوله تعالى : (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ)^(٣) ، فقد روى عنه الضم والكسر^(٤) .

٩- صُنْوَان :

ذكر القراء أن « صنوان بالضم لغة تميم وقيس والكسر لغة أهل الحجاز »^(٥) والصنوان جمع صننو ، وهو المثل ، وكذلك الفرع يجمع به وآخر أصل واحد^(٦) أو أكثر^(٧) ، وقيل : إنه اسم جمع لا جمع تكسير ؛ لأنه ليس من أبنيته^(٨) ، وقد استعمل القرآن الكريم هذا اللفظ في قوله تعالى : (وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَبَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ

(١) التبيان ١٣/٢ ؛ وانظر : المصباح ٢٢٩ ولم ينسب الكسر والبحر المحيط ٣٩٨/٢ وعزا الضم أيضا لبكر .

(٢) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٣٢

(٣) المائدة ١٦/٥

(٤) إتحاف ١٧٢ وهو أبو بكر شعبة بن عيَّاش الأسدي بالولاء من قراء الكوفة وأحد راويي عاصم . توفي بالكوفة ١٩٤ هـ (التيسير ٧) وقيل ١٩٣ هـ (غاية النهاية ٣٢٧/١) .

(٥) إعراب القرآن للمحاس ١٠٦ / ب وانظر : المختص ٣٥١/١ ، والبحر ٣٥٧/٥ (دون عزو للفراء في المرجعين الأخيرين) .

(٦) البحر ٣٥٧/٥

(٧) اللسان (صنا) ٢٠٤/١٩

(٨) البحر ٣٥٧/٥

صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ^(١) . وقرأ جمهور القراء وفق اللغة الحجازية^(٢) . أمّا اللغة التميمية فلم يقرأ بها إلّا في الشواذ : قرأ بها أبو عبد الرحمن السلمى^(٣) وحفص عن عاصم^(٤) .

١٠ - قُنَيَان :

القُنُوَةُ الكِبَاسَةُ^(٥) ، وهى عنقود النخل^(٦) . وفى جمعه أربع صيغ ، هى : قُنُوَان ، وقُنَيَان (جمع قُنُو) ، وقِنُوَان وقِنَيَان (جمع قِنُو) ، ونسبت الصيغة الأولى إلى قيس والثانية إلى تميم وضبة ، والثالثة إلى الحجازيين ، والرابعة إلى كلب^(٧) .

ويعنيها هنا أن التميميين ومعهم بنو ضبة ضموا أول الكلمة التى كسرهما الكلبيون والحجازيون ، وإن اشتملت الكلمة على خلاف آخر بالنسبة للصيغة الحجازية التى نطقت عندهم بالواو بدلاً من الياء . ولهذا الخلاف موضع آخر تحدثنا عنه تحت عنوان « بين أشباه أصوات اللين » وبالصيغة التميمية أنشد الفراء قول الشاعر :

* وَمَالَ بِقُنَيَانٍ مِنَ الْبُسْرِ أَحْمَرَا *^(٨)

١١ - ١٣ : ما جاء على « فُعُول » معتل اللام : (عُصِي - دُلِي - قُسِي) :

١١ - عُصِي :

فى هذه الكلمة لغتان : إحداهما بضم العين وكسر الصاد (عُصِي) ، والثانية بكسرهما (عِصِي) وعزا هارون القارىء الأولى إلى بنى تميم^(٩) ، وشاعت الثانية فى اللغة المشتركة ،

(١) الرعد ١٣/٤

(٢) لم يشر إلى اختلاف القراءة فى الكتب الخاصة بالقراءات السبع كالتيشير للداني (انظر ١٣١) والقراءات العشر كتجويد التيسير (انظر ١٢٧) ، والأربعة عشر كإتحاف فضلاء البشر (انظر : ٢٦٩) .

(٣) المحتسب ٣٥١/١ ، ومختصر فى شواذ القرآن ٦٦

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ٦٦ وهو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي البزاز من قراء الكوفة وأحد راوي عاصم توفى سنة ١٩٠ هـ (التيسير ٦) .

(٥) اللسان (قنا) ٦٧/٢٠

(٦) المصباح (كيس) ٥٢٤

(٧) اللسان (قنا) ٦٧/٢٠

(٨) اللسان (قنا) ٦٧/٢٠

(٩) إعراب القرآن للنحاس ١٣١/ب و هارون بن موسى من قراء البصرة مات قبل المتين (غاية النهاية ٢/٢٤٨)

إذ قرأ بها جمهور القراء قوله تعالى : (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعِصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)^(١) ، وقوله : (فَأَلْقَوْا حِجَابَهُمْ وَعِصِيهِمْ)^(٢) . أما اللغة التميمية (عَصَى) فلم يقرأ بها من القراء الأربعة عشر سوى الحسن^(٣) .

و « عَصَى » جمع عَصَا على وزن « فُعُول » وجمع « فَعَلَ » على « فُعُول » وإن كان قليلاً ، فإن له نظائر مثل أَسَدٌ وَأَسُودٌ^(٤) ، فأصل الكلمة إذن عَصُوءٌ قلبت الواو الثانية لتطرفها ياء^(٥) . ثم كسرت الصاد لتناسب الياء فأصبحت الكلمة عَصَى كما هو الشأن عند تميم . ثم تطورت الكلمة بعد ذلك بأن كسرت العين لتتابع كسرة الصاد ، وقد قرر ذلك النحاس ، فقال : « من كسر أتبع الكسرة الكسرة »^(٦) . وهذا تماثل كلي تخلف منفصل . الصورة الأخيرة هي التي سادت في اللغة المشتركة كما قلنا ، فالصورة التميمية تمثل إذن من الوجهة التاريخية مرحلة أقدم من المشتركة^(٧) .

١٢ ، ١٣ - دُلِّيَّ وَقُصِيَّ :

يضيف القرطبي (ت سنة ٦٧١ هـ) إلى عصي كلمتين أخريين فيقول : « ونحوه [أَى عَصَى] دُلِّيَّ وَدِلِّيَّ وَقُصِيَّ وَقِصِيَّ »^(٨) وواضح أن أصل الكلمتين « دُلُّوْ » و « قُصُّوْ » على « فُعُول » بعد القلب المكاني من قووس ، وأنهما مرتا بالمراحل التي مرت بها « عَصَى » إلا أن « قِصِيَّ » مرت بمرحلة أخرى سابقة إذ حدث بها قلب مكاني ؛ لأن المفرد « قووس » فبجمعه على « فُعُول » يكون « قُوُوس » .

ونميل إلى أن ذلك كان قاعدة في كل ما لامه حرف علة وورد بصيغتين فُعُول وفِعُول

(١) طه ٦٦/٢٠

(٢) الشعراء ٤٤/٢٦

(٣) إتخاف ٣٠٤ ، وانظر : بشأن الآية الأولى : إعراب القرآن للنحاس ١٣١ / ب

(٤) انظر : شرح ابن عقيل ٤٦٦/٢

(٥) الشافية (ضمى شرحها) ١٦١/٣

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٣١ / ب ، وانظر تفسير القرطبي ٢٢٢/١١ (دون عزو للنحاس) .

(٧) أى أن الكلمة مرت بالمراحل التالية عَصُوءٌ - عَصُوءٌ عَصِيٌّ عَصِيٌّ (التميمية) رَعَصَى (المشتركة) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١١

بضم الفاء وكسرها دون عزو إلى الناطقين بهما وذلك مثل ثُدِيّ وثُدِيّ جمع تَدِيّ^(١) فيعزى الضم وهو الأقدم إلى تميم ، والكسر إلى اللغة المشتركة ، وهو الأحدث .

ويرى صاحب « لهجة تميم » أن نطق تميم لهذه الكلمات الثلاث (بضم أولها وكسر ثانيها) يتنافى ونهجها في الميل إلى الإتياع ، وكذلك التخفيف^(٢) ، أى إسكان الصوت الثانى من الكلمة .

أما الإتياع فلم يكن خاصاً ببني تميم ، بل كان عندهم وعند غيرهم ، وهى فى ميلها إلى التماثل مالت إلى التخالف فى كلمات أخرى .

وأما بالنسبة للتخفيف - كما سنرى - فقد كانت تميم تخفف الكلمات التى تشتمل على ثلاثة أصوات متحركة ليس أولها وثانيها متحركين بالفتحة . وعُصِي وماشابهها لم تشتمل إلا على صوتين متحركين ، فلا تنطبق عليها شروط التخفيف .

ثانياً - (١٤ - ٢٣) : ما جاء على غير أوزان : « فُعلة » و « فُعَلان » و « فُعُول » :

١٤ - بُسْط :

البُسْط (بكسر الباء) : الناقة التى تترك وولدها لا يمنع منها ولا تعطف على غيره^(٣) . وفى اللفظ لغتان أخريان فيذكر الفراء (ت سنة ٢٠٧ هـ) أن بني تميم كانوا يقولونها « بُسْط » (بضم الباء) ، كما يذكر الكسائى أن بني أسد كانوا ينطقونها بضميتين أى بُسْط^(٤) .

١٥ - بُطَاح :

يذكر ابن دريد (ت سنة ٣٢١ هـ) أن « بُطَاح : موضع من بلاد بني تميم ، ويقال : بُطَاح أيضاً ، وهو الموضع الذى قاتل فيه خالد بن الوليد أهل الردة »^(٥) .

(١) لسان العرب (ثدى) ١١٧/١٨

(٢) لهجة تميم ١٤٥

(٣) اللسان (بسط) ١٢٨/٩

(٤) التكملة (بسط) ١٠٧/٤

(٥) جمهرة اللغة ٢٢٥/١

وبالتمعن في قول ابن دريد نرى أن هذا الموضع الذي كان يقيم فيه تميميون كانوا يضمون أوله ، وأنه كان ينطق مكسور الأول عند غيرهم . ويؤيد رأينا هذا أن الصغالي (ت ٦٥٠ هـ) والفيروزابادي (ت ٨١٧ هـ) ذكراه مضمومًا فقط على أنه منزل لبنى يربوع^(١) .

١٦- سُخْرِيًّا :

« سُخْرِيًّا بالكسر لغة قريش ، وبالضم لغة تميم^(٢) » . وقد ورد هذا اللفظ في كتاب الله ثلاث مرات :

الأولى : قوله تعالى : (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي)^(٣) .

والثانية : قوله : (أَتَّخِذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ)^(٤) .

والكلمة في الآيتين بمعنى الاستهزاء^(٥) .

والثالثة : قوله عز وجل : (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا)^(٦) . وسخرى هنا بمعنى القهر والإخضاع^(٧) .

ورغم أن النص الذي ذكر اختلاف الصيغ جاء للتعقيب على الآية الثانية الواردة بسورة (ص) إلا أن الخلاف بين تميم وغيرهم في اللفظ بمعنييه ورد في الآيات الثلاث للقراءة بها مضمومة ومكسورة .

أما آيتا (المؤمنون) و (ص) فقد قرأهما وفق النهج التميمي (سُخْرِيًّا) بضم

(١) التكملة والذيل والصلوة (بطح) ٤٩/٢ ، والقاموس المحيط (بطح) ٢١٦/١ ، وقد نظر بـ « غراب »

(٢) غريب القرآن على لغات القبائل (المنسوب لابن عباس) ٩٩ والنص أيضا في : ما ورد في القرآن من لغات

القبائل لأبي القاسم (بهامش الجلالين) ١٥٦/٢

(٣) المؤمنون ١١٠/٢٣

(٤) سورة ص ٣٨ / ٦٣ .

(٥) مجمع البيان ١١٨/٤

(٦) الزخرف ٣٢/٤٣

(٧) مجمع البيان ١١٨/٤

السين من القراء الأربعة عشر : نافع ، وحمزة ، والكسائي^(١) ، وأبو جعفر ، وخلف^(٢) ، والأعمش^(٣) . وقرأها الباقر بالكسر^(٤) وفق اللغة القرشية . أما آية الزخرف ، فقد قرءوها جميعاً بضم السين (سُخْرِيًّا) عدا ابن محيصن الذي قرأ بكسرها^(٥) .

١٧ - اِسْم :

استعمل العرب لكلمة « اسم » صيغةً أربع هي :

(أ) اِسْم بكسر همزة الوصل .

(ب) اُسْم (بضم همزة الوصل) وهذا ما روى عن أحد فروع تميم ، وهم بنو عمرو ابن تميم وانتشرت هذه الصيغة أيضاً في قضاة .

(ج) سِم بكسر السين .

(د) سُم بضم السين .

ولم تنسب الصيغتان الأخيرتان لقوم معينين^(٦) ، وكذلك الأولى التي نلاحظ أنها التي شاعت في اللغة المشتركة .

التطور التاريخي للكلمة :

١ - يرى بعض العلماء أن الكلمة ثلاثية جذرها (ا س م) وأن الهمزة كانت مضمومة أو مكسورة ثم حذفت فانتقلت حركتها إلى السين^(٧) .

٢ - وقريب من هذا رأى بعض الكوفيين أن أصل الكلمة (وس م) بمعنى علامة ، حذفت فاء الكلمة وهي الواو وعوض عنها بهمزة الوصل^(٨) .

(١) السبعة في القراءات ٤٤٨ ، والتيسير ١٦٠

(٢) تحبير التيسير ١٤٧

(٣) إتحاف ٣٢١

(٤) المرجع السابق

(٥) المرجع السابق ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي بالولاء. مقرئ أهل مكة مع ابن كثير . كان له اختيار في القراءة على مذهب العربية فرغب الناس عن قراءته إلى قراءة ابن كثير . توفي سنة ١٢٣ هـ (غاية النهاية ١٦٧/٢) وهو أحد الأربعة بعد العشرة (إتحاف ٧) .

(٦) اللسان (سما) ١٢٦/١٩ (٧) المرجع السابق (٨) المصباح (سما) ٢٩٠

٣- ويرى غيرهم أنَّ السين هي فاء الكلمة وأن المحذوف هو لامها^(١) فجذر الكلمة إذن (سمو) .

٤- لكني أعتقد أنَّ الكلمة ثنائية (سم) نطقها بعضهم مكسورة السين وبعضهم الآخر مضمومة، ثم زيدت عليها همزة الوصل في أولها، وضبطت هذه الألف وفق ضبط السين ودليل ذلك استعمالها في اللغات السامية غير العربية :

^vsumu

(١) فهو في الأكديَّة شُم

(ب) وفي آرامية العهد القديم شُم (وهي متأثرة بنطق الأكديين) .

(ج) وفي الفينيقية شُم .

^vsem

(د) وفي العبرية شيم (بإمالة الشين بكسرة طويلة)

^vsem

(هـ) وفي السريانية شُم

^vsem

(و) وفي النبطية شُم

^vsem

(ز) وفي اللغات الحبشية سَم

(ح) وفي اللغات العربية الجنوبية سم (ولانعرف حركة السين كيف كانت تنطق)^(٢) .

ونلاحظ أنَّ الكتلة الشرقية من اللغات السامية نطقت الصوت الأول مضمومًا في حين إن الغربية سواء أكانت شمالية أم جنوبية نطقته مكسورًا ومن المحتمل أنَّ يكون بنو عمرو ابن تميم وشاركهم في ذلك بنو ضبة قد تأثروا بالكتلة الشرقية للغات السامية .

١٨- عُضد :

نطق العرب كلمة «عضد» بصيغ ست ، هي :

١- عَضد . ٢- عُضد ، وهي التي نطقتها تميم .

(١) المنصف ٦٠/١

(٢) دراسات في اللغة العربية ٥٦

٤- عَضِد .

٣- عَضِد .

٦- عَضِد .

٥- عَضِد .

ولم تنسب الصيغ الأربع الأخيرة^(١)، وشاعت الأولى في اللغة المشتركة . وموضع المقارنة هنا بين :

(أ) عَضِد المضمومة الأول التي نطقها التميميون .

(ب) عَضِد المكسورة والتي لم يحدد ناطقوها .

ونلاحظ أن هذه الكلمة وردت في قوله تعالى : (وَمَا كُنْتَ تُتِّخَذُ الْمُضِلِّينَ عَضِدًا)^(٢) ولم يُقرأ - فيما نعلم - في القراءات متواترها وشاذها وفق اللغة التيممية (عَضِد)^(٣) .

١٩- قُبَلَا :

قال صاحب كتاب « ما ورد في القرآن من لغات القبائل » : « قُبَلَا بالضم لغة تميم وبالكسر لغة كنانة »^(٤) وذلك تعقيباً على قوله تعالى : (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا)^(٥) . وقد قرئت الكلمة بضم القاف والباء (قُبَلَا) وبكسرهما وفتح الباء (قِبَلَا) وقرأ بالضم جميع القراء الأربعة عشر سوى نافع وابن عامر وأبي جعفر الذين قرءوا بالكسر^(٦) . وقيل : إن قُبَلَا جمع قبيل ، وإن قِبَلَا بمعنى مقابلة وحياناً^(٧) . لكن النص الذي أمامنا لا يرى أن لها غير معنى واحد هو الثاني . وأما الخلاف في الحركات فمصدره أن الضم خاص بتميم والكسر بكنانة . والملاحظ أن النص لم يوضح نطق الباء والمعروف عن تميم أنهم كانوا يسكنونها في مثل هذه الحالة لأن الكلمة لا تبدأ عندهم إلاً بمقطع مغلق ما لم يكن المقطعان الأولان مفتوحين ، ومعنى ذلك أن تميمًا كانوا يقولون : « قُبَلَا » . وقد نسب إليهم ذلك

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٢٢ / ١

(٢) الكهف ٥١/١٨

(٣) راجع : إتحاف ٢٩١ ، ومختصر شواذ القرآن ٨٠

(٤) ما ورد في لغات القرآن (هامش الجلالين) ١٣٧/١

(٥) الأنعام ١١١/٦

(٦) إتحاف ٢١٥

(٧) الحجة لابن خالويه ١٤٨

صراحة . وسنتناوله عند الحديث عن « عدم تتابع حركات ثلاث » وعلى ذلك فإننا لا نرى أن الذين قرءوا بالضم من الأربعة عشر الذين ذكرناهم تتفق قراءتهم واللغة التميمية .

٢٠ - قُشَاء :

يذكر الفراء أن كسر القاف « لغة أهل الحجاز والضم لغة تميم وبعض بني أسد »^(١) . ووردت هذه الكلمة في قوله تعالى : (فادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا)^(٢) والقراءة وفق اللغة الحجازية مما يدل على سيادتها ، واستعمالها في اللغة المشتركة ، لذا وصف صاحب « زاد المسير » الكسر بأنه أجود من الضم^(٣) . أما التميمية فلم يَقْرَأْ بها إِلَّا في الشاذ يحيى بن وثاب^(٤) .

٢١ - قُلْنِسُوة :

قُلْنِسُوة بضم السين عند تميم وكسرها (قُلْنِسِيَّة) عند الحجاز^(٥) ونلاحظ أن ضم السين عند تميم وكسرها عند الحجازيين بسبب تجاور شبه صوت اللين التالي وهو الواو عند تميم والياء عند الحجازيين ، أو العكس أي أن شبه صوت اللين بسبب الضمة والكساة السابقتين . وتعد الحالة الأولى عند الفريقين التميمي والحجازي تماثلاً كلياً تخلفياً متصلاً ، وفي الحالة الثانية يعد تماثلاً كلياً إتباعياً متصلاً وذلك عند فرض أصالة أي منهما .

٢٢ - أَيْمُ :

ذكر السيوطي لكلمة « أَيْمُن » عشرين صيغة منها : « (أَيْمُ) بالكسر والضم لغة سليم ، (وَأَيْمُ) بالفتح والضم لغة لتمي (وإَيْمُ) بكسرتين . . . إلخ »^(١) .

(١) زاد المسير ٨٨/١

(٢) البقرة ٦١/٢

(٣) زاد المسير ٨٨/١

(٤) مختصر في شواذ القرآن ٦ وهو : يحيى بن وثاب الأسدي بالولاء الكوفي ، كان إماماً في القراءة توفي سنة ١٠٣ هـ

(غاية النهاية ٣٨٠/٢) .

(٥) المظهر ٢٩٨/ب (خ) (عن يونس) .

(٦) هم الهوامع ٣٩/٢ وما بين القوسين من « جمع الجوامع » .

والذى يعنيننا هنا أن تميمًا كانت تقول : « أَيْمٌ » بضم الميم فى حين إن من العرب من كان يقول : « ايمٍ » بكسر الميم ، أى أن المقارنة بين ضم الميم عندهم وكسرها عند غيرهم . وأصل هذه الصيغة « أَيْمُن » جمع « يمين »^(١) ؛ لأنها تفيد القسم . فكل ما فعلته تميم هنا أنها رجمت « أَيْمِن » فحذفت نونها . ونطقها الميم بالضم دليل على قدم هذه الصيغة عن أختها موضع المقارنة « ايمٍ » بكسر الميم والى تعد أحدث منها تاريخيًا .

ويرجع سبب هذا الميل عند غيرهم إلى وجود الياء ، فحدث فى الكلمة نوعان من التماثل الكلى الإتباعى بأن أثرت فى الميم فكسرت وحدث كذلك تماثل كلى تخلفى متصل فكسرت الهمزة .

* * *

(ب) الميل الى الكسر :

اولا : المطرد :

١ - جمع الاسم الرباعى المعتل العين بالياء المسبوق آخره بحرف مد :

القاعدة العامة فى جمع الاسم الرباعى المسبوق آخره بحرف مد زائد مثل رغيّف أن يجمع جمع كثرة على « فُعْل » فى اللغة المشتركة و « فُعْل » عند تميم ما لم يكن مضعفًا ، أو معتل العين بالواو ، فله حكمه الذى سنعرض له عند الحديث عن « جمع التكسير » .

ويهمنا ما كان معتل العين بالياء ، فيذكر ميبويه أن القاعدة العامة جمعه على فُعْل فيقال فى جمع بَيُوض : بَيُوض ، وفى جمع صَيُود صَيُود ، وينقل عن يونس أن من العرب من يقولون : صِيد وبَيُوض بكسر الصوت الأول ، وهم الذين يقولون : « فُعْل » فى « فُعْل »^(٢) أى بنو تميم^(٣) .

التفسير الصوتى :

وتعليل ذلك أنهم أرادوا أن يقولوا وفق مذهبهم : صَيِد وبَيُوض فلما سلبت الياء الضمة بإسكانها تأثرت حركة فاء الكلمة بها فكسرت . وهذا من التماثل التخلفى المتصل . وسنتسير إلى هذه الظاهرة أيضًا فى جمع التكسير .

(١) المصباح (يمن) ٦٨٢ . (٢) الكتاب ٦٠٢/٣ . (٣) المرجع السابق ٦٠١/٣ .

٢ - هاء الغائب المفرد والمثنى والجمع المسبوق بكسرة أو ياء :

القاعدة العامة في هاء الغائب أن تضبط بالضم مثل ضربته وتكسر بعد الكسر أو الياء الساكنة مثل : مَرَّ بِهِ وَعَلَيْهِ . وقد خالف الحجازيون فضموا الهاء في الحالتين^(١) . أما بنو تميم وشاركهم في ذلك القيسيون وبنو سعد - فقد شاركوا اللغة المشتركة فكسروا الهاء^(٢) .

ونلاحظ أن اللغة الحجازية حافظت على الأصل وهو ضم الهاء من الضمير في حالة عدم اتصال لفظ سابق به . أما الكسر فهو المحدث . وقد تم بتأثير الكسرة أو الياء فهو من التماثل الكلي الإتياعى المنفصل^(٣) :

وفي النطق التميمي اقتصاد في جهد العضلات ، لذا حرصت عليه اللغة المشتركة مخالفة ما درجت عليه اللغة الحجازية رغم ما بينهما من صلة وثقى إذا استمدت معظم خصائصها منها .

ويتبين موقف اللغة المشتركة واتفاقها مع التميمية من أن القراء يكادون يجمعون على القراءة وفق النهج التميمي . ومن هذه القراءات التي خرجت على الإجماع فقرئت وفق اللغة الحجازية :

(أ) « عليه » في قوله تعالى : (وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ)^(٤) فلم يقرأ بضم الهاء من القراء الأربعة عشر سوى حفص^(٥) .

(ب) أنسانيه : في قوله تعالى : « وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ »^(٦) في قراءة حفص عن عاصم كذلك^(٧) .

(١) هم الهوامع ٥٨/١ ، وإتحاف ١٢٣

(٢) إتحاف ١٢٣

(٣) انظر : التطور اللغوي ٢٥

(٤) الفتح ١٠/٤٨

(٥) السبعة في القراءات ٦٠٣ ، وإتحاف ٣٩٥

(٦) الكهف ٦٣/١٨

(٧) السبعة في القراءات ٣٩٤ ، وإتحاف ٢٩٢

(ج) « عليهم » في قوله تعالى : (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)^(١) . فقد قرأ بضم الهاء حمزة والكسائي من السبعة^(٢) .

ثانيا : غير المطرد :

١- رَجَز :

ذكر صاحب « إتحاف فضلاء البشر » في معرض حديثه عن قوله تعالى : (وَالرُّجْزُ فَاهْجُرْ)^(٣) أن ضم الراء من « الرجز » لغة الحجاز وكسرهما لغة تميم^(٤)

وقد وردت هذه الكلمة في كتاب الله عشر مرات^(٥) ، وضبطت كلها في المصحف المطبوع في مصر ، وفتما لقراءة حفص عن عاصم بكسر الراء ما عدا آية المدثر (وَالرُّجْزُ فَاهْجُرْ) التي ضبطت بضم الراء .

ومعنى الرجز في هذه الآيات العذاب ما عدا آية الأنفال (وَيَذْهَبُ عَنْكُمُ رَجَزُ الشَّيْطَانِ) فإنه بمعنى وساوس الشيطان ، وآية المدثر ، فإنه بمعنى عبادة الأوثان ، أو عام في كل ذنب^(٦) . وواضح أن المعنيين الأخيرين جديدان على العربية ولدا مع التعاليم الجديدة التي جاء بها الإسلام ، وأنهما نشأ بطريق المجاز ، والعلاقة هي السببية . والمعنيان قريبا الصلة بالمعنى الأصلي وخاصة المعنى الأول منهما إذ يصعب التفرقة بينهما ، فوساوس الشيطان لاتعدو أن تكون نوعا من العذاب .

لدينا إذن معنيان فقط : أحدهما بمعنى العذاب وضبط بكسر الراء (الرُّجْز) وآخر بمعنى ما يؤدي إلى العذاب وقد ضبط بضم الراء . ولا أظن أن العرب كانوا ينطقون اللفظ بنطقين أحدهما بكسر رائه والآخر بضمهما وذلك بسبب اختلاف المعنى لأن تعدد المعنى عن طريق التطور المجازي ليس مسوغا لتغيير حركة الكلمة وهذا شأن العرب في كل الألفاظ.

(٢) السبعة في القراءات ١٠٩

(١) الفاتحة ٧/١

(٤) إتحاف ٤٢٧

(٣) المدثر ٥/٧٤

(٥) البقرة ٥٩/٢ ، والأعراف ١٣٤/٧ مكرر ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، والأنفال ١١/٨ ، والعنكبوت ٣٤/٢٩

وسيا ٥٠/٣٤ ، والجاثية ١١/٤٥ والمدثر ٥/٧٤

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٤٧٢/١

التي أخذت معنى جديداً مثل الصلاة والزكاة . أما مرجع الاختلاف في النطق فلا يعدو أن يكون قبلياً ، أي أن الضم خاص بقوم والكسر نهج آخريين . واختلاف النطق في آية عن غيرهما من الآيات مرده أن كل قارئ من الأئمة قرأ على جماعة ثم اختار لنفسه قراءة^(١) .

موقف القراءات القرآنية :

الذين قرءوا هذا اللفظ من آية المدثر على النهج الحجازي من الأربعة عشر ، هم : حفص (عن عاصم) ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وابن محيصن ، والحسن ، والباقون قرءوا على النهج التميمي ، أي نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم (برواية أبي بكر شعبة بن عياش) وحمزة ، والكسائي^(٢) ، وخلف ، واليزيدي ، والأعمش^(٣) .

أما اللفظ في الآيات الأخرى ، فلم يقرأ به على النهج الحجازي سوى ابن محيصن^(٤) وهذا يعني أن غيره من الأئمة الأربعة عشر قرءوا على النهج التميمي . وكثرة القراء بالكسر في كل الآيات دليل على أن اللغة المشتركة أخذت بالنطق التميمي .

ويذكر أبو حيان (ت سنة ٧٤٥ هـ) في معرض حديثه عن قوله تعالى : (فَأَنْزَلْنَاهَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ)^(٥) أن الضم لغة بني الصعدات والكسر لغة غيرهم ، وبحثت عن هؤلاء القوم في كتب الأنساب كجمهرة أنساب العرب لابن حزم وغيره ، فلم أمتد

(١) الإبانة ٤٥

(٢) إتحاف ٤٢٧ ، وقارن بما ذكر في الصفحة ٧ فقد ورد فيها جميع أسماء الأئمة الأربعة عشر . وفيما يلي تعريف من لم يسبق ترجمته من هؤلاء القراء :

(أ) ابن كثير : هو عبد الله بن كثير الداربي الكنانى ولاء . إمام القراء في مكة وأحد السبعة المشهورين . تابعي .

توفي بمكة سنة ١٢٠ هـ (التيسير ٤ ، ومعرفة القراء ٧١ ، ٧٢) .

(ب) أبو عمرو : هو أبو عمرو بن العلاء المازني التميمي . قيل : إن اسمه زبان وقيل : العريان ، وقيل : يحيى . إمام القراءة في البصرة وأحد السبعة المشهورين توفي بالكوفة سنة ١٥٤ هـ (التيسير ٥) وكان إلى جانب ذلك إماماً في اللغة والنحو (طبقات النحويين واللغويين ٣٥) .

(ج) اليزيدي : هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدي البصري مولى بني تميم . أخذ عن حمزة وأبي عمرو ابن العلاء وخلفه في القراءة ، وروى عنه أولاده . وكان أيضاً عالماً نحويًا ، توفي سنة ٢٠٢ هـ (غاية النهاية ٣٧٥/٢ - ٣٧٧ ، وبغية الرعاة ٣٤٠/٢) وهو أحد الأربعة بعد العشرة (إتحاف ٧) .

(٣) إتحاف ١٣٧

(٤) البقرة ٥٩/٢

إليهم ، ورجعت كذلك إلى نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية من البحر المحيط ^(١) .
 لاحتمال أن يكون هناك تصحيف أصاب الكلمة عند الطبع فوجدتها كما في المطبوعة .
 وقد يكون المقصود بالصعدات أهل الصعود ، أى أهل العالية - وهم حجازيون - فإذا
 كان كذلك فلا تناقض بين نصي أبي حيان وصاحب الإتحاف .

من الوجهة التاريخية :

يذكر برجشتراسر أن كلمة « رجز » دخيلة في العربية من الآرامية و أنها تنطق فيها
 rugzā بمعنى الغضب ^(٢) وكلامه هذا يعنى أن الصيغة الحجازية (رُجز) أقدم من التميمية
 (رِجز) .

٢- الشُّقة :

الشُّقة (بضم الشين وكسرها) : السفر البعيد ^(٣) . وعزا أبو حاتم الكسر إلى تميم ^(٤) .
 أما الفهم فهو الذى أخذت به اللغة المشتركة بدليل قراءة جمهور القراء به في قوله تعالى :
 (وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) ^(٥) . أما اللغة التميمية فلم يقرأ بها إلا في الشاذ ، قرأ بها
 عيسى بن عمر ^(٦) وقد نسب الطبرسي الضم إلى قريش والكسر إلى قيس ^(٧) . أما نسبة
 الضم إلى قريش فلا يتعارض مع اكتفاء أبي حاتم بنسبة الكسر ومع قوائنا : إن الضم اختصمت
 به اللغة المشتركة ؛ لأنها أخذت معظم خصائصها من لغة قريش . وكذلك لا تعارض في نسبة
 الكسر إلى قيس ؛ لأن الخاصية الواحدة قد تشترك فيها أكثر من قبيلة .

٣- مِشَط :

بكسر الميم عند تميم وبضمها في اللغة المشتركة ، وهو اسم لآلة يمشط بها الشعر . والآلة
 يناسبها كسر الميم ^(٨) مما يجعلنا نرجح قدم الصيغة التميمية .

(٢) التطور النحوى ٢٢٥

(١) رقم ٥٤ تفسير

(٤) البحر ٤٥/٥

(٣) اللسان (شقق) ٥١/١٢

(٥) التوبة ٤٢/٩

(٦) مختصر في شواذ القرآن ٥٣ ، والبحر ٥/٥ ، وهناك قارئان مشهوران اسم كل منهما « عيسى بن عمر » هموا :

(أ) عيسى بن عمر الحمداني : مقرأ الكوفة بعد حمزة ، توفي سنة ١٥٦ هـ (غاية النهاية ١/٦١٢ ، ومعرفة القراء ١/٩٩) .

(ب) عيسى بن عمر الثقفي : من علماء البصرة في النحو ، ومؤلف كتابي « الجامع » و « الإكمال » كان له

اختيار في القراءة . توفي سنة ١٤٩ هـ (غاية النهاية ١/٦١٣ ، ونزهة الألباء ١٣ - ١٦)

(٨) المصباح (مشط) ٥٧٤

(٧) مجمع البيان ٣٢/٣

٤ - مُنْتِن :

قال ابن سيده : أَنْتَن الشيءُ فهو مُنْتِنٌ ، وهى بلغة أهل الحجاز . . . إِلَّا أَنْ طَائِفَةٌ من العرب جَلَّهم من تميم ، يقولون : شَيْءٌ رَنْتِنٌ فيَتَبِعُونَ الكسر الكسر ^(١) وواضح أَنَّ الأصل في هذا الكلمة الضم ؛ لأنها اسم مفعول فعلاه غير ثلاثى وقد فسر ابن سيده كسر الميم على أَنه من التماثل التخلفى ، إذ تبتع الميم حركة التاء التالية لها . وهذا التفسير يتفق وما يذهب إليه علماء اللغة المحدثون ، ونضيف إلى قوله : إن هذا التماثل كلى منفصل .

وإذا كان التميمى قد أتبع الميم حركة التاء فإن من العرب من أتبع التاء حركة الميم ، فقال : « مُنْتِنٌ » ^(٢) وهو تماثل كلى إتباعى متباعد .

٥ - هُنَا :

هنا اسم إشارة للمكان القريب ^(٣) وعزى إلى تميم - وشاركتها قيس - كسر الهاء مع تشديد النون ^(٤) . وسنتناول هذا اللفظ بشيء من التفصيل فى الباب التالى .

٦ - هَيْهَاتِ :

نطق العرب هذا اللفظ بصور متعددة ، فنطق بفتح التاء فى لغة الحجاز وبكسرها عند تميم وأسد وبضمها عند بعض العرب ويتنوينها مضمومة ومكسورة ومفتوحة ^(٥) بالإضافة إلى صيغ أخرى ^(٦) . والذى يعنينا هنا المقارنة بين الكسر المعزى إلى تميم والضم المنسوب إلى بعض العرب غير المحددين . وبهذه اللغة التميمية قرأ - وإن كانت القراءة شاذة - أبو جعفر وشيبة قوله تعالى : (هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ) ^(٧) بكسر التاء ^(٨) .

ولنا عودة إلى هذا اللفظ عند المقارنة بين « الفتح والكسر » ، وفى الباب الخاص بالانحوا .

- | | |
|---|-------------------------|
| (١) المخصص ٢٠٦/١١ | (٢) الاقتضاب ٢٦٨ |
| (٣) تسهيل الفوائد ٤١ | (٤) الغريب المصنف ١٩٣/ب |
| (٥) المفصل للزخشرى (ضمن شرح ابن يعيش) ٦٥/٤ | |
| (٦) انظر شرح الأشموني ١٩٩/٣ | |
| (٧) المؤمنون ٣٦/٢٣ | |
| (٨) البحر ٤٠٤/٦ والقارئ الأخير هو : شيبة بن نصاح بن سرجس ، مولى أم سلمة رضى الله عنها . عرض على سيدنا | |
- ابن عباس وكان مقرئ المدينة المنورة وقاضيتها . توفى سنة ١٣٠ هـ (غابة النهاية ١/٣٢٩ ، ٣٣٠)

(ج) الفاظ تارجحت الروايات بين نسبة ضمها وكسرها الى تميم :

١- جاء في الغريب المصنف لأبي عبيد : « أبو زيد : المطرف والمصحف والمغزل .
تميم تكسرها وقيس ترفعها »^(١) .

٢- وورد في تهذيب اللغة الأزهري : « وقال الفراء : يقال : مُصَحَفٌ ومِصْحَفٌ كما يقال : مُطَرَفٌ ومِطْرَفٌ . قال : وقوله : مُصْحَفٌ من أَصْحَفَ أى جُمِعَتْ فيه الصحف . قال : وأطْرِف : جعل في طرفيه العلمان . قال : فاستثقات العرب الضمة في حروف فكسرت الميم وأصلها الضم ، فمن ضم جاء به على أصله ومن كسره فلاستثقاله الضمة ، وكذلك قالوا في المُغْزَلِ : مِغْزَلًا والأصل مُغْزَلٌ من أَغْزَلَ أى أدير »^(٢) .

٣- جاء في الجمهرة : « تميم تقول : مُطَرَفٌ ومُصْحَفٌ وأهل الحجاز يقولون : مِطْرَفٌ ومِصْحَفٌ »^(٣) .

وهناك روايات خاصة بكل لفظ على حدة :

(أ) مصحف :

ينسب ابن سيده وابن منظور والزبيدي إلى أبي عبيد كسر ميم مصحف عند تميم وضمها عند قيس^(٤) وأبو عبيد مصدره في ذلك أبو زيد كما في النص الأول . وينقلون أيضًا أن اللحياني يحكى عن الكسائي الفتح^(٥) ، ونسب صاحب الجمهرة في نص غير ذلك النص العام كسر الميم إلى تميم والضم إلى نجد^(٦) ، وذكر محقق الجمهرة في الحاشية أن الكسر في إحدى النسخ لأهل الحجاز^(٧) .

(١) الغريب المصنف ١٥٥/ب ، وانظر هذا النص منسوبا باختلاف في ألفاظه في : إصلاح المنطق ١٣٦ ، وتهذيب

اللغة (صحف) ٢٥٤/٤ ولسان العرب (صحف) ٨٨/١١

(٢) تهذيب اللغة (صحف) ٢٥٤/٤

(٣) جمهرة اللغة ٣٦٩/٢

(٤) المحكم (صحف) ١١٥/٣ ، واللسان (صحف) ٨٨/١١ ، والتاج (صحف) ١٦١/٦

(٥) المراجع الثلاث السابقة .

(٦) جمهرة اللغة ١٦٢/٢

(٧) المرجع السابق : الحاشية رقم ٤

(ب) مغزل :

يذكر صاحب المحكم وعنه نقل صاحب اللسان أن ميم مغزل تضم وتكسر وتفتح وأن الكسر لتميم والضم لقيس وهو الأصل والفتح أقلها^(١) ، لكن ابن الأنباري وصاحب المصباح نسبوا الضم لتميم دون تعرض لمن يكسر^(٢) .

(ج) مطرف :

ذكر صاحب المخصص أن تميماً تكسر أوله وقيساً تضمه^(٣) .

تعرض هذه الروايات ثلاثة ألفاظ تدخل تحت باب المشتقات ، لكنها لا تنتمي إلى مشتق بعينه ، بل تتأرجح بين اسم المفعول واسم الآلة ، وقبل مناقشة هذه الألفاظ نناقش ما نراه في هذه الروايات من تناقض في نسبة الضم والكسر .

تتفق الروايات التي عرضناها في نسبة الكسر إلى تميم والضم إلى قيس دون إشارة إلى موقف الحجازيين ولم يشذ عنها إلا إحدى روايتي ابن دريد التي تنسب الضم لتميم والكسر للحجاز . وإني أميل إلى صحة الروايات الأولى التي مصدرها أبو زيد (ت سنة ٢١٥ هـ) والتي رواها عنه تلميذه أبو عبيد^(٤) وعن هذا الأخير نقل صاحب المحكم وعنه نقل صاحب اللسان والتاج ، كما ذكر عبارة أبي زيد الأزهرى وابن السكيت . وأبو زيد متقدم في الزمن عن ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ^(٥) وأبو زيد هذا ممن ذهب إلى البادية وشافه الأعراب ونقل عنهم^(٦) وقد شهد له علماء العربية بالأمانة في نقل اللغة حتى إن سيبويه كان « إذا قال : سمعت الثقة يريد أبا زيد الأنصاري »^(٧) ، ذلك إلى أن الضبط الذي نسب إليه كان بالعبارة بخلاف ما ورد في الجمهرة فمضبوط ضبط قلم حتى إن كلمة « مصحف » وردت مرتين

(١) المحكم (غزل) ٢٦٤/٥ ، واللسان (غزل) ٤/١٤ ، وانظر : التاج (غزل) ٤٢/٨

(٢) شرح التصانيد السبع لابن الأنباري ١٠٨ ، والمصباح (غزل) ٤٤٦

(٣) المخصص ٦٨/٤

(٤) نزهة الألباء ٩٦

(٥) نزهة الألباء ١٧٥

(٦) النوادر لأبي زيد ١

(٧) نزهة الألباء ٨٧

وضبطت في كل منهما ضبطاً يختلف عن الآخر ، نسبت في إحداهما إلى تميم الضم وفي الأخرى الكسر . وإننى هنا أخالف ما ذهب إليه الدكتور علم الدين الجندى من نسبة الضم إلى تميم بأننى ترجيحه على أنه من صفات الخشونة التى تناسبها محتجاً بنسبة الضم إلى قيس ونسبته أيضاً إلى نجد في إحدى روايتي الجمهرة وإلى تميم عند الفيومى^(١) .

وعلى فرض أن الضم من صفات الخشونة التى تناسب البيئات البدوية كتميم فإن اللغات لا تفسر على منطق واحد في اختيار الحركات وإلا لوجدنا هذه اللغة خالية من كل كسرة وتلك خالية من كل ضمة . ذلك إلى أننا سنلاحظ عند الحديث عن « الهمز » أن الكسرة كانت عند العرب أقوى من الضمة .

وإذا كانت النصوص المعزوة إلى أبي زيد اكتفت بنسبة الكسر إلى تميم والضم إلى قيس ولم تشر إلى موقف الحجازيين ، فلعل مرجع ذلك إلى شهرتها في ذلك الحين ، ونميل إلى أنها كانت تضم هذه الكلمات شأنها في ذلك شأن قيس ، وذلك لأمرين :

١- إن قيساً أقرب مسكناً إلى الحجاز من تميم وكانت على صلة أكبر بقريش بدليل أنهم كانوا يرسلون أطفالهم للرضاعة في بني سعد ، وبنو سعد هؤلاء فرع من قيس .

٢- إن صاحب المحكم وكذلك صاحب تهذيب اللغة فيما نقله عن الفراء ذكرا أن الضم هو الأصل^(٢) . والأصل عند اللغويين لا يعنى سوى اللغة الحجازية لأنهم كانوا يعتبرونها القديمة لنزول القرآن بها واللغات الأخرى متطورة عنها .

* * *

(د) لفظ تارجحت الروايات بين نسبة فتحه وكسره الى تميم :

تأرجحت الروايات بين نسبة فتح السين وكسرها من كلمة « سم » إلى تميم مقابل ضمها عند أهل العالية :

(١) اللهجات العربية في التراث ٤٨٤

(٢) راجع النص الثانى المنقول عن تهذيب اللغة للأزهري ص ١٩٨ ، ورواية المحكم الخاصة بـ « مفزل » بالصفحة السابقة .

١ - نسبة الفتح الى تميم :

عزا يونس إلى تميم الفتح ، فينقل عنه الأزهرى قوله : « أهل العالية يقولون : السُّم والشُّهد يرفعون ، وتميم تفتح السم والشهد »^(١) .

٢ - نسبة الكسر الى تميم :

ويذكر الفيومى أن فى اللفظ ثلاث لغات ، هى الفتح وهو الأكثر - دون عزوه لقوم معينين - والضم ونسبه إلى أهل العالية والكسر ونسبه إلى تميم^(٢) .

ونلاحظ أن صاحب المصباح يتفق ويونس فيما نناه عنه الأزهرى فى عزو الضم إلى أهل العالية . ويبدو أن فتح السين هو الأصل بدليل وجود اللفظ فى العبرية والآرامية sammi- بفتح السين فيهما^(٣) . والجمع sammim هو المستعدل .

ومع ترجيحنا نسبة الفتح على الكسر عند تميم ، لأنه معلوم الراوى وهو يونس المشهود له بصدق الرواية ، وبعدم معرفتنا بصاحب الرواية التى ذكرها الفيومى ، إلا أننا نرى عدم إدخال هذا اللفظ فى المقارنة خشية أن تكون رواية الفيومى هى الصواب .

* * *

التعليق :

١

هذا عرض للكلمات التى جمعناها ، التى وردت بصورتين : مضمومة ومكسورة ونسبت إحداهما إلى تميم والأخرى إلى غيرهم ، ومنه يتبين :

أولا : أن تمما آثرت الضم على الكسر فى ٢٢ اثنتين وعشرين كلمة مفردة ، منها واحدة لم يشع ضمها بين التميميين جميعا ، وإنما نسبت إلى عمارة منهم وهو بنو عمرو ابن تميم ، وهذه الكلمة هى « اسم » ، ووجدنا كذلك :

(أ) سبع كلمات وردت عندهم على « فُعْلة » وعند غيرهم على « فِعْلة » .

(ب) ثلاث كلمات نطقوها على « فُعْلان » ونطقها غيرهم على « فِعْلان » .

(ج) ثلاث كلمات ضمت عندهم فاء « فُعول » المعتلة اللام وكسرت عند غيرهم .

(١) تهذيب اللغة (سم) ٣١٨/١٢ ، واللسان (سم) ١٥/١٩٥ والتاج (سم) ٣٤٦/٨ ، وإصلاح المنطق

١٠٤ ، والضبط فى الأخير بالقلم . (٢) المصباح (سم) ٢٨٩

(٣) Rabin, Ancient p. 102.

ثانيا : اتجهت إلى الكسر :

(١) في حالتين قياسيتين ، هما :

١- فاء الجمع المعتل العين بالياء والذي ورد على وزن « فُعُل » في المشتركة .

٢- هاء الغائب المثني والجمع المسبوق بياء أو كسرة .

(ب) وفي ست كلمات مفردة .

ثالثا : وردت ثلاث كلمات اختلفت الروايات في نسبة ضمها أو كسرها إلى تميم وإن كنا نرجح الكسر . كما ورد لفظ رابع اختلفت الروايات بين نسبة كسره وفتحها إلى تميم مقابل ضممه عند غيرهم ولم نرجح أى الحركات ، فلم نعتد به في المقارنة .

ومعنى ذلك كله أنه يصعب علينا أن نجزم أو نرجع اتجاه تميم إلى أى من الضم أو الكسر فإذا وردت لنا كلمة ذات صيغتين : مضمومة ومكسورة من غير المطرد لا نستطيع أن نرجح نسبة أيهما إلى تميم ، وإن عدم الترجيح يصبح مؤكدا إذا ضمنا إلى هذه الألفاظ ملاحظاته عند الحديث عن « الواو والياء » من ميل تميم إلى الياء إذا أدخلنا في اعتبارنا المطرد ومن عدم اتضاح ميولها إذا اكتفينا بالكلمات المفردة ، ذلك لأنه لا فرق بين الواو والضممة إلا أن اللسان مع الواو يزداد ارتفاع جزئه الخلفي (back tongue) حتى تضيق المسافة بينه وبين أقصى الحنك (soft palate) ، وكذلك الأمر بالنسبة للكسرة والياء ، فهو مع الثانية يزداد ارتفاع مقدم اللسان (front of tongue) تجاه وسط الحنك (hard palate)^(١) . وهذا الاتجاه إلى الجمع بين الحركات وأشباه أصوات اللين هو ما يراه ويدعو إليه الدكتور علم الدين الجندى^(٢) .

ولمنا على الرغم من عدم ترجيحنا إلى اتجاه معين لتميم ، نميل إلى أن ما جاء على « فُعلة » و « فُعلة » ، وكذلك ما جاء على « فُعلان » و « فُعلان » وعلى « فُعول » المعتل اللام بكسر الفاء وضمها ، أن نعزو الضم إلى تميم لأن اللغات تميل إلى الاطراد فيما جاء على أوزان معينة ، وهذا ما نلاحظه في اللهجات العامية .

Jones, An out line of English phonetics p. 191, 194

(١)

والأصوات اللغوية ٣٣ ، ٤٢ ، والأصوات للدكتور بشر ١٧١
(٢) التماقب والمعاقب (بحث نشر بمجلة مجمع اللغة العربية ١٢٨/٤٠)

ويعزز هذا الرأي أنه لم يردّ مما جاء على هذه الأوزان منسوباً إلى قوم معينين - فيما نعلم - سوى هذه الكلمات .

حول رأى الدكتور أنيس في ميل التميميين إلى الضم :

إن ما انتهينا إليه من عدم اتجاه التميميين إلى أى من الضم أو الكسر لا يتفق وما ذهب إليه كثير من المحدثين وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس من ميل قبائل وسط الجزيرة وشرقها بوجه عام إلى الضم لبدائتها وميل القبائل الحجازية إلى الكسر لتحضرها معللاً ذلك بأن الضم صفة من صفات الخشونة ولأنه يحتاج إلى جهد عضلى أكثر لتحرك أقصى اللسان حين نطقه بخلاف الكسر الذى يتحرك معه أدنى اللسان وهو أيسر من تحرك أقصاه^(١) .

ونلاحظ أن الدكتور أنيس كانت مقارنته عامة بين القبائل التى عاشت فى شرق الجزيرة وبين التى عاشت فى غربها (الحجازية) ، ولم تكن مقتصرة على التميميين وحدهم فى مقابل جميع الحجازيين وكذلك المخالفين من شرق الجزيرة كما هو الشأن فى بحثنا .

ولكن لدا أن نتساءل هل كانت قبائل عرب الجزيرة حقاً أكثر تحضراً من قبائل شرق الجزيرة ؟

إننا إذا استثنينا المدن الكبرى ، وهى : مكة والمدينة والطائف ، نستطيع أن نجيب بالنفى ، فكلهم كانوا يعيشون حياة بدوية متشابهة . ولنا تعقيب على هذا رأى سنذكره فى خاتمة دراسة الحركات .

(١) اللهجات العربية ٩٥ ، ٩٦

٢ - بين الكسر والفتح

(١) الميل الى الكسر :

أولا - المطرد :

١ - التثنية :

كان للعرب نهجان في ضبط حرف المضارعة لأنواع الأفعال الآتية :

أولا : إذا كان ثلاثيا من باب فَعِلَ يَفْعَلُ ، مثل : عَلِمَ يَعْلَمُ ، وَخَشِيَ يَخْشَى ، وَخَالَ يَخَالُ ، وَعَضَّ يَعَضُّ .

ثانيا : إذا كان أكثر من أربعة أحرف بما فيها من أحرف الزيادة (أى خماسي وسداسي) وهو أن يكون :

١- مبدوءا بهمزة وصل ، مثل استعان .

٢- مبدوءا بالتاء بأن كان على وزن تَفَعَّلَ مثل تَعَلَّمَ ، وتفاعَلَ كَتَشَاجَرَ ، وتَفَعَّلَ كَتَدَحَّرَجَ

ونهجوا العرب في هذه الأفعال :

١- فتح حروف المضارعة ، وهذا مذهب الحجازيين .

٢- كسر حروف المضارعة إلا إذا كان ياءً فيكون مفتوحا ، ونسب ذلك إلى بقية العرب سوى أهل الحجاز .

وشذ عن هذه القاعدة :

١- مضارع « أبى » رغم أنه ليس من باب « فَعِلَ يَفْعَلُ » . وحدث في هذا الفعل شذوذ آخر ، وهو كسر حرف المضارعة إذا كان ياء ، فيقال : يَرْجُبِي . وعلل سيبويه هذا الشذوذ بأن مضارع هذا الفعل مفتوح العين ، فهو يشبه مضارع « فَعِلَ » ، ولما كان الشبه غير تام ، فقد خالف بأن كسر مع المبدوء بياء^(١)

(١) الكتاب ١١٠/١-١١٢ ، وانظر : المخصص ٢١٦/١٤ ، ٢١٧

٢- مضارع حبّ فكسرت حروف المضارعة بما فيها الياء فيقال : إحبّ ويحب^(١) وهذا الفعل مكسور العين في المضارع - وهذا الكسر بعد شدوذا في موضع الثلاثي المتعدى لأن القاعدة عند العرب ضم العين في المضارع^(٢) .

وإذا كان سيبويه (ت نحو ١٨٠ هـ) ومن نقل عنه قد نسبوا هذه الظاهرة إلى العرب كافة سوى أهل الحجاز^(٣) . وهذا يعني أن التميميين كانوا ينطقون كذلك بوصفهم غير حجازيين ، فقد وجدنا بعض اللغويين لا يكتفون بالإطلاق العام (أي غير الحجازيين) بل حددوا قبائل بعينها كسرت هذا الصوت . فاللحياني (ت ٢٥٥ هـ) في نوادره ينقل عن الكسائي (ت ١٨٩ هـ) نسبة هذه الظاهرة إلى تميم وقيس وهذيل وأسد وجميع العرب تهومها وجرمها ويمنها^(٤) ، ونرى النحاس (ت نحو ٣٣٨ هـ) وأبا حيان (ت ٧٤٥ هـ) ينسبونها إلى تميم وأسد وقيس وربيعه ، ويضيف إليهم أبو حيان - نقلا عن إلى جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) هذيل^(٥) ، وينسبها صاحب اللسان إلى القبائل الأربع التي نسب إليها النحاس ، فيقول : وتعلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعه وعامة العرب ، وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون تعلم^(٦) .

واكتفى بعض اللغويين عند معرض الحديث عن بعض الأفعال بعزوها إلى تميم ، ونجد ذلك مثلا عند ابن جنى^(٧) (ت ٣٩٢ هـ) والنحاس^(٨) ، وأبي حيان^(٩) .

(١) الكتاب ١٠٩/٤ ، وشرح الشافية ١٤٢/١ (ولم يعالج سيبويه هذا الفعل مع كسر حرف المضارعة ، وإنما مع ما أتبع فاؤه عينه الخلقية المكسورة) .

(٢) انظر : شرح الشافية ١٤٢/١

(٤) بغية الآمال ٥٥ (خ)

(٣) انظر : المراجع الثلاثة السابقة

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ب ، والبحر ٢٣/١

(٧) المحتسب ٣٣٠/١

(٦) اللسان (وق) ٢٨٣/٢٠ منسوبا إلى أبي عمرو عن سيبويه

(٩) البحر ٥/٢٦٩

(٨) إعراب القرآن ٧٦/ب

وعلى الرغم من نسبة هذه الظاهرة إلى الكتلة الشرقية لسكان الجزيرة العربية إلا أننا نجد أبا زيد الأنصاري (ت نحو ٢١٥ هـ) يعكس النسبة فينسب الكسر إلى عليا مضر والفتح إلى سفلاها^(١) والمعروف أن عليا مضر هم الحجازيون وسفلاها سكان نجد ، فكلامه مخالف للروايات المتواترة في نسبة هذه الظاهرة ، فهو منه أو من الفيومي سبق قلم .

وعلى الرغم من أن سيبويه عرض هذه الظاهرة عرضاً مفصلاً إلا أنه لم يطلق عليها اسماً معيناً ، وكان هذا شأن كل اللغويين الذين تناولوا هذه الظاهرة وأشارنا إليهم من قبل ، لكنها اشتهرت باسم « تلتلة بهراء »^(٢) . وبهراء من قضاة^(٣) وليست من تميم كما ذكر حنفي ناصف^(٤) ، أما لماذا نسبت إليهم دون غيرهم ؟ ذلك لأنها من الخصائص اللهجية التي عدتها الفصحى من العيوب التي يجب أن تتجنب مثلها مثل الكشكشة والعننة . ولما كانت الظاهرة الواحدة لا تنفرد بها قبيلة واحدة فلم ينسبوا في معرض الحديث عن الظواهر إلى القبيلة الواحدة أكثر من ظاهرة ، وهذا ما نلاحظه لدى أحد الجرميين^(٥) — فيما يرويه الأصمعي (ت نحو سنة ٢١٥ هـ) — حين سأل معاوية : من أفصح العرب ؟ فأجابته : « قوم تباعدوا عن عننة تميم وتلتلة بهراء وكشكشة ربيعة ، وكسكسة بكر . . . »^(٦) وهذا النص مروي بروايات متعددة^(٧) .

ورغم أن هذه الروايات غير متفقة في عدد الصفات المذمومة وفي أصحابها ، إلا أنها متفقة في عدم نسبة أكثر من ظاهرة لقبيلة معينة في الرواية الواحدة فرواية درة الغواص مثلاً تنسب الكشكشة لربيعة في حين إن رواية الكامل للمبرد تنسبها لتميم ، والأولى تنسب لتميم العننة والثانية تهملها .

(١) المصباح (ياس) ٦٨٣

(٢) انظر : مجالس ثعلب ١ / ٨١ ، وعنه ابن جنى في : سر صناعة الإعراب ١ / ٢٣٤ وانظر : أيضا : اللسان (تلل) ٨٤ / ١٣ والقاموس (تلل) ٣ / ٣٤٠ ، ودرة الغواص ١١٤ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ٤٤١ ، ٤٧٨

(٤) مميزات لغات العرب ٢١

(٥) وهو الذي يرجح الدكتور رمضان عبد التواب أنه المستول عن تلقيب كل لغة بلقب معين (فصول في فقه العربية ١١٧)

(٦) درة الغواص ١١٤

(٧) المقدم الفريد ٢ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣ / ٣٢٠ ، ٣٢١ والبيان والتبيين ٢٣ / ٢١ ، ومجالس ثعلب ١ / ٨٠ ، ٨١ ،

وسر صناعة الإعراب ١ / ٢٣٤ ، وألف باء ٢ / ٤٣٢ (وانظر هذه الروايات في : فصول في فقه العربية ١١٧-١١٩)

تعليل التسمية :

سبب إطلاق لفظ « تاتلة » على هذه الظاهرة يحتمل أحد أمرين :

١- إن التاتلة في اللغة تعني الزعزعة والقلقلة^(١) . ومعنى ذلك أن الناطقين بهذه الظاهرة خالفوا ما شاع في اللغة المشتركة ، بأن زعزعوا ضبط حرف المضارعة من الفتح إلى الكسر . وهذا لا يعنى بالطبع - إن كان هو المراد - قدم الفتح على الكسر ، لأن واضح المصطلح لم يضع في اعتباره التطور التاريخي للغة منذ أقدم عصورها ، وإنما نظر إلى المخالف المغيب على أنه هو الحادث في اللغة .

٢- إن واضح المصطلح لاحظ أن ذلك يقع في أحرف المضارعة سوى الياء ، أي التاء والهمزة والنون فاشتق من التاء اسماً ، وذلك من باب إطلاق الجزء على الكل .

موقف القراءات القرآنية :

وقفت القراءات القرآنية من هذه الظاهرة نفس الموقف الذي وقفته من العيوب النطقية كالشكشة ، فلم تعدد بها القراءات المتواترة ، وإنما قرئ بها في الشاذ منها ، فقد قرأ بها في القرآن الكريم كله في جميع أفعاله المطوَّعي^(٢) ولم يختلف عنه إلا في ثلاثة مواضع هي : (كَي تَقْرَعِيْنَهَا) و (وَلَا تَضْحَى) وكلاهما بسورة طه و (أَلَّا تَطْغَوْا) بسورة الرحمن^(٣) .

وفيما يلي أمثلة لقراءات لغير المطوَّعي :

١- « نستعين » في قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)^(٤) : قرأ بكسر النون يعحي بن وثاب^(٥) ، والأعمش^(٦) ، وعبيد بن عمير الليثي ، وزر بن حبيش ، والنخعي^(٧) ، وجناح بن حبيش^(٨) .

(١) اللسان (تلل) ٨٥/١٣

(٢) هو الحسن بن سعيد المطوَّعي ، أحد راوي الأعمش من الأربعة عشر (إتحاف ٧) توفي سنة ٣٧١ هـ (غاية النهاية ٢١٤/١) . (٣) إتحاف ١٢٢ مع تعليق الضباع رقم / ٤ ، وانظر : القراءات الشاذة للقاضي ٢١

(٤) الفاتحة ٥/١ (٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ب ، والبحر ٢٣/١ ، والإبانة ٧٦

(٦) إعراب القرآن ٢/ب ، والبحر ٢٣/١

(٧) البحر ٢٣/١ وفيما يلي ترجمة للقارئ الثاني : هو أبو مريم زر بن حبيش الأسدي الكوفي ، عرض على ابن مسعود وعثمان وعلى ، وعرض عليه عاصم والأعمش . توفي سنة ٨٢ هـ (غاية النهاية ٢٩٤/١) .

(٨) مختصر شواذ القرآن ١

٢- « آسى » فى قوله تعالى : (فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ)^(١) : قرأ « إيسى » يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة بن مُصَرِّف^(٢) .

٣- « تمسكم » فى قوله تعالى : (فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ)^(٣) : قرأ بكسر التاء يحيى بن وثاب والأعمش^(٤) وعلقمة وابن مُصَرِّف ، وحمزة فيما روى عنه^(٥) .

الظاهرة فى الساميات :

وظاهرة كسر حرف المضارعة ليست قاصرة على العربية دون أخواتها الساميات فهى فى العبرية والحبشية والآرامية والسريانية^(٦) والأجريتية^(٧) ويذكر الدكتور خليل يحيى ناي أن المستشرق الألمانى Barth (بارث) عدّ هذه الظاهرة قانوناً عاماً فى اللغات السامية العربية ، فهى فى العبرية والسريانية والأجريتية واللغات العربية غير أن كسر حرف المضارعة انتقل فى اللغتين العبرية والسريانية من وزن فَعَلَ يَفْعَلُ إلى بقية الأوزان ففيها كلها بكسر حرف المضارعة ، وذلك باستثناء الأفعال الحلقية الفاء والجوفاء والمضعفة فى اللغة العبرية فحروف المضارعة فيها مفتوحة^(٨) .

الظاهرة فى الوقت الراهن :

يشيع فى لهجاتنا العامية الآن كسر حرف المضارعة وليس ذلك قاصراً على التاء والهمزة والنون بالشروط التى ذكرها علماؤنا وإنما شمل الياء أيضاً فنحن نقول فى القاهرة : يكتب ، ويرسم ، ويشترى .

وقد لاحظ الدكتور ناي وجود هذه الظاهرة عند أهل صناعة حديثاً ، فما عدا الأفعال الحلقية الفاء فإنهم يفتحونها أو يضمونها وذلك مثل يعطش^(٩) .

(١) الأعراف ٩٣/٧

(٢) إعراب القرآن ٧٦/ب والقارئ الأخير هو : طلحة بن مصرف بن عمرو الهمداني تابعى كوفى . أخذ القراءة عن الأعمش ويحيى بن وثاب ، وروى عنه الكسائى ، وكان يلقب بسيد القراء . توفى سنة ١١٢ هـ غاية النهاية ٣٤٣/١

(٣) هود ١١٣/١١ (٤) المحنصب ٣٣٠/١ ، وإعراب القرآن ١٠٠/أ ، والبحر ٢٦٩/٥

(٥) البحر ٢٦٩/٥ (٦) فصول فى فقه العربية ١٢٥

(٧) دراسات فى اللغة العربية للدكتور ناي ٤٠

(٨) المرجع السابق (٩) المرجع السابق ٤٢-٤٤

وإذا ما اتجهنا إلى شرق الجزيرة العربية (البلاد التي تقع على الخليج) نجد مؤلف كتاب « لهجات شرق الجزيرة » يذكر لنا أن حرف المضارعة يكون أحياناً مكسوراً وأحياناً أخرى مفتوحاً ، وضرب أمثلة على ذلك دون أن يحدد نوع ما يكسر وما يفتح . لكننا لو تعمنا في الأمثلة التي ضربها مكسورة كانت أو مفتوحة نجد المكسورة هي التي تنطبق عليها شروط التثنية كما حددها القدماء وذكرناها من قبل فنجد مضارع كتب مفتوحاً وشرب مكسوراً^(١) (وهو على فعل يفعل) ونجدهم يكسرون حرف المضارعة للفعل يتسبح (وهو مضارع الفعل الماضي) المبدوء بالتاء تسبح أو تسبح^(٢) ، وكذلك يتكابل (مضارع تكابل أو تكابل) ويتسولف مضارع تسولف^(٣) وهذه الأفعال يبدأ ماضيها بالتاء ، ونجد أيضاً ينكسر ويحمر ويستعجل (مضارع انكسر ، واحمر ، واستعجل)^(٤) وهي أفعال بدأت في الماضي بهمزة وصل .

ونلاحظ أن الكسر شمل الياء مع أحرف المضارعة الأخرى^(٥) وإن كنا نجد أحياناً أفعالاً من غير الأنواع التي حددها القدماء ، من ذلك في قطر يبرك ، ويكذر ، ويظهر ، ويطلع ، وماضي هذه الأفعال برك ، وكذر وظهر وطلع^(٦) .

الصيغة القدي :

أثار اللغويون من قدماء ومحدثين مسألة أصل الصيغتين ، فبعضهم يرى أن الأصل فتح حرف المضارعة وأن الكسر عارض ، والبعض الآخر يرى خلاف ذلك ، أي أن الكسر هو الأصل والفتح هو العارض ، ولكل حجته .

(١) أصالة الفتح :

وهو ما رآه القدماء ، نراه عند سيبويه وتابعه من جاء بعده ، فهو يقول : « ويدلك على أن الأصل في فعلت أن يفتح يفعل منه على لغة أهل الحجاز سلامتها في الياء ، وتركهم

(٢) المرجع السابق ١٢٧

(٤) المرجع السابق

(١) دراسات في لهجات شرق الجزيرة ١٢٤

(٣) المرجع السابق ١٢٨

(٥) هذا بشأن لهجات الجزيرة ككل ، وانظر بشأن الكويت : المرجع السابق ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ،

١٨٣ ، وبشأن البحرين : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، وبخصوص اللهجة القطرية ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، وبشأن دبي : ٢٥٢ ،

٢٥٣ ، ٢٥٦ ، وبشأن أبي ظبي : ٢٦٥ ، ٢٦٧

(٦) المرجع السابق ٢٣٤

الضم في يَفْعُل ، ولا يُضَمُّ لضمّة فَعُل فإنما هو عارض ^(١) ويتابع ابن سيده سيبويه في حجته ويزيد عليه فيقول : « وصارت لغتهم الأصل لأنّ العربية أصلها إسماعيل عليه السلام وكان مسكنه مكة ^(٢) » .

ونرى من المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس يتساءل دون أن يجيب عما إذا كانت الظاهرة دخلت العربية عن طريق بهراء من العبرية والآرامية ^(٣) .

(ب) أصالة الكسر :

وإلى ذلك ذهب الدكتور رمضان عبد التواب ، وبني رأيه على أساس أن الكسر ظاهرة سامية قديمة ، فهو من سمات العبرية والسريانية والحبشية ، وبدليل استمراره حتى الآن في اللهجات العربية الحديثة ^(٤) .

وإذا كان الشطر الأول من برهانه — وهو وجودها في الساميات الغربية — له ما يرجحه في الميزان ، إلّا أننا لا نتفق معه في الشطر الثاني ، وهو أن استمرارها في اللهجات العربية الحديثة دليل على أصالتها ، ذلك أن هذه اللهجات تستعمل دائماً إما متوارثة عن لغات عربية ، قد يكون بعضها محافظاً على الصيغة القديمة ، وإما متطورة عن هذه اللغات غير نهجها وفقاً لقوانين لغوية .

وعلى كل فمن الصعب الجزم بتقديم أي من الحركتين ، فإذا كانت اللغات السامية الغربية قد مالت إلى الكسر ، فإن اللغات السامية الشرقية لم تفعل ذلك — كما يفهم من تخصيصهم الغربية بها — كما أن العربية وهي غربية لم تمل إلى ذلك إلّا في وزن ثلاثي واحد من ستة أوزان هو فَعِل يفعل وفيما زاد عن أربعة أحرف وبدأ بالهمزة أو التاء عند بعض العرب وهذا يعني أن الفتح في العربية — بغض النظر عن الساميات بصفة عامة — هو الأقدم وأن ما حدث من كسر قد يكون بتأثير من الساميات الغربية .

(١) الكتاب ١١١/٤

(٢) المخصص ٢١٧/١٤

(٣) في اللهجات العربية ١٣٩

(٤) فصول في فقه العربية ١٢٥

ومما يرجح حداثة الكسرة في العربية أنها كانت في زمن تسجيل العربية خاصة - فيما يتصل بالثلاثي - بوزن واحد من ستة أوزان وتطورت بعد ذلك في مواطن كثيرة حتى شملت كل الأوزان الأخرى - كما ذكرنا من قبل - فنحن نقول في القاهرة : يَكْتِيبُ وَيَكْتِيبُ وفي نجد موطن التميميين يقولون في أمثالهم : « شِفْ حَالَهُ وَلَا تَسَالَهُ »^(١) ويقولون : « يَعْطُهُ اللَّهُ عَلَى قَدَرِ حَالِهِ »^(٢) فتد نطق الفعلان سَأَلَ وَأَعْطَى بكسر حرف المضارعة ، وذكرنا من قبل أفعالاً تستعمل في قطر مكسورة ولا تنطبق عليها قيود الثلاثة ولاحظنا أن الأفعال التي كسر حرف مضارعها في شرق الجزيرة كسرت الياء إلى جانب الأحرف الأخرى . فلو كان الكسر هو الأصل ثم تطور إلى الفتح في خمسة أوزان (بالنسبة للثلاثي) وبقي السادس مكسوراً دون تطور ، لوجدنا الكسر يختفي تماماً من لهجاتنا العربية المعاصرة ، لكننا وجدنا الأمر بالعكس تقل نسبة الفتح وتزداد بالتالي نسبة الكسر ، وهذا ما يرجح أصالة الفتح في العربية ثم تطوره إلى كسر . فلما جاء زمن تسجيل العربية لم يكن التطور قد اكتمل دوره ، ثم اكتمل بعد ذلك على لسان بعض العاميات .

١ - كسر ياء المتكلم المضاف إليها جمع المذكر السالم :

القاعدة عند إضافة جمع المذكر السالم في حالتي النصب والجر أن تفتح ياء المتكلم بعد أن تدغم فيها ياء الجمع ، فيقال مثلاً : رأيت محاربِيَّ ، ومررت بمحاربِيَّ . والأصل محاربِيي ، وفي حالة الرفع تكون الصورة نفسها ، فيقال : هؤلاء محاربِيي وإن كان الأصل محاربِيوى . لكن لما اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياءً وأدغمت الأولى في الثانية ثم قلبت ضمة الباء كسرة لتجانس الياء ، فأصبحت محاربِيي^(٣) .

لكن بنى يربوع - وهم بطن من تميم - كانوا يكسرون ياء المتكلم في حالة الوصل مخالفين القاعدة العامة التي تفتحها^(٤) .

(١) الأمثال العامية في نجد ١/١٣٦ (رقم ٣٧١)

(٢) المرجع السابق ١/٢٤٨ (رقم ٦٣٧)

(٣) انظر : شرح ابن عقيل ٢/٩٠

(٤) إتحاف ٢٧٢

التفسير الصوتي :

والتفسير الصوتي لهذا النهج اليربوعي أن حركة الياء تأثرت بالكسرة السابقة . وهي حركة آخر الكلمة قبل دخول علامة الجمع عليها . وهذا تماثل كلي إتباعي منفصل . هذا في حالاتي النصب والجر . أما في حالة الرفع فإن مرحلة التماثل هذه تمت بعد مرحلة أخرى وهي تأثر ضمة آخر الكلمة قبل إلحاق علامة الجمع بالياء التالية لها وذلك بطريق التماثل الكلي التخلفي . وبهذا يتم تطور الكلمة في حالة الرفع هذه عن طريق التماثل الكلي التبادلي . هذا على فرض أن اللغة المشتركة هي القدمى .

موقف القراءات القرآنية :

بهذه اللغة اليربوعية قرئ قوله تعالى : (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِينَ)^(١) بالياء المشددة المكسورة ، قرأ بها من السبعة حمزة^(٢) . ومن الأربعة بعد العشرة الأعمش . كما قرأ بها يحيى بن وثاب وحمزان بن أعين وجماعة من التابعين^(٣) .

٣ - كسر فاء فَعِيل وفَعِل الحلقى العين :

قرر سيبويه أن التميمي كان يتبع حركة فاء الكلمة لحركة عينها إذا كانت مكسورة وجاءت على أحد وزني « فَعِيل » و « فَعِل » بشرط أن تكون العين أحد أصوات الحلق الستة ، وهي : الهمزة والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والياء ، سواء أكان ذلك في اسم أو فعل ، وذلك مثل : لَيْثِم ، وشَهِيد ، وسعيد ، ونحيف ، ورغيف ، وبخيل ، وضَحِك ، وكَلَب ، ووَحِم . وقد اكتفى سيبويه بعزو الظاهرة إلى تميم^(٤) . ونجدها تنسب إليهم وحدهم أيضاً في مواضع كثيرة من كتب اللغة كالمحكم واللسان والتاج عند معرّض الحديث عن بعض الكلمات التي تتمثل فيها الظاهرة ، مثل : بَعِير^(٥) ، وَذَهَبَ فِي ذَهَبٍ^(٦) ،

(١) إبراهيم ٢٢/١٤

(٢) السبعة في القراءات ٣٦٢

(٣) إتخاف ٢٧٢ ، والقارئ الأخير هو : أبو حمزة حمزان بن أعين الكوفي مقرئ كبير ، أخذ القراءة عن يحيى ابن وثاب ومحمد بن علي الباقر وأخذ عنه حمزة الزيات ، وتوفي نحو سنة ١٣٠ هـ (غاية النهاية ٢٦١/١) .

(٤) الكتاب ١٠٧/٤ ، ١٠٨

(٥) اللسان (بعر) ١٣٧/٥ ، والتاج (بعر) ٥٢/٣

(٦) المحكم (ذهب) ٢١١/٤ ، واللسان (ذهب) ٣٨١/١ ، والتاج (ذهب) ٢٥٨/١ وذهب هنا بمعنى زال عقله

ورثي في رثي^(١) والضئيين وهو جمع ضائن ومعناه : ذو الصوف من الغنم^(٢) . ولكننا وجدنا صاحب العين يضم إليهم سفلى مضر^(٣) ، والمعروف أن سفلى مضرهم بنو تميم ومن كان يجاورهم من سكان نجد . وقد أكد نصير الرازي^(٤) هذه النسبة فعزاها إلى عامة قيس وقيم وأسد فيقول : « إذا أرادت الناقة أن تضع قيل : مَخَضَتْ وعامة قيس وقيم وأسد يقولون : مَخَضَتْ بكسر الميم ويفعلون ذلك في كل حرف كان قبل أحد حروف الحاق في فَعِلَتْ وفي فَعِيل ، يقولون : بَعِير وزَيْبِر وشَهَق ونِهَلَتْ الإبل وسَخِرَتْ منه »^(٥) . لكننا وجدنا أبا جعفر النحاس عند معرض حديثه عن « الرَّحِيم » يُخرج بني أسد من المجموعة التي تُتبع ويضمها إلى الحجازيين الذين كانوا ينطقون باللغة المشتركة ويستبدل بهم في لغة الإتياع ربيعة ، فيقول : « وهذه [أي الرَّحِيم] لغة أهل الحجاز وبني أسد . وقيس وربيعه وبنو تميم تقول : رَحِيم وبَعِير ورَغِيف »^(٦) .

وعلى كل فإن جميع العلماء الذين أفردوا نسبة هذه الظاهرة أو نسبوها إلى أكثر من قبيلة أجمعوا على عزوها إلى تميم .

في القراءات القرآنية :

قرئ بهذه اللغة في الشواذ ، فقد روى أن أبا السَّمَّال قرأ « بهيمة » بكسر الباء^(٧) في قوله تعالى : (أُحِلَّتْ لَكُمْ بِهِيمَةً الْأَنْعَامِ)^(٨) .

في الوقت الراهن :

لا تزال هذه الظاهرة في نجد حتى وقتنا هذا ، وأصدق دليل على وجودها تسجيل أمثالهم العامية لها . فمن هذه الأمثال « بَعِير الظهر مُعْدَم » والمراد ببَعِير الظهر بعير الركوب^(٩) و « بِخَيْضَه وجاست بنت »^(١٠) .

(١) اللسان (رأى) ١١/١٩ (٢) اللسان (ضأن) ١١٩/١٧

(٣) العين (شهد) ٣٩٨/٣ وتهذيب اللغة : شهد (٧٥/٦ ، واللسان (شهد) ٢٢٧/٤

(٤) هو نصير بن أبي نصير الرازي . أخذ عن الكسائي والأصمعي وأبي زيد (تهذيب اللغة « المقدمة ») ٢٢/١

(٥) تهذيب اللغة (مخض : ١٢٢/٧ واللسان (مخض) ٩٥/٩ ، والتاج (مخض) ٨٣/٥

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١/ب

(٧) مختصر في شواذ القرآن ٣١ ، والقاريء هو : أبو السمال قعنب بن أبي قعنب العلوي البصري . له اختبار في

القراءة شاذ عن العامة ، وروى عنه أبو زيد سعيد بن أوس (غاية النهاية ٢٧/٢) .

(٨) المائدة ١/٥ (٩) الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية - القسم الأول ٤٧ (رقم ١٢٤) .

(١٠) المرجع السابق ٤٧ (رقم ١٢٥) .

تفسير الظاهرة :

أثر صوت الحلق في سابقه فتبعه في كسره فحدث تماثل كلي تخلفي منفصل وقد يتساعل البعض : لِمَ لَمْ يكن التماثل إتباعياً فيؤثر الصوت الأول في صوت الحلق ؟ لقد أجاب سيبويه عن هذا التساعل بقوله : « ولم تُفتح هي [أى حروف الحلق] أنفسه هنا ؛ لأنه ليس في الكلام فَعِيلٌ ، وكرامية أن يلتبس فَعِلٌ بفَعَلٍ فيخرج من هذه الحروف فَعِلٌ ، فلزمها الكسر ها هنا وكان أقرب الأشياء إلى الفتح ^(١) » .

لكن هذه الإجابة غير شافية ، لأن العربي لو زاد وزناً جديداً ، وكذلك لو نطق كل ما جاء على فَعَلٍ فَعَالاً لتقبل منه . والتفسير هو أن طبيعة الأصوات الحلقية تؤثر في غيره ولا تتأثر هي بغيرها ، بل إن أصوات الحلق نفسها يؤثر ما هو أبعد منها عن الفم فيما هو أقرب للفم ، فالحاء مثلاً تتأثر بالهاء ولا تؤثر فيها . وقد لاحظ ذلك سيبويه وهو يتكلم عن الإدغام ، فقال : « ولا تدغم الحاء في الهاء ، كما لا تدغم الفاء في الباء ؛ لأن ما كان أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام ، مثل : امدَحْ هَلالاً ، فلا تدغم ^(٢) » .

والأحظ مثل هذا التأثير على لهجة بلدنا (البدارى وما حولها) ، فكل (فَعِيل) عنده (فَعِيل) سواء أكان ثانيه صوت حلق أو غير حلق ، مثل : رَغِيف ، وسَلِيم ، وكَبِير وطَوِيل ، إلّا إذا كان الصوت الأول حلقياً فيحتفظ بالفتح ولا يتأثر بتاليه القريب من الفم مثل : عبد الحميد ، وحَلِيم ، وغَفِير . ويستثنى من ذلك أيضاً بعض أسماء الأعلام مثل سَمِير ، وأعتقد أن مرد هذا الاستثناء إلى أن هذا العلم دخيل على البيئة لعدم تسمية الأجيا السابقة به .

ثانياً : غير المطرد :

١-٣ : ما جاء على فَعَلَة عند تميم و « فَعَلَة » عند غيرهم (كلمة - معدة - نقمة)

١- كلمة :

نسب إلى تميم لفظ « كلمة » بكسر أولها وسكون ثانيها ، وإلى الحجازيين « كلمة

(١) الكتاب ١٠٨/٤

(٢) المرجع السابق ٤٤٩/٤

بفتح أولها وكسر ثانيها^(١) . وينقل الجوهري عن الفراء أن في هذا اللفظ ثلاث لغات ، هي : كَلِمَة ، وَكَلِمَة ، وَكَلِمَة دون أن يعزوها لأصحابها^(٢) . لكننا إذا رجعنا إلى ما جاء على « فَعْلَة » من الأسماء الصحيحة في « ديوان الأدب » لانبجد « كَلِمَة »^(٣) ونرى ابن هشام يذكر هذه اللغات في شرح « شذور الذهب » وينسب الصيغتين غير الحجازيتين (كَلِمَة ، وَكَلِمَة) إلى تميم^(٤) .

إذا كانت المصادر القديمة اكتفت بنسبة كَلِمَة إلى الحجاز وَكَلِمَة إلى تميم ، فمعنى نسبة ابن هشام الصيغة الثالثة (كَلِمَة) إلى تميم — إن صحت — أن بعض التميميين كانوا ينطقون الفتح والآخرون كانوا ينطقون بالكسر ، وأن الكسر هو الذي شاع بين غالبيتهم بحيث اكتفى هؤلاء اللغويون الأوائل عند جمعهم اللغة بنسبته إليهم .

وعلى كل فمهما يكن من أمر فإن التميميين — سواء كلهم أو بعضهم — نطقوا بالكسر ، والحجازيين بالفتح . وهما موضوع دراستنا .

أما إسكان تميم للصوت الثاني من الكلمة فهذا يتفق ونهجها في بدء الكلمة بمقطع مغلق (وهذا ما سنتناوله في موضعه) .

موقف القراءات القرآنية :

الصيغة الحجازية هي التي سادت وأصبحت من اللغة المشتركة ، وقد جاء بها التنزيل الحكيم : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ)^(٥) . وأما الصيغة التميمية ، فقد قرئ بها في الشواذ قرأ أبو السمال « إلى كَلِمَة »^(٦) .

(١) تهذيب اللغة ٢٦٤/١٠ ، والخصائص ٢٥/١ ، واللسان (كلم) ٤٢٨/١٥ ، وشرح المفصل ١٩/١ ، وتاج العروس (كلم) ٤٩/٩ ، وديوان الأدب ٢٠١/١ ، والصحاح (كلم) ٢٠٢٣/٥ واكتفى المرجعان الأخيران بنسبة اللغة التميمية .

(٣) انظر : ديوان الأدب ١٤٦/١

(٥) آل عمران ٦٤/٣

(٢) الصحاح (كلم) ٢٠٢٣/٥

(٤) شرح شذور الذهب ١١

(٦) مختصر في شواذ القرآن ٢١

٢، ٣ : مَعْدَةٌ ، وَنَقْمَةٌ :

جاء في شرح شافية ابن الحاجب : « وإنما جمع مَعْدَةٌ وَنَقْمَةٌ على فَعَلٍ بكسر الفاء وفتح العين ؛ لأنهم يقولون فيهما عند بني تميم وغيرهم مَعْدَةٌ وَنَقْمَةٌ ككِسْرَةٍ نحو : كِتِفٌ في كِتِفٍ فجمعها على ذلك ، فَمَعْدٌ وَنَقْمٌ في الحقيقة جمع فَعْلَةٌ لاجمع فَعْلَةٌ وأما غيرهما نحو كَلِمَةٌ وَخَلِيفَةٌ فلا يجيء على وزن كِسْرَةٍ إِلَّا عند بني تميم »^(١).

هذا النص يشير إلى خاصيات تميمية ثلاث ، اجتمعت في كلمتي : معدة ونقمة ، وهي :

١- ميل تميم إلى كسر الحرف الأول منها في حين إنه مفتوح في اللغة المشتركة .

٢- بدء الكلمة عند تميم بالمقطع المغلق القصير فسكنت الصوت الثاني في حين إن اللغة المشتركة بدأت بمقطع مفتوح مكسور الصوت الثاني .

٣- إن الجمع هنا راعى الصيغة التميمية فقط دون الحجازية .

والذي يعنينا هنا أن بني تميم كسروا أول الكلمة فقالوا : مَعْدَةٌ وَنَقْمَةٌ في حين إن اللغة المشتركة فتحت الحرف نفسه فقالت : مَعْدَةٌ وَنَقْمَةٌ . وإذا كان جمع الصيغتين التميمية والمشتركة للكلمتين واحد وهو مَعْدٌ وَنَقْمٌ . وهذا الوزن خاص بالصيغة التميمية - كما قرر النص المعروض - وذلك بخلاف الكلمات ذات الصيغتين الشبيهتين بهاتين ، فقد كان لكل من التميميين واللغة المشتركة وزن في الجمع يختلف عن الآخر وهو في الوقت ذاته يتفق وصيغة الاسم المفرد عند كل قبيل ، من ذلك مثلاً جمع كَلِمَةٌ على كَلِمٍ عند تميم وكَلِمَةٌ على كَلِمٍ في اللغة المشتركة ، على ما سنعرض له عند الحديث عن جمع التكسير - وانفراد صورة لجمع الصيغتين واتفاقها قياساً مع التميمية يؤكد لنا أن الصيغة التميمية هي الأصلية ، وأنها تطورت في اللغة المشتركة دون أن يتطور الجمع ليلائهم المفرد .

٤- تِمَام :

قال اليزيدي في نوادره : « أهل الحجاز : ولدته لتَمَامٍ مفتوح و تَمِيمٍ مكسر »^(٢) .
والمقصود هنا « تِمَامُ الحمل »^(٣) وقد ورد نص شبيه بهذا في « الأزمينة والأمكنة »

(١) شرح الشافية ١٠٨/٢ (٢) الزهر ٢٩٩/ب (خ) (٣) المصباح (تمم) ٧٧

للمرزوقي منسوباً إلى ابن الأعرابي واستبدل بأهل الحجاز علياً مضر^(١) ولا تناقض بينهما إذ المراد بالاثنيين سكان غرب الجزيرة .

٥ - الحج :

قال يونس في نوادره : « الحجاز الحَجِّ وتيمم الحج »^(٢) . وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم عشر مرات^(٣) ويعقب النحاس على قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)^(٤) - بعد أن نسب الفتح لأهل الحجاز والكسر لأهل نجد - بقوله : « فالفتح على المصدر والكسر على أنه اسم »^(٥) .

والواقع أن نسبة الصيغتين إلى قبيلتين ثم التفرقة بينهما على أن إحداهما مصدر والأخرى اسم ، خلط في التفسير ، فهما إما أن إحداهما مسمى واحداً ينتمى إلى قبيلتين أو مسميين ينتميان إلى قبيلة واحدة . وعلى كل فنسبة الكسر إلى تيمم في مقابل الفتح إلى الحجاز ورد في أكثر من مصدر .

موقف القراءات القرآنية :

نلاحظ أن الآية الكريمة : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)^(٦) تقاسم القراء قراءة كلمة « حج » وفق اللغتين ، فقرأ بالكسر (حج) من القراء حفص وحمزة والكسائي^(٧) وأبو جعفر وخلف^(٨) والأعمش والحسن^(٩) وقرأ ببقية الأربعة عشر بالفتح وفق اللغة الحجازية^(١٠) . أما الآيات الأخرى فمقرئت كلها بالفتح ، ولم يقرأ بالكسر سوى الحسن^(١١) .

(١) الأزمنة والأمكنة ٣٣٩/١

(٢) المزهر ٢٩٨/ب (خ) ، وانظر : البحر ١٠/٣ ونسب الكسر لنجد والفتح لأهل العالية ، والإتحاف ١٧٨ ونسب الكسر لنجد والفتح للحجاز وأهل العالية وأسد .

(٣) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٤٨/١

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/١ أ

(٥) البقرة ١٨٩/٢

(٦) السبعة في القراءات ٢١٤ ، والتيسير ٩٠

(٧) آل عمران ٩٧/٣

(٨) تحبير التيسير ٩٨

(٩) إتحاف ١٧٨

(١٠) المراجع الأربعة السابقة

(١١) إتحاف ١٧٨ والتمردات التي وافقت اللغة التميمية وافقها في كسر الحاء فقط ، بخلاف النطق بالميم ؛ لأن النهج

العام عندهم قلب الميم ياء

التفسير الصوتي :

إذا كان النهج العام لتميم - كما ذكرنا - قلب كل جيم ياء فان كسر الحاء بسبب المجاورة لهذه الياء ، فهو تماثل كلي تخلف متصل .

٦ - حَفَايَة :

يذكر السرقسطي أن للفعل « حَفَيَّ » مصدران ، هما : حَفَاوَة وحَفَايَة وعزا الأخير لتميم^(١) ، وزاد صاحب اللسان مصدرًا ثالثًا هو « حَفَاوَة^(٢) » . وقد عرضنا هذه الكلمة عند الحديث عن « أشباه أصوات اللين » .

٧ - زِعَم :

سيرد هذا اللفظ عند الحديث عن « الضم والفتح » فقد نسب يونس الضم لتميم والفتح للحجاز . وفي اللفظ لغة ثالثة هي « زعم » نسبها صاحب البحر إلى بعض تميم وبعض قيس . أي أن بعض التميميين نطقوا بالكسر في مقابل الفتح عند الحجازيين .

٨ - شَجَرَة :

ذكرنا عند الكلام عن قلب الجيم ياء أن تميمًا كانوا يقولون : « شِيرَة » بكسر الشين في مقابل شَجَرَة بفتحها . والذي دعاهم إلى الكسر وجود الياء التالية المنقلبة عن الجيم ، وهو تماثل كلي تخلف :

٩ - شَرَب :

كان معظم سكان نجد يفتحون الشين من كلمة « شرب » في حين إن بعض بني سعد من تميم - كما زعم الكسائي - كانوا يكسرونها^(٣) . ويذكر اليزيدي أن الفتح لأهل الحجاز والضم لتميم - وسنتناول ذلك في موضعه - ولا نرى تناقضا بين القولين ، وإنما هذا يعني أن معظم النجديين كانوا يشاركون الحجازيين في نطقهم بالفتح وأن الضم كان لتميم وشذ بعضهم فكسر اللفظ بدلًا من أن يضمه .

(٣) زاد المسير ١٤٥/٨

(٢) اللسان (حفا) ٢٠٣/١٨

(١) الأنفال ٣٧٥/١

١٠- ضِبَارَى :

(١) قال الصغاني (ت سنة ٦٥٠ هـ) :

« وفي الرَّبَابِ ضِبَارَى بِالْفَتْح ، وفي تميم ضِبَارَى بِالْكَسْرِ »^(١) .

(ب) قال الفيروزآبادي :

« وَضِبَارَى بِالْكَسْرِ وَالْقَصْرِ : رجل من تميم ، وبِالْفَتْح في الرَّبَابِ »^(٢) .

وإذا رجعنا إلى مادة (ضِبَر) في لسان العرب^(٣) ، والقاموس المحيط^(٤) نجد المعنى الكلبي لها هو المثانة والقوة . ولهذا اشتق العرب أسماء منها أطلقوها على أولادهم . من هذه الأسماء « ضِبَارَة » في ربيعة^(٥) وضِبَارَى بكسر أوله عند تميم وبفتحه عند الرباب - وهما موضوع حديثنا - وإذا أردنا أن نقارن بين النصين نجدتهما يتفقان في نسبة الكسر والفتح إلى أصحابهما ولكن العلمين يردان في التكملة مشددي الآخر مع كسر ما قبله ، أما الفيروزآبادي فيذكرهما على أنهما مقصورين .

وإني لأميل إلى ضبط صاحب القاموس ، لأنه بالعبارة بخلاف ضبط التكملة فإنه ضبط قلم ، وهذا النوع قابل للتصحيف .

وقد علق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم محقق الجزء الثالث من التكملة على كلمة « الرَّبَابِ » معتمداً على القاموس فعرفهم بأنهم « أحياء بمكة سموا بذلك ، لأنهم أدخلوا أيديهم في رُبِّ وتعاقدوا »^(٦) . لكن الذي في القاموس أنهم « أحياء ضَبَّة »^(٧) . وقد ذكر ابن حزم أنهم بنوا عبد مناة بن أَدَّ (تَيْم ، وَعَدِي ، وَعَوْف « عُكْل » ، وَثَوْر ، وَأَشِيب) ؛ لأنهم تحالفوا مع بني عمهم ضبة على بني عمهم تميم بن مر فغمسوا أيديهم في رُبِّ ثم خرجت عنهم ضبة واكتفت بعددها^(٨) :

(٢) القاموس (ضِبَر) ٧٣/٢

(١) التكملة (ضِبَر) ٨١/٣

(٤) القاموس ٧٥/٢

(٣) اللسان ١٥٠/٦ - ١٥٢

(٥) ضبط في التكملة ٨١/٣ بفتح الضاد ، وضبط في القاموس ٧٤/٢ بضم الضاد

(٧) القاموس (رِبَب) ٧١/١

(٦) التكملة ٨١/٣ (الحاشية ٣)

(٨) جمهرة أنساب العرب ١٩٨

ويلتقى هؤلاء مع تميم في أد بن طابخة ، فتميم بن مر بن أد بن طابخة - كما ذكرنا عند الحديث عن نسبه - وكذلك عبد مناة بن أد ، وضبة بن أد كما كانوا يجاورونهم في مساكنهم^(١). فالخلاف في نطق الاسم قاصر على قبائل عاشت في النصف الشرقي من الجزيرة .

١١ - مَطْلَع :

آثرت تميم « مَطْلَع » بكسر اللام في مقابل « مَطْلَع » بفتحها في اللغة المشتركة ، وهو اسم يدل على زمان أو مكان الطلوع أو الحدث نفسه غير المرتبط بزمن . وسندرسه مهيئين علة اختيار تميم للكسر دون الفتح عند الحديث عن « المصدر الميمى » و « اسمى الزمان والمكان » .

١٢ - طَنْفِيسَة :

قال يونس (ت سنة ١٨٢ هـ) في نوادره : « أهل الحجاز طَنْفِيسَة و تميم طَنْفِيسَة^(٢) » . ويرجع اختلاف العرب في فتح أول الكلمة وكسرها إلى أنها أعجمية أصلها في الفارسية tanfa و tanfasa بمعنى بساط من نوع فاخر^(٣) . والملاحظ أن النطق التميمي هو المتطور . وقد تم بطريق التغيرات التخلف المتباعد .

١٣ - كَثْرَة :

« الكثرة بفتح الكاف و تميم بكسر الكاف »^(٤) . وقد تم ذلك كسابقه عن طريق التغيرات التخلفي . وورد هذا اللفظ مرتين في القرآن الكريم^(٥) لكنه لم يقرأ وفق اللغة التميمية ، فيما نعلم .

١٤ - نِعْجَة :

نطق بعض التميميين هذا اللفظ بكسر النون^(٦) . مخالفين النطق الشائع الذي كان يفتحها .

(١) راجع ص ٣١ ، ٣٧ ، وانظر بشأن « الرباب » اللسان (ريب) ٣٨٨/١ .

(٢) المزهر ١٩٨/ب (خ) = ٢٧/٢ (ط) وأهملت المطبوعة ضبط الصيغتين .

(٣) Steingass, persian - English Dictionary p. 289

(٤) البحر ٢٤/٥ (٥) المائدة ١٠٠/٥ ، والتوبة ٢٥/٩ (٦) البحر ٣٩٢/٧

التفسير الصوتي :

كانت الجيم تنطق ياء عند التميميين فتأثرت حركة النون بها فكسرت وهذا تماثل كلي تخلفي متباعد .

موقف الفراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

وردت هذه اللفظة في قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ)^(١) . وقد قرأها الجمهور بفتح النون^(٢) وقرأها بالكسر — كما نسب لميم — الحسن وابن هرمز^(٣) .

١٥- نَهَى :

نقل ابن السكيت (ت سنة ٢٤٤ هـ) عن أبي عبيدة (ت نحو سنة ٢٠٩ هـ) قوله : « تميم من أهل نجد يقولون : نَهَى للغدير ، وغيرهم يقولون : نَهَى^(٤) » . وبالتمعن في كلام أبي عبيدة نستنتج أن الخلاف في فتح النون وكسرها بخلاف بين النجديين أنفسهم . اتجه التميميون إلى الكسر في حين إن غيرهم من النجديين مالوا إلى الفتح . ويعضد هذا الاستنتاج أن الكلمة خاصة بالنجديين في مقابل الغدير في لغة غيرهم ، جاء في اللسان : « وقيل : هو [أى النهى] الغدير في لغة أهل نجد »^(٥) . وسنتناول ذلك في باب الدلالة .

وقد كان للياء الواقعة في طرف الكلمة أثر في كسر التميميين للنون ويعد هذا تماثلاً كلياً تخلفياً منفصلاً ؛ لأن الكلمة في أصلها مصدر للفعل « نَهَى » وهو ثلاثي متعد قياس مصدره على فَعَلَ^(٦) .

(٢) البحر ٣٩٢/٧

(١) ص ٢٣/٣٨

(٣) المرجع السابق والمحتسب ٢٣٢/٢ ، وشواذ الكرماني ٢٠٨ ، وفيهما «الأعرج» بدل « ابن هرمز » وهما واحد وهو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني ، تابعي أخذ القراءة عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ، وروى عنه نافع . توفي سنة ١١٧ هـ بالإسكندرية (معرفة القراء ١/٦٣ ، ٦٤) .

(٤) إصلاح المنطق ٣٥ والنص منقول عن ابن السكيت في البارع ١٢

(٥) اللسان (نهى) ٢١٩/٢٠

(٦) انظر : شرح ابن عقيل ١٢٣/٢

١٦ - هِيَهَاتِ :

ذكرنا عند الحديث عن « الضم والكسر » أن العرب نطقوا هذا اللفظ بصيغ متعددة . ويعني هنا المقارنة بين كسر التاء الذي انتهجه التميميون وفتحها الذي أعزى إلى الحجاز^(١) وهو الذي آثرته أيضاً اللغة المشتركة بدليل قراءة جمهور القراء به قوله تعالى : (هِيَهَاتِ هِيَهَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ)^(٢) .

ونلاحظ أن التميمي في كسره التاء - مخالفاً اللغة المشتركة التي كانت تفتحها - متأثر بالياء السابقة لها ، فصنعه هذا من التماثل الكلي الإتياعى المنفصل ، على فرض أن اللغة المشتركة هي الأصلية .

١٧ - وَتَر :

قال أبو علي القالي (ت سنة ٣٥٦ هـ) : « والوتر : الدحل (بكسر الواو لا غير) ، والوتر (بفتح الواو وكسرها) : الفرد ، ويقراً : والشفع والوتر ، والوتر . الفتح لغة أهل الحجاز ، والكسر لغة تميم وأسد وقيس »^(٣) .

تعليق :

أولاً : يقرر أبو علي القالي أن لكلمة « وتر » مدلولين :

١ - العدد ، ومنه صلاة الوتر .

٢ - الدحل وهو بمعنى الشار^(٤) .

كما يقرر أنه بالمعنى الأول يختلف التميميون ومن جاورهم من قيس وأسد عن الحجازيين في ضبط أوله ، أما المعنى الآخر ، وهو الدحل ، فيتفقون هم ومجاورهم وأهل الحجاز في كسره ، ووجدنا عدة روايات تعضد ذلك وإن اختلفت أحياناً في تحديد المنسوب إليهم بأن وسعت الدائرة أو ضيققتها أو أطلقت عليهم أسماء أخرى ، فنجد :

(أ) الأصمعي (ت ٢١٥ هـ) يجعل المقابلة بين الحجاز وبين تميم وقيس^(٥) .

(١) المنفصل (ضمن شرح المنفصل) ٦٥/٤

(٢) المؤمنون ٣٦/٢٣

(٣) الأماي للقالي ١٣/١ (٤) اللسان (دحل) ٢٧٢/١٣ (٥) إعراب القرآن للنحاس ٣١٢ / أ

(ب) يونس (ت ١٨٢ هـ) يجعلها بين تميم وأهل العالية^(١) .

(ج) اليزيدى (ت ٢٠٢ هـ) يكتفى بقصر المقارنة على المعنى الأول وهو الفرد بين
الحجاز وتميم^(٢) .

(د) أبا حيان يقارن بين قريش وتميم^(٣) .

ثانيا : نجد إلى جانب ذلك « اللحياني » ينسب إلى الحجازيين الفتح في المعنيين
وإلى النجديين الكسر فيهما^(٤) .

ثالثا : ونجد أيضا الجوهري :

(أ) ينسب إلى أهل العالية الكسر في العدد والفتح في الدَّخْل .

(ب) ويعزو إلى أهل الحجاز الفتح في العدد والكسر في الدَّخْل .

(ج) ويقول إن تَمِيَا تكسر في المعنيين^(٥) .

رابعا : وبخلاف الجوهري نرى الفيومي يذكر الآراء الثلاثة التي ذكرها الجوهري .
لكنه يعكس فيما يخص أهل العالية والحجاز ، فينسب إلى كل منهما ما نسبته الجوهري
للآخر ، فعنده :

(أ) الكسر لتمييم في المعنيين .

(ب) الفتح في العدد والكسر في الدَّخْل لأهل العالية .

(ج) الكسر في العدد والفتح في الدَّخْل للحجازيين^(٦) .

وإذا ضربنا صفحا عما ذكره صاحب المصباح بوصفه غير لغوي أصيل : بالإضافة
إلى أنه متأخر واحتمال التصحيف راجع عنده ، فإننا نجد الجوهري يفرق هنا بين

(١) إصلاح المنطق ٣٥ ، واللسان (وتر) ١٣٥/٧ ، ١٣٦

(٢) المزهر ٢٧٧/٢ (٣) البحر ٤٦٧/٨

(٤) المحكم ١٧/٢٠ ١

(٥) الصحاح (وتر) ٨٤٢/٢ وعنه نقل اللسان (وتر) ١٣٦/٧

الحجازيين وأهل العالية . وأهل العالية يطلقون في هذه الحالة على عالية المدينة ، وذلك بخلاف الإطلاق العام المراد به أهل الحجاز عند المقارنة بينهم وبين النجديين .

وسواء أصبح الرأيان : الثاني (رأى اللحياني) ، والثالث (رأى الجوهري) أم لم يصححا ، فإن الإجماع على أن تميم كانت تكسر في المعنيين وأن الفتح في المعنيين عند غيرهما هو موضع الخلاف .

القراءات واللغة التميمية :

ورد الوتر بمعنى العدد فقط في القرآن الكريم في قوله تعالى : (والشفع والوتر)^(١) .
وقد قرأ بكسر الواو وفق اللغة التميمية من القراء الأربعة عشر : الكسائي ، وحمزة^(٢) وخلف^(٣) والحسن والأعمش^(٤) والباقون قرعوا بالفتح^(٥) .

١٨ - الولاية :

تستعمل كلمة الولاية بمعنى :

١ - الربوبية .

٢ - التولى ومعناه النصرة ، والقرب والدنو .

٣ - في السلطان : تعنى السلطان نفسه ، وكذلك البلاد التي يحكمها^(٦) .

ويقرر اليزيدي أن أهل الحجاز يفتحون في المعنيين الأوليين ويكسرون في المعنى الأخير الخاص بالسلطان . أما تميم فتكسر في كل الدلالات ، يقول : « أهل الحجاز : الولاية في الدين ، والتولى مفتوح ، وفي السلطان مكسور ، وتميم تكسر الجميع »^(٧) وإذا كان الجميع يتفقون في السلطان فيبدو أنها دلالة محدثة لأنها مرتبطة بالتنظيم الإداري الذي نشأ بعد تأسيس الدولة الإسلامية وأنه أطلق في أول الأمر للدلالة على الوظيفة وهي حرفة قياس مصدرها على « فِعالَة » .

(١) الفجر ٣/٨٩

(٢) تحبير ١٩٦

(٣) المراجع الأربعة السابقة .

(٤) المزهري ٢٩٩/١

(٥) السبعة في القراءات ٦٨٣ ، والتيسير ٢٢٤

(٦) إتحاف ٤٣٨

(٧) لسان العرب (ول) ٢٨٧/٢٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

وردت هذه الكلمة في كتاب الله مرتين :

الأولى : في قوله تعالى : (... والذين آمنوا ولم يُهاجروا ما لكم من ولایتِهِمْ من شيء حتى يهاجروا)^(١) . وهي هنا يمكن أن تكون بمعنى النصرة . أى المعنى الثانى وهو « التولى » الذى فتحه الحجازيون وكسره التميميون . ويمكن أن تكون أيضا بمعنى السلطان فتكسر على أى حال ، فلننظر في كتب القراءات لنرى موقفها من اللغتين بالنسبة لهذه الآية .

لقد قرأ بالكسر أى وفق النهج التميمي في المعنيين أووفق الحجازي بالدلالة الثانية من الأربعة عشر : حمزة^(٢) والأعمش^(٣) . وقرأ الباقون بالفتح أى وفق النهج الحجازي^(٤) .

الثانية : هي قوله تعالى : (هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا)^(٥) وهي هنا بمعنى الربوبية ، أى أن الحجاز تفتح الواو وتميم تكسرها . ولقد قرأ باللغة التميمية (بكسر الواو) حمزة والكسائي^(٦) ، وخلف^(٧) ، والأعمش^(٨) .

* * *

(ب) الميل الى الفتح :

١ - أمّا :

أمّا (بفتح الهمزة) تفيد المجازاة ، مثل : أمّا زيدٌ فله درهم ، وتلزم الفاء جوابه وإمّا (المكسورة الهمزة) تكون في موضع أو ، مثل : ضربت إمّا زيدا وإمّا عمرا . ولا بد من تكرارها بخلاف المفتوحة التي يتم الكلام بدون تكرارها . وإذا كررت مثل قوله تعالى : (أمّا من استغنى فأنت له تصدّي . وما عليك ألا يزكّي وأمّا من جاءك يسعى ودو يخنثي فأنت عنه تلهي)^(٩) فإن الكلام مستغن من قبل ذكر أمّا الثانية^(١٠) . وقد فتح التميميون

(٢) السبعة في القراءات ٣٠٩ ، والتيسير ١١٧

(٤) المراجع الثلاث السابقة .

(٦) السبعة في القراءات ٣٠٩ ، والتيسير ١٤٣

(٨) إتحاف ٢٣٩

(١٠) المقتضب ٢٨/٣ ، ٢٩

(١) الأنفال ٧٢/٨

(٣) إتحاف ٢٣٩

(٥) الكهف ٤٤/١٨

(٧) تحبير ١٣٥

(٩) عبس ١٠-٥/٨٠

همزة إِمَّا المكسورة^(١) . والمعروفة بالتفصيلية ونطقوها مثل الشرطية وعلى هذه اللغة قول القمقام :

تَلَقَّحُهَا أَمَّا شَمَالُ عَرِيَّةٍ وَأَمَّا صَبَاً جَنَحَ الْعَشِيِّ هَبُوبٌ^(٢)

وسنرى عند الحديث عن المخالفة أن كثيرا من بنى تمم يبدلون الميم الأولى ياءً .

٢ - بَسَاط :

البَسَاط : المكان الواسع من الأرض ، ويعزو الأصمعي (٢١ هـ) فتح الباء إلى تميم^(٣) . وقد روى اللفظ في قوله تعالى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا)^(٤) ولانعرف من أصحاب القراءات المتواترة والشاذة من قرأ وفق اللغة التميمية . وفتح تميم للباء يعد من التماثل الكلى التخلفي المنفصل على فرض أن الصيغة المشتركة هي القدمى .

٣ - جَبْرِئِيل :

كانت تميم - وشاركتها في ذلك قيس - تقول جَبْرِئِيل في مقابل جَبْرِيل عند أهل الحجاز^(٥) ، أى أنها كانت تفتح الصوت الأول وهو الجيم الذى كانت تنطقه ياء - كما سبق أن وضعنا عند الحديث عن التبادل بين هذين الصوتين - في حين أنه ينطق بكسر الجيم عند الحجازيين مع حذف الهمزة .

وهذا اللفظ دخيل في العربية^(٦) ، فهو عبرى الأصل^(٧) גִּבְרִיֵּל (جَبْرِئِيل) بمعنى رجل الله^(٨) .

التفسير الصوتى :

إذا كان التميمى قد آثر الفتح فإن ذلك يتفق ونطقه في لغته الأصلية كما أنه يتفق ونهج تميم في التثنية من كسرهم حرف المضارعة إلا أن يكون ياء فيفتحونها استثقالا

(١) تسهيل الفوائد ١٧٦ ، وارتشاف الضرب ٢٧١/ب ، وجمع الهوامع ١٣٥/٢ وشرح التصريح ١٨٤/٢ ، والدرر اللوامع ١٨٢/٢ ونسب في الأربعة الأخيرة إلى قيس وأسد بالإضافة إلى تميم .

(٢) الدرر اللوامع ١٨٢ (شمال وجنوب : نوعان من الرياح - عرية : باردة - جنح العشى : أى حين مالت الشمس للغروب - الدرر ١٨٢) .

(٣) تلخيص البيان في مجازات القرآن ٣٤٩

(٤) نوح ١٩/٧١ (٥) إعراب القرآن للنحاس ١٤ / ١ ، وتفسير الطبرى ٣٨٨/٢

(٦) المغرب ١١٣

(٧) Gesenius, Hebrew p. 150. (٨) Jeffery, The Foreign vocabulary p. 100.

للكسرة مع الياء ، وذلك لأنهم كانوا يقلبون الجيم ياء . أما كسر الحجازيين الصوت الأول فهذا يتفق والياء التالية المخففة عن الهمزة (جبريل) ، وهو من التماثل التخلي المنفصل .

٤ - جَدَايَة :

الجدَايَة - بفتح الجيم وكسرهما - : الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة وعدا^(١) وعزا ابن الأعرابي الفتح إلى تميم^(٢) .

٥ - حَصَاد :

الحَصَاد (بكسر الحاء وفتحها) مصدر حَصَد وقال الفراء : «الكسر للحجاز والفتح لنجد وتميم»^(٣) . والمصدر القياسي حَصَد (بفتح الحاء)^(٤) فالتمييز أطال بنية المصدر القياسي بمضاعفة حركة الصوت الساكن الثاني وفي الوقت ذاته حافظ على حركة الصوت الأول (الحاء) بخلاف الحجازي الذي كسره . وعمله هذا من باب التغيرات التخلي المتباعد .

٦ - رَبَوَة :

نطق العرب هذه الكلمة مثلثة الراء تمثل كل حركة لغة :

(أ) الضم في اللغة المشتركة .

(ب) الفتح لتمييز .

(ج) الكسر ، ولم يحدد ناطقوه .

ويهمنا أن نشير هنا إلى المقارنة بين الفتح لغة تميم والكسر الذي نطق به بعض العرب . ونرجئ تفصيل الحديث عن هذه الكلمة إلى (الضم والفتح) حيث المقارنة بين التسمية واللغة المشتركة .

(١) اللسان (جدا) ١٤٧/١٨

(٢) النوادر لأبي مسحل ٢٥٢/١

(٣) البحر ٢٣٤/٤

(٤) المرجع السابق .

٧ - رَبِّيُون :

يذكر ابن جنى أن في كلمة «رَبِّيُون» ثلاث لغات : كسر الراء وفتحها وضمها وعزا الفتح إلى تميم ولم ينسب الضم^(١). أما الكسر فهو اللغة المشتركة بدليل قراءة جمهور القراء به^(٢) قوله تعالى : (وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُون كَثِيرٌ)^(٣) وقد قرئ أيضا باللغتين الآخرين . ويعني هنا أن الذي قرأ وفق اللغة التميمية هو ابن عباس^(٤).

والرَبِّيُون جمع رَبِّي نسبة إلى الرب وإلى هذا ذهب الأخفش^(٥) ، فالمقصود بهم الأتقياء الورعون .

أو أن الربِّي نسبة إلى الربة وهي الجماعة كما ذهب الفراء^(٦).

أو هو جمع رَبِّي بمعنى الجماعة الكثيرة ، كما ذهب أبو طالب^(٧).

وعلى القولين الأولين - وأولهما أقرب إلى النفس - فإن الصيغة التميمية هي الأصلية لاتفاق المنسوب والمنسوب إليه في فتح الراء . أما الضم ؛ فإنه أشبه بدهرى نسبة إلى الدهر ، كما علله أبو حيان . وأما الكسر فمثل إمسى نسبة إلى أمس ، كما قال الأخفش^(٨).

٨ - سَيْنِين :

نطق هذا اللفظ بعدة صور ، فقليل :

١ - سَيْنِين بكسر السين وبياء تليها .

٢ - سَيْنِين بفتح السين وبياء تليها^(٩).

٣ - سَيْنِين بكسر السين وحذف الياء التي تليها^(١٠).

(٣) آل عمران ١٤٦/٣

(٢) المرجع السابق .

(١) البحر ٧٤/٣

(٤) مختصر في شواذ القرآن ٢٢ والبحر ٢٣٤/٤

(٥) التبيان للطبرسي ٥١٧/٣ ، واللسان (رب) ٣٩٢/١

(٨) البحر ٧٤/٣

(٧) المرجع السابق .

(٦) المرجع السابق .

(١٠) مختصر في شواذ القرآن ١٧٦ .

(٩) المرجع السابق ٤٩٠/٨

٤ - سيناء بفتح السين .

٥ - سيناء بكسر السين^(١) .

وقد عزيت الصيغة الثانية (سينين) إلى تميم وبكر^(٢) . ووردت الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى : (والتين والزيتون وطور سينين)^(٣) . وقرأ وفق اللغة التميمية أبو رجاء وابن أبي إسحاق وعمرو بن ميمون^(٤) إلا أن ابن خالويه يذكر أن الأخيرين قرآ بكسر السين وبحدف الياء الأولى (سينين)^(٥) . وأما الجمهور فقد قرءوا بكسر السين وبياء تليها (سينين)^(٦) .

٩ - الصَّرْع :

الصَّرْع : الطرح بالأرض^(٧) ، وخصه الأزهري بالإنسان ، فقال « الصَّرْع : الطرح بالأرض للإنسان »^(٨) « ونقل أبو عبيد عن أبي زيد أن « الصَّرْع لغة قيس والصَّرْع لغة تميم كلاهما مصدر صرعت »^(٩) . وورد كلام أبي زيد في « إصلاح المنطق » لابن السكيت دون عزوه إلى راو معين^(١٠) ونقل الجوهري الصيغتين منسوبيتين إلى الناطقين بهما نقلا عن ابن السكيت^(١١) وعن الجوهري نقل صاحبها اللسان^(١٢) والتاج^(١٣) .

(١) اللسان (سين) ٦٤/١٧

(٢) البحر ٤٩٠/٨

(٣) التين ٢٤١/٩٥

(٤) البحر ٤٩٠/٨ والفارسي الأول هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي كان إماما في العربية والتميزة . قرأ على يحيى بن يعمر وتوفي سنة ١١٧ هـ (نزلة الألباء ١١-١٣) .

وهناك شخصان اسمهما عمرو بن ميمون : أحدهما تابعي كوفي وهو أبو عبد الله الأودي . أخذ القراءة عن ابن مسعود وتوفي نحو ٧٥ هـ ، والثاني هو أبو عثمان عمرو بن ميمون بن حماد بن طلحة الكوفي أخذ القراءة عن حمزة (غاية النهاية ٦٠٣/١) .

(٦) البحر ٤٨٩/٨

(٨) تهذيب اللغة (صرع) ٢٥/٢

(٥) مختصر في شواذ القرآن ١٧٦

(٧) اللسان (صرع) ٦٤/١٠

(٩) الغريب المصنف ١٤٤

(١٠) إصلاح المنطق ٣٦

(١١) الصراح (صرع) ١٢٤٢/٣

(١٢) اللسان (صرع) ٦٤/١٠

(١٣) التاج (صرع) ٤١١/٥

الصيغة المشتركة :

نلاحظ أن القبيلتين اللتين نسبت إليهما الصيغتان نجديتان^(١) ، ولم يحدد اللغويون أيهما التي شاعت وأخذت بها اللغة المشتركة ، وأرجح أنها التميمية لأن وزن «فَعْل» بفتح الفاء هو الغالب في مصدر الفعل الثلاثي المتعدي من أي باب كان مثل قتل قَتَلًا وضَرَبَ ضَرْبًا وَحَمِدَ حَمْدًا^(٢) .

١٠ - عَجَلَزَة :

العجلزة (بفتح العين واللام ، وبكسرهما) : الشديدة الخَلْق ، أو الشديدة الأسر المجتمعة الغليظة^(٣) وهي نعت للفرس^(٤) والناقة^(٥) ، وفي الخيل أعرف^(٦) . لكنها لم تستعمل مع المذكر منه واستعملت مع مذكر الناقة ، فقليل جمل عجلز^(٦) بدون تاء . وقد تكلمت تميم بالكلمة مفتوحة (عَجَلَزَة) ونطقتها قيس بالكسر (عِجْلَزَة)^(٧) .

وهنا نتساءل : هل كانت الكلمة قاصرة على هاتين البيئتين أو أنها لم تكن قاصرة عليها واستعملتها اللغة المشتركة ؟ وإذا كانت قد استعملتها فبأي الحركتين : الفتح أو الكسر أخذت ؟

لقد وردت الكلمة في شعرامرئ القيس وبشر بن أبي خازم وهما جاهليان^(٨) بالكسر مما يدل على أن اللغة المشتركة آثرت لغة قيس ، وذلك في قول امرئ القيس :

بِعِجْلَزَةٍ قَدْ أَتَرَزَ الْجَرَى لَحْمَهَا كُمَيْتٍ كَأَنَّهَا هَرَاوَةٌ مِنْوَالٍ^(٩)

وقول بشر :

وخيَلٍ قَدْ لَبِسْتُ بِجَمْعِ خَيْلٍ عَلَى شَقَاءٍ عِجْلَزَةٍ وَقَاحٍ^(١٠)

هذا إلا إذا كان ضبط الكلمة من صنع محققى الديوانيين .

(١) شرح شافية ابن الحاجب ١/١٥٦ (٢) اللسان (عجلز) ٧/٢٤٠

(٣) المرجع السابق . (٤) إصلاح المنطق ١٣٨

(٥) اللسان (عجلز) ٧/٢٤٠ (٦) المرجع السابق .

(٧) إصلاح المنطق ١٣٧ ، واللسان (عجلز) ٧/٢٤٠

(٨) عد ابن سلام بشر بن أبي خازم في الطبقة الثانية لشعراء الجاهلية «دباقيات ٨١»

(٩) ديوان امرئ القيس ٣٧

(١٠) ديوان بشر ٤٧ (الشقاء : الطويلة ، والمراد بها فرس طويلة) .

١١- لام كى (لام التعليل) :

عزا خلف الأحمر (ت نحو ١٨٠ هـ) إلى بنى العنبر كسر لام التعليل^(١) وقرر ابن سالك ما ذكره خلف وضم إلى بنى العنبر العُكْلِيَّين^(٢) .

وعكل هم بنو عمومة تميم نسبة إلى عكل بن عوف بن عبد مناة بن أد^(٣) فهم يلتقون معا في أد .

ووجدنا بهذه اللغة قراءات قرآنية ، فقراً أبو السمال (وما كان الله ليعذبهم)^(٤) بفتح اللام^(٥) ، وقرأ سعيد بن جبير (وإن كان مكرهم - لتزول منه الجبال)^(٦) بفتح اللام^(٧) .

١٢- نعام :

تقول العرب : نَعَمَ عَيْنٌ ، وَنَعَمَ ، وَنُعْمَةٌ ، وَنُعْمَةٌ ، وَنُعْمَةٌ ، وَنُعْمَى ، وَنَعَامٌ ، وَنِعَامٌ ، وَنُعَامٌ ، وَنِعَامَةٌ ، وَنَعِيمٌ ، وَنُعَامَى . والمراد بهذه التعبيرات الاثنتى عشرة : أَفْعَلُ ذلك كرامة لك وإنعاماً بعينك ، وما أشبهه^(٨) . وقد سمع أبو زيد « أعرابيا من بنى تميم يقول : نَعَمَ وَنَعَامَ عَيْنٌ »^(٩) . والمقارنة هنا بين حركتى النون فى كلمة « نعام » فالتميمى نطقها مفتوحة وبعض العرب نطقها مكسورة .

١٣- وَجَدَ :

عزى فتح الواو فى هذه الكلمة لتمييم مقابل ضمها فى اللغة المشتركة ، وكسرها ، دون تحديد للناطقين بها . وخرجى الحديث عنها إلى « الضم والفتح » حيث المقارنة مع اللغة المشتركة .

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٢/ب وانظر : مشكل إعراب القرآن ١٠٠ (دون عزو لخلف) .
(٢) تهليل الفوائد ١٤٥ (٣) جمهرة أنساب العرب ٨٠ (٤) الأنفال ٣٣/٨
(٥) مختصر فى شواذ القرآن ٤٩ (٦) إبراهيم ٤٦/١٤
(٧) تهليل الفوائد ١٤٥ والقارىء هو : سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الوالى ، تابعى أخذ القراءة عن ابن عباس وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء . قتله الحجاج سنة ٩٤ هـ وقيل ٩٥ هـ (غاية النهاية ٣٠٥/١) .
(٨) لسان العرب (نعم) ٦٠/١٦

(٩) إصلاح المنطق ١١٨ ، ١١٩ ، والنص فيه : قال : وسمعت أعرابيا ... والضمير يعود على أبي زيد (راجع ص ١١٨) لكن ابن سيده يذكر فى المحصص (٨٦/١٥) نص ابن السكيت « بخلاف » ويذكره على النحو التالى : « ابن السكيت نعم ونعمة عين ونعام عين قال : وسمعت أعرابيا من بنى تميم يقول : ونعام عين » وفضلا عن اختلاف النصين (راجع النصين بتمامهما فى الكتابين) ينهم من « وسمعت » أن السامع هو « ابن السكيت » وهذا غير صحيح . ومثل هذا كثير عند ابن سيده .

١٤- أَيْمٌ :

ذكرنا عند الحديث عن « الضم والكسر » أن لهذه الكلمة عشرين صيغة ويهملنا هنا :

(أ) أن تيمًا كانت تقول أَيْمٌ بفتح الهمزة وضم الميم .

(ب) وأن بني سليم كانوا يقولون إَيْمٌ بكسر الهمزة وضم الميم .

(ج) ومن العرب من كان يقول إَيْمِ أى بكسر الهمزة والميم .

ولم يحدد أى بني سليم ، وهم كثيرون أشهرهم بطن من قيس^(١) .

والذى يعنينا هنا أن بني تيم كانوا يؤثرون فتح الهمزة فى حين إن غيرهم من العرب كان يكسرها . وإذا رجعنا إلى ما علقنا به عند الحديث عن الضم والكسر وما قلناه من أن « أَيْمٌ » التميمية هى الصيغة القلمى بعد حذف النون ، تبين لنا أن فتح الهمزة هو الأصل وكسرها هو مرحلة تالية وأنه أى الكسر بسبب وجود الياء ، فهو من التماثل التخلقى المتصل .

* * *

تعقيب :

يتبين لنا بعد عرض الحالات التى خالف فيها التميميون غيرهم فى الاتجاه إما إلى الفتح وإما إلى الكسر أنهم :

أولا : آثروا الكسر فى :

(أ) ثلاث حالات قياسية ، هى :

١- التلثة .

٢- الياء المضاف إليها جمع المذكر السالم ، وهذه الحالة الأخيرة كانت خاصة ببطن

من تيم هم بنو العنبر .

٣- فاء « فَعِيل » و « فَعِل » إذا كان عينه حلقيا .

(١) جمهرة أنساب العرب ٤٦٨

(ب) في ١٨ ثمانى عشرة كلمة مفردة ، ونلاحظ على هذه الكلمات أن :

١ - منها ثلاث كلمات جاءت عندهم على « فَعْلَة » وعند غيرهم على « فَعِلَة » ونميل إلى أن ذلك كان قاعدة عندهم ؛ لأن ما ورد من هاتين الصيغتين منسوباً نسبت « فَعْلَة » إلى تميم .

٢ - ومنها ٣ ثلاث كلمات (زِعِم ، وشرب ، ونِعْجَة) نسبت إلى بعض التميميين ولم تكن عامة عند جميعهم .

٣ - مالت تميم إلى الكسر في ثلاث كلمات في مقابل الفتح عند قبائل نجدية ، وهذه الكلمات ، هي : زِعِم ، وشرب ، وضِبَارَى . ونلاحظ أن كلمتين من هذه الثلاث لم تشع لدى التميميين وهى زعم وشرب ، كما ذكرنا في الفقرة السابقة .

٤ - يتبقى بعد ذلك إحدى عشرة كلمة كانت المقارنة بين التميميين جميعاً وبين اللغة الحجازية أو المشتركة (بعد استبعاد شبه المطرد الذى يمثله ما جاء على فَعْلَة وفَعِلَة) .
ثانياً :

(١) لم نجد لدى التميميين حالات مطردة آثروا فيها الفتح على الكسر .

(ب) اتجهوا إلى الفتح في أربعة عشر كلمة مفردة . ونلاحظ على هذه الكلمات أن :

١ - اثنتين منها لم تكن عامة لدى التميميين ، وهما : رَبَوَة ، ولام كى التعليل .

٢ - ثلاث كلمات كانت المقارنة بين التميمية ولغات سكان شرق الجزيرة ، وهى : الصرع ، وعجلزة ، وايم .

٣ - كلمتا « رَبَوَة » ، و « وَجَد » قورن بين التميميين وبعض العرب الذين لم يحددوا ، وقد نطقت هذه اللفظة في المشتركة بضم الراء .

٤ - وبقيت الكلمات الثمانية كانت المقارنة بين التميمية وبين اللغة المشتركة أو الحجازية .

ونخلص من هذا كله إلى أن تميا آثرت الكسر على الفتح وأن هذا يدعونا إلى ترجيح نسبة الكسر إليهم إذا ما ورد لفظ قد نطق بالحركتين دون أن تعزى إحداهما إلى قوم معينين . وهذا الترجيح يقترب من اليقين مع كل ما جاء على « فَعْلَة » و « فَعْلَة » فتنسب الصيغة الثانية إليهم . وتعليل اتجاه تميم إلى الكسر في مثل هذا الوزن هو نفس التعليل الذي ذكرناه عند الحديث عن « فَعْلَة » و « فُعْلَان » عندهم في مقابل « فَعْلَة » و « فُعْلَان » عند غيرهم .

التفسير الصوتي لتبادل الصوتين :

الفتحة والكسرة صوتان متقاربان مخرجاً مما يسوغ تبادلهما . والفرق بينهما هو أن اللسان مع الأولى يكاد يكون مستوياً والفم مع ارتفاع خفيف في مؤخره^(١) . وهو في الوسط بين المقياسين a و ɛ . عند جونز^(٢) .

أما مع الكسرة فهو يشبه المقياس i عند جونز أيضاً^(٣) ، أى أن مقدم اللسان يرتفع نحو الحنك إلى أقصى درجة بحيث لا يخرج عن كونه حركة^(٤) . ووضع اللسان مع الحركتين يرينا أن الفتح أيسر في نطقه من الكسر الذي يحتاج إلى جهد عضلي أكثر وهو ما وجدناه لدى التميميين ويتفق مع بداوتهم وخشمونتهم

(١) الأصوات اللغوية ٣٢

(٢) الأصوات للدكتور بشر ١٩٦

(٣) الأصوات اللغوية ٣١

(٤) وانظر : الأصوات اللغوية ٣١ Jones, An out line p. 31.

٣ - بين الضم والفتح

(أ) الميل إلى الضم :

أولاً - المطرد :

تبين لنا عند الحديث عن أشباه أصوات اللين (الواو والياء) أن كل ما جاء على « فُعَلَى » بضم الفاء وكان معتل اللام بالواو فإن التميميين كانوا يوافقون اللغة المشتركة ويقلبون الواو ياء فيقولون مثلاً : « فُتَيَا » أما الحجازيون فكانوا يفتحون الفاء ويبقون الواو فيقولون : « فُتَوَى » .

(ب) غير المطرد :

١ - ٤ : ما جاء على فُعَلَة (عُدوة - وعُشوة - وغُرْفَة - وغُلْظَة) :

١ - ٣ : عُدوة ، وعُشوة ، وغُلْظَة :

رأينا عند الحديث عن « الضم والكسر » أن هذه الكلمات جاءت على « فُعَلَة » بضم أولها عند تميم ، في حين أن الحجازيين نطقوها بالكسر . وقد ورد في هذه الكلمات نطق ثالث هو فتحها ولم تحدد نسبته إلى قوم معينين^(١) ، وهو الذي يعيننا هنا مقارنة النهج التميمي به .

وهذه اللغة التي فتحت لم تكن واسعة الانتشار ، بدليل أن لفظين من هذه الألفاظ الثلاثة وردت مفتوحة في القرآن الكريم ، ولا يقرأ بها إلا في الشواذ ، فقد قرأ قوله تعالى : (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى)^(٢) بفتح العين من « عدوة » فتادة^(٣) . وقرأ بفتح الغين من « غلظة » في قوله تعالى : (وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)^(٤) المفضل عن الأعمش وعاصم^(٥) . وذكرنا عند الحديث عن الضم والكسر القراءات التي وافقت اللغة التميمية .

(١) انظر بشأن عدوة ، بفتح أولها : اللسان (عدا) ٢٦٧/١٩ (عن الليث) وبشأن عشوة : اللسان (عتا) ٢٨٩/١٩ وبخصوص « غلظة » إعراب القرآن للنحاس ٩/ب
(٢) الأنفال ٨/٤٢
(٣) مختصر في شواذ القرآن ٥٠
(٤) التوبة ٩/١٢٣
(٥) إعراب القرآن ٩/ب ، والقارئ الأول هو أبو محمد المفضل بن محمد الضبي : مقرأ كوفي . قرأ على عاصم وكان من جلة أصحابه . توفي سنة ١٦٨ هـ (معرفة القراء ١٠٨ ، ١٠٩)

٤ - غرفة :

يقرر اليزيدي أن التميميين ضموا فاء الكلمة في حين أن الحجازيين فتحوها ، قال : « أهل الحجاز : غرفت غرفة وتميم غرفة »^(١) وهي اسم مرة . وقد جاءت الصيغة الحجازية على وزن « فَعْلَة » ، وفق القاعدة العامة لاشتقاق هذا النوع من الأسماء من الفعل الثلاثي^(٢) .
يورد اللفظ في قوله تعالى : (إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ)^(٣) . وقرأه بضم أوله كما كان يسلطه بنو تميم من العشرة ابن عامر والكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي)^(٤) ويعقوب^(٥) .

٥ - بُخْل :

ذكر الفراء أن لهذه الكلمة أربع صيغ ، هي : بُخْل لَأَسَد ، وَبُخْل لَتَمِيم ، وَبَخْل ، وَبَخْل لِأَهْلِ الْحِجَاز^(٦) . ويعنينا هنا أن نقارن بين حركتي الصوت الأول الذي ضمه التميميون وفتح الحجازيون . ووردت الكلمة في قوله تعالى : (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) في سورتي النساء^(٧) والحديد^(٨) ، وبلغه تميم (الْبُخْل) قرأ الآية الأولى ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو ، وابن عامر^(٩) ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، واليزيدي والحسن والأعمش^(١٠) من الأربعة عشر ، وقرأ آية الحديد جميع القراء الذين قرئوا الآية الأولى بالإضافة إلى ابن مُحَيْصِن^(١١) .

٦ - ثَمَر :

جاء في « غريب القرآن على لغات القبائل » و « ما ورد في القرآن من لغات القبائل » « ثَمَرِهِ بِالْفَتْح لُغَةً كَنَانَةً وَبِالضَّم لُغَةً تَمِيم »^(١٢) وذلك تعقيباً على قوله تعالى : (انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ)^(١٣) .

-
- (١) المزمر ١/٢٩٩ خ = ٢/٢٧٧ (ولم تضبط الصيغتان في المطبوع) .
(١) شرح الشافية ١/١٧٩ (٣) البقرة ٢/٢٤٩ (٤) السبعة في القراءات ١٨٧
(٥) تحبير ٩٢ (٦) البحر ٣/٢٤٦ ، ٢٤٧٤ (٧) ٣٧/٤
(٨) ٢٤/٥٧ (٩) السبعة في القرآت ٢٣٣
(١٠) إنجاف ١٩٠ (وقارن أسماء القراء هنا والذين قرءوا «البخل» بالتحريك، بأسماء الأئمة الأربعة عشر جميعهم ص ٧)
(١١) السبعة في القراءات ٦٢٧ والإتحاف ٤١١ (مقارنا بأسماء الأئمة ص ٧) .
(١٢) غريب القرآن على لغات القبائل ٩٠ و « ما ورد في القرآن من لغات » ١/ ١٣٦
(١٣) الأنعام ٩٩/٦

وقد ورد لفظ « ثمر » في كتاب الله أربع مرات غير هذا الموضع^(١) . وقال اللغويون :
 إن ثَمَرَةً جمعها ثَمَرٌ ، وَثَمَرَ تَجْمَعُ عَلَى ثُمُرٍ (جمع الجمع) وجمع الثُمُرِ أَثْمَارٌ^(٢) . لكن
 النص الذي عرضناه يذكر أنه لا فرق بين « ثَمَرٌ » اسم الجنس وَثُمُرٌ إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَى كِنَانِيَّةٌ ،
 والثانية تميمية .

وإذا كان من نهج التميميين أن يسكنوا الصوت الثاني ، إذا اشتملت الكلمة على ثلاثة
 حركات متوالية ، أي أن الكلمة تبدأ بمقطع مغلق قصير - على ما سنعرضه بالتفصيل فيما بعد -
 فالتميمي كان يقول : « ثُمُرٌ » ، وإنما لم ينبه إليه النص ؛ لأن الكلمة التي تشتمل على
 ظاهرتين غالباً ما يركز اللغويون على إحداهما ، وقد ينبهون على الظاهرة الثانية في موضع
 آخر ، وذلك مثل كلمة « الحجج » فنجده يونس (ت نحو سنة ١٨٢ هـ) يكتفي بذكر
 الخلاف في نطق الحاء ما بين فتحها وكسرها^(٣) ، وإن كان في الكلمة خاصية تميمية أخرى
 وهي قلب الجيم ياء .

القراءات واللغة التميمية :

إذا رجعنا إلى الآيات الكريمة لنرى موقف القراء من اللغة التميمية نجد :

(أ) قرأ جمهورهم وفق اللغة الكنانية (ثَمَرَهُ) أي بفتحتين في الآيات الخ ،
 ففي آيتي الأنعام ويس قرأ بها جميع القراء الأربعة عشر عدا حمزة والكسائي
 وخلف والأعمش فقد قرئوا بضميتين (ثُمُرُهُ)^(٤) أي وفق اللغة التي نسبت
 إلى تميم هنا ، وإن كنا نرى خلاف ذلك ، أي أن التميمية كانت بضم الأولى
 وسكون الثانية .

(ب) وبالنسبة لآيتي الكهف : (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ) و (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) قرأ وفق الكنانية
 التي اتخذتها اللغة المشتركة عنصراً من عناصرها عاصم^(٥) ، وأبو جعفر ، وروح ،

(٢) الأنعام ١٤١/٦ ، والكهف ٣٤/١٨ ، ٤٢ ، ويس ٣٦/٣٥

(٢) لسان العرب (ثمر) ١٧/٦٥ (عن أبي الهيثم) .

(٣) الزهر ٢٩٨ / ب (خ)

(٤) إتحاف ٢١٤

(٥) التيسير ١٤٣

ورُويس في الأولى^(١) (وهما راويان ليعقوب)^(٢) وقرأ أبو عمرو بضم الأول وسكون الثاني (تُمَر) ، و (بِثُمَرَه) أبو عمرو^(٣) والحسن واليزيدي^(٤) ، أي وفق النهج التميمي . أما بقية الأربعة عشر فقرأوا بضممتين^(٥) باللغة المنسوبة في النص إلى بني تميم .

٧- زعم :

نسب يونس في نواته ضم الزاي من كلمة « زعم » إلى تميم وفتحها إلى الحجازيين^(٦) . وقيل : إن الفتح في المصدر والضم في الاسم^(٧) . ولو صح هذا لم يكن هناك وجه للمقارنة التي يشترط فيها اتحاد الدلالة .

الصيغة التميمية في القراءات القرآنية :

ورد اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى : (فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ)^(٨) ، وقوله : (. . . لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ)^(٩) وقرأ وفق النهج التميمي الكسائي^(١٠) ، والشنوبذى^(١١) (أحد راوي الأعمش)^(١٢) وقرأ بقية الأربعة عشر بالفتح^(١٣) كما نطق الحجازيون .

وهناك لغة ثالثة هي « زعم » بالكسر نسبها صاحب البحر إلى بعض قيس وتميم^(١٤) .

-
- (١) تحبير ١٣٥ (٢) إتحاف ٧ وفيما يلي تعريف بالقراء الثلاثة :
- (أ) روح : هو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن الهذلي ولاء البصري النحوي كان ضابطاً مشهوراً من أوثق أصحاب يعقوب توفي سنة ٢٣٤ هـ أو ٢٣٥ هـ (لطائف الإشارات ١٠٤/١)
- (ب) رويس : هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي ، عرف برويس إمام في القراءة . ومن أصحاب يعقوب توفي سنة ٢٣٨ هـ (غاية النهاية ٢/٢٣٤ ، معرفة القراء ١/١٧٧ ، لطائف الإشارات ١٠٤/١) .
- (ج) يعقوب : هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي أحد القراء العشرة ومن أئمة أهل البصرة سمع من الكسائي وحمزة ، وتوفي سنة ٢٠٥ هـ (غاية النهاية ٢/٣٨٦ - ٣٨٩) .
- (٣) التيسير ١٤٣ (٤) إتحاف ٢٩٠ (٥) المرجع السابق
- (٦) المزهر ٢٩٨/ب (خ) = ٢٧٦ (ط) دون ضبط اللفظ في اللغتين بالمطبوعة ، وانظر تهذيب اللغة (زعم) ١٥٨/٢ (عن الليث والمراد به صاحب العين) ، واللسان (زعم) ١٥٦/١٥
- (٧) البحر ٢٢٧/٤ (٨) الأنعام ١٣٦/٦ (٩) الأنعام ١٣٨/٦
- (١٠) السبعة في القراءات ٢٧٠ ، والتيسير ١٠٧ (١١) إتحاف ٢١٧
- (١٢) المرجع السابق ٧ ، وهو أبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم الشنوبذى الشطوي ، من كبار أئمة الزمراء . اختص بابن شنوبذ حتى نسب إليه (لطائف الإشارات ١٠٦) .
- (١٣) إتحاف ٢١٧ (١٤) البحر ٢٢٧/٤

٨ - شُرْب :

قال اليزيدي: «أهل الحجاز شربت الماء شرباً، وتميم شربت الماء شرباً»^(١) وإذا كان الغالب مجيء مصدر الفعل المتعدي - ما لم يكن له معنى خاص -^(٢) على فَعْل مثل ضرب ضرباً وحمداً حمداً^(٣) ، لذا لا عجب أن نرى عند الاختلاف بين المصدرين هنا أن ينسب « شرب » بفتح الشين إلى الحجازيين ، لأن اللغة المشتركة أخذت معظم خصائصها منها ، وقد شاعت هذه الصيغة حتى أن معظم النجديين نطق بها^(٤) . وذكرنا عند الحديث عن « الفتح والكسر » أن بني عمرو من تميم كانوا يكسرون الشين . وقال الزجاج : الشرب المصدر والشرب بالضم الاسم^(٥) ، ولكن يقف دون هذا القول نسبة الصيغتين إلى لغتين .

وبهاتين اللغتين قرئ قوله تعالى : (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ)^(٦) قرأها بضم الشين كما كان ينطقها التميميون نافع وعاصم وحمزة^(٧) وأبو جعفر^(٨) والحسن والأعمش^(٩) .

٩ - صُدُقَة :

الصدقة (بفتح الصاد وضم الدال ، وبضم الصاد وسكون الدال) : المهر^(١٠) وقد عزا الفراء الصيغة الأولى (صُدُقَة) إلى أهل الحجاز . والصيغة الثانية (صُدُقَة) إلى تميم^(١١) . وترتب على اختلاف صيغتي المفرد اختلاف في الجمع فقليل : صُدُقَات و صُدُقَات^(١٢) . وورد في قوله تعالى : (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)^(١٣) وقرأها جمهور القراء وفق اللغة الحجازية أما التميمية (صُدُقَاتِهِنَّ) فقرأ بها في الشواذ قتادة وأبو السمال^(١٤) .

(١) المزهري ٢٩٩ / ١ (خ) = ٢٧٧ / ٢ (ط) دون ضبط الصيغتين في المطبوع .

(٢) مثل « فعالة » بكسر الفاء الدالة على الحرفة (شرح الشافعية ١ / ١٥٣) .

(٤) زاد المسير ١٤٥ / ٨

(٣) المرجع السابق ١٥٦ / ١

(٦) الواقعة ٥٥ / ٥٦

(٥) المرجع السابق .

(٨) تحبير ١٨٣

(٧) السبعة في القراءات ٦٢٣ ، والتيسير ٢٠٧

(١٠) اللسان (صدق) ٦٥ / ١٢

(٩) إتحاف ٤٠٨

(١٢) اللسان (صدق) ٦٥ / ١٢

(١١) معاني القرآن ٥٩ / ٢

(١٣) النساء ٤ / ٤

(١٤) مختصر في شواذ القرآن ٢٤

١٠ - عُدُس :

عدس من أسماء الأعلام وهو في تميم بضم العين والdal (عُدُس) ، وفي سائر العرب بضم العين وفتح الdal (عُدَس)^(١) . وعدس التميمي هو عبد الله بن دارم^(٢) . وسبق الحديث عنه عند « نسب القبيلة » . وكنا نتوقع أن تنطق الdal ساكنة لأن ذلك قياسي عند تميم - كما سيتضح عند الحديث عن : عدم تتابع حركات ثلاث - ولكنها جاءت مخالفة لنهجهم .

١١ - عَضُد :

ذكرنا عند الحديث عن « الضم والكسر » ست صيغ لكلمة « عَضُد » يهنا منها - هنا - صيغتان ، هما : عَضُد (بضم أولها) وهي لغة تميم ، وعَضُد (بفتح أولها) وهي التي أخذت بها اللغة المشتركة .

والمقارنة بين اللغتين تبين إيثار تميم ضم أول الكلمة على فتحه في اللغة المشتركة .

١٢ - فَوَاق :

الفَوَاق : الراحة والإفاقة^(٣) نطقته تميم بضم الفاء والحجاز بفتحها^(٤) وورد اللفظ في قوله تعالى : (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ)^(٥) وقد قرئ وفق النهجين التميمي والحجازي . قرأ وفق التميمي (فَوَاق) من الأئمة الأربعة عشر حمزة والكسائي^(٦) وخلف والأعمش^(٧) .

١٣ - قُرَح :

« قرح بالفتح لغة الحجاز والضم لغة تميم »^(٨) وهو بمعنى الجرح^(٩) وورد في قوله تعالى : (إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ)^(١٠) وفي قوله : (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ

(١) مختلف القبائل ٢٩٣ ، والإيناس في علم الأنساب ٢٠٧ والمحكم (عدس) ٢٩١/٢ ، وحواشي ابن بري (عدس)

٢٨٨/٢ (٢) الإيناس ٢٠٧

(٣) معاني القرآن للفراء ٤٠٠/٣ ؛ (٤) إتخاف ٣٧٢

(٥) سورة ص ١٥/٣٨ (٦) السبعة في القراءات ٥٥٢ ، وإتخاف ٣٧٢

(٧) إتخاف ٣٧٢ (٨) غريب القرآن على لغات القبائل ٢٩ ، وما ورد في القرآن من لغات ٦٩/١

(٩) انظر : اللسان (قرح) ٣٩١/٣ (١٠) آل عمران ١٤٠/٣

وَالرَّسُولُ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ^(١) . وقد قرأ وفق اللغة التميمية من القراء الأربعة عشر (قُرْح) : عاصم (برواية أبي بكر) ، وحمزة والكسائي^(٢) وخالف^(٣) . الْأَعْمَشُ^(٤) والباقون بالفتح^(٥) .

١٤ - مُثَلَّة :

المُثَلَّة (بفتح الميم وضم الثاء) والمُثَلَّة (بضم الميم وسكون الثاء) : العقوبة . والجمع مُثَلَّات ومُثَلَّات^(٦) . وعزا الفراء الصيغة الثانية إلى تميم^(٧) . وقد وردت صيغة الجمع في قوله تعالى : (وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّاتُ)^(٨) وقرئت بفتح الميم وضم الثاء مما يدل على أنها الصيغة التي شاعت في اللغة المشتركة ، وقرأها كما كان ينطقها التميميون يحيى ابن وثاب^(٩) .

١٥ - يُنْع :

يُنْع الثمر (بفتح الياء وضمها) : نضوجه^(١٠) والفتح لغة أهل الحجاز والضم لغة نجد^(١١) . ووردت هذه الكلمة في قوله تعالى : (انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ)^(١٢) . وقد قرأ وفق النهج النجدى (التميمي) ، أى « يُنْعِه » ، بضم الياء ابن مُحَيِّص^(١٣) .

* * *

(١) آل عمران ١٧٢/٣

(٢) السبعة في القراءات ٢١٦

(٣) تحبير التيسير ٩٩

(٤) إتحاف ١٧٩

(٥) المرجع السابق

(٦) مجمع البيان ٢٧٧/٣ ، وانظر ؛ اللسان (مثل) ١٣٧/١٤

(٧) معاني القرآن ٥٩/٢

(٨) الرعد ٦/١٣

(٩) مختصر في شواذ القرآن ٦٦

(١٠) اللسان (ينع) ٢٩٧/١٠

(١١) النهر الماد ١٩١/٤

(١٢) إتحاف ٢١٤

(١٣) الأنعام ٩٩/٦

(ب) الميل الى الفتح :

أولاً - المطرد :

جمع الاسم الرباعي المسبوق آخره بمد :

النهج التميمي أن تبدأ الكلمة بمقطع مغلق قصير - كما سنعرض لذلك - وإذا كانت القاعدة العامة في جمع الاسم المسبوق آخره بمد ، أن يجمع على فُعْل مثل رُسُول ورُسُل ، فإن التميمي كان يسكن الحرف الثاني فيقول : « فُعْل » إلا إذا كان عين الكلمة ولا مها من جنس واحد فيبقى الضم خشية الالتباس بسبب الإدغام الذي يحدث من التقاء صوتين من جنس واحد أولهما ساكن ، فيقال في جمع سرير وذلول : سُرُر وذُلُل . ومن التميميين - وهذا الذي يعنينا هنا - من كانوا يقابون الضمة فتحة لسهولة النطق ، فيقولون : سُرُر وذُلُل^(١) . وهذه اللغة قرأ أبو السمال « سُرُر »^(٢) في قوله تعالى : (عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)^(٣) .

ثانياً : غير المطرد :

١ - ٣ : ما جاء على فُعَالِي وفُعَالِي (سكاري وغيارى وكسالى) :

قال ابن السكيت : « وأهل الحجاز يقولون : سُكَارِي وكُسَالِي وغُيَارِي بالضم ، وبنو تميم يفتَحون »^(٤) .

هذه الكلمات الثلاث جاءت على وزني « فُعَالِي » و « فُعَالِي » . وقد مالت تميم إلى فتح أولها في مقابل ضمها في اللغة الحجازية . وفي اتجاه تميم هذا تماثل كلي تخلفي منفصل ، على فرض أن اللغة المشتركة هي التدمي .

موقف القراءات القرآنية :

وقد ورد اللفظان الأول والثاني في القرآن الكريم وقرأهما الجمهور باللغة الحجازية مما يعضد أنها اللغة المشتركة ، وقرئ بلغة تميم في القراءات الشاذة ، « فسكاري » وردت في قوله تعالى : (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى)^(٥) وقوله : (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى

(٢) مختصر في شواذ القرآن ٧١

(١) المصباح ٦٩٨

(٣) الحجر ٤٧/١٥

(٤) إصلاح المنطق ١٤٩ ، وانظر بشأن « سكاري وكسالي » مختصر في شواذ القرآن ٢٦

(٥) النساء ٤٣/٤

وما هُم بِسُكَارَى . وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ^(١) . وقد قرأهما عيسى على النهج التميمي ^(٢)
 أى بفتح السين ، وقرأ الآية الثانية منهما على هذا النهج التميمي أيضاً أبو نهيك ^(٣) .
 و«كسالى» وردت في قوله تعالى : (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى) ^(٤) وقوله :
 (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى) ^(٥) . وقد قرأ بفتح أولها عيسى ^(٦) .

ونميل إلى أن نضم إلى هذه الكلمات كل كلمة جاءت على فُعَالَى وفَعَالَى ، فننسب الضم
 للحجاز والفتح لتميم ، وذلك مثل « ضُعَفَى » التي قرئ بصيغتيها المضمومة الأول والمفتوحة
 قوله تعالى : (وَلَيَحْشَنَّ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ) ^(٧) ، فقد
 علق عليها ابن خالويه بقوله : « ضُعَفَى وَضُعَفَى فِي مِثْلِ سُكَارَى وَسُكَارَى عَنْ عِيسَى » ^(٨) .

ومما يؤيد فتح أولها عند تميم نسبة الفتح في « ضعف » إلى تميم والضم للحجاز . وسنتناول
 هذه الكلمة في ترتيبها وإننا لم ندرج هذه الكلمات مع القسم المطرد لعدم وجود دليل قاطع
 لدينا على ذلك .

٤- جَلَّ : جَلَّ .

جَلَّ الدابة وجلَّها : ما تلبسه لتصان به ^(٩) وعزى فتح الجيم إلى تميم ^(١٠) .

٥- حَدَّان : حَدَّان .

حَدَّان : اسم علم سمي به في تميم حَدَّان بن قُرَيْع من بني سعد بن زيد مناة (بفتح
 الحاء) ^(١١) ، وفي الأزد حَدَّان بن شُمَس بن عمرو (بضم الحاء) ^(١٢) .

- | | |
|---|--|
| (١) الحج ٢/٢٢ | (٢) مختصر في شواذ القرآن ٢٦ |
| (٣) المرجع السابق ٢٦ ، ٩٤ ، وهو أبو نهيك علباء بن أحرر اليشكري الخراساني ، عرض على عكرمة مولى ابن عباس
وله حروف من الشواذ (غاية النهاية ٥١٥/١) . | |
| (٤) النساء ١٤٢/٤ | (٥) التوبة ٥٤/٩ |
| (٦) مختصر في شواذ القرآن ٢٦ | (٧) النساء ٩/٤ |
| (٨) مختصر في شواذ القرآن ٢٤ | (٩) اللسان (جلد) ١٢٥/١٣ |
| (١٠) جمهرة اللغة ٥٤/١ | (١١) مختلف القبائل ٢٩١ ، والإيناس في علم الأنساب ١٠٣ |
| (١٢) مختلف القبائل ٢٩١ | |

٦- حيث :

حيث : ظرف مكان مبهم . وقد سمع الكسائي بعض التميميين وهم بنو يربوع وطهية ينطقونها مبنية على الفتح (حيث) مخالفين اللغة المشتركة التي كانت تبنيها على الضم^(١) . ومن التميميين من قال « حوث » . وقد تناولنا هذه الصيغة عند الحديث عن « أشباه أصوات اللين » . على أن من العرب من كان يعرب هذه الكلمة . وسنتناول ذلك في الباب الخاص بالنحو .

٧- تَذَنُوب :

التذَنُوب (بضم التاء وفتحها) : البُسر الذي بَدَت نكت الإِرتاب من قِبَل ذنبه ، واحدته تَذَنُوبية^(٢) ، فالكلمة مشتقة إذن من كلمة ذنب أُضيفت إليها التاء في أولها والواو في آخرها . وقد عزا الفراء إلى التميميين فتح التاء من « تَذَنُوب » وإلى بني أسد ضمها (تَذَنُوب)^(٣) .

ونلاحظ أن المقارنة هنا بين قبيلتين تنتميان إلى بيئة واحدة هي نجد .

وصنيع بني أسد يعد من التماثل الكلي المنفصل وإن كنا لا نستطيع تحديد ما إذا كان أمامياً أم خلفياً لعدم معرفة أصالة أي من التاء والواو في الكلمة . هذا على فرض أن صيغتها هي المتطورة ، كما يعد صنيع التميميين من التغيرات المتباعد إذا كانت الصيغة الأسدية هي القديمة .

٨- رَبْيُون :

ذكرنا عند الحديث عن « الكسر والفتح » أن هذه الكلمة نطقت مشاة الراء . ويعيننا أن نسجل هنا أن التميميين نطقوا بفتح الراء (رَبْيُون) وأن من العرب من نطقها مضمومة .

٩- رَبْوَة :

الرَبْوَة : هي كل ما ارتفع من الأرض وعلا^(٤) . ومن طبيعة شبه الجزيرة كثرة مثل هذه الروابي وانتشارها في جميع أنحاءها . وهذا ما يجعل العرب على اختلافهم يستعملون

(٢) اللسان (ذنب) ٣٧٦/١

(١) المحكم ٣٣٢/٣

(٤) المرجع السابق (ربا) ٢٧٣/١٥

(٣) تهذيب اللغة (ذنب) ٤٤٠/١٤

هذا اللفظ . وشيء طبيعي أن نجد لكلمة هذا القدر من الشيوع عدة صيغ فذكر لها ابن منظور تسعاً ، هي : الرُّبُو ، والرُّبُوَّة ، والرُّبُوء ، والرُّبُوءَة ، والرُّبَاوة ، والرُّبَاوة ، والرُّبَاوة ، والرُّبَاوة ^(١) . وموضوع درسنا هنا « رُبُوءَة » (المفتوحة الراء) وهي التي نطقها التميميون والمضمومة والتي كانت لسان حال اللغة المشتركة لكثرة انتشارها ، جاءت في « تهذيب اللغة » : « قال أبو العباس فيها ثلاث لغات : رُبُوءَة ، ورُبُوءَة ، ورُبُوءَة . الاختيار رُبُوءَة ، لأنها أكثر اللغات ، والفتح لغة تميم » ^(٢) .

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

وردت كلمة « ربوة » في كتاب الله مرتين : إحداهما في قوله تعالى : (كمثل جنّة برَبُوءَة أَصَابَهَا وَابِلٌ) ^(٣) وقوله : (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ) ^(٤) . وقد قرأهما من القراء العشرة وفق النهج التميمي (رَبُوءَة) عاصم وابن عامر ^(٥) .

١٠- رَفَع :

الرفع (بضم الراء وفتحها) : أصل الفخّيلين من باطن ، وكذلك أصل الإبطيين ^(٦) . ونسب ابن السكيت فتح الراء لتميم وضمها لأهل العالية ^(٧) وذكر الفيومي أهل العالية والمحجاز في مقابل تميم ^(٨) .

١١- شَهَد :

الشهد (بضم الشين وفتحها) : العسل ما دام لم يُعصر شمعُه ^(٩) وعزا يونس ضم الشين إلى أهل العالية وفتحها إلى بني تميم ^(١٠) .

-
- | | |
|---|------------------------------|
| (١) لسان العرب (ربا) ١٩/١٩ | (٢) تهذيب اللغة (ربا) ٢٧٣/١٥ |
| (٣) البقرة ٢/٢٦٥ | (٤) المؤمنون ٢٣/٥٠ |
| (٥) السبعة في القراءات ١٩٠ ، وتجيير ٩٣ | (٦) اللسان (رفع) ٣١١/١٠ |
| (٧) إصلاح المنطق ١٠٣ | (٨) المصباح (رفع) ٢٣٣ |
| (٩) اللسان (شهد) ٢٢٩/٤ ، والمصباح (شهد) ٣٢٤ | |
| (١٠) تهذيب اللغة (سم) ٣١٨/١٢ ، واللسان (سم) ١٩٥/١٥ والتاج (سم) ٣٤٦/٨ (والضبط فيها بالعبارة وإصلاح المنطق ١٠٤ (والضبط بالقلم) . وانظر : المصباح (شهد) ٣٢٤ (دون عزو إلى يونس في الأخير) . | |

١٢ - صَدَف :

جاء في البحر المحيط : « ويقال : صدف بضمهمما وبفتحهما ، وبضم الصاد وسكون الدال وعكسه^(١) وقال بعض اللغويين : وفتحهما لغة تميم وضمهما لغة حمير^(٢) » .

ويفهم من كلام أبي حيان أن لكلمة « الصدف » أربع صيغ^٣ ، هي : صُدْف ، وَصَدَف ، وَصُدُف . أما الرابعة فغير واضحة لأنه لا يمكن أن نضبط بعكس كلمة « صُدْف » فنقول : « صُدْف » . وأرى أن صواب كلامه وفتح الدال « بدلًا من « وسكون الدال » لأن هذا يتفق والصور الأربعة التي ذكرها الفيروزآبادي لهذا اللفظ ، فقد ضبط صور الكلمة بالتنظير ، فقال : « كَجَبَل ، وَعُنُق ، وَصُرْد ، وَعَضْد : منقطع الجبل أو ناحيته وقرئ بهن^(٣) » على أن « الصُدْف » بضم الصاد وسكون الدال ، هي أيضًا إحدى صور الكلمة بدليل أن ابن محيصن وأبا بكر^(٤) قرآ بها قول الله تعالى : « . . . بَيِّن الصَّدْفَيْن »^(٥) .

وعلى كل فإن الذي يعنينا هنا ضم الصاد والدال عند حمير وفتحهما في اللغة التميمية وهذا يبين لنا ميل تميم في هذه الكلمة إلى الفتح في مقابل الضم عند غيرهم . وباللغة التميمية قرأ الآية السابقة : (بَيِّن الصَّدْفَيْن) من القراء الأربعة عشر : نافع وعاصم (من غير رواية أبي بكر بن عياش) وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف والحسن والأعمش^(٦) .

١٣ - صَلَب :

الصلب : كل شيء من الظهر فيه فقار^(٧) ويذكر الفراء أنه على وزن « قُفْل » لغة الحجاز ، وأنه بفتح الصاد واللام (الصَّلَب) لغة تميم وأسد^(٨) .

(١) كذا بالأصل وأرجح أن الصواب : ، وبضم الصاد وفتح الدال وعكسه « وسأوضح ذلك في التعليق .

(٢) البحر ١٥٧/٦

(٣) القاموس (صدف) ١٦١/٣

(٤) إتحاف ٢٩٥

(٥) الكهف ٩٦/١٨

(٦) قارن بين القراء الذين قرءوا بغير الفتح في الإتحاف ٢٩٥ يذكر جميع القراء الأربعة عشر في الإتحاف ٧

(٧) اللسان (صلب) ١٤/٢

(٨) البحر ١٩٣/٣ (عن كتاب « لغات القرآن » للفراء)

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)^(١) ولم أر - فيما أعلم - من قرأ وفق النهج التميمي . ولكن على هذا النهج روى لنا قول العجاج الراجز التميمي في وصف امرأة :

* رِيًّا الْعِظَامَ فَعَمَّةُ الْمُخَدَّمِ *
* فِي صَلْبٍ مِثْلِ الْعِنَانِ الْمُؤَدَمِ *^(٢)

١٤ - ضَعْف :

ورد في كتاب « إعراب القرآن » للنحاس : « قال أبو عمرو بن العلاء : الضَّعْف لغة أهل الحجاز ، والضَّعْف لغة تميم فأما التفريق بينهما فلا يصح ، أعني في المعنى »^(٣) .

ولقد جاءت كلمة « ضعف » في كتاب الله أربع مرات في آيتين هما :

١ - قوله عز وجل : (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا)^(٤) وقد قرأ بالفتح كالنَهْج التميمي حمزة وعاصم^(٥) وخلف^(٦) والأعمش^(٧) وأما بقية الأربعة عشر فبالضم^(٨) .

٢ - وقوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً)^(٩) . وقرأ الألفاظ الثلاث بالفتح أبو بكر^(١٠) (أحد راوي عاصم) وحمزة^(١١) والأعمش^(١٢) .

(١) الطارق ٧/٨٦

(٢) الديوان ٢٩٣ والصحيح (صلب) ١/١٦٤ وفيه « فخصة » وهما بمعنى . (المخدّم : موضع الخدام ، وهو الخللخال - العنان المؤدم : الذي ظهرت أدمته مما يلي اللحم) .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/٨٤ ، وانظر / البحر المحيط ٥١٨/٤ ، والمصباح (ضعف) ٣٦٢

(٤) الأنفال ٦٦/٨ (٥) السبعة ٣٠٩ والتيسير ١١٧

(٦) تحبير ١١٦ (٧) إتحاف ٢٣٨

(٨) المراجع الأربعة السابقة (٩) الروم ٥٤/٣٠

(١٠) التيسير ١٧٥ ، وعزا ابن مجاهد إلى حفص الضم (السبعة ٣٠٩) وينقل صاحب الإتحاف عن حفص قوله « ما خالفت عاصم إلا في هذا الحرف » وعقب على ذلك بأنه « قد صح عنه (أى حفص) « الفتح والضم » (إتحاف ٣٤٩)

(١١) السبعة ٣٠٩ ، والتيسير ١٧٥

(١٢) إتحاف ٣٤٩

١٥- عَقْرُ :

ذكر الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) أَنَّ عَقْر الدار وعَقْرها : أصلها ، وَأَنَّ الضم لغة الحجاز والفتح لغة نجد^(١) . والمعروف أَنَّ نجدًا تشمل تميمًا وغيرها . وأعتقد أَنَّ الصيغة التميمية (عَقْر) هي القدي بدليل أَنَّ العرب اشتقوا من هذا اللفظ كلمة « عَقَار » بمعنى المنزل والأرض والضياع^(٢) ولم تنطق إِلَّا مفتوحة الأول .

١٦- قُلْنَسُوة :

قُلْنَسُوة (بفتح القاف) عند تميم ، و « قُلْنَسُوة » بضم القاف عند الحجازيين . وقد تناولنا هذا اللفظ من قبل عند الحديث عن « أشباه أصوات اللين » . وعند « الضم والكسر » .

١٧- لَحْد :

اللحد (بضم اللام وفتحها) ، ما يحفر في جانب القبر^(٣) . وقد نطق التميميون الكلمة بفتح اللام ، ونطقها أهل العالية بضمها^(٤) .

١٨- نَعَام :

ذكرنا عند الحديث عن « الكسر والفتح » أَنَّ لهذا اللفظ اثنتي عشرة صيغة ، يعني هنا أَنَّ نشير إلى أَنَّ تميمًا كانت تقول : نَعَمْ ونَعَامَ عَيْنَ (بفتح النون في الصيغتين) ، وَأَنَّ غيرهم - دون تحديد - كانوا يقولون : نُعَمَّ عَيْنَ ونُعَامَ .

١٩- وَجْد :

الوجد (بضم الواو وفتحها وكسرها) : اليسار والسعة^(٥) . وفتح الواو لغة تميم والضم هو الذي شاع في اللغة المشتركة بدليل قراءة جمهور القراء^(٦) بها قوله تعالى : (أَتَسْكِنُونَهُنَّ

(١) الغريب المصنف (نعوت الدور وما فيها) ٦١ / ب ، وانظر : أصداد ابن السكيت ١٦٤ ، والرحل والمنزل المنسوب لابن قتيبة (ضمن الباقة) ١٦٨ ، واللسان (عقر) ٢٧٤ / ٦ ، ونسب الجوهري الضم فقط (عن الأصمعي) لأهل المدينة « الصحاح (عقر) ٧٥٥ / ٢ » .
(٢) الرحل والمنزل ١٢٨ ، واللسان (عقر) ٢٧٤ / ٦ .
(٣) إصلاح المنطق ١٠٣ ، والمصباح (لحد) ٥٥٠ (٤) إصلاح المنطق ١٠٣ .

(٥) اللسان (وجد) ٤٥٨ / ٤ (٦) معاني القرآن للفراء ١٦٤ / ٣ (وذكر إجماع القراء على القراءة بالضم) .

مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ^(١) . أما الكسر فكان لبعض العرب ولم يحددهم صاحب اللسان الذى حرص على ذكر اللغات الثلاث^(٢) وقد قرئ فى القراءات الشاذة وفق اللغة التميمية (وَجَدَ) وكذلك بالكسر (وَجَدَ) . وإذا كان الفراء لم ينص إلا على القراءة بالضم ونفى ما عداها فيقول : « وقد أجمع القراء على رفع الواو من (وَجْدِكُمْ) . . . ولو قرئوا (مِنْ وَجْدِكُمْ) كان صواباً لأنها لغة تميم^(٣) » ، فهو لم يضع فى اعتباره القراءات الشاذة وهى التى تتمثل فى قراءة الأعرج وابن أبى عَبلَة وفق اللغة التميمية ويعقوب وعمرو بن ميمون وطلحة وابن إدريس وفق اللغة التى كسرت^(٤) .

لفظان ملحقان :

ونرى أن نالحق بهذه الكلمات لفظين لم ينص عليهما صراحة ، وهما الزهو ، واللّمي :

١- الزهو : وهو البُسر إذا ظهرت فيه الحمرة ، وقد ورد بضم الزاى وفتحها وعزى الضم فقط إلى أهل الحجاز^(٥) .

٢- اللّمي وهى سُمرَة الشفتين واللّشات . وعزا الهجرى الضم إلى أهل الحجاز ولم يعز الفتح^(٦) .

والذى يجعلنا نرى أن تميماً كانت تفتح الفاء من هاتين الكلمتين أن اللغويين كانوا فى الغالب يقابلون بين تميم والحجاز .

(١) الطلاق ٦/٦٥

(٢) اللسان (وجد) ٤٥٨/٤

(٣) معانى القرآن للقراء ١٦٤/٣

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ١٥٨ ، وفبا يل تعريف بمن لم يسبق ترجمته من القراء :

(أ) ابن أبى عبلَة : إبراهيم بن أبى عبلَة واسمه شمر بن يَظْظان الشامي الدمشقي . ثقة كبير تابعى أخذ القراءة عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت يحيى ، ووائلَة بن الأسقع . وروى عنه مالك بن أنس وتوفى نحو سنة ١٥٢ هـ (غاية النهاية ١٩/١) .

(ب) ابن إدريس : هو أبو محمد عبد الله بن إدريس بن يزيد الكوفي كان إماماً حجة ، أخذ القراءة عن ذافع والأعشى . توفى سنة ١٩٢ هـ وقيل سنة ١٩٤ هـ (غاية النهاية ١/٤٠٩ ، ٤١٠) .

(٥) الغريب المصنف ١٢٨ ب عن (الأصمى) ، واللسان (زها) ٨٢/١٩ (عن أبى حنيفة) .

(٦) اللسان (لما) ١٢٥/٢٠ ، والتاج (إلى) ٣٣٢/١٠

أَوَّلًا: ما جاء على مَفْعَلَة وَمَفْعَلَة : (مَبْقُلَة ومزْرَعَة ومَشْرَعَة ومَقْبِرَة ومَيْسِرَة ومَسْرَبَة ومَشْرِفَة) :

نطق العرب هذه الألفاظ السبعة بصيغتين : إحداهما بضم عين الكلمة والأخرى بفتحها. وهذه الألفاظ روى بعضها برواية واحدة نسبت لضم لتميم والفتح للحجاز أو العكس ، وروى بعضها بروايتين عزت إحداهما لضم لتميم والفتح للحجاز وخالفت الأخرى فنسبت الفتح لتميم والضم للحجاز . وفيما يلي بيان ذلك :

(أ) عزو الضم لتجميع :

ونلاحظ ذلك في مَبْقَلَة ومَزْرَعَة ومَشْرَعَة :

١- مبجلة: وهى مكان زرع البقل، ويذكر أبو حنيفة (ت ٢٨٠ هـ) أنها بالضم والفتح وأن الضم لتميم^(١).

٢ ، ٣ - مزرعة ومشركة : والأولى تعني مكان الزرع ^(٢) ، والثانية مورد الشاربة ^(٣) وعزا
يونس فتح عين الكلمتين إلى أهل الحجاز وضمها إلى بني تميم ^(٤) .

(ب) ما ورد بروایتین :

وذلك كلمة « مقبرة » وهي موضع القبور^(٥) وقد اختلفت الروايات في ضم عينها وفتحها :

١- فنسب يونس (ت ١٨٢ هـ) الضم لتميم والفتح لأهل الحجاز^(٦).

٢- وعكس أبو حيان (ت سنة ٧٤٥ هـ) النسبة وذلك في معرض حديثه عن «ميسرة»^(٧).

(١) النبات لأبي حنيفة ٦٣/٥

(٢) اللسان (زرع) ٣/١٠ والمصباح (زرع) ٢٥٢

(٣) اللسان (شرع) ٤٠/١٠

(٤) المزهر ٢٩٩/ب والضبط بالقلم .

(٥) اللسان (قبر) ٣٧٦/٦

(٦) المزهر ٢٩٩/أ (خ).

(٧) البحر ٣٤٠/٢

(ج) عزو الفتح لتهيم

وذلك في مَيْسَرَة ومسرّبة ومشرّفة .

والمَيْسَرَة مصدر ميمي^(١) ، ويذكر النحاس في معرض تعقيبه على قوله تعالى : (فَنَظَرُوا إِلَى مَيْسَرَةٍ)^(٢) أَنَّ « مَيْسَرَة أَفصح اللغات ، وهي لغة أهل نجد ، ومَيْسَرَة ، وإن كانت لغة أهل الحجاز فهي من الشواذ »^(٣) . ويفهم من كلام النحاس أَنَّ الفتح شاذ في لغة أهل الحجاز . ويعجىء أبو حيان فيضم إلى هذه الكلمة « مقبرة ومشرّفة ومسرّبة » ويذكر أَنَّ الفتح وهو الكثير لغة نجد والضم وهو القليل لغة أهل الحجاز^(٤) .

ومسرّبة بمعنى الشّعَر المستدق الذي يأخذ من الصدر إلى السرة^(٥) .

أما مشرّفة فلعلها محرفة عن « مشرعة » التي نسبها يونس مضمومة العين إلى تميم ، أو « مشرقة » وهي الموضع الذي تشرق عليه الشمس^(٦) . أما « مشرّفة » بالفاء فلم أجد لها ذكرا في المعجمات التي اطلعت عليها كديوان الأدب^(٧) ، واللسان^(٨) ، والمصباح^(٩)

تعقيب :

والذي أرجحه أَنَّ تميما كانت تقول « مفعلة » بالضم في كل هذه الألفاظ وَأَنَّ ما ورد بخلاف ذلك فبسبب التصحيف ، ذلك لأنَّ أحد الأسماء التي وردت بضم العين عند تميم اسم موضع ينبت فيه البقل ذكره عالم نبات لغوى وهو أبو حنيفة ، وثلاثة ألفاظ وجدناها مضبوطة في مخطوطة المزهري وهي نسخة حرصت على الضبط الدقيق . ذلك إلى أَنَّ هناك مكانا ذكره الفارابي (ت ٣٥٠ هـ) مما جاء على « مَفْعَلَة » بضم العين وقال : « وبالدهناء خبراء يقال لها مَعْقَلَة ، سميت بذلك لأنّها تمسك بالماء كما يعقل الدواء البطن »^(١٠) والمراد بالخبراء أَنه مكان يبقى فيه الماء إلى القيظ وينبت فيه السدر والأراك^(١١) . وهذا المكان ضبط بضم القاف فقط لأنّه نطق وفق نطق المقيمين بجواره ونرجع أنّهم - أو منهم - تميميون لأن من التميميين من كان يقيم في هذه المنطقة :

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| (١) شرح الشافية ١٧٢/١ | (٢) البقرة ٢٨٠/٢ |
| (٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٩/ب | (٤) البحر ٣٤٠/٢ |
| (٥) اللسان (سرب) ٤٤٨/١ | (٦) اللسان (شرق) ٤٠/١٢ ، ٤١ |
| (٧) انظر : ٢٨٨-٢٨٢/١ | (٨) (شرف) ٧٦/٧٠/١١ |
| (٩) (شرف) ٣١٠ | (١٠) ديوان الأدب ٢٨٨/١ |
| | (١١) اللسان (خير) ٣٠٩/٥ |

ثانيا : الفاظ مفردة :

١ - أرومة :

(١) جاء في اللسان : « والأرومة والأرومة ، الأخيرة تميمية : الأصل ، والجمع أروم^(١) » .

(ب) وجاء في تاج العروس : « (والأرومة) بالفتح (وتضم) لغة تميمية : الأصل (ج أروم^(٢)) » .

هاتان روايتان متناقضتان إحداهما - وهي رواية اللسان - نسبت فتح الهمزة إلى نيم ، والأخرى نسبت إليها الضم . وقد رجعت إلى أصول اللسان^(٣) وهي نفسها الإضافة إلى اللسان من مراجع التاج^(٤) ، فلم أجدها تذكر النص الذي أورده صاحب اللسان مما يرجح سقوطها من النسخ التي اعتمد عليها ناشرو هذه الكتب . أو نسخة المحكم المخطوطة التي رجعت إليها بدار الكتب المصرية .

وأرى أن الصواب هو نسبة الضم إلى تميم ، لأن المحكم لم يذكر سوى الفتح^(٥) وهذا يشعر بأنها اللغة المشتركة ، ولأن الأزهري ذكر هذا اللفظ بالفتح أيضا ونقل عن الليث أنه « لا يقال أرومة بضم الهمزة »^(٦) .

وبإضافة قول الليث - والمراد به صاحب العين - هذا إلى كلام اللغويين الذين يذكرون أن الضم إحدى لغتين يدل على أنه القليل ، واللغويون كثيرا ما يعنون بالقليل غير الحجازية ، مما يجعلنا نرجح رواية صاحب التاج التي تنسب الضم إلى تميم على رواية اللسان ، ويزيد هذه الرواية ترجيحها أن ضبط اللسان بالقلم وضبط الزبيدي بالعبارة .

(١) اللسان (أرم) ٢٨١/١٤

(٢) تاج العروس (أرم) ١٨٤/٨

(٣) هي تذييل اللغة للأزهري والصحيح للجوهري والمحكم لابن سيده والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير . وهناك أصل خامس وهو حواشي ابن بري ولكن لا توجد نسخ خطية إلا للمواد التي تبدأ بأول الكتاب وتنتهي بمادة « وقش » وقد طبعها مجمع اللغة العربية في جزئين .

(٤) انظر : تاج العروس ٣/١

(٥) المحكم ٣/٢٠ ب (خ)

(٦) تهذيب اللغة ٢٠٠/٥

٢- الحوب :

الحوب بضم الحاء وفتحها بمعنى الإثم^(١). وقد عزيت إحدى الصيغتين إلى تميم والأخرى إلى الحجاز . ولكن لم يتفق العلماء في تحديد نسبة الصيغتين ، وفيما يلي بيان ذلك :

(أ) عزو الضم الى تميم :

عزا ابن منظور ضم الحاء إلى تميم وفتحها إلى الحجازيين ، فقال : « الحوب والحوب والحاب : الإثم ، فالحوب بالفتح لأهل الحجاز والحوب بالضم لتميم »^(٢) . وتابع الزبيدي ابن منظور ، فقال « فالحوب بالفتح لأهل الحجاز والحوب بالضم لتميم »^(٣) .

(ب) عزو الفتح الى تميم :

نرى ذلك عند الفيومي ، فيقول « فالضم لغة الحجاز والفتح لغة تميم »^(٤) ونسب صاحب الإتحاف الفتح فقط إلى بني تميم عند معرض حديثه عن قوله تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)^(٥) وذكر أنه لم يقرأ بها من الأربعة عشر غير الحسن ، وضبط اللفظ بالعبرة^(٦) .

وإذا رجعنا إلى مصادر اللسان ، وهي أيضا - بالإضافة إلى اللسان نفسه - من مراجع التاج ، لانجد إشارة للغتين في الصحاح والمحكم ولكننا نجد صاحب التهذيب يذكرهما ، فينقل قول الفراء : « هما لغتان : فالحوب لأهل الحجاز والحوب لتميم »^(٧) . فهو إذن يتفق معه ضبط المصباح . ولما كان ضبط التهذيب بالقلم وضبط اللسان والتاج بالعبرة ، فالأمر يحتمل الشك ، إذ يجوز أن يكون المحقق قد اعتمد على المصباح ، ولما كان الحكم في هذه الحالة اللجوء إلى مخطوطات التهذيب ، فإنني لجأت إلى مصورتين بمكتبة مجمع اللغة العربية أعلم أنه رجع إليهما في تحقيق التهذيب ، فوجدت مادة (حوب) مع مواد أخرى مجاورة لها ساقطة من إحدى النسختين ، ووجدت الأخرى تضبط الصيغتين بفتح الحاء^(٨) .

(٢) التاج (حوب) ٢٢٥/١

(٤) النساء ٢/٤

(٦) تهذيب اللغة (حوب) ٢٦٨/١٥

(١) اللسان (حوب) ٣٢٩/١

(٣) المصباح (حوب) ١٥٥

(٥) إتحاف ١٨٦

(٧) نسخة برقم ١٤٠٩٩ (مصورة عن دار الكتب) .

قد يرى بعض الأشخاص أننا يمكن أن نستعين بالقراءات القرآنية ، فالصيغة التي قرأ بها جمهور القراء تنسب إلى الحجاز ، لأن اللغة المشتركة أخذت معظم خصائصها منها ، والصيغة الأخرى تعزى إلى تميم . ويبدو أن هذا ما فعله صاحب الإتحاف . وهذا الرأي وإن كان في جملته صحيحاً إلا أن اللغة المشتركة قد تأخذ من غير الحجازية ، وفي هذا البحث واجهنا كثيراً مما اتفقت فيه تميم واللغة المشتركة . ومن المحتمل أن تكون الصيغة التميمية هنا مما اشتركت فيه وهذه اللغة . وذلك ما نميل إليه إذ إننا عند المفاضلة اللغوية بين معجم لغوى كاللسان وآخر كالمصباح نقف إلى جانب اللسان بوصفه كتاباً لغوياً . أما المصباح فهو في الأصل جامع لألفاظ فقهية^(١) ، ثم أخذ صاحبه ينميه بعد ذلك . وإن حرص ابن منظور على الضبط بالعبارة يعنى تأكده مما اطلع عليه من نسخة التهذيب وهى من غير شك غير النسخة التي رجعنا إليها ولم تمدنا بأية فائدة .

— كلمة تأرجحت الروايات بين نسبة فتح صوتها الثانى واسكانه الى تميم، وهى مضمومة عند

الحجازيين :

١ — قال الفيومى : « ويوم الجمعة سمي بذلك لاجتماع الناس به وضم الميم لغة الحجاز وفتحها لغة بنى تميم وإسكانها لغة عُقيل وقرأ بها الأعمش^(٢) .

٢ — ورد فى الإتحاف : « وعن المطوعى : الجمعة بسكون الميم لغة تميم^(٣) .

يفهم من النص الأول أن تيمياً اتجهت إلى فتح الميم من الكلمة فقالوا « جُمعة » فى حين إن الحجازيين ضمموها وقالوا « جُمعة » . لكننا نعلم أن نهج تميم فى مثل هذا اللفظ أن تضبط الميم بالسكون وهذا ما سجله النص الثانى .

وإذا ما انتقلنا منه إلى مؤلف له عراقة فى التقدم الزمنى ، وهو الفراء صاحب « معانى القرآن » نراه يذكر الصيغ الثلاث وينسب التثقيـل (جُمعة) لعاصم وأهل الحجاز — والمقصود بهم القراء الذين كانوا يقيمون بالحجاز — ولا ينسب التخفيف (جُمعة) إلى أصحاب لغة معنيين .

(١) انظر مقدمة المصباح الفيومى صفحة (م) .

(٢) المصباح (جمع) ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) إتحاف ٤١٦ .

لكنه ينسب الصيغة الثالثة التي نسبها الفيومي إلى تميم وهي «جُمعة» إلى بني عُقيل ولا يعزو إليها قراءة معينة ، وإنما يردف هذه النسبة بقوله «لو قرىء بها كان صواباً»^(١) . أما إذا اتجهنا إلى اللسان فنراه يسجل مادونه الفراء دون نسبة إليه مع تغيير في الألفاظ ، لكنه يضبط «الجُمعة» التي نسبها الفراء إلى عُقيل بسكون الميم ، وهو ضبط مخالف لما سجله الفراء في كتابه خاصة وأنه عقب عليها بنفس تعقيب الفراء وهو «ولو قرىء بها كان صواباً»^(٢) ، والمعروف أنه قرىء بإسكان الميم كما في النص الثاني ، فهو لا يحتاج إلى مثل هذا التعقيب ، أما فتح الميم فلم نر من قرأ به ولذا فالتعقيب يناسبه ، وهذا يجعلنا ننسب التصحيح لرواية اللسان .

وننتهي مما سبق إلى أننا نرى أن صواب نطق كلمة «جمعة» عند تميم بسكون الميم فليس مكانها إذن تبادل الحركات وإنما موضوع تال هو «عدم تتابع الحركات» .



التعقيب :

هذا ماورد من كلمات بصيغتين : إحداهما مضمومة ، والأخرى مفتوحة وقد عزيت إحداهما لتميم . ومن عرضها تبين لنا :

أولاً - أن تمياً مالت إلى الضم في :

١ - حالة واحدة مطردة ، وهي فاءُ فُعلِي المعتل اللام بالواو مثل فُتيا .

٢ - خمسة عشر لفظاً مفرداً ، منها :

(أ) أربعة ألفاظ جاءت على « فُعلة » عندهم و « فَعلة » عند غيرهم (عدوة وعشوة وغلظة وغرفة) والمقارنة في أحد هذه الألفاظ (غرفة) بين تميم والحجاز والثلاثة الأخرى بينها وبين قبائل غير محددة من غير أهل الحجاز .

(ب) والأحد عشر لفظاً الأخرى كانت المقارنة :

١ - في سبع بين الحجازيين (بُخل ، وزُعم ، وشُرب ، وصُدقة ، وفُواق ، وقُرح ، ويُننع) .

(١) معاني القرآن ١٥٦/٣ (٢) راجع نص اللسان في (جمع) ٤٠٩/٩ ، وقارنه بنص الفراء .

٢ - في ثلاث مع اللغة المشتركة (عُضْد ، مُثْلَة ، عُدْس)

٣ - في لفظ مع كنانة (ثمر)

ثانياً - أنها اتجهت إلى الفتح في :

١ - حالة واحدة مطردة (جمع الرباعي المسبوق بمد مما عينه ولامه من جنس واحد على فَعَل) .

٢ - تسعة عشر لفظاً مفردات منها :

(أ) ٣ ثلاثة ألفاظ يمثلون حالة شبه مطردة (فَعَالِي وفَعَالِي : سَكَارِي وكَسَالِي وغياري) وكانت المقارنة بينهم وبين الحجازيين .

(ب) لفظ لم يكن عاما عند التميميين وكانت المقارنة بين قبائل مجهولة (حيث)
(ج) الخمسة عشر لفظا الباقية قورن :

١ - سبعة منها مع الحجازيين (رَفَع ، وشَهِد ، وَصَلَب ، وَضَعَف ، وَعَقَر وقلنسوة ، وَلَحَد) .

٢ - ثلاثة ألفاظ مع اللغة المشتركة (رَبَوَة ، وَجَل ، وَحَدَّان) .

٣ - لفظان مع قبائل محددة من غير الحجازيين (تَذَنُوب « أسد » ، وصدف « حمير ») .

٤ - ثلاثة ألفاظ مع قبائل غير محددة (رَبِيُون ، وَنَعَام ، وَوَجْد) .

فإذا ما أضفنا إلى الضم ما رجحنا نسبته إلى تميم وهو :

١ - حالة واحدة شبه مطردة (ضَمَّ عَيْن مَفْعَلَة في : مَبْقَلَة ومزْرَعَة ومشْرَعَة ومقْبِرَة ومسريرة وميسرة - بالإضافة إلى مشرُفة التي رجحنا أنها محرفة عن مشرعة أو مشرقة - ومعقلة التي وردت بالضم فقط) .

٢ - لفظان مفردان (أَرُومَة ، وَحُوب) .

وأضفنا أيضاً إلى الفتح اللفظين : زَهو وكمي كانت النتيجة أن تيميا :

(١) ضمت في :

- ١ - حالة واحدة مطردة .
- ٢ - حالتين شبه مطردتين .
- ٣ - ثلاثة عشر لفظاً مفرداً .

(ب) وفتحت في :

- ١ - حالة واحدة مطردة .
- ٢ - حالة واحدة شبه مطردة .
- ٣ - ثمانية عشر لفظاً مفرداً .

وفي الحالين سواء أضيفنا هذه المرجحات أم لم نضيفها ، فإنه يصعب علينا القول
بميل تميم إلى أى من الحركتين الضمة أو الفتحة ، وإنما كل ما نستطيع تقريره أنها اتجهت
في أوزان معينة إلى حركة بعينها ،

ثانيا : بين الحركات الطويلة

(١) بين الف المد وياء المد

اختلف التميميون عن غيرهم في إظهار حركة طويلة على أخرى شبيهة بها في الطول . والمقارنة هنا بين ألف المد وياء المد ، أو بتعبير آخر بين الفتحة الطويلة والكسرة الطويلة . لقد قالت تميم : بَرىء ، وعِفْراء ، وقار في مقابل : براء ، وعِفْريت ، وقير عند غيرهم .

١- بَرىء :

كان أهل الحجاز يقولون : أنا منك براء ، و تميم وسائر العرب يقولون أنا منك بَرىء^(١) . وبرىء وبراء كلاهما صفة مشبهة وردا في القرآن الكريم ، قال تعالى : (وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ)^(٢) وذلك وفق اللغة الحجازية وقال جل شأنه : (إِنِّي بَرِئٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ)^(٣) وهذه الآية ورد فيها اللفظ وفق اللغة التميمية .

٢- عِفْراء :

نطق التميميون « عِفْراء » وشاركهم في ذلك الطائيون^(٤) . وذلك في مقابل « عِفْريت » الواردة في فوله تعالى : (قَالَ عِفْريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك^(٥)) ، وقد ذكر لهذه الكلمة أربع صيغ أخرى غير الصيغتين السابق ذكرهما ، والصيغ الست ، هي : عِفْر ، وعِفْرية ، وعِفْريت ، ، وعِفْريت ، وعِفْراء ، وعِفْارية^(٦) .

ومرجع تعدد هذه الصيغ احتمال أن تكون الكلمة غير عربية الأصل فعربها العرب بصور متعددة ، فينقل لنا « جفري » عن هِس (Hess) وفولرز (Vollers) أنهما

(١) المزهر ١/٢٩٩ (خ) = ٢٧٦/٢ (ط) عن البزيلي ، واللسان (برأ) ٢٤/١ عن الحياfi .

(٢) الأنعام ٧٨/٦

(٣) النمل ٣٩/٢٧

(٤) الزخرف ٢٦/٤٣

(٥) مختصر في شواذ القرآن ١٠٩

(٦) مختصر في شواذ القرآن ١٠٩

يريان أن الكلمة مأخوذة عن اللفظ الفهاوى « afritan » وهى نفسها فى الفارسية الحديثة آفريد (اسم مفعول من « أفريدن » بمعنى مخلوق)^(١)

القراءات واللغة التميمية :

وردت هذه الكلمة فى آية واحدة من كتاب الله ، وهى الآية التى ذكرناها آنفا ، ولم يقرأ باللغة التميمية إلا فى الشواذ ، قرأ بها أبو حيوة^(٢)

٣- قار :

القار مادة سوداء تطلّى بها الإبل وكذلك السفن ليمنع الماء من دخولها^(٣) .

والكلمة آرامية الأصل من **ܟܝܪܐ** : (قيرا)^(٤) . ونلاحظ أن

الصيغة الحجازية (قير) تتفق ونطق الكلمة فى لغتها الأصلية ، وهذا يدل على أن التميمية أحدث منها .

تعقيب :

مالت تميم فى الألفاظ الثلاثة السالفة إلى ألف المد فى لفظين وفى ياء المد فى الثالث . وفى كلمتين من الثلاثة حدد المقابل لتميم صراحة بالحجاز ولم يحدد فى الثالثة (عفرية) التى كانت شائعة فى اللغة المشتركة ، بدليل قراءة جميع القراءات المتواترة بها . ويمكن أن نعتها حجازية ، لأن المشتركة أخذت معظم خصائصها منها .

وهناك كلمة رابعة استبعدناها نقلها أبو عمرو عن « التميمى » ، وهى قوله « البَجَال :

Jeffery, The foreign vocabulary of the Quran p. 215.

وينكر جفرى قول جرم (Grimm) أن الكلمة من العربية الجنوبية (المرجع السابق)

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ١٠٩ ، وهو شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرى الحمصى قارىء الشام له قراءة شاذة . روى القراءة عن الكسائى ، وروى عنه ابنه حيوة قراءته ، كما روى عنه قراءة الكسائى . توفى سنة ٢٠٣ هـ (غاية النهاية ١ / ٣٢٥)

(٣) اللسان (قير) ٤٣٨ / ٦

(٤) الدخيل فى اللغة العربية (بحث نشر بمجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد م / ١١ / ٢ - ديسمبر ١٩٤٩ م) ١٠ وغرائب اللغة العربية ٢٠٠ .

الرجل السيد السمح « . ويذكر الأصمعي لهذه الدلالة صيغتين هما « بجيل وبجال »^(١) ولكن خشية أن يكون التميمي هذا راويا لا يعبر عن لغة قومه استبعدناها وفق النهج الذى اتبعناه وذكرناه فى المقدمة ولكننا نشير إلى هذا اللفظ هنا على سبيل الاستئناس ، إذ يحتمل أن يكون التميمي هذا معبرا عن لغة قومه . وإذا صح هذا فإنه حينئذ يكون متفقا مع نهج تميم فى إيثار الألف على الياء ويكون لدينا ثلاثة ألفاظ بالألف مقابل واحد بالياء . وكان المتوقع خلاف ذلك كى يتسق نهجهم هنا وما لاحظناه عند التبادل بين « الكسر والفتح » ، إذ مالت تميم إلى الأول والحجاز إلى الثانى وذلك لأن ألف المد ليست إلا فتحة طويلة وياء المد عبارة عن كسرة طويلة . وهذا أمر قرره المحدثون ولا حظه بعض القدماء من قبل . وفيما يلى توضيح ذلك .

الصلة بين الفتحة والألف المد :

يقول ابن جنى : « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهى الألف والياء والواو . فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث ، وهى الفتحة والكسرة والضممة . وقد كان متقدمو النحويين (رحمهم الله) يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة والضممة الواو الصغيرة ... ويدل ذلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه »^(٢)

الفرق إذن بين الفتحة وألف المد وكذلك بين الكسرة وياء المد ليس إلا فرقا فى الكمية الذى يستغرقه نطق كل منهما . فالألف هى فتحة طويلة ، والياء كسرة طويلة^(٣) . وإن مخرج الفتحة هو نفسه مخرج الألف ومخرج الكسرة هو نفسه مخرج الياء ، ووضع اللسان مع الفتحة والألف واحد وكذلك مع الكسرة وياء المد .

وبعد ، فإننا إذا ضممنا الكلمتين اللتين مالت فيهما تميم إلى الألف إلى تلك الألفاظ التى آثرت فيها الفتح على الكسر ، وضممنا الكلمة التى نطقها بالياء إلى الكلمات التى اتجهت فيها تميم إلى الكسر ، فإن كفة الكسر لا تزال هى الراجحة .

(١) إصلاح المنطق ١٢٢ ، وانظر : المخصص ٨٧/١٥

(٢) سر صناعة الإعراب ٢٠٤/١٩ (٣) الأصوات اللغوية ٣٨

(ب) بين واو المد وياء المد

عزى إلى بعض التميميين وشاركهم في ذلك بنو فقعس (وهم بطن من بني أسد) أنهم كانوا يضمون أول الفعل الثلاثي الأجوف عند بنائه للمفعول ويخلصون هذا الضم فيقولون مثلاً: سُوط (من ساط يسوط بمعنى خلط) ، وُسُوط (من شاط يشيط بمعنى قارب الاحتراق) مخالفين لغة قريش التي كانت تكسر الأول وتخلص هذا الكسر فتقول: سِيط وشِيط ، ومخالفين كذلك أكثر قيس وأسد الذين كانوا يُشَمُّون الكسر الضم^(١) . ونلاحظ أن اللغة المشتركة أخذت بلغة قريش .

وإذا كانت القاعدة العامة عند بناء الفعل الثلاثي للمفعول أن يضم أوله ويكسر ما قبل آخره ، فمعنى ذلك أن الأصل في المعتل الوسط مثل الفعلين السابقين أن يقال: سُوطٌ وشِيطٌ والذي حدث عند بعض التميميين أن ضمة الصوت الأول أثرت في حركة كل من الواو والياء المكسورتين فتحولت في كل منهما إلى ضمة (سُوطٌ وشِيطٌ) وهذا تماثل كلي إتباعي منفصل وثقلت الضمة على كل من الواو والياء فحذفتا فالتقت ضمتان قصيرتان فأصبحتا ضمة طويلة .

(١) شرح بانت سعاد ٦٨ ، ٩٠

كلمة ختامية

بعد هذه الدراسة عن أشباه أصوات اللين (وكانت بين الواو والياء) والحركات القصيرة (بين الضم والكسر ، والكسر والفتح ، والضم والفتح) . والحركات الطويلة لاحظنا أن تما :
(أ) آثرت :

١- الياء على الواو .

٢- الكسرة على الفتحة .

٣- الفتحة الطويلة على الكسرة الطويلة .

٤- الضمة الطويلة على الكسرة الطويلة .

(ب) لا يوجد خط واضح للاتجاه إلى واحد من الصوتين :

٢- الضمة والفتحة .

١- الضمة والكسرة .

وإننا إذا ضممنا الياء والواو (وهما من أشباه أصوات اللين) إلى الكسرة والضمة وكذلك ضممنا الفتحة والكسرة الطويلتين إلى الفتحة والكسرة ، والضمة والكسرة الطويلتين إلى الضمة والكسرة ؛ لأن كل مجموعتين من جنس واحد تكون النتيجة :

(أ) إشار تميم الكسر على الفتح .

(ب) عدم اتضاح خط معين بين :

٢- الضمة والفتحة .

١- الضمة والكسرة .

وعند المقارنة بين هذه الحركات الثلاث وكذلك بين أشباه أصوات اللين ، يرى بعض علماء اللغة المحدثون أن الضمة وكذلك الواو تحتاجان إلى الجهد الأكثر تليها الكسرة والياء ، يلي ذلك الفتحة القصيرة والطويلة^(١) - وهذا يعنى اتجاه تميم إلى الطريق الوسط . لكن يبدو أن هذا الحكم غير دقيق وأن الجهد الأكثر يبذل مع الكسرة وتليها الضمة تليها الفتحة ، وهذا ملاحظه الدكتور رمضان في اقتراحه بشأن رسم الهمزة في وسط الكلمة^(٢)

(١) انظر : في اللهجات العربية ٩٦

(٢) انظر : تاريخ الهمزة وقواعد كتابتها (بحث نشر في كتاب : في أصول اللغة) ٣ / ٢٩١ .

٢ - الإبدال المقيد (التركيبى)

(١) التماثل

التماثل بين أصوات اللين (Vowel harmony) ويطلق عليه أيضا « انسجام أصوات اللين » . وإذا كنا قد قسمناه فى الأصوات الساكنة إلى ثمانية أنواع بالإضافة إلى نوع تاسع هو التماثل التبادلى ، فإنه هنا أربعة أنواع فقط ، لأن التماثل فى الحركات من النوع الكلى total فقط . وهذه الأنواع ، هى :

١ - الإتياعى المتصل

٢ - الإتياعى المنفصل

٣ - التخلفى المتصل

٤ - التخلفى المنفصل .

وكل واحد من هذه الأربعة قد يكون فى الكلمة الواحدة ، أو فى الكلمتين المتلاصقتين ويكون مطردا وغير مطرد . والنطق غير التميمى قد يكون هو الأصل ، فالتماثل حينئذ تميمى وقد يكون النطق التميمى هو الأصل فالتماثل حينئذ عند غير التميمين أما إذا كان النطق الأصلى مجهولا ، فمن الصعب علينا حينئذ الحكم بتحديد أصحاب التماثل : أهم بنو تميم أم غيرهم ؟ لذا سنضطر إلى الإشارة إليه تحت عنوان « بين التماثل والتغاير » .

وقد أشرنا ونحن ندرس الإبدال الحرفى الحركات إلى الحالات والألفاظ التى تمت أو يحتمل أنها تمت عن طريق الإبدال التركيبى (التماثل والتغاير) وفيما يلى عرض لجوانب التماثل مكتفين بالعرض السريع لما تناولناه فى الإبدال الحر .

أما الذى لم يعالج وهو الإمالة وما يكون فى كلمتين متلاصقتين ، فسن تناوله بالتفصيل . ولما كانت الإمالة تشتمل على أكثر من نوع من أنواع التماثل ، فسندرسها مستقلة بعد عرض الأنواع الأربعة .

أولاً : التماثل عند تميم :

١ - الاتباعى المتصل :

وهو غير مطرد :

ونلاحظ ذلك فى :

أُسَيْدٌ عند تميم (اسم علم) وأَسْمِيود عند غيرهم وهما تصغير أسود ، فتأثرت الواو بالياء السابقة الملاصقة فقلبت ياء وأدغمت الأولى فى الثانية .

٢ - الاتباعى المنفصل :

وهو مطرد وغير مطرد :

(١) المطرد :

١ - كسر هاء الغائب المفرد والمثنى والجمع : ويحدث ذلك إذا سبقت بكسرة مثل به وبهما وبهم أو ياء ساكنة مثل عليه وعليهما وعليهم . والأصل ضم الهاء كما هو عند الحجازيين ، فتأثرت فى الحالة الأولى حركة الهاء بالكسرة غير المجاورة لها وكذلك بالياء فى الحالة الثانية فكسر وشاع ذلك فى اللغة المشتركة .

٢ - باب وجل المسند للغائب : وهو كل مثال من باب فَرَح ، قلبت الواو ياء بتأثير حرف المضارعة ، فقل يَجِلُّ فى يَوْجِلُّ .

٣ - الفعل الثلاثى الأجوف عند بنائه للمجهول مثل أقول وبُوع والأصل فيها قول وبُيع .

٤ - الوقف على الهمزة فيما جاء على فِعْل وفِعْل : القاعدة أنه إذا كان الوقف على الهمزة وسبقت بساكن فتنقل حركة الهمزة للساكن السابق لها ، فإذا ترتب على هذا النقل أن كان الوزن الجديد على فِعْل مثل « من البُطِيء » أو فِعْل مثل « هو الرَّدْء » أتبع بعض التميميين ما أصله ساكننا حركة ما قبله فقلوا : « من البُطُوْء » وهو الرَّدِىء .

(ب) غير المطرد :

١ - في كلمة واحدة :

عُدس : بضم العين والdal عند تميم وبفتح الدال (عُدَس) عند غيرهم وهو تماثل إتباعى منفصل . ويمكن أن نعه متصلا ، لو كانت هناك مرحلة وسطى بين غير التميمية والتميمية ، وهى إسكان الدال ، وهى تميمية أيضا (عُدس) لانفاق ذلك وبدئهم الكلمة بمقطع مغلق قصير .

٢ - في كلمتين متلاصقتين :

ونلاحظ ذلك فى :

قُمَّ الليل : « قُمَّ » فى قوله تعالى (قُمَّ الليل)^(١) فعل أمر مبنى على السكون وقد التقت الميم الساكنة بساكن بعده فى الكلمة التى تليه . ومن خصائص العربية ألا يلتقى ساكنا إلا فى مواضع خاصة ليس منها هذه الحالة ، فكان على العربى أن يحرك الصوت الأول . والقاعدة العامة فى اللغة المشتركة أن تكسر الأول فتقول فى هذه الآية الكريمة (قُمَّ الليل) . وهى قراءة الجمهور ، بدليل أن كتب القراءات السبع والعشر والأربعة عشر لم تشر إلى ورود خلاف فى قراءاتها^(٢) . وحكى قطرب أن البعض حرك بالفتحة فقال (قُمَّ الليل)^(٣) . ونسب إلى بنى العنبر تحريك الميم بالضممة وأن أحدهم تلا الآية (قُمَّ الليل)^(٤) بضم الميم من « قُمَّ » . وهم فى نطقهم هذا خالفوا النهج العام الذى يكسر الميم وجعلوها تتبع حركة الصوت الساكن السابق له وهو القاف

(١) المزمل ٢/٧٣

(٢) انظر : السبعة فى القراءات ٦٥٨ ، والإصحاف ٤٢٦

(٣) المحتسب ٢/٣٣٦

(٤) المرجع السابق ٣٣٥

٣ - التخلفى المتصل :

(أ) المطرد :

كسر فاء جمع الاسم الرباعى المعتل بالياء المسبوق آخره بحرف مد مثل صيود
فتجمع على صُيْد وتصير عند تميم صيد . والقاعدة أن تكون عندهم على صُيْد .
(ب) غير المطرد :

١ - الحجج : لاحظنا التخلفى المتصل عند تميم فى كلمة « الحجج » التى نطقها التميميون
بكسر الحاء التى فتحت فى اللغة المشتركة ، وذلك بتأثير الياء الساكنة التى تليها
المنقلبة عن الجيم وفقاً لقاعدة عامة عندهم .

٢ - شجرة : كسرت الشين عند التميميين وهى مفتوحة فى اللغة المشتركة متأثرة بالياء
التى تليها المبدلة من الجيم .

٤ - التخلفى المنفصل :

(أ) المطرد :

كسر فاء فعيل و : ويكون ذلك إذا كانت عين الكلمة حرف حلق مكسورة ، مثل :
رَحِيم وسَخِر فى رَحِيم وسَخِر .
(ب) غير المطرد :

(أ) فى كلمة واحدة :

ونراه عندهم فى :

١ - مُنْتِن : وهى مُنْتِن بضم الميم عند غيرهم ، لأنها اسم فاعل من أَنْتَن وقد تأثرت
حركة الميم بحركة التاء التى تليها .

٢ - نِعْجَة : كسرت النون عند تميم وهى مفتوحة فى اللغة المشتركة متأثرة بالياء المبدلة
من الجيم .

٣ - نِهَى : بمعنى غدير وقد كسرت النون لتمثيل الياء التى هى من جنسها والواقعة
لاما للكلمة .

(ب) فى كلمتين متلاصقتين :

ونلاحظ ذلك عند تميم فى التعبير : « الحمد لله » (بكسر الدال واللام) ، وفيما يلى
عرض له :

الحمدُ لله : هاتان الكلمتان رغم أنَّهما يكونان جملة تامة ، إلا أنَّهما بمنزلة الكلمة الواحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين^(١) ، وقد وردت بصور أربع :

(أ) الحمدُ لله بضم الدال وكسر اللام .

(ب) الحمدَ لله بفتح الدال وكسر اللام .

(ج) الحمدُ لله بضم الدال واللام .

(د) الحمدِ لله بكسر الدال واللام^(٢) .

أما الصورة الأولى فهي التي شاعت في اللغة المشتركة وقرأ بها الجمهور حيث وردت في كتاب الله^(٣) . قال ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) - بعد أن عرض الوجوه الأربعة - « سمعت ابن مجاهد يقول : لا يقرأ بشيء من ذلك إلا بما عليه الناس في كل مضر : الحمدُ لله ، بضم الدال وكسر اللام »^(٤) .

وأما الصور الثلاث الأخرى ، فهي لغات قرىء بها في الشاذ :

(أ) فرواية فتح الدال ، قيل إن النصب على المصدر ، وهي لغة قيس ، قرأ بها عيينة ورؤبة بن العجاج^(٥) .

(ب) ورواية ضم الدال واللام أتبع الناطق حركة اللام لحركة الدال . وهذا تماثل إتباعي منفصل . وقد نسبته النحاس لبعض ربيعة^(٦) وقرأ به إبراهيم بن أبي عبلة^(٧) .

(ج) وأما الوجه الأخير (كسر الدال واللام) ، فهو الذي يعيننا ؛ لأنه كما ذكر النحاس خاص ببني تميم^(٨) ، وعزى كذلك إلى بعض غطفان^(٩) . وليس هذا

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١/ب

(١) انظر : القراءات الشاذة للقاضي ٢١

(٤) إعراب ثلاثين سورة ١٩

(٣) إتحاف ١٢٢

(٥) إعراب القرآن ١/ب . ونسبها لرؤبة أيضا ابن خالويه في مختصر في شواذ القرآن ١

(٦) المرجع السابق

(٧) مختصر في شواذ القرآن ١ ، وإعراب ثلاثين سورة ١٨

(٩) القراءات الشاذة ٢١

(٨) إعراب القرآن ١/ب

بمستبعد لمجاورتهم إياهم في المسكن . وقد قرأ به الحسن ونسبت القراءة أيضاً إلى رؤية^(١) . وتوجيه هذه اللغة أن التميمي أتبع حركة الدال لحركة اللام السابقة لها والمفروض أن تكون حركة الدال مضمومة لابتداء الكلام بالحمد .

ثانياً : ما احتفظت فيه تميم بالأصل :

يشمل هذا النوع الألفاظ التي احتفظت فيها تميم بالصيغة القدي وتطورت عند غيرهم بطريق التماثل .

(أ) التخلفي المتصل :

أَيْمٌ : عند بني سليم والصيغة القدي - كما وضح لنا عند الكلام عنها في الإبدال الحر - أَيْمٌ التميمية ، فأثّرت الياء في الهمزة السابقة لها فكسرت .

(ب) التخلفي المنفصل :

١ - وعصى ومما شبهها عند الحجازيين : وهي ألفاظ معنلة اللام بالواو جمعت على « فُعول » ووجدنا منها غير هذا اللفظ منسوباً إلى تميم « قُسي ودُلِي » فقلبت الواو ياء لتطرفها وتأثرت عين الكلمة بالياء المتطرفة فكسرت وهكذا نطق التميميون ، ثم تأثرت فاء الكلمة عند الحجازيين بكسرة العين فكسرت .

٢ - جبريل : بكسر الجيم عند الحجازيين والأصل فتحها والكسر تأثر بالكسرة الطويلة

٣ - رَبِّيُّونَ : والأصل « رَبِّيُّونَ » كما نطقه التميميون ثم نطقت الراء بكسرها بتأثير الياء في اللغة المشتركة .

(ج) تماثلان اتباعي وتخلفي :

أَيْمٌ : بكسر الهمزة والميم عند بعض العرب والنطق التميمي (أَيْمٌ) بفتح الهمزة وضم الميم هو الأصل فأثرت الياء في الصوتين من أمام (وهو منفصل) ومن خلف (وهو متصل) .

(١) مختصر في شواذ القرآن ١

الإمالة (*)

الإمالة من الظواهر التي عزيت إلى تميم . وقد تناولتها الكتب المؤلفة في النحو والقراءات بدءاً من كتاب سيبويه ، في مقابل الفتح ، وذكرت لكل منها أسماء أخرى . فالفتح يسمى أيضاً النصب^(١) والتفخيم^(٢) . ويستعمل في مقابل الإمالة الكسر والبَطْح والاضجاع^(٣) ويقسم العلماء الإمالة إلى قسمين : شديدة ، ومتوسطة^(٤) :

(أ) الشديدة : وعرفت بأنها تقريب الفتحة من الكسر ، والألف من الياء ، من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه^(٥) ، وتسمى أيضاً : المحض والاضجاع والبطح والكسر^(٦) ، والكبرى^(٧) ، وهي المقصودة عند الإطلاق^(٨) .

(ب) المتوسطة : وهي ما بين الفتح والإمالة الشديدة وتسمى التقليل والتلطيف ، وبين بين ، وبين اللفظين^(٩) ، والترقيق^(١٠) ، والصغرى^(١١) .

(*) سُمِّرَ للإمالة سواء أكانت في الكلمات التي وردت في نصوص قديمة ، أم التي ينطقها المحدثون بألف قصيرة تحت الحرف السابق للفتحة القصيرة أو الطويلة متتابعين في ذلك القدماء . وبالنسبة للكلمات التي رواها العلماء لكلمات تصور الإمالة قديماً بعد عصور الاحتجاج ، نسجناها كما وردت في الكتب المنقول عنها ونكتبها بين قوسين وفق هذا المنهج ، مثل : كتيب (كتاب) إمالة «كتاب»

(١) انظر : الكتاب ١٣٣/٤ ، ١٤٣ ، والمقتضب ٤٢/٣ ، والحجة للفارسي ٢٨٨/١ ، وارتشاف الضرب ٤٩/١
(٢) الحجة لابن خالويه ٦٦ ، وإعراب ثلاثين سورة ١٥٩ ، والصاحبي ٢٠ ، ولطائف الإشارات (عن الكامل للهذلي «ت ٤٦٥ هـ» ٨١/١ ، والبحر ٥٩/١

(٣) شرح الأشموني ٢٢٠/٤

(٤) النشر ٢٩/٢

(٥) إبراز المعاني ١٥٢

(٦) النشر ٢٩/٢

(٧) إتحاف ٧٤

(٨) المرجع السابق وشرح الأشموني ٢٢٠/٤

(٩) النشر ٢٩/٢

(١٠) شرح الشافية ٤/٣

(١١) إتحاف ٧٤

والملاحظ أنَّ من هذه المصطلحات ما يطلقه بعضهم على الإمالة بصفة عامة ويطلقه غيرهم على أحد أقسامها وهى الشديدة أو الكبرى. ولعل مرجع ذلك أنَّ المقصود بالإمالة عند إطلاقها الإمالة الكبرى .

أما الفتح فهو أحد الحركات الثلاثة : الفتح والضم والكسر . وقد تناولناه من قبل وبيننا وضع اللسان عند النطق به .

ويندكر ابن جنى أنواعاً أخرى للإمالة لم تنسب إلى بنى تميم ، وهى :

١- إمالة الكسرة نحو الضمة ، مثل : قيل وبيع .

٢- إمالة الفتحة نحو الضمة ، وهى التى تكون قبل ألف التفخيم فى مثل : الصلاة والزكاة .

٣- الضمة المشوبة بكسرة نحو مذعور^(١)

على أنَّ المقصود بالإمالة عند إطلاقها إمالة الألف نحو الياء أو الفتحة نحو الكسرة - كما يطلق عليها بعضهم^(٢) - وقد نسبت إلى تميم فيمن نسبت إليهم .

تعريفها :

وعليها أنَّ نقف هنا - بعد هذا التقرير - وقفة عند تعريفها لنقدم لها التعريف الدقيق .

إننا إذا رجعنا إلى تعريفات القدماء للإمالة نجدها لا تكاد تخرج عن واحد من أربعة :

١- أنَّ تنحو بالألف نحو الياء^(٣) .

٢- أنَّ ينحى بالفتحة نحو الكسرة^(٤)

٣- وجمع بعضهم بين الألف والفتحة ، فقال : أنَّ ينحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء^(٥)

(١) سر صناعة الإعراب ٥٩/١

(٢) المرجع السابق ٥٨/١

(٣) المقتضب ٤٢/٣

(٤) الشافية (انتظر : شرح الشافية) ٤٣/٣

(٥) أسرار العربية ١٦٠ ، وتسهيل الفوائد ٣٢٥ ، والنشر ٢٩/٢

٤- ووضح بعضهم الجمع بين الألف والفتحة بأنه حين يكون بالألف نحو الياء يلزم أن ينحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة^(١).

وإذا كان العلماء في تناولهم للإمالة ذكروا لها أنواعا ثلاثة :

(أ) إمالة الألف كما في عابد ومساجد وعالم^(٢)

(ب) إمالة الفتحة السابقة للراء المكسورة مثل : من الكبير^(٣)

(ج) إمالة الفتحة السابقة لتاء التأنيث عند الوقف كما في ضربتُ ضربة^(٤)

فإن معنى وجود هذه الأنواع الثلاثة ، وإن الأول منها خاص بالألف والاخرين خاصان بالفتحة ، أننا نرتضى التعريف الثالث على ظاهره دون توضيح ، وهو : أن ينحى بالألف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة .

الفرق بين امالة الفتحة وامالة الالف :

ذكرنا عند الحديث عن الحركات الطويلة أنه لا فرق بين الفتحة وألف المد ، ولا بين الكسرة وياء المد ، وأن الفرق بينهما هو في كمية الزمن الذي يستغرقه نطق كل منهما ، إذ إن مخرج الفتحة هو عينه مخرج الألف وكذلك مخرج الكسرة هو مخرج الياء ، ووضع اللسان مع الفتحة والألف واحد ، وكذلك مع الكسرة وياء المد ، واللسان مع الفتحة والألف اللينة - أو بعبارة أخرى الفتحة الطويلة - يكاد يكون مستويا مع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه^(٥) . أما الكسرة وياء المد - أو الكسرة الطويلة - فهما يقابلان ما يشبهه المقياس (i) عند « جونز »^(٦) أي يرتفع أول اللسان نحو الحنك الأعلى إلى أقصى درجة ممكنة بحيث لا يخرج عن كونه حركة وتكون الشفتان منفرجتين^(٧) .

(١) إرتشاف الضرب ١/٤٩ ، وهج المواع ٢/٢٠٠ (٢) الكتاب ٤/١١٧

(٣) المرجع السابق ٤/١٤٢ (٤) المرجع السابق ٤/١٤٠

(٥) الأصوات للدكتور بشر ١٩٧ (٦) الأصوات اللغوية ٣١

(٧) Daniel Jones: An outline of English phocnetics p. 31.

وإذا ما ازداد اللسان في ارتفاعه انحبس النفس ونشأ صوت ساكن احتكاكي هو : ج الياء

Jones, An out line p. 31

وانظر : الأصوات اللغوية ٣١

وإذا أخذ اللسان وضعاً بين الموضعين السابقين فتنسج الإمالة. أى أن اللسان يكون مستوياً مع قاع الفم عند نطق الفتحة قصيرة كانت أو طويلة، فإذا ما بدأ في الصعود حدثت الإمالة بدرجاتها مبتدئة بأصغرهما وعندما يزداد صعوده تحدث الكسرة طويلة كانت أو قصيرة. فلا فرق إذن بين إمالة الفتحة والألف.

لكننا وجدنا اهتمام العلماء أنصبَّ على إمالة الألف، فقد أطال العلماء من نحويين وقراء الحديث عنها، فنسبوها إلى الناطقين بها ومنهم بنو تميم. وذكروا الشروط الواجب توفرها فيها كى تمال، وذلك بخلاف النوعين الآخرين وهما: الفتحة السابقة للهاء في حالة الوقف، والفتحة السابقة للراء المكسورة. ولم ينسبها إلى قوم معينين أو بالأحرى لم تذكر نسبتهما إلى تميم صراحة. ولا أدري هل يدخلان تحت القول العام للنحويين الذى ينسب تميم الإمالة، أو أن هذا القول خاص بالألف لاقتران ذلك الكلام بها وبشرح أسبابها؟. لذا نجد أنفسنا غير ملزمين بالحديث عنهما، ولنقتصر في حديثنا عن الألف الإمالة.

تميم والإمالة :

المتتبع لأقوال العلماء في الإمالة يتبين أنها كانت قد عمت الجزيرة، ولكن بتفاوت، فمنهم من أكثر تميم ومجاوريه، ومنهم من كان مقلداً كأهل الحجاز. قال أبو حيان: «وأصحاب الإمالة تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد، وأصحاب الفتح الحجازيون إلا في مواضع قليلة»^(١). كما عزيت أيضاً إلى هوازن وبكر بن وائل وسعد بن بكر^(٢). وعزى ذلك إلى أهل اليمن أنهم كانوا يميلون في أكثر الكلام^(٣).

لكننا نجد إلى جانب ذلك ابن الأنباري ينسب إلى الحجازيين الإمالة، فيقول: «وهي [الإمالة] تختص بلاغة أهل الحجاز ومن جاورهم من بني تميم وغيرهم»^(٤). إلا أن قول ابن الأنباري هذا يخالف ما أجمع عليه العلماء من قلة لدى الحجازيين، ويخالف ما رواه

(١) ارتشاف الضرب ١/٤٩، وانظر: معجم المصنفين ٢/٢٠٠، وشرح الأسموفى ٤/٢٢١، وإبراز المعاني ١٥٢ ولم يشر إلى أن الحجازيين يميلون في مواضع قليلة.

(٢) منجد المقرئين ٢٣٣ (وسعد بن بكر بن هوازن، وهم الذين استرضع فيهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - جمهرة أنساب العرب ٢٦٥).

(٣) معجم المصنفين ٢/٢٠٤

(٤) أسرار العربية ١٦٠

مسفوان بن عَسَّال^(١) ، من أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ : (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)^(٢) ، فقليل : يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش ، قال : « هي لغة الأخوال ، يعني بنى سعد »^(٣) .

والذى يعنيننا هنا هو أن بنى تميم كانوا يميلون . ونلاحظ أن العلماء في تحديددهم لأسباب الإمالة خلطوا في دراستها بين أحوالها عند مختلف العرب^(٤) ، فلذا قد يكون من هذه الأسباب ما لا يتفق والنهج التميمي ، وقد لاحظ ذلك سيبويه وسجل لنا ملاحظته هذه ، فقال : « واعلم أنه ليس كل من أمال الألفات واذق غيرد من العرب ممن يميل ، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه ويميل بعض ما ينصب صاحبه . وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر ، فإذا رأيت عربياً كذلك فلا ترينه خلط في لغته ، ولكن هذا من أمرهم »^(٥) . ورغم تسجيل سيبويه هذه الملاحظة إلا أنه لم يتداركها ، فلم ينسب كل نوع منها إلى ناطقيها ، فهو وإن كان - فيما نعلم - أكثر من عزا بعض أنواعها إلى ناطقيها من العرب ولكنه كثيراً ما يكتفى بنسبتها إلى بعض العرب دون تحديددهم . فمن ذلك قوله : « وقال ناس »^(٦) و « وقد قال قوم فأمالوا أشياء ليست فيها علة مما ذكرنا فيما مضى ، وذلك قليل »^(٧) و « وقال ناس يوثق بعربيتهم »^(٨) وقوله : « واعلم أن بعض من يقول : عابد من العرب فيميل ، يقول : مررت بمالك فينصب »^(٩) .

وعدم نسبة كل خاصية إلى أصحابها ليس راجعاً إلى عدم معرفة سيبويه بأصحابها لأن حديثه عن الإمالة وحالاتها يدل دلالة قاطعة على معرفته بهم ، وقد نص على ذلك صراحة فقال : « سمعنا جميع ما ذكرنا لك من الإمالة والنصب في هذه الأبواب من العرب »^(١٠) . لكن إغفاله النسبة يرجع إلى النهج الذى سار عليه هو وغيره من اعتبارهم العربية كلاً لا يتجزأ .

(١) من بنى مراد وانظر ترجمته في : أسد الغابة ٢٧/٣

(٢) مريم ١٢/١٩

(٣) لطائف الإشارات ٨١/١ (عن الكامل للهذلى)

(٤) انظر على سبيل المثال : أسرار العربية لابن الأنبارى ١٦٠ - ١٦٣

(٥) الكتاب ١٢٣/٤

(٥) الكتاب ١٢٥/٤

(٨) الكتاب ١٢٨/٤

(٧) الكتاب ١٢٧/٤

(١٠) الكتاب ١٤٣/٤

(٩) الكتاب ١٣٤/٤

وسنحاول هنا تحديد بعض أسباب الإمالة أو بمعنى آخر حالاتها ونسبة كل حالة إلى تميم إن كانت خاصة بها مستعينين بسيبويه - بصفة خاصة - لأنه وإن كان في معظم الأحيان يذكّر بعض العرب دون تحديدهم ، كما سبق أن ذكرنا ، إلا أنه كان أكثر من غيره عناية بنسبة الخصائص إلى أصحابها . وهذه الأسباب هي :

١ - الكسرة المتأخرة عن الألف ، مثل : عالم وعابد^(١) ، وكذلك إذا كانت الكسرة عارضة ، مثل : مررت ببياه ، وأخذت من ماله ، أي في حالة الجر ، ويصف سيبويه هذه الحالة الأخيرة بأنها أضعف من سابقتها^(٢) .

ويفهم من كلام سيبويه أن هذا الصنف المال من الكلمات لا يميله أهل الحجاز . فبعد أن ذكر هذا السبب والسبب التالى الخاص بالألف المسبوقة بكسرة قال : « وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز »^(٣) .

٢ - الكسرة المتقدمة على الألف ، وذلك إذا كانت في :

(أ) حرف بينه وبين الألف حرف متحرك ، مثل : عماد ، وكلاب ، واسوداد .

(ب) حرف بينه وبين الألف حرفان الأول منهما ساكن - لأنه ليس بحاجة - مثل : سربال وشملال^(٤) .

(ج) حرف بينه وبين الألف هاء وحرف آخر ؛ لأنها خفية ، مثل : يريد أن يضربها والناطق بمثل هذا المثال كأنه يقول : يريد أن يضربها^(٥) .

ويذكر سيبويه أن هذا الصنف المسبوق بالكسر لا يميله أهل الحجاز ، ويذكر في موضع ثان أن الذين يميلونه ناس كثير من العرب ، ويقول في موضع ثالث : إن الميلين هم بنو تميم وقوم من قيس وأسد ممن ترتضى عربيته^(٦) .

(١) المرجع السابق ١١٧/٤

(٢) المرجع السابق ١٢٢/٤

(٣) المرجع السابق ١١٨/٤

(٤) المرجع السابق ١١٧/٤ ، ١١٨

(٥) المرجع السابق ١٢٣/٤ ، ١٢٤

(٦) قارن بين ما ورد في الكتاب ١١٧/٤ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥

٣- إذا كانت الألف لاماً وكان أصلها واواً أو ياء وكانت العين مفتوحة . وهذه الألف إذا كانت :

(أ) يائية الأصل تمال ؛ لأن أصلها ياء^(١) ، مثل : الهدي^(٢) ، واستوى^(٣) . وقد عزيت الإمالة في الأولى إلى تميم وفي الثانية إلى نجد^(٤) .

(ب) واوية الأصل تمال ؛ لأن الغالب في هذه الألف أن تكون ياء . وهذا يتضح في الزائد عن ثلاثة ، إذ يقلب كله ياء . وهذا النوع قسمان :

الأول - ثلاثي ، وهو إمّا :

١- اسم مثل المكأ والعشا . وقد يتركون الإمالة في كلمات محفوظة ، مثل : قفاً ، وعصاً ، والقطأ^(٥) .

٢- وإمّا فعل مثل غزا ، وهذا يمال ؛ لأنه لا يثبت على حال فيقال مثلاً : غزى عند البناء للمجهول فتدخله الياء^(٦) .

الثاني - الاسم الزائد عن ثلاثة أحرف^(٧) ، وذلك مثل مغزى .

وعلق سيبويه على هذا النوع الثالث بجميع فروعه (وهو إذا كانت الألف لاماً وكان أصلها واواً أو ياء وكانت العين مفتوحة) بقوله : « وجميع هذا لا يميله ناس كثير من بني تميم وغيرهم »^(٨) .

(٢) البحر ١/٥٩

(٤) المرجعان السابقان

(١) الكتاب ٤/١١٨

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٧/ب

(٥) الكتاب ٤/١١٩ وعبارة سيبويه: «وقد يتركون الإمالة فيما كان على ثلاثة أحرف من بنات الواو نحو قفا وعصا والقنا والقطا وأشباههن من الأسماء ، وذلك أنهم أرادوا أن يبينوا أنها مكان الواو ويفصلوا بينها وبين بنات الياء ، وهذا قليل يحفظ ، وقد قالوا الكبأ والعشا والمكأ [إمالة] وهو جحر الضب ، كما فاعوا ذلك في الفعل » . وقد عكس المبرد فيجعل الأصل عدم الإمالة ، جاء في المنتخب ٣/٤٤ « فأما الأسماء فلا يجوز فيها الإمالة إذا كانت على ثلاثة أحرف ، لأنها تفتقل انتقال الأفعال ، لأن الأفعال تكون على فعل وأفعل ونحوه ، والأسماء لا تتصرف وذلك قولك قفاً وعصاً لا يكون فيهما ولا في باهما إمالة ، لأنهما من الواو . ولكن رحي وحصى ونوى هذا كله تصلح إمالته » .

(٧) المرجع السابق ٤/١٢٠

(٦) الكتاب ٤/١١٩

(٨) الكتاب ٤/١٢٠

ويرى الدكتور عبد الفتاح شلبي أن قول سيبويه هذا خاص بالحالة الأخيرة وهي الاسم الثلاثي الذي تجاوز ثلاثة أحرف وكان من بنات الواو^(١)، لكن سياق الكلام لا يحتمل ذلك، فسيبويه بعد أن عرض للحالتين الأوليين للإمالة ذكر أن الحجازيين لا يميأون - وقد أشرنا إلى ذلك من قبل - ثم عرض لهذه الحالة بفروعها، وعقب بقوله: « وجميع هذا . . . » مما يدل على أنه يعني كل ما ذكره بعد نصه على عدم إمالة الحجازيين . ٦٦٦٦

ويرى الدكتور علم الدين الجندى رأى الدكتور شلبي^(٢) ناسبا كلام سيبويه إلى السيرافي شارح الكتاب لا إلى سيبويه . لكننا إذا ما رجعنا إلى كتاب شرح السيرافي نجد هذا الكلام مكتوباً بمداد أحمر كعادة الناسخ في كل كلام سيبويه^(٣) .

٤ - كل اسم كانت آخره ألف زائدة للتأنيث أو لغيره، مثل: حُبْلَى ومِعْزَى . ونص سيبويه على أن ناسبا كثيرين لا يميأون هذه الألف^(٤) وإن لم يحدد لهم .

٥ - كل ألف تقع عيناً للكلمة، وكان أصلها واواً أو ياء، إذا كان أول فعلت منهما مكسوراً، مثل: خاف، وطاب، وفي ذلك يقول سيبويه: « وما يميأون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين إذا كان أول فعلت مكسوراً، نحواً نحو الكسر، كما نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء وهي لغة لبعض أهل الحجاز . فأما العامة فلا يميأون . ولا يميأون ما كانت الواو فيه عيناً إلا ما كان منكسر الأول، وذلك: خاف وطاب وهاب^(٥) . وإذا كان سيبويه لم يحدد موقف التميميين صراحة من الإمالة في هذا الصنف من الكلمات واكتفى بأن نص على أن بعض الحجازيين يميأون اليائي فقط . فإننا نجد الفراء يوضح أن الإمالة عند التميميين ومن جاورهم فيما كان مكسور الفاء عند إسناده لضمير الرفع سواء أكان يائياً مثل طبت، أم واوياً مثل خفت، أما الواوى الذى لا تكسر فاءه عند الإسناد فلا يمال وذلك مثل قال، جاء في شرح المفصل: « أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد، وما كان من ذوات الياء والواو، قال: وعامة أهل نجد من

(١) الإمالة في القراءات القرآنية واللهجات العربية ٨٥ ، ٨٦

(٢) انظر: شرح السيرافي ٥/٣٣٣

(٣) اللهجات العربية ٢٠٩

(٤) المرجع السابق ٤/١٢٠ ، ١٢١

(٥) الكتاب ٤/١٢٠

تميم وأسند وقيس يسرون إلى الكسر من ذوات الياء في هذه الأشياء ، ويفتحون في ذوات الواو مثل : قال وجال ^(١) .

ونلاحظ هنا أن الفراء ينفي الإمالة في هذه الأنواع من الأفعال عن الحجازيين خلافاً لسيبويه الذي جعلها خاصة باليائي منها .

ونجد رأياً ثالثاً يذكره كل من أبي حيان والأشموني ، وهو أن الحجازيين فريقان :

(١) فريق أمال اليائي فقط ، مثل طاب .

(ب) وآخر أمال اليائي والواوي كما كان يفعل التميميون ^(٢) .

وقد عرض أبو حيان لعشرة أفعال من هذا الصنف أمالها حمزة عين تسعة منها أصلها ياء وهي : جاء ، وشاء ، وضاق ، وران ، وزاد ، وخاب ، وطاب ، وحاك ، وزاغ . والفعل العاشر عينه واو وهو « خاف » ناسباً الإمالة لتمييم والتفخيم للحجاز ^(٣) .

٦ - الألف المسبوقة بياء ، مثل : كيال ، وبَيَّاع ، وشَيْبان . وأهل الحجاز وكثير من العرب لا يميلونها ^(٤) .

ويبدو أن بني تميم كانوا يميلون هذا النوع من الكلمات ، بدليل أن سيبويه لم ينفها عنهم . وتعليقها بأن « قبائها ياء فصارت بمنزلة الكسرة التي تكون قبائها نحو راج رجول ^(٥) » يدل على أنها عند بني تميم إذ إن هذا المسبوق بالكسرة لاحظنا أن تميماً تمياله والحجاز لا تمياله .

٧ - الإمالة للإمالة مثل « عماداً » ، فالألف الثانية تمال لإمالة الأولى ، قال سيبويه : « وقال ناس : رأيت عماداً فأمالوا للإمالة » ^(٦) .

(١) شرح المفصل ٥٤/٩

(٢) ارتشاف الضرب ٥٠/أ وشرح الأشرفي ٢٢٤/٤

(٣) البحر ٥٩/١ وقد فصل صاحب النشر هذا السبب فجعله سببين : الأول - الإمالة لأجل الكسرة المقدرة في محل الممال ، مثل « خاف » لأن أصلها خوف [بفتح الخاء وكسر الواو] . الثاني - الإمالة لأجل كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة مثل طاب ، لأنه إذا اتصل بها ضمير رفع كمرت الفاء فقليل طبت [بكسر الطاء] (النشر ٣٣/٢) .

(٥) الكتاب ١٢١/٤

(٤) الكتاب ١٢١/٤ ، ١٢٢

(٦) المرجع السابق ١٢٣/٤

٨- الإمالة للشبه بالآلف الزائدة كالألف في طلبنا . وهذا قليل^(١).

٩- الإمالة الشاذة وذلك لكثرة تردها على السنة الميلين ، نحو : الحجاج^(٢) . ومن هذا الشاذ أيضاً مال ويا ب . والميلون هنا بعضهم أمال في الجر وهم الكثير ، والقليل منهم أمال أيضاً في الرفع والنصب إلى جانب الجر ، فيقال : هذا ياب وهذا مال^(٣) .

١٠- الإمالة للفرق بين الاسم والحرف ؛ وذلك لأن الإمالة خاصة بالأسماء والأفعال . لكن إذا سمي بالحرف أيل ، جاء في الكتاب « ومما لا يميلون ألفه حتى وألاً وإلاً . فرقوا بينها وبين ألفات الأسماء ، نحو : حُبلى وعطشى . وقال الخليل : لو سميت رجلاً بها وامرأة جازت فيها الإمالة »^(٤) . وإن كان ابن مقسم حكى الإمالة في حتى عن بعض أهل نجد واليمن وأمالها حمزة والكسائي إمالة خفيفة^(٥) .

هذه عشرة أسباب استنبطناها من كلام سيبويه ، وقد ذكرنا من قبل أن السبب الخامس منها فصله صاحب النشر وتناوله على أنه سببان . وبقي من الأسباب التي ذكرها أيضاً صاحب النشر - وهو الذي تناولها بالتفصيل أكثر من غيره - سبب واحد وهو الياء بعد الألف وضرب له مثلاً بكلمة « مبايع »^(٦) وهذه الياء مكسورة فيذن لم يذكرها سيبويه لأنها تندرج تحت الكسرة المتأخرة بعد الألف . أما الياء المفتوحة والمضمومة فقد أشار إليهما صاحب « شرح الشافية » وقال : إنهما لا يؤثران^(٧) . فسيبويه إذن يتفق مع صاحب النشر في جملة الأسباب .

ونلاحظ أن الأسباب الثلاثة الأخيرة غير مطردة ولا تأتي إلا في كلمات معينة .

موانع الإمالة :

أولاً : الأصوات المستعلية :

تمتنع الإمالة إذا وجد بالكلمة أحد أصوات الاستعلاء السبعة ، وهي : الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والغين والخاء . ولكن هذا المنع مقيد بقيود ، هي :

١- إذا سبق واحد منها الألف (الفتحة الطويلة) مباشرة ، مثل : قاعد ، أو كان بينهما حرف على ألا يكون المستعلى مكسوراً أو ساكناً يلي كسرة .

(١) المرجع السابق ١٢٧/٤

(٢) المرجع السابق ١٢٧/٤

(٣) المرجع السابق ١٢٨/٤

(٤) المرجع السابق ١٣٥/٤ ، وانظر ما بعد النص

(٥) ارتشاف الضرب ٥٠/ب

(٦) النشر ٣٢/٢

(٧) شرح الشافية ١٠/٣

فإذا كان المستعلى مكسوراً أو يقع بينه وبين الألف حرف غير ساكن أميلت الألف مثل قَبَاب ومَصْبَاح .

٢- إذا تلا الألف مباشرة مثل عاصِم ، أو كان بينها وبين الألف حرف مثل نافِخ أو حرفين مثل مواعِظ^(١) .

٣- يشترط لعدم الإمالة أن يكون سببها الكسرة الظاهرة ، أى أن ذلك خاص بالسببين الأول والثاني^(٢) . بخلاف ما يمال بسبب الكسرة المقدرة أو الياء المقدرة مثل خَاف وغازا وسَقَى فتمال حينئذ^(٣) .

ونستطيع أن نجزم أن هذه الموانع سرت على اللغة التميمية ، وإن لم ينص عليها سيبويه صراحة . ولكنه قال عن الألف المسبوقة بأحد هذه الأصوات المستعلية : « ولا نعلم أحداً يميل هذه الألف إلا من لا يؤخذ بلغته »^(٤) ، وكذلك قوله عن الألف التي يليها أحد هذه الأصوات : « واعلم أن هذه الألفات لا يميلها أحد إلا من لا يؤخذ بلغته »^(٥) . ولما كانت اللغة التميمية مائلة ولغتها من اللغات التي اعتمد بها اللغويون^(٦) ، فهي إذن لم تكن تميل مع هذه الأصوات .

ثانياً : الراء :

والراء ما لم تكن مكسورة شأنها شأن الأصوات المستعلية فهي تحول دون الإمالة إن وجدت قبل الألف أو بعدها^(٦) .

اجتماع الراء والصوت المستعلى :

وإذا اجتمع صوت مستعل^(٧) وراء مكسورة بعد ألف في كلمة غلبت الراء إن كان المستعلى سابقاً فتمال الألف حينئذ ، وذلك مثل : غارم وطارِد .

(١) الكتاب ١٢٨/٤ - ١٣١

(٢) لم ينص على ذلك سيبويه صراحة ، وإنما يفهم من الأمثلة التي ضربها في حالات الإمالة وعدمها مع هذه الحروف ومن النحاة من نص على ذلك صراحة (انظر : شرح ابن عقيل ٥٢٤/٢) . (٣) الكتاب ١٣١/٤ ، ١٣٢

(٤) المرجع السابق

(٥) الكتاب ١٢٩/٤

(٦) وكذلك الراء المفتوحة (أسرار العربية ١٦٢)

(٧) المرجع السابق ١٣٦/٤

وأما إذا كان المستعلى تالياً الألف فهو الذى يغلب فتقول دون أن تميل : هذه ناقة فارق ، وأينق مفاريق^(١) . وهناك مواقف أخرى متعددة للعرب من الراء وإمالتها مع الألف أو فتحها بها^(٢) .

التعليل الصوتى :

(١) عند القدماء :

علل كثير من العلماء القدماء - بدءاً من سيبويه - عدم الإمالة مع أصوات الاستعلاء ، يقول ابن الأنبارى : « لأن هذه الحروف تستعلى وتتصل بالحنك الأعلى فتحذب الألف إلى الفتح وتمنعه من التسفل بالإمالة »^(٣) .

ويفهم من كلام ابن الأنبارى هذا أن عدم الإمالة هنا نوع من التماثل وعبرة سيبويه أقرب فى نصها على ذلك ، وهى « فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلى وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عليهم »^(٤) .

وإذا وقع المستعلى مكسوراً بعد الألف منع الإمالة : « لأنه يودى إلى التصعيد بعد الانحدار ؛ لأن الإمالة تقتضى الانحدار وهذه الحروف تقتضى التصعيد ، وذلك صعب ثقيل »^(٥) .

أما إذا وقع مكسوراً قبل الألف فلا يمنع الإمالة ؛ لأنك « أضعفت استعلاءه ثم إذا أملت انحدرت بعد تصعد . والانحدار بعد التصعد سهل خفيف »^(٦) .

اجتماع الراء وصوت الاستعلاء :

وعللوا غلبة الراء المكسورة صوت الاستعلاء أو الراء المفتوحة بأن « الكسرة فيها بمنزلة كسرتين فغلبت بتسفلها تصعد المستعلى ، وكما غلبت الراء المكسورة الحرف المستعلى فكذلك الراء المفتوحة المشبهة به »^(٧) .

(٢) المرجع السابق ١٣٧/٤ - ١٤١

(٤) الكتاب ١٢٩/٤

(٦) المرجع السابق ١٦١ ، ١٦٢

(١) الكتاب ١٣٧/٤

(٣) اسرار العربية ١٦١

(٥) اسرار العربية ١٦١

(٧) المرجع السابق ١٦٢

وإن تعليل القدماء ليشوبه شيء من الغرض - بالنسبة لى - فإذا كان حديثهم عن الأصوات المستعلية أنها تتصل بالحنك الأعلى ، فهو مقبول . لكن إقرانهم الألف (الفتحة الطويلة) بها وقولهم عنها إنها تتجه إلى أعلى ، فهذا غير مقبول . ويرجع ذلك إلى أنهم عدوا مخرجها من أقصى الحلق^(١) .

ثم ما المراد بالتسفل ؟ وهل المقصود به اتجاه اللسان نحو أسفل الحنك ؟ إن هذا هو المفهوم من كلامهم لكن لم قرنوا به الكسرة (القصيرة والطويلة) والإمالة مع أن اللسان معهما لا يتجه إلى أسفل كما سنرى ؟ .

أو هل يراد به النطق من وسط الحنك وهو مخرج الياء وليس مؤخر الحنك والحلق باعتبار أن الألف كما كانوا يرون تنطق كما تنطق الهمزة من الحلق (الحنجرة) . إن كان هذا ما يعنونه فإن العلماء حديثاً أثبتوا أن مخرج الألف (الفتحة الطويلة) من وسط الحنك بعد الياء .

(ب) عند المحدثين :

إننا لو تركنا القدامى جانباً واتجهنا إلى المحدثين ، لانجد لأحدهم - فيما أعلم - تعليلاً لعدم الإمالة مع الأصوات المفخمة .

وعلى ذلك فلنحاول تقديم تفسير لما حاول القدماء تعليله ولم تطمئن إليه النفس . ولنبدأ أولاً بتقديم الحقائق التالية :

١ - إن الأصوات المفخمة (وهى المستعلية والراء المفخمة)^(٢) يرتفع مؤخر اللسان عند النطق بها إلى أعلى مع تحريكه إلى الورا قليلاً^(٣) . وإذا كان صوت الراء كما وصفه القدماء - مكرراً^(٤) وأيدهم فيه المحدثون يقول الدكتور أنيس موضحاً معنى التكرار : « الراء صوت مكرر لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر فى النطق بها ، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقاً ليناً يسيراً مرتين أو ثلاثاً »^(٥) .

وتعد الراء من الأصوات المفخمة - مثلها مثل الأصوات المستعلية - إذا لم يسبقها كسر^(٥) .

(٢) راجع : دراسة الصوت اللغوى ٢٧٨ ، ٢٧٩

(٤) الأصوات اللغوية ٦٦

(١) الكتاب ٤/٣٣

(٣) الكتاب ٤/٣٥

(٥) كما ذكرنا ذلك من قبل اعتماداً على كلام سيوييه ، لكن الدكتور أنيس يرى أنها لا تعد مفخمة إلا إذا كانت مفتوحة ولم يسبقها كسر ، أو ساكنة وسبقها فتح (انظر : الأصوات اللغوية ٦٥) .

٢- وإذا ما رجعنا إلى ما ذكرناه عند الحديث عند « الفرق بين إمالة الفتح وألف المد » وجدنا :

(أ) أن اللسان مع الفتحة القصيرة والطويلة يكاد يكون مستويا مع الفم وهو ما يشبه

الرمز α في مقاييس جونز Jones

(ب) وأنه مع الكسرة القصيرة والطويلة الطويلة يرتفع مقدمه نحو الحنك الأعلى إلى أقصى ما يمكن بحيث لا يخرج عن كونه حركة وهو شبيه بالرمز (i) عند جونز^(١).

(ج) وأنه مع الإمالة يكون إذن بين الموضعين السابقين أى بين α و i بمقاييس جونز.

٣- ونضيف إلى ذلك :

(أ) أن اللسان مع الضمة القصيرة والطويلة ينتجه جزؤه الخلفى نحو الحنك ، فهو أشبه بالحركة المعيارية u عند جونز . وإن كان مع العربية أقل ارتفاعاً^(٢).

(ب) أن كل صوت - ومنها الأصوات المفخمة - تتأثر بالحركة المشكلة بها أو بما يسبقها من حركات ، فإذا كانت متحركة عدت ذات صوتين : الصوت الساكن نفسه ، والحركة المشكلة به .

إننا إذا ما وضعنا هذه الحقائق أمام أعيننا وأردنا أن نفسر عدم الإمالة مع الأصوات المستعلية وكذلك الراء المفخمة ، أمكننا أن نقول :

١- تمتنع الألف عن الإمالة إذا سبقت بصوت مستعل ما لم يكن مكسوراً أو مسبوقاً بصوت مكسور - وفي هذه الحالة لابد أن يلي الألف صوت مكسور - وذلك ، مثل : صالِح ، وسبب الامتناع أن اللسان مع المستعل يكون مؤخره صاعداً نحو الحنك ، ومع الألف يكاد يكون مستوياً مع الفم ، ومع الكسرة التي تليه يكون مقدمه صاعداً ، أى أنه يوجد لدينا (صعود من الخلف + استواء + صعود من الأمام) فيحتفظ اللسان بتوازنه فلا تحدث إمالة .

(١) انظر : Jones, An outline p. 31,32 والأصوات للدكتور بشر ١٩٦، ١٩٧

(٢) الأصوات للدكتور بشر ١٩٧

٢- لكن إذا كان صوت الاستعلاء مكسوراً مثل قِباب . أو كان ساكناً وسبق بكسرة مثل مضباح ، وليس من الضروري في هاتين الحالتين أن يلي الألف صوت مكسور :
ففي الحالة الأولى (قِباب) يكون لدينا : استعلاء = صعود من الخلف + كسر = صعود من الأمام + أَلَف = استواء .

وفي الحالة الثانية (مضباح) يكون أمامنا : كسر = صعود من الأمام + استعلاء = صعود من الخلف + أَلَف = استواء .

يتوالى في هاتين الحالتين هنا صعودان دون أن يفصل بينهما استواء كما في الحالة السابقة ، فيتغلب صعود الكسرة وهو الأمامي ، فتحدث الإمالة .

٣- أما إذا تلا الألف صوت مستعلٍ مباشرة أو فصل بينهما حرف أو حرفان وفي هذه الحالة يكسر ما بعد الألف .

فإذا جاء المستعل بعد الألف مباشرة مثل « عاصم » فيكون لدينا : الألف = استواء + صوت استعلاء = صعود خلقي + كسر = صعود من الأمام . وإذا ورد بين الألف والمستعل فاصل مثل « نافخ » ، ويكون الوضع شبيهاً بالسابق ، أَلَف = استواء + كسر = صعود من الأمام + استعلاء = صعود من الخلف .

فلدينا إذن استواء يليه صعودان أمامي وخلقي فيحدث توازن فيبقى استواء اللسان كما هو ولا تنتج إمالة .

٤- وعند اجتماع الصوت المستعل والراء المكسورة بعد الألف :

(أ) فإما أن يكون المستعل قبل الألف مثل طارد ، وعندئذ يكون لدينا :

المستعل = صعود خلقي + الألف = استواء + الراء المكسورة = صعودان أماميان فيؤثر الصعودان الأماميان فتحدث إمالة .

(ب) وإن كان المستعل بعد الألف مثل « فارق » فيكون معنا :

الألف = استواء + الراء المكسورة = صعودان أماميان + المستعل = صعود خلقي .

فكنا ننتظر أن يؤثر الصعودان الأماميان فتحدث إمالة ، لكن حدث العكس وذلك بسبب

تقدم الاستواء فيما يبدو .

أيهما أقدم : الإمالة أو الفتح ؟

(١) رأى القدماء :

وجدنا ابن الأنباري في « أسرار العربية »^(١) ، وابن يعيش في « شرح المفصل »^(٢) ، والسيوطي في « الإتيقان »^(٣) ، والأشموني في شرح ألفية ابن مالك^(٤) ، يذكرون أن الفتح هو الأصل والإمالة هي الفرع . أي المحدثثة بدليل أنها تحتاج إلى أسباب للنطق بها ، بخلاف الفتح فإنه لا يحتاج إلى ذلك .

ونجد إلى جانب هذا رأياً آخر يقول : إن كلاً من الإمالة والفتح أصل ، وحيث أنه لا توجد إمالة أو فتح إلا بسبب^(٥) .

(ب) رأى المحدثين :

ناقش الدكتور أنيس الأصالة والفرعية : فقسم الألفات الممالة نحو الياء صنفين^(٦) : الأول : ألفات أصلها ياء مثل باع ، ويفترض أن مثل هذا الفعل مر بمراحل ثلاثة ، ويوافقه عليها الدكتور رمضان عبد التواب — وذلك في حديثه عن كل من الواوى والياوى — موضعاً إياها بالمقارنات السامية وبالركام اللغوي في العربية مضيفاً إليها مرحلة رابعة سابقة لها^(٧) . وهذه المراحل ممثلة بالفعل « باع » وتطوره ، هي :

الأولى — بَيَعَ : وقد نطق على نمط الفعل الصحيح تماماً . وهذه المرحلة بقيت في اللغة الحبشية في بعض الأفعال الجوفاء وفي كل الأفعال الناقصة أو من نوع اللفيف المفروق . وقد بقيت في العربية أمثلة لها مثل هَيَف^(٨) التي تعزى إلى لغة الحجاز على نحو ما سنتناوله في الباب التالي .

الثانية — بَيْعَ : فالألف كانت تنطق صوت لين مركب^(٩) Diphthong هو « ai » ويسميتها الدكتور رمضان عبد التواب « مرحلة التسكين »^(١٠) .

(٢) ١٥٤/٩

(٤) ٢٢١/٤

(٦) انظر : في اللهجات العربية ٦٥-٦٨

(١) ص ١٦١

(٣) ٣١٥/١

(٥) النشر ٣١/٢

(٧) انظر : أسباب الشذوذ في اللغة ٢-٨

(٨) المرجع السابق ٣ (وهذه المرحلة لم يشر إليها الدكتور أنيس) .

(١٠) أسباب الشذوذ في اللغة ٣

(٩) في اللهجات العربية ٦٥

الثالثة - يبيع بالإمالة أي بتطور ai إلى ^(١) عَ ، ويطلق الدكتور رمضان على هذه المرحلة « انكماش الأصوات المركبة » ^(٢) (contraction of diphthong) وهي الشائعة في الحبشية في الأفعال الجوفاء ^(٣) .

الرابعة - باع : بتطوير صوت الإمالة عَ إلى ، أي إلى فتح خالص واستشهد الدكتور أنيس على ذلك بتطور كلمة شَيْء إلى شَيْء ثم إلى شَاء في بعض لهجات مصر ^(٤) ، وعلل الانتقال من الإمالة إلى الفتح بالاقترصاد في الجهد العضوي ^(٥) .

الثاني : ألف ممالة ليس أصلها ياء كما في كتاب . فهذه أصلها الفتح ، ثم تطورت إلى إمالة لوجود كسرة بالكلمة . وهذا نوع من الانسجام بين أصوات اللين . والتطور إلى الإمالة هنا يتفق ونظرية السهولة والاقتصاد في الجهد العضوي ^(٦) .

تعقيب :

وكلام الدكتور أنيس على هذين النوعين - وكذلك عرض الدكتور رمضان عبد التواب لتطور النوع الأول - يعنى أن الذى تم وفق قاعدة التماثل هو النوع الثانى فقط . وهذا الرأى له وجهته . ولعل مما يؤيد قولهما بأن الإمالة هى القدى فيما أصله ياء . وأضم إليه الواوى الأصل الذى تنطق فائده مكسورة مثل خاف مما عرضناه عند إسناده لضمير الرفع المتحرك في السببين الثالث والخامس :

١- إن كلمة مثل « باع » كانت تنطق ممالة « باع » وهى المرحلة التى تمثلها فى العربية اللغة التميمية وحافظت عليها كما حافظت عليها الحبشية فى كل الأفعال الجوفاء ^(٧) . وإن الألف كانت تنطق ممالة « عَ » مغلقة فى العبرية والآرامية والآشورية ، فكأمة نار العربية

(١) فى اللهجات العربية ٦٥

(٢) المرجع السابق .

(٣) أسباب الشذوذ فى اللغة ٦

(٤) شبيه بما لاحظته الدكتور أنيس ، قول سكان مدينة البدارى (أسوط) علاه فى على إيه (والهمزة تنطق ممالة) ، وما سمعته من أحد العامة بالقاهرة « ساماهم على وجوههم » فى قوله تعالى (سبأهم على وجوههم) .

(٥) المرجع السابق .

(٦) فى اللهجات العربية ٦٧

(٧) فقه اللغات السامية (الفقرة ٢٢٢) .

لأصلها في السامية القديمة *rawī(ē)ru* تنطق في العبرية *hēr* (نور)، والكلمة السامية القديمة *rawī(ē)ru* صارت في الاشورية *kēnu* وفي الآرامية *ḥē nā* « ثابت »^(١).

وإن بروكلمان ليعد هذه مرحلة تالية لمرحلة كانت تستعمل صوت اللين المركب ^(٢) ai (é) (diphthong). ولقد تركت هذه المرحلة بقايا ، كقول : طيئ - في الوقف والوصل - أَفْعَى في أَفْعَى وَحُبْلَى في حُبْلَى^(٣). على أن من المستشرقين من يرى أن السامية الأم كانت تستعمل الحركة الطويلة *ē* إلى جانب الحركات الثلاث *ē* و *ā* و *ū*^(٤) وهذا يعني أن الإمالة لم تكن مسبقة بمرحلة صوت اللين المركب ولا بالمرحلة السابقة لها.

ثم تطورت « باع » من الإمالة الفتح في البيئة الحجازية.

٢- ومما يعضد قدم الإمالة في اليائية أن البيئة التميمية التي كان يعيش معظمها في الصحراء منعزلاً - والتي من المعقول أن تحافظ على الصفات القديمة - حرصت على الإمالة فيما هو يائي الأصل ، في حين إنها إذا كانت زائدة في آخر الاسم - مثل حُبْلَى - فإن ناساً كثيرين من تميم وغيرهم لا يميلونه ، وتعليل ذلك أنه لم يكن ممალًا في الأصل عندهم وإنما أماله بعضهم عن طريق القياس الخاطيء .

٣- ومن الأدلة أيضاً على قدم الإمالة في الكلمات اليائية الأصل أو الواوية المكسورة فاء فعلت احتفاظها بالإمالة عند مجاورتها لأصوات الاستعلاء ، وذلك مثل : طاب ، وسقى ، وخاف ، ومعطى^(٥).

٤- ومما يرجح حداثة مرحلة الفتح على مرحلة الإمالة أننا نجد الإمالة كادت تتلاشى في النصف الشرقي من الجزيرة العربية موطن المييلين قديماً كما سنذكر .

(١) المرجع السابق (الفقرة ٦٦) .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) الكتاب ١٨١/٤ كما نسب إلى فزارة وبعض قيس في الوقف ، ونسب إلى بعض طيئ أيضاً قولهم أفعو (المرجع السابق).

(٤) انظر ما كتبه رابين Rabin, Ancient - West-Arabian p. 110, 111.

(٥) انظر ما كتبه رابين

(٥) راجع : الكتاب ١٣٢/٤

التفسير الصوتي :

الكلمات الممالاة إذن صنفان :

١- ما الإمالة فيه الأصل ثم تحولت عند الحجازيين إلى الفتح وذلك فيما كانت ألفه يائية الأصل مثل باع أو مكسورة الفاء عند إسناده لضمائر الرفع المتحركة مثل خاف وهم في نطقهم هذا يبتغون السهولة ، إذ إن وضع اللسان مع الفتح - كما سبق أن ذكرنا - يكاد يكون مستويا مع قاع الفم ، في حين إنه مع الإمالة يكون ما بين الوضع السابق وارتفاع مقدمه نحو الحنك حيث تنطق الكسرة القصيرة أو الطويلة .

٢- الإمالة بسبب وجود كسرة سابقة أو تالية للألف ، وهذه متطورة عن الفتح . واللسان في نطقه إياها بدلا من تنقله في وضعين : أحدهما وضعه مع الألف ، وهو استواؤه مع الفم ، والآخر : وضعه مع الياء ، وهو قرب مقدمه من الحنك ، فإنه يأخذ وضعها وسطا بين الاثنين . وفي ذلك أيضا تسهيل في النطق . وهذا النوع الأخير هو الذي يحد من التماثل عند تميم .

امالة الألف عبر التاريخ :

من الطبيعي وقد عمت الإمالة مساحة شاسعة من شبه الجزيرة العربية أن تنتشر بعد الفتوحات الإسلامية في بلاد شاسعة وفق استقرار الناطقين بها في تلك البلدان . وقد نطق بها بالفعل في الهند وسوريا ولبنان ومالطة وأفريقية العربية في بلاد المغرب وإسبانيا وجزيرة صقلية^(١) . ويذكر ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) أن جبل حراء كانت العامة [أي عامة بغداد] تغلط فيه في ثلاثة مواضع : يفتحون الحاء ، ويقصرون ، ويميلون^(٢) كما ذكر أنهم كانوا يميلون « حتى » رغم أنها حرف^(٣) .

(١) الإمالة في اللهجات والقراءات القرآنية ٢٩٢ (نقلا عن : Grünet (max) Die Imala p. 8.

(٢) تقويم اللسان ١١٣

(٣) المرجع السابق ١١٧

ويروى لنا ابن مكي (ت ٥٠١ هـ) في « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » أن أهل صقلية كانوا ينطقون خُبِيرَ وَحُمِيضَ وَنَيْبَ^(١) (خَبَّاز وَحَمَّاض وَنَبَاب) . وكان أهل صقلية يقولون كذلك : رحمين (رحمان) وسليم (سلام) وشديد (شداد) وعبد الكيفي (الكافي) وهليل (هلال) والحيرث (الحارث) في مقابل : رحمان ، وشداد ، وعبد الكافي ، وهلال والحارث^(٢) .

ويذكر ابن الخطيب : أن السنة أهل غرناطة فصيحة عربية ، وتغلب عليهم الإمالة^(٣) فكانوا يقولون باب للباب ، ومال للمال^(٤) وماد للمائدة^(٥) .

في مصر الحاضر :

ومازال الناطقون بالعربية موزعين بين ميلين وغير ميلين .

(أ) في مصر :

كان الدكتور عبد الفتاح شلبي قد أجرى منذ نحو ثلاثين عاما استفتاء لبعض المصريين بشأن الإمالة تبين له فيه أن الإمالة تظهر في مدينة بلبس بمحافظة الشرقية وفي محافظتي المنوفية والبحيرة وأجزاء من الفيوم^(٦) وهو يعزو انتشارها إلى نزول قيس في هذه الجهات^(٧) . ونسمع أهل بورسعيد يقولون امبارح في امبارح . ويقرر الدكتور عبد العزيز مطر أن بدو ساحل مريوط ينطقون بها^(٨) فهم يقولون مثلا : حساب ، ورمال ، وذاكر ، وشاكر^(٩) في حساب ورمال وذاكر وشاكر .

(ب) في المغرب :

والإمالة منشرة أيضا في المغرب ، فيذكر بروكلمان أن أهل تونس يقولون بيب^(١٠) (باب) ويلاحظها الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال في « تطوان وما حولها » فهم يقولون

(١) لحن العامة ١٥٥ عن (تثقيف اللسان) .

(٢) الإمالة ٢٩٣ (نقلا عن Die Imala p. 10)

(٣) الإحاطة ١٣٤/١

(٤) المرجع السابق ٣٣

(٥) الجانة في إزالة الرطانة ٢١

(٦) المرجع السابق .

(٧) الإمالة ٣٠٠

(٨) لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط (انظر الفصل الخاص بالإمالة) ٥٠ وما بعدها .

(٩) (١٠) فقه اللغات السامية ٥٣ (الفقرة ٦٧) .

(١١) المرجع السابق ٥٢ ، ٥٣

مثلا مكنيس وفيس في مكناس وفاس^(١) . ومن أمثالهم لَلِّي فَاثَك بُلَال فِثَاثَك بُحِيَال^(٢)
وبلال أصلها بليلة ، وبحيال أصلها بحول^(٣) .

(ج) بين التميميين :

ومن العجيب أن التميميين الذين سمعنا كلامهم ، أو حكيت لنا لهجتهم من المقيمين
بالجزيرة العربية ، نرى أن الإمالة تكاد تتلاشى من كلامهم ، ففي تسجيل لصالح الحميدى
وهو من وادى الدواسر نجده ينطق الكلمات التالية بدون إمالة : صالح ، رِيَال (رجل)
يَنْعَاب (أى يعاب عليه) ، عايلين (أى عجلون) ، المعدال (عصا) ما يُجَوِّزَنَا
صلاة العشاء كما أننا نجد هذا النطق في عنيزة وبريدة وزميقة وهي مدن معظم سكانها
تميميون .

ونلاحظ أن هذه الكلمات خالية من أصوات التفخيم وسبقت الألف أو تليها بكسرة .
ولكن نلاحظ الإمالة عند أهل البحرين في أواخر الكلمات . وهي تختلف ما بين إمالة
كبرى وصغرى^(٤) .



(ب) التغيرات في الحركات

التغيرات في الحركات ، وهو عكس « انسجام أصوات اللين » ، وهو مجاور أو متباعد
وكل منهما قد يكون مطردا وغير مطرد . والصيغة التميمية إما أنها هي المتطورة ، أو الأصلية
ثم تطورت عند غيرهم لكننا لم نلاحظ سوى الأول ، وهو :
التغيرات عند تميم :

والذى لاحظناه عندهم من النوع المتباعد ، وهو مطرد وغير مطرد :

(١) المطرد :

١ — ما أصله على « فُعْل » مما عينه ولامه من جنس واحد : وهو جمع الاسم الرباعى
المسبوق آخره بمد مثل سُرُر جمع سَرير . وكان بعض التميميين ينطقونه بفتح العين ،

(١) لهجة شمال المغرب : تطوان وما حولها ٩٣

(٢) المرجع السابق ٩٢

(٣) المرجع السابق ٩٣

(٤) دراسات في لهجات شرق الجزيرة ١٠٨

فيقولون «سُرَر» . بسبب هذه المخالفة أن القاعدة العامة عند تميم إسكان الصوت الثاني .
ولخشية إدغام العين في اللام فتحها بعضهم .

٢ - المعتل اللام بالواو مما جاء على فُعَلَى : وهذا النوع ينطقه الحجازيون محتفظين
بالواو على الأصل ، فهم يقولون مثلاً دَنَوَى . أما التميميون فيقلبون الواو ياء ثم يخالفون
فيضمون فاء الكلمة فيقولون دُنْيا .

(ب) غير المطرد :

١ - قُنَيَان : بضم القاف والياء عند تميم المتطورة عن قُنَوَان القيسية ؛ لأن المفرد قُنوة .
٢ - طُرْفَسَة : بكسر الطاء وفتح السين عند تميم أما الصيغة الأخرى فهي بفتح
الطاء والسين .

* * *

(ج) بين التماثل والتغاير

من الكلمات ماله صيغتان يجهل أيهما الأصلية . إحدى هاتين الصيغتين يظهر فيها
التماثل ويظهر في الأخرى التغاير . وتعزى واحدة منهما إلى بني تميم . ويترتب على ذلك
أنه لو كانت الصيغة المتماثلة (سواء أكانت تميمية أم غير تميمية) هي الأصلية تكون المتغايرة
هي المتطورة ، وبالعكس . وقد لاحظنا ذلك في :

أولاً : ألفاظ شبه مطردة (سَكَارَى وَغِيَارَى وَكَسَالَى) :

كان بنو تميم يقولون : سَكَارَى وَغِيَارَى وَكَسَالَى بفتح أولها ويضمها الحجازيون .
ولو كانت الصيغ غير التميمية هي الأصلية فهذا يعني أنها تطورت بطريق التماثل التخليقي
المنفصل عندهم ، أما إذا كان العكس وكانت التميمية هي الأصلية فالتطور إذن صاحب
الصيغ الحجازية بطريق التخالف المتباعد .

ثانياً : الفاظ مفردة :

١ - ٥ : أُسوة وعُدوة ، عُسوة ، وقُدوة ، وصُنوان ، وقُنوان : هذه الكلمات ضم
أولها عند تميم وكسر عند الحجازيين . وشأنها شأن الكلمات السابقة. تطورت إما عند
تميم عن طريق التماثل وإما عند الحجازيين بطريق التغاير .

٦ - مُرية : بضم الميم عند تميم وبكسره عند الحجازيين . وهى بعكس الكلمات السابقة فهى إما تطورت من التغير المنفصل عند تميم إلى التماثل المنفصل عند الحجازيين ، وإما أن التطور كان عكسيا .

٧ - هيهات : وهى بفتح التاء فى اللغة المشتركة وفى ذلك تغير منفصل بين الياء والفتحة ، وبكسرها عند تميم وفى ذلك تماثل إتباعى منفصل . وهناك احتمالان - اجهل أصالة أى من الصيغتين - إما تطور تسمى من التغير إلى التماثل ، وإما غير تسمى من التماثل إلى التغير .

* * *

(د) عدم تتابع ثلاث حركات (*)

ونستطيع أن نلحق بالتغير عدم تتابع ثلاث حركات ، فقد كان لكثير من التسميين نهج خاص بالكلمة التى تشتمل على ثلاث حركات متوالية ، - شاركها فيه بكر وتغلب - وهذا النهج يقضى بإسكان الصوت الثانى منهما ما لم يكن مفتوحا ومسبوقا بآخر مفتوح مثل جَمَل قال سيبويه : « هذا باب ما يسكن استخفا ، وهو فى الأصل متحرك ، وذلك قولهم فى فَعِذْ فَعِذْ ، وفى كَبِدْ كَبِدْ ، وفى عَضِدْ عَضِدْ ، وفى الرَّجُلِ رَجُلْ ، وفى كَرُمِ الرَّجُلِ كَرَمْ ، وفى عَلِمَ عَلِمَ ، وهى لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بنى تميم ... وأما ما توالى فيه الفتحان ، فإنهم لا يسكنون منه ... وذلك نحو : جَمَلٍ وَحَمَلٍ ونحو ذلك . ومما أشبه الأول فيما ليس على ثلاثة أحرف قولهم : أَرَاكَ مُنْتَفِخًا تُسَكِّنُ الْفَاءَ ، تريد مُنْتَفِخًا ، فما بعد النون بمنزلة كَبِدْ . ومن ذلك قولهم : انْطَلَقَ بفتح القاف لِثَلَا يَلْتَقَى سَاكِنَانِ »^(١) . وذكر ابن سيده هذا النص دون عزوه لسيبويه وضمنه أن لغة التخفيف كثيرة أيضا فى تغلب^(٢) .

(*) لم ندرس هذا الموضوع بعد التغير مباشرة ؛ لأنه لا يشترط فى الحركات - أو الأوليين منها - أن تكون كلها من جنس واحد .

(١) الكتاب ٤/١٩٣ - ٤/١٩٥ . (٢) الخضر ٤/٢٢٥ ، ٤/٢٢٦ .

وإن عدم تتابع هذه الحركات ليقضى أن كل كلمة تبدأ بثلاث حركات تبدأ عندهم بمقطع مغلق قصير ، ما لم تكن الأولى والثانية فتحة قصيرة ، ونلاحظ أن الكلمات ذات النهج التميمي قد تكون :

١- إما أفعالا مثل كَرَمَ بدلا من كَرُمَ عند غيرهم ، وإما أفعال ، وهذه الأفعال قد تكون مفردة مثل فَخَذَ في فَخَذَ أو غير مفردة مثل أَزَرَ جمع إزار وهي عند غيرهم أَزُرُ^(١) .

٢- ثلاثية كالكلمات التي ذكرناها أو غير ثلاثية مثل مُنْتَفَخَ في مُنْتَفِخَ^(٢) .

٣- حركاتها في أول الكلمة ، مثل كَيْدَ في كَيْدِ أو في وسطها مثل يُعَلِّمُهُمْ في يُعَلِّمُهُمْ^(٣) أو في آخرها مثل مُنْتَفِخَ .

٤- حركاتها في كلمة مستقلة مثل رَجُلَ في رَجُلٍ . أو في كلمة مركبة من كلمتين مثل يُعَلِّمُهُمْ في يُعَلِّمُهُمْ^(٤) وَالسِّنْتُهُمْ في « السِّنْتُهُمْ »^(٥) . ونلاحظ ذلك في ضمير الغائب المنفصل المرفوع مذكرا كان أو مؤنثا إذا سبق بالواو مثل وَهُوَ بدلا من وَهُوَ ، أو الفاء مثل فَهَى ، أو لام الابتداء مثل لَهَى ، أو ثُمَّ نحو ثُمَّ هُوَ ، أو بكامة آخرها متحرك مثل يُمَلِّ هُوَ^(٦) .

استثناء من القاعدة :

ويستثنى مما سبق كلمات شذت عن القاعدة العامة ، وهي إما مجموعة تتفق في صفات معينة يساغ لنا أن نقول إنها قياسية أو مطردة ، وإما ألفاظ خاصة لا يربط الكلمة بالأخرى أى رباط .

(١) سنورد هذه الكلمة ضمن الأمثلة التي سنذكرها .

(٢) انظر هذه الكلمة في نص سيدييه السابق .

(٣) المحتسب ١٠٩/١

(٤) المحتسب ١٠٩/١

(٥) شواذ القراءة للكرمانى ١٣٣

(٦) إتحاف ١٣٢ وقد نسب المؤلف سكون الضمير إلى نجد وتحريكه إلى الحجازيين ، واستشهد بآيات قرآنية ورد فيها الضمير مسبوqa بحرف من الحروف التي ذكرها مبينا أنه قرئ وفق النهج التميمي بالإضافة إلى قراءته باللفة الحجازية .

(١) المطرد :

ذكرنا عند الحديث عن « الضم والفتح » أن جمع الاسم الرباعي المسبوق آخره بصوت مد جمع كثرة على « فُعْل » وبالتالي يصير عند تميم « فُعْل » وذلك مثل « رُسُول » فتجتمع على « رُسُل » عند الحجازيين و « رُسُل » عند تميم إلا إذا كانت لام الكلمة وعينها من جنس واحد مثل سُرُر جمع سرير ، فقد انقسم التميميون إلى طائفتين :

الأولى - حافظت على ضم عين الكلمة فقالت : « سُرُر » .

والأخرى، فتحتها فقالت : سُرَر .

(ب) غير المطرد :

ولاحظنا ذلك في :

١- عشرة :

وذلك عند تركيبها مع عدد آخر ، أى من إحدى عشرة إلى تسع عشرة وقد اختلف نهجهم عن الحجازيين حالة تأنيثه فقط :

أولا : سكن الحجازيون الشين^(١) ، وهم في نطقهم هذا يوافقون نطقه مذكرا (عشر) .

ثانيا : كان للتميميين نهجان :

(١) بعضهم كسر الشين .

(ب) وبعضهم فتح الشين^(٢) .

وكان الفريق الأول هو الأكبر بدليل أن كثيرا من اللغويين اقتصروا على نسبته اليهم^(٣) .

(١) المزهري ٢٩٨ / ب (خ) .

(٢) أوضح المسالك ٢٤٨ ، وشرح الأثوثي ٦٧/٤ وشرح التصريح ٣٤٤/٢

(٣) الكتاب ٥٥٧/٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/١١ ، والمختص ٢٦٠/١ ، والصحاح (عشر) ٧٤٦/٢ ، والمخصص ١٧٢/١٧ ، والمفصل (ضمن شرح المفصل) ٢٦/٦ ، وشرح المفصل ٢٧/٦ .

ونلاحظ أن التميميين الذين فتحوا ساروا وفق نهجهم العام الذي ذكرناه ، لأن الصوت السابق للشين مفتوح ، وأما الذين كسروا فرغم أن ذلك يتفق ونهجهم في إيثار الكسر على الفتح ، إلا أنهم خالفوا النهج من زاوية أخرى حيث كان يجب عليهم أن يسكنوا الصوت الثاني كما فعل الحجازيون ..

وبلغثيهم قرأ الأعمش « عَشْرَة » و « عَشْرَة » بفتح الشين وكسرها^(١) في قوله تعالى : (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)^(٢)

وإذا أردنا أن نعرف أي الاتجاهات الثلاثة (اتجاها تميم واتجاه الحجاز) يتفق واللغات السامية ، فإننا نرى :

١- أن السريانية تنطقها بالسكون *esrā* « عَصْرَة »^(٣) فهي تتفق والحجازية

٢- والحبشية تنطقها بالفتح *ṣart*^(٤) ، كما كان ينطقها بعض التميميين ، وقريب من هذا النطق في العبرية ، فهي تنطق بفتحة مالة إلى الكسرة

éser « عَصْرَة »

٣ - نطق بالكسر في الأكديّة *šeret*^(٥) كما نطقه باقي التميميين .
وإنه لمن الصعب بعد هذا العرض أن نحكم على أي ضبط من هذه الثلاث أنه هو الأصل .
وعلى كل فإن مخالفة القاعدة في هذا اللفظ لم تكن لدى التميميين جميعا ، وإنما كانت لدى بعضهم فقط .

٢ - عُدُس :

لاحظنا عند الحديث عن « الضم والفتح » ، أن بني تميم ضموا الدال من اسم العلم « عُدُس » ، في حين أن غيرهم من العرب فتحوها فقالوا « عُدُس » وكان القياس التميمي أن يسكنوها فيقولوا « عُدُس » ، لكنهم - كما سبق أن ذكرنا وكما سنذكر أيضا -

(٢) البقرة ٦٠/٢

(١) مختصر في شواذ القرآن ٥ ، ٦

Moscatti, An Introduction. ... p. 116.

(٣)

(٤) المرجع السابق وانظر : فقه اللغات السامية ١٠٦

Moscatti, An Introduction p. 116.

(٥)

Moscatti, An Introduction ... p. 116.

(٦)

تغلبت عليهم ظاهرة التماثل، فأتبعت الدال الصوت السابق لها وهو ضممه العين . ومن المحتمل ألا يكون ذلك قد شاع لدى جميع التميميين؛ لأن هذا العلم كان مسمى به لدى أحد بطونهم فقط وهم بنو عبد الله بن دالم^(١) .

أمثلة للمطرد وموقف القراء منه :

وأرى بعد هذا أن أذكر طائفة من الألفاظ التي نصت عليها كتب اللغة والتفسير والقراءات ونسبتها إلى تميم ، وموقف القراء منها إن كانت قد وردت في الكتاب العزيز وقرئ بها وفق النهج التميمي ، نذكرها مرتبة ترتيبا هجائيا إلا إذا جمع نص بين طائفة منها فعزاه إلى تميم ورأينا ذكره أو الإشارة إليه .

١ - ٢٤ : أذن وألفاظ أخرى :

قال البناء الدمياطي : « واختلف في تسكين عين (القدس) وخطوات . واليسر^{*} والعسر ، وجزءا ، والأكل ، والرعب ، ورسنا وبابه ، والسحت ، والأذن ، وقربة . وجرف ، وسبلنا ، وعقبا ، ونكرا ، ورحما ، وشغل ، ونكر ، وعربا ، ونخشب ، وسحقا ، وثلاثي الليل ، وعذرا ، ونذرا . . . وجه إسكان الباب كله أنه لغة تميم وأسد وعامة قيس ، ووجه الضم أنه لغة الحجازيين^(٢) » .

ذكر هذا النص أربعاً وعشرين كلمة كان لتمييم فيها نطقهم الخاص الذي يتفق ونهجهم، وهو تخفيف الصوت الثاني ، وقد وردت كلها في القرآن الكريم وورد بعضها أكثر من مرة وقرئت وفق اللغة التميمية إلى جانب قراءتها وفق غيرها^(٣) . ونكتفي بتوضيح القراءة في أحد هذه الألفاظ وهو :

أذن :

وردت كلمة « أذن » في القرآن الكريم في قوله تعالى : (. . . أن النفس بالنفس : والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص)^(٤) . كما وردت في

(١) انظر : جمهرة أنساب العرب ٢٣٢ وتعليق المحقق بالهامش (رقم / ٢) .

(٢) إتحاف ١٤١ - ١٤٣

(٣) المرجع السابق ١٤١ ، ١٤٢ (٤) المائدة ٤٥/٥

أربع آيات أخرى ^(١) . وقد قرأها كلها في جميع المواضع وفق النهج التميمي (أذن) من القراء الأربعة عشر نافع ^(٢) .

٢٥ - ٢٨ : أزر وألفاظ أخرى :

أُزِر جمع إزار وقد نص سيبويه على تخفيفه مع كلمات آخر جاءت على هذا الوزن وتتفق كلها في أن مفردهما رباعي ثالثه مد ، فقال : « فإذا أردت أكثر العدد بنيته على [فُعِل] ، وذلك حِمَارٌ وَحُمُرٌ وخِمَارٌ وَخُمُرٌ وإِزَارٌ وَأُزُرٌ وفُرَاشٌ وفُرُشٌ . وإن شئت خففت جميع هذا في لغة تميم » ^(٣) .

وقد وردت كلمة «فُرُش» في قوله تعالى : (وفُرُشٌ مرفوعة) ^(٤) وقرأها كما كان ينطقها التميميون (فُرُش) أبو حيوة ^(٥) .

٢٩ - بُخِل :

لهذه الكلمة أربع صيغ ، هي : بُخِل (بضمين) ، وقد نسبها الفراء لأسد ، وبضم الأول وتخفيف الثاني ، وهي الصيغة التميمية كما نسبها الفراء أيضا ^(٦) ، وبفتحين وبفتح فسكون ^(٧) . ويهمننا هنا المقارنة بين الصيغتين الأوليين : الأسدية والتميمية التي نلاحظ أن جمهور القراء انتهجها في قوله تعالى : (الذين يبخلون ويأْمرون الناس بالبُخْلِ) ^(٨) : قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة من السبعة ^(٩) ، وأبو جعفر ويعقوب من بقية العشرة ، واليزيدي والحسن من الأربعة بعد العشرة ^(١٠) .

٣٠ - ٣٦ : الثُلُث إلى التُّسْع :

يذكر النحاس أن « لغة أهل الحجاز وبني أسد الثُلُث والرُّبُع إلى العُشُر ولغة بني تميم وربيعه الثُلُث بإسكان اللام إلى العُشُر » ^(١١) . وقد اجتمعت الكلمات : الثلث والرُّبُع

(١) التوبة ٦١/٩ ، والحاقة ١٢/٦٩ ، ولقمان ٧/٣١

(٢) التيسير ٩٩ ، وإتحاف ١٤٢ (٣) الكتاب ٦٠١/٣

(٤) الواقعة ٣٤/٥٦ (٥) مختصر في شواذ القرآن ١٥١

(٦) البحر ٢٤٦/٣ ، ٢٤٧ (٧) المرجع السابق ٢٤٦/٣

(٨) النساء ٣٧/٤ ، والحديد ٥٧ / ٢٤ (٩) السبعة في القراءات ٢٣٣

(١٠) انظر تحبير ١٠٢ ، وإتحاف ١٩٠ مقارنا ما ورد بهذين المرجعين بما ورد في الإتحاف ٧ .

(١١) إعراب القرآن ٤٤/ب

والسدس والثمان في الآيتين الكريمتين (. . .) فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك ، وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس . . . الخ الآيتين ^(١) .
وقرأ هذه الكلمات الأربع وفق النهج التميمي الحسن ونعيم بن ميسرة ^(٢) .

ووردت كلمة الثلث أيضا في قوله تعالى : (فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ) ^(٣) وقوله : (إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِّ اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ) ^(٤) . وقرأ وفق النطق التميمي (ثُلُثَهُ) من الآية الثانية ابن كثير في رواية ^(٥) و « ثُلُثَيَّ » ابن عامر ^(٦) برواية هشام ^(٧) .

٣٧- حُبُّكَ :

الحُبُّكَ : طرائق النجوم في السماء ^(٨) ، وهي جمع حِبَاكَ وَحَبِيكَة ^(٩) . وقد سكنت تميم الباء فقالت « حُبُّكَ » ^(١٠) وبلغتهم قرأ الحسن ^(١١) قوله تعالى : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُّكِ) ^(١٢) .

٣٨- حَرَم :

قال ابن جني « وأما (حَرَم) بفتح الحاء وتسكين الراء فمخفف من (حَرِيم) على لغة بني تميم » ^(١٣) . وقد وردت هذه الكلمة في قوله تعالى : (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) ^(١٤) . وقرأ عكرمة « حَرَمٌ » بدل « حرام » ^(١٥) وهي بمعنى واجب ^(١٦) . وخفف التميميون راء « حَرَم » فقالوا « حَرَمٌ » وبلغتهم قرأ ابن عباس بمخلاف ^(١٧) .

(١) النساء ١١/٤ ، ١٢ .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ٢٥ ، وهو أبو عمرو نعيم بن ميسرة الكوفي ، نزل الرى وكان ثقة . وى الحروف من أبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود ويروى عنه حروف شواذ من اختياره . توفي سنة ١٧٤ هـ . (غاية النهاية ٣٤٢/٢ ، ٣٤٤)

(٣) النساء ١٧٦/٤

(٤) مختصر في شواذ القرآن ١٦٤

(٥) إتحاف ١٤٢

(٦) معاني القرآن للفراء ٨٢/٣

(٧) المرجع السابق ٢٨٦

(٨) المحتسب ٦٦/٢

(٩) المحتسب ٦٥/٢

(١٠) المرجع السابق ٦٦

(١١) المزمّل ٢٠/٧٣

(١٢) المرجع السابق

(١٣) اللسان (حبلك) ٢٨٩/١٢

(١٤) المحتسب ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧

(١٥) الداريات ٧/٥١

(١٦) الأنبياء ٩٥/٢١

(١٧) المرجع السابق .

٣٩- حُلْم :

ورد هذا اللفظ في قوله تعالى (لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . . . وإذا بلغ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ . . .)^(١) وبلغه تميم قرأ الحسن وأبو عمرو في رواية^(٢) حددها ابن خالويه بأنها عن عبد الوارث^(٣) . كما قرأ الكلمة أيضاً بهذه اللغة المطوعى^(٤) .

٤٠- رَحَب :

الموضعان اللذان ورد فيهما هذا اللفظ هما قوله تعالى : (. . . وضاقَت عليهم الأرض بما رَحَبَتْ . . .)^(٥) . وقوله : (وعلى الثلاثة الذين خَلَّفُوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رَحَبَتْ . . .)^(٦) ، وقرأه وفق اللغة التميمية (رَحَبَتْ) زيد بن علي^(٧) .

ونلاحظ أن هذه الكلمة فعل ماضٍ جاءت على وزن «فَعَلٌ» في اللغة المشتركة مما يؤكد أن التميميين في بدئهم الكلمة بمقطع قصير مغلق لم يكونوا يفرقون بين الاسم والفعل .

٤١- سُقْف :

سُقْف عند تميم وفي اللغة المشتركة سُقْف جمع سُقْف وباللغة المشتركة قرأ الجمهور قوله تعالى : (. . . لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ . . .)^(٨) وقرأ وفق اللغة التميمية (سُقفا) أبو رجاء^(٩) .

(٢) البحر ٤٧٢/٦

(١) النور ٥٨/٢٤ ، ٥٩

(٣) مختصر في شواذ القرآن ١٠٣ ، وهو أبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العبدي ولاء البصري . كان ثقة حجة عرض القرآن على أبي عمرو ، وروى القراءة عن ابن عامر وروى عنه ابنه عبد الصمد . توفي سنة ١٧٩ هـ (غاية النهاية ٤٧٨/١) .

(٥) التوبة ٢٥/٩

(٤) إتحاف ٣٢٦

(٧) البحر ٢٤/٥

(٦) التوبة ١١٨/٩

(٩) البحر ١٥/٨

(٨) الزخرف ٣٣/٤٣

٤٢- قُبُلُ :

تناولنا كلمة « قُبُلُ » عند الحديث عن « الضم والكسر » وقلنا هناك إن من العرب من ضم القاف والباء وقال « قُبُلًا » ومنهم من كسر القاف وفتح الباء . ويعنيها هنا أن الذين ضموا القاف - ومنهم تميم - فريقان : فريق ضم الباء وفريق أسكنها وهم بنو تميم ، وبلغتهم قرأ أبو رجاء والحسن^(١) قوله تعالى : (إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَى أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا)^(٢) .

بعد هذه النماذج من الكلمات المؤكدة للقاعدة التي ذكرناها نختتم الحديث عن هذا الموضوع بالكلام عن :

تفسير الظاهرة :

إن تسكين الصوت الثاني للكلمة المشتملة على ثلاثة أصوات متحركة يعني أن المقاطع إذا كانت عند غير التميميين ثلاثة متتالية وكانت مفتوحة كلها في حالة الفعل الماضي الثلاثي ، وكان الأولان مفتوحين والأخير مغلقا في الاسم فإنه عند تميم اثنان أولهما مغلق . واتجاه تميم هذا يتفق وقانون السهولة law of least effort^(٣) : لأن في صنيعهم هذا اقتصادا للجهد العضلي . واحتفاظ تميم بمقاطع ثلاثة متحركة^(٤) إذا كان الصوتان الأولان متحركين بالفتحة لا يخرج عن جنوحهم إلى الجهد الأقل ؛ لأن وضع اللسان - كما سبق أن ذكرنا - يكون مع الفتحة أيسر من وضعه مع الضمة والكسرة ، فهو يكاد يكون مستويا مع قاع الفم ، لكن مقدمه يرتفع إلى أعلى مع الكسر ، ومؤخره يرتفع مع الضمة إلى أعلى^(٥) وهذا يتطلب مجهودا أكثر في النطق .

(١) البحر ١٣٩/٦

(٢) الكهف ٥٥/١٨

(٣) انظر شرح هذا القانون في : الأصوات اللغوية ٣٣٤ ، والتطور اللغوي وقوانينه ٤٧ ، ودراسة الصوت اللغوي ٣١٩ ويطلق عليه مؤلفه « قانون الجهد الأقل » .

(٤) انظر : الأصوات اللغوية ٣١-٣٣ ، والمدخل إلى علم اللغة ٩٣ ، ٩٤

الفصل الثاني

الهمز

أولاً : الهمز والتخفيف

كان للعرب في نطق الهمزة نهجان : تحقيقها وتخفيفها ، وقد نسب الأول إلى بني تميم في مقابل التخفيف الذي كان سمة من سمات اللغة الحجازية ، جاء في « لسان العرب » « قال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون وقف عليها عيسى بن عمر^(١) ، فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا^(٢) » والمقصود بالنبر هنا نطق الهمزة^(٣) أي تحقيقها ، ويذكر ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) أن أهل التحقيق هم تميم وقيس ، وأصحاب التخفيف هم قريش وأكثر أهل الحجاز^(٤) . وقد تكون الهمزة مفردة ، وقد تكون مجتمعة مع غيرها ، وحينئذ قد تكون الهمزتان :

(أ) في كلمة واحدة

(ب) في كلمتين متجاورتين .

(أ) الهمزة المفردة :

يفهم من نص أبي زيد السابق أن تهما كانت تحققها ويؤيد هذا النص نصوص أخرى كثيرة عرضت لكلمات مفردة ، نذكر منها :

١ - قال يونس في نواتره : « أهل الحجاز جونة بلا همز وتميم جونة بالهمز »^(٥) .

٢ - جاء في « إعراب القرآن » للنحاس : « لغة أهل الحجاز جبريل ولغة تميم وقيس جبرئيل »^(٦) .

(١) توفي سنة ١٤٩ هـ (نزهة الألباء ١٥)

(٢) اللسان (حرف الهمزة) ١٤/١

(٣) اللسان (نبر) ٣٩/٧

(٤) شرح المفصل ١٠٧/٩

(٥) المزهر ٢٩٨ / ب (خ)

(٦) إعراب القرآن ١/١٤

٣ - وجاء فيه أيضاً : « قال أبو عمرو بن العلاء : أهل الحجاز لا يهزون رؤيا ، وعميم وبكر يهزونها »^(١) .

٤ - قال صاحب « إتحاف فضلاء البشر » : « وأما مرجئون بالتوبة ، وترجيء بالأحزاب فقرأهما ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وكذا يعقوب بالهمز من أرجأ بالهمز لغة تميم . وافقهم ابن مُحَيِّصٍ واليزيدى والحسن ، والباقون بغير همز »^(٢) .

الهمزة التي يلحقها التخفيف :

إذا كانت الرواية التي نقلناها عن أبي زيد - وغيرها من روايات لم نعرض لها أو نشر إليها لاتفاقها معها في الفكرة - لم تحدد موضعاً معيناً للهمزة التي يلحقها التحقيق والتخفيف ، فلم تفرق بين الهمزة في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها فإننا نلاحظ أن التسهيل مما يصعب النطق به في أول الكلمة ما لم تكن متصلة بأخرى سابقة لها ، ووجدنا سيبويه ينص على ذلك فيقول : « ألا ترى أن الهمزة إذا كانت مبتدأة » محققة في كل لغة^(٣) . »

ونخلص مما سبق أن الهمزة المفردة قد تكون في وسط الكلمة أو في آخرها ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلا أدري ما الذي حمل ابن دريد على قوله : « وبنو تميم يهزون أحرفاً مما كان على وزن فَعْل ، في موضع العين من الفعل أَلَفٌ ساكنة ، نحو الفأس والرأس والكأس والرأل »^(٤) . ومما يدل على أغرابته رأى ابن دريد هذا أننا نجد سيبويه يفتتح حديثه عن التحقيق بقوله : « فالتحقيق قولك : قرأت ، ورأس ، وسأل ، ولؤم ، وبئس وأشباه ذلك »^(٥) . فالهمزة ليست ساكنة في كل الأمثلة التي ضربها ، كما نجد أمثلة مفردة منسوبة إلى تميم لا تنطبق عليها القيود التي حددها ابن دريد وسبق أن ذكرنا منها : جبرئيل ، ومرجئون ، وترجيء .

(١) المرجع السابق ١٠١ / ١

(٢) إتحاف ٥٩

(٣) الكتاب ٥٤٥/٣

(٤) جمهرة اللغة ٢٩٣/٢ ، (والرأل : ولد النعام - اللسان « رأل » ٢٧٧/١٣)

(٥) الكتاب ٥٤١/٣

وإذا كان ابن دريد قد قصر على تميم تحقيق الهمزة الساكنة نحو فأس ورأس فإننا نجد « حفى ناصف » يعزوا إليها قلبها إلى حرف من جنس حركة ما قبلها ، ويعقب على ذلك بقوله : « وكان جميع السكان عندنا تميميون إذ لم يسمع لهم همزات في مثل هذه الكلمات »^(١) . وواضح أن كلام حفى ناصف مخالف لما أجمع عليه من نسبة التحقيق لتميم .

خروج على القاعدة :

وإذا كان الحجازيون - ومنهم أهل مكة - قد خففوا الهمزة ، والتميميون حققوها ، فإننا وجدنا القاعدة تخالف في بعض الكلمات ، فعزى إلى تميم أنها كانت تخفف النبي والبرية والذرية والخابية وذوى وعظاية في حين أن غيرهم من المخففين حققوها . وفيما يلي توضيح لما أجملناه :

١ - ٤ : النبي والبرية والذرية والخابية :

أولاً - نقل الجوهرى عن سيبويه أن العرب خالفوا نهجهم في هذه الكلمات الأربع ، فخففها المحققون وحققها أهل قريش رغم أنهم من المخففين ولم يحققوا سواها ، جاء في الصحاح : « قال سيبويه : ليس أحد من العرب إلا ويقول : تَنَبَّأَ مسيلمة بالهمز ، غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والخابية ، إلا أهل مكة فإنهم يهزمون هذه الأحرف ولا يهزمون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك »^(٢) .

ثانياً - ذكر ابن السكيت أن يونس قال بمثل قال هذا الرأى^(٣)

مناقشة ما نسب إلى سيبويه ويونس :

(١) ما نسب إلى سيبويه :

إذا ما رجعنا إلى « الكتاب » ، نجد سيبويه يقول : « وقالوا نبي وبرية فألزمها أهل التحقيق البدل . وليس كل شيء نحوهما يُفعل به ذا ، إنما يؤخذ بالسمع . وقد بلغنا

(١) مميزات لغات العرب ٢٦

(٢) الصحاح (نبا) ٧٤/١ ؛ ٨٥

(٣) إصلاح المنطق ١٧٩

أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة ، وذلك قليل ردىء»^(١) ، فسيبويه لم يذكر سوى نبيء وبريئة ، ولكنه لم يمنع ورود غيرهما . ونلاحظ أيضا أنه لم يخصص نسبتها إلى أهل مكة ، بل إلى قوم من أهل الحجاز من أهل التحقيق . ولعل إسناد الجوهري الكلمات الأربع وعزوه همزها إلى أهل مكة لاختلاط كلام كل من سيبويه ويونس عليه .

ويفهم من كلام سيبويه أن أهل الحجاز منهم أهل تحقيق وأهل تخفيف ، وأن الذين كانوا ينبرون الكلمتين (نبي وبرية) من أهل التحقيق . وهذا الذي نستنتجه يتفق وقول سيبويه في موضع آخر « واعلم أن الهمزة التي يحقق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز وتجعل في لغة أهل التخفيف ... »^(٢)

وإذا رجعنا إلى النص الذي سبق أن نقلناه عن أبي زيد ، وهو « أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدنية لا ينبرون ... » نجد أنه بعد أن ذكر الحجازيين بصفة عامة خصص هذيلًا وأهل مكة وأهل المدينة وهذا يعني أن المتحدثين من أهل الحجاز من غير هؤلاء الثلاثة ، وهذا يعني بالتالي أن أهل مكة لم يكونوا ينبرون هذين اللفظين .

(ب) ما نسب إلى يونس :

إذا ذكر ابن السكيت أن يونس قال إن أهل مكة كانوا ينبرون الألفاظ الأربعة^(٣) لكننا نجد إلى جانب ذلك ابن سيده يعزو إلى يونس كلمتين فقط . هما اللتان ذكرهما سيبويه ، وهما النبيء والبريئة . جاء في المخصص . « قال أبو عبيد : قال يونس : أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يهزون النبيء والبريئة وذلك قليل في الكلام »^(٤) وليس بين أيدينا أثر ليونس يمكن أن يهدينا إلى حقيقة نصه كما أرشدنا كتاب سيبويه إلى تصوير ما نسب إليه .

(١) الكتاب ٥٥٥/٣

(٢) الكتاب ٥٥٣/٣ ، ٥٥٤ والنعم في المخصص ١٤/١٣ دون إشارة إلى سيبويه .

(٣) إصلاح المنطق ١٧٩

(٤) المخصص ٨/١٤ .

وعلى كل فنحن نخلص من كل ما سبق إلى أن سيبويه وأستاذه يونس اتفقا على أن اللفظين « نبي وبرية » خففهما أهل التحقيق وهذا يعني أن ذلك كان نهج بني تميم ، وحققهما بعض الحجازيين ونسب يونس ذلك إلى أهل مكة ، ونسبه سيبويه إلى محققين ممن كانوا يقيمون بالحجاز دون أن يحدداهم . وإن اقتصر سيبويه في كتابه على اللفظين نبي ، وبرية ، ونقل أبي عبيد عن يونس هذين اللفظين فقط ، ليجعلنا نميل إلى أن هذين اللفظين فقط دون سواهما هما اللذان وردا بالهمز . ويرجح هذا الميل أن ثلاثا من هذه الكلمات الأربع وردت في القرآن الكريم وهي : نبي ، وبرية ، وذرية . ووجدنا نافعا يقرأ النبي وبابه : (أي. نبي والنبوة والأنبياء والنبيون والنبیین) حيث وقع في القرآن بالهمز^(١) ، ووجدناه أيضا ويشاركه ابن ذكوان يقرأ البرية بالهمز في الموضعين اللذين وردا في سورة البيئة^(٢) في قوله تعالى : (أولئك هم شر البرية . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)^(٣) . وابن ذكوان أحد روايي ابن عامر^(٤)

أما الكلمة الثالثة وهي « ذرية » فعلى الرغم من ورودها - مفردة أو مضافة إلى ضمير الاثنين وثلاثين مرة^(٥) ، فإنها لم تقرأ - فيما أعلم - مهموزة .

واني لا أميل إلى أن ما نسب إلى يونس من عزوه همز الألفاظ الأربعة - كما في رواية - أو اللفظين - كما في رواية أخرى - إلى أهل مكة ، وذلك لأن إحدى هذه الألفاظ وهي « نبي » خاطب بها أعرابي النبي - صلى الله عليه وسلم - مهموزة فانكر ذلك ، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : « جاء أعرابي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا نبي الله ، فقال : لست نبي الله ، ولكنني نبي الله » (أخرجه الحاكم وصححه)^(٦) . فتحدد أبي ذر لمخاطب الرسول بأنه أعرابي تصريح بأنه ليس من أهل مكة ، لأن الأعرابي ساكن

(١) التيسير ٧٣ ، وإتحاف ٥٨ ، ١٣٨

(٢) الآيتان ٦ ، ٧

(٣) إتحاف ٥٩ ، ٤٤٢

(٤) المرجع السابق ٧

(٥) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٧٠

(٦) إتحاف ٥٨ ، وهو محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري ، ويعرف أيضا بابن البيع . توفي سنة ٤٠٥ هـ .

البادية^(١) . وقد ورد هذا الحديث برواية أخرى : جاء فيها « ... فقال - أى النبي صلى الله عليه وسلم - إنا معشر قريش لأننبر^(٢) » ويعنى ذلك أن قريشاً لاتهمز هذا اللفظ ولا غيره وهذا يتفق وما رأيناه من أن المراد بمن كانوا ينبرون هذه الألفاظ هم محققون من سكان الحجاز من غير أهل مكة والمدينة وهذيل . وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام لا يتعارض وقراءة نافع للفظ بالهمز ، لأنه يقصد أن كلمة «نبي» لشيوعها بدون همز أفصح من «نبي»^(٣) . وعلى كل فسواء أكان أهل مكة نطقوا بالكلمتين الأخيرين (الخابئة والذريئة) مهموزتين وفق إحدى الروايتين المعزوتين إلى يونس أو لم ينطقوهما وفق الرواية الأخرى ، أم نطق هذه الكلمات غيرهم من العرب ، فإن الذى نسب إلى عامة العرب ومنهم تميم التخفيف ، وهذا هو الذى يعنيننا .

نظرة تاريخية الى الصيغ التميمية :

يذكر ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) هذه الكلمات الأربع تحت عنوان « وما تركت العرب همزه وأصله الهمز^(٤) » ، ومعنى هذا أن الصيغ التميمية هي المتطورة وغيرها هي الأصلية . ولكننا نجده فيما يخص كلمة « برية » يذكر أمها من برأ الله الخلق ، أى خلقهم^(٥) . وينقل عن الفراء (ت ٢٠٧ هـ) بشأن هذا اللفظ (برية) وكذلك الفظ « نبي » قوله « فإن أخذت البرية من البرى . وهو التراب ، فأصلها غير الهمز . وكذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - هو من أنبأ عن الله جل وعز فترك همزه . وإن أخذته من النبوة وهو الارتفاع من الأرض ، أى شرف على سائر الناس فأصله غير الهمز^(٦) » .

ونجد كذلك من اللغويين من يقول إن أصل « الذرية » (فُعْلِيَّة) من ذرَّ الله الخلق أى فرقهم^(٧) . هذا إلى جانب من يقول إنها من ذرأ الله الخلق أى خلقهم ، لغة فى ذرا^(٨) أما بالنسبة للخابية فإنهم يرون أنها من خبأ وتركت العرب الهمزة^(٩) .

-
- | | |
|---|--------------------------------------|
| (١) اللسان (عرب) ٧٥/٢ ، ٧٦ | (٢) اللسان (نبر) ٤٠/٧ |
| (٣) انظر : إتحاف ٥٨ (تعليق أبي عبيد على الحديث) . | (٥) المرجع السابق ١٧٩ |
| (٤) إصلاح المنطق ١٧٨ | (٧) اللسان (ذرر) ٣٩١/٥ |
| (٦) المرجع السابق . | (٩) اللسان (خبأ) ٥٥/١ ، (خبأ) ٢٤٤/١٨ |
| (٨) اللسان (ذرا) ٣١٢/١٨ | |

ونستخلص من كل ما سبق حداثة الخابية ، والتردد في أصالة الكلمات الأخرى (نبي وبرية وذرية) مهموزة أو غير مهموزة .

ولكن فيما يخص الكلمتين « نبي » وبرية (بمعنى الخلق) يرى جفرى Jeffery أنهما دخيلتان من اللغات السامية الشمالية وأنهما دخلتا من الآرامية^(١) ، ويعقب « رابين » على ذلك باحتمال وصولهما العربية في صورتها الآرامية بدون همزة^(٢) .

وإذا صح هذا فإنه يعني أن الصيغتين التميميتين أقدم من الصيغتين الأخريين وأن الهمز ناشئ .

٥ - ذوى :

ذكر الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) أن أهل نجد - وتميم منهم - يقولون : ذوى البقل ، والحجازيون يقولون ذأى^(٣) بمعنى ذبل .

وأرى أن الصيغة النجدية هي القدي والحجازية هي المتطورة عنها ، وأنهم نطقوها مه وزة مبالغة في التفاسيح والحذقة في بادئ الأمر . ودليلنا على هذا :

١ - إذا رجعنا إلى المادتين « ذوى » و « ذأى » وجدنا لكل منهما معنى عاماً يختص بها ، فذرى « ذأى » تدل على ضرب من السير^(٤) أما « ذوى » فتدل على يبس وجفوف^(٥) .

٢ - إن التخفيف من « ذأى » إلى « ذوى » لا يسير وفق النهج العام للعرب في تخفيف المهموز إلا إذا كان شاذاً ؛ لأن تخفيف مثل هذه الهمزة وهي المفتوحة المسبوقة

The foreign vocabulary p. 276, 277.

Ancient West - Arabian p. 133.

(٣) الأمالى للقال ١٨٦/٢ - ٢١٥/١

(٤) مقاييس اللغة (ذأى) ٣٦٩/٢

(٥) المرجع السابق (ذوى) ٣٦٣/٢

بفتحة يكون بقلبها همزة بين بين^(١) . وعلى العكس من ذلك فإنه إذا كان الأصل « ذوى » فيمكن أن يتطور إلى « ذأى » وذلك لأن الواو تسقط وتبقى « كـ » كتها . ولما كانت الحركة لا تقوم بمفردها فحدث قفل مقطعي وهو ما عبر عنه بالهمزة .

٦ - عَظَايَة :

عَظَايَة عند تميم في مقابل عَظَاة عند أهل العالية^(٢) . وهى سَامَ أَبْرَصَ أو على خِلْقَتِهَا أَعْيَظَمَ مِنْهَا شَيْئاً^(٣) . وإذا بحثنا عن مادة (عَظَا) في « لسان العرب » و « تاج العروس » باعتبارهما أكبر معجمين ، فلا نجد لها ذكرا ، لكن إذا اتجهنا إلى مادة (عظى) وجدنا أن أصل اللفظ يائى ، وأن عَظَاهُ بمعنى ساءه ، وأَسْخَطَهُ واغْتَالَهُ فسقاه ما يقتله^(٤) . يضاف إلى ذلك أن هذه الكلمة شأنها شأن سابقتها (ذأى) ، إذ يمكن إبدال « عَظَاة » من « عَظَايَة » لا العكس . الصيغة التميمية إذن هى القدى وأن أهل العالية قلبوا الياء همزة على سبيل التفاصح .

وبعد : فهذه ستة ألفاظ همزت عند غير التميميين وخففت عند التميميين ، وبتحليلها تبين لنا :

١ - أن اثنين منها (ذوى وعَظَايَة) أصلهما غير مهموزين وهمزهما غير التميميين على سبيل التفاصح .

٢ - وأن اثنين منها يظن أنهما دخيلان بدون همز (نبي ، وبرىة) فعاملهما التميميون كنطقهما عند قومهما وتوهم من همزهما - من غير تميم - أن الأصل فيهما الهمز فهمزوهما .

(١) انظر : الكتاب ٥٤١/٣ ، ٥٤٢

(٢) المخصص ١٠٠/٨ والمصباح المنير ٤١٧

(٣) اللسان (عظى) ٣٠٢/١٩

(٤) اللسان (عظى) ٣٠٣/١٩ والتاج (عظى) ٢٤٧/١٠

٣ - وبالنسبة لكلمة « الخابية » فالهمزة هي الأصل . ولعل سبب التخفيف أن العرب كانت تطلق « الخابية » على النار التي نحمد لهبها ، وفعلها « خبا » بمعنى سكن^(١) . فاستعير هذا اللفظ للدلالة الأخرى المهموزة .

٤ - وأما كلمة « الذرية » فالوهن يدخل في نسبة همزها ، وقد لا حظنا من قبل أن الألفاظ الثلاثة التي وردت في القرآن الكريم ، لم يقرأ أحدها وهو هذا اللفظ إلا بالتميمية .

التطور في بعض تصاريف « واى » :

تعددت مناهج العرب بشأن تصريف الفعل « رأى » (إذا كان بالعين وليس بمعنى العلم) في الماضى والمضارع والأمر بصوره المختلفة المجردة والمزيدة ، ويعنيها منها ما يتصل بتميم ، وفيما يلي عرض لذلك :

١ - الماضى : حققه جميع العرب ومنهم الحجازيون الذين كان نهجهم التخفيف ، ولم يخففه إلا بعض العرب وكانوا قليلا ، جاء فى المحكم : « قال اللحياني : قال الكسائي : اجتمعت العرب على همز ما كان من رأيت واسترأيت وارتأيت من رؤية العين . وبعضهم يترك الهمز ، وهو قليل »^(٢) ولم أر من اللغويين من حدد هؤلاء الذين تركوا الهمز .

٢ - المضارع : ترك جميع العرب همزه - ونههم تميم - فقالوا : يَرى وترى وأرى ... عدا تميم الرباب فكانوا يهمزون^(٣) ويقولون مثلا : هو يراى ، ونحن نراى . وأما ما نقله أبو حيان عن كتاب « اللوامح »^(٤) من أن تميم كانت تهمز وتقول مثلا ترأى^(٥) فمرجع ذلك أن تميم اشتهرت بتحقيق الهمز . ولما كان لهذا الفعل صفة خاصة كانت مجهولة عند من نسبته ، ظن أن شأنه شأن غيره من كلمات مهموزة فنسب الهمز إلى تميم . وقد يكون وهما

(١) اللسان (خبا) ٢٤٤/١٨

(٢) المحكم ١٤٦/٢٠ أ (خ) والنص دون نسبة للكسائي (باختلاف) فى تهذيب اللغة ٣١٩/١٥

(٣) المحكم ١٤٦/٢٠ أ (خ) ، واللسان (رأى) ٤/١٩ ، هـ وليس صحيحا ما ذكره مؤلف « لهجة تميم » أن تميم

الرباب فرع من تميم (ص ١٦٠) ، وإنما هم بنو عمومهم .

(٤) هو كتاب « اللوامح فى شواذ القراءات » لأبى الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازى (انظر : أبو حيان

النحوى للكتورة خديجة الحديث ١٩٦) .

(٥) البحر ٥١٢/٨

منشؤه احتمال تصحيف « تيم » لتكون « تميم » . ونصّ سيبويه على نسبة التخفيف إلى تميم صراحة عند حديثه عما جاء على « فَعَالٍ » علماً لمؤنث ، فقال : « فأما ما كان آخره راء فإن أهل الحجاز وبني تميم فيه متفقون ، ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز كما اتفقوا في يرى ^(١) » .

ولعل في نص سيبويه وموافقة السيرافي ^(٢) له ما يطمئن الدكتور الجندى من أن التميميين لم يكونوا يهزون الفعل المضارع^٣ من رأى ^(٣) .

٣- الأمر : وكان للعرب فيه نهجان :

- (أ) ترك الهمز : وهو نهج الحجازيين ، فكانوا يقولون : ر ذلك للمفرد ، ورئ للمفردة ، ورئاً للمثنى بنوعيه ، ورؤاً لجمع الذكور ، ورئين لجمع الإناث ^(٤) .
- (ب) تحقيق الهمز : وكان نهج بني تميم ^(٥) ، فكانوا يقولون مثلاً : ارأ ، وارأيا .

تعقيب :

إذا كان تحقيق الهمزة يعد مرحلة أقدم من تخفيفها ، فهذا يعني أن هذا الفعل لم يسر على وثيرة واحدة في تطور تصاريفه الثلاث (الماضي والمضارع والأمر) ، وإنما خالف غيره من كلمات تطورت لدى الحجازيين وبقيت محافظة على صورتها القديمة لدى تميم ومن جاورهم . ونلاحظ أنه :

١- بالنسبة لصيغة الماضي ظلت محافظة على الهمز عند العرب حتى عند الحجازيين عدا القليل من العرب الذين أشار إليهم الكسائي دون أن يحدددهم .

٢- في صيغة الأمر : كان تطورها كغيرها من أفعال وأسماء . حافظ التميميون على التحقيق وتطورت عند الحجازيين ، فهي إذن قد قطعت مرحلة أطول من صيغة الماضي .

(١) الكتاب ٢٧٨/٣

(٢) انظر تعليق السيرافي بهامش المرجع السابق .

(٣) انظر : اللهجات العربية ٢٥٥ ، ٢٥٦

(٤) المحكم ١٤٦/٢٠ أ (خ) ، وتهذيب اللغة ٣١٩/١٥

(٥) المرجعان السابقان .

٣- الفعل المضارع : قطع شوطاً كبيراً في تطوره من الماضي والأمر ، فتطور لدى العرب جميعاً حتى التميميين ، ولم يحافظ على نهجه القديم إلا عنده تيم الرباب .

* * *

الهمزتين المجتمعتان :

إذا كان النهج التميمي في الهمزة المفردة واضحاً . فإنه إذا اجتمعت همزتان سواء أكانتا في كلمة واحدة أم في كلمتين متجاورتين . فإن نهجهم غير جلي ؛ لأن العلماء في دراستهم لهذا النوع خلطوا بين المحققين جميعاً . وسندكر فيما يلي مناهج العرب محاولين استخلاص النهج التميمي .

(أ) في كلمة واحدة :

الهمزتان في كلمة واحدة لهما حالات ثلاث . وهي : أن تكون الأولى متحركة والثانية ساكنة . أو العكس ، أو أن تتحركا معا . وفيما يلي بيان ذلك ضاربين صفحاً عن الصيغ الافتراضية التي ذكرها العلماء :

١ - تحرك الأولى وسكون الثانية :

تبدل الثانية حرف مد يجانس ما قبلها ، مثل : آثر ، وأوثر ، وإيثار^(١) وأصلها أأثر . وأؤثر . وإئثار .

٢ - تحرك الثانية وسكون الأولى :

وتكون في الصيغة الموضوعة على التضعيف ، وذلك إذا كانتا في موضع العين ، وعندئذ تدغم الأولى في الثانية مثل سُؤال^(٢) .

٣ - تحرك الهمزتين معا :

وكان لهذا الصنف خمس حالات :

الأولى : قلب الثانية وجوبا ياء أو واوا ، وفي هذه الحالة لا تقع الثانية لاما^(٣) وحينئذ قد تكون مكسورة أو مضمومة أو مفتوحة :

(أ) إن كانت مكسورة قلبت ياء بأي حركة تحركت الأولى مثل أَيْمَة .

(١) شرح الأشموني ٢٩٨/٤ ، وانظر : شرح الشافعية ٥٣/٣

(٢) شرح الأشموني ٢٩٨/٤ ، وانظر شرح الشافعية ٥٥/٣

(٣) تحرك الهمزتين مع كون الثانية لاما ضرب له العلماء أمثلة افتراضية مثل قرأى - على وزن جعفر - من قرأ أ (انظر : شرح الشافعية ٥٦/٣) .

(ب) إن كانت مضمومة جعلت واوا صريحة فمضارع يؤم للمتكلم أوَم ، وأوم ،
وأوم^(١)

(ج) إن كانت مفتوحة :

١- بعد همزة مكسورة قلبت ياء مثل لِيَم (من الفعل أَمَّ) .

٢- بعد الضمة تقلب واوا مثل أَوْبَدِم .

٣- بعد فتحة تقلب واوا عند غير المازني مثل أوَم (من أَمَّ) وعند المازني
أَيَمَّ (بقلب الهمزة ياء)^(٢) .

الثانية تحقيقها مثل أئمة وخطأىء . وقد نقل ذلك أبو زيد عن بعض العرب دون
أن يعددهم^(٣) .

الثالثة - تخفيف الثانية مثل أئمة. وهذا التخفيف شبيه بتخفيف الهمزة المتحركة
المتحرك ما قبلها وهو غير همزة^(٤) .

الرابعة - تحقيقهما وزيادة ألف بينهما ، فيقال أئمة (آئمة)^(٥) .

الخامسة - تحقيق الأولى وتخفيف الثانية وزيادة ألف بينهما مثل أئمة (آئمة)^(٦) .

وقياسا على الهمزتين المتلاصقتين في كلمتين والأولى منهما استفهامية - على
ما سنعرض - نعزو الصنف الرابع إلى تميم والخامس إلى الحجازيين ، وإن كنا نرى احتمال
نطق التميميين لجميع الصور الأخرى بوصفهم من المحققين .

القراءات ومناهج المحققين :

ولقد قرأ القراء هذا النوع وفق المناهج المختلفة التي نسبت للمحققين^(٧) .

(١) المرجع السابق ، ويفترض الأخفش إم للأخير وإن كان الوزن غير مستعمل عند العرب .

(٢) شرح الشافية ٥٥/٣ ، وشرح الأشرفي ٢٩٩/٤

(٣) شرح الشافية ٥٨/٣ (٤) المرجع السابق

(٥) المرجع السابق (٦) المرجع السابق

(٧) انظر : القراءات الخاصة بكلمة « أئمة » في الإنحاف ٢٤٠

(ب) في كلمتين :

عند اجتماع همزتين في كلمتين لا تكون الثانية إلا متحركة لأنها في أول الكلمة :
أما الأولى فهي إما استفهامية وإما غير استفهامية .

أولاً - الأولى استفهامية^(١) : وذلك مثل قوله تعالى (أأندرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون)^(٢)
وقد كان للعرب في هذه الحالة مناهج أربعة^(٣) :

١- تحقيق الأولى وتخفيف الثانية^(٤) - لا^(٥)

٢- تحقيقهما^(٦) .

٣- تحقيقهما وزيادة ألف بينهما^(٧)

٤- تحقيق الأولى وتخفيف الثانية وزيادة ألف بينهما^(٨)

وعزى النهج الثالث إلى بني تميم والرابع إلى الحجازين^(٩) ، أما الأول والثاني فكانا
لمحققين وإن لم يحددوا - فيما أعلم - .

موقف القراءات من نهج المحققين :

إذا اتجهنا إلى القراء الأربعة عشر لنرى موقفهم من قوله تعالى : (أأندرتهم)
كمثال لهمزتين أولاهما استفهامية - وجدناهم يقرعون وفق مناهج المحققين على النحو
التالي .

١- ورش ووريس وابن كثير قرعوا بتحقيق الأولى وتخفيف الثانية .

(١) وقد عد علماء القراءات هذا النوع في الكلمة الواحدة ذات الهمزتين (انظر : السبعة في القراءات ١٣٦ ، والتيسير
٣١ ، وإتحاف ٤٤) .

(٢) البقرة ٦/٢

(٣) المقتضب ٢٩٥/١ والحجة للفارسي ٢١٢/١

(٤) الحجة للفارسي ٢٠٤/١

(٥) الكتاب ٥٥١/٣ ، والمقتضب ٢٩٩/١ ، والحجة ٢٠٨/١

(٦) الحجة ٢١٢/١

(٧) الكتاب ٥٥١/٣ ، وشرح المفصل ١١٨/٩ - ١٢٠ (وفيه عرض للمناهج الأربعة) .

٢- ابن ذَكْوَان وهشام : وعاصم وحمزة والكسائي وروح وخلف والحسن والأعمش حققوهما .

٣- هشام قرأ بتحقيقهما وزيادة ألف بينهما^(١) وهو النهج الذي عزي إلى التميميين .

(ب) الأولى غير استفهامية :

والأولى إما متحركة أو ساكنة . أما الثانية فكما قلنا لا تكون إلا متحركة .

أولاً : الهمزتان متحركتان : وذلك نحو قوله تعالى : (فقد جاء أشراطها)^(٢) وكانت مناهج العرب على النحو التالي :

١- الحجازيون كانوا يخففون الهمزتين^(٣) .

٢- وغير الحجازيين ساد بينهم :

(أ) تحقيق الأولى وتخفيف الثانية .

(ب) تحقيق الثانية وتخفيف الأولى^(٤) .

(ج) تحقيقهما جميعاً ، يقول الرماني (٣٨٤ هـ) : « وهو مذهب كثير من بني تميم وقرأ بذلك القراء وثبت من أوكد الوجوه التي تثبت بها الأخبار الصحيحة »^(٥) .

(د) حذف أولى المتفتحتين كما في (جاء أشراطها) .

(هـ) قلب أولى المتفتحتين حرف مد صريح^(٦) .

وبكل هذه المناهج التي عزيت إلى المحققين قرأ القراء^(٧) .

(١) إتحاف ١٢٨ وفيما يلي تعريف بورش وهشام :

(أ) عثمان بن سعيد المصري الملقب ببورش أحد راويي فافع . توفي بمصر سنة ١٩٧ هـ (التيسير ٤) .

(ب) هشام بن حمار الدمشقي ، أحد راويي ابن عامر . وتوفي بدمشق ٢٤٥ هـ (التيسير ٦) .

(٢) محمد ١٨/٤٧

(٣) الكتاب ٥٥٠/٣ وشرحه للرماني ١٣١/أ ، وشرح الشافعية ٦٦/٣ ، وشرح المفصل ١١٩/٩

(٤) الكتاب ٥٤٩/٣ ، وشرح المفصل ١١٨/٩

(٥) شرح الكتاب للرماني ١٣١ / أ

(٦) شرح الشافعية ٦٥/٣ ، ٦٦

(٧) راجع : إتحاف ٥١ - ٥٣

ثانيا : سكون الأولى وتحرك الثانية :

وذلك مثل « أقرئ أباك السلام » وكان نهج العرب في نطقهما على النحو التالى :

١- خففهما الحجازيون ، فقالوا « أقرئ بأك السلام » .

٢- غير الحجازيين كانوا طوائف أربع :

(أ) تحقيق الأولى ونقل حركة الثانية المخففة اليها ، فيقال : أقرئ بأك .

(ب) تحقيق الثانية وحدها وقلب الأولى المخففة حرف مد وفق نطق الحرف السابق ،

فيقال : أقرى أباك .

(ج) تحقيقهما وذلك كما فى الهمزتين المتحركتين .

(د) إدغام الأولى فى الثانية ، فقالوا : أقر أباك^(١)

التفسير الصوتى :

نخلص مما سبق أنه إذا اجتمع فى الكلمة أو فى الكلمتين همزتان متجاورتان :

١- فإن الحجازيين كانوا يخففونهما إذا كانت الأولى ساكنة ، وإذا كانتا متحركتين

حققت الأولى وخففت الثانية وزيد بينهما ألف .

٢- إن المحققين نطقوا بعدة صور ، هى : تحقيقهما أو تحقيق إحداهما وتخفيف

الأخرى ، وزيادة ألف بين المحققتين أو المخففة إحداهما .

٣- إنه لم ينسب إلى التميميين صراحة إلا فى حالة الهمزتين المتحركتين فى كلمتين

وكانت أولاهما همزة استفهام ، وقسنا عليها ما لم تكن الأولى استفهامية . وهذه النسبة

لا تعنى أن التميميين اقتصروا فى نطقهم عليهما ، لأن حالات اجتماع الهمزتين كثيرة ومتنوعة .

ولذا فإننا نرى احتمال نطق التميميين لجميع الصور التى عزيت إلى المحققين ، وأنها

كانت موزعة فى البطون التميمية .

٤- الطرق التى عامل بها المحققون الهمزتين غير تحقيقها - لأن ذلك هو الأصل ،

وكذلك غير إدغام همزة الأولى الساكنة فى المتحركة التى تليها ، وذلك قانون عام فى

جميع الأصوات الصامتة - هى : الحذف ، والإبدال ، والتخفيف ، وتحقيقهما وزيادة ألف

بينهما . وقد لجأ المحققون إلى هذه الطرق الأربع هروبا من توالى الصوتين المتماثلين ،

وهو مما يدخل فى باب التغاير (dissimilation) :

(أ) الحذف :

وهو حذف إحدى الهمزتين ، وقد يحل صوت آخر مكانها .

أولا : الحذف دون إحلال صوت آخر : ونلاحظ الحذف دون إحلال صوت آخر مكانها لدى المحققين الذين تنتمى إليهم تميم في الكلمتين المتجاورتين إذا كانتا متفتقتين كما في قوله تعالى (فقد جاء أشراطها)^(١) و (ومن وراء إسحاق)^(٢) .

ثانيا : الحذف مع إحلال صوت آخر : وقد يكون صوت لين وشبه صوت لين :

١- صوت اللين :

(أ) في الكلمة الواحدة : إذا اشتملت الكلمة على همزتين الأولى متحركة والثانية ساكنة كآمن . والذي حدث هو أن الهمزة الثانية سقطت ومدت حركة الهمزة الأولى ، أي أنه عوض عن الصوت الساقط بطول الحركة . وهذا الصنيع يعد من التماثل الكلي الاتباعي المتصل . وبتعبير آخر تحول التماثل الكلي المنفصل في الكلمة إلى متصل .

(ب) في الكلمتين : وذلك بحذف أولى المتفتقتين ومد حركة الصامت السابق لها ، مثال ذلك (فقد جا أشراطها) .

٢- شبه صوت اللين :

وهو الواو والياء وموضعه هي مواضع الإبدال التي سنتناولها فيما يلي .

(ب) الإبدال :

ويراد به قلب الهمزة ياء أو واو . وإذا نظرنا إلى مخرج الهمزة وهو الحنجرة^(٣) ومخرج كل من الياء والواو وهما وسط الحنك مع الياء وأقصاه مع الواو^(٤) ، نجد ههما متباعدين مما يحول دون التبادل بين الهمزة وإحداهما . وأما تفسير ملاحظناه من قلب الهمزة إلى هذين الصوتين ، فإنه لما اجتمعت همزتان متتاليتان فوفقا لميل العربية إلى التخلص من توالي الأمثال^(٥) ، حذفت الهمزة الثانية وبقيت حركتها :

(٢) هود ٧١/١١

(١) محمد ١٨/٤٧

(٤) الأصوات اللغوية ٤٢

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٧٧

(٥) وذلك على نحو ما نلاحظ في صيغ تفعل و « تفاعل » و « تفعّل » مع ثاء المضارعة إذ يغلب أن يكتفى بإحدى

التائين مثل « تذكرون » في تذكرون » (انظر : التطور اللغوي وقوانينه ١٤٥)

(أ) في حالة الياء :

١- إذا كانت كسرة - وهي في هذه الحالة قد تسبق بكسرة أو ضمة أو فتحة في الكلمة الواحدة أو في الكلمتين بسكون . ولما كان من المتعذر أن ينطق صوت صامت consonant وهو الهمزة وتاليه حركتان (الحركة الخاصة بها وحركة الصوت المحذوف) تولد بين الحركتين صوت يسمى « الانزلاقي » وهو إياء هنا ، فكلمة « أئمة » تطورت على النحو التالي :

أئمة a'immah ← أئمة aimmah بسقوط الهمزة
الثانية وبقاء حركتها - وهذه الحالة هي التي تعرف بهمزة « بين بين » أو التخفيف -
← أئمة ayimmah بحلول الصوت الانزلاقي إياء بدل كسرة الهمزة المحذوفة^(١) .

٢- إذا كانت الهمزة الثانية مفتوحة ، أو مضمومة ، وكانت الأولى السابقة لها مكسورة تتغلب الكسرة على الفتحة والضمة ، ثم تتم العملية التي تحدثنا عنها في الحالة السابقة مثل إيم .

(ب) في حالة الواو :

١- إذا كانت حركة الهمزة الثانية الباقية بعد حذفها ضمة ، وتكون بعد ضمة أو فتحة فيحدث لهما ما حدث مع إياء ، بيد أن الذي تكون هنا هو الصوت الانزلاقي الواو .

٢- إذا كانت الهمزة الثانية مفتوحة والأولى مضمومة ، وهنا يحدث الصوت الانزلاقي الواو .

وقفة :
.....

لقد تبين لنا أن الحركات الثلاث كانت من حيث قوتها عند العرب : الكسرة (وتبعها الكسرة الطويلة وإياء) ، تليها الضمة (وتبعها الضمة الطويلة والواو) ، تليهما الفتحة (وتبعها الفتحة الطويلة) . ولذلك راعى علماء العربية ذلك في الرسم

(١) من حديث شخصي مع الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب .

الإملائي للهمزة المتوسطة . إذ غلبوا الكسرة على كل من الضمة والفتحة ، سواء أكانت حركة للهمزة أم للحرف السابق لها^(١) .

لكن علماء اللغة المحدثين وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس يخالفون ملاحظناه من ترتيب لهذه الحركات من حيث قوتها ، فهي عندهم الضمة فالكسرة فالفتحة^(٢) وبنوا على ذلك ميل لغات البدو إلى الضم مقابل الكسر عند الحضر ، وإن كنا في بحثنا هذا لم نلاحظ بالنسبة لتميم (وهي بدوية) بمقارنتها مع الحجازية رجحان إحدى الكفتين على الأخرى ، بل لاحظنا ميل التميميين إلى شبه صوت اللين الياء في مقابل الواو عند الحجازيين ، كما لاحظنا كسر ما فتحه غيرهم وهذا ما يجعل الميزان الذي وضعه الدكتور أنيس يختل من وجهة نظرنا .

(ج) التخفيف :

ويذكر سيبويه أن المراد به همزة « بين بين »^(٣) وذلك بأن يكون مخرج الهمزة بينها وبين الحرف الذي منه حركتها . فإذا كانت مفتوحة تجعل بين الهمزة والألف وإذا كانت مضمومة تكون بين الهمزة والواو ، وإذا كانت مكسورة تكون بين الهمزة والياء^(٤) ، « أي هي [همزة] ضعيفة ليس لها تمكن المحققة ولا خلوص الحرف الذي منه حركتها »^(٥) .

وقد لاحظنا التخفيف عند المحققين في اجتماع الهمزتين المتحركتين في كلمة واحدة وفي اجتماعهما في كلمتين متلاصقتين :

١- في الكلمة الواحدة : تخفف الثانية إذا كانت متحركة وما قبلها متحركة .

(١) انظر : تاريخ الهمزة وقواعد رسمها في العربية (في الجزء الثالث من كتاب في أصول اللغة) ٢٩١

(٢) في اللهجات العربية ٩٦

(٣) الكتاب ٥٤١/٣

(٤) سر صناعة الإعراب ٥٣/١ ، وهاش الكتاب (عن شرح السيرافي) ٥٤١/٣ والمراد بالألف هنا الفتحة الطويلة .

(٥) سر صناعة الإعراب ٥٥/١ .

٢- في الكلمتين : والأولى ليست استفهامية ، فهما إذن متحركتان وكان . للمحققين طريقان :

(أ) منهم من خفف الأولى وحقق الثانية .

(ب) ومنهم من خفف الثانية وحقق الأولى .

والتفسير الصوتي لهذا التخفيف أو النطق بهمزة بين بين ، أن الهمزة سقطت وبقيت حركتها ولم تتأثر بالحركة السابقة لها تتأثرا يجعلهما يكونان معا شبه صوت لين ، ولم تحذف الحركة مع الهمزة بدليل أن علماء العربية عدوا هذه الهمزة حرفا صامتا له قيمة في الوزن العروضي^(١) .

(د) زيادة ألف بين المحققين :

بقيت حالة للمحققين عزيت إلى تيم صراحة وهي تحقيق الهمزتين وزيادة ألف بينهما . والتميمى هنا تهرب من توالى الأمثال بزيادة هذه الألف وهذا ما لاحظناه في غير المهموز ودرسناه في موضع خاص ألحقناه بالتغاير .

ثانيا : ابدال الهمزة بالواو المكسورة

الواقعة فاء ل « فعال »

عزى إلى تميم أنهم كانوا يقلّبون الواو المكسورة في أول الكلمة التي على وزن «فعال» همزة ، قال الخليل (ت نحو ١٧٥ هـ) : « تقول : وسيد فلان فلانا ، وتوسد هو إذا وضع رأسه على وسادة ، وإن كان من التراب والحجارة ، ولغة تميم إسادة . وكذلك لغتهم »^(١) في كل واو مكسورة في الأدوات على بناء فعال وفعالة^(٢)

ويؤكّد ابن منظور (ت ٧١١ هـ) قول الخليل ، فينقل عن ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) أن « الوقط والوقيط كالرذمة في الجبل يستنقع فيه الماء »^(٣) ويعقب على ذلك بأن لغة تميم في جمعه الإقاط مثل إشاح ، يصيرون كل واو تجيء على هذا المثال ألفا^(٤)

الفاظ على غير « فعال » :

وإذا كانت هذه هي القاعدة عند تميم ، فقد وجدنا بالإضافة إلى ذلك ألفاظا أخرى تعزى إليها ليست على « فعال » ، فقد كانت تقول : آصدت الباب ، بمعنى أطبقت شيئا عليه ، وآكّدت تأكيدا ، أما الحجازيون فكانوا يقولون : وكّدت توكيدا^(٥)

أصل الهمزة في « اكاف » عند تميم :

كان التميميون يقولون الإكاف وينطقه الحجازيون الوكاف ، وهو ما يوضع على ظهر الدابة . ولم يقتصر الأمر على الاسم وإنما تعداه إلى الفعل فنسب إلى تميم « آكف » وإلى الحجاز « أوكف » بمعنى وضع الإكاف على الدابة^(٥)

وكامة « الوكاف » تنطبق عليها الشروط التي حددها الخليل لقلب الواو همزة ، فهي أداة على « فعال » واوها مكسورة . لكن الأمر بالنسبة لهذه الكامة يختلف عن

(١) البارع ١٤٦

(٢) اللسان (وقط) ٣١٢/٩ ، والنص في الحكم (وقط) ٣٢٩/٦

(٣) اللسان (وقط) ٣١٣/٩ (٤) المزهري ٢/٢٧٧

(٥) تهذيب اللغة (وكف) ٣٩٥/١٠ واللسان (أكف) ٣٥١/١٠ ، (وكف) ٢٨١/١١ ، والمزهري ٢/٢٧٧ (والإكاف

وهو موزعة الظاهر ونحوه المعجم الكبير - أكف ١/٣٩١) .

غيرها من كلمات فتحيم لم تقلب الواو همزة وإنما الأصل هو الهمزة وقلبت واوا عند
 الحجازيين . وتتبين أصالة الهمزة من أن الكلمة دخيلة من الآرامية ^(١) $\alpha w k f$ وفي السريانية لغة بكسر الهمزة ^(٢) .

اكاف واللغة المشتركة :

شاعت الصيغة التيممية لهذه الكلمة وهي « إكاف » واستعملتها اللغة المشتركة ،
 فقد روى عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم « ركب حمارا عليه إكاف تحته
 قطيفة فدكّية وأردف ورائه أسامة » ^(٣) .

كما وردت الصيغة نفسها في رجز للعجاج ، وهو قوله :
 * كالكوذن المشدود بالإكاف * ^(٤)

تضاد الخاصية :

إذا كانت تميم قد آثرت الهمزة على الواو سواء أكان ذلك في نوع من الألفاظ مطرد
 قلبت فيه تميم الواو همزة أم كان في ألفاظ أخرى لا تنطبق عليها قاعدة الإطراد أم أنها هي
 التي حافظت على الهمزة وأبدلها غيرهم واوا ، فإننا نرى الأمر على العكس في صيغتي « أرخ »
 و « ورّخ » إذا آثرت تميم الواو على الهمزة ، جاء في « الأزمنة والأمكنة » ، « ورّخت
 تورّخاً لغة بني تميم وأرّخته تأريخاً لغة قيس » ^(٥) .

ونلاحظ أن تميماً احتفظت في هذه الكلمة بالأصل وأن القيسيين هم الذين أبدلوا
 الواو همزة إذ إن كلمة « ورّخ » تدل على معنى القمر أو الشهر في كثير من اللغات
 السامية ^(٦) .

الخلاصة :

نخلص مما تقدم أن تميماً :

١ - قلبت الواو همزة مكسورة في كل ما جاء على « فعال » اسماً لآلة أو أداة إلا في لفظ
 واحد أصله بالهمزة وقلبت عند غيرهم واوا وهو « إكاف » ، فأصبح « وكاف » .

(١) غرائب اللغة العربية ١٧٣ (٢) المعجم الكبير (اكف) ٣٩١/١

(٣) صحيح مسلم ١٤٢٢

(٤) شرح الديوان ١١٢ (الكودن : البغل - اللسان « كدن » ٣٣٦/١٧)

(٥) الأزمنة والأمكنة ٢٦٧/٢ (٦) المعجم الكبير (أرخ) ١٨٧/١

٢- قلبت الهمزة في غير ما سبق وأوًا في كلمات معينة والأمثلة التي عزيت لها كانت الهمزة فيها مفتوحة .

٣- ظهر الطريق المضاد في كلمة « وَرَّخ » فنطقتها تميم بالواو ونطقتها قيس بالهمزة . وقد حافظت تميم على النطق الأصلي .

مشاركة الهذليين التميميين في الخاصية :

عزيت هذه الخاصية التميمية أيضًا إلى هذيل فيذكر أبو حيان أن « ذلك مطرد في لغة هذيل ، يبدلون من الواو المكسورة الواقعة أولًا همزة »^(١) ، كما نسبها إليهم المرادي^(٢) . وعزا ابن دريد إليهم « إشاح »^(٣) و « إسادة »^(٤) مقابل وشاح ووسادة . كما عزيت إليهم كلمة « أقتت » بدلًا من « وقتت » والهمزة في هذه الحالة الأخيرة مضمومة^(٥) . ويتبين من هذا أن قلب الواو المكسورة في أول الهمزة مما جاء على « فِعال » كان مطردًا عندهم كما هو الشأن عند التميميين ، فهم بهذا يتفقون أيضًا مع تميم وإن لم تتفق القبيلتان في الكلمات المفردة . أما ضمها فوجود كلمة منسوبة إليهم من هذا النوع لا يعد دليلًا على اطراده عندهم . وإن اتفقا تميم في خاصية مع قبيلة عربية أخرى ليس غريبًا ولا شاذًا عن سنن اللغات العربية ، فقد شاركت تميم غيرها في خصائص كثيرة مما عرضنا ومنعروض . وقد تناول الدكتور أحمد علم الدين الجندى هذه الخاصية على أنها هذلية^(٦) - وذلك بناء على كلام اللغويين الذين ذكرنا أنهم عزوها لهذيل - فنسب إليهم قلب الواو الأولى همزة في حالتي الكسر والضم وعزز رأيه بوجود الخاصية في بعض أشعار الهذليين .

وليس لنا اعتراض على ما ذهب إليه الدكتور الجندى ، ولكن الاعتراض على نفيه هذه الخاصية عن تميم وإثباتها للهذليين وحدهم ، يقول : « وأرجح أن الذي دفعه [أى ابن منظور] إلى ذلك الرأي هو أن الهمزة من خصائص تميم في الأصل ، وهو كذلك ، إلا أن النصمحي قد اتخذت الهمز شعارًا لها وأصبح الهمز ينتمى إليها أكثر من انتمائه إلى بيئته

(١) البحر ٣٣٢/٥

(٢) حاشية الصبان على الأشرفي ٢٩٦/٤

(٣) جمهرة اللغة ١٦١/٢

(٤) المرجع السابق ٢٦٧/٢

(٥) مقدمة كتاب « المباني » (ضمن : مقدمتان في علوم القرآن) ٢٢٣ - مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٤ . والكلمة ساقطة من طبعة الخانجي (١٩٧٢م) .

(٦) في بحثه المقدم - ضمن أعمال لجنة اللهجات - إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الجلسة الثالثة للدورة الثامنة والأربعين (في ١٩٨٢/٢/٢٤) بعنوان « من الخصائص اللغوية لقبيلة هذيل القديمة » .

تيم . ولهذا أرى أن هذيلًا وهي التي تسهل الهمز شعرت بالنقص لهذا فحققوا هذه الصيغ بالشروط التي أشرنا إليها كرد فعل لإحساسهم بشعورهم بالنقص في الظاهرة العامة عندهم وهي تسهيل الهمز .

وابن منظور لم ينفرد بنسبة هذه الظاهرة إلى تيم وإنما عزاها إليهم الخليل بن أحمد ، وعنه نقل القالي . وإذا كانت هذيل قد قلبت الواو همزة ، فلم يكن ذلك لشعور بالنقص ؛ لأن هذه الهمزة تقع في أول الكلمة ، ويستوى في تحقيقها المحققون والمخففون إذ الجميع متفقون على تحقيقها والأمر كذلك بالنسبة للغات السامية بعد تخفيفها الهمزة . والأمثلة التي ضربها الدكتور الجندی وذكر اللغويون أن ناطقيها ممن لم يكونوا يحققون ^١ورغم ذلك همزوها وهي في الأصل غير مهموزة . وهذه الأمثلة هي : حَلَّتْ السويق ، ورثأت ، زوجى واستلأمت الحجر ، ولَبَّأت بالحج - ليست مهموزة الأول .

أما القول : بأن هذه الخاصية وجدت في شعر هذيل ، فقد وجدت كلمة « إكاف » في رجز لرؤبة . ثم إن عدم وجود الخاصية في الشعر ليس دليلاً على عدم وجودها في لغة أولئك الشعراء ؛ لأن الشعراء كانوا في الغالب يترفعون عن ذكر خصائصهم اللغوية . ذلك إلى أننا لم ننفيها عن الهذليين .

والخلاصة أننا لا نستطيع أن ننفي نسبة هذه الخاصية إلى أي من القبيلتين ؛ لأننا نحتكم إلى نصوص للغويين ، ومن الصعب ترجيح ما ينسب إلى قبيلة على ما ينسب إلى أخرى . اللهم إلا إذا قلنا : إن هناك تصحيحاً ، وهو ما نراه بعيداً بين كلمتي « تيم » و « هذيل » .

تفسير الظاهرة :

مخرج الهمزة - كما سبق أن تبين لنا - من الحنجرة ، والواو مما بين أقصى اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى ، فهما متباعدان ولا توجد علاقة صوتية تجعلها يتبادلان . أما تفسير ذلك فهو أن التميمي توهم أن الواو أصلها همزة وأن غيره نطقها من باب التخفيف ، فنطقها هو همزة . وصنيعه هذا يعلل من باب الحذقة . .

ثالثاً : نبر الهمز (*)

جاء في الدرر اللوامع : « ربما فر من التقاء الساكنين في المتصل بإبدال همزة مفتوحة من الألف . . . والفارُّ من ذلك عكُل وتميم ، تجعل همزة مفتوحة بدل الألف ، نحو قول هؤلاء : الفارُّ ، من دابةً ، وشابةً ، وقرئ في الشواذ ولا الضالِّين ^(١) » .

هذا النص يبين لنا أنَّ التميميين - وشاركهم العُكَّليون ، وهم بنو عمومة تميم - لم يكتفوا بالمحافظة على تحقيق الهمز ، وإنما همزوا صوت اللين الألف (الفتحة الطويلة) ، إذا وليها صوت مضعف وحركوا هذه الهمزة بالفتحة لتتفق مع الألف ، وذلك في حالة الوصل فقط .

موقف القراءات القرآنية :

أولاً : تعدد القراءات الشاذة بالكلمات التي أصابها التهميز ووردت في القرآن الكريم فنرى :

١- أيوب السخيتاني ^(٢) يقرأ : « وَلَا الضَّالِّين » ^(٣) .

٢- الحسن وعمر بن عبيد يقرآن (جَان) ^(٤) « وَالْجَانَّ » ^(٥) بالهمز وتشديد النون ^(٦) .

ثانياً : وتروى لنا قراءات للتهميز في غير الموضع الذي حدده النص وهو التقاء الساكنين ، من ذلك :

(*) «نبر الهمز» مصطلح وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مقابل (accent glottal) (مجموعة المصطلحات العلمية ١٠٤/٩) .

(١) الدرر اللوامع ٢٣٠/٢

(٢) هو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السخيتاني البصري كان ثقة ثبتاً في الحديث . سمع أبا العالية وتوفي سنة ١٣١ هـ (تذكرة الحفاظ ١٢٢/١) .

(٣) المختص ٣٠٥/٢ ، ومختصر في شواذ القرآن ١

(٤) النمل ١٠/٢٧ ، الرحمن ٥٦/٥٥ (٥) الحجر ٢٧/١٥

(٦) المختص ١٣٥/٢ ، ٣٠٥ ومختصر في شواذ القرآن ٧١ ، والقاري الثاني هو : أبو عثمان عمرو بن عبيد البصري . روى عن الحسن البصري وتوفي سنة ١٤٤ هـ (غاية ٦٠٢/١) .

١- قراءة قُنْبُل (عَنْ سَاقِيهَا)^(١) و (بِالسُّوقِ)^(٢) و (عَلَى سُوقِهِ)^(٣) بالهمز في الكلمات الثلاث^(٤).

٢- قراءة ابن كثير (ضِئْزَى)^(٥) في قوله تعالى : (تِلْكَ إِذْ نَ قِسْمَةُ ضِئْزَى)^(٦).

ومن هذا يتبين أن التهميز لم يكن خاصاً بألف المد وحدها ، ولا بحالة الوقف فقط ، وإنما بكل أصوات المد دون التقيد بأن يليها صوتان من جنس واحد أولهما ساكن ، وأرجح أن هذا التهميز كان نهج تميم في هذه الكلمات وفي كلمات أخرى غيرها ، بدليل ما نسب للعجاج وهو تميمي من أنه كان يقول : العَالَمُ والخَاتَمُ في العالم والخاتم^(٧).

أما سبب اقتصار صاحب الدرر على الحالة التي حددها في النص المنقول عنه فلأن مجال تعليقه كان على التقاء الساكنين في الوصل .

تفسير الظاهرة :

الكلمات التي أصابها التهميز صنفان :

(أ) صنف اشتمل على مقطع طويل مغلق في وسطه . وهذا النوع من المقاطع لا يجوز في العربية إلا في آخر الكلمة في حالة الوقف عليها أو في وسطها بشرط أن يكون التالي له مبتدئاً بصامت يماثل الصامت الذي ختم به^(٨) ، وهو الذي تمثله الكلمات التي أصاب التهميز بعضها مثل « الضَّالَّيْنِ » ، هذا في النشر . أما في الشعر فهذا المقطع لا يجوز إلا في الوقف على القافية . فإذا أراد الشاعر استخدام لفظ يحتوى على هذا المقطع قسمه إلى مقطعين وذلك بهمز صوت اللين^(٩) وهذان المقطعان

(١) النمل ٢٧/٤٤

(٢) سورة ص ٣٨/٣٣

(٣) الفتح ٤٨/٢٩

(٤) التيسير ١٦٨ ، والقارىء : محمد بن عبد الرحمن المكي الخزومي ويلقب قنبلا . أحد راوي ابن كثير . توفي بمكة سنة ٢٨٠ هـ (التيسير ٤ وانظر : تبصير المنتبه ١١٣٩) .

(٥) التيسير ٢٠٤

(٦) النجم ٥٣/٢٢

(٧) البحر ٦/١٦٣

(٨) فصول في فقه العربية ١٩٤ ، ١٩٥

(٩) المرجع السابق ١٩٥ ، ١٩٦

الجديدان أولهما قصير مفتوح ، وثانيهما قصير مغلق ف « ضَالٌ » في « الضَّالِّينَ »
تصير : ضَ (مقطع قصير مفتوح) + أَلْ (مقطع قصير مغلق) .

ثم انتقلت بعض هذه الصيغ من الشعر إلى النثر .

(ب) والصنف الآخر وهو الذى لا يحتوى على المقطع الطويل المغلق فى وسطه مثل
« سَوَّاقٌ » فقد همز من باب الحذقة .

الصيغ التمييزية من كلا الصنفين تعد إذن من الوجهة التاريخية أحدث من غير المهموزة .

رابعاً : المقصور والممدود

يعرف النحاة المقصور بأنه الاسم المنتهى بألف لازمة^(١) ، والممدود بأنه الاسم الذي في آخره همزة تلي ألفاً زائدة^(٢) ويشترط أن يكونا معربين . أما عدمهم « هؤلاء » منهما فمن باب التجوز^(٣) .

وقد صادفتنا أربعة ألفاظ وردت مقصورة وممدودة عزيت إحدى الصيغتين منها إلى تميم ، وهى : أولى ، والزنا ، والشرا ، وماه . فإلى أى منهما مالت تميم ؟ لنتناول كل كلمة على حدة ثم نعلق عليها جميعاً بصفة عامة .

١ - أولى :

هذا الاسم يقابله في العبرية وآرامية العهد القديم *ʿellē* و *ʿel* وفي الحبشية في المذكر *ellā* وفي المؤنث *ellā*^(٤) .

ونحن هنا أمام أحد أمرين :

١- إما أن هاتين اللغتين الساميتين قد حافظتا على الأصل وهو عدم الهمز ، وأن الحجازية هى التى زادت عليها الهمزة كما زادت في كلمات خالفت فيها المجموعة الشرقية مثل نبيء .

٢- وإما أن الأصل هو الهمز وحذف من اللغات السامية شأن كل مهجوز ، وهذا يعنى أن الحجازية هى التى حافظت على الأصل في هذه الكلمة وأن التطور تميمي .

وقد ذكر ابن منظور ثلاث صيغ لكلمتنا هذه :

(أ) هؤلاء : ممدودة منونة ونسبت لبني عُقَيْل .

(ب) هؤلاء : ممدودة مبنية على الكسر ونسبت إلى الحجاز .

(ج) هؤلا : مقصورة ونسبت إلى تميم^(٥) .

(٢) المرجع السابق ٤٣٩

(٤) فقه اللغات السامية ٨٩ (الفقرة ١٥٤) .

(١) شرح ابن عقيل ٣٧/٢

(٣) شرح الشافعية ٣٢٦/٢

(٥) اللسان (هذا) ٣٤٠/٢٠ ، ٣٤١

ونجد نسبة الصيغتين الحجازية والتميمية في مصادر عربية كثيرة مثل شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك^(١) وأوضح المسالك^(٢) وشرح شذور الذهب^(٣) وشرح قطر الندي^(٤) لابن هشام ، وجمع الهوامع للسيوطي^(٥) ، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك^(٦) على أن من العلماء من لم يجعل الصيغة الثانية خاصة بتميم ، فقد ذكر الشيخ خالد الأزهرى الصيغتين (الحجازية والتميمية) نقلاً عن الفراء في كتابه « لغات القرآن » ونسب الصيغة المقصورة إلى أهل نجد من بني تميم وقيس وربيعه وأسد^(٧) وعزاها النحاس إلى بعض أسد وقيس بالإضافة إلى تميم^(٨) .

الصيغة التميمية واللغة المشتركة :

اعتدت الفصحى بالصيغة الحجازية ، ورغم ذلك وجدناها تستعمل أحياناً اللغة التميمية ، فنجدها في قول الأعشى (ت سنة ٧ هـ) :

هَوَلَى ثُمَّ هَوَلَى كَلًّا أَعْطَ يَتَّ نِعَالًا مَحْدُوَّةً بِمِثَالٍ^(٩)

٢ - الزَّناء :

استعمل التميميون الصيغة الممدودة (الزَّناء) في مقابل المقصورة (الزَّنا) عند الحجازيين^(١٠) . وقد وردت التميمية في الشعر التميمي ، عند جرير والفرزدق^(١١) ، كما وردت عند شعراء غير تميميين ونجدها في مثل قول النابغة الجعدي^(١٢) .

٣ - الشَّراء :

نسب لأهل نجد القصر في مقابل المد (الشَّراء) إلى تهامة^(١٣) وفي رواية أخرى إلى الحجاز^(١٤) . ونجد كان يقطنها تميميون وغير تميميين .

- | | |
|---|-------------------------|
| (١) شرح ابن عقيل ١٣٣/١ | (٢) ص ٢٥ |
| (٣) ص ١٤٠ | (٤) ٥٦/١ |
| (٥) ٧٥/١ | (٦) ١٢١/١ |
| (٧) شرح التصريح ١٥١ | (٨) إعراب القرآن ١/٨ |
| (٩) ديوان الأعشى الكبير ١١ | |
| (١٠) اللسان (زنا) ٧٩/١٩ (عن الليثاني) ونسب المد في الصعاج (زنى) ٢٣٦٨ لأهل نجد . | |
| (١١) ديوان جرير ٣٠ ، ١٣٤ ، وشرح ديوان الفرزدق ٢٧٣ | (١٢) اللسان (زنا) ٧٩/١٩ |
| (١٣) اللسان (شرا) ١٥٨/١٩ | (١٤) التاج (شرا) ١٩٦/١٠ |

٤ — مائة :

والمقصود بها الركية وقد استعملها التميميون ممدودة (مائة) في مقابل الصيغة المقصورة « مائة » عند بعض العرب الذين لم يحددوا^(١) .

نحن أمام أربع كلمات وردت كل منها بصيغتين : مقصورة وممدودة ، نسب إلى تميم المد في كلمتين منهما هما الزناء ومائة ونسب إلى الحجازيين المد في الاثنین الآخرين (أولاء والشراء) وواحدة منهما (الشراء) عزى إليهم (أي الحجازيين) في رواية روى أخرى إلى تهامة .

الحكم على نهج التميميين ومقارنته بنهج الحجازيين لا يتضح بهذه الكلمات الأربع وحدها .

وإذا كان الدكتوران عبده الراجحي وعلم الدين الجندى يريان أن التميميين ومعهم أسد وقيس وربيعه كانوا يقصرون ، وأن الحجازيين كانوا يمدون :

(١) فإن الدكتور الراجحي بنى رأيه على ما نسبته العلماء للصيغتين : أولى وأولاء^(٢) . وتقعيد قاعدة لا يبنى على كلمة واحدة .

(ب) وإن الدكتور علم الدين الجندى بنى رأيه على :

١ — أولى : ونطق الحجازيين لها ممدودة والتميميين وبني أسد وقيس وربيعه مقصورة^(٣) . وهذا ما سلمنا به من قبل .

٢ — زكريا : ونسب المد والقصر لأهل الحجاز واستنتج أن قبائل شرق الجزيرة كانوا يقصرون معتمدا على نهج قراء الكوفة في قراءة هذه الكلمة^(٤) . لكننا لاحظنا في أكثر من موقف أن القراء لم يكونوا يمثلون لغاتهم ، وهذا أمر توصل إليه من قبل الدكتور الراجحي^(٥) ، ذلك إلى أن التميميين كانوا ينطقونه مشددا ، فيذكر الأنخفش أن هذه الكلمة فيها أربع

(١) اللسان (موه) ٤٤٠/١٧

(٢) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٦٨ وقارن بما ورد بالمرجعين اللذين أشار إليهما وهما البحر المحيط .

(٣) اللهجات العربية في التراث ٤٣٥

وشرح التصريح .

(٥) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٢٠٤

(٤) اللهجات العربية في التراث ٤٣٨

لغات دون عزو إحداها ، وهى : زكرياء (بالمد) وزكريا (بالقصر) ، وزكريّ (بتشديد الياء والصرف) ، وزَكَرٌ^(١) ، فهو علم أعجمى الأصل^(٢) ، من المحتمل أنه من السريانية . **هــ**^(٣) لذا تصصرف فيه العرب كثيراً كشأنهم في المعربات .

سمع الاسم لأول مرة وتصرف فيه كل سامع حسب إدراكه ووعيه وشاعت كل صيغة لدى بيئة كل سامع . وهذا ما نلاحظه فى عصرنا الحاضر لدى العامة بالنسبة للألفاظ الأجنبية التى تذكر لأول مرة ، بل والألفاظ العربية الفصيحة لأن شأنها عندهم شأن المعربات وذلك لجذتها على أسماعهم .

ونسب الفراء الصيغتين الممدودة والمقصورة إلى أهل الحجاز^(٤) . والصيغة المشددة إلى تميم وغيرها ، وقد صرف هذا الاسم بهذه الصيغة رغم أنه أعجمى وفى ذلك يقول النحاس : « ما كان فيه ياء مثل هذا انصرف »^(٥) .

وميل تميم لإعراب هذا الاسم يتفق وما سنذكره فى الباب الخاص بالنحو تحت عنوان « بين الصرف ومنعه » . وميلها إلى التشديد يتفق وما نلاحظه أيضاً من اتجاهها إلى التشديد عند الحديث عن تشديد الأسماء وتخفيفها .

فلا وجه للمقارنة إذن .

٣- المِلْطاء : وهى القشرة الرقيقة التى بين عظم الرأس ولحمه^(٦) ونسبها ممدودة إلى الحجاز اعتماداً على نص ورد بالمصباح^(٧) . وبالرجوع إلى المصباح نجد أنه يعزو القصر إلى غير الحجازيين دون أن يحدد^(٨) . ونجد إلى جانب ذلك من ينسب إلى الحجازيين السّمحاق للدلالة على هذا المعنى^(٩) .

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤

(٢) العرب ١٧١

(٣)

Jeffery foreign vocabulary of the Quran P.151

(٤) لم ينطق كل الحجازيين بالطبع الصيغتين ، وإنما نطق فريق هذه وفريق تلك .

(٥) إعراب القرآن ٢/٣٤

(٦) اللسان (ملط) ٢٨٥/٩

(٧) اللهجات العربية فى التراث ٤٣٨

(٨) المصباح (لطي) ٥٥٤

(٩) اللسان (ملط) ٢٨٥/٩

٤- السداء (البلح) : ونسب المد لأهل المدينة ولم ينسب القصر^(١) .

الكلمات الثلاث السابقة إذن ليس بين صيغتيها تقارن بين الكتلتين الغربية والشرقية (ومنها تميم) .

٥- الشراء : واعتمد على الرواية التي نسبت المد إلى تهامة والقصر لنجد^(٢) .

٦- صدّاء : الواردة في المثل « ماء ولا كصدّاء »^(٣) . وإذا ما رجعنا إلى « لسان العرب » نجد أنه يعزو المثل - عن أبي الهيثم - إلى قَدُور بنت قيس بن خالد الشيباني وكانت زوجة لقيط بن زرارة ، فلما مات تزوجها رجل من قومها ، فقالت هذا المثل عندما طلب منها المقارنة بينه وبين زوجها السابق^(٤) . ولقيط : أحد زوجي القائلة تميمي^(٥) ، وهي وزوجها الآخر شيبانيان . ومعنى ذلك أن الثلاثة لا ينتمون إلى البيئة الحجازية وإنما إلى شرق الجزيرة .

٧- الزناء : وعندما جاء إلى هذه الكلمة وذكر بيتي الفرزدق والجعدى مال إلى أن المد في البيتين للضرورة^(٦) ، لكن الضرورة كان من الممكن قبولها لو لم يكن المدلغة ، ذلك إلى أن مما يعضد ورودها في البيتين على أنها لغة مبيثها ممدودة في بيتين - أشرنا إليهما من قبل - لجريرو وهو تميمي .

نخلص من كل ما سبق أننا لا نسلم للدكتور الجندى إلّا بكلمة واحدة هي « أولاء » التي يمكن أن تقارن بين البيئتين التميمية والحجازية وأن كلاً منهما خالفت نهجها في هذه الكلمة . إذ إن المد يتسق والبيئة التميمية والقصر والبيئة الحجازية ، فالمد ليس سوى تحقيق الهمز والقصر ليس إلّا تخفيفها . ومما يرجح اتجاه التميميين إلى المد :

١- وجود مواضع تميمية ممدودة مثل الأحساء ، وثرمداء والجواء والحناءة وشقراء ، واللّهيماء :

(٢) المرجع السابق .
(٤) اللسان (صدأ) ١٠٤/١

(١) اللهجات العربية في التراث ٤٣٩
(٣) المرجع السابق
(٥) جمهرة أنساب العرب ٢٣٢
(٦) اللهجات العربية في التراث ٤٣٩

(أ) وقد وردت « ثرمداء » في شعر علقمة :

وما أنتَ أم ما ذِكرُها ربِعيَّةٌ يُخطُّ لها من ثرمداء قليب^(١)

كما وردت في قول العجاج :

* بثرمداء جَهْرَةَ الفِضاحِ *^(٢)

(ب) والحناءة : قال عنها الأزهري : « ورأيت في ديارهم [أي بني تميم] ركية تدعى الحناءة وقد وردتها^(٣) » .

(ج) واللُّهيماء : وهو ماء كان ينزله ناس من بني مجاشع^(٤) .

٢- ومن أسماء أعلامهم « حَبْناء » وهو والد الشاعر المغيرة بن حبناء^(٥) .

٣- كان بنو تميم يعبدون صنما اسمه « رُضاء » ذكرناه عند الحديث عن « دياناتهم » قال فيه المستوغر بن أبي ربيعة يوم أن هدمه :

* ولقد شدتُ على رُضاء شدة *^(٦)

وفي رأي أن المد هو الأصل ؛ لأنه عبارة عن همز والقصر فرع منه وأن وجود كلمات مقصورة في البيئة التميمية ليس معناه أنها تقصر الممدود ، بل إنها تطورت عندهم ، ووجود كلمات ممدودة في البيئة الحجازية يعني بقاء محافظتها على الأصل . وفي كل لغة توجد كلمات خارجة عن قاعدتها . ونحن في عاميتنا المصرية رغم أننا لانمد الكلمات بل نقصرها ونبدل الألف المقصورة هاء فنقول : حمرة وخضرة بدلًا من حمراء وخضراء ، ننطق ببعض كلمات ممدودة فنقول : سناء ، شفاء ، وصفاء ، ونجلاء ، وأسماء ، والسبب في نطق هذه الأسماء ممدودة أن أول من سمى بها حديثًا مثقفون فنطقوها كما كانت تنطق في اللغة المشتركة ، ثم تابعهم العامة في نطقها ممدودة .

(١) شرح ديوان علقمة ٢٠

(٢) شرح الديوان ٤٣٩

(٣) تهذيب اللغة ٢٥٢/٥

(٤) معجم ما استعجم ٤/١١٦٤ ، ١١٦٥

(٥) الأغاني ٨١/١٣

ورغم اتجاه تميم إلى المد ، نجد بعض المحققين يحرصون على كتابة بعض أماكنتهم مقصورة رغم كتابتها ممدودة في المخطوطات التي اعتمدوا عليها :

١ - نلاحظ ذلك بالنسبة لكلمة « رُضاء » فقد كتبت مقصورة في كتاب « الأصنام » ويذكر أحمد زكي باشا محقق الكتاب تعليقا على هذا الصنم بعد أن ذكره مقصورا « رُضى » « أن البغدادى جعله ممدودا » كما قال (أى المحقق) « وفي هامش نسختنا (أى المخطوطة) ما نصه : رُضى صوابه رُضاء بلا تنوين ^(١) » .

٢ - ونلاحظ ذلك أيضا عند محقق « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم . فقد جاء فيه وعُصَيْمَةُ بن عاصم بن قيس بن عاصم ، قطعت يده يوم الوقبى ^(٢) . وقد علق المحقق على هذا الموضع بقوله : رسمت فى أ مرة الرقبا ومرة الوقبا وفى سائر النسخ : الوقباء ^(٣) .

(١) الأصنام ٣٠ هامش رقم ٢
(٢) جمهرة أنساب العرب ٢١٦
(٣) المرجع السابق الحاشية رقم ٥

الفصل الثالث

القلب المكاني

نسب إلى تيم عدة ألفاظ خالفت فيها غيرها من اللغات في ترتيب أصوات الكلمة مع احتفاظ الصورتين بدلالة واحدة ، وهذه الألفاظ هي : جبذ ، ورَعَمَلِي ، وصاقِعة ، وطُوْوى (أى أحد) ، وأُطْسَمَّة ، وعثى ، وقرع ، ومَعِيق ، وهَلِيع ، وذلك في مقابل : جذب ، ولعمرى ، وطوئى ، وأسطمة ، وعاث ، ورقع ، وعَمِيق ، وعَلِه . وتسمى هذه الظاهرة بالقلب المكاني ، يقول ابن فارس : « ومن سنن العرب القلب ، وذلك يكون في الكلمة وفي القصة ، كقولهم : جذب وجبذ ، وبكَلَّ ولَبَكَّ^(١) وهو كثير قد صنفه علماء اللغة »^(٢) .

ويرجع وجود القلب إلى صعوبة التتابع الصوتي لمجموعة من المقاطع ، وذلك لعدة أسباب ، منها :

١ - عدم سماع الكلمة بوضوح ، لذا نرى أنه يكثر في البيئات الصحراوية حيث تضطر ظروف حياة ساكنيها إلى المخاطبة من مسافة بعيدة أحيانا .

٢ - أخطاء الأطفال ، فالطفل ينطق بتقديم وتأخير ، ثم لا يجد من يصوب له فينشأ على النطق الجديد ، وقد يقيم هذا الطفل بعد كبره بعيداً عن عشيرته فينشأ أبناؤه على خطأ أبيهم ، ثم تصبح هذه خاصية لهم فينطقون الكلمة بترتيب يختلف عن ترتيب غيرهم . والطفل يخطئ في الترتيب لعدم سماعه الكلمة بوضوح ، أو كما يقول يسبرسن : إن الطفل يصعب على ذاكرته الضعيفة تذكر سلاسل الأصوات مرتبة^(٣) .

والقلب المكاني ليس خاصاً بالعربية دون غيرها ، بل هو ظاهرة في كل الألسنة وإن كان من اللغويين من ينكر وجوده في غيرها ، يقول أحمد فارس الشدياق : « وفي الحقيقة

(١) وهما بمعنى خلط ، انظر : اللسان (بكل) ١٣/٦٦

(٢) الصاحبي ٢٠٢

(٣) مسطرة اللغوى (تصدير العدد ٢٩ من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة) ٩ عن :

Jespersen, Language p. 180. 181.

فإن اللُّغة والقلب والإبدال في العربية غريب جداً لا يعرف في غيرها من اللغات»^(١) ، لكن الواقع يؤيد وجوده ، فمن أمثلته في الفرنسية الكلمة العامية areoplane المقلوبة عن aéroplane (طائرة) ، والكلمة اللاتينية scintilla^(٢) (مثقال ذرة) التي تحولت إلى stincilla ، ثم أصبحت في الفرنسية etncelle . ومن أمثلته في الساميات eifseritū .

و esfentū (كم) في الحبشية ، و simlā و

šalmā (شملة) في العبرية و bēšorā و sēbartū و

(بشارة) في الآرامية و dipšu و dišpu (غسل) في الآشورية^(٣) .

كما نلاحظ القلب داخل فروع الفصيحة اللغوية بالنظر إلى الفصيحة ككل ، فكلمة « ركة » العربية نشأت عن هذا الطريق بدليل أنها في الأكديّة burku وفي العبرية

בֶּרֶק bērek وفي الآرامية כְּהָ burkā وفي

الحبشية berk^(٤) .

ونلاحظ القلب بوضوح في عامياتنا ، فيقال في بعض جهات مصر : برطمان وفي بعضها بطرمان (والكلمة فارسية الأصل تنطق عندهم « مرتبان »^(٥)) ويقال كذلك : أرانب وأنارب ويقال في بعض جهات أسيوط : نعل وينعل ومنعول في مقابل لعن ويلعن وملون . ومن أمثلة ذلك أيضاً كلمة « زجاجة » التي تنطق في صعيد مصر جزازة (كَزازة) ومن العجيب في هذه الكلمة أن أهل الصعيد نطقوا الجيم — بعد أن نقلوا مكانها — كما ينطقها أهل القاهرة . أما أهل القاهرة فينطقونها كما ينطقها أهل الصعيد بعد قلبهم الكاف همزة كما هو شأنهم . وواضح أن الكلمة مرت بمراحل أقدمها نطقها « زجاجة » ثم حدث فيها قلب مكانى على يد من ينطقون الجيم كَمَا كبعض القبائل اليمنية ، ومن هؤلاء انتقلت صورة الكلمة إلى من ينطقون القاف كافاً كأهل الصعيد ، ومنهم انتقلت إلى من ينطقون القاف همزة فقالوا : « أزازة » . ومن أمثلة الكلمات المقلوبة عن الفصحى في المغرب : نول

(١) الجاسوس على القاموس ١٣٦

(٢) Marouzo, Lexique de la Terminologie Linguistique, p. 144.

(٣) لغة اللغات السامية ٨١ (الفقرة ١٤٦) (٤) التطور النحوى ٣٦

(٥) المعجم الوسيط ٤٠/١

(اللون) و سَدَّاج (سجادة)^(١) ، لُغَوَف (الغفوة)^(٢) ، إلى غير ذلك من كلمات كثيرة في مختلف عامياتنا^(٣) .

وقد رأى بعض العلماء كابن جني أن هذا النوع من الكلمات صنفان :

١ - صنف تتصرف صيغته مثل جذب وجبذ ، فكلاهما يأتي منه المضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول . فمثل هذا الصنف تعد كل صيغة منه مستقلة عن أختها ، وليست إحداها مقلوبة عن الأخرى .

٢ - صنف قَصُر أحدهما عن الآخر في تصرفه ولم يساوه فيه ، وحينئذ تعد الصيغة الأوسع تصرفاً أصلاً للأخرى ، وذلك مثل « أُنِي » و « آن » ، فالأولى يأتي منها مصدر هو الإني بخلاف آن التي ليس لها مصدر^(٤) .

وهذا الذي ذهب إليه ابن جني لانوائقه عليه :

١ - لانوائقه في أن الصيغتين إذا تساوتا في التصرف ، فكل منهما أصل وليست إحداها مقلوبة عن الأخرى ، والرأي أن إحداها مقلوبة عن الأخرى وأن ذلك حدث منذ زمن بعيد مما جعل الناطقين بالصيغة الجديدة يتصرفون فيها تصرفاً كاملاً . ومما يؤيد رأينا هذا أننا نجد كل صيغة تنتمي إلى بيئة لا تتكلم الصيغة الأخرى ، كما في جبذ وجذب فتميم تتكلم الأولى دون الثانية ولو كانت كل منهما أصلية لتكلمت بالصيغتين .

٢ - كما أننا لانوائقه فيما يخص الصنف الثاني ، وهو أن الصيغة الأكثر تصرفاً تعد الأصلية والأخرى مقلوبة عنها ؛ لاحتمال أن يكون القلب قد تم منذ أمد بعيد وطغت الصورة الجديدة على القديمة فتناولتها الألسنة بمختلف تصاريدها وهجرت معظم تصارييف الصيغة الأصلية

مناقشة حول الصيغ التميمية :

وإذا عدنا إلى الصيغ التميمية التي عرضناها وجدنا :

(٢) لهجة شمال المغرب ١٠٣

(١) لهجة شمال المغرب ١٠٢

(٤) الخصائص ١/٤٦٧ ، ٤٦٨

(٣) انظر طائفة من هذه الكلمات في : التطور اللغوي ٥٩ ، ٦٠

١ - جَبَد :

نسب إلى تميم جَبَد في مقابل جَذَب في اللغة المشتركة^(١) . وقد أنكر بعض اللغويين كابن السراج^(٢) (ت سنة ٣١٦ هـ) ، وابن جني^(٣) (ت سنة ٣٩٢ هـ) أن تكون إحداهما مقلوبة عن الأخرى ؛ لأن كلا منهما متصرف في نفسها ، فنقول : « جَذَب يجذب جذباً فهو جاذب والمفعول مجذوب ، وجَبَد يَجْبِد فهو جابِد والمفعول مجبوذ »^(٤) . لكن يدحض هذا الرأي - كما سبق أن قلنا - نسبة كل صيغة إلى بيئة معينة ، وأن الصيغة التميمية (جَبَد) هي المستعملة وحدها الآن بالمغرب^(٥) . أما التصرف فلا يدل إلا على أن الكلمة المقلوبة استعملت منذ أمد بعيد . وليس هذا قاصراً على هذه الكلمة .

٢ - رَعَمَلَى :

يذكر اليزيدي (ت سنة ٢٠٢ هـ) أن تيمماً كانت تقول : « رَعَمَلَى » وكان الحجازيون يقولون : « لعمري »^(٦) ، وواضح أن الصيغة التميمية هي المقلوبة لأن اللام للقسم وموضعها في أول الكلمات .

٣ - صاقعة :

عزا المبرد (ت سنة ٢٨٥ هـ) إلى تميم قولهم : « صاقعة وصواقع » مخالفين الحجازيين الذين كانوا يقولون : « صاعقة » و « صواعق » واللغة الأخيرة هي التي شاعت في اللغة المشتركة^(٧) ، وقد ضم النحاس (ت نحو سنة ٢٣٨ هـ) إلى تميم في النطق بالصيغة الخاصة بهم « بعض ربيعة »^(٨) . ولا عجب في ذلك ، فقد تجاوزت بطون من القبيلتين ، بل إننا لنميل إلى أنها لم تتخط تيمماً إلى بعض ربيعة فقط ، وإنما انتقلت إلى قبائل أخرى ، بدليل

(١) تهذيب اللغة (جذب) ١٥/١١ (٢) المصباح (جذب) ٨٩

(٣) الخصائص ٤٦٧/١ (٤) المرجع السابق ٤٦٧/١

(٥) الألفاظ المغربية العامة التي لها أصل فصيح للأستاذ محمد الفاسي ٥٩ .

(٦) المزهر ٢٧٧/٢

(٧) الكامل للمبرد ٢٣٧/٢ ، وانظر : البحر ٨٤/١ ، واللسان (صقع) ٦٨/١٠ ، والتاج (صقع)

٤١٤/٥ (عن الفراء) وقد أشار إلى بني تميم فقط دون الحجازيين .

(٨) إعراب القرآن ٥/ب

أنها تنطق الآن في جبال السراة (المخواة) لدى بني عمر ، وهم فرع من زهران^(١) اليمنى الأصل^(٢) .

ويبدو أن الصيغة الجديدة منهما موغلة في القدم ، بدليل الاتساع في تصريفهما : فاستعمل منهما الفعل ، جاء في الأفعال لابن القرطبية (ت ٣٦٧) « وَحَقَّقَ الْإِنْسَانُ بِمَعْنَى صَبَّحَ لُغَةً تَمِيمٌ »^(٣) . كما استعمل الجمع إلى جانب المفرد ، وهذا ما حدا ببأبي حيان (ت سنة ٥٧٤٥) إلى أن يحكم على أن الصيغتين لم يحدث بينهما قاب ، بل إن كلا منهما تعد أصلاً بذاته^(٤) ، لكن يرد على ذلك نسبة كل صيغة إلى بيئة معينة وعدم نطقها بالصيغة الأخرى . وقد لاحظت ذلك عند أهل المخواة الذين ينتسبون إلى زهران أنهم لا ينطقون إلا بتقديم القاف على العين .

موقف القراءات القرآنية :

لم تهمل القراءات القرآنية لغة تميم في هذه الكافة فينسب إلى الحسن البصري أحد القراء الأربعة بعد العشرة قراءة « الصمواقع » بدلا من « الصمواقع » في قوله تعالى : (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْءِ حَذْرَ الْمَوْتِ)^(٥) ، وقرأ أيضا « الصمواقع » بدلا من « الصباعقة »^(٦) في قوله تعالى : (فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّاعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)^(٧) كما نسب إليه كذلك قراءة « الصاقعة » بدل « الصاعقة » الواردة في قوله تعالى : (فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّاعِقَةَ) في سورة البقرة^(٨) وغيرها من الآيات^(٩) .

موقف الشعر من هذه الكلمة :

ولم يقتصر استعمال الصيغة التميمية على القراءات القرآنية ، بل استعملت أيضا في الشعر ، فقد وجدناها في شعر تميمي وغير تميمي ، فمن ذلك قول جرير وهو تميمي :
أَرَى الشَّيْبَ فِي وَجْهِ الْفَرَزْدَقِ قَدْ عَلَا لَهُازِمَ قِرْدٍ رَنَحَتْهُ الصَّوْاقِعُ^(١٠)

(١) انظر : في سراة غامد وزهران ٢٥٤ ، ٢٥٨

(٢) الأفعال ٢٤٣

(٣) المرجع السابق ٢٠٦

(٤) البحر ٨٤/١ ، ٨٦

(٥) البقرة ١٩/٢ وانظر القراءة منسوبة إلى الحسن في : مختصر في شواذ القرآن ٣ والبحر ٨٦/١ ، والإتحاف

١٣٠ ، والقراءات الشاذة ٢٣

(٦) الذاريات ٤٤/٥١

(٧) إتحاف ٣٩٩

(٨) مختصر في شواذ القرآن ١٤٥

(٩) ٥٥/٢

(١٠) الديوان ٢٩٢ (واللهازم ج لهزمة ، وهي العظم الناقى بالحي تحت الأذن وهما لهزمتان - اللسان « لهزم » ٢١/١٦)

ويقول أبو النجم العجلى (١٣٠ هـ) :

* تَشَقُّقُ الْبَرْقِ عَنِ الصَّوْاقِعِ * ^(١)

وأبو النجم هذامن بنى عجل وهم من بكر ^(٢) ، وبكر من ربيعة ^(٣) التي نسبت إليها
الظاهرة في هذه الكلمة .

ويقول الصلتان العبدى في حكومته بين جرير والفرزدق التميميين :
يُنَاشِدُنِي النَّصْرَ الْفَرَزْدَقُ بعدما أَلَحَّتْ عَلَيْهِ مِنْ جَرِيرِ صَوَاقِعِ ^(٤)

٤- طُوْوى :

طُوْوى وطُوْوى بمعنى أحد ، وقد نسبت الصيغة الأولى إلى تميم والثانية إلى كلاب ^(٥)
ونلاحظ أن العبّاح وهو تميمى لم يستعمل الصيغة التى كانت تنطق بها قبيلاته ،
وإنما استعمل الكلابية وذلك فى قوله :

* وبادة ليس بها طوئى * ^(٦)

٥- أُطْطَمَّة :

يذكر السيرافى أن أُطْطَمَّة الشيء بمعنى معظمه ومجتمعته ^(٧) دون نسبة إلى قوم معينين
وقد ذكرنا عند الحديث عن قلب التاء طاء أن تميمًا كانوا يقولون فى الدلالة على هذا

(١) البحر ٨٤/١ (باختلاف) والرواية المذكورة عن : اللسان (صقع) ٦٨/١٠ والبيت غير منسوب فيه .

(٢) انظر : جبهة أنساب العرب ٣١٢ ، ٣١٤

(٣) المرجع السابق ٤٦٩

(٤) الشعر والشعراء ٤٧٨ ، والشاعر من عبد القيس (المرجع السابق ٤٧٥) .

(٥) اللسان (طآ) ٢٢٦/١٩ (من أبى زيد)

(٦) المرجع السابق

(٧) اللسان (طسم) ٢٥٥/١٥

المعنى أَسْطُمَّةً وَأُضْطُمَّةً وَأُسْتُمَّةً وَأُضْتُمَّةً ، وقد ذكرنا أيضا أن الكلمة معربة عن اللفظ اليوناني stuma (ستوما) ومعنى ذلك أن « أُطُسْمَةً » غير التميمية هي الصيغة المقلوبة عن « أَسْطُمَّة » التي حدث تبادل بينها وبين الصيغ الثلاث الأخرى المنسوبة إلى تميم في صوتي السين والصاد وصوتي التاء والطاء .

٦- عَاثَ :

عَاثَى وعَاثَ بمعنى أَفْسَدَ . وقد نسب اللحياني الصيغة الأولى إلى الحجاز والثانية إلى تميم^(١) . وقد وردت الصيغة الحجازية في القرآن الكريم في قوله تعالى : (وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)^(٢) وقرأ وفق اللغة التميمية ابن مسعود ، فقرأ (وَلَا تَعِيشُوا)^(٣) .

وأرى أن وجود الصيغتين هنا لم يحدث عن طريق القاب المكاني ، وإنما مرده إلى أنهما تكونتا بالتغاير Dissimilation فالصيغتان ترجعان إلى « عَاثَ » ومعناها الكلى « الإفساد »^(٤) ثم تحول أحد صوتي التضعيف (التاء) إلى صوت لين طويل هو الألف ، نطقه التميميون قبل التاء ، وكان عند الحجازيين بعد التاء . واحتفظت الصيغتان الجديدتان بالدلالة القديمة بدليل قراءة الآية الكريمة بهما .

٧ - قَرَعَ :

يذكر الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) أن « تميما تقول : خُفَّانُ مُقَرَّعَانِ ، أى مُثْقَلَانِ ، وَأَقَرَّعْتُ نَعْلِي وَخَفِي إِذَا جَعَلْتُ عَلَيْهِمَا رَقْعَةً كَثِيفَةً »^(٥) وإذا اتجهنا إلى ابن فارس لاهتمامه بتأصيل المواد اللغوية ، نجده يذكر أن معظم مادة (قرع) يدل على ضرب الشيء^(٦) .

-
- (١) اللسان (عي٣) ٤٧٦/٢ ، والتاج (عي٣) ٦٣٤/١
 (٢) البقرة ٦٠/٢ ، والأعراف ٧٤/٧ ، وهود ٨٥/١١ ، والشعراء ١٨٣/٢٦ والمزكيات ٣٦/٢٩
 (٣) مختصر في شواذ القرآن ٦
 (٤) فالعثة : السوسة التي تلحس الصوف ، والعثا : الأفاعي ، ويقال : عثت العنة الصوف والنوب : أكلته
 (انظر : اللسان « عث٣ » ٤٧٢/٢ ، ٤٧٣) .
 (٥) تهذيب اللغة (قرع) ٢٣٣/١ ، واللسان (قرع) ١٤١/١٠
 (٦) مقاييس اللغة (قرع) ٧٢/٥

وإذا بحثنا في هذه المادة بالمعجمات المطولة ، لا نجد صلة بين المعاني الواردة فيها وبين دلالة كلمة الرقعة^(١) ، مما يدل على حداثة الصيغة التميمية .

وإذا كان التميمي استعمال « أقرع » على وزن « أفعل » بمعنى وضع الرقعة ، فإننا لا نجد في مادة (رقع) الفعل على « أفعل » ؛ أي أرقع بدلالة أقرع وإنما نجده على « فَعَلَ » (رَقَعَ)^(٢) . وتفسير ذلك هو ميل التميمي إلى « أفعل » في مقابل « فَعَلَ » عند غيره . - كما سيتضح لنا عند دراسة هذا الموضوع - فهو عندما قلب الفعل قلباً مكانياً راعى نهجه ، فأضاف إليه همزة في أوله .

٨ - مَعِيق :

مَعِيق وَمَعِيق : ونسبت الصيغة الأولى إلى بني تميم^(٣) . أما الثانية فنسبت إلى الحجاز أحياناً^(٤) ، وأحياناً أخرى لم تنسب^(٥) في حين إن الأخرى (التميمية) نسبت مما يدل على أن اللغة المشتركة استعملتها ويؤيد هذا الاشتراك قراءة جمهور القراء بها في قوله تعالى : (يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)^(٦) ، على ما سنوضحه عند الحديث عن موقف القراءات القرآنية . وهاتان الصيغتان (الحجازية والتميمية) شأنهما شأن صاعقة ، وجذب وجذب من حيث التصريف ، قال الأزهري : وتقول العرب : بئر عَمِيقَة وَمَعِيقَة ، وقد أعمقتها وأعمقتها ، وقد عَمَّقت وَمَعَّقت معاقة ، وإِنها لبعيدة العَمَق والمَعَق^(٧) . إلا أننا وجدنا الأزهري ينقل عن العين ، فيقول : « وقال الليث في قوله (من كل فجٍّ عَمِيقٍ) ، ويقال مَعِيق . والعَمِيق أكثر من المَعِيق في الطريق »^(٨) . ولكن ينقض ذلك اقتصار تميم على صيغة واحدة هي « مَعِيق » .

-
- (١) انظر على سبيل المثال : اللسان (قرع) ١٣٤/١٠ - ١٤٢
 (٢) انظر : اللسان (رقع) ٤٩٠/٩ - ٤٩٢ ، وإنما استعمال الفعل « أرقع » لازماً بمعنى جاء برقاعة وحمق (اللسان « رقع » ٤٩١/٩) .
 (٣) تهذيب اللغة ٢٩٠/١ (عن الفراء) ، وانظر : اللسان (عمق) ١٤٢/١٢ ، ١٤٣ ، (معق) ٢٢٢/١٢ ، والتاج (عمق) ٢٤/٧ ، و (معق) ٧١/٧
 (٤) المراجع السابقة .
 (٥) البحر ٣٦٤/٦
 (٦) الحج ٢٧/٢٢
 (٧) التهذيب ٢٩٠/١
 (٨) المرجع السابق ، وانظر : تاج العروس (معق) ٧١/٦ ، ٧٢

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

وردت مادة «عمق» في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة «عميق» في قوله تعالى :
(يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)^(١) وقد قرأها جمهور القراء هكذا بلاغة الحجاز ، أما باللغة
التميمية (مَعِيق) فقد قرأ بها ابن مسعود^(٢) .

موقف الشعر التميمي من هذه الكلمة :

وإذا اتجهنا إلى الشعر وجدنا رؤية التميمي يستعمل الصيغة التميمية في رجزه
أكثر من مرة ، فيقول :

* أَمْسَهُ بَيْنَ الْغَرِيبِ وَالْمَعْقِ *^(٣)

ويقول أيضاً :

* وَإِنْ هَمِي مِنْ بَعْدِ مَعْقٍ مَعْقًا *^(٤)

ويقول كذلك :

* وَإِنْ عَدُوٌّ جُهْدُهُ تَمَعَّقًا *^(٥)

* صُرْنَاهُ بِالْمَكْرُوهِ حَتَّى يَضْمَعًا *^(٥)

٩ - هَلَع :

يذكر السرقسطي (ت بعد ٤٠٠ هـ) أن بني تميم كانوا يقولون هَلَع بمعنى حزن وغيره
كان يقول عليه^(٦) ، ولو تتبعنا المعاني الواردة في المادتين لوجدناه :

(أ) الهَلَع ، ويعنى :

١ - الْجَزَع ، وقيل أسوؤه^(٧) .

٢ - الْجِرْص^(٨) .

(٢) البحر ٢٦٤/٦

(١) الحج ٢٧/٢٢

(٣) الديوان ١٠٧

(٤) الصحاح (معق) ١٥٥٥/٤ واللسان (معق) ٢٢٣/١٢ (٥) الديوان ١١٢ ، والتاج (معق) ٧٢/٧

(٧) اللسان (هلع) ٢٥٣/١٠

(٦) الأفعال ١٧٢/١

(٨) انظر : المرجع السابق ٢٥٤

٣ - الحزن (وهو ما نسب إلى تميم في مقابل عله^(١)) .

٤ - الجوع^(٢) .

٥ - الجبن^(٣) .

٦ - السرعة^(٤) .

(ب) العله ، ويعنى :

١ - خبث النفس^(٥) .

٢ - الشره^(٥) .

٣ - الدهش^(٦) .

٤ - الذهاب والمجىء من الفرع^(٧) .

٥ - الجوع^(٨) .

ووضح أن المعنى الكلى للمادتين هو الفرع الشديد الذى يجعل الإنسان بالتالى حريصاً ، وجباناً ، ويسرع فى الأمر فزعاً ، والجوع قرين الفرع ، قال تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ)^(٩) .

من الصعب إذن الحكم على أى من المادتين بأنها الأصلية ، إلا إذا عددنا اللغة المشتركة هى القدمى لورودها فى قوله تعالى : إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً^(١٠)) وحينئذ نرجح قدم الصيغة التيميمية .

* * *

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق (عله) ١٧/٤١٤ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) المرجع السابق .

(٧) المرجع السابق .

(٨) المرجع السابق .

(٩) البقرة ١٥٥/٢ .

(١٠) المعارج ١٩/٧٠ .

هذه تسعة ألفاظ تغيرت أماكن أصواتها ، ونسبت إحدى صورتها إلى بنى تميم ،
وقد تبين لنا من هذا العرض :

١ - أحد هذه الألفاظ وهو عاث (عند تميم) وعثى فى اللغة المشتركة لا يرجع
تغير أماكن أصواته إلى القلب المكانى وإنما مرد ذلك إلى التغير .

٢ - لم تعد اللغة المشتركة إلا بصيغتين لكلمتين تميميتين ، هما : أُسْطَمَة وهَلَع
فى حين أن الصيغ غير التميمية للكلمات السبع الأخرى هى التى شاعت فى اللغة المشتركة .

٣ - نستطيع أن نحكم بحدثة الصيغة التميمية فى « رَعَمَلَى ومقرعان » وقدم الصيغة
التميمية فى « أُسْطَمَة » لاتفاق نطقها ونطق الكلمة فى لغتها الأصلية .

وإذا وضعنا جانباً عثى وعاث ولم نضع فى الاعتبار وجود الكلمة فى اللغة المشتركة
كميزان لأصالتها يتبقى معنا بعد ذلك خمس كلمات لم نستطع ترجيح أى من صيغتها
تعد القديمة . فإذا ما عللنا ترجيح إحدى الصيغ بنظرية السهولة والتيسير - كما يرى
الدكتور رمضان عبد التواب^(١) - وأخذنا بتفسير المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس من
« أن السر الحقيقى فى معظم أمثلة القلب المكانى يرجع إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل
الصوتية فى كلمات اللغات^(٢) » وهذا يعنى - كما يقول الدكتور أنيس أيضاً - : « أن السلسلة
الجديدة الطارئة أكثر شيوعاً ودوراناً فى الكلام من الأخرى^(٣) » .

ووفقاً لهذا فإذا طبقنا على الكلمات الخمس التى لم نحسم فى أصالة إحدى صيغتها
ما توصل إليه الدكتور على حامى موسى من دراسة إحصائية لجذور معجم « الصحاح »
للجوهرى فى الجدول السابع الخاص بعدد مرات تتابع أى حرفين فى الموقعين الأول
والثانى من الكلمات الثلاثية^(٤) ، والجدول الثامن الخاص بعدد مرات تتابع أى حرفين
فى الموقعين الثانى والثالث من الكلمات الثلاثية^(٥) ، فإننا نجد :

(١) التطور اللغوى ٥٧

(٣) المرجع السابق ١١

(٥) المرجع السابق ٦٧

(٢) مسطرة اللغوى ١٠

(٤) دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح ٦٥

١ - جذب وجبذ :

(أ) جذب :

ج ذ في الأول = ٨ مرات .

ذب في الآخر = ٥ مرات

(ب) جبذ « التميمية » :

ج ب في الأول = ١٢ مرة .

ب ذ في الآخر = ٤ مرات .

٢ - صقق وصقق :

(أ) صقق :

ص ع في الأول = ٨ مرات

ع ق في الآخر = ٨ مرات

(ب) صقق : (التميمية) :

ص ق في الأول = ١٣ مرة

ق ع في الآخر = ١٢ مرة

٣ - طؤوى وطؤئى :

(أ) طاؤ (التميمية) :

ط ء في الأول = ١ مرة واحدة .

ء و في الآخر = ١٥ مرة

(ب) طوأ (الكلابية) :

ط و في الأول = ٩ مرات

وء في الآخر = ١٠ مرات

٤ - عمق ومعق :

(أ) عمق :

ع م في الأول = ١٢ مرة

م ق في الآخر = ١١ مرة

(ب) معق (التميمية) :

م ع في الأول = ١٤ مرة

ع ق في الآخر = ٨ مرات

هـ - هلع وعله :

(أ) هلع (التميمية) :

هـ ل في الأول = ١١ مرة

ل ع في الآخر = ٣ مرات

(ب) عله :

ع ل في الأول = ١٦ مرة

ل هـ في الآخر = ٧ مرات

ومن هذه الإحصائية نستطيع أن نقول إن الصيغ الأكثر شيوعاً - وهي بالتالي يمكن أن نفرض أنها الحديثة والأخرى الأصلية - هي :

جبذ (التميمية) وصقع (التميمية) وطوئى (الكلابية) ، وعله (غير التميمية)
أما عمق ومعق فالإحصائية لا تشير إلى شيوع إحداهما ، بل إنهما يكادان يكونان متساويين .

والخلاصة أننا أمام ثمانى كلمات كل منها ذات صيغتين - أى باستثناء صيغتي عئى
لظروفهما الخاصة - وقد حكمنا بقدم التميمية فى واحدة وهى أسطمة وفرضنا القدم فى
كلمتين وهما طووى وهلع ، وحكمنا بحدثة التميمية فى كلمتين هما : رعملى ومُقرع
وفرضنا بحدثتها فى لفظين هما جبذ وصقع ، ولم نستطع الحكم بقدم أى من معيق وعميق .

ونلاحظ أن ما شاع فى اللغة المشتركة ، سواء أكان متفقاً مع التميمية أم غير متفق
معها يمثل غالباً اللغة التى حكمنا بقدمها . ومعنى هذا كله أن الكلمات التى اختلفت فيها
تميم وغيرها من حيث ترتيب الحروف كانت تميم تحتفظ أحياناً بالأصل ويتم القلب عند
غيرها . وكان الأمر أحياناً أخرى على النقيض ، وأنها عند احتفاظها بالأصل كانت
تشارك اللغة المشتركة .

الفصل الرابع

الوقف

توطئة :

الوقف من سنن العربى فى حديثه فى آخر الجملة ، 'ليدل على' انتهاء معنى معين . وقد يضطر للوقوف قبل انتهاء الكلام لانقطاع النفس ، وكانت أوجه الوقف عنده سبعة :

١- السكون . ٢- الروم^(١) .

٣- الإشمام^(٢) . ٤- الإبدال .

٥- التضعيف (الزيادة) . ٦- الحذف .

٧- النقل^(٣) .

ويختلف نهج العرب فى الوقوف وفق طبيعة آخر الكلمة ، فتختلف طريقتهم مثلا فى الموقوف عليه إذا كان معتلا عنه إذا كان صحيحا . والصحيح الآخر يختلف وفق أنواعه فالمنون لا يتفق وغير المنون ، والمهوز يختلف عن غير المهموز إلى غير ذلك من أنواع مما هو مفصل فى كتب النحو والصرف والقراءات . وفى حديثنا هنا سنقتصر على الأنواع التى خالفت فيها تميم اللغة المشتركة ، وكان لها فيها نظام مميز .

(١) الروم هو الإتيان بالحركة خفية حرصا على بيان ما يحرك به آخرها فى الوصل ، ويدركه الأعمى الصحيح السمع (شرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٧٥) ويكون فى حالتى الرفع والجر إذا كان معربا وحالتى الضم والكسر إذا كان مبنيًا (انظر : التيسير ٥٩) .

(٢) هو استدارة الشفتين فى الوقف بلا صوت للدلالة على أن الاسم مرفوع أو مبنى على الضم لذا لا يدركه إلا المبصر (التيسير ٥٩) .

(٣) شرح الأشموني ٤/ ٢٠٣ ، وانظر تعليق الصبان بالصفحة نفسها . وقد وضع سيبويه رموزا للدلالة على بعض هذه الأوجه التى يصعب تدوينها بالكتابة فوضع للسكون الحاء مثل ، هذا خالده^ح ، وللإشمام نقطة ، مثل هذا خالده^ق ، وللروم

خط بين يدي الحرف مثل يحم^ل ، والتضعيف الشين ، مثل هذا فرج^ش (الكتاب ٤/ ١٦٩ وسقطت «خ» الدالة على السكون) . وقد وضع السيرافى هذه العلامات ، فذكر أن الحاء اختصار لخفيف والشين لشديد والنقطة للإشمام والخط للروم لأنه أقوى من الإشمام (انظر : الكتاب ٤/ ١٦٩ «الحاشية رقم ١») .

١ - الوقف على الهمزة :

انقسم العرب بالنسبة للهمزة إلى فريقين :

- ١- فريق كان يحققها ويحرص على النطق بها ، ومنهم بنو تميم .
- ٢- والآخر لم يكن يحققها ، وهذا مذهب أهل الحجاز .

وقد تناولنا ذلك عند الحديث عن « الهمز والتخفيف » والذي يعنينا هنا هو خروج التميميين من الكلمة المهموزة الآخر في حالة الوقف ، وفي هذه الحالة قد يكون ما قبلها ساكنا ، وقد يكون متحركا .

(١) الهمزة المسبوقة بساكن صحيح :

أولا : عند المتخفين :

حذف الحجازيون الهمزة ، ووقفوا على الحرف السابق لها ، والذي أصبح الأخير بعد حذفها . ووقفوا عليه كما لو كان حقيقة هو الحرف الأخير للكلمة دون نظر إلى صوت الهمزة المحذوف ، فوقفوا عليه بالسكون ، أو بالإشمام أو بالروم أو بالتضعيف ، فكانوا يقولون مثلا : هو الوث^خ ، والوث^ث ، والوث^ش (١) .

ثانيا : عند المحققين :

وهؤلاء المحققون تميميون وغير تميميين ، وكانوا طوائف أربع يمثل التميميون منهم اثنتان وغيرهم من المحققين اثنتان ، وهاتان الأخيرتان هما :

- ١- طائفة تقلب الهمزة في حالة الرفع واوا ساكنة وفي حالة النصب ألفا وفي حالة الجرياء ساكنة ، مثل : هو الوث^و ، ورأيت الوثا ، ومن الوثى^(٢) .

فهؤلاء ينقلون حركة الهمزة إلى حرف علة من جنس حركة الإعراب ويبقون سكون ما قبل الهمزة في حالتي الرفع والجر ، ويضطرون لتحويله فتحة في حالة النصب ليتماثل والألف .

(١) الكتاب ١٧٧/٤ ، وارتشاف الضرب ٨٦/ب ، وشرح الشافية ٣١٣/٢ ، ٣١٤ (والوث : توضع في العظم بنير كسر) .

(٢) الكتاب ١٧٨/٤ ، وشرح الشافية ٣١٢/٢

٢- والطائفة الثانية كانت تنقل حركة الهمزة إلى العين في الأحوال الثلاث مع قلب الهمزة حرف علة مجانس لما قبلها ، فيقولون : هذا البُطُو ، والوُثُو ، والرُّدُو ، ورأيت البُطَا والوُثَا والرُّدَا ، ومررت بالبُطَى والوُثَى ، والرُّدَى^(١) .

أما التميميون فكانوا كما قلنا فريقين حافظ كلاًهما على تحقيق الهمز ولكن تميز كل منهما بنهج خاص :

الأول : كان يلقي على الحرف السابق لها حركتها مع الاحتفاظ بالهمز - كما قلنا - فيقولون مثلاً : هو الوُثُو ومن الوُثَى ، وإنَّ الوُثَا ، وهو البُطُو ومن البُطَى ، وإنَّ البُطَا ، وهو الرُّدُو ، ومن الرُّدَى ، ورأيت الرُّدَا (والأصل الرُّدء ، أى الصاحب) وقد شارك التميميون في هذا المذهب بنو أسد^(٢) .

الثاني : وكان هذا نهج بعض التميميين وكانوا ينطقون كنهج التميميين الآخرين ، إلا إذا جاء الوزن بعد نقل حركة الهمزة إلى الحرف السابق لها على أحد الوزنين : فُعل وفُعل ، ففي هذه الحالة يتبعون العين حركة الفاء فيقولون : هو الرُّدء ومن البُطُو^(٣) وعلل سيبويه عدم استعمال فُعل وفُعل لاستنكار الوزن الأول لأنه ليس في الكلام ، ولأنه ليس في الأسماء فُعل^(٤) .

ونلاحظ أن صنيع هؤلاء التميميين بعد من التماثل الإتياعى الكلى المنفصل .

وكان هؤلاء التميميون المحققون (من الفريقين) يعاملون كل كلمة عند الوقف إما بالسكون وإما بالروم وإما بالإشمام ، فيقولون : هو الخبء ، والخبء ، والخبء^(٥) .

(ب) الهمزة المسبوقة بمتحرك :

أولاً : أهل التخفيف :

قلبوا الهمزة واوا إذا كان ما قبلها ضمة وألفا إذا كان فتحة وياء إذا كان كسرة ، فتمالوا : أكمو ، والخطا ، وأهني في أكمؤ والخطأ ، وأهني ولا يكون فيها إلا الإسكان^(٦)

(١) شرح الشافية ٢ / ٣١٢ (٢) الكتاب ٤ / ١٧٧ ، وارتشاف الضرب ٨٦ / ب

(٣) الكتاب ٤ / ١٧٧ ، ١٧٨ ، وارتشاف الضرب ٨٦ / ب . وشرح التصريح ٢ / ٤٢٨

(٤) الكتاب ٤ / ١٧٧ ، ١٧٨

(٥) شرح الشافية ٢ / ٣١٢ ولم يضعفوا لأنه لا تضعيف مع الهمزة (٦) شرح الشافية ٢ / ٣١٤

ثانيا : أهل التحقيق :

لم يشير النحويون إلى موقف التميميين من هذه الهمزة ، وإنما ذكروا أن المحققين كانوا صنفين :

(أ) صنف حقق الهمزة ووقف عليها كما يوقف على الاسم الصحيح ، فقالوا الرشأ وأكمؤ وأهنئ (وذلك بإسكانها ورومها وإشمامها دون التضعيف والنقل) .

(ب) والآخر عامل المسبوقة بالضممة والكسرة كما عاملها الفريق الأول ، فقال : أكمؤ ، وأهنئ . أما إذا كانت مسبوقة بفتحة فقلب الهمزة المضمومة واوا ساكنة والمفتوحة ألفا والمكسورة ياء - فقال : هذا الكلؤ ، ورأيت الكلأ ، ومررت بالكلئ^(١)

وإذا كان العلماء لم يبينوا لنا نهج التميميين ، فإنه بالقياس على موقفهم من الهمزة المسبوقة بحرف ساكن صحيح نستطيع أن نرجح أنهم ساروا وفق المذهب الأول .

على أنهم إذا كانوا قد اختاروا - أو اختار بعضهم - المذهب الثاني ، فإن الخلاف ليس كبيرا ، إذا هو في نوع واحد من ثلاثة وهو حالة سبق الهمزة بفتحة .

تفسير تحريك ما قبل الهمزة :

وبعد ، فإن تعقيبنا بعد هذا الذي عرضناه هو أن التميميين حافظوا على تحقيق الهمزة سواء أكان ما قبلها ساكنا أم متحركا . وهذا يتفق ونهجهم العام . ثم إن حرصهم على أن يكون ما قبل الهمزة متحركا ، سواء أكان متحركا أصلا أم نقلت حركة الهمزة إليه يرجع إلى محاولتهم إبراز نبر الهمزة ، وذلك بخلاف المخففين ، فقد كانوا ينبرون على المقطع السابق للهمزة^(٢)

٢ - الوقف على ضمير المفرد الغائب :

ويعنينا هنا أن فريقا من تميم - لأنه نص عليهم صراحة - خالفوا القاعدة السابقة ، وذلك إذا كان الوقف على ضمير المفرد الغائب المتصل بكلمة سابقة ، فالقاعدة أن تنقل ضمة الهاء إلى الحرف السابق إذا كان ساكنا ، فيقال : مِنهُ ، ولكن شذ عن هذه القاعدة

(٢) انظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٨٧

(١) شرح الشافية ٢ / ٣١٣

بطن من تميم هم بنو عدى ، فحركوا الحرف السابق للأخير بالكسر ، فقالوا مثلاً :
ضَرَبَتْهُ^(١) ، وهم في صنيعهم هذا لم ينقلوا الحركة الإعرابية ، وسكنوا مع ذلك الحرف
الأخير للوقف ، فالتقى ساكنان فحركوا الأول بالكسر لأنه الأصل في التحريك عند
النقاء الساكنين^(٢) .

واستثناء بنى عدى هنا فيه دلالة ، وهى أن بقية بنى تميم كانوا ينقلون حركة الضمير
إلى الصوت السابق .

٣ - أنا :

نطق العرب الضمير أنا بعدة صيغ ، فقالوا :

١ - أنا باثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل ، وهذه الصيغة^(٣) هى التى شاعت
في اللغة المشتركة .

٢ - أنا بإثبات الألف وصلًا ووقفًا ونسبت إلى تميم .

٣ - هنا .

٤ - أن .

٥ - أن^(٤) .

الضمير فى اللغات السامية :

إذا نظرنا فى اللغات السامية لنعرف مدى اتفاق الصيغة التميمية معها ، نجد هذا
الضمير ينتهى بفتحة طويلة كما فى التميمية وذلك فى الأكديّة والعبريّة والآرامية
- وكذلك فى المصريّة وهى لغة حامية - وينتهى بالفتحة القصيرة - كما هو الشأن
فى الفصحى فى حالة الوصل - فى الحبشية^(٥) ، فهو فى الأكديّة nāku وفى السريانية
enā وفى الآرامية āna ، وفى العبريّة anōhī وفى الحبشية ana^(٥) .

(١) الكتاب ٤ / ١٨٠

(٢) شرح الشافية ٢ / ٢٣٥

(٣) شرح الأشوفى ١ / ١١٤ ، وذكر ابن مالك الصيغ الأربعة الأولى منها (تسهيل ٢٥) ، وعزا ابن منظور
الأخيرة إلى قضاة (اللسان ١٦ / ١٧٩) .

(٤) Rabin, Ancient p. 151

(٥) فقه اللغات السامية ٨٥

وهذا العرض يبين لنا اتفاق اللغة التميمية مع كل اللغات السامية عدا الحبشية .
وهذا يجعلنا نميل إلى أنها القدي وأنها التطور أصاب الحجازية بتقصير بنيتها حالة الوصل .

القراءات القرآنية والصيغة التميمية :

قرأ الجمهور « أنا » بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل - كما هو شأن اللغة المشتركة - وقرأ من القراء الأربعة عشر وفق اللغة التميمية نافع وأبو جعفر إذا تلا الضمير أنا كلمة مبدوءة بهمزة قطع وكانت مضمومة أو مفتوحة مثل قوله تعالى : (أنا أحيى وأميت)^(١) واختلف عن قالون إذا كانت الهمزة مكسورة كقوله تعالى : (إن أنا إلا نذير)^(٢) ^(٣) .

٤ - هذه :

كانت تميم تنطق اسم الإشارة المفرد المؤنث حالة الوقف بسكون الهاء فتقول « هذه » فإذا وصلت نطقته « هذى » بخلاف أهل الحجاز وقيس فكانوا يقولونها بالهاء وقفًا ووصلًا^(٤) .

النهج التميمي في القراءات القرآنية :

قرىء وفق اللهجة التميمية في الشواذ من القراءات ، فنسب إلى ابن كثير في بعض رواياته أنه قرأ « هذى »^(٥) في قوله تعالى : (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ)^(٦) .

الشعر والنهج التميمي :

وردت « هذى » على لسان جرير التميمي في قوله :

هذى الأراملُ قد قُضِيَتْ حاجتها فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر^(٧)

(١) البقرة ٢ / ٢٥٨

(٢) الأعراف ١٨٨ / ١

(٣) إتحاف ١٦١ ، ١٦٢ والقارئ هو : عيسى بن مينا الملقب بقالون أحد راوي نافع . توفي بالمدينة نحو سنة ٢٢٠ هـ (التيسر ٤ ، وغاية النهاية ١ / ٦١٥) .

(٤) الكتاب ٤ / ١٨٢ ، وانظر شرح الشافية ٢ / ٢٨٦

(٥) مختصر في شواذ القرآن ٤

(٦) البقرة ٢ / ٣٥

(٧) أساس البلاغة (رمل) ٣٧٣ ، والبيت ليس بالديوان .

كما وردت في بيت يخاطب قائله تميميا وهو صُدَيُّ بن مالك بن حنظلة^(١) - وقد يكون القائل تميميا أو غير تميمي وراعى اللغة لأن المقام تطلب منه ذلك - في قوله :
فهذى سيوفُ يا صُدَيُّ بن مالك كثيرٌ ولكن أين بالسيفِ ضاربُ^(٢)

ووردت كذلك في شعر لذي الرمة وهو من بنى عمومة تميم في قوله :
فهذى طواها بُعْدُ هذى وهذه طواها لهذى وَخَدُّها وانسلالُها^(٣)

التفسيران الصوتي والتاريخي :

علل سيبويه هذه الظاهرة بقوله : « قول بنى تميم في الوقف هذه ، فإذا وصلوا قالوا . هذى فلانة^(٤) ؛ لأن الياء خفية ، فإذا سكنت عندها كان أخفى ، والكسرة مع الياء أخفى فإذا خفيت الكسرة ازدادت الياء خفاء كما ازدادت الكسرة فأبدلوا مكانها حرفا من موضع أكثر الحروف بها مشابة وتكون الكسرة معه أبين »^(٥) . وإذا ضربنا صفحا عن الهاء البادئة لأنها للتنبيه ، فمعنى ذلك أن سيبويه لاحظ أن « ذى » اسم الإشارة عند تميم في حالة الوصل هي الصيغة القدى وأن « ذه » عندهم في الوقف وعند الحجازيين في الوقف والوصل هي المتطورة عنها والحديثة . وقد أكد ذلك أيضا الفراء فقال « الهاء التي بعد الذال بدل من الياء في هذى »^(٥) .

لكننا إذا اتجهنا إلى الساميات نجد من المقارنة بينها أن أصل هذا الاسم هو « ذ »^(٦) وسنتناول ذلك بالتفصيل عند الحديث عن « ذاك » و « تيك » وقد لاحظ ذلك أيضا الكوفيون من علماء العربية^(٧) .

وتفسير تطور الصيغتين « ذى » و « ذه » عن « ذ » أن التميمي مد كسرة الذال التي ترتبط بالجنس المؤنث فقال « ذى » وعندما أراد أن يقف تحولت مدة الكسرة إلى هاء . وإذا كان هناك تباعد بين مخرجى الصوتين إذ إن مخرج الكسرة الطويلة وسط الحنك^(٨)

(١) انظر نسبة في جمهرة أنساب العرب ٢٢٨ (٢) التذكير والتأنيث لأبي بكر الأنباري ١ / ٢٠٤
(٣) الديوان ٥٢٧ وشرح الديوان ٢ / ٥١٠ (وهذى الأولى يقصد الناقة والثانية الأرض - الوخد والانسلال : ضربان من السير - الديوان ٥٢٧) .
(٤) الكتاب ٤ / ١٨٢
(٥) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ١ / ٢٠٤
(٦) انظر : فقه اللغات السامية ٨٩
(٧) الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٧٨
(٨) المدخل إلى علم اللغة ٩٤

والهاء من أقصى الحلق^(١) أو من الحنجرة وفق تعبير المحدثين^(٢) ، فإن تعليل ذلك أن مد الكسرة يحذف عند الوقف ويمتد النفس مع الكسرة القصيرة فيخيل للسامع أنها تحولت إلى هاء^(٣) .

نخلص مما سبق أن الصيغة التميمية في الوصل تعد المرحلة الثانية لهذا الاسم متطورة عن « ذ » ، وأن صيغة الوقف عندها وهى نفسها صيغة الوصل والوقف عند الحجازيين (ذه) تمثل المرحلة الثالثة .

٥ - حالات أخرى سبقت دراستها :

وهناك حالات أخرى عزى فيها الوقف إلى تميم أو بعضهم ، وسبق أن درسناها في مواضع أخرى ، وهذه الحالات هى :

١ - زيادة سين بعد كاف المؤنث ، مثل : أَكْرُمِكُشْ ، أى أَكْرَمِكِ وهى إحدى صور الكسكسة .

٢ - (أ) قلب كاف المؤنث المخاطب شيئا مثل : فى دارِشْ أى فى دارِكِ .

(ب) إضافة « ش » إلى كاف المؤنث المخاطب ، مثل : داركش بدل دارِكِ .

وهاتان صورتان من صور الكشكشة .

٣ - قلب الياء الأخيرة جيا مثل فُقَيْمِجْ فى فُقَيْمِى .

٦ - نوع نرجح أنه تميمى (الوقف بالتضعيف) :

عزى إلى بنى سعد أنهم كانوا يقفون على المحرك الذى ليس هاء تأنيث بالتضعيف ، نحو هذا خالدش ، وهو يجعلش ، وذلك بشروط خمسة ، هى : ألا يكون الحرف الأخير همزة مثل خطأ ، ولا ياء مثل القاضى ، ولا واوا كيدعو ، ولا ألفا كيخشى ، ولا تاليا لسكون مثل زيْد^(٤) .

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٣ (٢) انظر : الأصوات للدكتور بشر ١٥٨ ، والمدخل إلى علم اللغة ٧٧

(٣) فى اللهجات المربية ١٣٦ ، وانظر تعليل تطور التاء إلى هاء فى الوقف فى : اللغة العبرية ومقارنات باللغات السامية ١٥٥ .

(٤) أوضح المسالك ٢٨٥ ، والتوضيح (ضمن شرح التصريح) : ٢ / ٢٦٦ ، ٢٧٧ .

ولقد اكتفى اللغويون بنسبة هذه اللغة إلى بنى سعد فقالوا « لغة سعدية » ولو رجعنا إلى كتب الأنساب لوجدنا أن بنى سعد عدة بطون ينتمون إلى قبائل شتى مثل سعد بن بكر من هوازن وسعد بن ثعلبة من أسد وسعد بن الحارث من أسد ، لكن المشهور منها غير التميمية ، سعد هوازن وسبق أن أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن نسب القبيلة .

والنفس تميل إلى نسبة هذه الظاهرة إلى سعد التميمية وذلك لأمر عدة :

(أ) أنها تتفق وما سنذكره من ميل تميم إلى التشديد .

(ب) أنها وردت في رجز لرؤية بن العجاج وهو من بنى سعد في قوله :

* لقد خَشِيتُ أَنْ أَرَى جَدًّا *

* فِي عَامِنَا ذَا بَعْدَ مَا أَخْصَبَا *^(١)

وقوله :

* ضَخْمًا يَحِبُّ الْخُلُقَ الْأَضْحَمَّا *^(٢)

(ج) إذا كان للوقوف بالتضعيف شروط خمسة ، فإن اثنين منها يُنْقَلُ التضعيف معهما وهما الوار والياء ، وواحد يتعذر الوقوف عليه وهو الألف . أما الشرطان الآخران وهما الوقوف على الهمزة والاسم المسبوق آخره بسكون فإن لتميم فيهما نهج يختلف عن نهج غيرهم - تناولناه في موضعه - فإذا كان لتميم هذا الاتجاه الخاص بهاتين الحالتين وأنه بقيت بعد ذلك الكلمة حالة الوقف عليها بالتضعيف وصفت بأنها لغة سعدية ، فإننا نرجح أن هذا النوع من الوقف خاص بسعد التميمية .

وإذا ما استفتينا كتب القراءات نجد صاحب إبراز المعاني ينص على أن في الوقف أيضا - لغتان : النقل والتضعيف ، ولم يقرأ بهما أحد إلا قليلا ومثل لحالة النقل فقط^(٣) .

ولقد وجدنا الدكتور إبراهيم أنيس ينسب هذه الظاهرة مرة إلى سعد بن بكر^(٤) وأخرى

(١) الديوان (الملحقات) ١٦٩ ، والكتاب ١٧٠/٤

(٢) الديوان (الملحقات) ١٨٣ ، والكتاب ١٧٠/٤ (وانظر الحاشية) .

(٣) إبراز المعاني ١٩١ (٤) في اللهجات العربية ١٤٧ ، ١٤٨

إلى تميم^(١) . أما الدكتور أحمد علم الدين الجندى فينسبها إلى سعد التميمية^(٢) ، وبني رأيه على قراءة نسبها صاحب التصريح على التوضيح وهي (وكلٌ صغيرٌ وكبيرٌ مستطرٌ)^(٣) لأن عاصما من الكوفة ، والكوفة تأثرت بقبائل شرق الجزيرة فالتضعيف كان إذن في قبائل كتيم وأسد وبكر وغيرها ورجح التميمية لأنها كانت تسكن الأحساء^(٤) .

ومع أنني أوافق على رأيه لكنني بحثت في كتب القراءات كالتيشير وإبراز المعاني والإتحاف فلم أجد عاصما يقرأ بهذه القراءة اللهم إلا إذا كانت قراءة شاذة له ، وإن كنت أيضا لم أجد لها في بعض كتب القراءات الشاذة مثل المحتسب وشواذ القرآن لابن خالويه . وما وجدته منسوباً لعصمة عن أبي بكر عن عاصم هو « وكبيرٌ مستطرٌ »^(٥) . والقراءة (وكلٌ صغيرٌ وكبيرٌ مُستطرٌ) . ونحب أن نقول أيضا إن القراء لم يكونوا يلتزمون في قراءاتهم بلغات البيئات التي عاشوا فيها^(٦) .

ويذكر حنفى ناصف أنه « ليس لهذه الطريقة السعدية أتباع في مصر »^(٧)

وسبب هذه الظاهرة فيما يبدو أن أصحابها كانوا ينبرون نبرا شديدا على آخر الكلمة عند الوقف .

٧ - تنوين الترثم :

كان للعرب في القافية المطلقة ، وهي ذات الروى المفتوح أو المضموم أو المكسور نهجان :

الأول : الانشاد بترثم :

ولم يكن خاصا بقبيلة دون أخرى ، فقد اتفق العرب على مد الصوت المتحرك ، وهو حرف الروى أو ما يماثله في الشطر الأول ، بحيث تصبح الضمة واو مد والفتحة ألف مد والكسرة ياء مد ، أو بتعبير آخر ، بحيث تطوا حركة حرف الروى .

(٢) اللهجات العربية ٣٨١

(١) من أسرار اللغة ٢٣٤

(٣) القمر ٥٤ / ٥٣ ، وانظر هذه القراءة في شرح التصريح ٢ / ٤٢٦

(٤) اللهجات العربية ٣٨١ .

(٥) مختصر في شواذ القرآن ١٤٨ والقارىء هو : أبو نجيح عصمة بن عروة الفقيمي البصري روى القراءة عن أبي عمرو

وعاصم (غاية ١ / ٥١٢) .

(٦) انظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٠٠ (٧) مميزات لغات العرب ٣٢

ومن أمثلة ذلك إنشادهم قول امرئ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلى *^(١)

وذلك بإطالة حركة اللام .

الثانى : الانشاد بغير ترنم :

وكان للعرب فيه ثلاثة مذاهب .

١- إجراؤه مجرى الترنيمة : أى مد الضمة حتى تصير واوا ، والفتحة ألفا والكسرة ياء . وكان هذا مذهب مذهب الحجازيين^(٢) . فقول امرئ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلى *

ينشد فى حالة غير الترنيمة عندهم كما ينشد فى حالة الترنيمة أى بمد كسرة اللام .

٢- معاملة حرف الروى كما لو كان فى النثر حالة الوقف ، فمن أمثلته نطق « العتاب » بسكون الباء فى قول جرير :

* أَقِلِّ اللَّوْمَ عَاذِلَ الْعِتَابِ *

ووقف على الروى هنا بالسكون ، لأن الاسم وان كان منصوبا إلا أنه محلى بآل فلا يوقف عليه بالألف . ومن أمثلته أيضا قول الشاعر :

* قَدْ رَابِنِي حَفْصٌ فَحَرَّكَ حَفْصًا *^(٣)

فألحق بكلمة « حفص » ألفا ، لأنها اسم منصوب منون يوقف عليه فى النثر بالألف .

وقد اتبع هذا المذهب بعض التميميين^(٤)

٣- إضافة نون لحرف الروى . ~~رأى أكانت ضمّة أم فتحة أم كسرة فى حالة~~

الإعراب أو البناء ، وهذا ما يطلق عليه « تنوين الترنيمة » وليس المقصود به حقيقة الترنيمة ،

(١) الكتاب ٤ / ٢٠٤ ، ٢٠٥

(٢) الكتاب ٤ / ٢٠٦

(٣) المرجع السابق ٤ / ٢٠٨ وشعر جرير فى ديوانه ٥٨

(٤) مع الهوامع ٢ / ٢١١

وإنما هو قطع الترنم كما يتضح من تقسيم سيبويه لأنواع الإنشاد^(١) ، فالتمسية إذن على حذف المضاف^(٢) . وقد نسب سيبويه هذا النوع إلى كثير من التميميين^(٣) وضم إليهم غيره قيساً^(٤) ، مثال ذلك إضافة النون في كلمتي « الذُّرْف » و « أنهج » في قول العجاج :

* يا صاح ما هاجَ الدموعَ الذُّرْفَنُ *

وقوله أيضاً :

* من طَلَّلَ كالأَتْحَمَى أَنهَجَنُ *^(٥)

وإطلاق التنوين على هذه النون من باب المجاز^(٦) ، لأن حقيقة نون التنوين أن تلفظ ولا تكتب^(٧) ، وهذه نون زائدة^(٨)

ونخلص مما تقدم أن معظم بني تميم آثروا في إنشادهم الشعر عند عدم الترنم أن يعتم بمقطع مغلق قصير . وهذا يتفق ونهجهم في إظهار هذا النوع من المقاطع . وإذا كان التميميون قد أنشدوا أشعارهم أحياناً بالترنم ، وأحياناً أخرى بغير ترنم ، وذلك بخلاف الحجازيين ، وعلى الأخص قريش الذين تميزت حياتهم بالاستقرار والهدوء النفسى ، حتى كثرت عندهم ليالى الطرب ، فكان طبيعياً أن يترنموا في إنشاد كل أشعارهم .

(١) انظر الكتاب ٤ / ٢٠٥ - ٢٠٨

(٢) ارتشاف الضرب ٦٥ / ب ، وشرح الأشموني ١ / ٣١

(٣) الكتاب ٤ / ٢٠٦ ، ٢٠٧

(٤) شرح الأشموني ١ / ٣١

(٥) الكتاب ٤ / ٢٠٧ والأول في شرح الديوان ٨٨ ٤ والثاني ٣٤٨ وكتبها بالألف بدل النون (الأتحمى : ضرب البرود موشى ، أنهج : أخلق ويلي - شرح الديوان ٣٤٨ ، ٣٤٩) .

(٦) مغنى اللبيب ٢ / ٢٤

(٧) جمع الجوامع (ضمن مع الجوامع) ٢ / ٧٩ وشرح الأشموني ١ / ٣٠

(٨) مغنى اللبيب ٢ / ٢٤

الباب الثالث
المستوى الصرفي

الفصل الأول البنية بين الطول والقصر

أولاً : في أوزان الفعل

(أ) فَعَلَ و أَفْعَلَ :

استعمل العربى الفعل على وزن « فَعَلَ » ثم احتاج للتعبير عن معنى فرعى لهذا الفعل ، فوضع صيغة أخرى مثل « أَفْعَلَ » .

لكننا وجدنا ذلك العربى يستعمل أحيانا الصيغتين فى معنى واحد ، وهذا ما نعينه فى درسنا هذا ، قال سيبويه : « وقد يجىُّ فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ ، المعنى فيهما واحد ، إلا أن اللغتين اختلفتا ، زعم ذلك الخليل . فيجىء به قوم على فعلت ويلحق قوم فيه الألف فيبينونه على أَفْعَلْتُ^(١) » ، وقد أكد ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) كلام سيبويه فقال : « لا يكون فَعَلَ وَأَفْعَلَ بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجىء ذلك فى لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين^(٢) »

فيألى أى صيغة اتجهت تميم ؟

لقد وجدنا أفعالا على وزن « أَفْعَلَ » وأخرى على وزن « فَعَلَ » تنسب إلى تميم . فلنبداً بعرض كل طائفة منها ، لنرى إلى أى الصيغتين اتجهت تميم ؟ .

الأولى - نسبة أفعال الى تميم :

عزى إلى تميم : أجزأ ، وأجن ، وأحرم ، وأحزن ، وأحق ، وأحل ، وأسحت ، وأغسق ، وأفتأ ، وأفتن ، وأفضى ، وأقرع ، وأكن ، وألات ، وأمرج ، وأمض ،

وأنزف ، وأنكر ، وأهبط ، وأوقع ، وأوقف ، في حين إنه نسب إلى غيرها هذه الأفعال بدون همزة ، أى على وزن « فَعَلَ » . ولنتناول ذلك بشيء من التفصيل فنعرض كل فعل على حدة

١- أجزاء :

« أَجْزَأَ » بمعنى قَضَى ، واللغة المشتركة « جَزَى »^(١) وأصلها « جَزَأَ » سهلت همزتها كعادة أهل الحجاز . وقد تكلم بها - الرسول صلى الله عليه وسلم - ، فيروى أنه قال لأبي بُرْدَةَ ابن نِيَار حين أَضْحَى بالجَدَّة : « تَجْزَى عنك ولا تَجْزَى عن أحد بَعْدَكَ »^(٢) .

الصيغة التميمية في الاستعمال الأدبي :

وإذا اتجهنا إلى الاستعمال الأدبي وجدنا الصيغة التميمية استعملت في القراءات القرآنية ، وفي الحديث الشريف .

(أ) في القراءات :

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم بتنوع الضمائر المسند إليها وباختلاف الأزمنة عدة مرات^(٣) ، وقد قرئ بالصيغة التميمية وإن كان في الشاذ منها ، فكلمة « تَجْزَى » في قوله تعالى : (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا)^(٤) قرأها أبو السمال والغنوى أبو السرار « تُجْزَى »^(٥) .

(ب) في الحديث :

ورد هذا الفعل بالصيغة التميمية في أحاديث نبوية كثيرة نذكر منها قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - مخاطبا حَمْنَةَ بنت جَحْش : « أيها فعلتِ فقد أَجْزَأَ عنك من الآخر »^(٦) واستعمال الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصيغتين يعنى شيوع التميمية في اللغة المشتركة إلى جانب الصيغة الأخرى .

(١) الصحاح (جزى) ٦ / ٢٣٠٢

(٢) اللسان (جزى) ١٨ / ١٥٩

(٣) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ١ / ٢٠١ ، ٢٠٣

(٤) البقرة ٢ / ٤٨

(٥) مختصر في شواذ القرآن هـ

(٦) مسند ابن حنبل ٦ / ٤٣٩

٢- أَجَنُّ (١):

يقال جَنُّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَجَنَّهُ وَأَجَنَّهُ بِمَعْنَى سَتَرَهُ (٢)، ويذكر أبو جعفر الطوسي (٥٤٦٠) وأن « جَنَّهُ » لغة أسد وَأَجَنَّهُ لغة تميم الثانية أفصح من الأولى (٣). وإذا كان الطوسي قد اكتفى بالتفرقة بين لغتي أسد وتميم وقرر أن « أَجَنُّ » (التميمية) هي الفصحى ، فإن قوله يشعر بأنها الصيغة التي شاعت في اللغة المشتركة ، لكن استعمال القرآن الكريم للصيغة الثالثة (جَنُّ عَلَيْهِ) في قوله تعالى (فلما جَنُّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كوكبا . قال هذا ربي) (٤) يحدد لنا أنها هي التي آثرتها اللئنة المشتركة .

٣، ٤ - أَحْرَم . وَأَحَلَّ :

يذكر الطوسي أن الحجازيين ومعهم بنو سعد بن بكر استعملوا الفعلين « حَرَّمَ » بمعنى صار مُحْرَما ، « وَحَلَّ » بمعنى تحلل من الإحرام ، في حين إن تميمًا ومعها أسد وقيس استعملوا للدلالة على المعنيين أَنْفَسَهُمَا أَحْرَمَ وَأَحَلَّ (٥).

وهذان الفعلان على الرغم من أنهما يرتبطان بشعيرة من أهم شعائر العرب في جاهليتهم وإسلامهم ، وهى الحج الذى يختلف عن الشعائر الأخرى في حتمية اتحاد الزمان والمكان ، فهو يؤدي في أيام معلومة في أمكنة محددة تنشأ عنه وحدة تعد أكبر عامل في إزالة الفوارق بين صيغتي كل من الفعلين ، إلا أننا مع ذلك وجدنا الخلاف قائما.

وإذا كان الفعل الأول بصيغتيه : حرم وأحرم لم يرد في كتاب الله بالمعنى الذى ذكرناه هنا ، فإن الصيغة الحجازية للفعل الثانى هى التى قرئ بها وحدها - فيما أعلم - قال تعالى (وإذا حَلَلْتُمْ فاصطادوا) (٦).

(١) كان الترتيب يقتضى أن نذكر في هذا الموضع « أجنب » عند تميم في مقابل « جنب » عند غيرهم . لكن اضطراب الروايات الخاصة بهذا الفعل جعلنا نعدل عن ذكره . فالنراء نسب « جنب » مخففا لأهل الحجاز ، و « أجنب » ، و « جنب » مثقلا لأهل نجد (معاني القرآن ٢ / ٧٨) وإذا كان النجديون نطقوا بالصيغتين وهم يشملون تميميين وغير تميميين فلا ندرى أى الصيغتين نطقت تميم ، ونجد أيضا أبا حيان لا يعزو « جنب » المخفف وينسب « أجنب » لأهل نجد و « جنب » المثقل لأهل الحجاز (البحر ٥ / ٤٢٩)

(٢) اللسان (جنن) ١٦ / ٢٤٤ (٣) التبيان في تفسير القرآن ٤ / ١٩٥
(٤) الأنعام ٦ / ٧٦ . (٥) التبيان في تفسير القرآن ٣ / ٤٢٣
(٦) المائدة ٥ / ٢

٥- أَحْزَنَ :

« حَزَنَ » فعل لازم من باب تَعِبَ ، ويستعمل متعديا من باب قَتَلَ عند قريش ، ويضيف إليه التميميون في أوله الألف عند التعدية فيقولون « أَحْزَنَهُ »^(١)

الصيغة التميمية في القراءات القرآنية :

ورد الفعل المضارع من هذا الفعل في القرآن الكريم متعديا ثمانى مرات في قوله تعالى (وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ)^(٢) وفي الآيات : ٤١ المائدة ، و ٣٣ الأنعام ، و ٦٥ يونس ، و ٢٣ لقمان ، و ٧٦ يس (يَحْزَنُكَ) و ١٣ يوسف (لَيَحْزَنُنِي) ، و ١٠٣ الأنبياء (يَحْزَنُهُمْ) . وقرأ بالغة تميم (بضم حرف المضارعة وكسر الزاى) نافع في كل الآيات عدا آية الأنبياء^(٣) ، وبها قرأ جعفر في الأنبياء فقط^(٤) ، وابن محيصن في جميع الآيات^(٥) .

في الحديث النبوى :

أما الحديث الشريف ، فقد استعمل اللغة التميمية أكثر من مرة ، منها : « فقال لَهَا (في الحديث القدسي) : لا أَحْزَنُكَ في أُمْتِكَ يَا مُحَمَّد »^(٦) . كما وردت هذه الصيغة أيضا على لسان معاذ رضى الله عنه ، إذ قال : « يا رسول الله : ائذن لي أَسْأَلُكَ عن كلمة قد أَمْرَضَتْنِي وَأَحْزَنَتْنِي »^(٧) .

٦ - أَحَقَّ :

استعمل التميميون « أَحَقَّ » في مقابل « حَقَّ » المتعدى بمعنى تيقَّن^(٨) . وقد وردت الصيغة التميمية في القرآن الكريم ، قال تعالى (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)^(٩)

-
- (١) المصباح (حزن) ١٣٤ ، واللسان (حزن) ١٦ / ٢٦٦ ووردت الصيغتان التميمية والقرشية (عن اليزيدى) في المصباح (حزن) ٥ / ٢٠٩٨ .
 (٢) آل عمران ٣ / ١٧٦ .
 (٣) السبعة لابن مجاهد ٢١٩ ، والتيسير ٩٢،٩١ ، وإبراز المعاني ٢٧٩ ، وإرشاد المريد ٢٧٩ ، وإتحاف ١٨٢ ،
 (٤) تجميع التيسير ١٠٠ ، وإتحاف ١٨٢ ، ٣١٢ .
 (٥) إتحاف ١٨٢ .
 (٦) مسند ابن حنبل ٥ / ٣٩٣ .
 (٧) المرجع السابق ٥ / ٢٤٥ .
 (٨) المصباح المنير (حق) ١٤٤ .
 (٩) الأنفال ٨ / ٨٠٧ .

٧ - أسحت :

تقول العرب سَحَتَ يَسْحَتُ سَحْتًا ، وَأَسْحَتَ يُسْحِتُ إِسْحَاتًا بمعنى استأصل^(١) ،
والصيغة الثلاثية لغة الحجازيين والرباعية لغة أهل نجد وتميم^(٢) .

الصيغة التميمية في الاستعمال الأدبي :

(١) في القراءات القرآنية :

قال تعالى : (لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ)^(٣) وقرأ وفق النهج التميمي
(فَيُسْحِتَكُمْ) بضم حرف المضارعة وكسر الحاء حفص وحنزة والكسائي^(٤) ورويس وخلف
والأعمش ، وبقية الأربعة عشر وفق اللغة الحجازية (فَيُسْحِتَكُمْ) بفتح الياء وكسر
الحاء^(٥)

(ب) في الشعر :

أما في الشعر التميمي فينسب إلى الفرزدق قوله :

وعَضَّ زَمَانُ يَابِنَ مروانَ لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجَرَّفًا^(٦)

٨ - أغسق :

استعمل التميمي أغسق الليل في مقابل غسق^(٧) في اللغة المشتركة بمعنى أظلم . وقد
وردت اللغة التميمية على لسان «جساس» في قوله :

أزور إذا ما أغسق الليل خلّتي حذار العدى أو أن يرجم قائل^(٨)

(١) اللسان (سحت) ٢ / ٣٤٦

(٢) الكشف ٢ / ٤٣٨ والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢١٥

(٣) طه ٢٠ / ٦١

(٤) السبعة في القراءات ٤١٩

(٥) إتحاف ٣٠٤

(٦) ديوانه ٥٥٦

(٧) أساس البلاغة (غسق) ٦٧٨

(٨) المرجع السابق

٩ - أفتأ :

نسب أبو زيد إلى بني تميم أفتأً وإلى قيس وغيرهم فتىء بمعنى زال^(١) فكان التميمي يقول : ما أفتأت أذكره والقيسي : ما فتئت أذكره ، بمعنى مازلت أذكره^(٢) وكانت هنالك لغتان أخريان هما فتأ (بفتح التاء)^(٣) وفتؤ (بضم التاء)^(٤) .

ولا يعني هنا النعل الثلاثي بحركات عينه الثلاث ، وإنما الذي مهمنا أن تمما اختارت وزن « أفعل » في مقابل حذف الهمزة عند غيرهم .

١٠ - أفتن :

كان التميميون يقولون « أفتن » في مقابل « فتن » للحجازيين ، وقد أجمل الفراء (ت ٢٠٧ هـ) الناطقين بـ « أفعل » في كتابه « معاني القرآن » فحددهم بنجد^(٥) ونقل عنه النحاس (ت نحو ٣٣٨ هـ) تفصيل المجمل فعزاه لتميم وقيس وربيعه وأسد وجميع أهل نجد^(٦) . وقد نسب صيغة أفعل وحدها أبو حاتم^(٧) ، (ت نحو ٢٥٥ هـ) وأبو زيد^(٨) (ت نحو ٢١٤ هـ) وكثيرا ما يذكر اللغويون تميا ويعنون بها الكتلة الشرقية المقابلة للحجاز .

الصيغة التميمية في القراءات القرآنية :

إذا مارجعنا إلى القراءات القرآنية نجد أنها تستعمل الصيغة التميمية إلى جانب الحجازية ، فقد قرأ عيسى بن عمر وابن السمين^(٩) وإسماعيل المكي^(١٠) « تفتني » بضم التاء الأولى^(١١) في قوله تعالى (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي)^(١٢) .

-
- (١) لسان العرب (فتأ) ١ / ١١٥ (٢) المرجع السابق .
 (٣) المرجع السابق ١ / ١١٤ (٤) همع الموامع ١ / ١١٢
 (٥) معاني القرآن ٢ / ٣٩٤ ، والصحاح (فتن) ٦ / ٢١٧٦ ، واللسان (فتن) ١٧ / ١٩٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٩٧ / ب (والمراجع الثلاثة الأخيرة عن القراء) . (٦) إعراب القرآن للنحاس ٥٢ / أ
 (٧) البحر المحیط ٥ / ٥١ (٨) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٨ / أ
 (٩) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن السمين اليافى . له اختيار شاذ في القراءة . قرأ على أبي حيوة شريح ابن يزيد (غاية النهاية ٢ / ١٦١ ، ١٦٢) . وأبو حيوة توفي سنة ٢٠٢ هـ (غاية النهاية ١ / ٣٤٥)
 (١٠) هو أبو إسحاق إسماعيل بن مسلم الحروري المعروف بالمكي . قرأ على ابن كثير وهو أحد الذين خلفوه في القيام بالقراءة . توفي نحو سنة ١٦٠ هـ (غاية النهاية ١ / ١٦٩)
 (١١) البحر ٥ / ٥١ (١٢) التوبة ٩ / ٤٩

اعتراض الأصمعي على « أفتن » :

وقد أنكر الأصمعي (ت نحو ٢١٥ د) « أذتن » واعترض على قول، أعتشى ديدان الذي جمع في شعره بين اللغتين وهو قوله :

لئن فتننتني فهي بالأمس أفتنت سعيداً فأهسي قد فلا كلّ مسلم^(١)
ووصفه بأنه « مخنث فلا يلتفت إليه وإن كان قد قيل قديماً »^(٢) .

لكن هذه اللغة التي أنكرها الأصمعي نص عليها الفراء وأبو زيد وأبو حاتم - كما قلنا - وأبو عبيدة^(٣) ، وقال عنها أبو جعفر النحاس « قد حكى الحجة من أدل اللغة ممن يرجع إلى قوله في الصديق فتنه وأفتنه »^(٤) .

أما الاعتراض الذي كان يمكن أن يوجه إلى البيت فهران فإنه همداني وحمداني ليست نجدية . ويجاب عن ذلك بأن الشاعر عاش بالكوفة^(٥) . فتأثر بالتبائل التي عاشت هناك - ومنها التميمية - ذلك إلى أن الشعراء ما كانوا يعترفون بالحدود اللغوية ويقفون عند لغات أقوامهم .

وإذا كان الأصمعي قد أنكر « أفتن » ، فإن الأزهري عد « فتن » لغة ضعيفة^(٦) .

١١ - أفضى :

فَضٌّ وَأَفْضَى بمعنى كَسَر ، وفي الدعاء : لَا يُفْضِضُ اللَّهُ ذَاكَ أَيْ لَا يَكْثُرُ أَسْنَانُكَ (بفتح حرف المضارعة) ، ولا يجوز أن تضم ، فيقال : « لَا يُفْضِضُ اللَّهُ فَاك » ، ونسب إلى بعضهم قولهم : « لَا يُفْضِضُ اللَّهُ فَاك »^(٧) (مضارع أفضى) . وكلمة « بعضهم » حددتها الأصمعي ببني تميم وقيس ومن دنا منهم^(٨) ، ومعنى ذلك أن بني تميم قالوا أفضى (على أفعل) في مقابل فَضٌّ (على فَعَل) في اللغة المشتركة^(٩) .

(١) الصبح المنير ٣٤٠ ، واللسان (فتن) ١٧ / ١٩٤ وهو بدون نسبة في إعراب القرآن للنحاس ٢٨٨ / أ

(٢) المرجع السابق .

(٣) إعراب القرآن ٢٨٨ / أ

(٤) المرجع السابق .

(٥) انظر : الأغاني ٦ / ٣٤

(٦) اللسان (فتن) ١٧ / ١٩٤

(٧) المرجع السابق (فضس) ٩ / ٧٢

(٨) شرح ديوان العجاج ٩٣

(٩) راجع ما كتبه عن هذا الفعل في « التباير » ص ١٦٣

١٢- أَقْرَعَ :

لاحظنا عند الحديث عن « القلب المكاني » أن التسمية كان يقول « أَقْرَعَ » مقاربة عن « أَرْقَعَ » مقابل « رَقَعَ » في اللغة المشتركة .

١٣- أَكَنَّ :

ذكر الأصمعي أن أكثر العرب كانوا يقولون : كَنَنْتُ الدُّرَّةَ والجارية ، وكلُّ شيءٍ منته فأنَّا أَكُنَّهَا وأنا كان ، وهي مكنونة . وأكُننت الحديث والشئ في نفسي إذا أخفيتهُ ، وذكر أبو زيد (ت نحو ٢١٥ هـ) أن « أهل نجد يقولون : أَكُنَنْتُ اللؤلؤةَ والجارية وكننت الحديث »^(١) .

ويتضح من هذا :

- ١ - إن اللغة المشتركة استعملت الفعل « كن » مع الأشياء الحسية مثل الدرة ، في حين إن اللغة النجدية ومنها التميمية استعملت « أَكَنَّ » .
- ٢ - إن اللغة المشتركة استعملت للمعنويات « أَكَنَّ » واستعملت النجدية الفعل بدون همزة .

وإذا مائظنا إلى هذا الفعل في ضوء سنة النمو والارتقاء ، فإن الصيغة القدي هي « فعل » تطورت إلى « أفعل » عندما احتاج العربي لإضافة معنى جديد وإذا كانت الدلالة الحسية تسبق المعنوية ، فهذا يدل على أن « أَكَنَّ » تطورت في اللغة المشتركة تطورا طبيعيا ، واستعمال « كَنَّ » الذي يدل على معنى حسى في اللغة المشتركة مزيدا بالهمزة عند النجديين بما يتفق وسنة الارتقاء وان الصيغة المشتركة هي القدي . وكون الفعل ذى الدلالة المعنوية على وزن « أفعل » في اللغة المشتركة هو على وزن « فعل » عند النجديين لايعنى سوى أن المخالفة بين الصيغتين (كَنَّ وأَكَنَّ) في اللغتين المشتركة والنجدية ليست سوى تقسيم عقلى . واللغات في سيرها لاتحرص على هذا النوع من التقسيم . لكننا مادما نفقد الشواهد التي

(١) فعلت وأفعلت السجستاني ٥٤ (٢٠٦ لغة - تيمر) ومن الكتاب نسخة أخرى بدار الكتب المصرية برقم ٤٨٧ لغة نسبها المفهرس خطأ للأصمعي والنص بها ص ١ ، وهو أيضا باختلاف في المخصص ١٤ / ٢٤٨ معزوا إلى أبي حاتم .

هى الدليل المفيد فى توضيح هاتين الصيغتين واختلاف دلاليتهما عند كل فريق ، فلنقف عند النص الذى ذكرناه .

١٤ - آلات :

لاته وآلانه بمعنى نقصه وكذلك صرفه^(١) . وعزا يونس فى نوادره إلى أهل الحجاز فولهم : لاته عن وجهه يلاته وإلى تميم آلاته يلاته^(٢) . ويذكر الدكتور علم الدين الجندى أن الآية الكريمة : (لَا يَلْتَكُم مِّنْ أَعْيَالِكُمْ شَيْئًا)^(٣) قرئت باللغتين التميمية والحجازية^(٤) . لكن إذا ما رجعنا إلى كتاب « إنحاف فضلاء البشر » وهو مصدره فى القراءتين ، وجدنا القراءة الثانية « يآلتكم » من « آلت » لغة غطفان وقراءة ثالثة هى « يالتكم » بتسهيل الهمزة^(٥) . ولو كانت هناك قراءة باللغة التميمية لكانت « يَلْتَكُم » بضم التاء .

١٥ - أمرج :

مَرَجَ وأمرج بمعنى أجربى . ونسب أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) الأولى إلى الحجاز والثانية إلى نجد^(٦) . وقد فسر الفراء الصيغة الأولى فى قوله تعالى : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)^(٧) بقوله : « أرسلهما ثم يلتقيان بعد »^(٨) . ولقد ورد فى تهذيب اللغة واللسان والتاج أن « مرج » لا يقوله إلا أهل تهامة ، وأما النحويون فيقولون : « أمرجه »^(٩) . أما نسبة « مرج » إلى أهل تهامة فيتنفق وما عزاه أبو حيان إلى الحجاز ، فهو وتهامة يقعان فى غرب الجزيرة متجاورين بل ومتداخلين فلم يتفق العلماء على تحديد فاصل بينهما بادليل أن مكة الواقعة بالحجاز من العلماء من يعدها من تهامة^(١٠) ، أما عزوه أمرج إلى النحويين فلا صلة للنحويين بها ، مما اضح أن كلمة « النحويون » محرّفة عن « النجديون » وهذا يتفق وعزو أبي حيان هذه الصيغة لهم . واتفاق كتب اللغة على هذا التحريف قد يكون مرجعه تصحيح وقع فيه ناشر أقدم هذه الكتب وهو « لسان العرب »^(١١) وإليه رجع محققو الكتب الأخرى .

- | | |
|--|---|
| (١) اللسان (ليت) ٣٩١ / ٢ | (٢) المزهر ٢٩٩ / أ (خ) = ٢٧٦ / ٢ (ط) . |
| (٣) الحجرات ٤٩ / ١٤ | (٤) اللهجات العربية ٤٩٢ |
| (٥) إنحاف ٣٩٨ | (٦) البحر ٤٧٨ / ٦ |
| (٧) الرحمن ٥٥ / ١٩ | (٨) معانى القرآن ١١٥ / ٣ |
| (٩) تهذيب اللغة (مرج) ٧٢ / ١١ واللسان (مرج) ١٨٩ / ٣ ، والتاج (مرج) ٩٩ / ٢ ط مصر ، ٢٠٧ / ٦ ط الكويت . | (١٠) المصباح (تم) ٧٨ |
| | (١١) طبع الجزء الثالث الذى يحوى مادة (مرج) سنة ١٩٠٠ م |

١٦ - أمضى :

مَضَى الأمرُ وأمَضَيْتُ بمعنى آلتى^(١) وعزا أبو عبيدة (ت نحو سنة ٢٠٩ هـ) الصيغة الثانية إلى بنى تميم ولم يحدد الناطقين بالأولى^(٢). وقد وردت الصيغة التميمية في رجز ليسان بن محرش السعدي ، وهو من تميم في قوله :

* وبِتُّ بِالْحِصْنَيْنِ غَيْرَ رَاضِي *
 * يَمْنَعُ مِنِّي أَرْقَمَى تَغْمَاضِي *
 * مِنَ الْحُلُوءِ صَادِقِ الْإِمْضَاضِ^(٣) *

وفي قول رؤبة بن العجاج التميمي :

* فاقْنِي فُشْرُ الْقَوْلِ مَا أَهْضَا^(٤) *

أما صيغة « فَعَلَ » فقد وردت في قول حرى بن ضمرة النهشلي :

يَا نَفْسُ صَبِرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَضَضٍ إِذَا لَمْ أَجِدْ لِفُضُولِ الْقَوْلِ أَقْرَانًا^(٥)

ورغم ورود اللغتين في الشعر إلا أننا وجدنا أبا عمرو بن العلاء (ت سنة ١٥٤ هـ) يقول : « مَضَضِي كَلَامٌ قَدِيمٌ قَدْ تَرَكْتُ »^(٦) وعاقى على ذلك ابن دريد (ت سنة ٣٢١ هـ) بقوله : « وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ أَمَضَضِي هُوَ الْمُسْتَعْمَلُ »^(٧) ، وكلام أبي عمرو هذا يؤكد لنا أن صيغة « فَعَلَ » هي الأصلية وأن أفعل هي المتطورة عنها ، أي أن البنية الصغرى هي السابقة في الزمن .

(١) اللسان (مضض) ٩ / ١٠٠

(٢) تهذيب اللغة (مضض) ١١ / ٨٢ ، واللسان (مضض) ٩ / ١٠١ ، والتاج (مضض) ٥ / ٨٦

(٣) اللسان (مضض) ٩ / ١٠٠ (الأرقم : الحية التي فيها سواد وبياض ، التغماض : النوم ، الحلوء : حجر يستشفى من الرمد بحكاكته - اللسان (رقم) ١٥ / ١٤١ و (غضض) ٩ / ٦٣ ، و (حلا) ١ / ٥٢)

(٤) ديوانه ٨٠ وشرح الديوان ١٠٧ / أ و التهذيب (مضض) ١١ / ٨٢ ، واللسان (مضض) ٩ / ١٠١ (افنى : احتفظ حيائك والزميد) .

(٥) اللسان ٩ / ١٠٠

(٦) جمهرة اللغة ١ / ١٠٦

(٧) المرجع السابق .

وإذا كان أبو عبيدة قد نسب « أفعل » إلى بنى تميم ، فيفهم من عدم عزوه صيغة « فَعَلَ » أنها خاصة باللغة المشتركة لكن يفهم من كلام أبي عمرو أن « مَضَّ » أوشكت على الانقراض ويؤكد ذلك ما ذكره صاحب الصحاح من أن الأصمعي لم يعرفها^(١) . ومعنى ذلك أن « أمض » هي التي سادت في اللغة المشتركة ولم تعد خاصة ببنى تميم دون سواهم .

١٧ - أنزف :

استعملت تميم « أنزف » في مقابل « نzf » عند قيس^(٢) ووردت الصيغة التميمية في اللغة الأدبية استعملها الراجز التميمي العجاج ، فقال :

* وَأَنْزَفَ الْعَبْرَةَ مِنْ لَأَقَى الْعَبْرَ *^(٣)

وقال :

* أَزْمَانٌ لَا تَحْسَبُ شَيْئًا مُنْزَفًا *^(٤)

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية

وإذا ما انتقلنا إلى كتاب الله عز وجل وجدنا هذا الفعل يرد في آيتين كريمتين بمعنى ذهب عقله ، أو نفذ شرابه^(٥) :

الأولى - قوله تعالى : (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ)^(٦) .

والأخرى - قوله : (لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ)^(٧) .

قرأ عاصم بفتح الزاي في الآية الأولى وبكسرها في الآية الثانية^(٨) (أي وفق اللغة التميمية) ، وقرأ وفق هذه اللغة أيضا أي بكسر الزاي من الأربعة عشر في الآيتين : حمزة والكسائي^(٩) ، وخلف^(١٠) ، والأعمش^(١١) ، وقرأ الباقر بضم الياء وبفتح الزاي فيهما (يُنْزِفُونَ)^(١٢) .

- | | |
|--|---|
| (١) الصحاح (مضض) ٣ / ١١٠٦ | (٢) فعلت وأفعلت للسجستاني ١٤ - ١٥ |
| (٣) الديوان ١٦ | (٤) المرجع السابق ١٢ |
| (٥) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٨٥ ، وإتحاف ٣٦٩ | (٦) الصافات ٢٧ / ٤٧ |
| (٧) الواقعة ٥٦ / ١٩ | (٨) السبعة في القراءات ٥٤٧ |
| (٩) المرجع السابق . | (١٠) تعبير التيسير ١٦٦ ، ١٨٣ ، وإتحاف ٣٦٩ ، ٥٧٠ |
| (١١) إتحاف ٣٦٩ | (١٢) المرجع السابق |

ويعلق صاحب الإتحاف على قراءة الفتح بقوله : « من نَزَف الرجل ثلاثيًا »^(١) أى أن هذه القراءة بلغة قيس . والحق أن تحديد اللغة لهذه القراءة (أى بفتح الزاى) لا يتضح ؛ لأن الفعل مبنى للمفعول فيصلح فعله الماضى لأن يكون نَزَف ، وأنزَف . أما اللغة القيسية فمتبين من قراءة ابن أبى إسحاق - وهى قراءة شاذة - لآية الواقعة : (وَلَا يَنْزِفُونَ) بفتح الياء وكسر الزاى^(٢) .

١٨ - أنكر :

ذكر الطوسى^(٣) (ت سنة ٤٦٠ هـ) هذا الفعل فى معرض تفسيره قول الله تعالى : (فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ)^(٤) فقال : « يقال : نَكِرته وأنكِرته بمعنى ، وقيل : نَكِرته أشد مبالغة وهى لغة هذيل وأهل الحجاز ، وأنكِرته لغة تميم »^(٥) وما يراه بعضهم من أن « نَكِر » أشد مبالغة من « أنكر » لا يتفق وعزو الصيغتين إلى بيئتين مختلفتين .

وإذا كان القرآن الكريم قد استعمل الصيغة الحجازية فإننا نجد الأعشى ميمون ابن قيس ، وهو من بكر بن وائل^(٥) يستعمل الصيغتين فى بيت واحد ، فقال :
وأنكرتنى وما كان الذى نَكِرْت من الحوادث إلَّا الشيبَ والصلبا^(٦)

١٩ - أهبط :

استعمل العرب الفعل « هَبَطَ » لازما ومتعديا ، وقال التميميون : « أهبطَ » فى مقابل المتعدى^(٧) .

٢٠ - أوقع :

كان التميميون يقولون : أَوْقَعَ بالقوم ، أى قتل وأثخن ، وكان غيرهم يقول : وَقَعَ^(٨) .

(١) المرجع السابق .

(٢) انظر هذه القراءة فى : المحتسب ٢ / ٣٠٨

(٣) هود ١١ / ٧٠

(٤) التبيان ٦ / ٢٨

(٥) جمهرة أنساب العرب ٣١٩

(٦) الديوان ١٣٠

(٧) الكامل ١ / ٢٢٠

(٨) المصباح (وقع) ٦٦٨

٢١ - أوقف :

جاء في المصباح : « ووقفت الرجل عن الشيء وقفاً : منعته عنه ، وأوقفت الدار والدابة بالألف لغة تميم . وأنكرها الأصمعي وقال : الكلام وقفت بغير ألف »^(١) .

وإذا كان الأصمعي (ت سنة ٢١٥ هـ) قد أنكر صيغة « أفعل » هنا ، فإننا نجد الجوهري (ت سنة ٤٠٠ هـ) ، يقول : « وليس في الكلام أوقفت إلا حرف واحد . أوقفت عن الأمر الذي كنت فيه ، أي أقلعت »^(٢) فهو قد ذكر دلالة أخرى لأوقف غير التي ذكرها الفيومي . وإني لأميل إلى أن التسمية لمكان يستعمل كل الدلالات الأخرى التي لأوقف سواء أكان متعلّياً بنفسه أم بحرف ، وذلك خلافاً للجوهري الذي قصرها على الإقلاع عن الشيء . ونستطيع أن نستدل على ذلك بنصوص أوردها الجوهري نفسه :

(أ) « وقف الدار للمساكين وقفاً وأوقفتها إيقافاً لغة رديئة »^(٣) ولا أعتقد أن المراد بالرداءة هنا تنافر الحروف ؛ لأنه ليس في الكلمة ما يجعل السمع نافراً ، بل المراد أن الصيغة مستعملة في غير اللغة المشتركة وقد تكون منها التميمية .

(ب) « حكى أبو عمرو : كلمتهم ثم أوقفت ، أي أسكت »^(٤) .

(ج) عن أبي عمرو بن العلاء (ت نحو سنة ١٥٤ هـ) أنه قال : « لو مررت برجل واقف فقلت له : ما أوقفك ها هنا ؟ لرأيتك حسناً »^(٥) .

فإذا كان النص الأول يفهم منه أن استعمال « أوقف الدار للمساكين » في غير اللغة المشتركة - وقد تكون منها التميمية - وأبو عمرو بن العلاء أجاز استعمالها في غير هذا المعنى ، وأبو عمرو هذا تميمي بالإضافة إلى المعنيين اللذين ذكر أحدهما الفيومي وذكر الجوهري الآخر فإن هذا يعضد نسبة « أوقف » إلى تميم .

(١) المصباح (وقف) ٦٦٩

(٢) المصباح (وقف) ١٤٤٠ / ٤

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

الثانية - نسبة فعل إلى تميم :

وإذا ما انتقلنا إلى عرض الأفعال التي عثرنا عليها ، والتي تنسب إلى تميم الصيغة التي على وزن « فَعَلَ » في حين إنه عزى إلى غيرهم « أَفْعَلَ » بخلاف ما اشتهر وجدنا أنه قد نسب إليها : جبر ، وخلا ، وعذر ، وكن (في إحدى دلالتها) وهدى وهلك ووتد . ولنبدأ بعرض هذه الأفعال ومناقشة كل منها على حدة .

١ - جبر :

نسب اللحياني إلى تميم قولهم : جَبَرْتُ فلانا على كذا وإلى غيرهم أَجَبَرْتُ وذلك بمعنى أَكْرَهْتُهُ عَلَيْهِ^(١) .

وإذا كان قد نسب إلى اللحياني في إحدى الروايات المنقولة عنه قوله : « جَبَرَهُ لغة تميم وحدها »^(٢) فإن الأزهري يقرر أن معظم العجّازيين كانوا ينطقون جبر ، وذكر أن الشافعي وهو حجازي كان يقول : « جبر السلطان »^(٣) فتميم إذن لم تكن تستأثر بصيغة « فعل » في مقابل « أَفْعَلَ » في هذا الفعل .

٢ - خلا :

عزا اللحياني إلى تميم قولهم : خلا فلانٌ على اللبن وعلى اللحم ، إذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به ، كما عزا أخلى بالدلالة نفسها إلى كنانة وقيس^(٤) . ذمّا بَر حناتم ينسب إلى تميم البنية القصيرة في حين إنه نسب البنية الطويلة إلى كنانة وهي حجازية وإلى قيس أيضا وهي نجدية . لكننا نلاحظ أن الصيغة التميمية (خلا) وردت في قول الراعي النميري (ت سنة ٩٠ هـ) :

دَعَتْهُ أَشْهَرَا وَخَلَا عَلَيْهَا فَطَارَ النَّيُّ فِيهَا وَاسْتَفَارَا^(٥)

والراعي ينسب إلى نُمَيْر بن عامر بن صَعَصَعَة من هوازن^(٦) التي تنسب بدورها إلى قيس عيلان^(٧) .

(١) تهذيب اللغة (جبر) ١١ / ٦٠ ، واللسان (جبر) ٥ / ١٨٥

(٢) اللسان (جبر) ٥ / ١٨٥ (٣) تهذيب اللغة ١١ / ٦٠

(٤) اللسان (خلا) ١٨ / ٢٦١ والتاح (خلا) ١٠ / ١٢٠

(٥) المرجعان السابقان . (٦) جمهرة أنساب العرب ٢٧٩ (٧) المرجع السابق ٤٨٢

واستعمال « خلا » في البيئة غير التميمية يدل على مدى شيوعها وأنها لم تكن تصطبغ بالصيغة المحلية فقط .

٣ - عذر :

كانت تميم تقول : عَذَرْتُ الصَّبِيَّ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُ : أَعَذَرْتُهُ وَذَلِكَ بِمَعْنَى خَتْنَتُهُ^(١) .

٤ - كَنَّ :

وذلك للدلالة على المعنويات كأن يقال : كَنَنْتُ الْحَدِيثَ فِي مَقَابِلِ « أَكَنَّ » فِي اللُّغَةِ الْمَشْتَرَكَةِ . وقد تكلمنا عن هذا الفعل عند الحديث عن « أَكَنَّ » و « كَنَّ » ونحن نتكلم عن نسبة أفعال إلى تميم .

وإذا صححت تلك الرواية التي أشرنا إليها هناك والمعزوة للأصمعي : فيكون من الاستعمال النجدى (ومنه التميمي) قراءة ابن مُعَيْصِنَ وَابْنُ السَّمِيفِغِ الْيَمَانِي « تَكَنَّ »^(٢) فِي قَوَاهِ تَعَالَى : (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ)^(٣) .

٥ - هَدَى :

كان بنو تميم يقولون : هَدَيْتِ الْعُرُوسَ إِلَى زَوْجِهَا ، وَالْقَيْسِيُّونَ يَقُولُونَ : أَهْدَيْتَهَا^(٤) . والخلاف القائم هنا معصوم بين قبيلتين تعيشان متجاورتين هما تميم وقيس وليس بين إحداهما واللغة المشتركة .

٦ - هَلَكَ :

عزى إلى تميم قولهم : « هَلَكَ » فِي مَقَابِلِ « أَهْلَكَ » عِنْدَ غَيْرِهِمْ^(٥) وبهذه اللغة قال العجاج :

* وَمَهْمَا هَالِكٌ مَنْ تَعَرَّجَا *^(٦)

(١) المخصص ١٤ / ٢٤٤ (٢) مختصر في شواذ القرآن ١١٠ ، والمختضب ٢ / ١٤٤

(٣) النمل ٢٧ / ٧٤ (٤) الحجة في علل القراءات للغارسي ١ / ١٣٨ ، وأساس البلاغة (هدى) ١٠٥٤

(٥) الغريب المصنف ١٥٨ ، وتهذيب اللغة ٦ / ٤٥ ، والصحاح (هلك) ٤ / ١٦١٦

(٦) شرح ديوانه ٣٦٧ ، والغريب المصنف ١٥٨

وعلى الرغم من نسبة « هلك » إلى تميم ووجودها في رجز العجاج فهو سعدى تميمي ، فإننا وجدنا أبا عبيدة يقول : « أخبرني رؤبة أنه يقول هلكتنى بمعنى أهلكتنى . قال : وليت بلغتى »^(١) . ورؤبة هذا ابن العجاج فهو سعدى تميمي . وكلامه هذا يجعلنا نميل إلى عدم شيوع « هلك » بين التميميين .

٧- وتد :

عزا ابن دريد إلى بنى تميم قولهم : وَتَدَ الْوَتْدُ فِي مَقَابِلِ قَوْلِ الْحَجَازِيِّينَ : أَوْتَدَهُ^(٢) ، بمعنى أثبتته بهائط أو بالأرض^(٣) .
نعقيب :

يتبين لنا من عرض الأفعال التي جاءت على صيغتي « فعل » و « أفعل » بدلالة واحدة أن عدة هذه الأفعال ثمانية وعشرون فعلاً ، أحدها (كَنَّ وَآكَنَّ) عزيت دلالة الحسية عند تميم بـ « أفعل » ، والمعنوية بـ « فَعَلَ » وأخذ عند غيرهم اتجاهها مضاداً ، فإذا تركنا هذا الفعل بلغتيه يتبقى لدينا ٢٦ ستة وعشرون فعلاً ، استعملت تميم ٢٠ عشرين منها على أفعل و ٦ ستة على « فَعَلَ » . وقد وضح لنا من دراسة هذا النوع الأخير أن واحداً منها (جَبَرَ) لم تكن صيغة « فَعَلَ » قاصرة على التميميين ، وإنما شاركهم فيها الحجازيون ، وفعلًا ثانيًا (هلك) لم يشع بين جميع التميميين .

الأفعال موضع المقارنة إذن عدتها ٢٤ أربعة وعشرون ، نسب إلى تميم ٢٠ عشرون جاءت على أفعل وأربعة على « فعل » . ولو نظرنا إلى هذه النسبة في ضوء المقياس الذي وضعه ابن هشام (ت سنة ٧٦١ هـ) للألفاظ المسموعة عن العرب والتي جعلها خمس مراتب ، هي : مطرد ، وغالب ، وكثير ، وقليل ، ونادر ، وثل لها بالعدد ٢٣ ثلاثة وعشرين ، فإذا كان لدينا ٢٣ ثلاثة وعشرون لفظًا كلها على نسق واحد فهذا يسمى المطرد ، ويمثل الغالب ٢٠ عشرون^٢ ، أما الكثير فيمثله ١٥ خمسة عشر ، والقليل فيمثله ٣ ثلاثة والنادر

(١) اللسان (هلك) ١٢ / ٣٩٥

(٢) الاشتقاق ١١٠

(٣) المصباح (وتد) ٦٤٦، ٦٤٧

ينشأ. انظر واحد^(١). إننا إذا نظرنا إلى هذا المقياس نستطيع أن نقرر أن الغالب في كلام تميم هو استعمال « أفعل » والقليل استعمال « فَعَل ».

وعلى ذلك نرجح نسبة « أفعل » إلى تميم في كل ما جاء على « فَعَل وَأَفْعَل » بدلالة واحدة دون أن يعزى إلى قبيلة معينة ، وفيما يلي أمثلة لمجهول النسبة :

١- أَخْلَفَ وَخَلَفَ :

قال الجوهري : « وأخلف، فُوهِ لغة في خَلَفَ ، أَيْ تَغَيَّرَ ، وَأَخْلَفْتُ الثوبَ لغة في خلفته إذا أصلحته »^(٢). وإن نص الجوهري على أن خَلَفَ لغة في ثلاثيتها ليوحى بأن الثلاثي هو اللغة المشتركة والراجعة وأن الرباعي مرتبطوح عليه .

٢- أَزَفَفْتُ وَزَفَفْتُ :

قال المبرد (ت سنة ٢٨٥ هـ) : « زَفَفْتُ المِرْأَةَ هي اللغة الجيدة ، وَأَزَفَفْتُ لغة »^(٣) وإذا كان الثلاثي وصف بالجودة ، ونص على أن الرباعي لغة فيه ، فهذا يعني أنه المستعمل في اللغة المشتركة ، وأن غيرها وقد تكرن منها التميمية مالت إلى الرباعي .

٣- أَشْغَلَ وَشَغَلَ :

قال الجوهري (ت سنة ٤٠٠ هـ) : « وَقَدْ شَغَلْتُ فَلَانًا فَلَانًا شَاغِلٌ وَلَا تَقُلْ أَشْغَلْتَهُ ، لِأَنَّهَا لُغَةٌ رَدِيئَةٌ »^(٤).

وصفه الرداءة — كما قلنا — لاتعنى إلا عدم استعمالها في اللغة المشتركة .

٤- أَصْلَقَ وَصَلَقَ :

جاء في الصحاح : « وَأَصْلَقَ لغة في صَلَقَ »^(٥) وهما بمعنى صاح بشدة^(٦). ومما يرجح نسبة أصلق إلى تميم وجودها في شعر العجاج ، وهو تميمي ، قال يصف الحمار :
* أَصْلَقَ نَابَاهُ صِيَاخَ الْعُصْفُورِ *^(٧)

(٢) الصحاح (خلف) ٤ / ١٣٥٧

(٤) الصحاح (شغل) ٥ / ١٧٣٥

(٦) المرجع السابق .

(١) الاقتراح ٢٥ ، والمزهر ١ / ٢٣٤

(٣) نوادر أبي زيد ٢٠٨ (بيروت) = ٥٣٣ (الشروق) .

(٥) المرجع السابق (صلق) ٤ / ١٥٠٩

(٧) اللسان (صلق) ١٢ / ٧٤ وليس بالديوان .

٥ - ألاق ولاق :

قال الجوهري : « لَاقَتِ الدَّوَاةُ تَلِيْقَ أَيْ لَصِقَتْ ، وَلِقَتْهَا أَنَا - يَتَعَدَى وَلَا يَتَعَدَى - فَهِيَ مَلِيْقَةٌ ، إِذَا أَصْلَحَتْ مَدَادُهَا ، وَأَلْقَتْهَا إِلَافَةً لُغَةً فِيهِ قَلِيلَةٌ ^(١) » وَإِذَا كَانَتْ « أَلَاقٌ » الَّتِي أَرَى أَنَّهَا تَمِيْحِيَّةٌ وَصَفْتُ بِأَنَّهَا قَلِيلَةٌ فَلَا أَرَى فَرْقًا بَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْقَلَّةِ وَالرَّدَاةِ فَكُلَاهُمَا يَعْنِي عَدَمَ الاسْتِعْمَالِ فِي اللُّغَةِ الْمَشْتَرَكَةِ .

٦ - أمحق ومحق :

قال الجوهري : « وَمَحَقَّهُ اللَّهُ أَيْ ذَهَبَ بِبِرْكَتِهِ وَأَمَحَقَهُ لُغَةً فِيهِ رَدِيْئَةٌ ^(٢) » وَأَمَحَقَ هُنَا شَبِيْهَةٌ بِأَشْغَلٍ فَقَدْ وَصَفْتُ بِالرَّدَاةِ الَّتِي أَرَى أَنَّهَا تَعْنِي عَدَمَ اسْتِعْمَالِهَا فِي اللُّغَةِ الْمَشْتَرَكَةِ ، وَشَبِيْهَةٌ أَيْضًا بِأَزْفَفْتُ وَغَيْرِهَا مِمَّا ذَكَرَ الرَّبَاعِيُّ عَلَى أَنَّهُ لُغَةٌ فِي الثَّلَاثِي ^(٣) .

٧ - أمهر ومهر :

جاء في النوادر لأبي زيد (ت نحو سنة ٢١٥ هـ) : « يُقَالُ [أَيْ الْمَبْرَدُ] : وَمَهْرَتِ الْمَرْأَةُ هِيَ الْمَشْهُورَةُ الْفَصِيْحَى . . . قَالَ : وَأَمَهْرَتِ لُغَةً وَلَيْسَتْ فِي جُودَةِ الْأَوَّلَى . قَالَ : وَأَنْشَدْنَا الْمَازِنِيَّ عَنِ الرِّيَاحِيِّ :

أُخِذْنَ اعْتَصَابًا خِطْبَةً عَجْرَفِيَّةً وَأُمَهْرْنَ أَرْمَاحًا مِنَ الْخَطِّ ذُبْلًا ^(٣)

« وَأُمَهْرَ الْمَرْأَةَ » فِي مَقَابِلِ « مَهْرَهَا » وَإِنْ لَمْ تَنْسَبْ صِرَاحَةً إِلَى تَمِيْمٍ إِلَّا أَنْ وَصَفَ الْمَبْرَدَ لِلصَّيْغَتَيْنِ بِأَنَّ « مَهْرَ » هِيَ الْمَشْهُورَةُ الْفَصِيْحَةُ « وَأُمَهْرَ » لُغَةً فِيْهَا وَأَنَّهَا لَيْسَتْ فِي جُودَةِ الْأَوَّلَى ، وَاسْتِشْهَادُهُ بِقَوْلِ « الرِّيَاحِيِّ » ، وَهُوَ سَحِيْمُ بْنُ وَثِيْلٍ التَّمِيْمِيُّ عَلَى « أُمَهْرَ » . كُلُّ هَذَا يَدْعُونَا إِلَى نَسْبَتِهَا إِلَى تَمِيْمٍ .

(١) الصحاح (ليق) ٤ / ١٥٥٢

(٢) الصحاح (محق) ٤ / ١٥٥٣

(٣) النوادر ٢٠٨ بيروت = ٥٣٢ (الشروق) ونسب البيت لقحيف العقيلي أيضا (المرجع السابق ٥٣٣)

٨-١٠- ما يرويه لنا أبو عمرو الشيباني (ت نحو سنة ٢١٣ هـ) عن التميمي - وإن كنا غير متيقنين من التميمي هذا ، أهو راو بعينه ينقل عن التميميين وغيرهم ، أم شخص غير معين من تميم يعبر عن لغة قومه - ومن هذه الروايات :

(١) دَقَعَ وأَدَقَعَ بمعنى ذل ودنو في طلب الحاجة والحرص عليها^(١) ، وروى أبو عمرو عن « التميمي » الإدقاق للدلالة على المعنى ذاته^(٢) وهو مصدر أدقع .

(ب) نقل أبو عمرو عن « التميمي » أن المُكْمَخ : العظيم في نفسه^(٣) ، أي أن اسم الفاعل مشتق من أكْمَخ ، وقد استعمل الفعل « كَمَخ » ليدل على المعنى نفسه^(٤) .

(ج) لَحَمَ القوم : أطعمهم اللحم^(٥) ، وروى أبو عمرو عن التميمي العدوى للدلالة على المعنى نفسه « ألحم »^(٦) .

تفسير الظاهرة :

بدأ الفعل عند التميمي بمقطع مغلق قصير متسقاً ونهجه في بدء الكلمة بهذا النوع من المقاطع . وللدكتور رمضان عبد التواب رأى وجيه في تفسير هذه الظاهرة ، فهو يرى أن « أَفْعَل » هو الأصل . ولما كان من نهج الحجازي ترك الهمز - وإن كان ذلك مطرداً في وسط الكلمة وآخرها فقط دون أولها - فقد حذف الهمزة وحرك الفاء ، لأن العربي لا يبدأ النطق بساكن ، فتكلم به على وزن « فَعَلَّ » .

وأما ما نطقه التميمي على « فعل » والحجازي على « أفعل » فقد يكون الأصل فيه « فَعَل » ثم زاد الحجازي الهمزة من باب الحذقة متوهماً أن ذلك هو الأصل^(٧) . وإن صح هذا الرأي فهو يعني أن النهج التميمي هو القديم والحجازي هو المتأخر في الحالين .

(١) المحكم (دقع) ١ / ٩٩ ، واللسان (دقع) ٩ / ٤٤٤

(٢) الجيم ١ / ٢٤٩

(٣) الجيم ٣ / ١٥١

(٤) الصحاح (كخ) ١ / ٤٣٠

(٥) التهذيب ٥ / ١٠٥

(٦) الجيم ٣ / ١٩٥

(٧) من حديث شخصي ، وانظر ما كتبه عن الحذقة أو المبالغة في التفصيح : التطور اللغوي ٨١ ، ٨٢

وزن أفعل في اللغات السامية :

ولأحب أن أختتم الحديث عن هذا الموضوع دون أن أعرض إلى موقف اللغات السامية من صيغة « أفعل » :

هذا الوزن الذى مالت إليه تميم ليس خاصا بالعربية دون أخواتها الساميات ، فهو فى الحبشية والارامية والعبرية وفيها ha (hi) ، وفى الآشورية وفيها ܚܝܐ أو sa^(١) بدل الهمزة . ومثال هذا الوزن فى السريانية (إحدى فروع الآرامية) *dašlerr* - أى أسلم ، وفى العبرية *hikrīb* أى أقرب يعنى أضحى أضحية ، وفى الأكديّة *mušaklil* أى أكمل^(٢) .

كما أن هذا الوزن يوجد فى اللغات العربية الجنوبية ، ولكن باستبدال الهاء بالهمزة فى السبئية ، والسين فى بقية اللغات (وهى المعينية والحضرمية والقنبانية والأوسانية) ، فيقال مثلاً : هحدث فى السبئية وسحدث فى غيرها^(٣) ، وتستعمل صيغة « هفعل » بدل « أفعل » أيضاً فى اللغة اللحيانية^(٤) ، كما هو الشأن فى العبرية والسبئية .



(ب) فَعَلَ وفَعَّل :

قد يعجىء الفعل على صيغتي « فَعَلَ » و « فَعَّلَ » متحدين فى الدلالة ومن هذه الأفعال ثلاثة عزيت الصيغة المضعفة فيها إلى تميم وغير المضعفة إلى سواها . وفيما يلى عرض لهذه الأفعال :

١ - بَشَّرَ :

ونستهل دراسة هذا الفعل بعرض النصوص الثلاثة التالية ، ثم نعقب عليها .

(١) جاء فى « ما ورد فى القرآن من لغات العرب » :

« يبشّر بالتخفيف لغة كنانة وبالتشديد بلغة تميم^(٥) .

(١) فقه اللغات السامية ١١٠ (الفقرة ١٩٢) (٢) التطور النحوى ٩٣

(٣) تاريخ العرب للدكتور جواد على ٧ / ٩٢ (٤) المرجع السابق ٧ / ١٥٣

(٥) ماورد فى القرآن من لغات العرب ١ / ١٧٦

(ب) قال الفراء (ت ٢٠٧ هـ) :

« . . . أبشرت ولعلها لغة حجازية . . . وبشرت لغة سمعتها من عُكل ، ورواها الكسائي عن غيرهم »^(١) .

(ج) جاء في المصباح :

« بَشَرْتُهُ أَبْشَرُهُ بِشَرًا مِنْ بَابِ قَتَلَ فِي لُغَةِ تَهَامَةٍ وَمَا وَالَاهَا . وَالْأَسْمُ مِنْهُ بُشْرٌ بِضَمِّ الْبَاءِ ، وَالتَّعْدِيَةُ بِالتَّثْقِيلِ ، لُغَةٌ عَامَةٌ الْعَرَبِ »^(٢) .

من كل ذلك يتبين أن هذا الفعل له ثلاث صيغ بمعنى ، هي : بَشَرَ وَبَشَّرَ وَأَبْشَرَ ، وكل منها تنتمي إلى لغة غير التي تنتمي إليها الأخرى . والذي يهنا هنا التفرقة بين الصيغتين الأولى والثانية (بَشَرَ وَبَشَّرَ) . أمّا الثالثة المنسوبة إلى الحجاز فنرجئها إلى الحديث عن « أفعل وفعل » .

لقد نسبت الصيغة المضعفة إلى تميم - كما في النص الأول - أمّا المخففة فقد عزيت إلى كنانة - وقد أشار إلى ذلك النص الأول أيضا - وقيل : إن التخفيف لغة تهامة وما والاها والتثقيل لغة عامة العرب - كما نص على ذلك الفيومي - وتتفق رواية المصباح هذه وما ورد بالنص الأول في المضمون ، إذ إن كنانة كانت تقيم في تهامة^(٣) .

وقد ضبط الدكتور أحمد علم الدين الجندى كلمة « بشرت » في نص الفراء بالتشديد^(٤) وبنى على ذلك نسبة التضعيف إلى عكل^(٥) .

وإذا ما رجعنا إلى « معاني القرآن » وجدنا المحققين (أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار) وهما حجة في اللغة لم يضبطا هذا الفعل رغم حرصهما الشديد على ذلك ، مما يدل على عدم تأكدهما من ضبط معين فتركا الكلمة عارية من التشكيل . ولما رجعت إلى « لسان العرب » وجدته يقول : « وَبَشَرْتُ لُغَةً رَوَاهَا الْكَسَائِيُّ »^(٦) . وبمقارنة هذه العبارة بعبارة الفراء « وبشرت لغة سمعتها من عكل ورواها الكسائي عن غيرهم » ، يتبين لنا أن ضبط هذه الكلمة بالتخفيف وليس بالتضعيف كما ذهب إلى ذلك الدكتور الجندى .

(٢) المصباح (بشر) ٤٩

(٤) اللهجات العربية ٥٣٥

(٦) اللسان (بشر) ١٢٧ / ٥

(١) معاني القرآن ١ / ٢١٢

(٣) معجم قبائل العرب ٣ / ٩٩٦

(٥) انظر : المرجع السابق

وأياً كان هناك من اختلاف فالتشديد منسوب إلى تميم ، وعلى ذلك نستطيع أن نوهن ما نسبته صاحب الإتحاف من أن التضعيف لغة الحجاز^(١) « خاصة وأن الفراء يرجح أن تكون « أبشر » هي الصيغة الحجازية . ولعل سبب هذا الخطأ يرجع إلى أن التضعيف كان قراءة الجمهور ، كما سيأتى . وسنعود إلى هذا الفعل عندما نعرض لـ « أفعل وفعل » .

موقف القراءات :

ورد هذا الفعل فى آيات عديدة من كتاب الله عز وجل^(٢) ، مثل قوله تعالى : (أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ)^(٣) وقراءه الجمهور بلغة تميم أى بالتضعيف . كما قرئ أيضاً بالتخفيف ، قال صاحب الإتحاف تعقيباً على هذه الآية وعلى قوله تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ)^(٤) . « واختلف فى (يُبَشِّرُكِ) و (نُبَشِّرُكِ) وما جاء منه ، فحمزة والكسائي فى الموضعين هنا و (يبشر) بسبحة^(٥) والكهف^(٦) بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة من البشر وهو البشارة . وافقهما الأعمش وزاد حمزة فخفف يبشرهم بالتوبة والأولى من الحِجْر (إِنَّا نُبَشِّرُكِ)^(٧) وموضعى مريم (إِنَّا نُبَشِّرُكِ)^(٨) و (لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ)^(٩) وافقه المطوعى وخفف ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي (ذَلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهَ) بالشورى^(١٠) وافقهم الأربعة ، والباقون بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة فى الجميع من بَشَّرَ المضعف^(١١) .

٢ - عَضُّ وَعَضُض :

عزا ابن سيده الصيغة الثانية (عَضَضْتُ) إلى تميم وسكت عن الأولى (عَضِضْتُ)^(١٢) مما يشعر بأنها اللغة المشتركة .

(٢) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ١١٩

(٤) آل عمران ٣ / ٤٥

(٦) آية ٢

(٨) آية ٧

(١٠) آية ٢٣

(١٢) المحكم ١ / ٢٧

(١) إتحاف ١٧٤

(٣) آل عمران ٣ / ٣٩

(٥) الإسراء ١٧ / ٩

(٧) آية ٥٣

(٩) آية ٩٧

(١١) إتحاف ١٧٤

نستطيع رغم أننا لم نعثر إلا على هذين المثالين المنسوبين أن نقرر بعد هذا أنه إذا وردت الصيغتان « فَعَل » و « فَعْل » بدلالة واحدة دون نسبة إلى بيئة معينة ، نرجح أن الثقيلة تميمية . ومما يعضد رأينا هذا :

- ١ - أن من الأعلام التميمية ما كان على هذا الوزن فخصم اسم للعنبر بن عمرو بن تميم^(١) .
 - ٢ - ما يرويه أبو عمرو الشيباني عن التميمي العدوي - رغم عدم تيقننا إن كان المقصود بذلك جميع بني عدى من تميم أو راو معين يروى عن تميم وغيرهم - أن المُكْنَع الذي يبست أصابعه^(٢) في حين إن كتب اللغة تذكر للفعل صيغة أخرى على « فَعْل » دون نسبة إلى قوم معينين ، جاء في اللسان^(٣) « قال أبو عبيد : الكانع الذي تقبضت يده ويَبست^(٤) » .
- * * *

(ج) فَعَل وفاعل :

شايح :

نسب الأصمعي إلى تميم ومعهم قيس أنهم كانوا يقولون : شايح بمعنى حاذر ، كما نسب إلى هذيل أنها كانت تنطق الصيغة نفسها ولكن بمعنى جَدُّ في الأمر^(٥) . وورد الفعل أيضاً - دون نسبة إلى قوم معينين - بالداليتين على صيغة « فَعْل » ، فقالوا : الشائح^(٥) . والذي يعني هنا أن بني تميم آثروا البنية الطويلة .

* * *

(د) فَعَل وافتعل :

نطق العرب أفعالاً وردت على وزني « فَعْل » و « افتعل » بمعنى ، وفما يلي الأفعال التي عزيت إحدى صيغتيها إلى تميم :

أولاً - نسبة افتعل إلى تميم :

١ - اتخذ :

يذكر يونس في نوادره أن أدل المجاز كانوا يقولون : « اتخذت ووخذت » و« تميم يقولون : « اتخذت »^(٦) وقد وردت الصيغة التميمية في القرآن الكريم ، قال تعالى : (وقالوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ)^(٧) .

(١) الصحاح (خضم) ٥ / ١٩١٤ ، وفيه إن خضم « بمعنى مضغ » . (٢) الجيم ٣ / ١٤٩
(٣) اللسان (كنع) ١٠ / ١٩٠
(٤) الغريب المصنف ١٧٤ / ١
(٥) اللسان (شيح) ٣ / ٣٣٠ ، ٣٣١
(٦) المزهر ٢٩٨ / ب (خ) = ٢٧٦ / ط (ط)
(٧) البقرة ٢ / ١١٦ ، وانظر حصراً لاستعمال الكلمة في القرآن الكريم بالمعجم المفهرس ١٨ ، ١٩

٢- أدخر :

كان التميميون يقولون : « أدخر » وكنانة يقولون : « دخر »^(١) . وقد ورد هذا الفعل في القرآن الكريم وفق اللغة التميمية ، قال تعالى : (وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ)^(٢) ولم يقرأ بلغة كنانة إلا في الشاذ ، فقد قرأ الزهري ومجاهد « تَدَّخِرُونَ »^(٣) .

٣- انتقد :

يذكر يونس أن أهل الحجاز كانوا يقولون : « هو الذي ينقُد الدراهم » وتميم تقول : « ينتقد »^(٤) وذلك بمعنى النظر فيها لمعرفة جيدها من زيفها^(٥) .

٤- احتسى :

قال الأزهرى : « سمعت غير واحد من بنى تميم يقول : احْتَسَيْنَا حِسِيَا ، أى أَنْبَطْنَا مَاءَ حِسِيٍّ »^(٦) والحسَى - كما يفسره الأزهرى - « الرمل المتراكم ، أسفله جبل أَصْلَدُ فإذا مُطِرَ الرمل نَشِيفَ ماء المطر فإذا انتهى إلى الجبل الذى أسفله أَمْسَكَ الماء ومنع الرمل حرَّ الشمس أن يُنَشِّفَ الماء فإذا اشتدَّ الحرُّ نُبِثَ وجه الرمل من الماء فنبت باردًا عَذْبًا »^(٧) . وحسًا واحتسى استعملتا - دون عزو - بمعنى قريب من المعنى الذى اقتصر عليه التميميون ، فقليل : حَسَا المرقَ واحتسَاهُ^(٨) . وإذا كان الأزهرى لم يذكر فى النص الذى ذكرناه سوى الصيغة التميمية فى هذه الدلالة فما ذاك إلا لأن الذين رأهم يحفرون الأحساء للحصول على الماء من بنى سعد من تميم^(٩) .

(١) ماورد فى القرآن من لغات القبائل (على هامش تفسير الجلالين) ١ / ٥٩

(٢) آل عمران ٣ / ٤٩

(٣) مختصر فى شواذ القرآن ٢٠ ، والقارئان هما :

(أ) الزهري : هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله الزهري المدنى تابعى . قرأ على أنس بن مالك وعرض عليه

نافع . توفى نحو سنة ١٢٤ هـ (غاية النهاية ٢ / ٢٦٢)

(ب) مجاهد : أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي تابعى مفسر . قرأ على عبد الله بن عباس وقرأ عليه الأعمش ومات

نحو سنة ١٠٣ هـ (غاية النهاية ٢ / ٤١ ، ٤٢)

(٤) المزهر ٢٩٨ / ب (خ) = ٢ / ٢٧٦ (ط) (٥) المصباح (نقد) ٦٢٠

(٦) تهذيب اللغة ٥ / ١٦٩ (٧) المرجع السابق

(٨) الصحاح (حسا) ٦ / ٢٣١٣ واللسان (حسا) ١٨ / ١٩٢ (٩) انظر : تهذيب اللغة ٥ / ١٦٩

ثانيا : نسبة فَعَل إلى تَمِيم :

لم يصادفنا سوى فعل واحد عزيت صيغته التي جاءت على « فَعَل » إلى تميم وهي « تَقَى » ، قال النحاس تعقيبا على قوله تعالى : (فَاتَّقُوا النَّارَ)^(١) : « ولغة تميم وأسد فَتَقُّوا النار »^(٢) .

والنتيجة أن هذه خمسة أفعال اتجهت تميم في أربع منها إلى « افعل » وفي الخامس إلى « فَعَل » ، وتحويل ذلك إلى لغة الأرقام يتبين أن « افعل » تمثل ٨٠٪ و « فَعَل » ٢٠٪ ، وبمقارنة ذلك بمقياس « ابن هشام » الذي عرضناه عند الحديث عن « فعل وأفعل » يتبين أن « افعل » هي الغالب عند تميم و « فَعَل » هي القليل . واتجاه تميم هذا يؤكد مسلكهم في الاتجاه إلى البنية الطويلة ، كما يتسق وميلهم إلى بدء الكلمة بمقطع مقفل قصير .



(هـ) فَعَل وأفعل :

١ — بَشَّرَ وأَبَشَّرَ :

ذكرنا عند الحديث عن « فَعَل وفَعَّل » أن في الفعل ثلاث لغات ، هي : بَشَّرَ ، وأَبَشَّرَ ، وبَشَّرَ . وتبين لنا هناك أن تيمما آثرت « بَشَّرَ » ، على « بَشَّرَ » التي نسبت إلى كنانة وما والاهما من أهل تهامة . والأمر هنا يختلف بالمقارنة بين صيغتين إحداهما على « فَعَل » (بَشَّرَ) ، والأخرى على « أفعل » (أَبَشَّرَ) . وقد لاحظنا عند عرض النصوص أن « بَشَّرَ » لتمييم و « أَبَشَّرَ » يميل الفراء إلى أنها للحجاز .

٢ — سَبَّلَ وسَبَّلَ :

أَسْبَلَ الزرعُ وَسَبَّلَ بمعنى خرجت سبواته^(٣) ، وقد نسبت الصيغة الأولى إلى الحجازيين والثانية إلى بني تميم^(٤) وأرى أن الصيغة التميمية (سَبَّلَ) أصلها « سَبَّلَ » ثم تطورت إلى صورتها الأخيرة وفق قانون التغيرات (dissimilation) وقد تكلمنا عنه في موضعه . فالفعل إذن على وزن فَعَّل وليس « فنعل » .

(٢) إعراب القرآن ٦ / ب

(٤) التاج ٧ / ٣٦٨

(١) البقرة ٢ / ٢٤

(٣) اللسان (سبل) ١٣ / ٣٤٢

ونخص مما سبق - رغم وجود مثالين فقط - بين أيدينا - أن التميمي أثر وزن « فَعْل » على « أَفْعَل » . حقيقة إن الصيغتين متكافئتان من حيث الكم . ومن حيث بدء كل منهما بمقطع مغلق قصير (فَعْ ، وَأَفْ) وهو ما تنتحيه اللغة التميمية إلا أنها آثرت التضعيف لما فيه من قوة .

* * *

(و) فاعل وأفعَل :

شايح :

ذكرنا عند الحديث عن « فَعْل وفاعل » أن بني تميم قالوا « شايح » بمعنى حاذر وأن هذا اللفظ نطقه الهذليون بمعنى جد في الأمر . ونقول هنا إن هذا اللفظ ورد بصيغة أخرى بالداليتين أنفسهما على وزن « أَفْعَل » أي أشاح ، فهو مُشَيِّح^(١) . ونلاحظ هنا أن التميميين ياتقون مع غيرهم في أن الوزنين متكافئان في الزيادة من الثلاثي .

* * *

ز - فَعَّل وفاعل :

استعمل العربي الصيغتين « فَعَّل » و « فاعل » وخصص لكل منهما وظيفة تختلف عن وظيفة الأخرى ، فالأولى تفيد التكثير والثانية تفيد المشاركة^(٢) . إلا أن هناك أفعالا وردت بالصيغتين بدلالة واحدة ، ونعرض هنا ما عثرنا عليه منسوبا إلى تميم لنرى النهج الذي آثرته :

١ - رَأَى :

عزى إلى سفي مضر قولهم « رَأَى » في مقابل « راءى »^(٣) الذي بمعنى أرى الناس يفعل وهو لا يفعل بالنية^(٤) وذلك ليظنوا به خيرا^(٥) . وإذا كانت صيغة « رَأَى » لم تنسب

(١) انظر : اللسان (شيخ) ٣ / ٣٣٠ ، ٣٣١

(٢) انظر : شرح الشافية ١ / ٩٢ ، ٩٦ - ٩٨

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥٤ / ١

(٤) اللسان (رأى) ١٩ / ١٥

(٥) المصباح (رأى) ٢٤٧

إلى تميم صراحة ، فالمعروف أنها من سفلى مضر . وقد ورد الفعل في قوله تعالى : (. . . وإذا قُمُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتُوبًا يُرَاءُونَ النَّاسَ)^(١) ولم يقرأ باللغة التميمية إلا في الشاذ من القراءات ، فمقد قرأ بها ابن أبي اسحاق^(٢) والأعرج^(٣) .

٢ - صَعَّر :

صَعَّر الخد وصاعره بمعنى أماله عن الناس إعراضاً وتكبراً^(٤) ، وعزيت الصيغة ، الأولى إلى تميم والثانية إلى الحجاز^(٥) . وقد اعتد القرآن الكريم باغة تميم في هذا الفعل ، فمقد قرئ بها كما قرئ باللغة الحجازية قوله عز وجل : (وَلَا تَصْعُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ)^(٦) . لقد قرأ باغة تميم من القراء الأربعة عشر ، ابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر^(٧) ، وحمزة ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وابن مُحَيْصِن ، والحسن^(٨) . وقرأ الباقر وفق اللغة الحجازية^(٩) . ووجدنا الفرزدق التميمي يستعمل الصيغة التميمية في شعره ، فيقول :
وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ضَرْبِنَاهُ دُونَ الْأُنْثِيِّينَ عَلَى الْكَرْدِ^(١٠)

٣ - ضَعَّف :

كانت تميم تقول « ضَعَّف » والحجاز « ضَاعَف »^(١١) . وقد ورد هذا الفعل في قوله تعالى : (يَانِيسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ يَبَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ)^(١٢) وقد قرأ القراء بالصيغتين التميمية (يُضَعَّف) ، والحجازية (يضاعف) . قرأ بالتميمية

(١) النساء ٤ / ١٤٢ (٢) اعراب القرآن للنحاس ٥٤ / أ ، وشواذ القراءة للكرمانى ٦٥

(٣) اعراب القرآن للنحاس ٥٤ / أ (٤) المصباح (صعر) ٣٤٠

(٥) الحجة للفارسي ٦ / ١٣١ ، البحر ٧ / ١٨٢ ، والإتحاف ٣٥٠

(٦) لقمان ٣١ / ١٨ (٧) السبعة في القراءات ٥١٣ ، والحجة للفارسي ٦ / ١٣١

(٨) إتحاف ٣٤٠ (وذكر القراء الذين قرءوا بلغة الحجاز فقط) .

(٩) المرجع السابق . (١٠) اللسان (كرد) ٤ / ٣٨٣ ، ورواية الديوان ٢١٠ :

وَكُنَّا إِذَا الْقَيْسِيُّ هَبَ عَتُودَهُ ضَرْبِنَاهُ فَوْقَ الْأُنْثِيِّينَ عَلَى الْكَرْدِ

(العتود من أولاد الغنم : ما بلغ حولا)

(١١) الحجة للفارسي ٦ / ١٥٢

(١٢) الأحزاب ٣٣ / ٣٠

معظم القراء الأربعة عشر ، فقد قرأ « نَضَعَف » بالنون ابن كثير وابن عامر^(١) وابن محيصن^(٢) ، وقرأ « يُضَعَف » بالياء أبو عمرو^(٣) وأبو جعفر ويعقوب^(٤) واليزيدي والحسن^(٥) .

وبعد : فإنه على الرغم من قلة الأفعال التي وجدنا إحدى صيغتيها معزوة إلى تميم ، فإنها كلها جاءت على وزن « فَعَلَّ » مما يجعلنا نميل إلى أنه إذا واجهتنا صيغتان إحداهما على « فَعَلَّ » والأخرى على « فَاعَلَّ » بمعنى ، ملنا إلى نسبة الصيغة المضعفة إلى تميم ، رغم أن الوزنين يتفقان في عدد المقاطع ، إلا أن التضعيف فيه قوة ويتفق والبيئة التميمية التي تميل إلى أن تبدأ الكلمة عندها بالمقطع المقفل القصير .

ولا أحب أن أنهي الكلام في هذا الموضوع دون أن أتعرض لرأى نسبة الدكتور عبده الراجحي لأبي على الفارسي ، وهذه النسبة في حاجة إلى نظر ، يقول الدكتور الراجحي : « ويذكر أبو على أن هناك أفعالا جاءت على الوزنين [أى فَعَلَّ وفاعل] نحو ضَعَف وضاعف وأنه إذا اختلف هذان الوزنان واتفق المعنى فإن المفاعلة هي لهجة الحجاز والتفعيل لهجة بني تميم »^(٦) ويشير الدكتور إلى أن مصدره في ذلك الحجة لأبي على^(٧) .

لكننا إذا رجعنا إلى الحجة لانجد كلام أبي على يحتمل ما نسب إليه ، فهو بعد أن يورد الخلاف في القراءتين « تصعر » و « تصاعر » يقول : « قال أبو على : يشبه أن يكون ولا تصعر ولا تصاعر بمعنى ، كما قال سيبويه في ضَعَف وضاعف وقال أبو الحسن لأتصاعر لغة أهل الحجاز ولا تُصَعَّر لغة بني تميم »^(٨) وعلى ذلك يتبين من مقارنة نص الفارسي بما نسب إليه أن الدكتور الراجحي حمل كلام الفارسي فوق ما يقصد ، فهو لم يذكر أن فَعَلَّ مطرد عند تميم مقابل فاعل - المتفق معه في الدلالة - عند غيرهم .

وإذا اتجهنا إلى اللغات السامية نجد « برجشتراسر » يقرر أن « الممدود أى فاعل خاص بالعربية والحبشية وأنه مشتق من المشدد ، أى فَعَلَّ بتعويض مد الحركة عن مد

(١) السبعة في القراءات ٥٢١ ، والحجة للفارسي ٦ / ١٥١

(٢) إتحاف ٣٥٤

(٣) السبعة في القراءات ٥٢١ ، والحجة للفارسي ٦ / ١٥١ (٤) تحبير التيسير ١٦٠

(٥) إتحاف ٣٥٥ (٦) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٧٦ ، ١٧٧

(٧) الحجة ٦ / ١٣١ (٨) المرجع السابق .

الحرف بعدها ، أى تشديده . وهذا التعويض كثير فى الأكدية والعبرية ، وقد يوجد فى غيرهما أيضاً^(١) .

وكلام «برجشتراسر» يدلنا على أن الصيغة المضعفة هى القدى ، ويعنى بالتالى أن التطور الذى حدث فى غير التميمية تم بطريق التغاير Dissimilation^(٢) . على أنه لو كانت فكرة «برجشتراسر» هذه صحيحة لوجب أن يندر فى العربية والحبشية وزن «فَعَلَّ» لأن معظم أفعاله يكون قد انطبق عليها قانون المغايرة المذكور . غير أن هاتين اللغتين يوجد فيهما الوزنان على قدم المساواة ، وكل واحد يأتى لمعنى غير المعنى الذى يأتى له الوزن الآخر^(٣) .



(ح) افتعل وتَفَعَّل :

تَعَذَّر :

لم نجد إلا مثالا واحدا استعمل فيه التميمى وزن «تَفَعَّل» فى مقابل «افتعل» بمعنى عند غيرهم «قال أبو زيد : سمعت أعرابيين : تيميا وقيسيا يقولان : تَعَذَّرْتُ إلى الرجل تَعَذَّرًا فى معنى اعتذرت اعتذارا»^(٤) . وهذا المثال (تعذر) وإن كان فريدا إلا أنه يتفق ومنهج التميميين الذين يميلون إلى التضعيف . والفعلان وإن كانا فى الماضى متفقين من حيث عدد المقاطع إلا أن عدد المقاطع يزيد مقطعا عند التميمى فى المضارع .

وإن هذه الصيغة وردت فى شعر الأحوص الأنصارى (ت ١٠٥ هـ) :

طَرِيدٌ تَلَا فَاةُ يَزِيدُ بِرَحْمَةٍ فَلَمْ يُلَافَ مِنْ نَعْمَائِهِ يَتَعَذَّرُ^(٥)

(١) التطور النحوى ٩٢ ، ٩٣

(٢) راجع ما كتبناه عنه ص ١٦١

(٣) من حديث شخصى للدكتور رمضان عبد التواب .

(٤) اللسان (عذر) ٦ / ٢٢٢ ، والتاج (عذر) ٣ / ٣٨٩

(٥) المرجعان السابقان ، وشعر الأحوص ١١٥ وفيه «يمسى» بدل «يلاف» .

ثانيا : فى الأسماء

(أ) التثقييل والتخفيف :

أولا : التثقيل :

١ ، ٢ - مثنى اسمى الإشارة والموصول (ذا - تا - الذى - التى) :

خالف التميميون - ومعهم القيسيون - غيرهم من العرب فى معاملة مثنى اسمى الإشارة والموصول فشددوا نون التثنية ، فى حين إن جمهور العرب خففها^(١) .

القراءات القرآنية ولغة تميم :

إذا نظرنا فى القراءات القرآنية لنرى مدى استعمالها للغة تميم^(٢) وجدنا :

(أ) اسم الإشارة :

١ - قال تعالى : (إِنْ هَٰذَا إِلَّا سَاحِرَانِ)^(٣) وقد قرأ بتشديد نون « هذان » ابن كثير^(٤) .

٢ - وقوله تعالى : (هَٰذَا خِصْمَانِ)^(٥) قرأ بتشديد نون « هذان » ابن كثير^(٦) .

أيضا :

٣ - وقوله عز وجل : (فَذَٰلِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ)^(٧) قرأ بالتشديد

ابن كثير وأبو عمرو^(٨) ورويس^(٩) والحسن واليزيدى والشَّنبوذى^(١٠) .

(١) شرح التصريح ١ / ١٥٧ ، وشرح الأشموني ١ / ١٤٧ ، ١٤٨

(٢) طه ٢٠ / ٦٣

(٣) السبعة فى القراءات ٤١٩ ، والتيسير ٩٤ ، ١٥١ ، وإبراز المعاني ٢٨٦ ، وإرشاد المريد ٢٨٦ ، ٣٩٦ ،
وتحبير التيسير ١٠١ ، وإتحاف ١٨٧ ، ٣٠٤

(٤) الحج ٢٢ / ١٩

(٥) السبعة فى القراءات ٤٣٥ ، والتيسير ٩٤ ، ٩٥ ، وإبراز المعاني ٢٨٦ ، وإرشاد المريد ٢٨٦ ، وتحبير
التيسير ١٠١ ، وإتحاف ١٨٧

(٦) القصص ٢٨ / ٣٢

(٧) السبعة فى القراءات ٤٩٣ ، والتيسير ١٧١ ، وإبراز المعاني ٢٨٦ ، وإرشاد المريد ٢٨٦

(٨) إتحاف ١٨٧ ، ٣٤٢

(٩) المرجع السابق ١٨٧

۴ - وقوله تعالى : « قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ » ^(۱) قرأها بتمشديد النون ابن كثير ^(۲) .

اسم المريض :

۱ - قوله تعالى : (وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا) ^(۳) قرأ بتشديد نون «اللذان»
ابن كثير ^(۴)

٧ - قوله تعالى : (وقال الذين كفروا رَبَّنَا أرنا الَّذِينَ أَخْلَلْنَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ) ^(٥)
قرأها كذلك بتشديد النون ابن كثير ^(٦) وقرأ خير ابن كثير بتخفيفها ^(٧) وفق اللغة
المشتركة .

۴ - رب :

« رَبِّ » كلمة ^(٨) تفيد التكثير غالبا . وترد للتقليل أحيانا ^(٩) . وقد تزداد بعدها « ما » ^(١٠) .

وفي « رب » ست عشرة لغة : ضم الراء وفتحها وكلاهما مع التشديد والتخفيف ،
والأوجه الأربعة مع تاء التأنيث ساكنة أو محركة ، والضم والفتح مع إسكان الباء وضم
الحرفين مع التشديد ومع التخفيف ^(١١) (رُبَّ - رُبٍّ - رَبٌّ - رَبًّا - رُبَّتْ - رُبَّتِي -
رَبَّتَ - رَبَّةٌ - رِبِّيَتِ - رَبِّتَ - رَبُّوا - رَبَّبُوا - رَبَّنَا) وأرى أن

هذا الإحصاء للغات «رب» إحصاء عقلي منطقي واللغة وعلى الأخص اختلافها حسب

(١) الفصل ٢٨ / ٢٧

(٢) التفسير ٩٥ ، وإبراز المعاني ١٨٧ ، وإرتداد المريد ١٨٧ ، وتبجير ١٠١ ، وإتحاف ١٨٧

(٣) النساء ٤ / ١٦

(٤) التيسير ٩٤ ، وإبراز المعاني ١٨٧ ، وإرشاد المريد ١٨٧ ، وتجبير ١٠١ ، وإتحاف ١٨٧

(۵) فصاحت ۴۱ / ۲۹

(٦) التيسير ٩٥ والمراجع السابقة بالصفحات نفسها.

(٧) انظر المراجع السابقة .

(٨) اختلف في نوعها فبعض الكوفيين أنها اسم (مغنى اللبيب ١ / ١١٨) بخلاف البصريين الذين يرون أنها حرف

(٩) مغلني اللبيب ١ / ١١٩

(الانصاف لابن الأنباری ۳۵۴)

(١١) المرجع السابق ١ / ١٢٢

(١٠) المرجع السابق ١ / ١٢٠

نطق أقوامها لاتخضع للمنطق دائماً ، فقد يكون بعض تلك الصيغ مفتعل ، وعلى فرض صحتها أرى أن استعمال «رُبَّ» و «رُبُّ» بمقطعين مفتوحين قصيرين قد مات ، إذ لاتوجد كلمة مستقلة في النطق ، سواء أكانت اسماً مبنياً أو حرفاً مكونة من هذين المقطعين سوى (مَعَ) على أن ربيعة نطقها ساكنة العين^(١) ، وربيعه كما أرى من البيئات المتطورة ، لأنها كانت متطرفة في الجزيرة . لذا رأيناها تسكن أواخر الكلمات عند الوقف في حالات الإعراب الثلاث^(٢) .

أما استعمال «رب» بمقطعين مفتوحين مع إلحاق «ما» بها ، فقد ظلت تحافظ عليه العربية ، ونجد أباً حاتم يذكر أن فيها ثمانية أوجه : رُبَّما ، وَرُبَّما ، ورُبَّتْما ، ورُبَّتْما ، ورُبَّما ، ورُبَّتْما^(٣) . والذي يعنينا من كل تلك الصيغ «رُبَّما» مخففة الباء ومثقلتها .

لقد نسب الأصمعي التخفيف للحجاز والتثقيب لتميم وقيس وبكر^(٤) ووافقه في هذه النسبة أبو حاتم ، إلا أنه استبدل ببكر «ربيعه»^(٥) ولا تناقض بين النسبتين فبكر فرع من ربيعة^(٦) وقيس وبكر قريبتا الشبه من تميم ، فكلهم يعيشون في بيئة بدوية متجاورة بطيئة التطور لغوياً . وإن التثقيب في هذه الكلمة عند تميم ليتفق وميلها إلى البدء بمقطع مغلق قصير .

موقف القراءات القرآنية من اللغة التميمية :

نتجهه بعد هذا إلى القراءات القرآنية لنرى مدى اعتدادها باللغة التميمية . لقد وردت «ربما» في قوله تعالى : (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لو كانوا مسلمين)^(٧) . وقد قرأ بالتخفيف — أى وفق اللغة الحجازية — نافع وعاصم (من السبعة)^(٨) وأبو جعفر (من العشرة)^(٩) وقرأ باقي الأربعة عشر وهم : ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحزمة

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------------|
| (١) اللسان (مع) ٢١٨ / ١٠ | (٢) شرح الأشموني ٢٠٤ / ٤ |
| (٣) إعراب القرآن للنحاس ١٠٩ / ب | (٤) المرجع السابق . |
| (٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١ | (٦) عجالة المبتدئ ٢٦ |
| (٧) الحجر ٢ / ١٥ | (٨) التيسير ١٣٥ ، وإرشاد المريد ٣٧٢ |
| (٩) تحبير التيسير ١٣٠ | |

والكسائي^(١) (من السبعة) ويعقوب وخلف (من العشرة) وابن محيصن واليزيدي والحسن البصري والأعمش (من الأربعة بعد العشرة) بالثقل^(٢) ، أى وفق اللغة التميمية .

٤ - مُصْطَفَّة :

ذكرنا عند الحديث عن التبادل بين الباء والفاء أن بنى حنظلة كانوا يقولون في مقابل «مُصْطَبَّة» ، «مُصْطَفَّة» بالفاء المشددة ، وتكلمنا هناك عن الصلة بين الباء والفاء . والذي يهمنا هنا أن بنى حنظلة - وهم فرع من تميم - اختاروا الصيغة المشددة .

٥ - إِكْبَرَة :

كان التميميون يقولون «إِكْبَرَة» مقابل «أَكْبَر» في اللغة المشتركة ، فيذكر أبو زيد في نواته أنه سمع «أعرابيا من بنى تميم يقول : فلان كِبَرَة ولد أبيه إذا كان أَكْبَرَهُمْ . قال أبو حاتم : وقع في كتابي إِكْبَرَة ولد أبيه أى أَكْبَرَهُمْ^(٣) . وإذا صححت رواية أبي حاتم هذه ، فإن ذلك يتسق واتجاه تميم إلى التشديد مقابل التخفيف عند غيرهم .

٦ - هَدَى :

الهِدَى : ما يُهْدَى إلى مكة من النَّعم^(٤) وقد استعمل اللفظ بصورتين : مخففة الياء (هَدَى) ، ومثقلتها (هَدِي) . وقد نسب التثقيب إلى تميم والتخفيف إلى الحجاز^(٥) .

أما النسب في إحدى الروايات إلى تميم وسفلى قيس^(٦) ، فقيس كانت تجاور تميما وعلى الأخص سفلاها . ونسبة التثقيب إلى تميم أمر طبيعي فإن صيغة التثقيب فيها تكرار للحرف أى أنه طول بنية .

(١) السبعة في القراءات ٣٦٦ (وقرأ أبو عمرو أيضا بالتخفيف) . (٢) إتخاف ٢٧٤ (وذكر المخففين) .

(٣) نواتر أبي زيد ٩٧ (بيروت) = ٣٣٠ (الشروق) وضبط «أكبرهم» بفتح الهمزة والباء وتشديد الراء المفتوحة ونرجح ما في الطبعة القديمة لاتساق ذلك وكلام أبي زيد السابق ووقوع تصحيف في ضبط كلمة إِكْبَرَة ، فقد ضبطت هكذا «إِكْبَرَة» ، بكسر الهمزة وسكون الكاف وكسر الباء المشددة وفتح الراء . (٤) اللسان (هدى) ٢٠ / ٢٣٤ .

(٥) ومجالس ثعلب ٢ / ٥٧٨ ، المزهر ٢٩٩ / ٢ = ٢٧٧ (ط) ، والحجة للفارسي ١ / ١٣٩ وفيه «وحكى أحمد بن يحيى [يعنى ثعلبا] (عن بعض البغداديين)» .

(٦) المحكم ٢ / ٢٧٠ ، واللسان (هدى) ٢٠ / ٢٣٤ (عن ثعلب) .

موقف القراءات :

ولننظر بعد هذا إلى استعمال القرآن الكريم لهذه اللفظة ، وهل استعملت إحدى القراءات نغمة تميم ؟

لقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم سبع مرات هي :

- ١ - (فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) ^(١) .
- ٢ - (وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ) ^(٢) .
- ٣ - (فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) ^(٣) .
- ٤ - (لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ) ^(٤) .
- ٥ - (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْغِ كَعْبَةِ) ^(٥) .
- ٦ - (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشُّهُرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقُلُودَ) ^(٦) .
- ٧ - (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا) ^(٧) .

وقد قرأ الجمهور في كل هذه الآيات بالتخفيف ، وقرأ بتشديد الياء الحسن وعصمة عن عاصم واللؤلؤى (رويس) وخارجة عن أبي عمرو ^(٨) ، كما قرأ الآيتين الثانية والخامسة الأعرج ^(٩) .

بعد تحققنا من أن النطق التميمي لهذه الكلمة قد ورد في بعض القراءات القرآنية مما يعضد بقاء ذلك النطق حتى عصر النبوة وإن كانت تلك القراءات شاذة ، لكن الشذوذ ليس خاصا باللغة .

(٢) البقرة ٢ / ١٩٦

(٤) المائدة ٥ / ٢

(٦) المائدة ٥ / ٩٧

(١) البقرة ٢ / ١٩٦

(٣) البقرة ٢ / ١٩٦

(٥) المائدة ٥ / ٩٥

(٧) الفتح ٤٨ / ٢٥

(٨) البحر ٨ / ٩٨ « وخارجة » هو أبو الحجاج خارجة بن مصعب الضبي . أخذ القراءة عن نافع وأبي عمرو ، وله

(٩) مختصر في شواذ القرآن ١٢ ، ٣٥ .

شذوذ . توفي سنة ١٦٨ هـ (غاية النهاية ١ / ٢٦٨)

وقف الشعر التميمي :

ننتقل بعد ذلك إلى الشعر لنرى هل استعمل هذا النطق في الشعر وخاصة التميمي ؟ .

لقد ورد اللفظ بهذا النطق في شعر كل من جرير والفرزدق وهما تميميان .

قال جرير :

إِن الْفَرْزَدَقَ لَا يُبَالِي مَحْرَمًا وَدَمَ الْهَدْيُ بِأَذْرَعٍ وَنُحُورٍ^(١)

وقال الفرزدق :

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى وَأَعْنَاقِ الْهَدْيِ مَقْلَدَاتٍ^(٢)

٧ - ا ه الإشارة هُنا :

هُنا ، وهَاهُنا (المسبوقة ب « ها » التنبيه) اسما إشارة للمكان القريب^(٣) . ويذكر النحاة أن النون قد تشدد مع ضم الهاء أو فتحها أو كسرهما ، فيقال : هُنا ، وهُنا ، وهِنا ، وَأَنا في حالة التشديد مع الكسر والفتح تدل على البعيد^(٤) ، إِلَّا أَنَّ أَبَا عُبَيْدٍ يذكر أن الفرق بين هَاهُنا (المخففة مع ضم الهاء) وهَاهُنا (المشددة النون مع كسر الهاء) ينحصر في أن المشددة تنتمي إلى تميم تشاركها في ذلك قيس - التي تجاورها في البيئة النجدية - وذلك في مقابل المخففة التي لم يشر إلى بيئتها^(٥) ، ويفهم من عدم الإشارة أنها الصيغة المستعملة في اللغة المشتركة ، ويؤيد ذلك ورودها في القرآن الكريم في قوله عز وجل : (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)^(٦) .

٨ - الوقف بالتضعيف :

ويدخل تحت هذا الصنف ما عزی إلى أحد بطون نعيم وهم بنو سعد من أنهم كانوا يقفون على الحرف الأخير بالتضعيف . وقد تناولنا ذلك بالتفصيل عند الحديث عن الوقف .



(٢) ديوان الفرزدق ١ / ١٢٧

(٤) المرجع السابق ١ / ١٤٤ ٤ ١٤٥

(٦) المائدة ٥ / ٢٤

(١) ديوان جرير ١٤٩

(٣) شرح الرشموي ١ / ١٤٤

(٥) القريب المصنف ١٩٣ / ب

ثانيا : التخفيف :

ضمير الغائب المفرد (هو ، هي) :

- ١ - يذكر الكسائي (ت نحو ١٨٩ هـ) أن ضمير المفرد الغائب «هُوَ» :
 (أ) «أصله أن يكون على ثلاثة أحرف ، مثل أَنْتَ ، فيقال : هُوَ فعل ذلك » .
 (ب) «من العرب من يخففه فيقول : هُوَ فعل ذلك » .
 (ج) بنو أسد وتميم وقيس كانوا يقولون : «هُوَ فعل ذلك بإسكان الواو » .
 (د) من العرب من كان «يلقى الواو من هو إذا كان قبلها ألف ساكنة ، فيقول حَتَّاهُ فعل ذلك ، وإثماهُ ، فعل ذلك»^(١) .

٢ ويذكر الكسائي كذلك فيما يخص الضمير «هي» أن له أربع حالات تطابق حالات «هو» ونسب تشديد الياء إلى هَمْدَان وماحولها وإسكان الياء إلى أسد وقيس فقط^(٢) .
 ونلاحظ أن الصيغتين المخففتين نسبت صيغة المذكر إلى أسد وتميم وقيس وأما صيغة المؤنث فقد اقتصر على أسد وقيس ، ونحسب أنها أيضا كانت من خصائص تميم قياسا على صيغة المذكر ، خاصة وأن اللغويين لم يكونوا يحصرون اللغات الخاصة بكل ظاهرة ولم يكن لهم في العزو للقبائل منهج محدد دقيق .

نحن إذن أمام أربع صيغ لكل من ضميري الرفع المنفصل المفردين الغائبين وهي :

- ١ - هُوَ - هِيَ ، وهما اللتان شاعتا في اللغة المشتركة .
- ٢ - هُوْ - هِيْ ، عند هَمْدَان ومن حولها .
- ٣ - هُو - هِي $h\bar{u} = h\bar{i}$ عند تميم وأسَد وقيس .
- ٤ - هَ - هِ ، ولم يحدد الناطقون بهما .

تفسير تعدد الصيغ :

١. يذكر ليمان (ت ١٩٥٨م) أن هذا الضمير كان ينطق في الأصل $\text{N} \bar{\text{t}} \bar{\text{t}}$ - (هُوَ) للمذكر و $\text{N} \bar{\text{t}} \bar{\text{t}} \alpha$ (شِئْء) للمؤنث ثم أبدلت شين المؤنث هاء قياسا على المذكر^(٣) .

(١) المحكم ٤ / ٢٤٧ ، واللسان (ها) ٢٠ / ٣٦٦ ، والتاج (ها) ١٠ / ٤٥٥

(٢) المحكم ٤ / ٢٤٤ ، واللسان (هيا) ٢٠ / ٢٥٣ ، ٢٥٤

(٣) بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي ٣٨

وهذا الرأي مال إليه من قبل برجشتراسر (ت ١٩٣٢ م) ، فقد لاحظ وجود رمزة الهمزة في العبرية آخر كل من hā^{a} (هو) و hā^{a} (هي) فاستنتج أن هذه الهمزة

كانت تنطق ثم حذفت^(١) أصل الضميرين المفردين الغائبين إذن hā^{a} و hā^{a}

ثم حدث تطور في كل منهما . فبالنسبة للضمير المذكور حذفت الهمزة وبقيت حركتها وهي الفتحة فالتقت الضمة الطويلة بالفتحة القصيرة فتكون بينهما صوت انزلاقي ، وهو الواو

أو الياء فأصبح الضمير hā^{a} ثم تطورت هذه الصورة إلى عدة صور :

(أ) صارت في اللغة المشتركة hā^{a} وذلك بتقصير الحركة الطويلة .

(ب) وأصبحت عند همدان hā^{a} وذلك بتقصير الحركة وتعويضها

بتشديد الواو .

(ج) وأما عند تميم فحذف المقطع الأخير فصار hā^{a} .

وقد حدث الشيء نفسه بالنسبة لضمير المؤنث فأصبح hā^{a} .

وأما عن الصورة الأخيرة (هـ - هـ) فإنها نشأت عن المخالفة الكمية في الحركات عن الصيغتين التميميتين هـ وهـ ، ودليل ذلك أنها لم ترد إلا بعد بضع كلمات كثر دورانها على الألسنة مثل إنما وحتى ، أي إن حذف ما بعد الهاء حدث عندما سبقت هذه الهاء بحرف مدهو الألف . ونلاحظ حدوث ذلك في كل ما يشبه هـ hā^{a} ؛ أي الكلمة المكونة من مقطع واحد طويل مفتوح مثل ما الاستفهامية ، فإنها إذا سبقت بكلمة تنتهي بمقطع طويل مفتوح مثل حتى وإلى وعلى قصر مقطع « ما » وأصبح قصيرا ، فقليل : حَتَام وإِلَام . ودليل تطور هذا الضمير عن الصيغة التميمية القيسية الأسدية وروده في شعر لرجل من بني أسد هو أبو خالد الأسدي في قوله :

* إِذَا هُ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ لَمْ يَنْبِسْ *^(٢)

وفي قول العجير بن عبد الله السلولى (ت نحو ٩٠ هـ) ، وهو من هوازن من قيس^(٣)

* فَمِينَاهُ يَشُرُ رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ *^(٤)

(٢) اللسان (ها) ٢٠ / ٣٦٦

(٤) اللسان (ها) ٢٠ / ٣٦٦

(١) التطور النحوي ٨٢

(٣) جبهة أنساب العرب ٢٧٢

الصيغة التمييزية واللغات السامية :

إذا اتجهنا إلى اللغات السامية نلاحظ أن الصيغتين التمييزيتين الدالتين على التذكير والثأنيت هما أنفسهما في العبرية والآرامية والسريانية ، ففيها *hū* (هو) و *hī* (هي)^(١) .

كما تتفق الصيغتان مع لغات أخرى سامية في أن الضمير مكون من مقطع طويل مفتوح ففي الآشورية *šū* ، للدلالة على الغائب و *šā* للدلالة على الغائبة^(٢) ، وفي اللغات العربية الجنوبية عدا السبئية^(٣) يعبر عن الغائب بـ « سو » و « س » وعن الغائبة بـ « سى » و « سا »^(٤) .

الصيغة التمييزية في الشعر :

وردت « هو » كما كان ينطقها التمييزيون على لسان أحدهم ، وهو عبيد بن الأبرص ، فقد أنشد له الكسائي :

وركضك لولا هو لقيت الذي لقوا

فما صبحت قد جاوزت قوماً أعاديا^(٥)

* * *

(ب) النسب إلى « فَعِيل » و « فَعِيل » :

القاعدة العامة في النسب عند العرب إضافة ياء مشددة في آخر الاسم المنسوب إليه مكسور ما قبلها^(٦) . ومن ذلك النسبة إلى كل ما هو على وزني : فَعِيل ، وفُعِيل ، مثل عَقِيل وعُقِيل ، فقالوا في النسبة إليهما عَقِيلٌ وعُقِيلٌ^(٧) .

لكن العلماء ذكروا لنا أن هناك ألفاظاً شذت عن القاعدة فحذفت الياء وفتح الحرف الثاني فنسبت الصيغة الأولى على وزن « فَعَلَى » ، والأخرى على وزن « فُعَلَى » ، وقالوا في

(١) فقه اللغات السامية ٨٥

(٢) المرجع السابق .

(٣) اللغات dialects الجنوبية هي : السبئية ، والمعينية ، والقنانية ، والأوسانية ، والحضرية ، واليميرية

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام الجواد على ٧ / ٧١ (٤) المرجع السابق ٧ / ٧٧ ، ٧٨

(٥) المحكم ٤ / ٢٤٧ ، والسان (ها) ٢٠ / ٢٦٩

(٦) شرح الأشئوفى ٤ / ١٨٧

(٧) المع ٢٧٩

النسبة إلى ثَقِيف ثَقَفِيٍّ وإلى هَذِل هَذِلِيٍّ^(١) ، وإلى قُرَيْش قُرَيْشِيٍّ^(٢) ، وإلى زُرَيْق ابن حارثة الخزرجي زُرَقِيٍّ^(٣) .

والرأي عندي أن ما عُدَّ شاذًا ليس إلا تطورًا ، أو هو بمعنى أدق بداية تطور في بنية الكلمة من الطول إلى القصير وقد تسمَّ في البيئته الحجازية . وأما تميم وما شاكلها من قبائل مجاورة بدوية ، فقد حافظت على القديم . وإنه لما يعضد هذا الرأي :

١ - إن الكلمات المنسوبة إليها (مما هي على وزني فَعِيل وفُعِيل) وحكم بشمولها لقصر بنيتها بحذف الياء تنتمي إلى البيئة الحجازية . وإنها كثرت حتى عدها المبرد (٢٨٥ هـ) مطردة وتبعه في رأيه هذا السيرافي (٣٦٨ هـ) جاء في شرح الأشموني (٩٠٠ هـ) : « ووافق السيرافي المبرد ، وقال : الحذف في هذا خارج من الشذوذ وهو كثير جدًا في لغة أهل الحجاز »^(٤) .

٢ - رويت لنا أعلام تميمية نسب إليها وعدت موافقة للقاعدة ، منها :

(أ) رُقَيْعِي : وهو « ماء بين مكة والبصرة لرجل من بني تميم ، يعرف بابن رُقَيْع »^(٥) .

(ب) سَلَيْطِي : نسبة إلى سَلَيْط ، وهو الحارث بن يربوع بن حنظلة^(٦) .

(ج) عَجَيْفِي : نسبة إلى عَجَيْف بن ربيعة بن مالك بن حنظلة^(٧) .

(د) عَرِينِي : نسبة إلى عَرِين بن يربوع^(٨) .

(هـ) قُرَيْعِي : نسبة إلى قُرَيْع بن عوف بن كعب^(٩) .

(و) هَجَيْمِي : نسبة إلى الهَجَيْم بن عمرو بن تميم^(١٠) .

٣ - الأعلام التي نسب إليها على كلا الوزنين (إثبات الياء وحذفها) نص العلماء على أن التميمية هي التي تتبع القاعدة أما الحجازية فهي الشاذة (بحذف الياء منها) ، من ذلك :

(أ) النسبة إلى فُقَيْم كنانة فُقَيْمِيٍّ ، أما النسبة إلى فُقَيْم تميم فهي فُقَيْمِيٍّ ، قال

الأشموني : « وفي فُقَيْم ، كنانة فُقَيْمِيٍّ ليفرقوا بينه وبين فُقَيْمِيٍّ في فُقَيْم تميم »^(١١) .

(١) الكتاب ٢ / ٣٣٥

(٣) عجالة المبتدئ ٦٨

(٥) معجم ما استعجم ٢ / ٦٦٨

(٧) المرجع السابق ٩١

(٩) عجالة المبتدئ ١٠٤

(١١) شرح الأشموني ٤ / ١٣٧

(٢) شرح الأشموني ٤ / ١٨٧

(٤) شرح الأشموني ٤ / ١٨٧ ، ١٨٨

(٦) عجالة المبتدئ ٧٣

(٧) الكامل للمبرد ١ / ٣

(١٠) المرجع السابق ١٢٤

(ب) ما ذكره أبو الحسن الأنخفش^(١) من أن النسب إلى عرين بن يربوع « عرينى وكثير من الناس يقول عُرْنى ولا يدرى »^(٢) يدل على أن النسب إلى عرين تطور على مر الأيام فأصبح شأنه شأن قريش وثقيف ، وإن كان اللغويون لم يعترفوا بهذا التطور .

(ج) إن العربى تميميا كان أو حجازيا حذف هذه الياء عند إضافة التاء إلى هذين الوزنين (أَى فُعِيَاة وفُعِيَاة)^(٣) ، فجاء بهما على وزن فُعَلَى وفُعَلَى مثل جُهْنَى نسبة إلى جُهَيْنَة ، وحَنْفَى ، نسبة إلى حَنْفَة باستثناء ألفاظ لم تحذف فيها الياء مثل عميرى نسبة إلى عميرة كلب^(٤) وهى قبيلة متوغلة فى البداوة . وحذف الياء فى هذين الوزنين لايعنى سوى أن التطوير بالحذف بدأ فى البنية الطويلة (فُعَيْلَة وفُعِيَاة) إيثارا لقانون السهولة . أما البنية القصيرة (فُعَيْل وفُعِيَل) فقد بدأ تطورها متأخرا . وبدأ فى البيئة الحجازية ولم يتعدها إلى بيئة تميم المقفلة .

ثم يعجىء مجمع اللغة العربية ، فلا ينظر إلى التطور الذى أصاب صيغتي « فُعَيْلَة ، وفُعِيَاة » ويسوى بينهما وبين صيغتي « فُعَيْل ، وفُعِيَل » اللتين لم يقطعا الشوط كاملا فى التطور ويقرر أنه «... ورد السماع بحذف الياء وإثباتها فى النسب إلى فُعَيْل ، بفتح الفاء وضمها مذكورة ومؤنثة فى الأعلام وفى غير الأعلام . ولهذا يجوز الحذف والإثبات »^(٥) .

* * *

(ج) الممدود :

مالت تميم إلى الممدود على حين مالت الحجاز إلى المقصور . والتميميون فى نهجهم هذا يتساقون وتحققهم الهمزة ، وكذلك يطيلون بنية الاسم . وقد تناولنا هذا الموضوع بالدراسة فى الباب السابق .

(د) مصدر فَعَلَ :

يأتى المصدر من «فَعَلَ» عند النجديين ومنهم التميميون على «الفُعُول» وعند الحجازيين على «الفُعُل» . وسنتناول ذلك عند الحديث عن المصادر .

(١) هو على بن سليمان الأنخفش المتوفى سنة ٣١٥ هـ (نزهة الألباء ١٦٨) أحد رواة الكامل للمبرد (انظر : الكامل ٢ / ١)
(٢) الكامل ١ / ٣

(٣) غير معتلة العين كطويلة ، أو كانت العين واللام من جنس واحد كجديدة فتثبت الياء (شرح الأشموني ، وحاشية الصبان ٤ / ١٨٧)
(٤) شرح الأشموني ٤ / ١٨٦ ، ١٨٧ ، وشرح التصريح ٢ / ١٨٧
(٥) فى أصول اللغة ٢ / ٨٥ ، ٨٦

ثالثاً : متفرقات

عالجنا فيما يخص البنية من حيث الطول والقصر عدة موضوعات يتناول كل منها طائفة معينة من الكلمات ترتبط برباط معين ، وبقيت لدينا مجموعة يعوزها الترابط والانتماء إلى موضوع بعينه . ونلاحظ أن هذه الكلمات مالت تيم في بعضها إلى البنية الطويلة وفي أخرى إلى البنية القصيرة ، وسنتناول كل مجموعة على حدة .

(١) الميل الى طول البنية :

الكلمات التي عثرنا عليها من هذا الصنف هي :

١ - أنا :

في الوصل ، إذ أثبت التميميون الألف وأسقطها الحجازيون . وسبق الحديث عن ذلك في « الوقف » .

٢ - بُلولة :

عزيزت هذه الصيغة إلى نيم في حين أنه نسب إلى أسد « بَلْكَه » ولللفظ صيغة ثالثة هي « بَلْكَه »^(١) ورغم عدم نسبتها فإننا نرجح عزوها إلى الحجاز لاتفاق ذلك وما قرره الفراء من أن كلَّ فِعْلٍ من بابي ضرب ونصر ولم يسمع له مصدر ففَعَلَ للحجاز وفُعُول لنجد^(٢) - وسنعرض لهذا عند الحديث عن المصدر - وفِعْلٌ هذه المصادر هو بَلَّ يَبُلُّ^(٣) أي من باب نصر . والأسماء الثلاثة التي ذكرناها مصادر اضيفت إليها التاء .

٣ - شَرَّار :

ويقابل هذه الكلمة شَرَّر ، في اللغة المشتركة . وقد عرضنا هذه الكلمة عند الحديث عن « الفصل بين الأمثال » في الفصل الأول من الباب الثاني .

(١) اللسان (بلل) ١٣ / ٧٠

(٢) ديوان الأدب ٢ / ١٣٩

(٣) اللسان (بلل) ١٣ / ٦٧

٤ - كراهية :

استعمات تميم هذا اللفظ وكان الحجازيون يقولون « كراهة »^(١) .

٥ - بَطْأَى :

استعمات عند بطن من تميم . وبطاء عند سواهم ، جاء في التكملة للصغاني « لم أجد بطاء يامدا ، وبَطْأَى ، أى الدهر في لغة بني يربوع »^(٢) .

٦ - جَبْرَيْل :

قلنا عند الحديث عن « الفتح والكسر » إن هذا العلم أعجمي ، وكان له عند العرب خمس صور ، هى : جَبْرَيْل (لغة الحجاز) ، وَجَبْرَيْل (لغة تميم وشاركتها في ذلك قيس) ، وَجَبْرَيْن (بالنون) لغة أسد ، وَجَبْرَيْل بفتح الجيم بغير همز ، وَجَبْرَيْل ، والصيغتان الأخيرتان لم تنسبا . ونلاحظ أن تهما اختارت الصيغة الطولى ، وهى الصيغة التى تشفق واللغة العرب عنها .

٧ - اسَّأَل :

ذكر يونس فى نوادره أن أهل الحجاز كانوا يقولون « سَلَّ ربك » و تميم تقول « اسَّأَل »^(٣) وأصل هذا الفعل « سَأَلَ يسَّأَل » فلما اشتق التميمي فعل الأمر اجتلب له همزة وصل . أما عند الحجازي ، فقد اختفت همزة الكلمة الواقعة عينا للكلمة بعد تسهيلها ، وأضحى شأنها شأن الألف الواقعة عينا للفعل الأجوف فى مثل خاف وخف .

موقف القرآن الكريم :

جمع القرآن الكريم بين اللغتين التميمية والحجازية ، قال تعالى : « واسَّأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا »^(٤) ، كما وردت صيغة « اسَّأَل » فى ثلاث عشرة

(١) المزهر ٢ / ٢٧٦

(٢) التكملة (بطا) ١ / ٨

(٣) المزهر ٢٩٨ / ب (خ) = ٢ / ٢٧٦ (ط)

(٤) يوسف ١٢ / ٨٢

آية أخرى^(١) ، قال تعالى : (سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيْنَةٍ)^(٢) ، وقال جل شأنه : (سَلِّمْ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ)^(٣) . والملاحظ أن القرآن الكريم استعمل اللغة التميمية في هذا الفعل سبعة أضعاف الحجازية .

٨ - اسم :

ذكرنا عند الحديث عن «الضم والكسر» أن لهذه الكلمة أربع صيغ هي «أُسم» (بضم الهمزة وكسرها) وقد نطق الأولى بنو عمرو بن تميم ، واختارت الثانية اللغة المشتركة ، وُسِم (بدون همزة وبضم السين وكسرها) ولم ينسأ إلى أقوام معينين . لهذه الكلمة إذن صيغتان طويلتان وأخريان قصيرتان نطق بنو تميم الصيغتين الطويلتين ، ونطق بطن منهم - وهم بنو عمرو - الصيغة المضمومة الأول وشارك بقيتهم في نطق المكسورة . وهي وإن لم تنسب إليهم صراحة فإننا كما سبق أن قلنا إن اللغة التميمية من اللغات التي اعتد بها اللغويون فما نسب إلى اللغة المشتركة ولم ينسب إلى تميم موقف مخالف حكمنا عليه حكما أشبه باليقين بأن تميم كانت تنطقه .

وقد لاحظنا هناك - عند الحديث عن هذه الكلمة فيما سبق - أن الصيغتين القصيرتين أقدم في الزمن من الطويلتين ، إذ إنهما يمثلان المرحلة الثنائية وهذا يعني أن تميم استعملت الكلمة وطورتها بالزيادة .

٩ - إَضْحِيَانَة :

وكان يقولها التميمون ، أما الحجازيون فكانوا يقولون «ضَحْيَانَة» وذلك في معنى الليلة التي لا غيم فيها^(٤) .

(١) راجع : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٣٧

(٢) القلم ٦٨ / ٤٠

(٣) البقرة ٢ / ٢١١

(٤) الزمر ٢ / ٢٧٦

١٠ - قنّان :

قُنّان القميص وقُنّه وكُنّه وكمه بمعنى^(١) . وقد عزيت الصيغة الأولى إلى اليمن وتكلم بها أهل نجد^(٢) . ويعني هنا أن تمّيا - وهي نجدية - آثرت البنية الطويلة (قنّان) على قُنّ ، وهي إنما فعلت ذلك لتفصل بين الصوتين المتماثلين .

* * *

(ب) الميل إلى قصر البنية :

وإذا انتقلنا إلى الكلمات ذات البنية القصيرة عند تميم نجد :

١ - ثنّتان :

كان العرب يطلقون اللفظ « اثنان » للدلالة على العدد المثنى المذكور ، فإذا ما أنشوا اختلف التميميون عن الحجازيين فقال التميميون « ثنتان » وقال الحجازيون « اثنتان »^(٣) . وهذه الهمزة التي يبتدأ بها في « اثنان » و « اثنين » عند تميم والحجاز و « اثنتان » و « اثنتين » عند الحجاز فقط همزة وصل ، فهي إذن زائدة عن أصل الكلمة . وكون التميمي وافق الحجازي في اثنين وأضاف إليها همزة وصل ، فهو بهذه الإضافة لم يزد مقاطع « اثنين » عن مقاطع « ثنتين » ، فكلاهما يحوى من المقاطع ثلاثة ، ذلك إلى أن إضافة همزة الوصل إلى « اثنين » يجعلها تتفق ونسج الكلمة عند تميم التي تبدأ بمقطع مغلق قصير .

نخلص من هذا التعليق إلى أن الصيغة التميمية « ثنتين » أقدم من الحجازية « اثنين » . ويرجح هذا القدم أننا لو اتجهنا إلى اللغات العربية القديمة والألسنة السامية ، نجدها تستعملها ، بدون همزة بل إن هذه الهمزة لا تلحق المذكور (اثنين) ، فيقال في اللغات العربية الجنوبية « ثنى » للتذكير و « ثنتى » و « ثنى » في بعض الأحيان للمؤنث^(٤) ، ويقال

(١) اللسان (قنن) ١٧ / ٢٢٩

(٢) جمهرة اللغة (قنن) ٣ / ١٩٧

(٣) شرح التصريح ٢ / ٣٣٨ ، وانظر نسبة الصيغة التميمية فقط في : المصباح (ثنى) ٨٦ ، وجمع الموامع ١ / ٤١ ،

وشرح الأشموني ١ / ٧٨

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ٧ / ١١٥

في اللغة اللحيانية «ثن» للثنتين^(١) . وإذا اتجهنا إلى الألسنة السامية نجد في العبرية *šēnáyim* للمذكر و *šittáyim* للمؤنث وفي الآرامية *trēn* للمذكر و *tartēn* للمؤنث والآشورية *šinā* للمذكر و *šitā* للمؤنث^(٢)

الصيغة التميمية في الوقت الراهن :

وإذا ما سرنا مع الصيغة التميمية إلى وقتنا هذا . نجد أنها لاتزال مستعملة في شرق الجزيرة موطن بعض التميميين في الماضي والحاضر^(٣) . وقد سجلت الأمثال العامية المتداولة في وسط الجزيرة وشرقها هذه الصيغة ، فيقال :
« مابه من الثنتين وحده »^(٤)

وقد ورد على لسان الشاعر الشعبي محمد بن لعبون :

* أبغى العصا أمشى ولا أگول ياعواد *

* مابك من الثنتين وحده ياعواد *

ومن أمثالهم أيضا « ياليت من ياتخذ من البيض ثنتين »^(٥)

٢ - استحي :

يذكر أبو الحسن الأخفش أن « استحي بياء واحدة لغة تميم ، وبياتين لغة أهل الحجاز ، وهو الأصل »^(٦) . ويبدو أن تطور الصيغة عند بني تميم بسبب خشية توالي الأمثال في صور إسناد هذا الفعل إلى ضمائر الرفع المتحركة في مثل استحييت فحدثت إحدى الباءين فصارت استحييت . وخرج من هذا الماضي المجرد من الإسناد (استحي) .

(١) المرجع السابق ٧ / ١٦٩

(٢) فقه اللغات السامية ١٠٥ (الفقرة : ١٨٠)

(٣) لهجات شرق الجزيرة ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢٠٠

(٤) الأمثال العامية في نجد ١ / ٢٦٩ (رقم ٦٩٨) والمثل أيضا في : الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب

٢ / ٢٢ (رقم ١٩٨٢) برواية « مافيه » .

(٥) الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب ٣ / ٢٢

(٦) الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب ١ / ٢٥٨

(٧) الصحاح (حى) ٦ / ٢٢٢٤ ، واللسان (حيا) ١٨ / ٢٢٩ ، والتاج (حى) ١٠ / ١٠٦ ، وانظر عزو

الغتين في المصباح (حى) ١٦٠ ، ومع الهوامع ٢ / ٢١٩ وف « لغة الحجاز بين رسائل العرب » ، والأمثال لـ رقم ١ / ٢١٢

ومجمع البيان ٣ / ٦٦ واكتفيا بنسبة التميمية .

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التيمية :

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم ، قال تعالى (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها)^(١) ، وقد قرئ باللغتين ، فقرأ ببلغة تميم (يستحي) ابن محيصن^(٢) ، وابن كثير بخلاف^(٣) .

بقاء الصيغة التيمية

ولا تزال الصيغة التيمية مستعملة في قلب الجزيرة العربية ، فمن أمثالهم « من استحي من بنت عمه ما جابت ولد »^(٤) و « يستحي من ظلاله »^(٥) وورد هذا المثل الأخير في شعر الشاعر الشعبي إبراهيم بن جعيثن يمدح أهل سدير :

« ماله حلال ويستحي من ظلاله »^(٦)

٣ ، ٤ - أسما الإشارة : ذاك وتيك :

عزا الفراء إلى تميم ذاك وتيك وإلى قريش ذلك وتلك^(٧) ، وهذا يعني أن تيمما استعملت للدلالة على الإشارة للبعيد الصيغة القصيرة واختارت قريش الصيغة الطويلة . والمراد بقريش في قول الفراء « الحجاز » بصفة عامة ، وقد نص على ذلك ابن مالك (نقلا عن الفراء)^(٨) والأشموقي^(٩) وهذا من إطلاق الجزء على الكل . وكثيرا ما يحل أحد اللفظين محل الآخر والدلالة واحدة .

وقد درس علاء الدين هاشم الخفاجي أسماء الإشارة في العربية دراسة مقارنة باللغات السامية^(١٠) ، وتبين له أن جذري الإشارة في العربية هما « ذا » و « تا » وأن ماعداهما عناصر أضيفت على مدى الأيام .

(١) البقرة ٢٦ / ٢ (٢) إتحاف ١٣١ ، مختصر في شواذ القرآن ٢٤ ، والقراءات الشاذة ٢٤

(٣) مختصر في شواذ القرآن ٤ ، وانظر : مجمع البيان ٣ / ١٦

(٤) الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب ٣ / ١٤٠ (رقم ٢٣٢٢)

(٥) المرجع السابق ٢٧٦ (رقم ٢٧١٠) (٦) المرجع السابق ٢٧٩

(٧) معاني القرآن ١ / ١٠٩ (٨) شرح التسهيل ١ / ٢٧٢

(٩) شرح الأشموني ١ / ١٤٢

(١٠) في رسالة للماجستير قدمها إلى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس بعنوان « أسماء الإشارة بين العربية واللغات

السامية : دراسة مقارنة »

وإذا مارجعنا إلى اللغات العربية القديمة والسامية ، نجد العربية الجنوبية تعبر عن المفرد المذكر القريب والبعيد بـ « ذن » . *ḏn* ويعبر عن المؤنث بـ « ذت »^(١) (*ḏt*) وفي العبرية « زن » بمعنى هذا^(٢) ، و « ذت » بمعنى ذلك^(٣) . ومن أسماء الإشارة في الكتابات اللحيانية « ذُ » للإشارة للأشخاص و « ذا » و « ذه » للأشياء ، و « ه » و « ذه » للإشارة للمؤنث والأشياء ، و « ذت » للمؤنث^(٤) .

وبالنسبة لأخت الأرامية نجد في الحبشية *zā* للمؤنث ، و للمذكر *zē* . وفي العبرية *zē* للمذكر ، و للمؤنث التي غالباً ما تتصل بها تاء التأنيث فتكون *zōt*^(٥) .

وبعد هذا العرض لصيغ اسم الإشارة المسردة في اللغات العربية والسامية ، يتبين لنا أن الأصل في الإشارة « ذ » للمذكر والمؤنث ، ثم أضيف للمؤنث التاء الدالة على هذا الجنس فأصبح يستعمل للمفرد المؤنث (ذت) . وقد تحذف الذال مع بقاء التاء وبذا صار للمؤنث لفظان « ذ » و « ت » . ويعني هنا بالنسبة للمؤنث اللفظ الثاني أما الأول فاستعمل في مقابله ، أي مع المذكر فقط . ونستطيع بعد هذا أن نحكم بأن اللام والكاف زائدتان ، وبمعنى آخر أن الصيغتين التمييزيتين هما القديمتان إذ بدأت الإشارة بالذال للمذكر والتاء للمؤنث ثم أضيفت الكاف إلى كل منهما ووقفت التمييزية عند هذا الحد ، ثم أضافت الحجازية اللام . ومما يؤيد رأينا في حداثة اللام أننا نلاحظ الحبشية والآرامية تستعملان الكاف دون اللام عند الإشارة للبعيد ، ففي الحبشية *zekū* للمذكر و *entekū* للمؤنث ، وفي آرامية العهد القديم *deh* للمذكر و *dāh* للمؤنث^(٦) .

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٧ / ٨١ ، وأسماء الإشارة ٩٨
(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ / ٢١٣
(٣) المرجع السابق ٢١٤
(٤) المرجع السابق ١٤٦
(٥) فقه اللغات السامية ٨٩
(٦) المرجع السابق ٩٠

إننى أرجح أن الدال وحدها هى الأصل دون التاء ، بدليل استعمالها هى أو الزاى أو الدال التى تجمع بينهما قرابة التجاور التى تبيح التبادل فيما بينها ، فأصل التاء « ذت » كما فى العربية الجنوبية واللحيانية والعبرية ثم حذفت الدال وبقيت التاء وأضيف إليها اللاحقتان « ك » و « ل » .

وعلى كل فسواء أكان أصل الضمير « ذا » و « تا » أم « ذ » و « ت » فقط فإننا نستطيع أن نحكم بأن اللام والكاف زائدتان أو بمعنى آخر أن الصيغتين التميميتين هما القديمتان .

موقف جمهور النحاة من الصيغتين التميميتين :

يرى جمهور النحاة أن للإشارة ثلاث مراتب :

قربى : ويشار إلى من فيها بما ليس فيه كاف ولام ، مثل : ذا .

ووسطى : ويشار لمن فيها بما فيه الكاف وحدها ، مثل : ذاك .

وبعيدة : ويشار إلى من فيها بما فيه الكاف واللام مثل : ذلك^(١) .

ويعلق الصبان على ذلك بقوله : « فلو كانت المراتب ثلاثة كما عليه الجمهور للزم أن التميميين لايشيرون إلى البعيد والحجازيين لايشيرون إلى المتوسط »^(٢) .

ويبدو أن سبب هذا رأى هو أن من النحاة الذين قعدوا ذلك وصلت إليهم أسماء الإشارة دون تفصيل بعدم عزوها إلى أصحابها ، فوضعوا للبعد مرتبتين اعتمادا على المبدأ القائل بأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . وجاء من بعدهم ولاحظوا التفرقة بين اللغتين فاكتفوا بمرتبتين للإشارة ، ورغم ذلك تابع الكثير صاحب الرأى الأول الذى نرجح أنه سيبويه أو أحد سابقيه ودليل ذلك أن الصبان نسبته إلى سيبويه^(٣) . وإننا وجدنا أقدم نص عزا للفتين منسوب للفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ والذى عاش بعد سيبويه .

رأى رابن فى الصيغتين :

يقول رابن إن الأشموني يزعم أن اللغة الحجازية استعملت « ذلك » إشارة للبعد بينما استعملت تميم « ذاك » وأن هذا يرجع إلى أن القرآن لم يستعمل سوى « ذلك » لكن هذا فيما يبدو ليس صحيحا بدليل أن ريكندورف Reckendorf جمع طائفة من الشواهد على « ذاك » تنتمى إلى غرب الجزيرة العربية^(٤) .

(١) شرح ابن عقيل ١ / ١٣٥ (٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني ١ / ١٣٩ ، ١٤٠

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني ١ / ١٣٩

Rabin, Ancient West-Arbian p. 154.

(٤)

الرد على رابين :

ليس من عادة الأشموني ولا غيره من النحويين واللغويين التفريق بين اللغات العربية على أساس استعمال القرآن الكريم لها ، ذلك إلى أن القرآن لم يكن يقتصر في استعماله على لغة الحجاز وحدها ، وإنما كان يزاوج أحيانا بينها وبين غيرها ، بل كان لا يستعمل أحيانا تلك اللغة الحجازية ، لأنه نزل باللغة المشتركة ، وهذه اللغة لم تكن في كل خصائصها حجازية ونسبة هاتين اللغتين لم تقتصر على الأشموني وإنما هو ناقل ، فهي ترجع إلى الفراء — كما ذكرنا في استهلال الحديث عن هذا الموضوع — أما وجود « ذلك » التميمية عند شعراء غرب الجزيرة ، فالشعراء لم يكونوا يلتزمون بلغاتهم .

وإن استعمال القرآن الكريم للغة الحجاز ، واستعمال الشعر للغة تميم ، ليدل على أن اللغتين شاعتا واستعملتا في اللغة المشتركة . وهذا ما جعل بعض النحويين يقسمون أسماء الإشارة إلى مراتب ثلاث .

الصيغة التميمية في الوقف الراهن :

إذا فتشنا في لهجات شرق الجزيرة (الكويت والبحرين وقطر ودبي وأبو ظبي والبريمي) التي كانت من مواطن تميم في الماضي ، ومن سكانه الحاليين من ينتمون إليها ، نجد أنهم يستعملون الصيغة التميمية « ذاك » للدلالة على المذكر والمؤنث ويستغنون بها عن « تيك » لكنهم في حالة التأنيث ينطقونها مكشكشة ، فيقولون (هـ) ذاك للمفرد المذكر ، و (هـ) ذيتش للمفردة المؤنثة ^(١) . إنهم يقولون مثلا : هذاك رِيَّال زين (ذاك رجل طيب) ^(٢) ، وذاك أريَّال (ذلك الرجل) ^(٣) .

هـ — عليهم :

« عليهم » كلمة مركبة من كلمتين ، وكان للعرب في نطقها سبعة أوجه . كل وجه يمثل لغة ، وهي : عليهمو ، عليهم ، عليهم (عند الحجازيين) ، عليهمو ، عليهمو ، عليهم ، عليهم (عند تميم) وقرى هذه الصيغ كلها عدا الثانية والثالثة ^(٤) . والصيغة التميمية (عليهم) يمكن أن تقارن مع غيرها من زاويتين ^(٥) :

(١) لهجات شرق الجزيرة ١٦٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦١

(٢) المرجع السابق ٢٠٤

(٣) المرجع السابق ٢٠٣

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ب

الأولى : ميلها إلى الكسر . مقابل الضم عند غيرها ، وقد عرضنا لذلك في موضعه .
الأخرى : ميلها إلى قصر البنية إذ إننا نجد درجتين في الطول هما عليهما وعاليهما مع ما يقابلهما من الصيغ الأخرى التي تضم .
وإذا كانت تميم اختارت الصيغة القصيرة (عليهم) فإنها هي التي سادت هي ومثيلاتها المضمومة الحجازية ، وهما ينتميان إلى أحدث مرحلة . ونبه بروكلمان حديثا لذلك ، فهو يذكر أن هم متطورة عن هم^(١) .

٦ - لَدُ :

« لَدُنْ » ظرف يجيء للزمان والمكان ، وقد ذكر له النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تسع لغات هي :

- ١ - لَدُ (وعزاها الفراء لبعض بني تميم) .
- ٢ - لَدُنْ لأهل الحجاز .
- ٣ - لَدُنْ .
- ٤ - لَدُنْ .
- ٥ - لَدَ (عن الكسائي) .
- ٦ - لَدُ (عن أبي حاتم) .
- ٧ - لَدُنِ (لربيعة عن الفراء) .
- ٨ - لُدُنْ (لغة أسد) .
- ٩ - لُدُنْ (عن أبي حاتم)^(٢) .

ونلاحظ أن بعض هذه اللغات طويلة البنية وبعضها قصيرة ، وأن بعض التميميين اختار « لَدُ » ذات البنية القصيرة . وقد وردت هذه اللغة على لسان العجاج التميمي في قوله :

* من لَدُ شَوْلَا فإلى إتلائها^(٣) *

(١) فقه اللغات السامية ٥١ (الفقرة ٦١) (٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٢ / ١
(٣) المرجع السابق ، والبيت ليس في شرح الديوان وهو غير منسوب في الكتاب ٢٦٤ / ١ وذكر الأستاذ هارون أنه من الخمسين التي لم يعرف قائلها ، واللسان (شول) ١٣ / ٣٩٨ (شول : جمع شائلة ، وهي من الابل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر ، فخف لبنها - إتلاء الناقة : أن يتبعها ولدها بعد الوضع - اللسان (شول) ١٣ / ٣٩٨ ، و (تلا) (١١١) / ١٨)
(٢٧)

وورود اللفظ في شعر بعض التميميين يرجح أن المقصود ببعض تميم هنا بنو سعد الذين ينسب إليهم العجاج .

٧ - مُنْذُ :

١ - قال يونس (ت ١٨٢ هـ) في نوادره :

« أهل الحجاز ما رأيته مُنْذُ يومين ومُنْذُ يومان ، وتميم مُنْذُ يومين ومُنْذُ يومان ^(١) » .

٢ - وقال أيضاً :

« أهل العالية يقولون ما لقيته مُنْذُ اليوم وأهل نجد يقولون مُنْذُ اليوم ^(٢) » . .

هذان النصان يعزيان إلى عالم لغوى واحد هو يونس بن حبيب ، ورغم ذلك فإنه نسب « مذ » في الأول إلى تميم وفي الآخر إلى نجد ، و « منذ » في الأول إلى أهل الحجاز وفي الثاني إلى أهل العالية . وأهل العالية هم الحجازيون ، ونجد تشمل تميماً وغيرها من سكان نجد مثل أسد .

ومُنْذُ بنية على الضم ، أما مُنْذُ فهي مبنية على السكون وتحرك بالضم إذا كان بعدها ساكن ^(٣) . وينحصر الخلاف بين تميم والحجاز في هاتين الكلمتين في البنية . أما الجانب الإعرابي فهما متفقان فيه ، ويؤكد ذلك يونس في تعليقه على النص الأول بقوله : « فيتفق أهل الحجاز وتمرير على الإعراب ويختلفون في مذ ومنذ ، فيجعلها أهل الحجاز بالنون وتمرير بلا نون ^(٤) » .

ومُنْذُ اختصار لمُنْذُ بحذف النون التي هي بدورها مركبة من كلمتين . ولعلماء العربية رأيان في هذا الأصل :

الأول : مركبة من : « مِنْ » و « إِذْ » ^(٥) .

(١) المزهري ٢٩٨ / ب (خ) = ٢٦٧ / ٢

(٢) ما انفرد به بعض الأئمة ١٠

(٣) المفني ٢٢ / ٢

(٤) المزهري ٢٩٨ / ب ، ٢٩٩ / أ (خ) = ٢٧٦ / ٢ (ط)

(٥) اللسان (منذ) ٥ / ٤٦

الثانى : وهو قول الفراء إنها مركبة من الكلمتين : « مِنْ » و « ذُو » الطائية التى بمعنى الذى^(١) ، وبذلك أخذ الكوفيون وحملوا قولهم : ما رأيته منذ يومان ، أى : ما رأيته من الزمان الذى هو يومان^(٢) .

والرأى الثانى هو الصواب لاتنفاقه ومقابل الكلمة فى الحبشية *emza* المركبة من *em* بمعنى (مِنْ) و « za » بمعنى الذى (اسم موصول)^(٣) . وكسر الميم فى « من » يتفق ونطق بنى سليم لهذا اللفظ (مِنْذُ)^(٤) . كما أن بعض العرب وهم عُكْل حافظوا على كسر الميم مع حذفهم النون وضمهم الذال فقالوا مِنْذُ^(٥) .

الصيغة التميمية « مِنْذُ » أصلها « مِنْ + ذُو » تطورت إلى (مِنْذُ) بحذف الواو وبقي هذا الدور من التطور عند بنى سليم ، ثم قابلت كسرة الميم إلى ضمه لتتابع ضمة الذال فأصبحت (مِنْذُ) وذلك وفق قانون التماثل الكلى الاتباعى المنفصل ، وهذا ما شاع عند الحجازيين ، ثم صارت (مِنْذُ) عند تميم .

أو أن الصيغة التميمية تطورت عن (مِنْذُ) لغة بنى سليم إلى (مِنْذُ) لغة عُكْل (وهم بنو عمومة تميم) ثم إلى (مِنْذُ) وفق قانون التماثل الكلى الاتباعى المنفصل ، ثم إلى مِنْذُ (بسكون الذال) إذا لم يليها ساكن .

٨ - هناك :

استعمل العربى هناك ، و « هنالك » للإشارة للمكان البعيد^(٦) . وقد اختار التميمى الصيغة القصيرة الخالية من اللام (هناك)^(٧) . أما الأخرى الملحقة بها اللام ، فقد نسبها الأشمونى - الذى لم ينسب التميمية - إلى الحجازيين^(٨) . وصنيع الفريقين بهذا الاسم شبيهه بـ « ذاك » و « تيك » السابق عرضهما .

(١) اللسان ٥ / ٤٧

(٢) المفنى ٢ / ٢٢

(٣) التطور اللغوى ٣٣٤ ، ٣٣٢

(٤) المرجع السابق وانظر : اللسان (منذ) ٥ / ٤٧ (٥) اللسان (منذ) ٥ / ٤٧

(٦) شرح الأشمونى ١ / ١٤٤ (٧) إعراب القرآن للنحاس ٣٤ أ

(٨) شرح الأشمونى ١ / ١٤٤

ونجد رابين يستبعد توزيع الصيغتين إلى بيئتين مختلفتين، ويرى - كما رأى في ذلك - أن الأشموني عدّ هنالك حجازية لورودها في القرآن^(١) الكريم ، وتعليقنا على رأيه هو ما ذكرناه عند الحديث عن « ذلك » .

٩ - وَدّ :

الْوَدّ : ما يثبت في الأرض أو الحائط من خشب^(٢) . وللكلمة ثلاث لغات أخرى غير « وَدّ » هذه التي وصفها صاحب المصباح بأنها لغة الحجاز وأنها الفصحى^(٣) . هذه اللغات الثلاث ، هي :

١ - وَدّ التي نسبها ابن دريد إلى تميم^(٤) ، ووسع الفيومي دائرة ناطقيها فعزاها إلى نجد^(٥) ، وسبقه إلى ذلك الجوهري^(٦) .

٢ - وَتدّ ، بفتح التاء كما في المصباح دون عزو إلى قوم معينين^(٧) .

٣ - وَتيد : جاء في « لسان العرب » « ابن سيده وغيره ، الوَدّ : الوَدّ بلغة تميم ، فإذا زادوا الياء قالوا وتيد »^(٨) .

رأى القدماء :

يرى القدماء أن الوتد هو الأصل وفسروا تطوره عند بني تميم بأنهم سكنوا التاء وقلبوها دالا وأدغموا الدال في الدال ، قال الجوهري (ت نحو ٤٠٠ هـ) ؛ « الوَدّ بالفتح : الوَدّ في لغة أهل نجد ، كأنهم سكنوا التاء فأدغموها في الدال »^(٩) وقد تابع الفيومي هذا الرأي كما رأينا .

١٠ - وَز :

« حكى يونس في نوادره أن الإوز لغة أهل الحجاز ، وأن الوز لغة بني تميم »^(١٠) . وإذا نظرنا إلى تاريخ هذه الكلمة نجد أنها سومرية الأصل « وز » ، ومن هذه اللغة دخلت الأكديّة

(١) Rabin, Ancient West-Arabian p. 154. (٢) لسان العرب (وتد) ٤ / ٤٥٧

(٣) المصباح (وتد) ٦٤٦

(٤) جمهرة اللغة ١ / ٧٧

(٦) الصحاح (ودد) ٢ / ٥٤٩

(٨) اللسان (ودد) ٤ / ٤٧٠

(١٠) الادب ١٩٣

(٥) المصباح (وتد) ٦٤٦

(٧) المصباح (وتد) ٦٤٦ ، ٦٤٧

(٩) الصحاح (ودد) ٢ / ٥٤٩

ونطقت (وُزُّ أو وُزُّو) ، ومنها إلى الآرامية التي نطقت فيها « وزا أو وازا أو وزتا » ، وعن الأخيرة دخلت العربية^(١) .

وإذا كانت اللغة التميمية قد اختارت الصيغة القصيرة والحجازية الطويلة فمن الواضح أن التميمية هي القديمة وأنها تطورت لدى الحجازيين بإضافة سابقة للكلمة فصارت إِرَزَّ وقد تكون إضافتهم الهمزة من باب الحذف بسبب عقبتهم منها . ونلاحظ أن كل صيغة من الصيغتين تتفق ونهج البيئة التي تنتمي كل صيغة من الصيغتين . فالتميمية تبدأ بمقطع مغلق قصير ، والحجازية تبدأ بمقطع مفتوح قصير .

* * *

(ج) البنية المتوسطة :

أَيِّمُ :

يذكر السيوطي أن لكلمة « أَيِّمَن » عشرين صيغة تمثل كل منها لغة ، وأن هذه الصيغ يمكن أن نقسمها من حيث الطول والقصير إلى أربع درجات :

الأولى : إَيِّمُن بفتح الهمزة مع ضم الميم أو فتحها ، وكذلك بكسر الهمزة مع ضم الميم أو فتحها .

الثانية : إَيِّمَ (بحذف النون) وبفتح الهمزة مع فتح الميم وبكسر الهمزة مع ضم الميم أو كسرهما ، وبقلب الهمزة هاء مع فتح الميم .

الثالثة : وقد اتجهت اتجاهين :

(أ) إِمَ (بحذف الياء والنون) بفتح الهمزة مع تثنية الميم ، أو بكسرهما مع ضم الميم أو فتحها .

(ب) من (بحذف الهمزة والياء) بفتح الميم والنون ، وضمهما وكسرهما .

(١) الدخيل في اللغة العربية (بحث نشر بمجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد (م / ١٠ ج ٢ - ديسمبر ١٩٤٨) ٨٧

الرابعة : مٌ ، بتثايلث الميم .

وقد عُزى إلى تميم « آيْمٌ » بفتح الهمزة وضم الميم ، ونسب إلى بطن منها وهو بنو العنبر « م » فقد حكى أن رجلا منهم سئل : ما الدهْدُرَان ؟ فقال : مِ رَبِّى الباطل^(١) . وإذا كان أصل هذه الصيغ جميعها آيْمُن « جمع يمين^(٢) » لأنها تفيد القسم ، فهذا يعنى أن لغة تميم آثرت الصيغة المتوسطة ، فقد مرت بعد أقدم صيغة بمرحلة واحدة هي حذف النون ، تلتها عند غيرها مرحلتان هما : حذف الياء والنون ، وحذف الهمزة والياء ، ثم حذف جميع أصوات الكلمة عدا الميم وإن كان أحد بطونها وهم بنو العنبر اختاروا الصيغة القصيرة فقالوا « م » . وإذا كان السيوطى لم يحدد ضبط الميم ، فإننا نميل إلى أنها الضمة لاتفاقها والصيغة العامة فى تميم (آيْمٌ) وسبب الحذف فى هذا اللفظ هو الاقتصاد فى الجهد النطقى لكثرة ترده فى الأيمان .

* * *

النتيجة :

تبين لنا من دراسة موضوع البنية بين الطول والقصر أن تميما :

(أ) أطالت البنية فى :

١ - ٤ : أربع صيغ للأفعال قصرها غيرهم ، وهى :

(أ) أفعل عندهم فى مقابل فَعَل عند غيرهم .

(ب) فَعَّل فى مقابل فَعَل .

(ج) فاعل فى مقابل فَعَل .

(د) افتعل وغيرهم فَعَل .

٥ - شددت طائفة من الكلمات عددها سبعة بالإضافة إلى تشديد الحرف الأخير

عند الوقف لدى بعضهم - فيما يظن - مقابل عدم تشديد الواو والياء من الضميرين « هو »

و « هـى » .

(١) مع المواضع ٢ / ٤٠

(٢) اللسان (يمين) ١٧ / ٣٥٦

- ٦ - مالت إلى المد ومال الحجازيون إلى القصر .
- ٧ - حافظت على الياء عند النسبة إلى « فَعِيل » و « فَعِيل » وحذفها الحجازيون .
- ٨ - أطالت البنية في طائفة من الكلمات لا يجمع بينها رابط عددها عشرة .
- (ب) قصرت البنية في طائفة من الكلمات ليس بينها رابط . محدد ، وهي عشر كلمات لاحظنا أن تميا تمثل صيغها القدم ثم تطورت عند غيرهم بإطالة بنيتها .
- (ج) اختارت البنية المتوسطة في كلمة « ايم » وإن كانت إلى الطول أقرب .
- (د) تعادلت هي وغيرها في صيغ ثلاث هي :
- (أ) فاعل وأفعِل .
- (ب) فَعَّل و فاعِل .
- (ج) تَفَعَّل و افتعل .
- ومن هذا يتبين لنا اتجاه تميم إلى البنية الطويلة .
-

الفصل الثاني الفعل ومشتقاته

أولاً : الفعل الثلاثي المضعف

١- كان للفعل الثلاثي المضعف عند العرب عدة حالات ، أشهرها ثلاثة ، وهى :

الأولى - الإدغام ، وذلك إذا تحركت لامه ، كأن يكون مسنداً إلى ياء المخاطبة مثل مَدَى ، وعزى ذلك إلى الحجاز وتميم^(١) .

الثانية - الفك ، وذلك إذا سكنت لامه واتصل به ضمير رفع متحرك مثل رَدَدْتُ ، وشاعت هذه الحالة لدى العرب عامة ، ومنهم تميم والحجاز^(٢) ونسب الشذوذ عن هذه القاعدة - وهى عدم الفك - إلى بكر الذين كانوا يقولون رَدَّتْ^(٣) .

الثالثة : الإغام والفك ، وقد حافظ التميميون على الإدغام وفك الحجازيون^(٤) وذلك إذا سكنت اللام ولم تتصل بضمير رفع متحرك ، إذا كان الفعل مجزوماً بأن كان مضارعاً ودخلت عليه إحدى أدوات الجزم أو كان شبه مجزوم بأن كان فعل أمر ، وذلك مثل : أُرِدَّ ولا تردد ، بإضافة همزة وصل فى أول الأمر عند الحجازيين أول الأمر ورُدَّ ، ولا تردَّ عند التميميين^(٥) .

موقف القراءات القرآنية من النوع الثالث :

ولنبداً فى حديثنا عن الإدغام بالاتجاه إلى كتاب الله الحكيم لنرى موقف القراءات القرآنية من هذا النوع الذى خالفت فيه تميم اللغة الحجازية :

١ - قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يُحِبِّكُمْ الله)^(٦) . قرأ أبو رجاء العطاردي « يَحِبِّكُمْ » بالإدغام وفتح الياء^(٧) موافقاً التميميين .

(٢) شرح الكتاب للسيراى ٤ / ٦٨٢

(٤) الكتاب ٤ / ٤٧٣

(٦) آل عمران ٣ / ٣١

(١) الكتاب ٤ / ٤١٧

(٣) الكتاب ٣ / ٥٣٥

(٥) انظر المرجع السابق

(٧) مختصر فى شواذ القرآن ٢٠ ، والكامل للمبرد ٢ / ٢٥١

- ٢ - «يشاقق» وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات : مرتين بالحجازية (يشاقق)^(٧) والثالثة بالتميمية (يشاقق) ، قال تعالى : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ)^(١٢) وقال (ومن يُشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)^(٢٢) ، وقال (ومن يُشاقق الله)^(٢٣)
- ٣ - قال تعالى : (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ)^(٤٤) ، قال أبو حيان : «قرأ الجمهور (فلا يغررك) بالفك وهي لغة أهل الحجاز ، وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير (فلا يغرك) بالإدغام مفتوح الراء ، وهي لغة تميم^(٥٥) .
- ٤ - قال تعالى : (مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)^(٦٦) وافقت قراءة نافع وابن عامر وأبو جعفر لغة الحجاز (يَرْتَدِّد) ، وأما بقية الأربعة عشر فقد وافقت قراءتهم لغة تميم (يَرْتَدِّ)^(٧٧) .
- ٥ - قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر^(٨) وأبو جعفر^(٩) والأعمش والحسن البصري^(١٠) (لا يضرركم) في قوله تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا لا يضرركم كيدهم شيئاً)^(١١) بضم الضاد والراء المشددة^(١٢) (يَضُرُّكُمْ) من ضَرَّ يَضُرُّ^(١٣) . وانفردت اللغة الحجازية في مواضع أخرى فقريء بها وحدها مثل قوله تعالى : (وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا)^(١٤) وقوله : (ومن كان غنيا فليستعفف)^(١٥) .

(١) النساء ٥ / ١١٥	(٢) الأنفال ٨ / ١٣
(٣) الحشر ٥٩ / ٤	(٤) غافر ٤٠ / ٤
(٥) البحر المحيط ٧ / ٤٤٩	(٦) المائدة ٥ / ٥٤
(٧) إتحاف ٢٠١	
(٨) السبعة في القراءات ٢١٥ ، التيسير ٩٠ ، وإرشاد المريد ٢٧٦	
(٩) تحبير التيسير ٩٩ ، ٩٨	
(١٠) انظر : إتحاف ١٧٨	
(١١) آل عمران ٣ / ١٢٠	
(١٢) انظر : السبعة ٢١٥ ، والتيسير ٩٠ ، وإرشاد المريد ٢٧٦ وتحبير ٩٩ ، ٩٨ ، وإتحاف ١٧٨	
(١٣) البحر ٣ / ٤٣	
(١٤) النور ٢٤ / ٣٣ ، وانظر : البحر ٦ / ٤٥١ والنهر الماد ٦ / ٤٥٠	
(١٥) النساء ٤ / ٦	

قدم اللغة التميمية :

وإننا نلاحظ أن اللغة الحجازية هي التي كان لها نصيب من الذبوع فاق أختها التميمية ، وليس معنى ذلك أننا نقول مع سيبويه حين وصفها بقوله : «وهي اللغة العربية القديمة الجيدة»^(١) أو نقول مع أبي جعفر النحاس الذي قرر كلام سيبويه فقال : «ولغة أهل الحجاز هي اللغة القديمة الفصيحة»^(٢) . أما وصف الحجازية مرة بالفصاحة وأخرى بالجودة ، فدلالة اللفظين واحدة ، فكل فصيح لابد أن يكون جيداً ، ومرجع الفصاحة هنا إلى شيوخ اللفظ الذي يجعل الأذن تألفه . أما وصف الحجازية هنا بالقدم ، فهو حكم يحتاج إلى نظر ، ذلك لأن الإدغام هو الأصل في هذه الأفعال والفك هو الطارئ .

موقف الشعر التميمي :

ولنعرج بعد هذا إلى التراث التميمي من الشعر لثرى مدى موافقته للغة قومه :

قال جرير :

فَغَضَّ الطرف إنك من نَمِيرٍ فلا كَعْبًا يُلَغت ولا كِلَابًا^(٣)

وقال أيضا :

دُمَّ المنازل بعد مَنْزِلَةِ اللَّوَى والعيش بَعْدَ أولئك الأقوام^(٤)

فجرير في هذين البيتين موافق لغة قومه .

ضبط التميمي لآخر فعل الأمر :

ولايجدر بنا أن نترك هذا الموضوع دون أن نقرر أن الصيغة التميمية وهي التي رأينا أنها القدي أصابها القلق فلم تستقر من حيث حركة حرفها الأخير ، ويظهر أن ذلك كان إرهاباً لفك التضعيف . لقد كان لأصحاب الإدغام (تميم ومن شاركهم في مذهبهم) حياة مناهج في ضبط آخر فعل الأمر ، هي - باستثناء دخول ألف التثنية وواو الجماعة وباء المخاطبة عليها فيتبع آخر الفعل حركة هذه الضمائر^(٥) :

(١) الكتاب ٤ / ٧٣

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٧٥ / ب

(٣) الديوان ٦٣

(٤) الديوان ٤٥٢

(٥) وتتفق في هذه الحالة لغة الحجاز مع لغة تميم بالتزام الإدغام كما ذكرنا .

١ - الإتياع لحركة الفاء ، نحو : رُدُّ ، وفِرُّ ، وعَضُّ ، ويستثنى من ذلك حالات ثلاث ، هي :

- (أ) اتصاله بضمير الغائبة «ها» فحينئذ يفتح ، مثل رُدُّها .
 (ب) اتصاله بضمير الغائب «ه» فيضم ، مثل عَضُّه .
 (ج) اتصاله بالألف واللام «أل» أو همزة الوصل ، فيكسر لالتقاء ساكنين مثل ، رُدُّ الباب .

٢ - النطق بالفتح مطلقا وهذا مذهب التميميين وشاركهم بنو أسد ، فقالوا رُدُّ وفِرُّ ، وعَضُّ . وإذا التقى الفعل بآل أو همزة الوصل ، فمنهم من كسر آخر الفعل فقال رُدُّ الباب ، ومنهم من حافظ على الفتح ، فقال : عَضُّ الطرف^(١) .

٣ - النطق بالكسر مطلقا وقد نسب سيبويه ذلك إلى كعب وغنى^(٢) وكذلك نسبه إليهما السيرافي^(٣) ، وعزاه الشيخ خالد والاشموني إلى كعب وغير^(٤) ، والبطون الثلاثة من قيس^(٥) ، وذلك مثل : رُدُّ ، وعَضُّ ، وفِرُّ .

وهناك نقطة أخرى لانبج أن نتركها قبل أن نختم الحديث عن الإدغام وهي أن هذه البيئة التميمية (وما شابهها) التي لم تخط في التطور سوى خطوة واحدة اضطرها إليه صعوبة النطق بالمضعف مع ضمائر الرفع المتحركة ساكت أحيانا مساكنا آخر التسهيل غير الفك هو تحويل الحرف الثاني ألفا لينة مثل أهلى بدل أهمل . وقد تناولنا ذلك عند الحديث عن «التغاير» .

(١) الكتاب ٣ / ٥٣٢ ، ٥٣٣

(٢) المرجع السابق ٣ / ٥٣٤

(٣) شرح الكتاب ٤ / ٦٨٢

(٤) شرح التصريح ٢ / ٥٠١ ، وشرح الأشموني ٤ / ٣٥٣

(٥) جمهرة أنساب العرب ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٤٨٠

ثانيا : مستقبل الفعل الثلاثي

قرر علماء الصرف أن أوزان الفعل الثلاثي من حيث حركة عينه في ماضيه ومضارعها ستة ، هي :

- ١ - فَعَلْ يَفْعُلْ كَنَصَرَ يَنْصُرُ .
- ٢ - فَعَلَ يَفْعِلْ كَضَرَبَ يَضْرِبُ .
- ٣ - فَعَلَ يَفْعَلْ كَفَتَحَ يَفْتَحُ .
- ٤ - فَعُلْ يَفْعُلْ مِثْلَ كَرَّمَ يَكْرُمُ .
- ٥ - فَعِلْ يَفْعَلْ مِثْلَ عَلِمَ يَعْلَمُ .
- ٦ - فَعِلْ يَفْعِلْ مِثْلَ وَثِقَ يَثِقُ .^(١)

والتقسيم المنطقي يقتضي وجود أوزان ثلاثة أخرى ، هي : فَعُلْ يَفْعُلْ ، وَفَعُلْ يَفْعِلْ ، وَفَعِلْ يَفْعُلْ . لكن الصرفيين رفضوا هذه الأوزان لعدم وجود أمثلة لها . وعندما صادفتهم بعض الكلمات المكسورة العين في الماضي المضمومة في المضارع ، مثل نَعِمَ يَنْعُمُ وَفَضِلٌ يَفْضُلُ^(٢) وكانوا قد استقروا على الأبواب الستة اعتبروها شاذة وفسرها بعضهم تفسيراً خاصاً فعدوها من تداخل اللغات ، يقول ابن جنى : « فنَعِمُ في الأصل ماضى يَنْعُمُ ، وينعُمُ في الأصل مضارع نَعِمُ ، ثم تداخلت اللغتان فاستضاف من يقول نَعِمَ لغة من يقول يَنْعُمُ ، فحدثت هناك لغة ثالثة »^(٣) . فإن صح القول بالتداخل ، فهو ليس خاصاً بفِعْلٍ يَفْعُلْ ، وإنما تكونت به أفعال تندرج تحت الأبواب الأخرى . وعلى كل فإننا لن نقف عند التداخل ، لأنه يحتاج إلى دراسة مستقلة ، وما نستطيع أن نقوله هو أنه وجدت أفعال ماضيها مكسور العين ومضارعها مضموم وأن هذا الباب لم يقتصر على فَضِلٌ وَنَعِمُ وهما اللذان اقتصر جمهور العلماء على التمثيل بهما ، بل وردت منه أمثلة عديدة تجعلنا نعدده باباً مستقلاً في منزلة « فَعِلْ يَفْعِلْ » ، قال اللبلى (ت ٦٩١ هـ) « وإن كان الفعل على وزن فَعِلْ بكسر العين فإن مضارعه يأتي على يَفْعَلْ بفتح العين ، نحو قولك : عَلِمَ يَعْلَمُ . . . هذا هو القياس . . . وربما جاء بغير فتح في المضارع لكنه موقوف على السماع : إما بالكسر أو الضم »^(٤) ثم

(١) اعتماد الصرفيون التمثيل لهذا الوزن بحسب يحسب ، ونعم ينعم ، لكن الفعل الأول وردت فيه لغة أخرى والثاني وردت فيه لغتان فأثرت التمثيل بأحد الأفعال التي يجب كسر عين ماضيها ومضارعها وهو « وَثِقَ » (انظر : إحصاء بأفعال هذا الباب في : شذا العرف ٣٦) .

(٣) الخصائص ١ / ٣٨٣

(٢) ديوان الأدب ٢ / ١٣٩

(٤) بغية الآمال ١١ ، ١٢

ذكر أربعة عشر فعلا جاءت على هذا الوزن ، منها : قَنِطُ يَقْنُطُ ، وَرَكْنٌ يَرْكُنُ ، وَشَمِلٌ يَشْمُلُ ، وَنَجِدٌ يَنْجِدُ^(١) .

والمتتبع للأفعال التي وردت تحت كل وزن لا يجد رباطا قويا يربط بينها . وقد يقول قائل : إن مرد ذلك إلى أن اللغويين جمعوا من قبائل شتى ، وكان لكل قبيلة نهجها الخاص^(٢) . لذا قمت بجمع الأفعال الخاصة بهذا النوع والمنسوبة إلى تميم مع مقابلها عند غيرهم لعل أصل إلى نهج خاص بتميم . وهي فيما يلي مرتبة على الأبواب التي حددها الصرفيون وفق الصيغة التميمية مع تعليق عليها يعين في تحديد نسبة الفعل إلى الباب الذي أدرج تحته ، إذا اقتضى الأمر ذلك .

أولا - فَعَلَ يَفْعُلُ :

١ - رَكْنٌ يَرْكُنُ عند تميم وقيس^(٣) . وعمم الكسائي (ت ١٨٩ هـ) فعزاه للنجديين جميعاً^(٤) في مقابل رَكْنٌ يَرْكُنُ ، وَرَكْنٌ يَرْكُنُ عند غيرهم^(٥) . وإذا كان النحاس (ت ٣٣٨ هـ) نقلا عن أبي عمرو بن العلاء (ت نحو ١٥٤ هـ) اكتفى بصيغة المضارع وذلك فيما يخص اللغة الحجازية وحدد أنها بفتح الكاف (يَرْكُنُ)^(٦) ، وإذا كان أبو حيان قد أورد صيغتي الماضي والمضارع وعزاهما لقريش لكنه لم يضبط سوى المضارع بفتح الكاف (يَرْكُنُ) وأهمل ضبط عين الماضي ، ونص على أن رَكْنٌ يَرْكُنُ (بفتح الكاف فيهما) لغة شاذة^(٧) ، فهذا يعني أن لغة الحجاز من باب سَمِعَ (رَكْنٌ يَرْكُنُ) .

٢ - ضَحَى يَضْحَى ، وَضَحَا يَضْحَوُ ، وَضَحَى يَضْحَى بمعنى أَصَابَتْهُ الشَّمْسُ ، أَوْ بَرَزَ لَهَا ، وَكَانَتْ تَمِيمٌ تَقُولُ ضَحَا يَضْحَوُ^(٨) .

٣ - عَرَشٌ يَعْرُشُ لدى التميميين ، وَعَرَشٌ يَعْرُشُ عند غيرهم .

(١) المرجع السابق ١٢ ، ١٣

(٢) انظر : من أسرار اللغة ٣٨ ، وفي اللهجات العربية ١٦٨ ، ١٧٣

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٠٠ / أ ، والبحر ٢٦٩ / د (٤) البحر ٥ / ٢٦٩

(٥) الأفعال للسرقي ٨٩ / ٣ (٦) إعراب القرآن للنحاس ١٠٠ / أ

(٧) البحر المحيظ ٥ / ٢٦٩ (٨) اللسان (ضحا) ١٩ / ٢١١ ، ٢١٣

لقد ورد المصارع فقط في قوله تعالى : (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقوه وما كانوا يعرشون)^(١) وقرئ بضم الراء وكسرها ، وعزا الكسائي الضم لتميم^(٢) . ومما يؤيد أن الفعل من باب نصر عند تميم وضرب عند سواهم تحديد صاحب القاموس البابين وإن لم يعزهما بقوله : « عرش يعرش ويعرش : بنى عريشاً »^(٣) .

٤ - عَلَّ يَعْلُ وَيَعْلُ بمعنى شرب ثانيا ، أو شرب بعد شرب تباعا^(٤) ، وقد عزا أبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ضم عين المستقبل إلى تميم وكسره إلى قيس^(٥) .
٥ - مات يموت لغة سفلى مضر ، ولغة الحجاز مات يمات^(٦) ، والأولى من فَعَلَ يفعل لأن الفعل الماضي عند إسناده لضمير الرفع المتحرك يضم أوله يقال : مُتِم بضم الميم ، والثاني من فَعَلَ يفعل لأن ماضيه عند إسناده تكسر الميم فيقال : مُتِم^(٧) .

وهناك لغة ثالثة هي مات (وتكسر الميم عند إسناده لضمير الرفع المتحرك ، فيقال : مُت) يموت فهو إذن على وزن فَعَلَ يفعل ، لذا فسره الصرفيون على عادتهم بأنه من تداخل اللغات^(٨) .

وإذا كان أبو حيان الذي قد نسب صيغة فَعَلَ يفعل إلى سفلى مضر التي تشمل تميم وغيرهم من مجاورين - كما ذكرنا - فإن صيغة الماضي فقط (مُت) عزيت إلى تميم صراحة^(٩) .

٦ - لها يلهو (عند النجديين) وعند أهل العالية لَهَى يلهى (من باب تعجب)^(١٠) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٧٢

(٤) اللسان (علل) ١٣ / ٤٩٥

(٦) البحر المحيط ٣ / ٩٦

(٨) انظر : المصباح (موت) ٥٨٣

(٩) غريب القرآن على لغات القبائل (المنسوب لابن عباس) ٩٨ ، ٩٩ ، وماورد في القرآن من لغات القبائل

١٤٥ / ٢

(١٠) المصباح (لهو) ٥٥٩

(١) الأعراف ٧ / ١٣٦

(٣) القاموس (عرش) ٢ / ٢٧٨

(٥) شرح القصائد السبع ٥٧٧

(٧) انظر المرجع السابق

ثانيا - فَعَلَ يَفْعِل :

١ - بَطَشَ يَبْطِشُ عند تميم وعند الحجازيين بَطَشَ يَبْطِشُ واكتفى يونس بذكر المضارع في اللغتين^(١) . ويوضح كون الفعل من باب ضرب عند تميم ونصر عند أهل الحجاز ورؤود البابين باللسان وإن كانا بغير عزو لأصحابهما^(٢) .

٢ - ذَوَى يَذْوِي لغة نجد ، وذَأَى يَذْأَى عند الحجاز^(٣) (ونلاحظ أن في هذا الفعل ظاهرة أخرى وهي قلب الواو همزة قد عالجناها عند الحديث عن الهمز والتخفيف) .

٣ - سَمَتَ يَسْمِتُ عند تميم ، وعند غيرهم سَمَتَ يَسْمَتُ ، وأورد الصغاني المضارع فقط^(٤) . وورد في اللسان « سَمَتَ يَسْمِتُ »^(٥) ، وهذا يؤكد أن الفعل عند تميم من باب ضرب وعند غيرهم من باب نصر .

٤ - شَتَمَ يَشْتِمُ عند تميم وعند الحجازيين من باب نصر . ولم أجده من اللغويين من نص على عزو البابين أو أحدهما إلى الناطقين به^(٦) ولكن يونس عزا إلى تميم قولهم « مَشْتِمَةٌ » بكسر عين الكلمة وإلى الحجازيين فتح العين^(٧) . وهذا اللفظ مصدر ميمي بمعنى الشتم . وقد نص سيبويه (ت نحو ١٨٠ هـ) على أن العرب قد يبنون المصدر الميمي - وكذلك اسمى الزمان والكان - على « مَفْعِل » إذا كان الفعل من باب « ضرب » ومعنى ذلك [أن التميمي كان ينطق الفعل من هذا الباب والحجازي كان ينطقه من باب نصر لورود الفعل في البابين . وسنتناول مصدر هذا الفعل في موضعه .

(١) المزهر ٢٩٨ / ب وفي النسخة المطبوعة ٢ / ٢٧٥ ضبطت الصيغة التيممية بضم الطاء والحجازية بكسرها .

(٢) اللسان (بطش) ٨ / ١٥٤

(٣) الإبدال لابن السكيت ١٣٨ (عن الأصمعي) ، والمزهر ١ / ٤٦٣ عن الإبدال .

(٤) ما انفرد به بعض الأئمة للصغاني ١٠ (= ٢٩ / أ - شهيد علي) (وسمت الرجل إذا كان ذا وقار - المصباح ٢٨٧)

(٥) اللسان (سمت) ٢ / ٣٥٠

(٦) انظر : اللسان (شتم) ١٥ / ٢١١

(٧) المزهر ٢٩٩ / أ = ٢ / ٢٧٦ (ط) (دون ضبط) .

٥ - عَرَضَ يعرض عند تيم في مقابل عَرِضَ يعرض (من باب علم) عند الحجازيين^(١).

٦ - قَلَا يَقِيلُ عند تيم وقَلَا يَقْلُو عند الحجازيين (بمعنى أنضج) وقَلَا لهما معنيان :
الأول - وضع الحب على المِقْلَى .

الثاني - البغض .

وموضوع الخلاف على المعنى الأول دون الثاني ، إذ إن تيمًا وغيرهم متفقون في ماضيه ومضارعه بأنهما قَلَا يَقِيلُ من باب ضرب . وبالنسبة للمعنى الأول جاء الفعل عند تيم من باب ضرب وعند الحجازيين من باب نصر^(٢) .

٧ - لَبَّ يَلِبُّ (عند أهل نجد) بمعنى صار ذا لُبٍّ وذلك في مقابل لَبَّ يَلَبُّ (من باب علم) عند الحجازيين ، وَلَبَّ يَلَبُّ (على وزن فَعْلٌ يَفْعَلُ) من غير تحديد . ومما يوضح أن النهج التميمي (النجدى) من باب ضرب أن ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) نظَّره بِفَرَّ يَفِرُّ^(٣) ، وَأَنَّ الفيومي (ت نحو ٧٧٠ هـ) ذكر أَنَّ فَرَّ يَفِرُّ من باب ضرب^(٤) .
وَأَنَّ النهج الحجازي من باب علم والأخير على فَعْلٌ يَفْعَلُ (من غير باب) قول صاحب اللسان «لَبَّيْتُ أَلَبُّ وَلَبَّيْتُ تَلَبُّ»^(٥) وعقب الفيروزابادي على الصيغة الأخيرة بقوله : «وليس فَعْلٌ يَفْعَلُ سوى لَبَّيْتُ بالضم تَلَبُّ بالفتح»^(٦) .

٨ - يضاف إلى هذه الأفعال «ضَلَّ يَضِلُّ» وسنعرض له في باب «فَعِلٌ يَفْعَلُ» .

ثالثا - فَعْلٌ يَفْعَلُ :

١ - جَنَحَ يَجْنَحُ عند تيم ، وَجَنَحَ يَجْنَحُ (كنصر) عند قيس ، وَجَنَحَ يَجْنَحُ (كضرب) عند سواهم^(٧) .

(١) الاقتضاب ١٨١ ، وانظر : المزهري ٢٩٩ / ١

(٢) المزهري ٢ / ٢٧٧ (ط) = ٢٩٩ / أ (خ)

(٣) النهاية لابن الأثير ٤ / ٢٢٣ ، واللسان (لب) ٢ / ٢٢٦

(٤) المصباح (فر) ٤٦٧

(٥) اللسان (لب) ٢ / ٢٢٥ وانظر القاموس (لب) ١ / ١٢٧

(٦) القاموس (لب) ١ / ١٢٧

(٧) الأفعال للسرقي ٢ / ٢٨٧ ، والبحر المحيظ ٤ / ١٤٥ ولم يذكر اللغة المكسورة في المستقبل (من باب ضرب) .

٢ - فرغ يفرغ^(١) في مقابل فعل يفعل عند الحجازيين^(٢) تهامة^(٣) . وسنعرض له في الباب التالي (فعل يفعل) .

رابعاً - فعل يفعل :

١ - برى يبرأ عند تميم وعند الحجازيين برأ يبرأ (من باب فتح) . واكتفى اليزيدي في نواتره بذكر صيغتي الماضي في اللغتين^(٤) . وتحديد البابين يتضح من قول ابن دريد. « برأت من المرض أبرأ برئاً ، وهذه لغة أهل الحجاز وسائر العرب يقولون برئت من المرض أبرأ »^(٥) .

٢ - بعء يبعء عند تميم وعند غيرهم بعء يبعء (من باب كرم) .

وقد ورد الفعل الماضي فقط في قوله تعالى : (ولكن بعءت عليهم الشقة)^(٦) بضم العين. ونسب أبو حاتم إلى تميم كسرهما^(٧) . وذكر الفيروز آبادي أن الفعل من بابي كرم وفرح^(٨) . ومعنى ذلك أن الفعل التميمي من باب فرح وغيرهم يعامله على أنه من باب كرم .

٣- ٥ : حسب ونعم ويئس ، بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع عند تميم وكسرهما في الماضي والمضارع عند الحجازيين^(٩) .

٦ - حقد يحقد عند تميم وحقد يحقد (من باب ضرب) في لغة الحجاز^(١٠) .

٧ - زهد يزهد عند تميم وزهد يزهد عند الحجازيين. وقد ذكر يونس (ت نحو ١٨٢ هـ) اللغتين مكثفياً بالماضي ، فقال « أهل الحجاز زهد وتيمم زهد »^(١١) . وإذا كان يونس

(١) الكامل للمبرد ١ / ١٦ ، الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٦٩

(٢) الأفعال لابن القطاع ٢ / ٤٦٤ (٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٦٩

(٤) المزهر ٢ / ٢٧٦ (٥) جمهرة اللغة ٣ / ٢٧٧

(٦) التوبة ٩ / ٤٢ (٧) البحر المحيط ٥ / ٤٥

(٨) القاموس (بعد) ١ / ٢٧٨

(٩) البحر المحيط ٢ / ٣٢٨ ، وانظر : الصحاح (يأس) ٣ / ٩٩٢ وذكر عليا مضر بدل الحجاز وسفلى ضربدل تميم.

(١٠) المزهر ٢٩٩ / أ (خ) (١١) المرجع السابق ٢٩٨ / ب (خ)

لم يحدد لنا باب الفعل عند كل قبيل ، فإننا برجعنا إلى الصحاح نراه يذكر أن الفعل من بابي فَعَلَ يَفْعَلُ وفَعَلَ يَفْعَلُ^(١) وبمقارنة ذلك بكلام يونس ، نستطيع أن نحكم بأن الباب الأول خاص بتميم والآخر خاص بالحجاز .

- ٨ - رَضِعَ يَرْضَعُ عند تميم وقيس ورَضِعَ يَرْضَعُ (كضرب) عند أهل الحجاز^(٢) .
- ٩ - شَغِفَ يَشْغَفُ عند تميم وشَغِفَ يَشْغَفُ عند غيرهم . وورد هذا الفعل في قوله تعالى : (قد شَغَفَهَا حُبًا)^(٣) . وعلق عليه أبو حيان فقال « وكسر الغين لغة تميم »^(٤) . وإذا كانت المعاجم لم تحدد مضارع الفعل التميمي ، فهو لا يَحْتَمِلُ إلا أن يكون من بابي فَرِحَ (فَعِلَ يَفْعَلُ) ووَثِقَ (فَعِلَ يَفْعَلُ) . وإذا كان الباب الأخير قليل وأغلبه مثال كما قال الفارابي - على ما سنذكر في التعقيب - ، فالراجح أنه من باب فرح ، وأما مقابله عند غير التميميين ، فهو ما نجد في قول صاحب اللسان « وشَغَفَهُ الحب يشَغَفُهُ »^(٥) .
- ١٠ - نَكَلَ يَنْكَلُ عند تميم ، ونَكَلَ يَنْكَلُ عند الحجاز ، ونَكَلَ يَنْكَلُ عند غير التميميين .

وقد نقل ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) عن أبي عمرو (ت ١٥٤ هـ) قوله « نَكَلَ تميمية ، ونَكَلَ يَنْكَلُ حجازية : ضعف وجهن »^(٦) وإذا كان أبو عمرو لم يذكر المضارع عند تميم كي يتسنى لنا وضع الفعل في بابه ، فإننا استطعنا تحديده من قول صاحب القاموس « نكل عنه كضرب ونصر وعلم »^(٧) .

- ١١ - فَرِغَ يَفْرِغُ عند تميم (وكذلك فَرِغَ يَفْرِغُ) في مقابل فَعَلَ يَفْعَلُ . وفيما يلي تلخيص للروايات التي ذكرت النهج التميمي :
- (أ) عزى إلى تميم فَرِغَ يَفْرِغُ في مقابل فَرِغَ يَفْرِغُ عند الحجازيين^(٨) .

(١) الصحاح (زهد) ٤٨١/٢
 (٢) الإبل للأصمعي ٨٢ ، والمصباح (رضع) ٢٢٩ وفيه « نجد » بدل « تميم وقيس » و« أهل تهامة وأهل مكة » بدلا من « أهل الحجاز » .
 (٣) يوسف ١٢ / ٣٠
 (٤) البحر المحیط ٢٩٩ / ٥
 (٥) اللسان (شغف) ٨٠ / ١١
 (٦) المخصص ٦٤ / ٣
 (٧) القاموس (نكل) ٦٠ / ٤
 (٨) الأنفال لابن القنطاع ٤٦٤/٢ ، وانتظر : الأفعال للسرقسطي ٤ (القسم ١) / ٢٩ والمصباح ٤٧٠ واكتفيا بذكر الصيغة التميمية .

- (ب) نسب إليهم أيضا فرَغ يفرَغ في مقابل فرغ يفرُغ عند أهل العالية^(١) .
- (ج) كما نسب إليهم الصيغتان السابقتان (فعل يفعل ، وفعل يفعل) . في مقابل فعل يفعل عند تهامة^(٢) .
- ونحن أمام هذين النهجين التمييزيين لانستطيع إلا أن نقول إن تبا ذات الفروع المتعددة المنتشرة في وسط الجزيرة وشرقها لم تنطق هذا الفعل بصورة واحدة ، فبعضهم آثر نطقه على فعل يفعل والآخرون على فعل يفعل . وإنما عالجت الفعل تحت هذا الباب دون الباب الآخر ؛ لأنني ألاحظ ميل التمييز إلى هذا الباب ، وسنشير إلى ذلك بعد الانتهاء من أبواب الفعل التمييزي وعند التعقيب عليها . ذلك إلى أن قول الكسائي : « يقولون (أى تميم) فرَغ يفرَغ وحكى أيضا فرَغ يفرَغ^(٣) » يفهم منه أن الصيغة الأكثر شيوعا عندهم هي « فعل يفعل » .

١٢ - ضللت أضل : كان للعرب في ماضي هذا الفعل ومستقبله ثلاثة مناهج :

- (أ) ضللت أضل (على وزن فعل يفعل) . وقد نسبته إلى تميم كراع^(٤) (ت نحو ٣١٠ هـ) وابن القطاع^(٥) (ت ٥١٥ هـ) ، وإلى الحجاز اللحياني^(٦) ، وعزاه إلى أهل العالية ابن السكيت^(٧) ، والجوهري^(٨) ، وابن القطاع^(٩) ، والفيومي^(١٠) وأبو حيان^(١١) .
- (ب) ضللت أضل (على فعل يفعل) ونسبته إلى تميم كراع^(١٢) والسيوطي^(١٣) .

(١) الكامل للمبرد ١ / ١٦ ، وعرف أهل العالية بأنهم « قريش ومن والاها » ونسب أبو عبيد اللغة الأولى إلى نجد والثانية إلى أهل الحجاز وتهامة (إعراب القرآن للنحاس ٢٥٤ / ١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٦٩ ، وانظر ما نقله النحاس عن أبي عبيد في الحاشية السابقة .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٦٩

(٤) اللسان (ضل) ١٣ / ٤١٤ (٥) الأفعال ٢ / ٢٧٧

(٦) اللسان (ضل) ١٣ / ٤١٤ (٧) إصلاح المنطق ٢٣١

(٨) الصحاح (ضل) ٥ / ١٧٤٨ ، وفيه « وأهل العالية يقولون : ضللت بالكسر أضل (بكسر الضاد) » وقد ضبط المضارع بكسر الضاد وهو تصحيف صوابه « أضل » (بفتح الضاد) والتصويب من ابن السكيت (المرجع السابق والمصباح والبحر « المرجعان التاليان » واللسان « ضلل » ١٣ / ٤١٤ وهو قد نقل عن الصحاح وإن لم ينص هنا على ذلك) .

(٩) الأفعال ٢ / ٢٧٧ (١٠) المصباح (ضل) ٣٦٣

(١١) البحر المحيط ٧ / ٢٠٠ (١٢) اللسان (ضل) ١٣ / ٤١٤

(١٣) هجع الهوامع ٢ / ١٦٤

(ج) ضَلَلْتُ أَضِلُّ (من باب ضرب) ونسب إلى نجد فقط ، نسبها إليهم اللحياني^(١) ، وابن السكيت^(٢) ، والجوهري^(٣) ، والفيومي^(٤) .

ونلاحظ أنه قد نسب إلى تميم صراحة صيغتان : إحداهما ضَلَلْتُ أَضِلُّ ، ولم تذكر المراجع التي اطلعنا عليها من يشاركها فيها^(٥) ، والأخرى « ضَلَلْتُ أَضِلُّ » وقد شاركها فيها الحجازيون أو أهل العالية والمراد واحد باللفظين . وإذا كان يقصد بنجد من يقيمون به من تميم وغيرهم ، فهذا يعني أن التميميين كانوا ينطقون ضَلَلْتُ أَضِلُّ أيضاً .

وما دمننا لا نملك قرينة تساعد على نسبة إحدى الصيغ الثلاث دون الأخرين ، ومادام من غير المعقول أن تتكلم البيئة الواحدة بأكثر من صيغة واحدة في آن واحد ، فليس أمامنا تجاه هذا الاضطراب إلا أن نفسر ذلك بأن تميما نطقت الصيغ الثلاث ، لكنها وزعتها بين بطونها ، فالبطون التي نطقت من باب وثق غير تلك التي نطقت من باب علم غير التي نطقت من باب ضرب .

خامسا - فَعِلْ يَفْعَلُ :

١ - وَصَبَ يَصُوبُ عند تميم بمعنى أحسن القيام على ماله^(٦) وعند غيرهم وَصَبَ يَصِيبُ^(٧) (كضرب) .

٢ - ضَلَلْتُ أَضِلُّ : سبق الحديث عنه في الباب السابق (فَعِلْ يَفْعَلُ) .

سادسا - فَعِلْ يَفْعُلُ :

دام بمعنى ثبت (وعند إسناده لضمير الرفع المتصل يقال دُمِتْ بالكسر) يدوم (على وزن فَعِلْ يَفْعُلُ) عند تميم ، في مقابل دام (وعند الإسناد دُمِتْ بالضم) أدوم من باب نصر عند الحجازيين ، ودام يدام من باب فرح بدون نسبة لقوم معينين^(٨) .

(١) اللسان (ضلل) ١٣ / ٤١٤

(٢) إصلاحي المنطق ٢٣١

(٣) الصحاح (ضلل) ٥ / ١٧٤٨

(٤) المصباح (ضلل) ٣٦٣

(٥) اللهم إلاما ضبطه محقق «الصحاح» وقد ناقشنا هذا الضبط من قبل .

(٦) الأفعال لابن القطاع ٣ / ٢٨٨

(٧) اللسان (وصب) ٢ / ٢٩٧

(٨) أبيت الخبيث ٢ / ٤٩٨

تعقيب :

بعد عرض هذه الأفعال التي كان لتمييم فيها نهج خاص آفى نطق عين المضارع الثلاثى ،
نعالج هذا الموضوع من زاويتين : ^[١]

١- الأولى - نهج تميم فى معاملة هذه الأفعال ، وإلى أى الأبواب مالت .

٢- الثانية - مقارنة النهج التميمى بنهج غيرهم فى هذه الأفعال .

توثيقه :

ونرى أن نقدم لهذه الدراسة بما وصل إليه عالمان لغويان قاما بدراسة هذا الموضوع دون
اقتصارهما على لغة بذاتها . أحد هذين العالمين عاش فى النصف الأول من القرن الرابع
الهجرى وهو الفارابى (ت سنة ٣٥٠ هـ) صاحب « ديوان الأدب » ، والآخر باحث معاصر
هو المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس .

أولا - الفارابى وأبواب الثلاثى :

(أ) الأبواب الدعائم :

يرى الفارابى أن دعائم الأبواب الستة ثلاثة ، هى : فَعَلَ يَفْعُلُ ، وَفَعَلَ يَفْعِلُ ، وَفَعِلَ
يَفْعَلُ وما سواها معتل غير سالم ، لا يكون إلا بشرط يدخله وعلة تلحقه ^(١) ، وهذه
الأبواب هى :

١- فَعَلَ يَفْعُلُ : وشرطه - باستثناء لغة طيى - أن تكون عينه أو لامه حرف حاق ^(٢) .

٢- فَعُلَ يَفْعُلُ : خاص بالطبع ، ولا يكون إلا لازما ^(٣) .

٣- فَعِلَ يَفْعِلُ : وهذا ليس من الأبواب لقلة ما ورد منه ، وذلك لجواز لغة أخرى فيه
باستثناء المعتل ^(٤) .

(ب) قانون المخالفة :

ثم يرى الفارابى أن القاعدة فى الأبواب الثلاثة التى هى الدعائم أن يأتى المستقبل
مخالفا للماضى ^(٥) .

(٢) المرجع السابق ٢ / ١٣٨

(٤) المرجع السابق

(١) ديوان الأدب ٢ / ١٣٨

(٣) المرجع السابق

(٥) المرجع السابق ٢ / ١٣٨ ، ١٣٩

ثانيا - الدكتور أنيس وأبواب الثلاثي :

عالج الدكتور إبراهيم أنيس هذا الموضوع في بحث ألقاه بمجمع اللغة العربية^(١) ثم ضمنه كتابه « من أسرار اللغة »^(٢) ثم عرض له أيضا في كتابه « في اللهجات العربية »^(٣) . وقد اعتمد في بحثه على الأفعال الصحيحة الواردة في القرآن الكريم بالقراءة الشائعة وهي رواية حمص^(٤) عن عاصم التي استعملت مرة في الماضي وأخرى في المضارع ، وكذلك الأفعال الواردة في القاموس المحيط مكثفيا بالأفعال الصحيحة التي اختص كل منها بباب واحد^(٥) ، وانتهى من بحثه إلى نتائج يهمننا منها :

١- أن الصلة بين صورتى الماضى والمضارع تحكمها صلة صوتية هي المغايرة Polarity وأن ابن جني فطن إلى ذلك من قبل وأطلق عليها المخالفة^(٦) .

وهذا ما لاحظناه أيضا عند الفارابي .

٢- نهج القرآن الكريم : وجملة الأفعال الواردة في القرآن بصيغتي الماضى والمضارع ١٣٤ فعلا^(٧) . وقد لاحظ الدكتور أنيس أنها نزلت من باب فَعِلَ يَفْعِلُ ، وليس فيها من باب كَرَمَ سَوَى فَعِلِينَ^(٨) ، وبقية الأفعال إما من باب فَعِلَ وعددها ٢٤ وكلها جاء مضارعها مفتوحا ، وإما من باب فَعَلَ وعددها ١٠٧ . وقد خضعت لقاعدة المغايرة فكان المستقبل مضموماً أو مكسوراً ولم تجيء مفتوحة العين إلا إذا كانت عين الفعل أو لامه حرف حلق باستثناء « قنط »^(٩) .

وهذا الذى لاحظته الدكتور أنيس على أفعال القرآن الكريم يتفق وما لاحظته الفارابي من قبل بالنسبة إلى العربية بصيغة عامة .

٣- النتيجة التى وصل إليها الدكتور أنيس بعد دراسة الأفعال الواردة في القاموس تتفق ونتيجة دراسته لأفعال القرآن الكريم^(١٠) .

(١) بالجلسة السادسة لمؤتمر الدورة السادسة عشرة ، وانظره في مجلة المجمع ٨ / ٣٠٦

(٢) ص ٤٦

(٣) ص ١٦٨ - ١٧٣

(٤) من أسرار اللغة ٥٣

(٥) المرجع السابق ٥١

(٦) المرجع السابق ٥١ ، ٥٢

(٧) في اللهجات العربية ١٦٩

(٨) المرجع السابق ٤٩

(٩) المرجع السابق

(١٠) انظر : المرجع السابق ٥٦ ، ٥٧

٤ - فسر الاختلاف بين بابي نصر وضرب بأن البيئة البدوية كانت تؤثر الباب الأول والحضرية كانت تؤثر الباب الثاني^(١).

عود الى الصيغ التميمية :

وإذا ما عدنا إلى الصيغ التميمية نجد أنها قد قدمت لنا ٢٨ ثمانية وعشرين فعلاً خالفت فيها تميم غيرها في ضبط عين المضارع . ومن الملاحظ أن هذه الأفعال ليست جميعها منسوبة إلى تميم مباشرة ، بل منها ما نسب إليها ضمناً ، فهي إما منسوبة إلى سفي مضر أو نجد ، وكلا التسميتين تندرج تحتها تميم . وهناك أفعال وردت عين مضارعها بصورتين ، نسبت إحداها إلى الحجاز ، وتركبت الأخرى بدون عزو ، فلم نتعرض لها خشية أن تكون تميم تشترك مع الحجاز ولم ينص على ذلك . نذكر من هذه الأفعال : قتر يقتتر عند الحجاز في مقابل يحرص عند الحجاز^(٢) ، وحرص يحرص عند الحجاز في مقابل حرص يحرص^(٣) ونشز ينشز عند الحجاز في مقابل نشر ينشر^(٤) . وبخل يبخل عند الحجاز في مقابل بخل يبخل عند سائر العرب^(٥).

وقد لاحظنا عند عرض الألفاظ أن الروايات اضطربت في تحديد الصيغة التميمية للفعلين فرغ وضل فنسبت لميم صيغتين للفعل الأول . وثلاث صيغ للفعل الثاني . وقد ناقشنا هذه الروايات ورجحنا أن تميمًا كانت تنطق بجميع الصيغ كل صيغة كانت تنطقها بطن غير التي تنطق الأخرى .

والأفعال موضوع الدراسة ستة وعشرون - وذلك بعد تنحية الفعلين فرغ وضل جانباً لمحيثهما بأكثر من صيغة ، ولتشابه بعض هذه الصيغ مع غير التميميين - توزعت عند تميم على أبواب الفعل على النحو التالي :

١ - ستة أفعال من باب نصر ، توزعت عند غيرهم إلى ثلاثة أبواب ، ثلاثة من باب علم (يركن يضحى ، ويلهى) وواحد من باب فتح (يمت بالإضافة إلى يركن ويضحى لغة ثلاثة فيهما) ، واثنين من باب ضرب (يعرش ، يعجل) .

(١) المرجع السابق ٦٠

(٢) المزدر ٢١٥/١

(٣) البحر ٤٩٠/٥

(٤) التهذيب ٣٠٤/١١ ، واللسان (نشز) ٢٨٥/٧

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١/٤٢

٢- سبعة من باب ضرب يقابلها عند غيرهم أربعة من باب نصر (يبطش ، يسمت يشتم ، يقلو) وفعل من باب علم (يعرض) وفعلان من باب فتح (يلّب ويدأى) وفي « لب » مقابل آخر على وزن « فَعْل يَفْعَل »

٣- فعل من باب فتح نطق عند غيرهم من باب نصر (يجنح) . والملاحظ أن لام هذا الفعل حلقى .

٤- عشرة أفعال من باب (فَعْل يَفْعَل) يقابلها عند غيرهم واحد من باب نصر (ينكّل ، وله صورة أخرى من باب ضرب) ، واثنان من باب ضرب (يحقّد ، ويرضّع ، وله صورة أخرى بالإضافة إلى الصورة الأخرى لينكّل) ، وواحد من باب كرم (يبعّد) وثلاثة من باب وثق (يحسب ، وينعم ، ويئس) ، وثلاثة من باب فتح (يزهد ، ويشغف ، ويبرأ - ولهذا الفعل صورة أخرى من باب فَعْل يَفْعَل -) .

٥- فعل من باب وثق ورد عند غيرهم من باب ضرب (وصب) .

٦- فعل من باب (فَعْل يَفْعَل) نطق عند غيرهم من باب نصر وعلم ، وهو دام .

وإشار تميم الكسر على الفتح له ما يبرره صوتياً فهو يتفق وبيئة تميم البدوية ، وقد عللنا ذلك عند الحديث عن الفتح والكسر في الباب السابق وتبين لنا ميل تميم للكسر ، فليست هناك ضرورة لإعادته .

وإذا ما قارنا النهج التميمي بالنهج العام للعربية والذي لاحظته الفارابي من قبل والدكتور إبراهيم أنيس حديثاً بالنسبة للأفعال التي وردت في القرآن الكريم وفي القاموس المحيط ، نجد التميمي لا يشذ عن النهج العام ، فنلاحظ على هذه الأفعال :

١- أن الصلة بين الماضي والمضارع تحكمها المغيرة :

(١) فوزن فَعَل جاء مضارعه إمّا على وزن نصر أو ضرب وما جاء على « فتح » فلامه حلقى .

(ب) ووزن فَعَل جاء المستقبل مفتوح العين وجاء فَعْل مضموم العين ، ولم يجىء بدون مغيرة سوى فعلين ، ورد أحدهما بصورة أخرى فيها مغيرة منسوبة إلى تميم .

أما الآخر فهو مثال ، وهو يشترك مع أفعال هذا الباب التي جاءت بصورة واحدة وهي معدودة^(١) .

٢ - أما إذا أردنا أن نعرف موقف تميم من هذه الأفعال في ضوء ما قرره الدكتور أنيس في مضارع «فَعَلَ» بأن البيئة التميمية كانت تميل في المستقبل إلى باب «نصر» والحضرية إلى باب «ضرب» ، فلا نجد يتفق والأفعال التي عرضناها ، إذ إن النسبة بين البابين واحدة ، وهي خمسة من كل باب . ويحضرني هنا كلام لأبي زيد يتفق وما لاحظناه هنا من عدم الميل إلى باب معين ، قال : « طفت في عليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن هذا الباب [أي فَعَلَ يَفْعُلُ وَيَفْعِلُ] صغيرهم وكبيرهم ، لأعرف ما كان منه بالضم أولى وما كان منه بالكسر أولى . فلم أعرف لذلك قياساً وإنما يتكلم به كل منهم على ما يستحسن ويستخف لا » على غير ذلك^(٢) .

وليس المقصود بالاستحسان والاستخفاف أن أفراد البيئة الواحدة كان ينطق كل منهم الفعل الواحد على حسب هواه ، فهذا يقول : يضرب بكسر الراء مثلاً وذلك ينطقه بضمها^(٣) . بل المراد أن أفراد البيئة الواحدة كانوا يتحدثون في نطق عين الفعل الواحد ، فكان لكل قبيلة نهج خاص بها ، فهذه مثلاً مالت إلى نطق ذلك الفعل على حد ضرب وتلك مالت إلى نطقه على مثال نصر ، ويوضح ذلك قول أبي زيد البلخي : « إذا جاوزت المشاهير من الأفعال التي يأتي ماضيها على فعل فأنت في المستقبل بالخيار إن شئت قلت : يَفْعُلُ بضم العين ، وإن شئت قلت : يَفْعِلُ بكسرها^(٤) » ومعنى ذلك أن هناك أفعلاً كثير تداولها فلم يختلف فيها إذ اشتهرت بنطق معين يجب الالتزام به . أما التي يجوز فيها الأمران فهي أفعال ينادر استعمالها ، لذا جهل ضبط عينها فأبيح نطقها بأي الوجهين كمر عين الفعل أو ضممه . ومثل هذا التفسير للمشاهير نجده لدى اللبلي قال : « ويريدون بمجاوزة المشاهير أن يرد عليك فعل لا تعرف مضارعه كيف هو بعد البحث عليه في مظانه

(١) شذا العرف ٢٦

(٢) تصحيح الفصح ١١٠/١ ، والمزهر ٢٠٧/١ ، ٢٠٨ وفيه « أجد » بدل « أعرف » .

(٣) وإلى هذا ذهب محقق كتاب « النوادر في اللغة » لأبي زيد (انظر ٥٩ - التروك) .

(٤) التماموس ١٩/١ ، وانظر : شرح الشافية ١١٧/١ ، ١١٨ (باختلاف) . وأبو زيد هذا غير أبي زيد

الأنصاري صاحب « النوادر » المتوفى نحو سنة ٢١٥ هـ وإنما هو أحمد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ (عن شرح

ديباجة القاموس لنصر الهوري « القاموس المحيط ١٩/١ ») .

فلا تجاء . ومجاوزة المشاهير ليست لكل إنسان ، وإنما هي بعد حفظ المشهورات ، فلا يأتي من لم يدرس الكتب ولا اعتنى بالمحفوظ فيقول : قد عدت القياس فيختار في اللفظة يفعل أو يفعل ، ليس له ذلك ^(١) .

موقف القراءات القرآنية من الصيغ التمييزية:

ورد من هذه الأفعال في القرآن الكريم ثلاثة عشر فعلاً ، هي - وفق ترتيبها الذي عرضناه - : ركن ، وعرش ، ومات ، وبطش ، وجنح ، وبرئ ، وبعد ، وحسب ، ويش ، وشغف ، وفرغ ، وضل ، ودام .

وفيما يلي عرض لموقف القراءات القرآنية من كل فعل على حدة :

(١) باب نصر :

١ - ركن :

ونطقته تميم من باب « نصر » وقد ورد مضارع هذا الفعل مرتين ^(٢) ، وقرأ « تركنوا » في قوله تعالى : (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) ^(٣) وفق النهج التمييزي قتادة ^(٤) ، وطلحة ، والأشهب ، وروى عن أبي عمرو ^(٥) .

٢ - عرش :

ورد المضارع فقط في قوله تعالى : (وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) ^(٦) ، وقوله : (وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) ^(٧) قرأ بضم الراء من « يعرشون » أبو بكر عن عاصم ، وابن عامر ^(٨) .

٣ - مات :

ورد الفعل الماضي متصلاً بضمير التاء (مت) و « نا » (متنا) والميم (متم) إحدى عشرة مرة ^(٩) ، وقد قرأ بضم الميم في هذه الآيات كلها - والضم يوافق نهج اللغة التمييزية - ابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو بكر عن عاصم ، وابن عامر من السبعة ، ويعقوب ، وأبو جعفر

(١) بغية الآمال ٦

(٢) هود ١١٣/١١ ، والإسراء ١٧/٧٤

(٣) هود ١١٣/١١

(٤) مختصر في شواذ القرآن ٦١ ، والبحر ٥/٢٦٩

(٥) البحر ٥/٢٦٩ ، والأشهب هو : أبو عمرو مسكين بن عبد العزيز المعروف بأشهب صاحب الإمام مالك . روى القراءة سماعاً عن نافع (غاية النهاية ٢/٢٩٦)

(٦) الأعراف ٧/١٣٧

(٧) النحل ١٦/٦٨

(٨) السبعة في القراءات ٢٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٧/٢٧٢ ، والإتحاف ٢٢٩

(٩) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٦٧٨

من العشرة ، واليزيدى ، والحسن البصرى من الأربعة بعد العشرة^(١) . كما قرأ بضم الميم
أيضاً آتى آل عمران : (وَلَئِنْ قَتَلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَاتُمْ)^(٢) وقوله : (وَلَئِنْ مَتَّعْتُمْ
أَوْ قَتَلْتُمْ)^(٣) ، حفص عن عاصم^(٤) . ولن نتعرض للمضارع لأن قراءته توافق النهجين .

(ب) باب ضرب :

بطش :

ورد المضارع ثلاث مرات ، قال تعالى : (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا . أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ
يَبْطِشُونَ بِهَا)^(٥) . وقد قرأ باللغة التميمية أى بكسر الطاء فى الآيات الثلاثة القراء الأربعة
عشر عدا أبى جعفر^(٦) والحسن^(٧) .

(ج) باب فتح :

١ - جنح :

قرأ الجمهور بفتح النون وفق اللغة التميمية الأمر من هذا الفعل فى قوله تعالى :
(وَإِنْ جُنَحُوا لِنَسْلَمْ فَاذْجُنْحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)^(٨) . وقرأى بلغة غيرهم ، أى بضم النون
فى الشاذ^(٩) .

٢ - برىء :

ورد المضارع فى قوله عز وجل : (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا)^(١٠) والقراءة تتفق مع التميمية
والحجازية لأن الفعل فى الأخيرة من باب علم .

(د) باب علم :

١ - بَعِدَ :

ورد الفعل فى القرآن الكريم مرتين :

(١) قوله تعالى : (وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ)^(١١) وقرأى فى الشاذ وفق اللغة
التميمية (بَعِدَتْ) قرأه عيسى بن عمر^(١٢) ، والأعرج^(١٣) .

(١) إتخاف ١٨١ (وذكر القراء الذين قرءوا بالكسر وأشار إلى قراء الضم بكلمة « غيرهم »)

(٢) آل عمران ١٥٧/٣ (٣) ل عمران ١٥٨/٣

(٤) السبعة فى القراءات ٢١٨ وإتخاف ١٨١

(٥) الأعراف ١٩٥/٧ ، وانظر الفعل أيضاً فى : القصص ١٩/٢٨ ، والدخان ١٦/٤٤

(٦) تجميع التيسير ١١٥ ، وإتخاف ٢٣٤ (٧) إتخاف ٢٣٤

(٨) الأنفال ٦١/٨ (٩) مختصر فى شواذ القرآن ٥٠

(١٠) الحديد ٥٧ / ٢٢ (١١) التوبة ٤٢/٩

(١٢) مختصر فى شواذ القرآن ٥٣ ، والبحر ٥٠/٥ (١٣) البحر ٤٥/٥

(ب) وقوله : (أَلَا بُعِدَا لِمَدَّيْنِ كَمَا بَعُدَتْ ثُمُودُ)^(١) وقرئت وفق اللغة التميمية ،
أَمَّا نَهَجٌ غَيْرُهُمْ (بُعِدَتْ) فقد قرئ به في الشواذ^(٢) .

٢- حسب :

ورد مضارعه ٣١ إحدى وثلاثين مرة مفرداً أو مسنداً إلى ضمير^(٣) ، وقد قرأها بفتح
السين ابن عامر وعاصم وحمزة من السبعة ، وأبو جعفر من العشرة والحسن والمطويعي من
الأربعة عشر^(٤) .

ويعنيها من هذه الأفعال ثمانية عشر فعلاً ، وهي التي بدأت بالياء كقوله تعالى :
(يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ)^(٥) . أما الثلاثة عشر الباقية فهي تبدأ بالتاء ووفقاً
لنهج تميم التي كانت تنطق بالثلاثة فإنها كانت تنطق بفتح حرف المضارعة ما بدئ بالياء
فقط من هذا النوع من الأفعال وهو باب علم . أما بدئ بغير الياء فكانت تكسره .

٣- يثس :

ورد الماضي في قوله تعالى : (الْيَوْمَ يَئِثُّ الَّذِينَ كَفَرُوا)^(٦) ، كما ورد في ثلاث آيات
آخر^(٧) ، وذكر المضارع ثلاث مرات ، مرتين في قوله تعالى : (وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رُّوحِ اللَّهِ
إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)^(٨) ومرة في قوله عز وجل : (أَفَلَمْ يَيَاسِ
الَّذِينَ آمَنُوا . . .)^(٩) . وقد قرئ الفعل الماضي منه والمضارع وفق النهج التميمي سوى
« تَيَاسُّوا » فلم يكسر حرف المضارعة وفقاً لقانون الثلاثة التي شاعت عند التميميين .

٤- شغف :

أما « شَغِفَ » الذي ورد في قوله تعالى : (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا)^(١٠) فلم أر - فيما اطلعت عليه
من قرأها وفق النهج التميمي (شَغِفَ) بكسر الغين^(١١) .

- | | |
|---|---|
| (١) هود ٩٥/١١ | (٢) مختصر في شواذ القرآن ٦١ |
| (٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٠٠ | (٤) إتحاف ١٦٥ |
| (٥) البقرة ٢٧٣/٢ | (٦) المائدة ٣/٥ |
| (٧) النكبات ٢٣/٢٩ ، والمنحنة ١٣/٦٠ ، والطلاق ٤/٦٥ | (٩) الرعد ٣١/١٣ |
| (٨) يوسف ٨٧/١٢ | (١١) انظر: إتحاف ٢٦٤ ، ومختصر في شواذ القرآن ٦٣ |
| (١٠) يوسف ٣٠/١٢ | |

(هـ) بابا ففتح وعلم :

١ - فرغ :

ورد هذا الفعل في صيغته الماضية الثلاثية مرة واحدة ، وهي في قوله تعالى : (فإذا فرغت فانصب)^(١) . وكما تبين لنا أن هذا الفعل كان ينطقه بعض التميميين من باب فتح وبعضهم من باب علم . وبالله الأولى والتي تتفق واللغة الحجازية في فتح عين الماضي قرأ الجمهور . أما باللغة الثانية (فرغت) فقد قرأ أبو السمال وهي قراءة شاذة^(٢) .

أما الفعل بصيغة المضارع ، فقد ورد أيضا مرة واحدة وهي قوله عز وجل : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ)^(٣) وبلغة تميم الأولى التي تفتح عين الماضي والمضارع قرأ (سنفرغ) الأعرج وقتادة^(٤) وأبو عمرو^(٥) .

وبلغة تميم الثانية التي هي من باب علم والتي تحتم عليهم النطق بالثالثة قرأ (سنفرغ) بكسر النون وفتح الراء عيسى وأبو السمال^(٦) .

(و) أبواب ضرب وعلم ووثق :

ضل :

تبين لنا عند الحديث عن هذا الفعل اضطراب اللغويين في نسبة صيغة معينة إلى تميم ، فقد نسب إليهم ثلاث طرائق ، فلننظر في موقف القراءات من هذه الطرائق الثلاث :
أولاً - الماضي : وهو لا يتبين إلا عند إسناده إلى ضمير الرفع المتكلم أو المخاطب . وقد ورد بهذه الصورة ثلاث مرات : « ضللت » ورد مرتين^(٧) « وضللنا » ورد مرة واحدة^(٨)
وقد قرأ الجمهور بفتح اللام الأولى وهذا يتفق وماضي باب ضرب ، وقرئ في الشواذ ضللت في الموضعين وضللنا بكسر اللام ، قرأ الأفعال في المواضع الثلاثة يحيى وابن أبي ليلى^(٩)

(٢) مختصر في شواذ القرآن ١٧٥

(٤) مختصر في شواذ القرآن ١٤٩

(٦) مختصر في شواذ القرآن ١٤٩

(٨) السجدة ١٠/٣٢

(١) الترح ٧/٩٤

(٣) الرحمن ٣١/٥٥

(٥) المختص ٣٠٤/٢

(٧) الأنعام ٥٦/٦ ، وسبأ ٥٠/٣٤

(٩) مختصر في شواذ القرآن ٣٧ والقاريء الأخير هو أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري . تابعي أخذ

انهاده عن علي بن أبي طالب وتوفي ٨٣ هـ (غاية ٢٧٦/١)

وهي قراءة تتفق وماضى بابي عَلِمَ ووَثِقَ ، وإن كنت أرجح أنها من باب وَثِقَ فقط على ما سآبين في الفقرة التالية .

ثانياً - المضارع : وقد ورد المضارع الثلاثي ١١ إحدى عشرة مرة ، هي : أَضِلُّ^(١) ونَضِلُّ^(٢) ، وتَضَلُّوا (مرتين)^(٣) ويَضِلُّ . وقد وردت هذه الصيغة سبع مرات^(٤) ولم أر من القراء من قرأها بفتح عين الكلمة ، وإنما قرئ بالكسر فقط ، وهذا هو سبب ترجيحنا للقراءة في الماضي (على وزن فَعِلَ) بأنها من باب وَثِقَ فقط .

(ز) فَعِلَ يَفْعُلُ :

دام :

ورد الماضي في أربع آيات مسنداً إلى تاء المتكلم والمخاطب^(٥) . وقد قرأ يحيى بن وثاب « دِمَّت » بكسر الدال^(٦) في قوله تعالى : (. . . إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا)^(٧) ودِمَّتْ^(٨) في قوله : (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمَّتُمْ حُرُمًا)^(٩) .

٦

(٢) البقرة ٢٨٢/٢

(١) سبأ ٥٠/٣٤

(٣) النساء ٤٤/٤ ، ١٧٦

(٤) الأنعام ١١٧/٦ ، ويونس ١٠٨/١٠ ، والإسراء ١٥/١٧ ، وطه ٥٢/٢٠ ، ١٢٣ ، وص ٢٦/٣٨ ، والزمر ٤١/٣٩

(٥) آل عمران ٧٥/٣ ، والمائدة ٩٦/٥ ، ١١٧ ، ومريم ٣١/١٩

(٦) مختصر في شواذ القرآن ٢١ (٧) آل عمران ٧٥/٣

(٨) مختصر في شواذ القرآن ٣٥ (٩) المائدة ٩٦/٥

ثالثاً : عين الأجوف بين التصحيح والاعلال

(١) الفعل :

من الأفعال الجوف ما ورد بصورتين : إحداهما بتصحيح حرف العلة وذلك بنطقه واواً أو ياءً محرّكة ، والأخرى بإعلاله وقلب الواو أو الياء ألفاً وفيما يلي عرض للأفعال التي عزيت إحدى صورتها إلى تميم أو الحجاز :

١ - حال وحول :

عزا الخليل إلى تميم قولهم : « حالت عينه تحال حَوَلاً » وإلى غيرهم « حَوَلت عينه تَحْوَل حَوَلاً » بمعنى أقبلت الحدقة على الأنف^(١).

٢ - هاف وهيف :

وذكر الخليل أن « الهيف : دقة الخَصْر ، والفعل هيف يهيف ولغة تميم هاف يهاف مَيَنَفاً »^(٢).

٣ - أحاش وأحوش :

يذكر الفيروزابادي أن « حاش الصيد : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الجباله كحاشه وأَحْشَوْشَه »^(٣) ويذكر ابن عباد الصيغة المصححة (أحوش) دون عزو وينسب إلى تميم الصيغة المعتلة ، فيقول : « وتميم تقول حُشْتَه أَحْشَوْشَه وَأَحْشَتَه »^(٤).

(١) العين (حول) ٢٩٩/٣ ، وعنه معزوا لليث في تهذيب اللغة ٢٤٤/٥ ، واللسان (حول) ٢٠٣/١٣ ، وانظر : التاج (حول) ٢٩٦/٧

(٢) العين (هيف) ٩٦/٤ وعنه معزوا لليث في : تهذيب اللغة ٤٥٠/٦ ، وانظر : التكملة (هيف) ٥٨٧/٤ ، واللسان (دبف) ٢٦٧/١١ ، والتاج (هيف) ٢٧٦/٦

(٣) القاموس (حوش) ٢٧/٢

(٤) المحيط (حوش) ٣٦٠/٣

٤ - صَاد وَصَيْد :

عزى إلى الحجازيين قولهم صَيْدٌ يَصِيدُ صَيْدًا بِمَعْنَى رَفَعَ رَأْسَهُ كِبَرًا ، وإلى غيرهم صَادٌ يَصَادُ^(١) .

٥ - عَارَ وَعَوَّرَ :

كما عزى إلى الحجازيين أيضًا عَوَّرَ يَعَوِّرُ ، وإلى غيرهم عَارَ يَعَارُ^(٢) .

هذه خمسة أفعال نسبت الصورة المعتلة العين في ثلاثة أفعال إلى تميم ولم تنسب صورها الصحيحة . وعزيت الصورة الصحيحة في الفعلين الباقيين إلى الحجاز دون عزو المعتلة . وبمقارنة أقوال اللغويين ونسبة إحدى الصورتين في كل فعل فقط نستطيع أن ننسب ونحن متيقنون إلى تميم الصيغ : حال ، وهاف ، وأحاش ، وصار ، وعار في مقابل عزو الصيغ الأخرى إلى الحجاز وهى : حَوَّلَ ، وهَيَّفَ ، وأخَوَّشَ ، وصَيَّدَ ، وعَوَّرَ . كما نرجع عزو كل الصيغ المشابهة من كل فعل وردت له صورتان إحداهما صحيحة والأخرى معتلة . وكنا نتوقع أن تكون الصيغة التميمية هى التى تصحح الواو والياء - كما نلاحظ ذلك في عين اسم المفعول - لأنها الصيغة القديمة والقدم يتفق وطبيعة تميم البدوية المنعزلة ، لكن اللغات لا تسيير على خط واحد . والدليل على قدم التصحيح :

١ - ما روى لنا من أن العربية كانت في غابر عصورها تصحح الواوى بدلاً من نطقه بالألف كقاعدة وذلك مثل كون بدلاً من كان وشوف بدلاً من شاف^(٣) . وإذا كان مؤلف كتاب « اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام » والذي روى لنا هذه القاعدة لم يتعرض إلاَّ للأجوف الواوى ، فإن ذلك يرجع إلى أن النقوش لم تدمه إلاَّ بهذا النوع من الأفعال ، لكن ما ينطبق على الواو ينطبق على الياء بدليل وجود هذه الظاهرة في اللغة الحجازية .

٢ - وجود هذه الظاهرة في اللغة الحبشية إحدى فروع السامية في الأفعال الجوفاء سواء

أكانت واوية أم يائية ، إلاَّ أن الصوتين ينطقان ممالين ، فالواو تنطق َوَ والياء ِ

(١) اللسان (صيد) ٢٥٠/٤

(٢) اللسان (صيد) ٢٥٠/٤ ولم يذكر فيه سوى الماضى وذكر المضارع في (عور) ٢٩١/٦

(٣) اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام لأحمد حسين شرف الدين ٩٤

(سواء أكانت الأفعال متصلة بالضمائر أم غير متصلة) ^(١) ، كما أن هناك أفعالاً جوفاء في هذه اللغة غير ممالة مثل bayana بمعنى تحقق و dayana دان ^(٢) .

٣- ما ورد في النقوش الصفوية من أفعال يائية وواوية مثل بيت byt ، وسير syr ، وصيد syd ، وميت myt ، وعور wr ، وهور hwr ^(٣) .

أما النهج التميمي وهو تحويلها إلى ألف ، فيوجد في الآرامية ^(٤) والعبرية ^(٥) .

* * *

(ب) اسم المفعول الأجوف :

اسم المفعول من الفعل الثلاثي المعتل العين ، إما يائي الأصل ، وإما واويه :

١ - اليائي :

وقد قرر العلماء أن للعرب فيه منهجين :

(١) الإتمام : فيجيبون به على وزن « مفعول » دون إعلال ، فيقولون مثلاً : ، مبيوع

ومديون ، ومخيوط ، ومعيون ، ومغيوم ، ومطيوب ، وقد نسب ذلك إلى

بنى تميم ^(٦) ، وبهذه اللغة قال علقمة بن عبدة التميمي يذكر طائرا :

حَتَّى تَذَكَّرَ بَيْضَاتٍ وَهَيْجَةً يَوْمُ رَذَاذٍ عَلَيْهِ الرِّيحُ مَغْيُومٌ ^(٧)

كما وردت في شعر غير منسوب ، قال الشاعر :

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَزْعُمُونَكَ سَيِّدًا وَإِخَالُ أَتْلُكَ سَيِّدٌ مَغْيُومٌ ^(٨)

وأنشد أبو عمرو بن العلاء ، وهو تميمي :

* وَكَأَنَّهَا تَفَاحَةٌ مَطْيُوبَةٌ * ^(٩)

(١) فقه اللغات السامية ١٤٤ ، ١٤٥ (الفقرة ٢٢٢) (٢) أسباب الشذوذ في اللغة ٣

(٣) Rabin Ancient ... p. 112, 113. (٤) فقه اللغات السامية ١٤٥ (الفقرة ٢٢٤) .

(٥) انظر : المرجع السابق (الفقرة ٢٢٣) .

(٦) الخصائص ٢٦٩/١ ، وانظر أمالي ابن الشجري ، ٢٠٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٨٩/ب والممتع ٤٦١ ،

وشرح التصريح ٤٩٣/٢ ، وشرح المفصل ٧٩/١٠ ، وشرح الأشموني ٣٢٤/٤

(٧) شرح المفصليات للضبي ٣٩٩ (٨) الخصائص ٢٦٩/١

(٩) المرجع السابق ، وانصف ٢٨٦/١

(ب) النقص : وذلك مثل : مَبِيع ، وَمَخِيط ، وَمَدِين بدلاً من مَبِيعُوع ، وَمَخِيطُوط ، ومَدِينُون بِحذف أحد حروف مفعول مع كسر فاء الكلمة . وهذا المحذوف إما عين الكلمة وإما واو مفعول .

ولعل من المفيد أن نذكر هنا وجهتي النظر في الحرف المحذوف كما رآها علماؤنا الأقدمون . جاء في كتاب « إعراب القرآن » لأبي جعفر النحاس تعقيباً على قوله تعالى : (وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا)^(١) : « واختلف النحويون — بعد هذا — فقال الخليل وسيبويه : حذفت الواو لالتقاء الساكنين ؛ لأنها زائدة وكسرت الهاء لمجاورتها الياء ، فقييل : مَهِيلٌ . وزعم الكسائي والفراء والأخفش سعيد أن هذا خطأ ، والحجة لهم أن الواو جاءت لمعنى فلا تحذف ، ولكن حذفت الياء ، فكان يلزمهم على هذا أن يقولوا : مَهُولٌ ، واحتجوا بأن الهاء كسرت لمجاورتها الياء ، فلما حذفت الياء انقلبت الواو ياء لمجاورتها الكسرة .

قال أبو جعفر : وهذا باب من التصريف وغامض النحو »^(٢) .

٢ - الواوى :

يكاد العلماء يجمعون على أنه لا يأتى منه مفعول بالتمام ، وإنما يأتى بالنقص إلا في ألفاظ معدودة وردت بالتمام والنقص ، قال ابن جنى : « وربما تخطوا الياء في هذا إلى الواو وأخرجوا مفعولاً منها على أصله ، وإن كان أثقل منه من الياء ، وذلك قول بعضهم : ثوبٌ مَصُونٌ ، وفرس مَقُونٌ ، ورجل معوود من مرضه ، وأنشدوا فيه :

* والمسك في عنبره مَدُونٌ *^(٣)

ومن ذكر أنه يأتى في ألفاظ معدودة غير ابن جنى : ابن سيدة^(٤) وابن الشجرى^(٥) وابن منظور^(٦) والزبيدي^(٧) .

(١) المزمّل ١٤/٧٣

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٩ / ب ، وانظر رأى الخليل والأخفش (وهو الأوسط) في المنصف ١ / ٢٨٧ ، ورأى سيبويه في الكتاب ٣٤٨/٤ (دون عزو إلى قوم معينين) .

(٣) الخصائص ٢٧٠/١ (٤) المحكم (قود) ٣٣١/٦ (٥) أمالي ابن الشجرى ٢٠٩

(٦) اللسان (عود) ٣١٤/٤ ، (دوف) ٧/١١ ، و(صون) ١٨/١٧ ، و(قود) ٣٧٢/٤

(٧) التاج (عود) ٣٦/٢ ، و(ردوف) ١١٠/٦ ، و(صون) ٢٦١/٩

ونجد العلماء يختلفون في عدد هذه الألفاظ التي قالوا : إنها شاذة ، ففي حين إن الفراء^(١) وابن قتيبة والجوهري والفيومي ينصون على أن هذا النوع لا يخرج عن كلمتين ، هما : مَدُووف ومَصُوون^(٢) ، نرى صاحب التاج يحددها بثلاثة لا رابع لها فيزيد على الكلمتين السابقتين كلمة ثالثة^(٣) ، ونرى غيره يذكر أكثر من ثلاثة ، وإن كانوا جميعاً يتفقون على « مَدُووف » و « مَصُوون » فابن جنى — كما في النص الذي ذكرناه — وابن منظور إذا « مَقُوود » و « مَعُوود »^(٤) ، وابن عصفور وابن الشجري والشيخ خالد أضافوا « مَقُوود » و « مَقُوول »^(٥) . أما البطليوسي فقد نقل عن الكسائي ثلاث كلمات — غير الكلمتين — وهى : مقوود ، ومقوول ، ومصووغ ، وعزا الكلمات الخمس إلى فرع من تميم وهم بنو يربوع وكذلك عزاها إلى بنى لعقيل^(٦) .

ونجد إلى جانب هذا رأى على اختلاف قائله في إحصاء عدد الكلمات التامة رأين متضادين^(٧) :

الأول : أن الواوى لا يأتى إلّا بالنقص وقد صرح بذلك سيبويه^(٨) والمازنى^(٩) وعزى في الاقتضاب إلى البصريين^(١٠) .

الثانى : إجازة إتمام هذا النوع وقد قال بذلك المبرد^(١١) .

الظاهرة فى الوقت الراهن :

وإذا ما عرجنا على اللهجات الحديثة لنعرف مدى استعمالها لهذين النوعين ، لنستطيع من خلال موقفها أن نحكم على هذين النوعين عند العرب قديماً باعتبار هذه اللهجات امتداداً لما كان ينطقه العرب .

(١) ديوان الأدب ٤١٢/٣ ، والاقتضاب ٢٧٤ ، والصحاح (دوف) ١٣٦١/٤ والمصباح ٧٠٥

(٢) نص التاج (صون) ٢٦١ / ٩ « (و مصوون) على التمام شاذ لا نظير له إلا مدووف ومردوف لا رابع لها وهى لغة تميم » وكذا بالنسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية ج ٩ برقم ١٨ لغة — أبو النذهب . ولعل الصواب « مذووق » .

(٣) اللسان : المواضع السابقة .

(٤) الممتع ٤٦١ ، وأمالى ابن الشجرى ٢٠٩ وشرح التصريح ٤٩٣/٢

(٥) الاقتضاب ٢٧٥ (٦) الكتاب ٣٤٩/٤

(٧) المنصف ٢٨٣/١ (٨) الاقتضاب ٢٧٥

(٩) المنصف ٢٨٥/١

(أ) اليائي :

نجد سكان حائل وما حولها (ومنهم تميميون) يستعملون الألفاظ التي أوردناها كأمثلة ذكرها اللغويون ، فهم يقولون : فلان مَدْيُون ، والثوب مَخْيُوط ، ومَبْيُوع ، ومَكْيُول ، ومَعْيُون ، والتماحة مَطْيُوية ، ومغِيوم^(١) ، ويقول النجديون : « أم البيض مصيودة »^(٢) ومعنى المثل : إن أنثى الطير ذات البيض يسهل صيدها^(٣) . ونحن في مصر نستعمل كلمة « مديون » واللفظة مستعملة كذلك في الكويت^(٤) . وكلمة « مبيوع » سمعتها في جدة وتستعمل أيضًا في الكويت^(٥) وفي أبي ظبي . ويستعمل سكان (أبي ظبي) أيضًا بعض الكلمات التي أوردناها كأمثلة عند القدماء فيقولون : مبيوع ، ومخيوط ومكيول . ومن أمثلة هذا النوع أيضًا عند الكويتيين مَزِيُود (من زَادَ يَزِيد) ، ومخيوط ، ومشبول ، ومزيوت ، ومشيون ، ومحيوس (أي مخلوط بغيره) ومعيوب^(٦) .

(ب) الواوى :

قلبت الواو ياء . ومن أمثلة ذلك قولهم في الحجاز « معيوف » (اسم شخص) ، وهو مستعمل كذلك في الكويت^(٧) وقولهم أيضًا في الكويت : مشيوف ، ومفيوح ومهبوق (من باق يَبوق ، أي سُرق) ومطيوع ، ومسيوم ، ومصبيوع (أي عاطل) ومحيوش^(٨) .

النوعان إذن ما زالت لهما بقايا في البيئات التي ينتمي كثير من سكانها إلى تميم ، مثل الكويت لكن الواوى قلبت عينه (الواو) ياء ، وهذا يؤكد لنا أنه لم يكن مستعملًا إلا في كلمات معدودة .

(١) عن محمد العريق (من حائل) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) خصائص اللهجة الكويتية ٨٩

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

(٦) المرجع السابق .

(٧) المرجع السابق ٩٠

(٨) الأمثال العامة في نجد ٣٦/١

نخلص مما سبق أن إتمام اسم المفعول من الأجوف اليائي كان مطردا لدى تميم . أما الواوى الأصل ، فقد اختلف فيه ما بين اطراده لدى أحد بطون تميم وهم بنو يربوع ، أو وجوده في ألفاظ منسوبة إليهم .

تفسير الظاهرة :

وقد علل القدماء اطراد إتمام اليائي لدى بنى تميم دون الواوى أن الضمة لا تثقل على الياء ، لكنها تثقل على الواو ، خاصة وأن بعدها واوا أخرى . إلا أن المبرد (ت نحو سنة ٢٨٥ هـ) يرى أن ذلك « ليس بأثقل من سُرت سُورا وُغرت غُورا ؛ لأن في سُور وُغور واوين وضميتين ، وليس في مَصوون مع الواوين إلا ضمة واحدة » ^(١) .

وإذا كانت حجة المبرد في إمكان نطق اسم المفعول الواوى الأصل أن نطقه أيسر من نطق أمثال « غُور » فإن كلامه لا يعنى أن نطق « مصوون » وأمثالها ليس بأثقل من نطق مديون وأمثالها ؛ لأن نطق اليائي المضموم حقيقة أخف من نطق الواوى المضموم ، لذا كان طبيعياً أن يسبق الواوى اليائي في الانقراض .

وبعد : فإذا كانت الصيغة التميمية (يائية كانت أو واوية) هي التامة والحجازية هي الناقصة ، فهذا لا يعنى سوى أمر واحد هو أن الصيغة التميمية تمثل مرحلة أقدم من الحجازية ، وقد أشار القدماء إلى ذلك فسيبويه - وإن لم يحدد الناطقين - يقول : « وبعض العرب يخرجوه على الأصل فيقول : مَخْيُوط . . . » ^(٢) ، وابن جنى يقول في « مبيع » : « وأصله مبيوع » ^(٣) ، كما قال : « وربما تخطوا الياء في هذا إلى الواو وأخرجوا مفعولاً منها على أصله » ^(٤) ، والفيومي يقول : « وأما التام فلأنه الأصل » ^(٥) . ونستطيع أن نقرر أن ما يراه « رابين » من أنه ليس حتماً أن تكون التميمية هي القديمة ^(٦) بجانب للحقيقة .

(١) المنصف ٢٨٥/١ ، وشرح الفصل ٨١/١٠ وفيه « غار » بدل « غرت » .

(٢) الكتاب ٣٤٨/٤

(٣) الخصائص ٢٦٩/١

(٤) المرجع السابق ٢٧٠

(٥) المصباح ٧٠٥

(٦) C. Rabin, Ancient-West Arabian p. 160.

كما نستطيع أن نقرر أن اسم المفعول من الأجوف الثلاثي مر بمراحل ثلاث :

الأولى : الاحتفاظ بالواو والياء .

الثانية : الاحتفاظ بالياء فقط وحذف الواو إلا في بعض ألفاظ ، وهي المرحلة الوسطى

التي تطورت إليها اللغة التميمية ، وقد حافظ على بعض الواوى منها بنو يربوع من تميم .

الثالثة : حذف الواو والياء ، وهي التي استقرت عليها الحجازية .

رابعاً : المصادر والمستقات

(أ) المصادر

١ - المصدر :

(أ) مصدر فعَلٌ بَيِّنَ الفَعْلَ والفُعُولَ :

مصادر الأفعال الثلاثية المجردة كثيرة . والقاعدة في معرفتها السماع والرجوع إلى المعجمات اللغوية ، إلا أن بعض الأوزان يكثر . تباطأ المصدر فيها بالفعل . والأفعال الثلاثية تأتي على ثلاثة أوزان ، هي : فَعَلَ وفَعِلَ وفَعُلَ . يأتي الأول والثاني لازمين ومتعديين . أما الأخير فلا يكون إلا لازماً^(١) . ويعني هنا مصدر « فَعَلَ » المفتوح العين . وقد لاحظ العلماء أن مصدره يأتي على أوزان كثيرة مثل فَعَالَة إذا دل على حرفة كزراع زِراعة ، وعلى فُعَال إذا دل على صوت ، مثل : صَرَخَ صُراخاً . . . الخ هذه الأوزان المشهورة . وماعدا هذه الأوزان فإن الغالب في مصدر « فَعَلَ » اللازم « فُعُول » وفي فَعَلَ المتعدي « فَعُلَ »^(٢) . وهم في حكمهم هذا لم ينسبوا إلى لغة معينة . لكننا نجد القراء ينهج نهجاً مختلفاً فيعزى إليه أنه قال :

١ - « ماورد عليك من باب فعَل يفعُل ، وفَعَلَ يفعِل ولم تسمع له بمصدر فاجعل مصدره على المثال أو على الفُعُول : الفَعْلُ لأهل الحجاز والفُعُولُ لأهل نجد »^(٣) .

٢ - « إذا جاءك فَعَلَ مما لم يسمع مصدره ، فاجعل فَعَلًا للحجاز وفُعُولًا لنجد »^(٤) .

إننا نلاحظ أن القراء يخالف جمهور العلماء في أمرين :

الأول - إنه لم يفرق بين اللازم والمتعدي .

الثاني - إنه نسب فَعَلًا إلى الحجاز وفُعُولًا إلى نجد . وتميم من نجد .

لكننا لانجد النصين المعزوين إليه متفقين تمام الاتفاق :

فالأول : يجعله خاصاً بالأفعال ذات المضارع المكسور العين أو المضمومة فقط .

(١) شذا العرف ٣٢

(٢) شافية ابن الحاجب (ضمن شرحها) ١٥٧/١

(٣) ديوان الأدب ١٣٩/٢

(٤) شرح الشافية ١٥١/١ : ١٥٢

والثاني : لايفصل ، فهو يضم إلى النوعين السابقين المفتوح العين في المضارع .

والسؤال الآن ، هو : أى النصين هو الصحيح ؟

النص الأول أورده عالم لغوى ثقة عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى أما الآخر فقد رواه عالم بالصرف عاش في القرن السابع الهجرى .

إننى أميل إلى أن النص الأول هو الأصح ، وذلك لتقدم صاحبه في الزمن ، ولأنه المفصل واحتمال سقوط قيد ضم العين وفتحها راجح .

ونخلص مما سبق أن فعل إذا كان مضموم العين في المضارع أو مكسورها ، ولم يكن من الأفعال التى لها دلالة معينة كالحرفة والصوت والمرض ، ولم تورد له المعاجم مصدرا ، حكمنا بأن تما كانت تأتى بمصدره على «فُعُول» والحجاز على «فَعْل» . وكذلك الشأن إذا أوردت لنا كتب اللغة مصدرين أحدهما على وزن «فُعُول» والآخر على وزن «فَعْل» دون تحديد نسبتهما حكمنا بأن الأول تسمى والآخر حجازى .

(ب) طول بنية المصدر وقصرها :

كراهية عند تميم وكراهة عند الحجاز :

« كَرَهَ » فعل متعد على وزن «فَعِل»^(١) وهذا النوع من الأفعال يأتى المصدر القياسى منه على «فَعْل» ، مثل أَمِنَ أَمْنًا^(٢) ، لكننا وجدنا يونس يذكر لهذا الفعل مصدرين -مخالفين للقياس - أحدهما حجازى وهو «كَرَاهَة» والآخر تميمى وهو «كَرَاهِيَة»^(٣) . ونلاحظ أن تنوع المصدرين مرجعه إلى اختلاف البنية من حيث الطول والقصر ، وأن تما مالت إلى البنية الطويلة . وهذا يتفق ونهجها الذى لاحظناه عند تناول هذا الموضوع .

(ج) اختلاف المصدر لتنوع الحركة :

هذا النوع من الخلاف مرده تنوع الحركة ، كأن تكسر تميم أحد حروف الكلمة ويضمه غيرها أو يفتحه ، رغم اتحاد صورة الفعل عند الجميع . وقد عرضنا لطائفة

(١) الصحاح (كره) ٢٢٤٧/٦

(٢) تسهيل الفوائد ٢٠٥ ، وشرح الأشموني ٣٠٤/٢ ، وشذا العرف ٦٩

(٣) المزهر ٢٧٦/٢

- من هذه المصادر في «المستوى الصوتي» عند الكلام عن اختلاف حركة الكلمة ومن ذلك :
- ١ - فتحت تميم الصاد من كلمة «الصَّرْع» في حين إن قيساً كسرتها ، فقالت :
«الصَّرْع» . والفعل واحد عندهما وهو «صَرَ ع»^(١) .
 - ٢ - فَوَاق (بمعنى رجوع) بضم الفاء عند تميم وأسد وقيس وبفتحتها عند الحجازيين^(٢) .
وفعل المصدرين فاق^(٣) .
 - ٣ - «الضَّعْف» بفتح الضاد عند تميم ، وبضمها عند الحجازيين ، والفعل عندهما
ضعف^(٤) .
 - ٤ - زعم بضم الزاي عند تميم وبفتحتها عند الحجازيين^(٥) ، وبكسرها عند بعض
القيسيين^(٦) ، والفعل عندهم جميعاً «زَعَم»^(٧) .

(د) اختلاف المصدر لتصحيح عين فعله أو اعلالها :

وقد لاحظنا عند الحديث عن «عين الفعل الأجوف بين التصحيح والإعلال» أن الحجازيين صححوا العين بالواو أو بالياء . من ذلك أنهم قالوا : حَوَّلَ ، وَهَيْفَ ، بينما أعلوها التميميون بالألف فقالوا : حال ، وهاف . وقد ترتب على ذلك اختلاف في المصادر عند كل فريق عنه عند الآخر ، فالحجازيون قالوا في مصدر هذين الفعلين حَوَّلَا ، وَهَيْفَا ، وقال التميميون حَوَّلَا وَهَيْفَا . والمصدر عند كل منهما جاء على نهج العربية ، فهو عند التميمي على وزن «فَعَّلَ» نظير قال قَوْلَا ، وهو عند الحجازي على «فَعَّلَ» ، لأن الفعل عنده من باب فرح .

(هـ) اختلاف المصدر لاختلاف حركة عين الفعل :

درسنا فيما سبق أن تيمناً كان لهم نهج خاص في معاملة عين بعض الأفعال في ماضيها ومستقبلها . وإن هذا النوع من الخلاف ليعود سبباً من أسباب اختلاف المصدر عند تميم عنه

(١) الغريب المصنف ١٤٤ ، والصحاح (صرع) ١٢٤٢/٣ (٢) إتحاف ٣٧٢
(٣) المصباح ٤٨٤ (٤) المرجع السابق (ضعف) ٣٦٢
(٥) المزهر ٣٩٨ ب/ (خ) (٦) المصباح (زعم) ٢٥٣
(٧) المرجع السابق .

عند غيرهم . ن ذلك أن تميّا كانوا يتمهلون «رَضَعَا» ؛ لأنّ الفعل عندهم «رَضَعَ يَرْضَعُ» وغيرهم كان يقول «رضاعا» لأنّ الفعل «رَضَعَ يَرْضَعُ»^(١) . وإن لكل من المصدريين نظائر في العربية ، فمن نظائر التميمي سَمِعَ يَسْمَعُ سَمَاعًا ومن نظائر الآخر ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْبًا^(٢) .

ونذكر من هذا النوع من المصادر أيضا فراغا ، عند تميم من «فَرَّغَ يَفْرِغُ» في مقابل «فَرُوغَ» عند أهل العالية من «فَرَّغَ يَفْرِغُ»^(٣) و «قَلَبَا» عند تميم من «قَلَبْتُ أَقْلَى» في مقابل «قَلَوُ» عند الحجازيين من «قَلَا يَقْلُو»^(٤) .

(و) اختلاف المصدر لاختلاف بنية الفعل

قد يرجع اختلاف المصدر عند تميم عن غيرهم إلى اختلاف بنية الفعل عند كل منهما مع التزامهما بتهج العرب العام في صياغة المصدر . ومثال ذلك أن التميميين قالوا إسحاثا والحجازيين قالوا سَحَثًا^(٥) والفعل عند الأولين «أَسَحَثَ» على وزن «أَفْعَلَ» وعند الآخرين سَحَثَ^(٦) على وزن «فَعَلَ» . والقاعدة أن «فَعَلَ» الثلاثي يكسر مجيء مصدره على «فَعَلَ» وخاصة عند الحجازيين^(٧) ، و «أَفْعَلَ» قياس مصدره الإفعال^(٨) .

ولم يقتصر الاختلاف بين تميم وغيرهم على «فَعَلَ وَأَفْعَلَ» بل كما لاحظنا كان بين «فَعَلَ وَفَعَّلَ» و «أَفْعَلَ وَفَعَّلَ» و «فاعل وفَعَّلَ» و «تَفَعَّلَ وافتعل» . وهذه الأوزان سواء أكانت عند تميم أم عند غيرهم لغير الثلاثي . ولكل وزن منهما مصدره القياسي الخاص به^(٩) .

(١) الصحاح (رضع) ١٢٢٠/٣

(٢) المرجع السابق

(٣) الكامل للمبرد ١٦/١

(٤) المزهر ٢٧٧/٢

(٥) الكشاف ٤٣٨/٢

(٦) اتخاف ٣٠٤

(٧) راجع ما كتب تحت عنوان «مصدر فل بين الفعل والفعول» .

(٨) شافية ابن الحاجب (ضمن شرح الشاذية) ١٦٣/١

(٩) انظر : الكافية وشرحها ١٧٨/٢

٢ - المصدر الميمى :

(أ) من الثلاثى :

١ - مَطْلَع :

صاغ العرب المصدر الميمى على وزن « مَفْعَل » من كل فعل ثلاثى ، سواء أكانت عينه فى المضارع مفتوحة أم مضمومة أم مكسورة ، ما لم يكن مثالا صحيح اللام فإنه يكون على وزن مَفْعِل^(١) ، كما أنهم كانوا يصوغون على هذا الوزن أحيانا إذا كانت عين فعله مكسورة فى المضارع فى غير المثال الصحيح اللام . قال سيبويه : « وربما بنوا المصدر على المَفْعِل كما بنوا المكان عليه [أى إذا كان الفعل من باب فَعَلَ يَفْعِل] إلا أن تفسير الباب وجملته على القياس - كما ذكرت لك - وذلك قولك : المرجع ، قال الله عز وجل : (إلى الله مَرْجِعكم) أى رجوعكم ، وقال (ويسأَلونك عن المحيض) ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض) أى فى الحيض^(٢) ، وقالوا : المعجز ، يريدون العجز ، وقالوا المعجز على القياس . وربما ألحقوا هاء التأنيث فقالوا المعجزة والمعجزة^(٣) . ووجدنا أيضاً كلمات من باب فَعَلَ يَفْعُل مكسورة العين فى المصدر - وكذلك فى اسمى الزمان والمكان - من هذه الكلمات : مَنْسِك ، ومجزر ، ومنبِت ومطلع ، ومشرق ، ومغرب ، ومفرق ، ومسقط ، ومسكن ، ومرفق ، ومسجد^(٤) . ونكتفى هنا بالحديث عن «مطلع» التى نص سيبويه على أن ضبطها بالكسر لغة تميم فى حين إن فتحها لغة الحجازيين^(٥) وهذا هو القياس شأنها شأن غيرها من الكلمات ذات الأفعال المضمومة العين فى المضارع .

تفسير الكسر عند تميم :

هناك نص للكسائى يساعدنا على تفسير اتجاه تميم هنا للكسر ، قال أبو حيان « كان الكسائى يقول : هذه لغة ماتت فى كثير من لغات العرب ، يعنى ذهب من يقول من

(١) انظر الكتاب ٨٧/٤ - ٩٣

(٢) الكتاب ٨٨/٤

(٣) اللسان (طلع) ١٠٥/١٠ ، وديوان الأدب ١٩٠/٢ (بإضافة محشر وعدم ذكر مجزر ومرفق) وعبارة السيرانى « وقد جاءت أحد عشر لفظا على مفعل [بفتح الميم وكسر الهمزة] فى المكان بما فعله على فعل يفعل [من باب نصر] ، وهى :

منسك ... » (شرح الكتاب ٢٧٩/٥)

(٤) الكتاب ٩٠/٤

العرب تَطْلَع بكسر اللام وبقي مَطْلَع بكسرها في اسم المكان والزمان على ذلك القياس^(١). وإذا ضمنا إلى هذا النص مانقلناه منذ قليل عن سيبويه، وهو قوله « وربما بنوا المصدر على المَفْعِل كما بنوا المكان عليه » - أى إذا كان الفعل من باب فَعَلَ يَفْعِل - تبين لنا أن تما في عملها هذا لم تخرج عن قياس العرب .

موقف القراءات القرآنية :

وردت كلمة « مطلع » مصدرا ميميا في قوله تعالى : (الام هى حتى مَطْلَع الفجر)^(٢) وقد قرأ وفق اللغة التميمية من الأئمة الأربعة عشر (مطلع) الكسائي ونخلف والأعمش وابن محيصن والباقون على النهج الحجازي^(٣)، كما قرأ على النهج التميمي أبو رجاء وابن وثاب وطلحة وأبو عمرو بخلاف عنه^(٤).

٢ - مشتمة :

وشبيه بكلمة « مطلع » كلمة « مُشْتِمَة » ، فقد عزاها يونس في نوادره بكسر التاء (مَشْتِمَة) إلى تميم وبفتحتها إلى الجحاز^(٥).

وإذا رجعنا إلى الفعل في تصريفه الماضي والمضارع نجد مفتوح العين في الماضي مضمومه ومكسوره في المضارع (أى شتمه يشتمه ويشتمه)^(٦). وإذا كان اللغويون لم ينسبوا صيغتي المضارع - فيما أعلم - فإننى أرى أن التميميين - تطبيقاً لما قاله سيبويه من أن العرب ربما بنوا المصدر على المَفْعِل إذا كان الفعل من باب ضرب - كانوا ينطقون الفعل من باب « فَعَلَ يَفْعِل » . والحجازيون نطقوه من الباب الآخر . وهذا ما اتبعته في دراسة هذا الفعل عند دراسة « مستقبل الأفعال » .

(ب) من غير الثلاثي :

القاعدة في صوغ المصدر المسمى من غير الثلاثي أن يكون على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل آخره^(٧)، وكما لاحظنا عند الحديث عن المصدر

(١) البحر ١٦١/٦

(٢) القدر ٥/٩٧ (٣) إتحاف ٤٤٢

(٤) البحر ٤٩٧/٨

(٥) المزهر ١/٢٩٩ (خ) وهو في المطبوع ٢٧٦/٢ بدون ضبط .

(٦) اللسان (شتم) ٢١١/١٥ (٧) الشافية (انظر شرحها) ١٦٨/١

أنه يختلف لدى التميميين عن الحجازيين تبعاً لاختلاف صيغة الفعل من طول وقصر ، فإن هذا ما يحدث في المصدر الميمي إذ يراعى في صوغه صورة الفعل^١ .

٣ ، ٤ - أسما المرة والهيئة :

ويترتب على اختلاف صيغة الفعل أيضاً اختلاف صيغة اسمي المرة والهيئة عند تميم إذ إن اسم المرة يصاغ من الثلاثي على وزن « فَعْلَة » ومن غير الثلاثي على وزن المصدر بإضافة التاء إليه إن كان خالفاً منها . أما اسم الهيئة فلا يعجى ، إلا من الثلاثي ويكون على وزن « فَعْلَة »^(١) .

ب - المشتقات

١ - المشتقات واختلاف بنية الفعل :

لاحظنا عند الحديث عن بنية الكلمة من حيث الطول والقصر أن تميها اختلفت عن غيرها - وعلى الأخص الحجاز - في بنية الفعل ، فكانت تميل إلى طول البنية على حين كانت الحجازية تميل إلى القصر وأن هذا الخلاف بين « فَعْل وأَفْعَل » و « فَعْل وفَعْل » ، « فَعْل وفاعل » و « تَفَعَّل وافتعل » . وقد لاحظنا عند الكلام عن المصدر أنه كان يختلف عند تميم عن غيرهم وفق بنية الفعل التي مالت إلى استعمالها وهذا ما يلاحظ أيضاً في المشتقات ولنعرض لكل مشتق على حدة :

اسم الفاعل :

إذا كانت القاعدة لصوغ اسم الفاعل أن يكون من الفعل الثلاثي على وزن « فاعِل » ومن غير الثلاثي على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل آخره ، فإنه يترتب على اختلاف صيغ الفعل أحد أمرين :

١ - في حالة ميل تميم إلى استعمال أفعل أو فعل بدل فَعْل أو العكس يترتب على ذلك أن يكون اسم الفاعل على وزن « فاعِل » أو على وزن المضارع .

٢ - في حالة ميلها إلى استعمال فَعْل غير ثلاثي في مقابل فَعْل غير ثلاثي آخر تنغير الصيغة التميمية عن الحجازية ، فإذا اختارت تميم مثلاً فَعْل واختار الحجاز فاعِل فيكون اسم الفاعل التميمي مُفَعِّل في مقابل مُفَاعِل عند الحجازيين .

(١) الشافية (انظر شرحها) ١٧٨/١

وهذا الذى لاحظناه فى اسم الفاعل مترتباً على اختلاف صيغ الفعل نلاحظ شبيهاً به فى المشتقات الأخرى وهى :

اسم المفعول :

وذلك لأنه يصاغ من الثلاثى على وزن مفعول ومن غير الثلاثى على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر .

الصفة المشبهة :

لأن القاعدة أن يصاغ من الثلاثى اللازم دون المتعدى أما غير الثلاثى فيصاغ على زنة اسم الفاعل إذا أريد به الثبوت كمنطلق اللسان^(١) .

اسم التفضيل :

فمن الشروط اشتقاق « أفعل » من الفعل مباشرة أن يكون الفعل ثلاثياً ، وإلا أتى بأفعل مساعداً وبعده المصدر الصريح أو المؤول . والآن كذلك بالنسبة لصيغة التعجب .

اسماء الزمان والمكان :

وذلك لأنهما يصاغان من غير الثلاثى على وزن اسم المفعول .

٢ - أمشاج من المشتقات (بين اسم المفعول واسم الآلة) :

تناولنا عند الحديث عن الضم والكسر تحت عنوان « ألفاظ تأرجحت الروايات بين نسبة ضمها وكسرها إلى تميم » ثلاثة ألفاظ ، هى : مُصْحَف ، ومُطْرَف ، ومُغْزَل . وقد رجحنا ناك ميل تميم إلى كسر الصوت الأول . ولنتناول هنا كل لفظ من هذه الألفاظ الثلاث على حدة لنحاول أن نتبين إلى أى مشتق ينتمى كل منها .

(١) مصحف :

هذا اللفظ ليس عربياً أصيلاً ، وإنما هو دخيل من الحبشية مَصْحَف^(٢) (بفتح الميم) *mashafa* أى الكتاب مشتقاً من الفعل *sahafa* أى كتب^(٣) . ودخلت اللسان العربى عن طريق المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة ، فيروى أن أبا بكر رضى الله عنه لما جمع

(١) شذا العرف ٧٧ ، ٧٨

(٢) الدخيل فى اللغة العربية (مجلة كآبة الآداب جامعة القاهرة) م / ١٢ ج ١ ص ١٤٦

(٣) التطور النحوى ٢١٧

القرآن قال : سمعه . فقال بعضهم سمعوه إيجيلا فكهوود ، وقال بعضهم : سمعوه سافرا فكهووه من يهود ، فقال ابن مسعود : « رأيت بالحبيشة كتابا يدعونه المصحف فسمعه به »^(١) . اكن العربى لم يأخذها بصورتها الحبشية وإنما أجرى عليها بعض التعديل شأنه مع كل الكلمات العربية التى كان يضيف عليها طابع العربية التى يتكلمها . ولم يتفق العرب على صورة واحدة فبعضهم نظر إليها على أنها اسم مفعول فضم أولها وهؤلاء هم أهل الحجاز والصورة التى نطقوها هى التى شاعت . وبعض العرب نظر إليها على أنها أداة فعاملها كما يعامل اسم الآلة ، ومن هؤلاء تميم . وبعض آخر ، لم يحدد ، بل أبقى الميم على صورتها الأصلية ففتحها .

(ب) مغزل :

ذكرنا عند الحديث عن «الضم والكسر» أن الفراء يرى أن هذه الكلمة اسم مفعول من الفعل «أغزل» وهذا معنى أن الصيغة الحجازية هى الأصلية ثم حدث التغيير فى الصيغة التميمية . لكت الذى يبدو من الوهلة الأولى لمن يسمع هذه الكلمة أنها تدل على الآلة ولا تحتل بها ، فالكسر إذن هو الأصل والضم هو الراض بخلاف ما ذهب إليه الفراء .

(ج) مطرف :

أما كلمة مطرف فهى بعكس «مغزل» إذ إن المفعولية فيها أوضح من الآلية فالصيغة المنسوبة لقيس هى الأصلية والتميمية هى الحديثة .

وبعد ، فإننا نخلص من كل ما سبق أن هذه الكلمات الثلاث لا تنتمى إلى مشتق بعينه . بل تتأرجح بين المفعولية والالية ، وأن ضم الميم فى كلٍّ منها ليس هو الأصل بل إن الأصل تتقاسمه الحركات الثلاث ، فالضمة هى الأصلية فى مطرف والكسرة فى مغزل والفتحة فى مصحف . وأن تيممًا مالت إلى كسرها فى الكلمات الثلاث .

وبستطيع أن نضم إلى هذه الكلمات كلمات أخرى جاءت على وزنها وجاءت بصورتين هما ضم الحرف الأول وكسره دون نسبة أحدهما إلى لغة معينة فنغزو المكسور منها إلى تميم وذلك مثل مجسد ومخدع .

(١) الإتيقان ١/ ١٨٤

٣ - أسماء الزمان والمكان وحركة عين المضارع (مطلع) :

القاعدة العامة في صياغة اسمى الزمان والمكان من الثلاثي غير المعتل الأول والآخر أن يكون على وزن « مَفْعِل » إذا كان مضارعه مكسور العين ، وعلى « مَفْعَل » إذا كان المضارع مضموماً أو مفتوحاً^(١) . أما الناقص فيأتى على « مَفْعَل » وأما المثال الصحيح الآخر فيأتى على « مَفْعِل »^(٢) .

العربي إذن كان يلحظ موافقة العين في هذين الاسمين لعين المضارع ، إلا إذا كان المضارع مضموم العين فاختر له الفتحة ، وكان القياس أن يضمه ، لكنه عدل عن ذلك ، لأنه اكتفى بالفتح والكسر . وقد علل سيبويه اختيار الفتح دون الكسر في المضموم في المضارع ، لأنه أخف الحركتين^(٣) وقد تابعه في هذا التعليل بعض اللغويين كالسيرافي^(٤) وأبى على^(٥) ، ومع ذلك فقد وردت عدة كلمات من هذا الباب (فَعَلَ يَفْعُل) اختار فيها العربي الكسر لا الفتح في اسمى الزمان والمكان - وكذلك المصدر الميمي - وقد ذكرنا عند الحديث عنه طائفة من هذه الكلمات نكتفي منها هنا بكلمة « مَطْلَع » التي نسبت إلى تميم في مقابل مَطْلَع عند الحجاز ، قال سيبويه : « وقد كسروا المصدر في هذا [أى مما كان من باب فَعَلَ يَفْعُل] كما كسروا في يَفْعَل ، قالوا : أتيتك عند مَطْلَع الشمس ، أى عند طلوع الشمس ، وهذه لغة بني تميم . وأما أهل الحجاز فيفتحون . وقد كسروا الأماكن ، في هذا أيضاً ، كأنهم أدخلوا الكسر أيضاً كما أدخلوا الفتح »^(٦) . وهذه اللغة التميمية (مَطْلَع) هي التي شاعت واستعملتها اللغة المشتركة بدليل أن جمهور القراء^(٧) قرءوا بها قوله تعالى : (حتى إذا بلغ مَطْلَع الشمس وجدها تَطْلُع على قوم ..)^(٨) في حين إنه لم يقرأ بالحجازية (مَطْلَع) إلا في الشاذ ، فقد قرأها الحسن وابن محيصن^(٩) وعيسى وابن كثير في رواية شبل^(١٠) وقال أبو حيان بصدد اللغة التميمية « وكان الكسائي يقول : هذه لغة ماتت في كثير من لغات العرب ،

(١) الكتاب ٨٧/٤ - ٨٩ ، وانظر : شرح الشافية ١٨١/١

(٣) الكتاب ٩٠/٤

(٢) شرح الشافية ١٨١/١

(٥) المخصص ١٩٤/١٤

(٤) شرح الكتاب للسيرافي ٢٨٠/٥

(٧) انظر : إتحاف ٢٩٤

(٦) الكتاب ٩٠/٤

(٩) البحر ١٦١/٦ ، وإتحاف ٢٩٤

(٨) الكهف ٩٠/١٨

(١٠) مختصر في شواذ القرآن ٨١ ، ٨٢ ، وانظر : البحر ١٦١/٦ وهو أبو داود شبل ابن عباد المكي مقرر

مكة ومن أجل أصحاب ابن كثير ، توفي بعد سنة ١٥٠ هـ (غاية النهاية ٣٢٤/١) .

يعنى ذهب من يقول من العرب تطلع بكسر اللام. وبقي مطلع بكسرها في اسم المكان والزمان على ذلك القياس»^(١). فكلام الكسائي يدلنا على أن الصيغة التميمية هي القدمى، وأن اشتقاقها لاسمى الزمان والمكان كان قياسيا، لأن فعله حين اشتقاقه كان بكسر العين، أما الصيغة الحجازية فتمثل المرحلة الحديثة، إذ تطور الفعل عندهم من كسر العين إلى ضمها وتطورت تبعا لذلك صيغة اسمى الزمان والمكان، والمحافظة على القديم تناسب والبيئة التميمية، والتطور يتلاءم والبيئة الحجازية المتحضرة. وأرى أن وجود حرف الطاء، وهو حرف مطبق كان من عوامل تطور حركة العين إلى الضم. ذلك لأن الضمة تتكون بتحريك الجزء الخلقى من اللسان إلى أعلى^(٢)، وفي حالة النطق بالطاء يتحرك مؤخر اللسان أيضاً نحو الحنك الأقصى^(٣).

٤ - في الصفة المشبهة :

تناولنا عند الحديث عن اختلاف المشتقات بسبب اختلاف بنية الفعل اختلاف تميم عن غيرهم في الصفة المشبهة نتيجة ذلك، ونلاحظ أيضاً وجود خلاف مرده أحد أمرين : الأول : الاختلاف في بنية الاسم نفسه، دون أن يكون مرجعه خلاف في الفعل بينهما. ونلاحظ ذلك في مثل قول بنى تميم « هذا ماء شروب » في حين إن الحجازيين كانوا يقولون « هذا ماء شرب »^(٤). على وزن فَعَل واستعمال تميم هذا يؤكد ما ذهبنا إليه من ميلها إلى البنية الطويلة.

الثاني : اختلاف صوتي، فقد خالفت تميم غيرها في حركة طائفة من الكلمات بعضها صفات مشبهة مثل كلمة « رَحِيم » التي هي عند تميم بكسر الراء، وبفتحتها عند أهل الحجاز وبنى أسد وقيس وربيعة كما يقول النحاس^(٥)، وهذا أخذت اللغة المشتركة. وقد عرضنا لطائفة من هذه الكلمات ومنها هذه الكلمة عند الحديث عن اختلاف الحركات وعن التماثل الصوتي.

(١) البحر ١٦١/٦

(٢) الأصوات للدكتور بشر ١٨٦

(٣) المرجع السابق ١٢٩

(٤) المزهر ٢٧٧/٢ (عن اليزيدي).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١/ب

الفصل الثالث

الجمع

أولاً : جمع المؤنث السالم

لم يكن لتتميم نهج خاص في جمع المؤنث السالم وما وجدته من اختلاف بين لغتها واللغة المشتركة لا يعدو أن يكون اختلافاً في السمات الصوتية ، يرجع إلى أحد أمرين :

الأول : اتجاه تميم إلى البدء بالمقطع المغلق القصير .

الثاني : اختلاف صورة الجمع تبعاً لاختلاف صورة المفرد .

١ - الاتجاه إلى البدء بالمقطع المغلق القصير :

إن ما لاحظناه في الباب الثاني من ميل التميمي إلى أن يبدأ الاسم بمقطع مغلق قصير ، إذا كان يبدأ بمقطعين قصيرين مفتوحين هو ما نلاحظه هنا ، فكل اسم مؤنث مفرد ثلاثي ساكن العين يجمع على « فعلات » إما بفتح العين سواء أكانت الفاء مفتوحة أم مضمومة أم مكسورة ، مثل : جَمْرَة ، وَسِدْرَة ، وَغُرْفَة التي تجمع على جَمَرَات ، وَسِدْرَات ، وَغُرَفَات ، وإما أن تتبع العين حركة الفاء ، فيقال في جمع هذه الكلمات : جَمَرَات ، وَسِدْرَات وَغُرَفَات ، هذا هو نهج اللغة المشتركة ، أما اللغة التميمية فقد سكنت العين إذا سبقت بضممة أو بكسرة فقالت : غُرَفَات ، وَسِدْرَات. لكنها في حالة الفتحة شاركت اللغة المشتركة بأن تابعت العين الفاء فقالت جَمَرَات^(١) .

موقف القراءات القرآنية :

وإننا لنجد للغة التميمية صدى في القراءات ، فقد :

(أ) قرأ الحسن وأبو السمال (وتركهم في ظُلُمات لا يبصرون)^(٢) ، بإسكان عين الكلمة^(٣) والقراءة المشهورة « ظُلُمات » بإتباع العين الفاء .

(١) المتصل (ضمن شرح الفصل) ٢٨/٥

(٢) "بقرة ١٧/٢"

(٣) مختصر في تراويح القرآن ٢٠٢ والمخسب ٥٦/١

(ب) وقرأ الحسن «والحرّمات»^(١) في قوله تعالى : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
والحرّمات قصاصٌ)^(٢) .

٢ - اختلاف صورة الجمع تبعاً لاختلاف صورة المفرد :

ونلاحظ هذا النوع فيما نسب إلى تميم من أنهم كانوا يقولون مُثْلَاتٍ وَصُدُقَاتٍ في مقابل
مُثْلَاتٍ وَصُدُقَاتٍ في اللغة المشتركة ، جاء في «معاني القرآن» للفراء : «هي المَثَلَاتُ [العقوبات]
وتميم تقول : المَثَلَاتُ ، وكذلك قوله : (وَأَتَوَا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ)^(٣) حجازية ، وتمدّد
صُدُقَاتٍ واحداً صُدُقَةٌ . قال الفراء وأهل الحجاز يقولون : أعطها صَدُقَتُهَا وتمدّد تقول :
أعطها صَدُقَتُهَا»^(٤) .

إن المفرد لكل من هاتين الكلمتين على وزن «فُعْلَةٌ» (أى مُثْلَةٌ وَصُدُقَةٌ) عند الحجازيين ،
وَفُعْلَةٌ (أى مُثْلَةٌ وَصُدُقَةٌ) عند تميم ، وقد جمع كل منهما المفرد جمعا مطردا ، فإن «فُعْلَةٌ»
تجمع على فُعْلَاتٍ^(٥) . أما «فُعْلَةٌ» فتجمع جمع قلة على «فُعْلَاتٍ»^(٦) . وفُعْلَاتٍ ،
كما قلنا - عند الحديث عن الصنف الأول - تحول إلى «فُعْلَاتٍ» عند تميم .

موقف القراءات القرآنية من الاتجاه التميمي :

إذا كان جمهور القراء قد قرأ بلغه الحجاز «صَدُقَاتِهِنَّ» في قوله تعالى : (وَأَتَوَا
النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)^(٧) «والمَثَلَاتُ» في قوله تعالى : (وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ)^(٨)
فقد قرأ وفق النهج التميمي قتادة وأبو السمال (صَدُقَاتِهِنَّ)^(٩) . وقرأ يحيى بن وثاب
«المَثَلَاتُ»^(١٠) .

(١) مختصر في شواذ القرآن ١٢

(٢) البقرة ١٩٤/٢

(٣) النساء ٤/٤

(٤) معاني القرآن ٥٩/٢

(٥) الكتاب ٥٨٥/٣

(٦) الكتاب ٥٧٩/٣ وتجمع أيضا على «فُعْلَاتٍ» كما ذكرنا عند الحديث عن الاتجاه الأول .

(٧) النساء ٤/٤

(٨) الرعد ٦/١٣

(٩) مختصر في شواذ القرآن ٢٤

(١٠) المرجع السابق ٦٦

ثانيا : جمع التكسير

ملاحظناه عند الحديث عن جمع المؤنث السالم من أن تميا لم يكن لها نهج خاص في جمع المؤنث السالم ، وأن الاختلاف في حقيقته صوتي ، هو مانلاحظه أيضا في جمع التكسير . وهذا الاختلاف يرجع إلى أمور خمسة ، هي :

أولا : اتجاه تميم إلى البدء بالمقطع المغلق القصير .

ثانيا : اختلاف في الحركة .

ثالثا : اختلاف صورة الجمع تبعاً لاختلاف حركة المفرد .

رابعا : اختلاف الجمع لاختلاف تذكير المفرد وتأنيثه .

خامسا : اختلاف الجمع لاختلاف صيغة المفرد .

وفيا يلي تفصيل لما أوجزناه^(١) :

(أ) الاتجاه إلى البدء بالمقطع المغلق القصير :

إن ماوضح^(٢) لنا في الباب الثاني وفي جمع المؤنث من ميل التميمي إلى أن يبدأ الاسم بمقطع مغلق قصير ، إذا كان يبدأ بمقتطعين قصيرين مفتوحين ، نلاحظه هنا في وزنين من أوزان جموع التكسير وهما : فُعْل وفُعْل المحولان عن « فُعْل » وتوضيح ذلك هو أن :

١ - فُعْل : يطرد وزنا للجمع لكل اسم رباعي سبق آخره بحرف مد ، سواء أكان واوا أم ياء أم ألفا^(٣) . وإذا كانت عين الجمع واوا فإنه كما يخفف عند بني تميم يخفف عند غيرهم ، فقد قالوا جميعا في جمع نخوان ورواق (جمع كثرة) خون وروق^(٤) ، وإذا كانت العين ياء ، فإن الفاء كانت تكسر عند التميمي فيقول في جمع صيود وبيوض صيد وبيض^(٥) . أما المشتركة فكانت تبقى على وزن فُعْل فتقول صِي وبيُض^(٦) .

وما كانت عينه ولامه من جنس واحد مثل سرير ، كان بعض بني تميم يفتحون عينه فيقولون سُرر بدلا من إسكانها ؛ وذلك خشية حدوث الإدغام الذي ينتج عنه اختلال

(١) انظر : الكتاب ٦٠١/٣ - ٦٠٨ ، ومعاني القرآن للفراء ١٢٥/٣ (٢) الكتاب ٦٠٢/٣ .

(٣) المرجع السابق ، واللسان (نيب) ٢٧٤/٢ (٤) الكتاب ٦٠٢/٣

في المعنى^(١) وقد شاركهم في هذه الظاهرة بعض بني كلب^(٢) . وبقية بني تميم كانوا يبقون
ضم العين^(٣) .

وقد أُشير إلى الخلاف بين النهجين التميمي والحجازي (الذي يمثل اللغة المشتركة)
في مواضع كثيرة من كتب اللغة والتفسير والقراءات^(٤) ، نكتفي هنا بضرب أمثلة من
القراءات القرآنية مما لم نذكره عند الحديث عن « عدم تتابع ثلاث حركات » من ذلك :
(أ) قوله تعالى : (وقفينا من بعده بالرُّسل)^(٥) قرأ « بالرُّسل » مخففة على النهج
التميمي يحيى بن يعمر^(٦) ، كما قرأ المطوّعي « الرُّسل » معرفة ومنكرة في
كل ما جاء في القرآن الكريم^(٧) .

(ب) قوله تعالى : (فرهان متبوضة)^(٨) ، قرأ « فرهن » شهر بن حوشب^(٩) وأبو عمرو
وجماعة^(٩) .

(ج) قوله تعالى : (عربا أترابا)^(١٠) . وقرأ حمزة^(١١) وناس منهم شجاع وعباس
والأصمعي عن أبي عمرو ، وناس منهم : خارجة وأبو خُلَيْد عن نافع ،
وناس منهم أبو بكر وحماة وأبان عن عاصم بسكون الراء من « عُرْبًا » جمع
عروب على لغة بني تميم^(١٢) .

-
- (١) المصباح ٦٩٨ (٢) البحر ١٥/٨ (٣) المصباح ٦٩٨
(٤) من ذلك : المحتسب ٢٥٥/١ ، ٢٥٦/٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٣/ب ، واللسان (أزر) ٧٣/٥
(٥) البقرة ٨٧/٢
(٦) مختصر في شواذ القرآن ٨ والقارئ هو : يحيى بن يعمر الدوابي البصري . تابعي . أول من نقط المصحف . عرض
على ابن عمر وابن عباس وأبي الأسود وعرض عليه أبو عمرو وأبو العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق وتوفي سنة ٨٩٠ هـ . (غاية النهاية ٣٨١/٢)
(٧) التحاف ١٤٢ (٨) البقرة ٢٨٣/٢
(٩) مختصر في شواذ القرآن ١٨ ، والقارئ الأول هو : أبو سعيد شهر بن حوشب الأشعري التميمي ثم البصري
تابعي ، وقيل إنه توفي سنة ١٠٠ هـ (غاية النهاية ٣٢٩/١) .
(١٠) الواقعة ٣٧/٥٦ (١١) السبعة في القراءات ٦٢٢ ، والبحر ٢٠٧/٨
(١٢) البحر ٢٠٧/٨ وفيما يلي ترجمة لمن لم يسبق التعريف به من هؤلاء القراء :
(أ) شجاع : هو أبو نعيم شجاع بن أبي نصر البلخي ، قرأ على أبي عمرو وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام . توفي
سنة ١٩٠ هـ (معرفة القراء ١٣٤) .
(ب) عباس : هناك عدة قراء سموا بالعباس (انظر : غاية النهاية ١ / ٣٥٢ - ٣٥٥) ويعني أحدهم وهو الذي
أخذ من أبي عمرو ، وهو : العباس بن الفضل بن عمرو الحنظلي الأنصاري البصري كان من أكابر أصحاب
أبي عمرو في القراءة وقال عنه : « لو لم يكن في أصحابي إلا عباس لكفاني » ولي قضاء الموصل وبها توفي سنة ١٨٦ هـ
وقيل سنة ١٩٥ هـ (غاية النهاية ٣٥٣/١ - ٣٥٤) .
(ج) أبو خُلَيْد : هو حنبل بن حماد ، أخذ عن نافع (السبعة في القراءات ٦٤ ، وغاية النهاية ٤٩٨/١) .
(د) حماد : هو أبو سلمة بن سلمة بن دينار البصري . روى عن عاصم وابن كثير وتوفي سنة ١٦٧ هـ (غاية النهاية
١٨٩/١) .

(د) قوله تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بُشْرا بين يدي رحمته)^(١) ، وقوله عز وجل : (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته)^(٢) . قرأ فى الآيات الثلاث ابن عامر « نُشْرا » بضم النون وإسكان الشين^(٣) تخفيف « نُشْرا » فى اللغة الحجازية ، وهى جمع نُشُور^(٤) .

(هـ) قرأ أبو السمال قوله تعالى : (على سُرُرٍ متقابلين)^(٥) بفتح الراء الأولى (سُرُر)^(٦) على لغة تميم خلافا للجمهور الذى قرأها « سُور » بضم الراء^(٧) .

ومع أن القراءات القرآنية قد اعتدت فى هذه الحالة باللغة التميمية ، إلا أننا وجدنا شعرا تميميا يخالفها فهاهو ذا لقيط بن زرارة يقول :

* إن السُّواء والنَّشيل والرُّغف *^(٨)

ومرد هذه المخالفة أن الشعراء لم يكونوا يتقيدون فى أشعارهم غالبا بلغة قبائلهم بل كانوا يسايرون اللغة المشتركة ، لأنها السبيل إلى ذبوع أديهم خارج نطاق القبيلة .

٢- يأتى « فُعَل » على غير القاعدة السابقة جمعا لعدة كلمات ، مثل : سَقَف^(٩) ونَجْم^(١٠) ، وبَدَنَة^(١١) . وفى هذه الحالة أيضا نطق التميمى الجمع على

(١) الأعراف ٥٧/٧ ، والفرقان ٤٨/٢٥

(٢) النمل ٦٣/٢٧ (٣) إتحاف ٢٢٦

(٤) المحتسب ٢٥٥/١ ، وقد قرأ بالثقل وفق الهج الحجازى : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وابن حيصن ، والزيدى (إتحاف ٢٢٦) .

(٥) الحجر ٤٧/١٥ ، ووردت كلمة « سرر » أيضا فى الصفات ٤٤/٣٧ ، والطور ٢٠/٥٢ ، والواقعة ١٥٥/٥٦ ، والغاشية ١٣/٨٨ ، والزخرف ٣٤/٤٣

(٦) مختصر فى شواذ القرآن ٧١ (٧) البحر ١٥/٨ وفيه بضم السين وهو تصحيف .

(٨) الكتاب ٤٠٣/٣ (النشيل : لحم يطبخ بلا تابل ، يخرج من المرق وينشل - من الحاشية للمحقق . والشاعر جاهل من بنى زيد بن عبد الله بن دارم (انظر : المؤلف ١٧٥ ، والشعر والشعراء ٤٤٦) .

(٩) المصباح (سقف) ٢٨٠ (١٠) المحتسب ٨/٢

(١١) المصباح (بدن) ٣٩

مثال «فُعِلَ» وقد نص الفيومي على ذلك إذ عمم قلب كل فُعِلَ سواء أكان مفرداً أم جمعا^(١) ، كما أشار غيره من اللغويين إلى ذلك بمناسبة عرض إحدى كلمات هذا الصنف . من ذلك قول أبي حيان (ت ٧٤٥ هـ) تعقباً على قوله تعالى : (ولولا أن يكون الناس أمةً واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة)^(٢) : «وقرأ الجمهور سُقُفاً بضمينين وأبو رجاء بضم وسكون ، وهي جمع سَقَف لغة تميم ، كَرُهْن ورُهْن»^(٣) . ومن ذلك أيضاً آقراءة الحسن قوله تعالى : (وبالنَّجْمِ هم يهتدون)^(٤) «وبالنَّجْمِ»^(٥) على أنها جمع «نَجْمٌ» وهذا نهج الحجازيين في جمعها كما سبق أن ذكرنا وقرأها يحيى «وبالنَّجْمِ»^(٦) . وعلق ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) على ذلك بقوله «كأنه مخفف من النَّجْمِ كلغة تميم في قولهم : رُسُلٌ وكُتُبٌ»^(٧) .

(ب) أما الصنف الثاني ، وهو الناشئ عن اختلاف الحركة في صيغة الجمع ، فنرى من ذلك :

١ ، ٢ - سَكَارَى وكَسَالَى (بفتح فاء الكلمة) جمع سَكَرَان وكَسَلَان مقابل سَكَارَى وكَسَالَى (بضم الفاء) في اللغة الحجازية . وقد آثرت تميم في هذين اللفظين الفتح على الضم . وقد تناولنا ذلك عند الحديث عن «الفتح والضم» في الباب السابق وذكرنا اعتداد القراءات القرآنية باللغة التميمية .

٣ - صُنُون (بضم فاء الكلمة) عند تميم - وشاركتها في ذلك قيس - في مقابل «صِنُون» (بالكسر) لدى الحجازيين . وقد تحدثنا عن اللفظ عند الكلام عن الضم والكسر ، وذكرنا موقف القراءات القرآنية من صيغتيه .

(ج) اختلاف الجمع لاختلاف حركة المفرد :

ونرى ذلك في :

١ - كلمة «رَكْشَرَة» ففاء الكلمة مفتوحة في اللغة المشتركة مكسورة الت بفتح تميم وقد ترتب على ذلك أن أصبح الجمع في اللغة المشتركة «كَشَرَات» ولدى تميم (رَكْشَر)^(٨) .

(٢) الزخرف ٢٣/٤٣

(٤) النحل ١٦/١٦

(٦) المرجع السابق .

(٨) البحر ٢٤/٥

(١) المرجع السابق ٦٩٨

(٣) البحر ١٥/٨

(٥) المحتسب ٨/٢

(٧) المرجع السابق ٩/٢

والجمعان مطردان لدى العرب ، إذ إن «فَعْلَة» تجمع على «فَعَلَات» للقلة وفِعال للكثرة ، مثل قَصَصَة وَقَصَصَات وقِصَاص^(١) ، في حين إن القاعدة العامة أن تجمع «فِعْلَة» على فِيعَلَات (أو فِعَلَات عند بعض العرب) للقلة وفِعَل للكثرة^(٢) . فكل من الحجازي والتميمي جمع الكلمة كما تجمع نظائرها ، وإن كان كل منهما مال إلى أحد الجمعين .

ونلاحظ أن الحجازي اختار الجمع بالآلف والتاء وهذا خاص بالمؤنث ، والمعروف أن الأنوثة هي مظهر من مظاهر الرقة التي تتفق والبيئة الحضرية .

٢ - جمعت تميم «كَلِمَة» على «كَلِم» مخالفة اللغة المشتركة التي جمعتها على «كَلِم» ، ومرجع ذلك إلى اختلاف المفرد عند كل منهما فاللغة المشتركة تقول «كَلِمَة» في حين إن تميما تقول «كَلِمَة»^(٣) . وشبيه بهذا أيضا مانسب إلى بعض بني تميم من أنهم كانوا يقولون في المفرد «كَلِمَة» وفي الجمع «كَلَم»^(٤) .

٣ - أَرَفَاغ ورُفُوغ وأَرُفُع ثلاثة جموع لكلمة واحدة هي «رفع» بضم الراء وفتحها ، استعملت تميم رُفُوغا وأَرُفُعَا ، في حين إن الحجازيين استعملوا أَرَفَاغَا . وهذا الاختلاف مرده إلى أن صيغة المفرد اختلفت عند كل من الفريقين ، فالأول استعمله بفتح أوله ، أما الآخر فضمه^(٥) .

وإذا كانت تميم قد جمعت فَعْلَا على فُعُول وأفْعُل فهذا هو القياس عند العرب : الأول تجعله للكثرة غالبا ، والثاني للقلة^(٦) . وكذلك الشأن بالنسبة للحجازيين الذين جمعوا فُعْلَا على أفعال الذي هو قياس عند العرب في القلة^(٧) .

٤ - ومن ذلك أيضا رِفاق لتميم ورِفَق لقيس ؛ لأن جمع الأولى رُفُقَة مثل برام جمع بُرْمَة ، والثانية جمع رِفُقَة مثل سِيار جمع سِيارَة^(٨) .

هذا عدا ما شهد فاتفق جمعه مع اختلاف مفرده مثل مِعَد ونِقَم جمع مِعْدَة ونِقِمَة في اللغة المشتركة ومِعْدَة ونِقِمَة في اللغة التميمية . وقد تكلمنا في ذلك عند الحديث عن

(٢) المرجع السابق ٥٨٠/٣ ، ٥٨١ ،

(٤) شذور الذهب ١١

(٦) الكتاب ٥٦٧/٣

(٨) المصباح (رفق) ٢٣٤

(١) الكتاب ٥٧٨/٣

(٣) اللسان (كلم) ٤٣٨/١٥

(٥) المصباح (رفق) ٢٣٣

(٧) المرجع السابق ٧٦/٣ =

الفتح والكسر « ورجحنا أن سبب ذلك قدم التسمية من حيث الأفراد والجمع ، ثم تطور المفرد عند قياس وبقى الجمع دون تغيير .

(د) اختلاف صورة الجمع لاختلاف تذكير المفرد وتأنيثه :

ونلاحظ ذلك في :

أ - « زوجات » عند تميم و « أزواج » عند الحجاز للدلالة على جمع المؤنث عند كل منهما ، وسبب هذا الخلاف أن الحجازيين اختاروا صيغة واحدة للدلالة على المذكر والمؤنث هي « زوج » وأن التميميين خصصوا زوجا للمذكر وأضافوا إليه التاء عند إرادة تأنيثه فقالوا زوجة^(١) فجمعوا الكلمة جمع مؤنث سالما وهذا يتفق وتأنيث الكلمة ، فقالوا زوجات . وقد جاء ذلك في شعر أبي الغريب الأعرابي :

يا صاح بلّغ ذرى الزوجات كلهم أن ليس وصل إذا ما انحلت عرى الذنب^(٢)

أما الحجازي فقد جمع الكلمة جمع تكسير فقال « أزواج » وبهذه الصيغة وحدها جاء التنزيل الحكيم ، قال تعالى : (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا)^(٣) وهذا الجمع الحجازي قياسي أيضا شأنه شأن الجمع التميمي . قال سيبويه : « أما ما كان فعلا من بنات الياء والواو ، فإنك إذا كسرتة على بناء أدنى العدد كسرتة على أفعال ، وذلك سوط وأسواط ، وثوب وأثواب وقوس وأقواس »^(٤) .

٢ - كلمة « صاع » التي يعدها الحجازيون مؤنثة والنجديون - وتميم منهم - مذكورة جمعها الحجازيون على آصع وأصوع جمع قلة^(٥) . ولا فرق بين الجمعين فهما على وزن « أفعل » وحدث قلب مكاني في الصيغة الأولى^(٦) . وجمعها الحجازيون أيضا على صيعان جمع كثرة . أما التميميون ، فقد جمعوها على « أصواع »^(٧) ، وقد التزم كل من الفريقين النهج العربي في جمع التكسير :

(١) المذكر والمؤنث للفراء ٩٥

(٢) المرجع السابق وهو بدون نسبة ونسبه المحقق ففلا عن خزانة الأدب ٣٣٥/٢ وسمط الكلى ٦٥١/٢

(٣) التحريم ٣/٦٦ ، وانظر ، إحصاء هذه الكلمة في القرآن الكريم بالمعجم المفهرس ٣٣٣ ، ٣٣٤

(٤) الكتاب ٥٨٦/٣

(٥) المذكر والمؤنث للفراء ٩٦ ، والمصباح (صوع) ٣٥١ ، ٣٥٢

(٦) المصباح (صوع) ٣٥٢

(٧) المرجع السابق ٣٥١ ، ٣٥٢

(أولاً) الجمع الحجازي له ما يبرره إذ إن لهذه النهج نظائر في العربية.

(أ) فبالنسبة لجمع الكلمة على «أفعل» جمع قلة يقول سيبويه : « وما كان مؤنثاً من فَعَلٍ من هذا الباب [أى من بنات الياء والواو التي الياءات والواوات فيهن عينات] ^(١) ، فإنه يكسر على أفعل إذا أردت بناء أدنى العدد ، وذلك دارٌ وأدورٌ وساقٌ وأسوقٌ ، ونارٌ وأنورٌ . هذا قول يونس ^(٢) ، فالحجازي إذن جمع اللفظ جمعاً قياسياً .

(ب) وبالنسبة لجمع الكثرة فله أيضاً نظائره ، يقول سيبويه : « وإذا أردت بناء أكثر العدد [من فَعَلٍ] كسرتَه على فَعْلان ، وذلك نحو : جيران وقيعان وتيجان ، وساج وسيجان ^(٣) .

(ثانياً) فجمع التسمية الكلمة على أفعال له كذلك نظائره ، قال سيبويه : « وأما ما كان فعلاً فإنه يكسر على أفعال إذا أردت بناء أدنى العدد ، وذلك نحو : قاع وأقواع ، وتاج وأنواج ، وجار وأجوار ^(٤) »

وإذا كان الفراء الذي نقلنا عنه الخلاف في الجمع تبعاً لتذكير المفرد أو تأنيثه ^(٥) لم يشير إلى تفريق تميم بين القلة والكثرة ، فإن هذا التفريق ليس حتمياً ؛ لأن كلاً من الجمعين يسد مسد الآخر ويغني عنه ^(٦) .

(هـ) اختلاف الجمع لاختلاف صيغة المفرد :

ومثال هذا الصنف أن « المنا » وهو كيل أو ميزان يوزن به « رطلان » ^(٧) كما كان ينطق عند التميميين « مَنْ » وقد جمعه الأولون على « أَمْناء » وجمعه التميميون على « أَمْنان » ^(٨) . ويندرج تحت هذا الصنف كل اسم اختلف فيه التميميون عن غيرهم وكان منشأ هذا الاختلاف الإبدال أو غيره من طرق تعدد الصيغ .

(٢) الكتاب ٥٩١/٣

(١) راجع الكتاب ٥٨٦/٣

(٣) المرجع السابق ٥٩٠/٣ (والساج : ضرب من الشجر - اللسان « سوج » ١٢٧/٣)

(٤) المرجع السابق ٥٩٠/٣ (٥) المذكر والمؤنث للفراء ٩٦

(٦) شرح ابن عقيل ٤٥٢/٢ ، وهذا العرف ١٠١ (٧) المصباح (منا) ٥٨٢

(٨) اللسان (منا) ١٦٧/٢٠ ، والمرجع السابق

الفصل الرابع الجنس

توطئة :

١. يفرق العربى بين المذكر والمؤنث بإحدى علامات ثلاث هى التاء المتحركة ، مثل فاطمة ، والألف الممدودة مثل شيماء والألف المقصورة كسلمى

ويبدو أن التاء هى العلامة القدى بدليل وجودها فى كل اللغات السامية بل فى المصرية

القديمة^(١) أيضاً ، فى الأكديّة šarratu (ملكة) مؤنث šarru

(ملك) . وفى الأجروتية ilt (إلهة) مؤنث idil (إله) وفى

العبرية taktit (تحتية) مؤنث takti وفى السريانية bištā

(شرير) مؤنث bišā فى حالة التعريف، وفى الأثيوبية besit

(امرأة) مؤنث besit (رجل)^(٢) .

وقد قلبت هذه التاء فى العربية هاء عند الوقف عدا عند بعض العرب الذين أجر والوقف مجرى الوصل فنطقوها بالتاء^(٣) ، ونسب ذلك إلى حمير^(٤) وطىء^(٥) اليمينية الأصل .

وإذا لم يكن هناك مسوغ لإبدال التاء هاء فإن تعليل ذلك كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس^(٦) ويوضحه الدكتور رمضان عبد التواب بقوله : « إن التاء سقطت حين الوقف على المؤنث فبقى المقطع السابق عليها مفتوحا ذا حركة قصيرة. وهذا النوع من المقاطع تكرهه العربية فى أواخر الكلمات فتجنبه بإغلاق المقطع عن طريق امتداد النفس بهاء السكت »^(٧) فنحن « إنما ننظر إلى النتيجة النهائية لا إلى التطور الصوتى^(٨) » . وما يؤيد

(١) Moscati: An introduction to the comparative grammar of sematic languages p. 85.

(٢) Ibid p. 84, 85.

(٣) شرح المفصل ٨١/٩

(٤) المصباح ٦٤٤

(٥) فى اللهجات العربية ١٣٦

(٦) اللسان (ها) ٣٧٠/٢٠

(٧) اللغة العبرية : قواعد ونصوص ومقارنات باللغات السامية ١٥٥ (٨) المرجع السابق

هذا القول سقط التاء في اللهجات الحديثة^(١) ومنها لهجة « تطوان وما حولها » التي حذفت فيها من كل مؤنث لم تسبق تاؤه بصوت لين طويل^(٢) .

وينقسم الجنس إلى حقيقي ومجازي . أما الحقيقي فهو كل ذي روح حيث يتميز الذكر من الأنثى . والتفريق بين نوعيه واضح . أما المجازي فليس هناك تحديد حاسم لنوعه ، والوسيلة الوحيدة هي ما تعارف عليه الناس واصطلحوا . واللغات تختلف في ذلك ، فما تعدّه هذه اللغة مذكرا ، قد تعدّه تلك مؤنثا . مثال ذلك : الشباك مذكر في العربية مؤنث في الفرنسية la fenêtre ومثله كلمة مصباح la lamp ، والحقيبة مؤنثة في العربية مذكرة في الفرنسية le sac وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة السبورة le table

والأمر كذلك بين لغات العربية . والذي يعيننا هنا ما يتصل باللغة التمييزية .

وستكون دراستنا للجنس من زوايا ثلاث :

أولا : الحقيقي وسنتناول المؤنث من حيث تأنيث لفظه وتذكيره .

ثانيا : المجازي ، وهو أنواع ثلاثة :

(أ) ماورد بصيغتين إحداهما مذكرة والأخرى مؤنثة .

(ب) ماورد بصيغة واحدة مؤنثة .

(ج) ماورد بصيغة واحدة مذكرة .

ثالثا : الجنس المميز واحده بالتاء (ويندرج تحته من الحقيقي والمجازي) .

(١) انظر في اللهجات العربية ١٣٦

(٢) لهجة شمال المغرب : تطوان وما حولها ١٥٥

أولاً : المؤنث الحقيقي

بين تذكير لفظه وتانيته

يذكر الفراء (ت ٢٠٧ هـ) أن أهل الحجاز يطلقون كلمة زوج على الرجل والمرأة أما النجديون فيفرون ويطلقون على المرأة زوجة^(١) . ونقل أبو حيان عن الفراء مثل هذا الكلام ، لكنه فصل فذكر في مقابل « أهل الحجاز » « تميم وكثير من قيس وأهل نجد^(٢) » . والأصل في اللغات السامية أن يكون للمؤنث الحقيقي كلمة تخالف الكلمة الموضوعة للمذكر . مثال ذلك في العربية أب وأم ، وفي العبرية ^{אב} (أيل) بمعنى كبش و ^{אם} (رجل) أى نعجة ، ثم ابتدعت هذه اللغات علامات تفرق بين المذكر والمؤنث^(٣) . وهذا ينطبق على كلمة زوج ومؤنثها زوجة ، فاللغات السامية — كما يذكر الدكتور محمود فهمى حجازى — تشترك كلها في إطلاق ذكر على الرجل وأنثى على المرأة ، ثم استخدمت العربية كلمة « بعل » للدلالة على الرجل المتزوج ، وعلى المرأة المرتبطة به « زوج » . والكلمة الأولى سامية قديمة تعنى الإله أو الرب أو السيد واستخدمت للدلالة على الرجل مرتبطة بدخول كلمة « زوج » من الآرامية « زوجا » الدخيلة فيها من اليونانية zeugos ، ثم أضيفت إلى زوج علامة التأنيث للدلالة على الأنثى وهى التى استنكرها الأصمعى وعدها لحنا^(٤) وهى مانسبته كتب اللغة إلى تميم كما ذكرنا .

وإذا كان العرب قد عرب هذا اللفظ ، فلم يخصه بالأنثى دون الذكر ، ودليل ذلك وروده للدلالة على الرجل في حديث أم زرع والذي روته السيدة عائشة وذكرت أن إحدى عشرة امرأة من اليمن وصفت كل منهن زوجها وكانت تبدأ كل واحدة منهن بقولها

(١) المذكر والمؤنث للفراء ٩٥ ، وانظر : ١٠٨ وفيه « وسائر العرب » في مقابل « الحجاز » وعن الموضع الأول نقل أبو بكر بن الأنبارى في المذكر والمؤنث ١ / ٥٠٤

(٢) البحر ١ / ١٠٩ ، وانظر : اللسان (زوج) ٣ / ١١٧ وفيه « تميم » في مقابل « الحجاز » .

(٣) اللغة العبرية ٢٦

(٤) أسس علم اللغة ٢١٨

« زوجي »^(١) ، ووروده أيضا في كلام ابن مسعود وقد سئل عن الجمل في قوله تعالى :
(حتى يبلغ الجمل في سم الخياط)^(٢) ، فقال : « هو زوج الناقة »^(٣) .

وأما إنكار الأصمعي « زوجة » للدلالة على الأنثى محتجا بقوله تعالى : (أُسْكُنْ أَنْتِ
وزوجك الجنة)^(٤) ، فاستعمال القرآن تأكيد لدلالة زوج على المؤنث ، لكن عدم استعماله
« زوجة » لا يفيد إنكارها ؛ لأن القرآن الكريم لم يحو كل الألفاظ العربية بمختلف
استعمالاتها ، وهذه اللفظة كانت تأخذ صبغة محلية خاصة بتميم ، ثم أخذت تشيع بعد
ذلك ولا أدل على ذلك من وجودها في شعر تميمي وغير تميمي . قال عبدة بن الطيب :

... فبكى بناتي شجوهنَّ وزوجتي والأقربون إلىَّ ثم تصدَّعوا^(٥)
وقال الفرزدق :

فإن امرأ يسعي يُخَبِّبُ زوجتي كساع إلى أسد الشرى يَسْتَبِيلُهَا^(٦)
كما وردت في رجز للعجاج في قوله :

... لا تسأل الزوجة ريحَ العَطرِ *^(٧)

كما وردت في شعر النجديين من غير بني تميم ، من ذلك قول ذى الرمة :
أَذُو زَوْجَةٍ بِالْمِضْرَامِ فِي خُصُومَةٍ أَرَاكَ لَهَا بِالْبَصْرَةِ الْعَامِ ثَاوِيَا^(٨)
وإذا كان أبو عبيدة قد أنكر كلمة « زوجة » فإننا - بالإضافة إلى ما وجدناه من
شعر ينهض دليلا على نقض رأيه - نلاحظ أن الفراء نص على شيوعها ، فيقول « وأهل
النجد يقولون : زوجة » ، وهو أكثر من زوج ، والأول [أي زوج] أفصح عند العلماء^(٩) .

(١) انظر الحديث في : زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ١ / ٣٠٩ - ٣٢٦ والمزهر ٢ / ٥٣٢ - ٥٣٥

(٢) الأعراف ٧ / ٤٠

(٣) اللسان (زوج) ٣ / ١١٧

(٤) البقرة ٢ / ٣٥ والأعراف ٧ / ١٩

(٥) المفضليات ١٤٨ ، والمذكر والمؤنث للفراء ٩٥ (باختلاف) ، والبحر ١ / ١٠٩

والشاعر تميمي من بني عبد شمس بن كعب بن سعد ، شاعر مخضرم ، شهد مع المثنى بن حارثة حرب هرمز سنة ١٣ هـ ،
كما حارب الفرس مع سعد في العام التالي (انظر : الشعر والشعراء ٧٢٧ ، وتاريخ الأمم والملوك ٣ / ٤١٢ ، ٥٣٣)

(٦) الديوان ٦٠٥

(٧) التنبهات ٢٠٥

(٨) الديوان ٦٥٣ ، والبحر ١ / ١٠٩

(٩) المذكر والمؤنث ٩٥

ونستطيع أن نقرر بعد هذا حداثة الصيغة التميمية ، فقد أضافوا للفظ تاء التانيث من باب القياس الخاطئ false analogy على نحو مانسمعه من بعض الصغار « القطة الأبيضة » بدلا من « الأبيضة » وقد يصوب هذا الخطأ وقد يستمر مع هذا الشخص وحده ، وقد ينتقل إلى غيره ويشيع بعد ذلك . وهذا ماحدث بالنسبة لهذا اللفظ ، شاع عند التميميين والنجديين ثم انتقل إلى غيرهم ، يقول أبو حاتم السجستاني (نحو ٢٥٠ هـ) : « فلانة زوجة فلان لغة أهل نجد قال : وقد صار أهل الحرمين يتكلمون بها ، يقولون : هذه زوجتك^(١) .

موقف النجديين من هذا اللفظ في الوقت الراهن :

وإذا ما عبرنا القرون الماضية لنجىء إلى قرننا الحالى لنعرف موقف النجديين من هذا اللفظ ، نجدهم يستعملونه كما كان يستعمله سابقوهم ، ولا أدل على ذلك من تسجيله في أمثالهم العامية ، فقد ورد في كتاب « الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية » « معلقة لأزوجه ولا مطلقه^(٢) »

(١) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ١ / ٥١٥ هـ

(٢) ص ١١٨ (رقم ٢٢٥٦) .

ثانيا : المجازى

(أ) ما ورد بصيغتين احدهما مذكرة والأخرى مؤنثة :

صادفنا لفظ واحد من هذا الصنف وهو « رَقُو » عند التميميين و « رَقُوَّة » عند غيرهم ويعنون به ما يشبه الرابية^(١) . فالتميميون فى هذا اللفظ اختاروا الصيغة المذكورة وعاملوا اللفظ على أنه مذكر .

ويمكن أن نضم إلى هذا اللفظ كلمة « حالة » عند تميم على أنها مؤنثة فى مقابل كلمة « حال » التى كان تأنيثها أكثر من تذكيرها ، كما هو الشأن عند الحجازيين ، والدليل على تأنيث الكلمة لفظاً ومعنى عند التميميين وروده كذلك فى شعر الفرزدق .
على حالة لو أن فى القوم حائماً على جوده لضمن بالماء^(٢)

(ب) ما ورد بصيغة واحدة مؤنثة :

ولاحظنا ذلك فى كلمتين هما : « الأضحى » و « السرى » اللتان تنتهى كل منهما بألف تأنيث ممدودة هى إحدى علامات المؤنث الثلاث .

١ - الأضحى :

وقد عاملها التميميون على أنها مؤنثة ، ولكنها ذكرت فى لغة قيس^(٣) . ولما كان التذكير غير متسق وتأنيث اللفظ علله الفراء بأن الناطقين ذهبوا فى ذلك إلى اليوم حاتم^(٤) .

٢ - السرى :

وهو بمعنى السير بالليل دون النهار^(٥) . ويذكر السجستاني أن الكلمة تذكر وتؤنث ، وأنه سمع من أعراب بنى تميم من ينشد :

* إِنَّ سُرَى اللَّيْلِ حَرَامٌ لَا تَحِلُّ *^(٦)

فالتميمى أنث الفعل (تحل) مراعيًا اشتغال المسند إليه على علامة التأنيث .

(٢) شرح بانث سعاد ٧٢ ، ٧٣

(١) جمهرة اللغة (رقو) ٢ / ٤٠٩

(٣) اللهجات العربية فى التراث ٤٧ عن التذكير والتأنيث للسجستاني ٦ مخطوط برقم ٢٦٤ لغة-تيمور بدارالكتب المصرية.

(٥) المذكر والمؤنث لأبى بكر الأنبارى ١ / ٤٣٢

(٤) المصباح (ضحى) ٣٥٩

(٦) المرجع السابق ١ / ٤٣١

(ج) ما ورد بصيغة واحدة مذكرة :

الكلمات المذكرة لفظا والتي عوملت معاملتين إحداهما بالتذكير والأخرى بالتأنيث ، وعزيت إحدى معامليتيها أو كليهما ، وجدنا التذكير خاصا بالتمييز والتأنيث بغيرهم . وهذه الكلمات يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع : أماكن ، وأعضاء للجسم ، بالإضافة إلى اسم آلة :

١ - الأماكن :

١ - وهي : الطريق ، والسرط ، والسبيل ، والزقاق ، والسوق ، والكلاء (سوق بالبصرة) وعكاظ (سوق بناحية مكة) ، جاء في الصحاح « قال الأخفش : أهل الحجاز يؤنثون الطريق والسرط والسبيل والسوق والزقاق والكلاء - وهو سوق البصرة - وبنو تميم يذكرون هذا كله »^(١) ، وذكر ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) أن بني تميم كانوا يذكرون « عكاظ » ، والحجازيين كانوا يؤنثونه^(٢) .

٢ - أسماء بعض أعضاء الجسم :

والذي عثرنا عليه معزوا تذكيره لتمييز وتأنيثه لغيرهم : العضد والعجز - وقد نسب التأنيث فيهما لأهل تهامة -^(٣) والعنق ونسب التأنيث لأهل الحجاز^(٤) .

٣ - اسم آلة :

الصاع (مكيال) وقد عزا الفراء تأنيثه إلى أهل الحجاز وبعض بني أسد وتذكيره إلى أسد وأهل نجد^(٥) .

موقف القراءات القرآنية من النهج التمييزي :

الألفاظ الواردة من الكلمات التي عرضناها من هذا الصنف في كتاب الله بصيغة المفرد هي : سبيل ، وصرط ، وصاع (في قراءة) ، وطريق ، وعضد ، وعنق . أما اللفظان

(١) الصحاح (زقق) ١٤٩١/٤ ، والنص أيضا في (زقق) بالسان ١٢ / ٩ ، والتاج ٦ / ٣٧١ والمصباح (زقق) ٢٥٤ باختلاف وليس فيه الكلاء ، وانظر بشأن « الطريق » المذكر والمؤنث للفراء ٨٧ وفيه « أهل نجد » بدل « تميم » وعنه المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ٤٥٧/١ .

(٢) المحكم ١ / ١٥٩ ، وانظر : المصباح (عكظ) ٢٤٤ .

(٣) الغريب المصنف ٢٦٢ / ١ .

(٤) المصباح (عنق) ٤٣٢ ، وانظر المذكر والمؤنث للفراء ٧٣ واكتفى بنسبة التأنيث للحجازيين .

(٥) المذكر والمؤنث للفراء ٩٦ وعنه في : المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ٤٨٠/١ ، وفي المصباح (صوع) ٣٥١ .

الأخيران (عضد وعنق) فقد ورد كل منهما مرتين ، لكن سياق الكلمة في كل آية لا يوضح تذكيرها أو تأنيثها مثال ذلك قوله تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك)^(١)

لدينا بعد ذلك أربعة ألفاظ ، فلنتبين حظ اللغة التميمية من الاستعمال القرآني :

١ - السبيل :

ورد في القرآن الكريم ١٦٧ سبعا وستين ومئة مرة^(٢) تحدد النوع في خمسة مواضع :

موضع جاء على النهج التميمي فقط ، وهو قوله تعالى : (وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ)^(٣) .

وثان على النهج الحجازي وهو قوله عز وجل : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة)^(٤) .

والمواضع الثلاثة الباقية جاءت باللغتين وإن كانت التميمية هي الراجحة . اثنان من هذه المواضع في قوله تعالى : (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)^(٥) . فند قرأ الجمهور باللغة التميمية ، أما الحجازية فقد قرئ بها في الشاذ ، قرأ أبي « (يتَّخِذُوها سَبِيلًا)^(٦) » .

والموضع الأخير في قوله تعالى : (وَ لَتَسْتَثْبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ)^(٧) . قرأ ليستبين سبيل (أي بياء التذكير ورفع سبيل) عاصم - في رواية أبي بكر - وحمزة والكسائي^(٨) وخلف والأعمش^(٩) . وقرأ « ولتستبين سبيل » (أي بتاء التأنيث ورفع سبيل) ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحنص عن عاصم^(١٠) ويعقوب وابن محيصن واليزيدي والحسن وعنه سكون لام « ولتستبين »^(١١) . والقراءة الأولى توافق لغة تميم والثانية لغة الحجاز .

(٢) انظ : المعجم المطهرس لألفاظ القرآن الكريم ٣٤١ - ٣٤٣

(٤) وسف ١٢ / ١٠٨

(٦) مختصر في شواذ القرآن ٤٦

(٨) السبعة في القراءات ٢٥٨

(١٠) السبعة في القراءات ٢٥٨

(١) الإسراء ١٧ / ٢٩

(٣) الحجر ١٥ / ٧٦

(٥) الأعراف ٧ / ١٤٦

(٧) الأنعام ٦ / ٥٥

(٩) انف ٢٠٩

(١١) انف ٢٠٩

٢ - الصراط :

وردت الكلمة ٤٥ خمسة وأربعين مرة^(١) ، ولم ترد في الآيات التي حدد السياق النوع إلا باللغة التميمية كقوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم)^(٢) ولا فرق بين الصراط والصراط إلا في إطباق السين ليصير صاداً ، وقد تكلمنا عن ذلك في الفصل الأول من الباب الثاني .

٣ - الصاع :

وهو « الصَّوَّاع » الوارد في قوله تعالى : (قالوا : نفقِدُ صُوعَ الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم)^(٣) ، وقد قرأ أبو هريرة وجماعة « صاع الملك »^(٤) وقد جاء الصاع هنا على اللغة التميمية بدليل تذكير الضمير العائد عليه (به) ، لكنه استعمل في آية تالية^(٥) مؤنثاً على اللغة الحجازية بدليل قوله (ثم استخرجها من وعاء أخيه) .

٤ - الطريق :

ورد اللفظ أربع مرات^(٦) ، والسياق لم يحدد تذكير الكلمة أو تأنيثها إلا في آيتين التزمنا اللغة التميمية ، هما : قوله تعالى : (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً)^(٧) وقوله : (يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم)^(٨) .

الاستعمال التميمي في الوقت الراهن :

المستعمل من الكلمات التي ذكرناها منسوبة إلى تميم في أحد استعماليهما ما يزال يستعمل في وسط الجزيرة مذكراً ، فمن الأمثال العامية النجدية « سوق الغلَّا جلاب » أي أن غلاء السلعة في السوق يسبب جلبها إليه^(٩) .

كما أننا نجد مذكراً في حائل التي يقطن جنوبها تميميون^(١٠) وكذلك شأنه في جيزان^(١١) وهي بتهامة .

-
- (١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٤٠٧ (٢) الفاتحة ١ / ٦
 (٣) يوسف ١٢ / ٧٢ (٤) مختصر في شواذ القرآن ٦٤
 (٥) الآية ٧٦ وهي قوله تعالى (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) .
 (٦) النساء ٤ / ١٦٨ ، ١٦٩ ، وطه ٢٠ / ٧٧ ، والأحقاف ٤٦ / ٣٠
 (٧) طه ٢٠ / ٧٧ (٨) الأحقاف ٤٦ / ٣٠
 (٩) الأمثال العامية في نجد ١٢٦ (١٠) عن « محمد العريفي » من حائل .
 (١١) عن « حمودي مجاركى » من جيزان (كاتب العدل بمحكمة رحيمة بالمنطقة الشرقية سنة ١٩٧٩) .

ثالثا : الجنس المميز واحده بالتاء

ويندرج تحته جنس حقيقي وجنس مجازي . وما ذكره العلماء اللغويون بشأنه من الألفاظ قسمان :

أحكام عامة تشمل كل لفظ يندرج تحت الجنس المميز واحده بالتاء .
والآخر نصوص خاصة بلفظ معين عندما يتعرضون له ، ويعد ذلك مثالا للحكم العام يعضده ويقويه .

(أ) أحكام عامة :

وهذه الأحكام استنبطها العلماء وخلاصتها أن اسم الجنس المميز واحده بالتاء يؤنثه الحجازيون ويذكره النجديون ، ومنهم بنو تميم ، قال الفراء : « كل جمع كان واحدته بالهاء وجمعه بطرح الهاء ، فإن أهل الحجاز يؤنثونه وربما ذكروا ، والأغلب عليهم التأنيث ، وأهل نجد يذكرون ذلك وربما أنشوا ، والأغلب عليهم التذكير »^(١) ، ويذكر ابن مالك وأبو حيان مثل هذا لكنهما يعزوان للحجازيين التأنيث فقط ولأهل نجد وقيم التذكير فقط ، يقول ابن مالك : « والجنس المميز واحده بها [أي تاء التأنيث] يؤنثه الحجازيون ويذكره التميميون والنجديون »^(٢) .

(ب) أمثلة :

من الألفاظ التي ذكرها اللغويون وتعد أمثلة للجنس المميز واحده بالتاء وعزى التذكير لبنى تميم والتأنيث لأهل الحجاز : التمر والشعير ، والذهب^(٣) ، والبر^(٤) ، والنخل والبسر^(٥) . ونستطيع أن نعد من ذلك أيضا « الركي » والواحدة « ركيّة » . قال الفراء :

(١) المذكر والمؤنث ١٠١

(٢) تسهيل الفوائد ٢٥٤ ، وانظر : البحر ٣ / ٣٨٠

(٣) المزهري ٢ / ٢٧٧ (عن اليزيدي) ، وانظر : تهذيب اللغة ١٠ / ٥٢٩ ، واللسان (شجر ٦ / ٦٢) واكتشبا بالعزو إلى الحجازيين .

(٤) المزهري ٢ / ٢٧٧ (عن اليزيدي) .

(٥) اللغات ٥ / ٦٨ ، وانظر بشأن كلمة « النخل » : اللسان ١٤ / ١٧٥ ، والتاج ٨ / ١٣٠ ، وبشأن كلمة « بسر » المزهري ٢ / ٢٧٧ (عن اليزيدي) .

« ورأيت بعض بني تميم يقول - وسقط ابن له في البئر - والله ما أخطأ الركي ، فوحد بطرح الهاء . فإذا فعلوا ذلك ذهبوا به إلى التذكير كأنه اسم للجمع وهو موحد »^(١) .

خروج عن الاجماع :

إذا كانت القاعدة العامة والأمثلة المفردة قررت أن اللغة التمييزية عامات هذا الصنف ن الكلمات على أنه مذكر في حين إن الحجازية نظرت إليه على أنه مؤنث ، فإننا نجد - رضى الدين الأستراباذى (ت ٦٨٦ هـ) يخالف ذلك ويقرر أن « الجنس المميز واحده بتاء يذكره الحجازيون ويؤنثه غيرهم »^(٢) فإن هذا لا يعدو أن يكون من أخطاء النساخ كما يقول « رابين »^(٣) وذلك لمخالفته لما أجمع عليه اللغويون سواء أكان ذلك أحكاما عامة أم تعقيباً على ألفاظ مفردة .

موقف تميم إذن منطقي في تذكيره هذه الألفاظ ، لأنها خالية من علامة التأنيث وهو يتفق ومقررناه عند الحديث عن المؤنث الحقيقي من مطابقة بين اللفظ والمعنى عندهم .

ويعلل المبرد هذا الخلاف - وإن لم ينسبه إلى الناطقين به - بأن اسم الجمع كجمع التكسير يذكر على معنى الجمع ويؤنث على معنى الجماعة^(٤) . وإني لا أميل إلى ما قرره الدكتور « رابين »^(٥) - وهو ما مال إليه أيضاً الدكتور أحمد علم الدين الجندى^(٦) - من أن التأنيث هو الأصل وأن اللغة الحجازية ظلت ثابتة لم يلحقها التطور .

موقف القراءات القرآنية من النهج التيممي :

لو فتشنا في كتاب الله عن هذا النوع لوجدنا كلمات كثيرة ، لكننا سنكتفي منها بالكلمات التي نص اللغويون على نسبة تذكيرها إلى تميم ، ونضرب صفحا عن سواها ، مثل : نحل وثل وجراد وسحاب ، وهذه الكلمات هي :

(١) المذكر والمؤنث للفراء ١٠٢ ، وعنه الأنباري ١ / ٥٨٥

(٢) شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ٢ / ١٦٢

(٣) Rabin, Ancient West - Arabian, p. 167.

(٤) المذكر والمؤنث للمبرد ٨٦ ، ٨٧ ، والمقتضب ٣ / ٣٤٦

(٥) Rabin, Ancient West - Arabian, p. 167.

(٦) اللهجات العربية في التراث ٥٠٤ ، ٥٠٥

١ - ذهب :

وردت هذه الكلمة ثمانى مرات^(١) ، نص الأزهري على أنها مؤنثة في قوله تعالى :
 (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها)^(٢) . قال : « ويقولون هي الذهب لأن
 القطعة منه ذهبية ، وبلغتهم نزل (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها) فأنث^(٣) .
 لكن الملاحظ أن وضع الكلمة في الآية الكريمة لا يحدد تأنيثها أو تذكيرها ، لأن الضمير
 يعود على الذهب والفضة جميعا . ومما يؤيد ذلك أننا نجد الأزهري نفسه في موضع آخر
 من التهذيب يعقب على الضمير في الآية الكريمة - بعد إيراد نصه لليث مضمونه أن أهل
 الحجاز يؤنثون الذهب وسائر العرب يذكرونه مستشهدا على ذلك بالآية الكريمة -^(٤) بقوله
 « وأما قوله جل وعز : (ولا ينفقونها) ولم يقل ينفقونه ، ففيه أقاويل للنحويين : أحدها
 أن المعنى يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقون الكنوز في سبيل الله ، وقيل جائز أن يكون
 محمولا على الأموال فيكون ولا ينفقون الأموال ، ويجوز أن يكون ولا ينفقون الفضة
 وحذف الذهب كأنه قال : والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه والفضة ولا ينفقونها
 فاختصر الكلام »^(٥) .

٢ - بقر :

وردت الكلمة في ثلاث آيات^(٦) لم يحدد السياق جنس الكلمة إلا في آية واحدة
 هي قوله تعالى : (إن البقر تشابه علينا)^(٧) وواضح أن القرآن جاء بلفظ البقر مذكرا
 على النهج التميمي ، وإلا لقال « تشابهت » . كما قرئ باللغة التميمية في بعض القراءات
 الشاذة ، فقرأ الحسن « تشابه »^(٨) ، وقرأ المطوعي « يَشَابَه » والأصل « يتشابه »^(٩) .

(١) آل عمران ٣ / ١٤ ، ١٩ ، والتوبة ٩ / ٣٤ ، والكهف ١٨ / ٣١ ، والحج ٢٢ / ٢٣ وفاطر ٣٥ / ٢٣ والزخرف
 ٤٣ / ٥٣ ، ٧١

(٢) التوبة ٩ / ٣٤

(٣) تهذيب اللغة ١٠ / ٥٢٩ ، وانظر النص في : اللسان (شجر) ٦ / ٦٢

(٤) نص الليث - والمراد صاحب العين - في تهذيب اللغة ٦ / ٢٦٣

(٥) المرجع السابق .

(٦) البقرة ٢ / ٧٠ ، والأنعام ٦ / ١٤٤ ، ١٤٦

(٧) البقرة ٢ / ٧٠

(٨) مختصر في شواذ القرآن ٧ ، والقراءات الشاذة للقاضي ٢٦

(٩) القراءات الشاذة ٢٦

٣ - النخل :

ورد اللفظ في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة وقد تَأرجحت ما بين التميمية والحجازية
فخمسة منها لم يحدد السياق اللغة التي تنتمي إليها^(١)، وخمسة جاءت مؤنثة على النمط
الحجازي^(٢) وواحدة وردت على النهج التميمي ، وهي قوله تعالى : (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مَنْقَعَرٍ)^(٣) .

موقف اللغات السامية :

وإذا ما اتجهنا إلى اللغات السامية لنعرف موقفها من هذا الصنف من الكلمات نجد
«السوق» مذكرا في عبرية المشنا *ṣūḳ* وفي الآرامية ، وكذلك «البسر»
مذكرا في العبرية *bāsēr* والسريانية *besrā* وهو في الأخيرة
بمعنى الحصرم (أول العنب) . أما «الطريق» فاستعمل في العبرية *derek*
مذكرا ومؤنثا^(٤) وفي السريانية مؤنثا^(٥) (أورحاً ؛ *urhā*) وكذلك
البقر^(٦) *bakrā* (بقر) وأما «تمر» فهو مؤنث في عبرية
المشنا *tāmār* = *ṭāmār*^(٧) .

فاللغات السامية اختلفت في معاملتها لهذه الكلمات فبعض الكلمات عوملت كالتميمية
وبعضها كالحجازية ومنها ما جمع بين اللغتين .
النهج التميمي في الوقت الراهن :

المستعمل من الكلمات الدالة على الجنس المميز واحده بالتاء ما يزال يستعمل وفق النهج
التميمي في حائل وفي نجد فيذكرون الذهب والشجر والنخل والتمر والبر^(٨) . ومن الأمثال
العامية النجدية التي تعد أصدق شاهد على استمرار النهج التميمي عبر التاريخ قولهم :
« لَو التَّمر عِنْد البَدُو ما باعوه »^(٩) و « الشعير الماكول المذموم »^(١٠) .

(١) الأنعام ٦ / ١٤١ ، والكهف ١٨ / ٣٢ ، وطه ٢٠ / ٧١ ، والرحمن ٥٥ / ٦٨ ، وعيس ٨٠ / ٢٩

(٢) الأنعام ٦ / ٩٩ ، والشعراء ٢٦ / ١٤٨ ، وق ٥٠ / ١٠ ، والرحمن ٥٥ / ١١ ، والحاقة ٦٩ / ٧

(٣) القمر ٥٤ / ٢٠ (٤) Rabin, Ancient West-Arabian p. 167.

(٥) الإتقان في صرف لغة السريان ٧٢ ، ٧٣ Rabin, Ancient ... p. 167. (٦)

(٧) عن : محمد العريفي من حائل ، وحمودي مبارك كاتب العدل بمحكمة رحيمة .

(٨) الأمثال العامية في نجد ١ / ٢٦٣ (٩) المرجع السابق ١٣٥

تعقيب :

عالجنا الجنس عند تميم من زوايا ثلاث :

١ - الحقيقي .

٢ - المجازي ، وكان عندهم أنواعا ثلاثة :

(أ) ماورد بصيغتين إحداهما مذكرة والأخرى مؤنثة .

(ب) ما ورد بصيغة واحدة مؤنثة .

(ج) ما ورد بصيغة واحدة مذكرة .

٣ - الجنس المميز واحده بالتاء ويندرج تحته جنس حقيقي ومجازي .

وقد رأينا أن التسمية يطابق فيها جميعا بين اللفظ ونوع الجنس . ونستطيع في ضوء هذا أنه إذا ورد لنا لفظ مذكرة كان أو مؤنثا وعملا معاملتين أن نعزو صيغة التطابق إلى تميم . ولعل مما يعضد قولنا هذا فضلا عما استخلصناه من أقوال اللغويين عن التذكير والتأنيث عندهم ، أن من الألفاظ المذكرة التي قيل بتذكيرها وتأنيثها دون نسبة إلى قوم معينين أنها وردت في شعر تميمي مذكرة من ذلك :

١ - السراويل وروت مذكرة في قول الفرزدق في كريد بن الفزr وكان الجبل

مشله في العظم :

رَأَيْتُ كُرَيْدًا خَلَقَهُ مِثْلُ خُلُقِهِ
إِذَا قَسَتْهُ فَالزائد الوصف ناقص
سراويله ثلاثا عشير مقدر
وسرباله أضعافه وهو قالص

وورد اللفظ مؤنثا على لسان قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري - وهو حجازي -

في قوله :

أَرَدْتُ لِكَيْمًا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا سَرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالْوَفُودُ شُهُودُ^(٢)

(١) (عشير : ثوب من عشرة أذرع) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري / ٤١٣ ، والبيتان ليسا بالديوان والثاني منسوب إليه في المخصص ١٧ / ١٥ .

(٢) المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ١ / ١٢ ، ٤١٣ .

٢ - الدلو^(١) : وقد ورد مذكرا في قول رؤبة :

* يعدو بدلو مكرَّب العراق *^(٢)

في تصغير الجنس ومميزه :

كان العربي يراعى في تصغير الجنس وفي مميزه من الأعداد من حيث تذكيره وتأنيثه . وهذا أمر واضح في الجنس الحقيقي ، لكنه لا يتضح في الجنس المجازي ذى الصيغة الواحدة للتذكير والتأنيث ، وهو مالا حظناه في المذكر اللفظي والذي يندرج تحت نوعين من الكلمات ، هما :

١ - كل اسم جنس ميزوا واحده بالتاء .

٢ - طائفة من الكلمات ، مثل : طريق ، وعنق .

وقد تبين لنا أن تما ذكرت هذه الألفاظ وأنثها الحجازيون . ووفقا لهذا فسنعرض لموقف تيم من تصغير هذين النوعين ومميزهما .

(١) تصغير المذكر اللفظي :

القاعدة العامة التي استنتجها الصرفيون لهذا الصنف من الأسماء بنوعيه هي أن كل اسم ثلاثي معنوي التأنيث تضاف إليه التاء عند تصغيره باستثناء الجنس المميز واحده بالتاء مثل بقر ، خشية الالتباس بين تصغيره وتصغير مفردة^(٣) .

وقد نص اللغويون على ذلك أحيانا بالنسبة للفظ معين وهم يعرضون له ، من ذلك :

١ - قال القراء : « والعنق مؤنثة في قول أهل الحجاز يقولون : ثلاث أعناق ويصغرونها على عُنَيْقَة ، وغيرهم يقول : هذا عُنُق طويل ، ويصغره فيقول : هذا عُنَيْق »^(٤) .

(١) المرجع السابق ٤٤٢

(٢) المرجع السابق ٤٤٣ ، واللسان (دلا) ١٨ / ٢٩٠ وفيه « تمشى » بدل « يعدو » ورواية الديوان : ١١٦ « رجب الفرغ مكرَّب العراق » . العراقي : جمع عرقوة ، بنح العين : خشبه معرضة على الدلو . الكرب ، محركة . حبل يشد على عراقى الدلو والمراد : بدلو شدت خشباته بحبال .

(٣) شرح ابن عقيل ٢ / ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، وشرح الأشموني ٤ / ١٧٠ ، ١٧١ ، وشذا المرف ١٢٣ ، ونخصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة ٤٤ (ولم بقصر المفضل الاسم على الثلاث وإن كانت الأمثلة التي ضربها ثلاثية فقط) .

(٤) المذكر والمؤنث للقراء ٧٣

٢ - وقال الجوهري : « القوس يذكر ويؤنث ، فن أنث قال في تصغيرها قويسة ، ومن ذكر قال قويس ^(١) » .

نخلص مما سبق أن بنى تميم يختارون عن الحجازيين في تصغير كل مذكر لفظي فلم تضاف إليه تميم تاء في آخره لأنها تعدّه مذكرا . وأضاف إليه الحجازيون تاء لأنه مؤنث عندهم ، وذلك عدا أسماء الجنس المميز واحداها بالتاء ، وبعض أمثلة أخرى من هذا النوع ، مثل فرس ، ودرع (للمصنوع من الحديد) . ونعل فقد عوملت عندهم (أى الحجازيين) كما تعامل عند التميميين فلم تضاف إليها التاء ^(٢) . وهذه المعاملة في رأي تال على أن هذه الكلمات كانت تعامل في الأصل عند الجميع على أنها مذكرة ، ثم أنثت في مرحلة متأخرة عند الحجازيين ، وأن تصغيرها كان في المرحلة السابقة لتطورها إلى التأنيث فأنث اللفظ وبقي تصغيره مذكرا ، وهو من الأدلة على قدم النهج التميمي في معاملة المذكر اللفظي بين تذكيره وتأنيثه عن النهج الحجازي .

(ب) تمييز المذكر اللفظي :

وإذا كانت القاعدة في تمييز العدد من ثلاثة إلى تسعة - سواء أكان مفردا ، أم مركبا أم معطوفا عليه - أن يخالف العدد المحدود ، وبالنسبة اعشرة يخالف العدد مفردا ويوافقه مركبا ^(٣) ، ولا تكون إلا مع الأعداد المفردة (٣ - ١٠) لأنها تعد جمعا ، وفي حالة اسم الجنس يسبق الاسم بـ « من » ^(٤) ، فمعنى ذلك أن التميمي خالف الحجازي فأنث العدد ؛ لأن هذه الألفاظ عنده مذكرة ، في حين إن الحجازي ذكرها ؛ لأنها عنده مؤنثة ، فالتميمي كان يقول مثلا : ثلاثة أعناق وثلاثة من البقر ، والحجازي كان يقول : ثلاث أعناق ^(٥) ، وثلاث من البقر .

(١) الصحاح (قوس) ٩٦٧/٣ ، ٩٦٧/٣

(٢) انظر : شرح الأشتوني ١٧١ / ٤

(٣) شرح ابن عقيل ٢ / ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، وانظر : اللع ٢٤٤ ، ٢٤٣

(٤) شرح الأشتوني ٤ / ٦٥

(٥) ذكر الفراء هذا المثال ، فقال : « المتق مؤنثة في قول أهل الحجاز ، يقولون : ثلاث أعناق » (المذكر

والمؤنث ٧٣) .

الباب الرابع
المستوى النحوى

تقديم

يتناول هذا الباب السمات النحوية عند تميم ، وهو في تناولها يترك جانبا تأويلات النحاة ؛ لأن الذى يعيننا هو الاتجاه العام لبنى تميم ومدى اختلافهم مع غيرهم ، ولا تهمنا تلك التسميات الاصطلاحية . فإذا كانت تميم تميل إلى النصب مثلا فيستوى لدينا أن يطلق النحاة العرب على هذا المنصوب مفعولا مطلقا أو مصدرا أو غير ذلك ؛ لأن الذى يعيننا هو أن نوضح سبب اتجاههم هذا ، إذ إن بحثنا ليس نحويا بحثا ، وإنما يعالج القضايا النحوية من وجهة نظر علم اللغة

ذلك إلى أن التأويلات والعلل كثيرة تختلف من عالم إلى آخر وتحتاج وحدها إلى دراسة مستقلة ، وهى لاتعدو أن تكون اجتهادا خاصا ، منها الصائب ومنها غير الصائب^(١) .

ويشتمل هذا الباب على تسعة موضوعات رئيسية ، هى :

- ١ - بين الفعلية واسمية الفعل .
- ٢ - بين التصحيح والتكسير .
- ٣ - بين الإعراب والتأويل .
- ٤ - بين الصرف ومنعه .
- ٥ - بين الإعراب والحكاية .
- ٦ - ظاهرة الرفع .
- ٧ - ظاهرة النصب .
- ٨ - ظاهرة الإتياع .
- ٩ - الحذف .

(١) انظر : تراثنا اللغوى فى حاجة إلى التهذيب والتنقيح للدكتور ومضان عبد النواب (من بحوث الندوة الأولى عن التراث العربى) ١٤

أولا : بين الفعلية واسمية الفعل

هَلُمَّ

بين الفعلية واسمية الفعل

أسماء الأفعال هي ألفاظ تدل على معاني الأفعال وتعمل عملها ، ولكن لا تقبل علاماتها ولا تتصرف تصرفها^(١) . فإذا كانت مثلا بمعنى الأمر أخذت صورة واحدة عند الخطاب من حيث النوع والعدد ، فيقال مثلا ؛ : مه يا زيد (أى اكفف) ومه يازينبات ، وذلك بخلاف فعل الأمر فإن الضمائر تلحقه بحسب المسند إليه ، فيقال مثلا : اكتب ، واكتبى . . . الخ . ولكننا وجدنا قبيلة تميم تخالف القاعدة العامة في أحد أسماء الأفعال وهو « هَلُمَّ » بمعنى أَقْبِلْ وأحضِرْ . ولبيان نهجهم نبدأ بعرض مادونه لنا سيبويه ، فقد جاء في الكتاب :

« هذا باب مالاتجوز فيه نون خفيفة ولاثقيلة ، وذلك الحروف التي للأمر والنهي وليست بفعل . وذلك نحو : إيه وصه وه وه وأشباهها . وهَلُمَّ في لغة أهل الحجاز كذلك . ألا تراهم جمعوا الواحد والاثنين والجميع واندكروا الأنثى سواء . وزعم^(٢) أنها لَمْ ألحققتها هاء للتنبيه في اللغتين ، وقد تدخل الخفيفة والثقيلة في هلم في لغة بني تميم ؛ لأنها عندهم بمنزلة رُدَّ وردًا ورُدِّي وارْدُدَنَّ ، كما تقول : هَلُمَّ ، وهَلُمَّا وهَلُمِّي وهَلُمُّنَ ، والهاء فضل ، إنما هي « ها » التي للتنبيه ، ولكنهم حذفوا الألف لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم^(٣) .

فسيبويه يقرر أن للعرب في « هلم » لغتين :

الأولى : إلزامها طريقة واحدة كبقية أسماء الأفعال ، فلا يلحق بها ضمير المخاطب المسندة إليه ، فيقال مثلا : هلم يا زيد ، وهلم ياهندات . . . الخ .

الثانية : معاملتها معاملة فعل الأمر ، وذلك بإلحاق الضمائر البارزة بها حسب المسند إليه ، فيقال مثلا : هلم يا زيد ، وهَلُمُّنَ ياهندات ، وكذلك إلحاق نون التوكيد بها خفيفة كانت أو ثقيلة فيقال : هَلُمَّنْ يارجل وللمرأة هَلُمَّنْ ، وللتثنية هَلُمَّانِ ، . . . الخ

(١) انظر تعريف « أسماء الأفعال » في تهذيب الفوائد ٢١٠ ، وشرح الأشموني ٣ / ١٩٤ .

(٢) أى « الخليل » .

(٣) الكتاب ٣ / ٥٢٩ وانظر شرح الأشموني ٣ / ٢٠٦ واللسان (هلم) ١٦ / ١٠١ فقد نقلا عن سيبويه .

وقد نسبت اللغة الأولى إلى الحجاز والثانية إلى تميم . ومن حدد هذه النسبة غير سيبويه المبرد^(١) والزمخشري^(٢) وابن يعيش^(٣) ، وابن هشام^(٤) .

ورأينا من العلماء من يوسع دائرة اللغة التميمية كآبي جعفر النحاس الذي ينسبها إلى غير الحجازيين ، والجوهري والفيومي اللذين نسبها إلى نجد بصفة عامة^(٥) ، كما رأينا منهم من يضيق هذه الدائرة ، فصاحب العين نسبها إلى فرع من بني تميم هو بنو سعد^(٦) .

ولانجد تعارضا بين هذه الروايات فتميم كانت تقيم بنجد بل كانت تعد أكبر القبائل التي كانت تحل به وكثيرا ما كان يذكر «نجد» ويعنى به «تميم» وكذلك العكس ، وقدوضحنا ذلك في الباب الأول . وقد تكون هذه الظاهرة نطقت بها بعض القبائل المجاورة لـ تميم . وما أورده الخليل يرجع إلى أنه هو أو من روى عنه سمعها من سعدى أو سعديين فقط دون بقية البطون التميمية .

أما مانسب إلى أبي زيد من أنه قال : «استعمالها بلفظ واحد للجميع من لغة عَقِيل ، وعليه قيس بعد ، وإلحاق الضمائر من لغة بني تميم وعليه أكثر العرب»^(٨) فإننا لانميل إلى الاعتقاد بأن أكثر العرب على لغة تميم . بل لانميل إلى أنها كانت عامة في نجد ، وذلك لأن «هَلُمَّ» وردت في القرآن الكريم مرتين : الأولى قوله تعالى : (قل هلم شهداءكم)^(٩) ، والأخرى قوله سبحانه : (والقائلين لإخوانهم هلم إلينا)^(١٠) .

-
- | | |
|--|------------------------------------|
| (١) المقتضب ٣ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ | (٢) المفصل (ضمن شرح المفصل) ٤ / ٤١ |
| (٣) المرجع السابق ٤ / ٤٢ | (٤) شرح قطر الندى ١ / ١٥ |
| (٥) إعراب القرآن ١٧٤ / ب | |
| (٦) الصحاح (هلم) ٥ / ٢٠٦٠ والمصباح المنير (هلم) ٦٤٠ | |
| (٧) العين (هلم) ٤ / ٥٦ ، والتهذيب (هلم) ٦ / ٣١٦ والذي يعزو كل ما ينقله عن العين لليث ، واللسان (هلم) ١٦ / ١٠٢ ، والتاج (هلم) ٩ / ١٠٨ | |
| (٨) المصباح (هلم) ٦٤٠ | (٩) الأنعام ٦ / ١٥٠ |
| (١٠) الأحزاب ١٨/٣٢ | |

وفي كلتا الآيتين لم يقرأ - فيما نعلم - باللغة التميمية حتى في القراءات الشاذة .

تفسير الظاهرة :

أما سبب معاملة تميم لـ « هلم » معاملة فعل الأمر ، فيرجع في رأيي إلى أن الكلمة منحوتة من كلمتين ، الأخيرة منهما فعل . وهاتان الكلمتان هما في رأي الخليل « ها » و « لُهم »^(١) بمعنى ضم^(٢) وقد تبعه في ذلك البصريون^(٣) . وفي رأي الفراء « هل وأم »^(٤) أى أقصد .

وعلى أى الرأيين فإن الكلمة الثانية « لُهم أو أم » التي يرى كل منهما أنها جزء في تركيب الكلمة يجمعهما معنى كل واحد هو جمع الشمل ، وأنهما فعلا . فالكلمة إذن كانت تعامل بادئ ذي بدء على هذا الأساس ، ثم تطورت وأخذت صورة واحدة وذلك لكثرة استعمالها ، وهذا ما نلاحظه عند الحجازيين . لكنها ظلت محافظة على نمطها القديم عند بنى تميم .

ومما يرجح مذهبنا إليه من فعلية التميمية أنه قد وردت لها صيغة المضارع فقد حكى الأصمعي أن الرجل يقال له : « هلم » فيقول : لا أهلم^(٥) ، والمعروف أن أسماء الأفعال لا تتصرف كما ذكرنا^(٦) . لذا نجد كثيرا من النحويين يعدونها فعلا في حين إنهم يعدون الحجازية اسم فعل ، مثل ابن هشام^(٧) والأشموني^(٨) وأبي حيان^(٩) والسيوطي^(١٠) . أما ابن يعيش فيعتقد أن التميمية « اسم فعل » ويستدل على ذلك بأن التميميين يختلفون في آخر الأمر المضاعف ، فمنهم من يتبع حركته حركة الفاء فيقول رُدُّ وفِرُّ ، ومنهم من يفتح مطلقا ، ومنهم من يكسر دائما^(١١) ، أما ميم « هلم » فهي مفتوحة دائما ، لكن يُرَدُّ على ذلك :

١ - بأن الحالة هنا تختلف ، إذ إن الفعل هناك ثلاثى أما هنا فهو رباعى .

٢ - وبما حكاه الجرمي في « هلم » من فتح وكسر عن بعض بنى تميم^(١٢) .

- | | |
|--|----------------------------|
| (١) الكتاب ٣ / ٥٢٩ ، والمصباح (هلم) ٦٤٠ | (٢) المصباح (هلم) ٦٤٠ |
| (٣) انظر : البحر ٤ / ٢٣٥ وحاشية الصبان ٣ / ٢٠٦ | (٤) المرجعان السابقان . |
| (٥) شرح المفصل ٤ / ٤١ | (٦) تسهيل الفوائد ٢١٠ |
| (٧) شرح قطر الندى ١ / ١٥ | (٨) شرح الأشموني ٣ / ٢٠٦ |
| (٩) البحر ٤ / ٢٣٥ | (١٠) همع المواعع ٨٣ / ٢ |
| (١١) شرح المفصل ٤ / ٤٢ | (١٢) شرح التصريح ٥٠١ / ٢ |

ثانيا : بين التصحيح والتفسير باب سنين

يتناول باب سنين جمع كل كلمة ثلاثية حذفت لامها وعوض عنها بهاء التأنيث وذلك نحو : عِصَّة (الجزء من الشيء) وعِزَّة (الجماعة من الناس) . وإِرَّة (موضع النار) ، وثُبَّة (الجماعة) ، وقُلَّة (عودان يلعب بهما الصبيان)^(١) . وكان للعرب في جمع هذا الصنف من الكلام عدة مناهج :

الأول : وهو إلحاقها بجمع المذكر السالم^(٢) ، أي بالواو والنون رفعا وبالياء والنون نصبا وجرا ، وهذا هو نهج الحجازيين وعليها قيس^(٣) ، فكانوا يقولون في جمع عِصَّة «عِصَّون» في الرفع و «عِصِّين» في النصب والجر .

الثاني : وكان يلزمه الياء والنون في جميع الحالات ويجعل الإعراب على النون - وهو الذي يعنينا هنا - إذ يقول الفراء عن هذا الصنف من الكلمات «وهي كثيرة في أسد وتميم وعامر»^(٤) ، وينقل صاحب التصريح عنه أن «النون» منونة غالبا على لغة بني عامر وغير منونة على لغة بني تميم^(٥) .

وهناك تساؤل وجهه عبد الله بن عبد الرحمن الدنوشري (ت ١٠٢٥ هـ) على النهج التميمي ، وهو قوله «وإذا لم تنون النون على لغة بني تميم ، فهل يعرب بالحركات الثلاث على النون أو يعرب عليها إعراب مالا ينصرف ؟»^(٥) . وعلق يس (ت ١٠٦١ هـ) على ذلك بقوله «ثم رأيت بعض شراح التسهيل قال : وظاهر كلامه - أي صاحب التسهيل ، وهو ابن مالك - أن من لم ينونه يجره بالكسرة . وظاهر كلام الفراء أنه يمنع من الصرف فيجره بالفتحة»^(٦) .

(٢) مع الهوامع ١ / ٤٧

(١) شرح الأشموني ١ / ٨٤ ، ٨٥

(٣) معاني القرآن ٢ / ٩٢ وإعراب القرآن للنحاس ١١١ / ب

(٥) حاشية يس ١ / ٩

(٤) شرح التصريح ١ / ٩

(٦) المرجع السابق

وشارح التسهيل هذا هو حسن بن قاسم بن عبد الله المرادى المعروف بابن أم قاسم (ت ٧٤٩ هـ) ، كما ذكره الصبان ناسبا هذا النص له ^(١) .

وإني لا أوافق المرادى فيما ذهب إليه من أن ظاهر كلام الفراء أن من لم ينونه - وهم بنو تميم - يمنعونه من الصرف فيجرونه بالفتحة ، لأننا إذا رجعنا إلى «معاني القرآن» للفراء لانجد كلامه يحتمل ذلك ، يقول «رفعها عِضُون ونصبها وخفضها عِضِينَ . ومن العرب من يجعلها بالياء على كل حال ويعرب نونها ، فيقول : عِضِينُكَ ، ومررت بعِضِينِكَ وسنينِكَ وهي كثيرة في أسد وتمر وعامر» ^(٢) ثم استشهد عقب ذلك بأبيات من الشعر .

كلام الفراء إذن ليس فيه ما يدل على أن بنو تميم كانوا يعربون هذه الأسماء إعراب الممنوع من الصرف بأن يجروها بالفتحة ، بل ليس فيه ما يفرق بين النهج التميمي والنهج العامري بأن الأول كان لا ينون والثاني كان ينون والشواهد الشعرية التي ذكرها - وسنورد بعضها - لا نستطيع من خلالها أن نكشف على أن التميميين كانوا ينونون أو لا ينونون لأن الكلمات التي وردت بها مضافة .

كلمات هذا الباب بين جمعها جمع تكسير والحاقها بالذكر السالم :

الكلمات التي تدخل في نطاق بحثنا هذا لا تنطبق عليها شروط جمع المذكر السالم ^(٣) في حين إنه تنطبق عليها طرق جمع التكسير ^(٤) ، فقد زيد عند تميم على مفرد الكلمة (سَنَوٌ) حرف النون وتغيرت حركاته وقلب حرف العلة الواو ياء في الكلمات التي تشتمل على هذا الصوت ، وذلك مثل : عِزَّةٌ وَقُلَّةٌ ، إذ إن أصلهما عَزُوٌ وَقُلْدُوٌ ^(٥) . أما الكلمات الياثية اللام فبقيت كما هي وذلك مثل إرين .

وإن مما يعزز جمع هذه الكلمات جمع تكسير عدم حذف النون عند إضافتها فالفراء كما رأينا نسب إلى تميم ومعهم أسد وعامر قولهم : عِضِينُكَ ^(٦) ومثل قول الرسول - صلى

(١) حاشية الصبان ١ / ٨٦ (٢) معاني القرآن ٢ / ٩٢

(٣) شرح التسهيل ١ / ٩٢ ، وشروط جمع الاسم جمعا مذكرا سالما أن يكون أحد نوعين من الأسماء :

الأول : العلم ، ويشترط أن يكون لمذكر عاقل خاليا من تاء التأنيث ، ومن التركيب ، ومن علامتي التثنية والجمع .
الثاني : الصفة ، وتكون لمذكر عاقل خالية من تاء التأنيث وليست على وزن أفعل الذي مؤنثه فعلاء ولا على وزن فعلان الذي مؤنثه فعلى ، ولا على وزن صيغة تستعمل للمذكر والمؤنث (انظر : شرح الأشموني ١ / ٨٠ ، ٨١) .

(٤) طرق جمع التكسير أن تتغير صيغة الجمع عن المفرد ، إما في عدد حروفه فقط ، وإما في عدد حركاته فقط ، وإما فيهما معا (النحو الوافي ١ / ٩٦ - الحاشية ٢) .

(٥) شرح الأشموني ١ / ٨٥ (وقيل : إن سته أصلها سنه أو سنو - شرح الأشموني ١ / ٨٤) .

(٦) معاني القرآن ٢ / ٩٢

الله عليه وسلم - في إحدى روايتين «اللهم اجعلها عليهم سنيينا كسنيين يوسف»^(١) ومثل قول الصمة بن عبد الله القشيري :

ذَرَانِي مَنْ نَجَّدَ فَإِنْ سَنِينَهُ لَعِبْنُ بِنَا شَيْبَا وَشَيْبَانَا مُرْدَا^(٢)

والشاعر نجدى من قشير من قيس^(٣) . إلى غير ذلك من الشواهد^(٤) .

أما على أى وزن من أوزان جمع التكسير وردت هذه الكلمات في صيغتها التميمية ؟ أجاب عن ذلك بعض النحاة فقالوا :

١ - إنها جاءت على فَعِيل مثل عَبِيد و كَلِيب جمع عَبْد و كَلْب إلا أن الفاء كسرت وصارت فَعِيل لكسرة عين الكلمة^(٥) ، وهذا تماثل كلي تخلفي منفصل . ويذكر الجوهري بِشْمَان « سنيين » و « مَشِين » ، « أن صاحب هذا القول يجعل النون في آخره بدلا من الواو . وفي المئة بدلا من الياء »^(٦) .

٢ - أو إنها - كما قال الأخفش - جمعت جمعا شاذا . وقد يجيء في الجموع مالا نظير له^(٧) .

٣ - ويفهم من تعقيب الفراء على النهج التميمي أن هذا الصنف من الكلمات « نقصت لامه فلما جمعه بالنون توهموا أنه فُعُول إذ جاءت الواو وهي واو جِماع فوقعت في موقع الناقص فتوهموا أنها الواو الأصلية وأن الحرف على فُعُول »^(٨) .

يفهم من قوله هذا أن التميميين حولوا بعد ذلك فُعُولا إلى فَعِيل^(٩)

والذى أميل إليه أن تميزا اختارت الجمع بالياء والنون لحالات الإعراب الثلاث دون الواو الخاصة بحالة الرفع في لغة الحجازيين وفق قانون سيادة حالة إعرابية^(١٠) على بقية الحالات في التطور اللغوي على نحو ما سنلاحظه عند بعض التميميين - وكذلك بعض القبائل الأخرى من لزومهم الألف والنون في إعراب بعض الأسماء الستة ، ثم توهموا أنها جمعت جمع تكسير فأعربوها بالحركات الثلاث .

(١) شرح الأثثوني ١ / ٨٧

(٢) معاني القرآن ٢ / ٩٢ ، بدون نسبة وعزاه العيني لقائله (شرح شواهد الأثثوني ١ / ٨٦) .

(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٨٩ (٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٩٢ (٥) الصحاح (سنه) ٢٢٣٦ / ٦ (٦) معاني القرآن ٢ / ٩٣ (٧) المرجعان السابقان . (٨) معاني القرآن ٢ / ٩٣ (٩) وهذا ما نقله النحاس عن الفراء ، إذ يقول : « والعلة عنده (أى الفراء) فيه أن الواو لما وقعت موقع حرف ناقص توهموا أنها واو فُعُول فأعربوا ما بعدها وقلبوها ياء » (إعراب القرآن ١ / ١١١) .

(١٠) من أمثلة هذه السيادة : إعراب بعض الأسماء الستة في الحالات الثلاث عند بطنين من تميم - على ما سنعرضه - ولزوم جمع المذكر السالم في طجاتنا المعاصرة الياء والنون ، ولزوم حذف النون في الأفعال الخمسة في اللهجة المصرية المعاصرة (المصطلح وتعريفه عن الدكتور رمضان عبد التواب - من حديث شخصي معه) .

ثالثا : بين الاعراب والبناء

كان لتسيم نهج خاص في إعراب طائفة من الكلمات يختلف عن نهج غيرها من العرب . وقبل مناقشة ذلك نحب أن نبدأ بالتمهيد التالي :

تمهيد :

إن ظاهرة الإعراب أقدم من البناء ، بل إن بروكلمان ليظن أن السامية الأولى كانت تعرف الإعراب وتفرق بين الحالات الثلاث : الرفع والنصب والجر^(١) ويقول برجشتراسر : « الإعراب سامي الأصل تشترك فيه اللغة الأكديّة وفي بعضه الحبشية ، ونجدا آثار منه في غيرها أيضاً^(٢) » . وذهب نولدكه إلى أن النبطية عرفت الحركات الثلاث : الضمة (u) في حالة الرفع ، والفتحة (a) في حالة النصب ، والكسرة (i) في حالة الجر . غير أنهم لم يكونوا يلحقون هذه الحركات بالنون^(٣) .

ولوحظ على النقوش الأجرينية التي اكتشفت سنة ١٩٢٩ في شمال اللاذقية والتي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد أن للهمزة صورا ثلاثا : إحداهما خاصة بالهمزة المضمومة ، والثانية بالفتوحة ، والثالثة بالمكسورة ، ووجد العلماء في الكلمات المنتهية بهمزة ما يدل على وجود الإعراب بالحركات الثلاث الموجودة في العربية^(٤) .

وفقدان الإعراب وتطوره إلى بناء قد تم بمقتضى قانون من قوانين التطور الصوتي ، وهو « ضعف الأصوات الأخيرة في الكلمة وانقراضها ، وهو قانون عام قد خضعت له جميع اللغات الإنسانية »^(٥) وهو ما يطلق عليه .

“ Assourdissement de consonnes sonores finales ”

وفيما يلي الكلمات التي خالفت فيها تميم غيرها إعرابا أو بناء :

(١) فقه اللغات السامية ١٠٠ (الفقرة ١٧٠) ، وإلى هذا ذهب أيضا الدكتور خليل نامي (انظر : دراسات في اللغة العربية ١٨)

(٢) التطور النحوي ١١٦

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٧ / ٢٩٥ وفقه اللغة المقارن للسامرائي ١١٨ عن Th. Nöldke Die Semitischen Sprachen, Leipzig 1899 S.51 F

(٤) دراسات في اللغة العربية ٢١

(٥) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ٣٠٥

١ - أمس :

كان للعرب في « أمس »^(١) ستة مذاهب :

الأول : أن تعامل معاملة الأسماء المتمكنة ، فتصرف وكان هذا مذهب بعض العرب وإن لم يحددوا ، فكانوا يقولون مثلاً في حالة الرفع ؛ مضى أمس بما فيه^(٢) .

الثاني : رفعها بالضممة مع منعها من الصرف ، وبنائها على الكسر في حالتى النصب والجر . وقد نسب ذلك إلى تميم^(٣) .

الثالث : معاملتها معاملة الممنوع من الصرف^(٤) فترفع بالضممة وتنصب وتجر بالفتحة ، فيقال مثلاً : مضى أمس بما فيه (دون تنوين) وفي النصب : فعلته أمس^(٥) . وكذلك في الجر مثل قول الراجز :

* لقد رأيت عَجَباً مُدَّ أَمَسَا *

* عجائزا مِرْثَل السَّعَالِي خَمَسَا *

وقد نسب هذا المذاهب إلى بعض بنى تميم^(٦) .

الرابع : بنائها على الكسر في جميع الأحوال ، وهو مذهب أهل الحجاز^(٨) .

الخامس بنائها على الفتح في جميع الأحوال^(٩) .

السادس : تنوينها مع بنائها على الكسر في جميع الحالات ، مثل رأيته أمس^(١٠) .

(١) يشترط في أمس هذه : ألا تكون نكرة بأن يراد بها أى يوم من الأيام السابقة بل يراد بها اليوم السابق لليوم الذى نحن فيه ، وألا تضاف ، ولا تقرن بالألف واللام ، ولا تكون مصغرة ولا مجموعة جمع تكسير (أمس ، أو أموس بضم الهمزة ، أو آماس) ، لأنها حينئذ تعرب (شرح الأشتوفى وحاشية الصبان ٣ / ٢٦٨) .

(٢) شرح المفصل ٤ / ١٠٦ (٣) الكتاب ٣ / ٢٨٣

(٤) شرح السيراني على الكتاب (انظر : الكتاب ٣ / ٢٨٤ ، وشرح المفصل ٤ / ١٠٧)

(٥) شرح المفصل ٤ / ١٠٧

(٦) الكتاب ٣ / ٢٨٥

(٧) ترح السيراني على الكتاب (انظر : هامش الكتاب ٣ / ٢٨٤)

(٨) الكتاب ٣ / ٢٨٣

(٩) همع الموامع ١ / ٢٠٩ (عن الزجاج والزجاجي) .

(١٠) همع الموامع ١ / ٢٠٩ (عن الزجاج) ، وتاج العروس (أمس) ٤ / ٩٨

والخلاصة : أن المذهب الرابع نسب إلى الحجاز أما التميميون فقد كانوا فريقين فريق انتهج المذهب الثاني والآخر انتهج الثالث . أما المذاهب الثلاثة الأخرى فلم يحدد أصحابها .

وفي ضوء تقديمنا لهذا الموضوع نرى أن هذه الكلمة تطورت على النحو التالي :

١ - الإعراب الكامل مع التنوين وهذا ما عزاه ابن يعيش لبعض العرب - كما ذكرنا - وكلمة « أمس » المكونة من ثلاثة أحرف تحتمل الإعراب الكامل وهو ما أطلق عليه النحاة « التمكن الأمكن » . لذا لا نعجب إن رأينا ابن يعيش يصف هذا المنهج بأنه « غريب في الاستعمال دون القياس »^(١) .

٢ - حذف التنوين ، وهو المرحلة التي نلاحظها لدى التميميين الذين اختار بعضهم الضم والكسر وبعضهم الآخر الضم والفتح ، فاستغنى كل فريق عن حركة واحدة .

٣ - الاكتفاء بحركة واحدة ، وهذا ما نراه لدى الحجازيين الذين اختاروا الكسر وبعض العرب الذين بنوا الكلمة على الفتح . وقد تم ذلك وفقاً لقانون سيادة حالة إعرابية على بقية الحالات في التطور اللغوي .

ونخلص من كل ما تقدم أن الكلمة في صورتها التميمية تمثل مرحلة وسطى بين مرحلتين هما الإعراب الكامل والبناء .

* * *

٢ - ما جاء على « فَعَالٍ » علماً لمؤنث :

تكلم العرب بوزن « فَعَالٍ » ويقسمه العلماء إلى أربعة أنواع^(٢) .

الأول : اسم للفعل ، مثل : نَزَلَ يا فتى ، أَيْ انزَلَ ؛ وحذَرَ زيدا ، أَيْ اخْذَرَهُ^(٣) .

ومعنى « فَعَالٍ » هنا افْعَلْ^(٤) .

(١) شرح المفصل ٤ / ١٠٧

(٢) هذه الأنواع الأربعة مدولة عن غيرها ، وهناك ضرب خامس غير مشتق ، مثل سحاب وعناق (المقتضب

٣ / ٣٦٨)

(٤) الكتاب ٣ / ٢٨٠ ، والمخصص ١٧ / ٦٣

(٣) الكامل للمبرد ١ / ٢٧٩

الثاني : اسم للوصف المؤنث ، وهذا النوع ينقسم إلى ضربين :
(أ) ما جاء معدولا في النداء من صفة لمؤنث تحل محل الاسم ، كقول العرب :
ياخَبَاثُ ، يريدون يا خبيثة . وهذا الضرب قياسى .
(ب) ما جاء من صفة غالبية في المؤنث في غير النداء تحل محل الاسم ، مثل :
حَلَّاقٍ ، معدولة من حَالِقَةٍ ، وهى صفة غالبية للمنية ، لأنها تحلق كل شيء أى
تهلكه ، وهذا الضرب سماعى^(١) .

الثالث : اسم للمصدر ، وهو المعدول من مصدر مؤنث معرفة كقول العرب : يسارِ ،
يريدون الميسرة . . وهو سماعى^(٢) .

وهذا الذى عده النحاة معدولا ، هو فى الأصل صيغة قديمة من صيغ اسم الفاعل
فى اللغات السامية ، احتفظت بها اللغة الحبشية ، وهى فيها على وزن فعَالِي (بكسر
اللام كسرة طويلة) ومن أمثلتها (صلاتى : *salāṭ*) بمعنى كاره ، و (تكالى :
takālī . بمعنى زارع ، و (حساوى : *hasāwī*) بمعنى كاذب^(٣) .

الرابع : ما جاء من فعالٍ من الأنواع الثلاثة السابقة اسما عاما لمؤنث (امرأة كانت
أو أى شى آخر) كقول العرب : حذام^(٤) ، وقطام ورقاش أعلاما للنساء ، وسراب اسما
لناقة^(٥) .

والأنواع الثلاثة الأولى تتفق الرب فى بنائها على الكسر^(٦) ، عدا بنى أسد الذين
بنوا النوع الأول على الفتح ، فقالوا مناعها^(٧) .

(٢) المرجعان السابقان

(١) الكتاب ٢٧٠/٣ والمخصص ١٧/٦٤

(٣) فى قواعد الساميات ٢٥٥

(٤) من الحذم بمعنى القطع (حاشية الصبان ٣ / ٢٦٨) وهناك أقوال أخرى (راجع تعليق الأستاذ هارون : الكتاب
٣ / ٢٧٧ ، ٢٧٨)

(٥) الكتاب ٣ / ٢٧٧ ، والمخصص ١٧ / ٦٦

(٦) الكتاب ٣ / ٢٧٢ / ٢٧٥

(٧) تهليل الفوائد ٢٢٣ ، واللسان (منع) ١٠ / ٣٢١ ، وحاشية الصبان ٣ / ٢٧٠

أما النوع الرابع - وهو ما كان علما لمؤنث - فقد كان موضع خلاف بين تميم والحجازيين بل حدث خلاف في داخل القبيلة التميمية يتضح من قول سيبويه « واعلم أن جميع ما ذكرنا [أى اسم الفعل والوصف واسم المصدر] إذا سميت به امرأة ، فإن بنى تميم ترفعه وتنصبه وتجريه مجرى اسم لا ينصرف ، وهو القياس ؛ لأن هذا لم يكن اسما علما ، فهو عندهم بمنزلة الفعل الذى يكون فعال محدودا عنه ، وذلك الفعل إفعال . . . وكذلك كل فعال إذا كانت معدولة من غير إفعال إذا جعلتها اسما ، لأنك إذا جعلتها علما ، فأنت لا تريد ذلك المعنى ، وذلك نحو حلاق التى هى معدولة عن الحالقة ، وفجر التى هى معدولة عن الفجرة ، وما أشبه هذا . ألا ترى أن بنى تميم يقولون : هذه تطام وهذه حدام ؛ لأن هذه معدولة عن حاذمة وقطام معدولة عن قاطمة أو قطمة . . . وأما أهل الحجاز فلما رأوه اسما لمؤنث ورأوا ذلك البناء على حاله لم يغيروه ، لأن البناء واحد ؛ وهو بهذا اسم للمؤنث . . . فأما ما كان آخره راء ، فإن أهل الحجاز وبنى تميم فيه يتفقون ، ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز . . . وقد يجوز أن ترفع وتنصب ما كان في آخره الراء »^(١) .

نخلص من كلام سيبويه أن العرب كان لهم فيما جاء على وزن « فعال » علما لمؤنث منهجان :

الأول : الحجازى . وهو البناء على الكسر .

الثانى : التميمى ، وهو إعرابه إعراب ما لا ينصرف إلا فيما كان آخره راء ، فمعظم بنى تميم وافقوا الحجازيين فى البناء على الكسر ، وبعضهم أعرب حسب منهجه فيما ليس آخره راء ، وهو منعه من الصرف .

(١) الكتاب ٢ / ٢٧٧ - ٢٧٩ ، وانظر : المقضب ٣ / ٣٧٣ - ٣٧٦ ، وتسهيل الفوائد ٢٢٣ ، وشرح

شذور الذهب ٩٤ - ٩٨ ، وشرح قطر الندى ١ / ٧ ، ٨ ، ٩٢ / ٢ ، ٩٣ ، وشرح الأشرفى ٣ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

ومن عرض هذا الموضوع دون أن يثبت إلى اختلاف بنى تميم فيما آخره راء ابن الشجرى فى : الأمالى ٢ / ١١٤ ، ١١٥ ،

وابن عقيل فى شرحه لألفية ابن مالك ٢ / ٣٣٦ ، ٣٣٧

وإذا كان الإعراب مرحلة سابقة على البناء - كما ذكرنا - فإننا نرى أن النهج التميمي في الكلمات التي ليس آخرها راء يمثل النهج القديم والحجازي - وكذلك التميمي - في الكلمات المنتهية براء يمثل الحديث .

ولأنحب أن ننهى الحديث عن « فَعَالٍ » دون أن نشير إلى أن الجوهري وسَّع دائرة اللغة التميمية فنسبها إلى نجد بصفة عامة^(١) وتبعه في ذلك صاحب اللسان^(٢) وتاج العروس^(٣) .

وفي رأيي أن هذه النسبة ليست دقيقة ، فالجوهري يعنى بنجد هنا تمياً بدليل مخالفة بني أسد لتميم ، وهم أيضاً من سكان نجد ، إذ كانوا يعربون هذا الصنف من الكلمات الحركات الثلاث مع التنوين ، ولاتفاق ذلك مع النصوص التي اقتضت في نسبتها على تميم .

* * *

٣ - حيث :

حيث ظرف مبهم من الأمكنة^(٤) والمشهور عنها أنها بالياء وضم الثاء ، ولكن وردت لها صيغ أخرى ويعنيها هنا الجانب النحوي ضبط الثاء . ومناهج العرب في ذلك هي :

(أ) البناء على الضم (حيث) وهو النهج الذي أخذت به اللغة المشتركة لأنه الضبط الذي يكتفى به العلماء عند الحديث عنها دون التعرض للغات الأخرى ، وبه قرئت الكلمة في القرآن الكريم ، قال تعالى : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها رغداً حيث شئتما)^(٥) .

(ب) البناء على الفتح (حيث) وهو لغة لبعض التميميين وهم بنو يربوع وطهية ، جاء في المحكم : « قال الكسائي : وسمعت في بني تميم من يربوع وطهية من

(١) الصحاح (رقتش) ٣ / ١٠٠٧ ، و (قطم) ٥ / ٢٠١٤

(٢) (رقتش) ٨ / ١٩٥ ، و (قطم) ١٥ / ٣٩١

(٣) (رقتش) ٤ / ٤١٤ ، و (قطم) ٩ / ٣٠ (٤) المحكم ٣ / ٣٣٢

(٥) البقرة ٢ / ٣٥ ، وانظر إحصاء بالآيات التي وردت فيها هذه الكلمة في « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن

ينصب الثاء على كل حال في الخفض والرفع ، فيقول ، من حيث التقينا ،
ومن حيث لا يعلمون ولا يصيبه الرفع في لغتهم ^(١) .

(ج) البناء على الكسر (حيث) وهي لغة لم يحدد أصحابها ^(٢) .

(د) الإعراب بالحركات الثلاث ^(٣) وكان لبطنين من بني أسد ، جاء في المحكم :
وقال (أي الكسائي) سمعت في بني أسد بن الحارث بن ثعلبة وفي بني
فقعس كلها يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب ، فيقولون
من حيث لا يعلمون ^(٤) على أن ابن هشام يذكر أن قراء (من حيث لا يعلمون) ^(٥)
تحتل لغة البناء على الكسر التي ذكرناها في الفقرة السابقة - إلى جانب
احتمال الإعراب ^(٦) .

مما سبق يتبين لنا أن العرب كان لهم في « حيث » مسلكان :

الأول : الإعراب بالحركات الثلاث دون تنوين .

والآخر : البناء على إحدى هذه الحركات .

وقد سارت مرحلة البناء في طرق ثلاثة : الضم ، الفتح ، والكسر ، ويعنيها منها الفتح
الذي وجدناه لدى بطنين من تميم هما يربوع وطهية اللذان ينتميان إلى حنظلة بن مالك .
ونلاحظ أن هذا الاتجاه لم يصل إلى مرتبة اللغة ، فهو لم ينتشر في داخل القبيلة بأسرها .

* * *

٤ - هيهات :

ما قلناه عن « حيث » يصلح لأن نوجهه لهيهات ، فقد وردت هذه الكلمة بصيغ
كثيرة تربو على الأربعين ^(٧) . من هذه الصيغ « هيهات » من غير تنوين بفتح التاء

(٢) معنى اللبيب ١ / ١١٦ ، والتكلمة (حيث) ١ / ٣٥٩

(١) المحكم ٣ / ٣٣٢

(٣) معنى اللبيب ١ / ١١٦

(٤) المحكم ٣ / ٣٦٣ ، وانظر نسبة الحارث بن ثعلبة وفقعس بن طريف إلى أسد بن خزيمه في جمهرة أنساب

العرب ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ومعجم قبائل العرب ١ / ٢٧٧ ، ٣ / ٩٢٥

(٥) الأعراف ٧ / ١٨٣ (٦) معنى اللبيب ١ / ١١٦

(٧) البحر المحيط ٦ / ٤٠٥ ، وشرح الأشموني ٣ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وحاشية الصبان ٣ / ٢٠٠

وبضمها وبكسرها . وبالصور الثلاث مع التنوين . وقد نسبت الصيغة الأولى إلى الحجاز والثالثة إلى تميم ، ولم تعز الصور الأربع الأخرى ، قال الزمخشري : « هيهات بفتح التاء لغة أهل الحجاز وبكسرها لغة أسد و تميم . ومن العرب من يضمها وقرىء من جميعاً ، وقد تنون على اللغات الثلاث »^(١) .

وهذه الصيغ توحى لنا أن الكلمة كانت في مرحلة من حياتها معربة . وشبيه بهذا الإيحاء أحس به ابن جني من قبل حين قال : « غير أن من رفع فقال هيهأة ، فإنه يحتمل أمرين : أحدهما : أن يكون أخلصها اسماً معرباً فيه معنى البعد ، ولم يجعله اسماً للفعل فيبنيه كما بنى الناس غيره ، وقوله (لما توعدون) خبر عنه ، فكأنه قال : البعد لو عدكم »^(٢) . هذه الكلمة إذن كانت تراعى الإعراب بالحركات الثلاث مع التزام التنوين ، ثم اتجهت إلى تقصير البنية بحذف التنوين ، واتجهت أيضاً إلى الاكتفاء بحركة واحدة ، فنحت تم نحو الكسر ومالت الحجاز إلى الفتح ، واتجه غيرهما إلى الضم ، وإلى جانب ذلك نطقت بعض البيئات صيغاً أخرى .

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

إذا كان جمهور القراء قرءوا قوله تعالى : (هيهات هيهات لما توعدون)^(٣) بفتح التائين من غير تنوين وفقاً للغة الحجازية التي اختارتها اللغة المشتركة ، فإنه قرىء كذلك ببعض اللغات الأخرى ، ويهمننا منها التميمية التي شاركتها فيها بنو أسد (هيهات) ، فقد قرأ بها أبو جعفر^(٤) وعيسى الثقفي^(٥) وشيبة^(٦) .

نخلص مما سبق أن تميماً أعربت « أهس » و « ما جاء على فعال » مخالفة الحجازية التي اتجهت إلى بنائهما والتي نرجح أن لغتها هي الحديثية وبنيت تميم الكلمتين « حيث » و « هيهات » متفقة مع الحجازية وإن اختلفتا في الحركة التي سادت . وهاتان الكلمتان أعربتاً عند غيرهم مما يجعلنا نميل إلى أن المرحلة التميمية هي الحديثية ، ومثلها أيضاً الحجازية .

(١) الفصل (ضمن شرح الفصل لابن يعيش) ٤ / ٦٥ ، وانظر : شرح الفصل ٤ / ٦٥ ، ٦٦ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٠٤ (٢) المحتسب ٢ / ٩١ (٣) المؤمنون ٢٣ / ٣٦ (٤) مختصر في شواذ القرآن ٩٧ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٠٤ ، والإتخاف ٣١٨ (٥) البحر ٦ / ٤٠٤ ، ومختصر في شواذ القرآن ٩٧ ، والمحتسب ٢ / ٩٠ (٦) البحر ٦ / ٤٠٤

رابعاً : بين الصرف ومنعه

أولاً : عزامكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧) إلى بعض التميميين أنهم كانوا يصرفون كلمة « فراد » مخالفين النطق المشهور الذى لم يكن ينونها^(١). وذكر أبو حيان أنه « لغة تميم » بصفة عامة دون أن يخصص بعضهم^(٢). كما نسب أبوزيد الثنوين إلى الكلابيين^(٣).

ثانياً :

١ - كان الحجازيون يؤنثون عكاظ (السوق الشهير) ويذكّره التميميون^(٤).

٢ - نقل الجوهرى عن الأخفش أن الحجازيين يؤنثون الكلاء (سوق البصرة) وبني تميم يذكرونه^(٥).

وكون التميميين يذكرون اللفظين وهما علمان ، فهذا يعنى أنهم كانوا يصرفونهما .

مناقشة ما نسب الى تميم مصروفا :

(أ) فرَادُ : نطق بعض التميميين كلمة « فرَادُ » مصروفة في مقابل « فرَادُ » ، و « فرَادَى » ، قال الفراء : « والعرب تقول : قومُ فرَادَى وفرَادُ يا هذا فلا يجرونها شبيهت بثلاث ورُبَاع^(٦) » .

ونلاحظ أن اللفظ في صيغته التميمية الكلابية جاء على « فُعَال » والقاعدة العامة أن كل ما جاء على هذا الوزن - وكذلك وزن « مَفْعَل » من ألفاظ العدد من واحد إلى أربعة وضم بعضهم بقية الأعداد من الواحد إلى العشرة مثل أحاد وثلاث فإنه يمنع من الصرف ويذكر النحاة أن علة ذلك الجمع بين العدل والصفة ، لأنه بالنسبة لهذين اللفظين (أى أحاد وثلاث) فإنهما معدولان عن واحد وثلاثة . فإذا قلنا : جاء القومُ أحاداً أو ثلاث فالمعنى : جاء القوم واحداً واحداً ، وجاء القوم ثلاثة ثلاثة^(٧) لكن لفظ « فراد » على الرغم من أنه

(١) مشكل إعراب القرآن ٢٦١ (٢) البحر المحيط ٤ / ١٦٣

(٣) تهذيب اللغة ١٤ / ٩٨ ، واللسان (فرد) ٤ / ٣٢٨

(٤) المصباح (عكظ) ٤٢٤ (٥) الصحاح (زقق) ٤ / ١٤٩١

(٦) معاني القرآن للفراء ١ / ٣٤٥ ، وتهذيب اللغة ١٤ / ٩٨ ، ولسان العرب (فرد) ٤ / ٣٢٨

(٧) شرح ابن عقيل ٧ / ٣٢٦ ، وشرح الأثموني ٣ / ٢٤٠

يُبدل على العدد المفرد إلا أنه من غير لفظ « واحد » فكان طبيعياً ألا يمنع من الصرف وهذا ما وجدناه لدى التميميين والكلابيين الذين كانوا يجاورونهم في سكنى نجد .

أما غير التميميين فقد منعوا اللفظ من الصرف . وبهذا أخذت اللغة المشتركة كما اتضح من كلام الفراء السابق ذكره « والعرب تقول . . . » وكلمة « العرب » تفيد أن هذا هو الذى كان شائعاً في الجزيرة العربية وأنه المستعمل في الفصحى . والذين منعوا الصرف فعلوا ذلك ، لأنهم عاملوا « فراد » كما تعامل « أحاد » وقد عبر عن ذلك الفراء — في قوله الله الف الذكر « شبهوها بثلاث ورباع » وبهذه الصيغة غير المنونة وردت الكلمة في قول تميم بن مقبل يصف فرساً :

تري النُّعرات الرُّزقَ تحت لَبَانِه فُرَادَ وَمَشْنَى أَصْعَقْتُهَا صَوَاهِلُه^(١)

ووردت هذه الصيغة (فرادى) في بيت تميم بن مقبل السابق في رواية الديوان ، واللسان (صعق)^(٢) .

وورد البيت في « معاني القرآن » برواية أخرى هي « أحاد »^(٣) مما يعضد قياس « فراد » عليه .

موقف القراءات القرآنية من الصيغة التميمية :

وردت هذه الكلمة في قوله تعالى : (ولقد جئتمونا فرادى)^(٤) وبهذه الصيغة قرأ جمهور القراء ، ولكن قرئ في الشواذ وفق اللغة التميمية (فراداً) : قرأها أبو حنيفة^(٥) ، وأبو عمرو^(٦) ، وعيسى بن عمر^(٧) .

(١) الديوان ٢٥٢ وفيه « فرادى » أما رواية « فراد » التي أثبتناها فن معاني القرآن للفراء ١ / ٣٤٥ وتهذيب اللغة ١٢ / ٩٨ ، واللسان (فرد) ٤ / ٣٢٨ ، (والبيت غير منسوب في هذه المراجع الثلاثة) (النعرات جمع النمرة وهي ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها — اللبان : الصدر — أصعقتها : قتلها) . ورواية اللسان (فرد) « أصعقتها » — الصواهل جميع صهيل وهو الصوت ، أى أن صهيل الفرس قتل هذه الذبابات) (انظر : التعليق على البيت بالديوان ٢٥٢ ، ٢٥٣)

(٢) اللسان (صعق) ١٢ / ٦٧ (٣) معاني القرآن ١ / ٢٥٥ (٤) الأنعام ٦ / ٩٤

(٥) مشكل إعراب القرآن ٢٦١ ، وشواذ القراءة للكرمانى ٧٩

(٦) مشكل إعراب القرآن ٢٦١ (في إحدى نسخه وهي النسخة التي رمز لها المحقق بـ « د » أى نسخة دار الكتب) .

(٧) مختصر في شواذ القرآن ٣٨

(ب) عكاظ. والكلاء : وهما سوقان كان الأول بالقرب من مكة والآخر بالبصرة .
ونلاحظ. أنهما علما مذكران تذكيرا لفظيا ، تضمن كل منهما أكثر من
ثلاثة أحرف . وقد اختلف التميميون والحجازيون في معاملتهما ، فعاملهما الأولون
على أنهما مذكران وعاملهما الآخرون على أنهما مؤنثان .

والقاعدة أن المؤنث الذي لم تلحق به علامة التأنيث يمنع من الصرف ، سواء أكان
ثلاثيا متحرك الوسط. أم أكثر من ثلاثي. أما الثلاثي الساكن الوسط فيحتمل الأمرين : التنوين
وعلمه^(١) .

وعلى ذلك خالف التميميون الحجازيين إذ صرفوا اللفظين أما الحجازيون فمنعوهما
من الصرف . وكلا الفريقين لم يخرج في معاملته اللفظين على النهج العام للعربية في
صرفه أو عدم صرفه نظائرهما ، وإذا كانت كتب التراث لم تمدنا إلا بهذين العلمين ،
فإن القاعدة تنطبق على كل علم شبيه بهما .

ونخلص مما سبق :

١ - صرفت تميم لفظ «فُراد» لعدم اشتماله على علة تمنعه من الصرف ، أما غيرهم
فقاسوه بلفظ يرادفه (أحاد) .

٢ - صرفت تميم طائفة من الألفاظ على حين لم ينونها غيرهم ، مثل عكاظ ، لاختلاف
نظرة كل فريق لها تأنيثا وتذكيرا ، إذ عاملتها تميم على أنها مذكورة والحجاز على أنها
مؤنثة .

(١) المعجم لابن جني ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وشرح الأشموني ٣ / ٢٥٣

خامسا : بين الاعراب والحكاية

اختلفت مناهج العرب في الاسم الذي يجوز حكايته :

١ : فمنهم من أجاز حكايته في المعارف دون النكرات ، من ذلك قول الشاعر :

* سمعت الناس ينتجعون غيثا *

برفع كلمة « الناس » ، كأنه سمع قائلا يقول : الناس ينتجعون غيثا .

٢ - ومنهم من أجازها أيضا في النكرات إلى جانب المعارف ، ومثال هذا النوع قول بعضهم وقد قيل له : عندي تمرتان ، فقال : دعني من تمرتان ^(١) .

٣ - وقصرها الحجازيون من بين المعارف على العلم ^(٢) .

٤ - من لم يحك في كل أوجه الكلام ، وكان هذا نهج بني تميم ^(٣) ، على حين إن الحجازيين يحكون العلم وفق إعرابه فيقولون مثلا :

من زيد ؟ سؤالا عن قال : زيدٌ مهذبٌ .

ومن زيدا ؟ سؤالا عن قال : رأيت زيدا .

ومن زيدٍ ؟ سؤالا عن قال : بعثت إلى زيدٍ كتابا ، نجد أن تميذا ملتزم صورة واحدة هي الرفع ، فلا تسأل إلا بصيغة واحدة ، هي : من زيدٌ ؟ ^(٤) .

ولم يشع من صور الحكاية إلا النهج الحجازي ، بدليل أن الصورتين الأخريتين حكيتا بغير أداة استفهام ، والنحويون يعدون ذلك شاذا ^(٥) . وأن مذكره ابن الأنباري من مثال للحكاية في المعارف كلها (سمعت الناس ينتجعون غيثا) أعده غيره من حكاية الجملة ، مثل قوله تعالى ^(٦) : (وقالوا : الحمد لله ^(٧)) .

(٢) شرح الأثموني ٤ / ٩١

(١) أسرار العربية ١٥٤

(٣) أسرار العربية ١٥٥

(٤) المرجع السابق ، والكتاب ٢ / ٤١٣ ، واللمع ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ويذكر أبو حيان أن الحجازيين منهم من يحكى ومنهم من لا يحكى موافقا لبني تميم (إرتشاف الضرب ٦٨ / ١)

(٦) فاطر ٢٥ / ٣٤

(٥) شرح الأثموني ٤ / ٩٣

(٧) شرح الأثموني ٤ / ١٣

ويحكى بـ « مَنْ » عند أهل الحجاز غير الأعلام ، فيحكى بها وبأى النكرات ، فإذا قيل مثلاً : مررت بحمار ورجلي : قلت : أى ؟ ومَنِ ؟ ^(١) و « مَنْ » يحكى بها العاقل فقط ، أما « أى » فيحكى بها العاقل وغير العاقل ^(٢) . وقد فصلت كتب النحو صيغ هاتين الكلمتين وفق حالة المحكى من إعراب ونوع وعدد في الوقف والوصل . وهذا لايعنينا ذكره بالتفصيل لعدم صلته باللغة التميمية .

نظرة تاريخية :

ورأى أن النهج التميمي ، وهو عدم الحكاية أسبق من الحجازي ، وذلك لعدة اعتبارات .

- (أ) العدم يسبق الوجود .
- (ب) يشترط للحكاية عند الحجازيين أن تكون في غير العطف والنعت ، فإذا قيل : رأيت زيدا الظريف ، تسأل فتقول : من زيد الظريف ؟ ^(٣) ووجود الشرط يعنى أن مراحل الحكاية لم تتم ، والأصل عدم الحكاية .
- (ج) إن الحجازيين قد يتركون الحكاية ويسايرون التميميين ، جاء في «الهمع » «وقد يترك الحجازيون حكاية العلم مع وجود شرطه ويرفعون على كل حال لغة غيرهم» ^(٤) .

وماذهبنا إليه هنا من قدم التميمية على اللغة المشتركة تنبه إليه علماؤنا القدامى قال سيبويه : «وأما بنو تميم فيرفعون على كل حال ، وهو أقيس القولين» ^(٥) ، وقال ابن الأنباري : «وأما بنو تميم فلا يحكون . . . وهو القياس» ^(٦)

(١) الصحاح (منن) ٦ / ٢٢٠٨ ، واللسان (منن) ١٧ / ٣٠٨

(٢) شرح الأشموني ٤ / ٩٢

(٣) أسرار العربية ١٥٥

(٤) همع الهوامع ٢ / ١٥٣

(٥) الكتاب ٢ / ٤١٣

(٦) أسرار العربية ١٥٥

سادسا : ظاهرة الرفع

١ - ما ولا وليس :

تتفق ما ولا وليس في المعنى وهو النفي^(١) ، لكنها تختلف في أن اثنين منها وهما ما ولا حرفان^(٢) . أما ليس ففِعْل جامد غير متصرف ، وإن كان من العلماء من يرى أنها حرف^(٣) وتتفق هذه الكلمات في عملها ، فللتمييز نهج يختلف عن نهج الحجازي . وفيما يلي عرض لكل كلمة على حدة :

(١) ما :

كان للعرب في « ما » إذا دخلت على الجملة الاسمية نهجان :

الأول : إهمالها وعدم تأثيرها فيما يليها من مبتدأ وخبر ، فيظلان مرفوعين ، وذلك مثل :
ماعبدُ الله أخوك ، ومازيدُ منطلق . وهذا منهج بني تميم .

الآخر : إعمالها عمل الأفعال الناسخة ، فالمبتدأ الذي يليها مرفوع ، أما الخبر فهو منصوب ، وذلك ، مثل : ماعبدُ الله أخاك ، ومازيدُ منطلقا . وهذا مذهب الحجازيين^(٤) ، غير أنها لاتعمل عندهم إلا باجتماع شرطين :

١ - دلالة الجملة على النفي .

٢ - ترتيب الجملة ف « ما » أولا ، يليها اسمها ، يليه الخبر^(٥) فلا تنصب الخبر عندهم إذا قلت مثلا : ما منطلقُ عبدُ الله ، وما عبدُ الله إلا منطلقُ لأن الخبر في الحالة الأولى تقدم على المبتدأ ، وفصل بين المبتدأ والخبر في الحالة الثانية ، قال سيبويه : « . . . كما أن ماكليس في لغة أهل الحجاز مادامت في معناها ، وإذا تغيرت عن ذلك ، أو قدم الخبر رجعت إلى القياس ، وصارت اللغات فيها كلغة تميم »^(٦) .

(١) حاشية الصبان ١ / ٢٤٧ (٢) شرح الأشموني ١ / ٢٤٧ (٣) المغني ١ / ٢٢٧

(٤) الكتاب ١ / ٥٧ - ٥٩ ، وانظر : مجالس ثعلب ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، وأسرار العربية ٥٩ - ٦١ ، ومجالس العلماء للزجاجي ١١٢ ، ١١٣ ، وشرح المفصل ١ / ١٠٨ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٣٠٢ ، وشرح الأشموني ١ / ٢٤٧ وما بعدها وفتح الهوامع ١ / ١٢٣ (٥) شرح ابن عقيل ١ / ٣٠٣ - ٣٠٧ (٦) الكتاب ١ / ١٢٢

وفصل النحاة المتأخرون هذين الشرطين ، فقالوا :

- ١ - ألا ينتقض النفي بدخول إلا على الخبر مثل : مازيدٌ إلا منطلقٌ .
- ٢ - ألا تكرر « ما » نحو : ما مازيدٌ قائمٌ ؛ لأن الجملة حينئذ تكون مثبتة .
- ٣ - ألا يزداد بعدها « إن » مثل : ما إن زيدٌ قائمٌ (وإن هذه نافية فوجودها ينقض النفي)^(١) .

٤ - ألا يبدل من خبرها موجب ، مثل : مازيدٌ بشيءٍ إلا شيءٌ يُعْبَأُ به .

٥ - عدم تقدم خبرها الذى ليس شبه جملة على اسمها .

٦ - ألا يتقدم معمول خبرها الذى ليس شبه جملة على الاسم مثل : ما طعامك زيدٌ أكل^(٢) .

ولكننا لم نجد هذه الشروط مطردة دائماً ، إذ إننا وجدناهم يعقبون على كل شرط منها بوجود ما يخالفه^(٣) .

نسبة ظاهرة الإهمال :

اكتفت طائفة كبيرة من العلماء على رأسها سيبيويه بنسبة ظاهرة إهمال « ما » إلى تميم^(٤) ، لكننا رأينا الكسائى يعزوها إلى نجد وتهامة^(٥) ، ووجدنا ابن هشام ينسبها إلى الحجازيين والتهاميين والنجديين^(٦) ، وعزاها ابن الخشاب إلى تميم وغيرهم من العرب ماعدا أهل الحجاز^(٧) .

أما النسبة إلى الحجازيين فيدفعها إجماع العلماء على نسبة الأعمال إليهم . ومن غير المعقول أن يتكلموا بطريقتين متضادتين فى آن واحد . وأما النسبة إلى نجد وتهامة فقد نقلت عن الكسائى ، وهو عالم ثقة جاب الجزيرة وتنقل بين قبائلها^(٨) . ولقد

(١) ما بين القوسين عن : منحة الجليل على شرح ابن عقيل ١ / ٣٠٣

(٢) شرح ابن عقيل ١ / ٣٠٣-٣٠٧

(٣) المرجع السابق (٤) الكتاب ١ / ١٢٢

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٠٣ / ١ (٦) المغنى ٢ / ٦

(٧) المرتجل ١٧٦ (٨) راجع ص ٦١

كانت معظم مساكن تميم عند تسييج اللغة في نجد وكثيرا ما يذكر اللغويون نجدا ويعنون تميمًا وحدها . أو هي وغيرها من جيرانها فكما سبق أن ذكرنا . ذلك وإن تهامة بيئة متفلة يناسبها الإهمال ، وكونها تشارك النجديين ومنهم تميم فهذا أمر طبيعي لتشابه البيئتين .

القراءات القرآنية ولفظة تميم :

إذا ما عرجنا على القراءات القرآنية لنعرف موقفها من اللغة التميمية ، نجد الجمهور يقرأ وفق اللغة الحجازية ، أما التميمية فقرأ بها في القراءات الشاذة فالمفضل عن عاصم قرأ قوله تعالى : (ما هن أمهاتهم)^(١) بضم التاء^(٢) وقرأ ابن مسعود قوله عز وجل : (ما هذا بشر)^(٣) بضم الراء^(٤) .

(ب) لا :

المقصود بـ « لا » هنا التي لا تكون نصا في نفي الجنس ، أي أنها تحتل نفي الجنس ونفي الواحد ، فقولنا : لا رجل حاضرًا ، يجوز أن تنفي نفي وجود رجل واحد أو نفي جنس الرجال جميعاً^(٥) والنص على وجود خلاف في الجملة التي تحتوى على « لا » لم نره لدى قدماء النحويين أمثال سيبويه ، وإنما وجدناه لدى رجال القرنين السادس والسابع . لقد قرر أبو حيان أن المطرزي (ت ٦١٦ هـ) هو أول من تكلم في إعمال لا وإهمالها ونسب الأول إلى أهل الحجاز والآخر إلى تميم^(٦) . ولكن ينقض ذلك ما نسب إلى الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) - الذي عاش قبله بقرن - من عزوه الإعمال للحجاز والإهمال لتميم^(٧) .

ووجدنا المتأخرين - بعد المطرزي - كابن عقيل^(٨) (ت ٧٦٩ هـ) والأشموني^(٩) (ت ٩٢٩ هـ) يعزون المهمة إلى تميم والعاملة إلى الحجاز ، جاء في شرح الأشموني « (في النكرات أُعْمِلَتْ

(١) المجادلة ٥٨ / ٢

(٢) مختصر في شواذ القرآن ١٥٣ ، وشواذ القراءة للكرمانى ٢٣٩

(٣) يوسف ١٢ / ٣١ (٤) البحر المحيط ٥ / ٣٠٤

(٥) شرح ابن عقيل ١ / ٣٩٣ (٦) همع الهوامع ١ / ١٢٥

(٧) المنفصل (ضمن شرح المفصل) ١ / ١١٤ وأخطأ السيوطي فعزا إلى الزمخشري نسبة الإهمال لطى لا لتميم قال « وفي كلام الزمخشري : أهل الحجاز يعملونها دون طى » (الهمع ١ / ١٢٥) .

(٨) شرح ابن عقيل ١ / ٣١٢ - ٣١٦ (٩) شرح الأشموني ١ / ٢٥٣

كليس لا) النافية بشرط بقاء النفي والترتيب - على ما ر - وهو أيضاً خاص بلغة الحجاز دون تميم»^(١).

وعلى كل فجميع هؤلاء اللغويين قد نقلوا من علماء سابقين وإن لم ينصوا عليهم .

(ج) ليس :

« ليس » إحدى أخوات كان تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ وتنصب الخبر ، لكن روى لنا أن جملتها وردت بصورة أخرى يظل فيها كل من المبتدأ والخبر مرفوعين ، وذلك إذا سبق الخبر بإلا نحو « ليس ملائكة الأمر إلا طاعة الله » وكان هذا النهج التميمي مخالفاً للآخر الذي نسب إلى الحجاز ، قال الأصمعي « جاء عيسى بن عمر الثقفي ، ونحن عند أبي عمرو بن العلاء ، فقال : يا أبا عمرو : ما شيء بلغني عنك تجيزه ؟ قال : وما هو (قال : بلغني أنك تجيز : ليس الطيب إلا المسك بالرفع قال أبو عمرو : ذهب بك يا أبا عمرو^(٢)) نمت وأدليج الناس ، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ولا في الأرض تسمى إلا وهو يرفع »^(٣).

وإذا كان الحجازي في الكلمتين السابقتين يقيد الجملة التي تعمل ببقاء النفي ، فإنه هنا لا يفرق بين المنفية والتي انتقض نفيتها ، فالخبر دائماً منصوب عنده .

تعقيب :

إن نطق الكلام على وتيرة واحدة تستريح إليه النفس ، وتأنس إليه الأذن ، فهو أشبه بقوافي الشعر . والإنسان في مراحل حياته الأولى يميل إلى الرتابة في نطقه^(٤) ، ثم ينتقل منها إلى التغيير ، وكذا شأن الشعوب . ونلاحظ ذلك لدى الشعب العربي في الشعر الذي بدأ عنده رجاء يتفق نهاية كل بيت (شطر) مع سابقه ، ثم انتقل بعد ذلك إلى القصيد^(٥) ، فلم يراع الاتساق إلا بعد كل بيتين أطلق على كل منهما شطرا ، وهذا

(١) المرجع السابق وما بين القوسين من ألفية ابن مالك .

(٢) كان عيسى الثقفي يكنى بأبي عمرو إلى جانب كنيته بأبي سليمان (نزهة الألياء ١٣ ، ١٤) .

(٣) الأماي للقال ٣ / ٣٩ وانظر فيه بقية القصة ، والمزهر ٢ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٤) انظر : علم اللغة الدكتور على عبد الواحد وافي ١٢٤ .

(٥) انظر : بدايات الشعر العربي ٢ .

الذى ذكرناه يتفق ورأى علماء اللغة المحدثين فى تطور الجملة فى اللغات بصفة عامة ، فالعالم الفرنسى « فندريس » يقرر أن ترتيب الكلمات فى كل اللغات يتجه نحو الاستقرار وذلك بأن يفرض النحو على الكلمات ترتيباً لا يتغير . أوبأن تكون العادة قد جرت باتخاذ ترتيب بعينه فى جميع الجمل التى من نوع واحد . فإذا أراد الإنسان أن يعبر عن انفعاله حاول أن يغير من الترتيب المألوف للكلمات فى داخل الجملة . ومن مظاهر التغيير جعل نصف الجملة التالى يسير على خطة جديدة لا صلة بينها وبين النصف الأول منها^(١) . وهذا الذى قرره « فندريس » يمكن أن تفسر به ما حدث فى ركنى جملة هذه الكلمات . فقد رأينا أنه كان للعرب اتجاهان :

- ١ - السير على نسق واحد فى المبتدأ والخبر برفع كل منهما ، وكان هذا عند بنى تميم .
- ٢ - تغيير نظام النصف الثانى للجملة لدخول عنصر جديد عليها وذلك بنصبه ، وهذا ما نجده فى اللغة الحجازية .

ونستطيع بعد هذا أن نرجح قدم النهج التميمي وحداثة الحجازي فيما يتصل بهذه الكلمات الثلاثة . ونلاحظ أن الحجازي لم يتطور تطوراً كاملاً بالنسبة لـ « ما » و « لا » بدليل ما نراه من ثغرات : عبر عنها النحاة بأنّها شروط لعملها . ويبدو أن هذه الثغرات بدأت تملأ بدليل أننا نجد كل شرط من هذه الشروط يوجه إليه اعتراض من بعض النحاة مستشهدين على ذلك بكلام عربى . وما الاعتراض هنا إلا دليل التطور . وفى رأى أنه لو تأخر الزمن يتقعيد العربية لما رأينا هذه الشروط المجملة فى شرطين وهوترتيب الجملة ومحافظة على النقى ، ولتطورت اللغة الحجازية تطوراً كاملاً ثم تلتها التميمية .

أما بالنسبة لكلمة « ليس » فقد تطورت الحجازية تطوراً كاملاً فنصب خبرها بجميع صوره كما أنها تطورت عند التميمين أيضاً ولم تظل محافظة على أصلها وهو رفع الخبر إلا عند انتقاض النقى بدخول إلا على الخبر . ولذا رأينا القدماء أمثال سيبويه — كما رأينا^(٢) — وابن يعش^(٣) يعدّون نصب الخبر مع « ما » و « لا » عند الحجازيين قياساً على ليس التى تشاركها فى الدلالة .

كلمة ملحقه (إن) :

وأرى أن تلحق بهذه الكلمات الثلاث كلمة « إن » ، ونجد أن للعرب في استعمالها أيضاً منهين :

الأول : إعمالها عمل ليس ، ويمثل هذا المنهج أهل العالية. وقد سمع منهم :
إن أحد خيراً من أحد إلا بالعافية ، وإن ذلك نافعك ولا ضارك^(١) والمراد بأهل العالية أهل الحجاز ، كما سبق أن ذكرنا .

الآخر : ويجعلها مهملة لا عمل لها ، أى أن ما يليها من مبتدأ وخبر مرفوعان .
إذا كان النحاة الذين عرضوا لهذا الحرف لم ينسبوا هذا المنهج لقوم معنيين ، فإننا نميل إلى أنهم بنو تميم ، وذلك لأحد أمرين :

١ - إن لغتهم كانت تذكر في الغالب مقابلة للغة الحجاز ، ونجد أحياناً نصوصاً تشتمل على لغتين ، تنسب إحداها للحجاز - مثلاً - ولا تغزو الأخرى ، ونجدها في نص آخر لعالم آخر أو للعالم نفسه تنسب هذا المجهول إلى تميم ، أو العكس .

٢ - اتساقه مع منهج تميم لاتفاق « إن » مع الكلمات الأخرى في الدلالة والعمل .
وقد شاع المنهج الثانى ، أى إهمال « إن » حتى إن سيبويه والفراء لم يقرأ إعمالها^(٢) ، ويقول ابن هشام : ومما يتخرج على الإهمال الذى هو لغة الأكثرين قول بعضهم ، إن قائم ، وأصله : إن أنا قائم ، فحذفت همزة أنا اعتباطاً وأدغمت نون إن في نونها وحذفت ألفها في الوصل^(٣) .

* * *

٢ - الابتداء بالمصدر :

(١) المصدر والمشتق المنكران :

ونستهل دراسة هذا الموضوع بعرض النصين التاليين :

١ - جاء في « تهذيب اللغة » نقلاً عن « العين » : « والبُعْد أيضاً من اللعن ، كقولك : أبعد الله ، أى لا يرثى له فيما يزل به ، وكذلك بُعداً له وسحقاً ، ونصب بعداً على المصدر ولم يجعله اسماً ، وتميم ترفع فتقول : بُعداً له وسحقاً ، كقولك : غلاماً له وفرساً »^(٤) .

(٢) المغنى ١ / ٢٢ ، وانظر : هج الهوامع ١ / ١٢٤
(٤) تهذيب اللغة ٢ / ٢٤٤ ، وانظر اللسان (بعد) ٤ / ٥٩

(١) المغنى ١ / ٢٢

(٣) المغنى ١ / ٢٢ .

٢ - وورد في اللسان : « وقالوا في الدعاء : مبرورٌ مأجورٌ ، ومبروراً مأجوراً . تميم ترفع على إضمار أنت وأهل الحجاز ينصبون على : اذهب مبروراً »^(١) .

اشتمل هذان النصان على تركيبين بسيطين - هما صورة لتراكيب أخرى - اكتفى العربي في صياغة كل تركيب منهما باسم قرنه باللفظ آخر يلزمه ولا يكاد يفارقه ونلاحظ أن هذا الاسم إما مصدر كما في التركيب الأول ، وإما اسم مشتق كما في التركيب الثاني ، فهو شبيه بالمصدر . ونلاحظ أن اللفظ المقترن اسم كما في التركيب الثاني أو شبه جملة كما في الأول . هذه التراكيب - التي تعد صيغاً متحجرة - نلاحظ أنه كان للعرب فيها مذهبان :

١ - رفع جزئى التركيب أو أولهما حالة كون الثانى شبه جملة وذلك عند بنى تميم .

٢ - نصب الجزئين أو أولهما حالة كون الثانى شبه جملة ، وعزى في الثانى (المشتق) إلى الحجاز .

وإذا كان العربي قد عامل الكلمة المعربة التي تبدأ بها الجملة اسماً كانت هذه الكلمة أو فعلاً برفعها مالم تسبق بأداة تحول الرفع إلى نصب أو جر أو جزم حسب نوع الكلمة والأداة ، وكذلك عامل الجمل البسيطة برفع جزئيهما ، فهذا ما وجدناه لدى التميمي في هذه الصيغ ، لكن الحجازي غير النهج فلم يرفع ، إلا أنه ظل محتفظاً بالإيقاع الموسيقي لكنه من جنس آخر ، فقد نصب الجزئين مضمراً عاملاً نصب الجزء الأول ثم تبع الثانى الأول .

(ب) المصدر الواقع بعد أما : (*)

الاسم الواقع بعد أمّا لا يخلو من أن يكون مصدراً أو غير مصدر ، فإن كان غير مصدر ، فهو مرفوع في كل اللغات ، مثل : أمّا العبيد فذو عبيد^(٢) إلا ما ندر نحو

(١) اللسان (بر) ٥ / ١١٧

(٢) الكتاب ٣٨٤/١ - ٣٨٨

(*) يذكر السيرا في أن هذا الباب فيه صعوبة وقال الزجاج : أخذنا باب لم يفهمه إلا الخليل وسيبويه (انظر الكتاب ٣٨٤/٢ الحاشية ٣) .

ما رواه يونس عن بعض العرب من قولهم : أما العبيد فذو عبيد. وعقب على ذلك سيبويه بقوله « وهو قليل خبيث^(١) » وأما إذا تلاها مصدر ، فلا يخلو هذا المصدر من أن يكون نكرة أو معرفاً بآل :

١ - فإذا كان نكرة فإن بنى تمم كانوا ينصبونه ويجيزون رفعه كذلك ، فكانوا يقولون : أما علماً فعالم ، كما يقولون : أما علمٌ فعالم^(٢) . قال سيبويه : « وقد يُرفع هذا في لغة بنى تميم والنصب في لغتها أحسن »^(٣) ، وقال السيوطي : « رفع المصدر الواقع بعد أما جائز في لغة تميم . قالوا : أما علمٌ فعالمٌ مع ترجيحهم النصب »^(٤) . وأما اللغة المشتركة فكانت تنصبه^(٥) .

وليس تعبير سيبويه بكلمة « أحسن » أو قول السيوطي « ترجيحهم النصب » أن التميميين كانوا جميعاً ينطقون مرة بالرفع وعدة مرات بالنصب ، فهذا غير معقول وإنما معنى ذلك أن بعض بطون تميم نطقت بالرفع وبعضها بالنصب ، وأن الذين تكلموا بالنصب كانوا أكثر ممن كانوا يرفعون .

٢ - المعروف بآل : وهذا الصنف يرفعه الحجازيون لكنهم يجيزون نصبه أما التميميون فيوجبون رفعه فلا يقولون إلا : أما العلمُ فعالمٌ ، أى فهو عالم^(٦) .

تعقيب :

نسبة الرفع إلى بنى تميم في المصدر المحلى بآل تتفق وميلهم إليه ، أما تأرجحهم بين الرفع والنصب في المنكر فيدل على أن الأصل عندهم الرفع ، ثم بدأت لغتهم تنتقل إلى مرحلة ثانية فغيرت نهجها القديم . وإن وجود عنصر جديد في الجملة وهو « أما » كان عاملاً مساعداً على التطور .

(١) الكتاب ٣٨٩/١

(٢) مع الهوامع ٢٣٩/١

(٣) الكتاب ٣٨٤/١

(٤) مع الهوامع ٢٣٩/١

(٥) انظر : الكتاب ٣٨٤/١

(٦) مع الهوامع ٢٣٩/١ ، وانظر : الكتاب ٣٨٦/١ .

(ج) الابتداء بالمصدر المحلى بال(*)

خالفت تميم اللغة المشتركة في ضبط المصدر المحلى بـ «أل» ، إذا ابتدئ به الكلام مثل «الحمد لله» فإنه على حين نجاهه مرفوعا عندها ، إذا بنا نرى التميميين ينصبونه ، قال سيبويه : « ومن العرب من ينصب بالألف واللام ، من ذلك قولك : الحمد لله ، فينصبها عامة بنى تميم »^(١) .

وكان المتوقع أن يكون موقف تميم في إعراب هذا الصنف من الكلمات غير هذا ، فينسب إليها الضم وإلى سواها الفتح ؛ لأنه مادام هناك ضبطان فهذا يعنى أن هناك مرحلتين ، والضم - كما سبق أن قلنا - يمثل المرحلة القدى في الجمل البسيطة . ذلك إلى أنه يتسق وموقف تميم من المصادر المنكرة التي حرك آخرها بالضممة . ولصعوبة تعليل النصب في هذه الحالة رأينا سيبويه يجهد نفسه ويتمحل في إيجاد علة له . ويحمله هذا على وضع قاعدة ، هي أن من العرب من ينصب بالألف واللام .

والحقيقة أن الأسلوب الذي شاع في اللغة المشتركة هو الذي يتفق ونهج العربية الفطرى الذى يرفع ركنى الجملة البسيطة ، فهو إذن يمثل المرحلة القدى .

وإذا كان النصب قد عزى إلى تميم ، فإن ذلك لم يكن عاما في كل بطونها ، بدليل أنه عزى إليها أيضا قراءة (الحمد لله) بكسر الدال^(٢) - وقد عرضنا لذلك عند الحديث عن التماثل - ونميل إلى أن الفتح كان شائعا في بعض بطونها مثل بنى سعد بن زيد مناة ، إذ إنه قد رويت قراءة فتح الدال من (الحمد لله) منسوبة إلى رؤبة بن العجاج^(٣) .

* * * *

(*) كان حق هذا الموضوع أن يعالج عند الحديث عن « ظاهرة النصب » لكننا أردنا جمع شتات موضوعات المصدر فاخترنا له هذا المكان .

(١) الكتاب ١ / ٣٢٩ وقد عالج سيبويه هذا الموضوع تحت عنوان « هذا باب يختار فيه أن تكون المصادر مبتدآت مبنيها عليها ما بعدها وما أشبه المصادر من الأسماء والصفات » وغرب أمثلة على ذلك فقال : « وذلك قولك : الحمد لله ، والعجب لك ، والويل لك ، والراب لك ، والحية لك » (الكتاب ١ / ٣٢٨) .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ب .

(٣) المرجع السابق ١/٢ .

٣ - ضمير الفصل بين الاعمال والإهمال :

ضمير الفصل هو ضمير منفصل يرد بعد اسم معرفة مبتدأ أو ما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها وإن وأخواتها ومعمول ظن وأخواتها. ويطابق ذلك الاسم السابق ، ويشترط أن يكون مابعد خبر المبتدأ أو ما أصله المبتدأ ، وأن يكون معرفة أو كالمعرفة^(١) ، نحو قوله تعالى : (أولئك هم الظالمون) ، وقوله : (كنت أنت الرقيب عليهم) ونحو (إن ترن أنا أقل منك مالا)^(٢) .

وهذا الضمير عده بعض العرب مهملًا لأعمل له فيما بعده ، فهو يأتى التوكيد واعتبره بعض آخر عاملاً ، فهو مبتدأ ذو خبر مرفوع . وكان هذا الموقف الأخير خاصاً بتميم ، وهو يتبين مما ذكره أبو حيان في تفسير قول الله تعالى : (وما ظالمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)^(٣) « وقرأ الجمهور (الظالمين) على أن « هم » فصل ، وقرأ عبد الله وأبو زيد النحويان « الظالمون » بالرفع على أنها خبر « هم » و « هم » مبتدأ . وذكر أبو عمرو العجزمي أن لغة تميم جعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ ويرفعون مابعد على الخبر^(٤) ، وقال أبو زيد : سمعتهم يقرءون (تجدوه عند الله هو خيرٌ وأعظمُ أجراً) برفع خير وأعظم^(٥) ، وقال قيس بن ذريح (جاهلي) :

تحنّ إلى ليلي وأنت تركتها وكنتَ عليها بالمالا أنت أقارُ

قال سيديويه : إن رؤية كان يقول : أظن زيدا هو خيرٌ منك بالرفع^(٦) .

هذا النص الذي نقلناه عن أبي حيان يقرر :

١ - أن عالمين جليابين ، هما أبو زيد (نحو ٢١٥ هـ) والعجزمي (ت ٢٢٥ هـ) قررا أن تميمًا تعمل ضمير الفصل هذا .

(١) المراد بالاسم الذى كالمعرفة « أفعل من » المجرد من أل والإضافة (انظر : شرح المفصل ١١١/٢) .

(٢) انظر : المفصل وشرحه ١٠٩/٢ - ١١٢ ومعنى اللبيب ١٠٤/٢ ، ١٠٥ ، وجمع المواع ٦٨/١

(٣) الزخرف ٧٦/٤٣

(٤) نص كلام الجرمي أيضا في البحر المحيط ٢٩٦/٧

(٥) الآية من سورة المزمل ٢٠/٧٣ والقراءة المشهورة (هو خيرا) وجاء في البحر (٣٦٧/٨) تعقيبا على قراءة

الرفع هذه : « قال أبو زيد : هو لغة بني تميم يرفعون ما بعد الفاصلة يقولون : كان زيد هو العاقل ، بالرفع » .

(٦) البحر ٢٧/٨

٢ - وأن سيبويه (ت نحو ١٨٠ هـ) إمام النحاة عزا إعمال هذا الضمير إلى أحد بنى تميم وهو رؤية ، وذلك في الكلام المنشور .

نفسير الظاهرة :

لا فرق في الدلالة بين « كان محمدٌ حميدٌ الأخلاق » وبين « كان محمدٌ هو حميدٌ الأخلاق » وهذا يعنى أن الضمير في الجملة الثانية يمكن الاستغناء عنه ، ويعنى بالتالى أن الضمير ليس إلا رابطة بين أجزاء الجملة ، فهو عنصر غير أصيل فيها ، فما بعده إذن يعرب كما لو كان غير موجود وهذا ما نلاحظه في اللغة المشتركة . ويتضح ذلك في خبر كان وأخواتها والمفعول الثانى لظن . أما التميميون فقد قاسوه على الضمير العمدة وهو ما يعد عنصرا أساسيا في مثل « هو حميدٌ الخلق » بأن أعربوه مبتدأ وأعربوا ما يليه خبرا له على أنه الجزء المتمم له في المعنى ، فهو مسند لهذا الضمير يكوّن معه جملة مستقلة .

موقف القراءات القرآنية من المنهج التميمي :

« سجلت القراءات القرآنية المنهج التميمي ، فإذا مارجعنا إلى كتاب الله عز وجل وجدنا الآيات التي ورد بها ضمير الفصل قرأها الجمهور باللغة المشتركة فالضمير فيها مهمل ، وقرئت في الشاذة بلغة تميم :

(أ) فقد رأينا في النص الذي نقلناه عن تفسير أبي حيان أن عبد الله وأبا زيد النحويين قرآ (ولكن هم الظالمون) .

(ب) وحكى أبو معاذ^(١) أنه قرأ قوله تعالى : (كنت أنت الرقيب عليهم)^(٢) برفع «الرقيب»^(٣) .

(١) هو الفضل بن خالد أبو معاذ النحوى المروزي روى القراءة عن خارجة بن مصعب ، وروى عنه محمد بن هارون النيسابورى والليث بن مقاتل . توفي نحو سنة ٢١١ هـ (غاية النهاية ٩/٢) .

(٢) المائدة ١١٧/٥

(٣) مختصر في شواذ القرآن ٣٦

(ج) وقرأ قوله تعالى : (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ ، أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ^(١) برفع «الحق» الأعمش ^(٢) وزيد ابن علي ^(٣) .

(د) قرأ عيسى بن عمر «أَقْلُ» بالرفع ^(٤) في قوله تعالى : (إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقْلُ مِنْكَ مَا لَا وُلْدًا) ^(٥) .

(هـ) حكى أبو معاذ «الحقُّ» بالرفع ^(٦) في قوله تعالى : (وَيَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ) ^(٧) .

(و) وقرأ أبو السمال ^(٨) وابن السميّفع (هو خيرٌ وأعظمُ) برفعهما ^(٩) في قوله تعالى : (وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ نَدَى اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا) ^(١٠) .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ٤٩ ، والبحر المحيط ٤٨٨/٤

(٤) المرجع السابق ١٢٩/٦

(٦) مختصر في شواذ القرآن ١٢١

(٨) شواذ القراءة للكرمانى ٢٥٢ ، والبحر ٣٦٧/٨

(١٠) المزمّل ٢٠/٧٣

(١) الأنفال ٣٢/٨

(٣) البحر المحيط ٤٨٨/٤

(٥) الكهف ٣٩/١٨ .

(٧) سبأ ٦/٣٤

(٩) البحر ٣٦٧/٨

سابعاً : ظاهرة النصب

١ - المثني وما الحق به :

القاعدة العامة للمثني أن يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء لكن بعض العرب - ومنهم بعض بني تميم - لم يسيروا وفق هذه القاعدة فالتزموا بالألف في الحالات الثلاث قال السيوطي : « ولزوم الألف في الأحوال الثلاثة لغة معروفة عزيزت لكنانة ، وبني الحارث ابن كعب ، وبني العنبر ، وبني الهجيم ، وبطون من ربيعة ، وبكر بن وائل ، وزبيد ، وخثعم ، وهمدان ، ومراد ^(١) ، وعذرة ^(٢) » .

وإذا نظرنا إلى الناطقين بهذه الظاهرة نجدهم موزعين في نسبهم بين اليمنية والعذنانية ، فخمسة بطون منها تنتمي إلى كهلان بن سبأ ^(٣) ، وهي : بلحارث بن كعب ^(٤) ، وزبيد ^(٥) ، وخثعم ^(٦) ، وهمدان ^(٧) ، ومراد ^(٨) ، وخمسة تنتمي إلى العذنانية ، وهي : كنانة ^(٩) ، وربيعة ^(١٠) ، وبكر ^(١١) ، والعنبر والهجيم ^(١٢) ، وبطن يتأرجح بين العذنانية واليمنية ، فينتهي إلى قضاعة ^(١٣) وهو عذرة ^(١٤) .

ونجد هؤلاء المتكلمين موزعين ما بين الجنوب الغربي للجزيرة والشمال الشرقي لها : يقيم الكهلانيون في الجنوب الغربي ، فبنو الحارث كانوا بنواحي نجران ^(١٥) وكانت

(١) في الأصل « مزادة » والتصويب من البحر ٢٥٥/٦

(٢) مع الهوامع ٤٠/١ ، وانظر : شرح التسهيل ٦٦/١ واكتفى في النسبة إلى بني الحارث وبني الهجيم وبني العنبر ، والبحر ٢٥٥/١ ولم يرد فيه ذكر « وبطون من ربيعة وبكر بن وائل » وفيه « وأهل تلك الناحية » بدلا من « وهمدان وانظر كذلك شرح شواهد الأسماء ٧٠/١ ، ٧١ ، ولم يذكر « مراد وعذرة » وفيه « بطون ربيعة » بدل « ربيعة وبكر » .

(٣) انظر : جمهرة أنساب العرب ٤٠٥ وما بعدها .

(٤) المرجع السابق ٤١٦ و ٤٠٥ (٥) المرجع السابق ٤١١ و ٤٠٥

(٦) عجالة المبتدئ ٥٣ (٧) المرجع السابق ١٢٥

(٨) المرجع السابق ١١٣ (٩) جمهرة أنساب العرب ١١

(١٠) المرجع السابق ١٠ (١١) « بكر » فرع من ربيعة (جمهرة ٣٠٢)

(١٢) وهما بطنان من تميم . (١٣) عجالة ١٠٥

(١٤) المرجع السابق ٩٢

(١٥) صبح الأعشى ٣٢٠/١ ، وصفة جزيرة العرب ١١٦

تجاورهم زبيد^(١) التي تجاورها مراد^(٢) وخنعم كانت تسكن جبال السراة وما والاها ثم ما بين بيشة وتربة وما صاقب تلك البلاد ووالاها^(٣) . وهمدان كانت تقيم شرق اليمن . وتعد مساكن كنانة قريبة من خنعم ، فقد كانت تقيم بتهامة بالقرب من مكة^(٤) . فأما بقية العدنانيين فقد كانوا يقيمون في الشمال الشرقي للجزيرة . وقد تحدثنا عن مساكنهم . من هذا العرض يتبين لنا أن هذه الظاهرة كانت منتشرة في كثير من أنحاء الجزيرة والذي يعيننا من كل أولئك الناطقين بهذا اللون من الكلام مَنْ ينتمون إلى تميم وهم بنو العنبر وبنو الهجيم ابنا عمرو بن تميم .

تفسير الظاهرة :

تنوع حالات إعراب المثني في اللغات السامية أقدم من اتفاقها ومن ذلك أن الأكديّة فيها مثلاً ṭmēn (عينان) في حالة الرفع و ṭmēn في حالة النصب والجر^(٥) . وظاهرة إعراب المثني بالآلف في الحالات الثلاث يمكن تفسيرها وفق قانون السهولة وذلك بانكماش الصوت المركب (diphthong) أي ay فيحول إلى كسرة طويلة ممالة كالذي نلاحظه في نطق المثني في عاميتا المصرية مثل « ولَدَيْن walaḍēn بدلا من « وَلَدَيْن » . ثم تحولت هذه الكسرة الطويلة الممالة إلى فتحة طويلة وهو شبيه بتحول الإمالة فيما أصله الياء إلى الآلف عند الحجازيين .

ولهذا التحول نظائر في عاميتنا مثل « فان » — عند بعض سكان الصعيد — المتطورة عن « فِين » والتي أصلها فَيْن (اختصار فَائِنَ) . كما أن له نظائر في العربية القديمة مثل : « عاب » و « باع » المتطورين عن « عَيْب » و « بَيْع »^(٦) . وقد عرضنا لهذا التطور عند حديثنا عن الإمالة .

(١) صفة جزيرة العرب ١٣٦

(٢) معجم قبائل العرب ١٠٦٦/٣

(٣) معجم ما استعجم ٦٣/١ ، ومعجم قبائل العرب ٣٣١/١

(٤) انظر : معجم قبائل العرب ٩٩٦/٣ ، ٩٩٧

(٥) فصول في فقه العربية ٣٨٣

(٦) التطور اللغوي ٥١ ، وانظر أيضا : التطور وقانون السهولة والتيسير (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة

موقف النماذج الأدبية من هذه الظاهرة :

(أ) القراءات :

❏ وإذا ما اتجهنا إلى القراءات الفرآنية لنعرف موقفها من هذه اللغة ، وجدنا أنه قد قرئ بها في آيتين كريمتين :

الأولى : قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ)^(١) . وقد قرأ بتشديد نون « إن » و « هذان » (بالالف) من الأئمة الأربعة عشر : نافع ، وابن عامر وأبوبكر (عن عاصم) ، وحمزة ، والكسائي^(٢) ، وأبو جعفر ، ويعقوب وخلف والشنبوذى ، والحسن^(٣) .

والآية الثانية قوله عز وجل : (فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ)^(٤) ، وقرأ أبو سعيد الخدريّ والجدري « مؤمنان »^(٥) .

(ب) الحديث :

كما أن هذه اللغة وردت في الحديث الشريف ، فعن قيس بن طلق بن علي عن أبيه ، قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لا وتران في ليلة »^(٦) .

(ج) الشعر :

❏ أما في الشعر فقد وردت في بعض أشعار استشهد بها النحاة على هذه الظاهرة لا نجد منها شعرا تميميا ، اللهم إلا ما تأرجحت نسبته ما بين رؤية التميمي وغيره ممن ينتمون إلى قبائل أخرى ، وذلك مثل :

* إن أباه وأبا أباه *

* قد بلغا في المجد غابتها *^(٧)

* * *

(٢) السبعة في القراءات ٤١٩

(٤) الكهف ٨٠/١٨

(١) طه ٦٣/٢٠

(٣) إتخاف ٣٠٤

(٥) البحر ١٥٥/٦ ، ونسبها ابن جني لأبي سعيد فقط (احتساب ٣٣/٢) . والقارىء الأخير هو : عاصم بن أبي الصباح العجاج ، وقيل : ميمون أبو الجشتر الجدري البصري . قرأ على نصر بن عاصم والحسن وتوفي سنة ٢٢٨ هـ (غاية النهاية ٣٤٩/١) .

(٦) صحيح الترمذى ٢٥٤/٢

(٧) البيت في شرح الأشموني ٧٠/١ دون نسبة ، وذكر العيني أنه ينسب إلى رؤية وإلى أبي النجم العجلي ، وإلى رجل من النعمان (شرح شواهد الأشموني ٧٠/١)

٢ - بعض الأسماء الستة (أب - أخ - حم) :

للعرب في الأسماء الستة عدة مذاهب ، أشهرها أنها ترفع بالواو وتنصب بالالف وتجر بالياء^(١) ، ومنها قصرها أي الالتزام بالالف في حالات الإعراب الثلاث - وهذا هو الذي يعنيننا - وقد ذكر ابن مالك (ت نحو ٦٧٢ هـ) أن القصر خاص بثلاثة أسماء من الستة ، وهي : أب ، وأخ ، وحم . ولكنه لم يحدد نسبتها إلى قوم معينين^(٢) والذين نسبوا اقتصرُوا على لفظ الأب دون اللفظين الآخرين ، جاء في نوادر أبي زيد : « وقالت امرأة من بني سعد جاهلية ، ولم أسمعها من المفضل :

وقد زعمو أنني جزعتُ عليها وهل جزع إن قلت يا بآباها

قال : يقال : بآبا أنت وأمي ، فاستثقلوا الياء مع الكسرة قبلها ففتحوها^(٣) » وقال العيني تعقيباً على قول القائل :

إن آباها . . .

« والشاهد في موضعين :

الأول - أنه استعمل الأب مقصوراً .

والثاني - فيه استعمال المثني بالالف في حالة النصب . . . ونسب الكسائي هذه اللغة إلى بلحارث وزبيد وخثعم وهمدان ونسبها أبو الخطاب^(٤) لكنانة ونسبها بعضهم لبلعنبر وبلهجم ويطون من ربيعة^(٥) .

وإذا كان أبو زيد ذكر أن هذه الحالة سمعت من إحدى نساء بني سعد وإذا كانت السعود كثيرة ، فإننا نرجح أنها من سعد بن زيد مناة بن تميم ، بدليل أن النص الذي نقلناه عن العيني نسبها إلى تلك القبائل التي كانت تنطق المثني دائماً بالالف ، ومن بين

(١) تهيل الفوائد ٨ ، ٩ وشرح التهيل ٤٦/١

(٢) تهيل الفوائد ٩ وشرح التهيل ٤٩/١

(٣) نوادر أبي زيد ١١٥ ، ١١٦

(٤) هو الأخفش الأكبر (انظر ترجمته في : نزهة الألباء ٢٩)

(٥) شرح شواهد الأشموني ٧٠/١ ، ٧١

هؤلاء بنو العنبر وبنو الهجيم وهما بطنان من بنى عمرو بن تميم ، ثم انتقلت إلى بعض بنى سعد بحكم الجوار بينهم وبين بنى يربوع حيث كانوا يسكنون الدهناء .
الظاهرة في الوقت الراهن :

نلاحظ أن هذه الظاهرة لدى اليمنيين الجنوبيين ، فهم يقولون مثلاً : باحسين وبامحفوظ ، فهي عندهم متوارثة عن أجدادهم .

تفسير الظاهرة :

يمكن تعليل هذه الظاهرة وفق قانون سيادة إحدى حالات الإعراب على غيرها من الحالات في التطور اللغوي . ومن ذلك أن هذه الأسماء تلزم الواو في الآرامية والياء في العبرية^(١) ، والواو في عامية مصر والتونسية والجزائرية كبو مدين وبو تغليقة .

* * *

٣ - خبر « ليت » وأخواتها :

« ليت » من أخوات إن ، وهي تدخل على الجملة الاسمية فينصب بعدها المبتدأ ويرفع الخبر ، إلا أننا وجدنا خصوصاً من النثر والشعر ينصب فيها ركناً الجملة ، من ذلك .

١ - إن :

(أ) قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفاً^(٢) »

(ب) قول عمر بن أبي ربيعة :

إِذَا اسْوَدَّ جُنْحُ اللَّيْلِ فَلْتَأْتِ وَلْتَكُنْ

خُطَاكَ خِفَافاً إِنَّ حُرَّاسَنَا أَسَدَا^(٣)

(ج) وقول الشاعر :

* إِنَّ الْعَجُوزَ خَبَّةً جُرُوزًا *

* تَأْكُلُ فِي مَقْعَدِهَا قَفِيرًا^(٤) *

(١) من حديث شخصي مع الدكتور رمضان عبد التواب . (٢) المغني ٣٥/١

(٣) حاشية الأمير والمغني ٣٥/١ ، وبدون نسبة في شرح الأشموني ٢٦٩/١

(٤) الدرر اللوامع ١١٢/١ والبيت الأول في معجم الهوامع ١٣٤/١ وفيه « حية »

٢ - ليت :

(أ) من أمثال العرب «لَيْتَ الْقَيْسِ كُلُّهَا أَرْجُلًا»^(١)

(ب) قول العجاج أو رؤبة :

* ياليت أيام الصُّبا رواجعًا *^(٢)

(ج) وقول الشاعر :

ليت هذا الليل شهرا لانرى فيه غريبا^(٣)

٣ - لعل :

(أ) حكى يونس : لعل أباك منطلقا^(٤)

(ب) «سمع : لعل زيدا أخانا»^(٥)

٤ - كأن :

(أ) قال محمد العُماني أو أبو نُخيلة :

* كَأَنَّ أُذُنِيَّ إِذَا تَشَوَّفَا *

* قَادِمَةً أَوْ زَقْلَمًا مُحَرَّفَا *^(٦)

وجدنا النحاة إزاء هذه النصوص وأشباهاها فريقين :

الأول - جمهورهم : أولها^(٧) ، وقال الصبان : «ظاهره أن ذلك لغة ، وبه صرح

(١) مجمع الأمثال ١٨٧/٢

(٢) الرجز منسوب للعجاج في طبقات فحول الشعراء ٦٥ ، وحاشية الأمير ٢٢٢/١ ونسب لرؤبة في شرح المفصل ١٠٤/١ وهو غير منسوب في المغني ٢٢٢/١ وجمع الهوامع ١٣٤/١ وليس في ديوان العجاج ورؤية .

(٣) البيت في لمع الأدلة في أصول النحو ٣٠ . وفي الكتاب عدة شواهد أخرى على « ليت » .

(٤) المغني ٢٢٢/١ (٥) جمع الهوامع ١٣٤/١

(٦) الدور اللوامع ١١٢/١ ، والبيت بدون عزو في الأشموني ٢٧٠/١ ، وجمع الهوامع ١٣٤/١ ، (والهاء في أذنيه تعود على الحمار ، قادمة إحدى قوادم الطير والقلم : آلة الكتابة - الدور اللوامع) .

والشاعر الثاني هو أبو نخيلة ابن حزن الحماني من أشهر الرجاز ، توفي نحو سنة ١٤٥ هـ (انظر ترجمته بالأغادر

٣٦١/٢ - ٣٩٢) وجمع عباس توفيق شعره ونشره بمجلة المورد العراقية (المجلد ٧ العدد ٣ ص ٢٤٩ - ٢٦٦)

(٧) جمع الهوامع ١٣٤/١

بعضهم ، ومنع الجمهور ذلك ، وأولوا ما ثبت منه بأن الجزء الثاني حال والخبر محذوف^(١) .
وقيل في التأويل غير ذلك^(٢) .

الآخر - يرى أنه لغة ، وقد انقسم هذا الفريق إلى طائفتين :

الأولى : وترى ذلك بعد « إن » وجميع أخواتها ، ولم تعزها إلى قوم معينين من العرب ،
ومن قال بذلك : أبو عبيد القاسم بن سلام^(٣) وابن سيده^(٤) ، وابن الطراوة وابن
السيد^(٥) .

الثانية : وكانت ترى ذلك بعد :

١ - ليت :

والذين جعلوا نصب الجزئين بعد « ليت » فقط انقسموا إلى فئتين :

(أ) فئة لم تنسبها إلى قوم معينين ، ورأينا ذلك عند الفراء^(٦) ، والكسائي^(٧)
(ب) والفئة الأخرى حددت الناطقين بها بأنهم بنو تميم ، نذكر من هؤلاء ابن سلام ،
وأبو حنيفة ، والميداني ، وابن يعيش :

١ - قال ابن سلام « وقال العجاج :

* ياليت أيام الصبا رواجعا *

وهي لغة لهم سمعت أبا عون الحرمازي ، يقول : ليت أباك منطلقا وليت زيدا قاعدا ،
وأخبرني أبو يعلى : أن منشأه بلاد العجاج فأخذها عنهم^(٨) والمعروف أن الحرمازي من
بنى سعد قوم العجاج .

٢ - جاء في خزنة الأدب : « وزعم أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات أن
لنصب الجزئين بليت لغة بني تميم^(٩) » .

(١) حاشية الصبان ٢٦٩/١
(٢) مع الهوامع ١٣٤/١
(٣) مع الهوامع ١٣٤/١
(٤) مع الهوامع ١٣٤/١
(٥) مع الهوامع ١٣٤/١ ، والمغنى ٢٢٢/١ ، وخزانة الأدب ٢٩٠/٤
(٦) مع الهوامع ١٣٤/١ ، والمغنى ٢٢٢/١ ، وخزانة الأدب ٢٩٠/٤
(٧) خزنة الأدب ٢٩١/٤
(٨) طبقات فحول الشعراء ٦٥
(٩) خزنة الأدب ٢٩١/٤

٣ - قال الميداني :

* « ليت القيسي كدّها أرجلا *

كذا ورد المثل نصبا ، وهي لغة تميم يعملون ليت عمل ظن فيقولون :
ليت زيدا شاخصا ^(١) .

٤ - قال ابن يعيش : « وكان بعضهم ينصب الاسم والخبر بعد ليت تشبيها لها
بوردت وتمنيت ؛ لأنها في معناها ، وهي لغة بني تميم يقولون : ليت زيدا قائما ^(٢) .

٢ - لعل :

كان شأنها مع النحاة شأن « ليت » فالذين قالوا بنصب الجزئين بعدها انقسموا إلى فئتين :
الأولى : لم تنسبها إلى قوم معينين . ومن قال بذلك : يونس ^(٣) والفراء ^(٤) ، وعزاه
ابن هشام إلى بعض أصحاب الفراء الذين قالوا « وقد ينصبهما » ^(٥) .

الثانية : وقد نسبت نصب الجزئين إلى تميم ، ومن هؤلاء أبو البركات كمال الدين
الأنباري ، فقد قال : « حكى عن بعض بني تميم أنهم ينصبون خبر لعل ، فيقولون :
لعل زيدا أخانا » ^(٦) .

٣ - كأن :

نقل البغدادى عن الفراء نصبها للركنين ^(٧) ، ولكن الشاهد الذى أورده النحاة
على هذه الحالة (كأن أذنية . . . قادمة . . .) اعترض عليه من نحاة آخرين وقروا
أن التأويل فيه « متعين لئلا يلزم الإخبار بالمفرد عن المثني » ^(٨) .

٤ ، ٥ - أن ، ولكن :

أما إن ولكن فرغم تعميم بعض النحاة نصب المبتدأ والخبر بإن وجميع أخواتها
- كما سبق أن ذكرنا - إلا أننا وجدنا من النحاة من يقررون أن النصب « لم يسمع
في خبر إن ولا في خبر لكن » ^(٩) .

(٢) شرح المفصل ١٠٤/١

(٤) خزانة الأدب ٢٩١/٤

(٦) لمع الأدلة في أصول النحو ٣٠

(٨) حاشية الصيان ٢٦٩/١

(١) مجمع الأمثال ١٨٧/٢

(٣) المغنى ٢٢٢/١

(٥) المغنى ٢٢٢/١ .

(٧) خزانة الأدب ٢٩١/٤

(٩) خزانة الأدب ٢٩١/٤

تعقيب :

نخلص مما سبق أنه نسب إلى تميم نصب جزئي الجملة بعد ليت ولعل ، والأولى هي التي اشتهرت وذلك ما دعانا إلى اختيارها عنواناً لهذا الموضوع . وليس لدينا نصوص تعيننا على تعميم هذه القاعدة على « إن » وجميع أخواتها عند بني تميم . وبالطبع لا ننكر أنها كانت ظاهرة لدى بعض العرب ولكن لا نستطيع تحديدهم . ومن المحتمل أن يكونوا من تميم قياساً على « ليت » و « لعل » .

وإلى جانب هذا أرى أن نصب الخبر بليت واصل لم يكن شائعاً لدى بني تميم جميعاً . فبنو تميم قبيلة كبيرة موزعة في شرق الجزيرة ، ذلك إلى أن هذا الأمر لو كان شائعاً لديهم جميعاً لوجدنا كتب النحو تحرص على هذه النسبة ، شأنها في ذلك شأن الحالات الأخرى التي حرصت على نسبتها إليها مثل « ما » التميمية ، وذلك لأن تيممياً إحدى القبائل - كما قلنا - التي حرص علماؤنا الأوائل على الاعتداد بلغتها فإذا شئت في أمر ما أشير إليه . ويرجح رأينا في عدم شيوعها لدى التميميين ما نقله ابن سلام - من أنها كانت لغة العجاج وقومه . ونلاحظ أنه قد تكلم بهذه اللغة غير تميميين فالشاعر الذي قال : « إن حراسنا أسدا » وهو عمر بن أبي ربيعة حجازي^(١) ولعل القافية هي التي اضطرتته إلى ذلك مستنداً إلى أنه يراعى إحدى اللغات العربية . وإن لم تكن لغته وهذا أرى كان مألوفاً لدى الشعراء . ولاحظنا أيضاً أنها وردت على لسان الرسول ، صلى الله عليه وسلم . على أننا وجدنا الرواية لهذا الحديث في صحيح مسلم « إن قعر جهنم لسبعون خريفاً »^(٢) .

تفسير الظاهرة :

يمكن أن يفسر موقف التميميين بشأن الجملة بعد أن مرت بالمرحلتين :

١ - الرفع دون دخول أداة سابقة عليها .

٢ - نصب المبتدأ ورفع الخبر لدخول إن أو إحدى أخواتها عليها .

بعد هاتين المرحلتين توهم بعض التميميين أن الخبر يتبع المبتدأ فنصبه . وهذا شبيهه بخفض كلمة « خرب » في قولهم « هذا هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ »^(٣) .

(١) انظر ترجمته في الأغاني ٧١/١ (٢) صحيح مسلم ١٢٦/١ (٣) انظر : الكتاب ٤٣٦/١

ويرى شبستار ومن قبله فليشر وبروكلمان أن النصب بـ « ليت » ناشئ من « رأيت زيدا قائماً »^(١) أي أن همزة « رأيت » حذفت فصارت الكلمة « ريت » التي تطورت بدورها إلى « ليت » بإبدال الراء لاما . ولكن لا أوافقهم على ذلك لأمرين :

- ١ - إن نصب الجزئين ليس خاصا بليت بل يعم أخواتها .
- ٢ - إن التمييزين - وهم الذين عزيت إليهم هذه الخاصية - كانوا أهل تحقيق . ذلك إلى أن هذا الفعل (رأي) اتفق العرب جميعاً محققون وغير محققين على تحقيقه في الماضي ، وقد عرضنا لذلك من قبل .

* * *

٤ - تمييز كم الخبرية :

لكي ندرس تمييز كم الخبرية عند تميم ، يجدر بنا أن نذكر أحوال هذا التمييز عند العرب جميعاً .

نصت كتب النحو على أن تمييز كم الخبرية يكون :

- ١ - جمعاً مجروراً .
 - ٢ - مفرداً مجروراً .
 - ٣ - منصوباً عند الفصل بينه وبين كم .
 - ٤ - منصوباً دون فاصل ، وهذه لغة تميم .
- (وبالنسبة للحالتين الأخيرتين، قيل يجوز أن يكون التمييز مفرداً أو جمعاً ، وقيل لا يكون إلا مفرداً)^(٢) .

٥ - جمعاً منصوباً ، سواء بفصل أو بغيره ، لكن لم يستشهد على ذلك^(٣) .

وإذا ضربنا صفحا عن الحالات التي لم يستشهد لها ، وجدنا تمييز كم الخبرية ، إما مفرداً مجروراً وهو الكثير وأما جمعاً مجروراً ، وإما مفرداً منصوباً لوجود فاصل أو دون فاصل وعزيت هذه الحالة الأخيرة إلى بنى تميم .

(١) العربية ليوهان فك ١٠٠ (الحاشية)

(٢) همع الهوامع ٢٥٤/١ ، ٢٥٥ ، وانظر : شرح الأشموني ٨٠/٤ ، ٨١ وأوضح المسالك ٢٥١ وهما لم يتعرضا للحالة الثالثة ونصا على أن لغة تميم تنصب التمييز إذا كان مفرداً ، وكذلك نص على الأفراد لدى تميم صاحب الدرر اللوامع ٢١١/١ .

(٣) همع الهوامع ٢٥٥/١

وأرى أن هذه الحالات ترجع إلى فترات مختلفة أقدمها الجمع المجرور ، إذ التقدير عند الإخبار عن كثرة الرجال مثلا « كثيرٌ من الرجال عندي » ثم تنوعت الصور إذ قاس بعض العرب تمييزها على تمييزكم الاستفهامية ، وهو الأفراد مع النصب على ما نلاحظ عند تميم . وخالط بعضهم فجمع بين التمييزين فمنهم من جعله مفردا مجرورا آخذا من تمييز الاستفهامية بالأفراد ومن الخبرية بالجر ، ومنهم من أخذ من الاستفهامية النصب ومن الخبرية الجمع فجعلوا الخبر جمعا منصوبا .

وشيء طبيعي أن تظل هذه الصور على اختلافها ، لأنها تمثل بيئات متنوعة ومراحل زمنية مختلفة .

ثامناً : ظاهرة الاتباع

١ - الاستثناء المنقطع :

لا يخلو الكلام السابق لـ « إلا » من أن يكون : تاماً موجباً ، أو تاماً سالباً ، أو ناقصاً سالباً .

أما التام الموجب ، فهو مثل : قام القوم إلا علياً . ويتفق العرب في نصب هذا المستثنى^(١) وأما الناقص السالب ، ويسمى المفرغ ، مثل : ما قام إلا محمدٌ ، فيستفنون أيضاً في إعراب ما بعد إلا بحسب موقعه من الإعراب^(٢) ، ولم يختلفوا إلا فيما إذا كانت أداة النفي « ليس » فالحجازي ينصب والتميمي يرفع ، وقد أوضحنا ذلك عند الحديث عن « ليس » في « ظاهرة الرفع » .

وإذا كان ما قبل « إلا » تاماً منفيًا ، فلا يخلوا أن يكون ما بعدها جزءاً مما قبلها ، وهو ما يطلق عليه « الاستثناء المتصل » وهذا يجوز فيه النصب والاتباع لما قبل إلا ، مثل : ما قام أحدٌ إلا زيدا أو زيداً^(٣) ، أو أن يكون ما بعدها ليس جزءاً مما قبلها ، وهو مثل : ما انصرف الرجال إلا طفلاً . وهو ما يسمى بالاستثناء المنقطع . وقد كان هذا النوع موضع خلاف بين التميميين والحجازيين :

١ - يقرر سيبويه (ت نحو ١٨٠ هـ) أن مذهب بني تميم في هذا الاستثناء الإبدال من المستثنى منه ، في حين إن الحجازيين ينصبونه ، قال : « هذا باب ما يختار فيه النصب لأن الآخر ليس من نوع الأول ، وهو لغة أهل الحجاز ، وذلك قوالك : ما فيها أحدٌ إلا حماراً ، جاعوا به على معنى : ولكن حماراً ، وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول فيصير كأنه من نوعه فحمل على معنى ولكن ، وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين في الدرهم ، وأما بنو تميم

(١) شرح المفصل ٧٧/٢ ، وشرح ابن عقيل ٥٩٧/١ ، وشرح الأشموني ١٤٢/٢

(٢) شرح ابن عقيل ٦٠٣/١ ، وشرح الأشموني ١٤٨/٢

(٣) شرح المفصل ٨١/٢ ، وشرح ابن عقيل ٥٩٩/١ ، وشرح الأشموني ١٤٦/٢ (ولا أعتقد أن العرب جميعاً تكلموا بالهجين معاً فكان الشخص مرة يتبع وأخرى ينصب ، وإنما هما لغتان مما لم ينسبهما النحاة للويهما ، أو نسباً ولم يقع نظرنا على هذه النسبة بعد) .

فيقولون : لا أَحَدَ فِيهَا إِلَّا حِمَارٌ ، أَرَادُوا لَيْسَ فِيهَا إِلَّا حِمَارٌ ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ أَحَدًا تَوَكِيدًا ، لِأَنَّهُ يُعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ فِيهَا آدَمِيٌّ ثُمَّ أَبْدَلَ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ فِيهَا إِلَّا حِمَارٌ^(١) .

ويوافق المبرد (ت ٢٨٥ هـ) . وابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) سيبويه في رأيه وهو أَنَّ بَنِي تَمِيمٍ كَانُوا يَبْدِلُونَ الْمُسْتَشْنَى مِنَ الْمُسْتَشْنَى مِنْهُ^(٢) .

لَكِنَّا نَجِدُ النُّحَاةَ الْمُتَأَخِّرِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ التَّمِيمِيِّينَ كَانُوا يَجِيزُونَ النَّصْبَ وَالْإِبْدَالَ ، قَالَ ابْنُ يَعِيشَ (ت ٦٤٣ هـ) : « وَقَوْلُكَ : مَا جَاءَنِي أَحَدٌ إِلَّا حِمَارًا وَمَا بِالْدارِ أَحَدٌ إِلَّا دَابَّةٌ ، فَهَذَا وَشِبْهَهُ فِيهِ مَذْهَبَانِ : مَذْهَبُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَهُوَ اللُّغَةُ الْفَصِيحِيَّةُ ، وَذَلِكَ نَصْبُ الْمُسْتَشْنَى عَلَى كُلِّ حَالٍ . . . وَمَذْهَبُ بَنِي تَمِيمٍ وَهُوَ أَنَّ يَجِيزُوا الْبَدَلَ وَالنَّصْبَ »^(٣) .

وَمِمَّنْ وَافَقَ ابْنَ يَعِيشَ فِي قَوْلِهِ ابْنُ مَالِكٍ^(٤) (ت ٦٧٢ هـ) وَابْنُ عَقِيلٍ^(٥) (ت ٧٦٩ هـ) وَالْأَشْمُونِيُّ^(٦) (ت ٩٠٠ هـ) ، وَخَالِدُ الْأَزْهَرِيُّ^(٧) (ت ٩٠٥ هـ) .

وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجْزِمَ أَيَّ الرَّأْيَيْنِ هُوَ الصَّوَابُ ، لِأَنَّنَا لَا نَجِدُ نَصِوْمًا تَمِيمِيَّةً كَثِيرَةً تَعِينُنَا عَلَى اتِّخَاذِ رَأْيٍ حَاسِمٍ ، وَإِنْ كُنْتُ أَمِيلُ إِلَى الرَّأْيِ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْإِتِمَامُ تَمِيمٍ بِالِاتِّبَاعِ ، لِأَنَّهُ وَرَدَ عِنْدَ عُلَمَاءِ مُتَقَدِّمِينَ مَشْهُودٌ لَهُمْ بِتَحَرُّي الدِّقَّةِ .

وَعَلَى كُلِّ فَسْوَاءٍ أَكَّانَ التَّمِيمِيِّينَ يَبْدِلُونَ فَقَطْ ، أَمْ يَجِيزُونَ الْإِبْدَالَ وَالنَّصْبَ ، فَإِنْ الْإِبْدَالَ مَعَ الْمُسْتَشْنَى الْمُنْقَطِعِ خَاصًّا بِهِمْ .

نظرة تاريخية :

وَإِذَا مَا أَرَدْنَا أَنْ نَقَارِنَ بَيْنَ النَّهْجَيْنِ التَّمِيمِيِّ وَالْحِجَازِيِّ ، وَجَدْنَا أَنَّ الْأَوَّلَ يُمَثِّلُ مَرَحَلَةً زَمْنِيَّةً أَقْدَمَ ، وَذَلِكَ لِعَنَائِتِهِ بِالْمَوْسِيقَى ، فَهُوَ قَدْ أَتْبَعَ كُلَّ حَرَكَةٍ بِمُثِيلَتِهَا : الضَّمَّةُ

(٢) المقتضب ٤/١٢٢ ، ٤١٣ ، واللمع ١٥٢

(٤) تهليل الفوائد ١٠٢

(٦) شرح الأشموني ٢/١٤٧

(١) الكتاب ٢/٣١٩ ، ٣٢٠

(٣) شرح المفصل ٢/٨٠

(٥) شرح ابن عقيل ١/٦٠٠

(٧) شرح التصريح ١/٤٢٥

بالضممة ، والفتحة بالفتحة ، والكسرة بالكسرة بخلاف الحجازي الذي استقر على صورة واحدة هي الفتحة التي تعد أيسر الحركات الثلاث نطقاً ، كما سبق أن ذكرنا^(١) .

وقريب من هذا التعليل ما ذهب إليه الدكتور عبده الراجحي إذ يقول : « وإذا كان صحيحاً أن تنسب هذه اللهجة إلى تميم ، فإننا نظن أنها قد تدل على تطور نحوي في العربية ، وأهلها أسبق من لهجة الحجازيين ، إذ إن هذه اللهجة الأخيرة تفرق بين ما إذا كان ما بعد إلا داخلاً فيما قبلها أو خارجاً عنها ، ونحسب أن مثل هذا التفريق يكون متأخراً عن عدمه في لهجة تميم »^(٢) .

القراءات القرآنية والنهج التميمي :

إذا ما عرجنا على كتاب الله عز وجل لنعرف مدى الاعتداد بهذه اللغة ، وجدنا أنه قد قرئ بها إلى جانب الحجازية :

١ - قرأ القراء قوله تعالى : (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله)^(٣) برفع لفظ الجلالة وفقاً للغة التميمية .

٢ - قرأ يحيى بن وثاب (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى)^(٤) برفع « ابتغاء »^(٥) .

حول نسبة الظاهرة إلى تميم وحدها :

علق الدكتور رمضان عبدالنواب على اقتصار النحاة نسبة الإتياع في هذا النوع من الاستثناء إلى تميم بأنه يخلو من الاستقراء الكامل لهذه الظاهرة ، فبينما ترد في قول زياد ابن حمّل التميمي :

لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذْ يَغْدُونَ أَرْضِيَّةً إِلَّا جِيَادُ قَيْسِ النَّبَعِ وَاللُّجُمُ

نجدها عند غير التميميين مثل جرّان العود النميري (مخضرم) في قوله :

* وبلدة ليس بها أنيس *

* إلا اليعافير وإلا العيس *

١٠

(١) وانظر : الأصوات النوية ٣١-٣٢ ، والمدخل إلى علم اللغة ٩٣ ، ٩٤

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٩٠ (٣) النمل ٢٧/٦٥

(٤) الليل ٢٠/٩٢ (٥) مختصر في شواذ القرآن ١٧٤

وضرار بن الأزور الأسدي في قوله :

عَشِيَّةٌ لَا تُغْنِي الرِّمَاحُ مَكَانَهَا وَلَا النَّبْلُ إِلَّا الْمَشْرِفُ الْمُصَمَّمُ

وتوجد في شعر الأخطل وهو تغلبي :

فَرَابِيَةُ السَّكْرَانِ قَفَرٌ فَمَا لَهُمْ بِهَا شَبَحٌ إِلَّا سَلَامٌ وَحَرَمٌ سَل

وفي قول سعد بن مالك بن ضبيعة البكري :

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لَهَا جَمِهَا النَّخِيلُ وَالْمِرَّاحُ

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّجَّةِ مَدَاتِ الْفَرَسِ الْوَقَّاحُ^(١)

وتفسير ورود هذه الظاهرة عند أولئك الشعراء الذين ينتمون إلى قبائل شتى من غير
تميم أن الشعراء لم يكونوا يتقيدون بلغات أقوامهم ، فكانوا يلتزمون باللغة المشتركة
- كما سبق أن ذكرنا - لكنهم كانوا أحيانا يضمنون شعرهم لغات محلية قد تكون
لغة قبيلة لا ينتمون إليها ، من ذلك :

(١) قول جرير :

وَلَكِنْ دِيَّافِيٌّ أَبُوهُ وَأُمُّهُ بَحْوَرَانِ يَعْصِرُونَ السَّلِيْطَ أَقَارِبُهُ^(٢)

وهو هنا يستعمل لغة « أكلوني البراغيث » رغم أنه تميمي ، وهي لغة نسبت لطبي^(٣) .

(٢) نسبت العننة إلى تميم - كما سبق أن ذكرنا - واستشهد عليها معظم اللغويين

بقول ذى الرمة :

أَعْنُ تَرَسَّمْتُ مِنْ خَرَقَاءَ مَنْزِلَةٍ *^(٤)

(١) تراثنا اللغوي في حاجة إلى التهذيب والتنقية ١٥ ، ١٦ . ومراجعته في هذه النصوص الحماسة على التوالي : الحماسة
بشرح المرزوقي ١٤٠٢ ، ديوان جرير ٥٢ ، وتاريخ الطبري ٢٩٧/٣ ، وديوان الأخطل ٢ ، والحماسة ٥٠١/٢ .

(٢) الكتاب ٤٠/٢ ، واللسان (سلت) ١٩٣/٩

(٣) المنى ٣٧/٢

(٤) انظر : الصحاح (هنن) ٢١٦٦/٦

وذو الرمة هذا ليس تميميا وإنما ينتمى إلى بنى عدى بن عبد مناة بن أد^(١).

(٣) قال المستوغر التميمي :

مل مابقي إلا كما قد فاتنا يومٌ يجيءُ وليلةٌ نخدونا^(٢)
و «بَقَى» بفتح القاف بدل «بَقِيَ» بكسرها لغة طيء^(٣).

ونلاحظ أن الشعراء الذين تضمن شعرهم الظاهرة التميمية ينتهون إلى قبائل كانت مجاورة لتميم مما يجعل التأثير بلغتهم أمرا طبيعيا.

* * *

٢ - اعراب العدد من ثلاثة إلى عشرة المضاف إلى ضمير يعود على اسم سابق :

من الأساليب التي استعملها العرب العدد يضاف إلى ضمير يعود على اسم سابق ، مثل «ثلاثة» في قولهم : مررت بهم ثلاثتهم . وقد وجدنا لتميم نهجا يخالف نهج الحجازيين في العدد من ثلاثة إلى عشرة . هذان النهجان هما :

الأول - وهو خاص بالحجازيين ، والعدد فيه دائما منصوب بغض النظر عن إعراب ذلك الاسم السابق^(٤) ويؤوله «سبويه» بالمصدر فيقول : «هذا باب ما جعل من الأسماء مصدرا ... وذلك قولك : مررتُ به وحده . ومررت بهم وحدهم ، ومررت برجل وحده . ومثل ذلك في لغة أهل الحجاز : مررت بهم ثلاثتهم وأربعتهم وكذلك إلى العشرة^(٥)» ويشرح السيوطي (ت ٩١١ هـ) رأى سبويه بقوله : « وتأويله عند سبويه أنه في موضع مصدر وضع موضع الحال ، أى مثلثا أو مخمسا لهم »^(٦).

والثاني - وهو مذهب بنى تميم ، وكانوا يتبعون ذلك العدد في الإعراب الاسم الذي يعود عليه الضمير المضاف إليه^(٧) ، فتقول مثلا : حضر الأصدقاء ثلاثتهم ، وأكرمت الأصدقاء ثلاثتهم وأعجبت بالأصدقاء ثلاثتهم . ويعرب النحاة العدد حينئذ على أنه توكيد^(٨).

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٠٠ (٢) معاني الشعر للأشناداني ١١٦ (٣) اللسان (بقى) ١٨ / ٨٦ .

(٤) الكتاب ٣٧٣/١ ، وتسهيل الفوائد ١٠٨ ، وجمع الهوامع ٢٣٩/١

(٥) الكتاب ٣٧٣/١ (٦) جمع الهوامع ٢٣٩/١

(٧) الكتاب ٣٧٤/١ ، وتسهيل الفوائد ١٠٨ ، وجمع الهوامع ٢٣٩/١

(٨) تسهيل الفوائد ١٠٨ ، وجمع الهوامع ٢٣٩/١

ينحصر الفرق بين الأسلوبين إذن في أن البيئة الحجازية التزمت حركة واحدة في حين إن التميميين استخدموا الحركات الثلاث . وميل الحجازيين إلى حركة واحدة يتفق وما ذهبنا إليه نند الحديث « أمس » و « ما جاء على فعال » من اتجاههم إلى الاكتفاء بحركة واحدة للكلمة . وتمسك التميميين بالحركات الثلاث يتسق وميلهم إلى تعدد الحركات .

* * *

٣ - « عسى » و « اخلولق » و « أوشك » ، والمطابقة بينها وبين الاسم السابق لها :

كان لتمييم نهج في « عسى » وأختيها « اخلولق » وأوشك ^(١) ، فهي عندهم تطابق المسند إليه المتقدم عليها ، إذ يتصل بها ضمير يطابق ذلك الاسم في النوع والعدد . وهي في ذلك تختلف عن اللغة الحجازية التي لا تقر سوى صورة واحدة في جميع الحالات ، تلك الصورة التي استقرت عليها اللغة المشتركة ، فلغة تميم كانت تقول مثلاً :

- زيد عسى أن يقوم
- الهند عست أن تقوم
- الزيدان عسيا أن يقوموا
- الهندان عستا أن تقوموا
- الزيدون عسوا أن يقوموا
- الهندات عسين أن يقمن

على حين أن لغة الحجاز كانت تقول :

- زيد عسى أن يقوم
- الهند عسى أن تقوم
- الزيدان عسى أن يقوموا
- الهندان عسى أن تقوموا
- الزيدون عسى أن يقوموا
- الهندات عسى أن يقمن ^(٢)

وهذا النهج الذي سارت عليه تميم يتفق وماسارت عليه اللغة الفصحى في أفعالها الأخرى ومنها أفعال هذا الباب (المقاربة والرجاء والشروع) وذلك عندما يتقدم المسند إليه المسند ، ويتفق والفعل للتطابق بين المسند والمسند إليه .

(١) يدرس النحاة عسى واخلولق وطائفة أخرى من أدوات ناسخة تحت باب « المقاربة » (انظر مثلاً شرح ابن عقيل ٣٢٢/١) وذلك من باب إطلاق الجزء على الكل ، إذ ليست كلها للمقاربة فعسى واخلولق تدلان على الرجاء بخلاف أوشك التي تدل على المقاربة (انظر : شرح ابن عقيل ٣٢٣/١) .

(٢) شرح الأشموني ٢٦٦/١ ، ٢٦٧ ، وترج التصريح ٢٥١/١ ، رانثر بشأن « عسى » البحر المحيط ١١٣/٨

أما النهج الحجازي فهو وإن كان قد اتبع في اللغة الفصحى يعد شاذاً عن القاعدة العامة . وهذا الشذوذ يمثل مرحلة متأخرة . ولو كان هذا التطور الحجازي خاصاً بعسى وحدها ، لكان مستساغاً لاختلاف العلماء في تحديد نوعه : أهو حرف أو فعل^(١) . ولو ضمنا إلى عسى اخلولق فقط ، لأمكن قبول ذلك ، لأنهما فعلاان غير متصرفين في رأى من لم يعد عسى حرفاً ، وذلك بخلاف أوشك التى لا يشاركها في التصرف من أفعال هذا الباب سوى كاد^(٢) . لكن اللغة لا تعترف بالمنطق في كل قواعدها .

وما ذهبنا إليه فيما يتصل بهذه الأفعال الثلاثة يتفق وما ذهب إليه الدكتور حسن عون بشأن المطابقة عندما يتقدم الفعل الاسم ، وهى الحالة التى عرفت بلغة « أكلونى البراغيث » ، فهو يقول : « من المرجح أن تكون هذه الطريقة فى التعبير أسبق من القاعدة العامة المعروفة الآن ، وهى إفراد الفعل عندما يتقدم الفاعل الجمع ، فالمعقول أن يجمع الفعل مع الجمع ويفرد مع المفرد »^(٣) . وهذه اللغة التى أشار إليها الدكتور عون نسبت إلى طيء وأزد شنوءة وبلحارث^(٤) والأصل فى اللغات السامية أن يعامل الفعل معاملة هذه اللغة^(٥) .

القراءات ولغة تميم :

وردت كلمة « عسى » فى قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهن)^(٦) ، وقد قرأ وفق اللغة التميمية (عسوا أن يكونوا) و (عسين أن يكن) عبد الله بن مسعود وأبي^(٧) .

(٢) شرح الأشموني ٢٦٤/١

(١) المغنى ١٣٢/١

(٤) المغنى ٣٧/٢

(٣) اللغة والنحو ٦١

(٥) فصول فى فقه العربية ٩٩ ، وانظر فصوص من اللغات السامية ٧ ، ٧٩ ، ١٢١

(٦) الحجرات ٤٩ / ١١

(٧) مختصر فى شواذ القرآن ١٤٣ ، والبحر المحيط ١١٣/٨ ، والقارىء الأخير هو : أبو المنذر أبى بن كعب بن قيس النجارى ، الأنصارى ، كان من كتاب الوحي وقرأ على النبى - صلى الله عليه وسلم - وقرأ عليه - صلى الله عليه وسلم - بعض القرآن للإرشاد والتعليم . توفى فى عهد عمر أبو عثمان (معرفة القراء ٣٣ ، ٣٢/١ ، وغاية النهاية ٣١/١ ، ٣٢) .

تاسعا : الحذف

حذف خبر « لا » النافية للجنس :

المراد بـ « لا » هنا التي تنص على استغراق النفي للجنس كله ، ولذلك لا يجوز أن يقال مثلا : لا رجل قائما بل رجلا^(١) . وهي تعمل عمل إن^(٢)

وقد اختلف التميميون والحجازيون في ذكر خبرها أو حذفه . وللعلماء في حذف الخبر عند تميم مذهبان :

١- إذا دل دليل على الخبر وجب حذفه عند تميم وكثر عند الحجازيين ، قال ابن مالك : « وإذا علم [أى الخبر] كثر حذفه عند الحجازيين ولم يلفظ به عند التميميين »^(٣) . وقد ذكر بعض العلماء مضمون نص ابن مالك هذا ، غير أنهم أشركوا طعنا مع تميم في عدم التلغظ بالخبر ، نذكر منهم : ابن عقيل^(٤) ، والأشموني^(٥) والسيوطي^(٦) . ومثال حذف الخبر مع العلم به : لا اله إلا الله ، ولا غلام ، أى لا غلام لنا^(٧) ، ولا رجل ، إجابة عمن سأل : هل من رجل قائم^(٨) ؟

٢- وجوب حذفه عند بنى تميم . ومن رأى ذلك الزمخشري وابن يعيش ، قال الزمخشري : « وبنو تميم لا يثبتونه في كلامهم أصلا »^(٩) . ولما صادفت أولئك العلماء أمثلة اشتملت على الخبر بحيث لو حذف لا يعلم ، أولوه ، وذلك مثل : لا رجلا أفضل منك ولا أحدا خيرا منك ، فقالوا إن « أفضل » نعت لرجل على الموضع ، وكذلك « خير » نعت لأحد على الموضع^(١٠) .

وواضح أن المذهب الأول أقرب إلى الصواب ، لأن أصحابه لم يحتاجوا إلى تأويل ما خالف قاعدتهم .

(٢) تسميل الفوائد ٦٧
(٤) شرح ابن عقيل ٤١٣/١
(٦) همع الهوامع ١٤٦/١
(٨) شرح ابن عقيل ٤١٣/١
(١٠) شرح المفصل ١٠٧/١

(١) شرح ابن عقيل ٣٩٣/١
(٣) المرجع السابق .
(٥) شرح الأشموني ١٧/٢
(٧) شرح المفصل ١٠٧/١
(٩) المفصل (ضمن شرح المفصل) ١٠٧/١

تفسير الظاهرة :

حذف خبر « لا » النافية للجنس نوع من الاختصار النطقي ، يمكن أن نطلق عليه « اختصار جُملى » وهو يلائم البيئة الصحرواية ، فالتكلم قد تكون بينه وبين المخاطب مسافة شاسعة ، فاو نطق كل أجزاء الجملة فقد يسمعها المخاطب بغير وضوح . فيكتفى حينئذ بجزء من الجملة يؤدي الدلالة كاملة . وهذا شبيه بلغة البرقيات في عصرنا الحاضر أما البيئة المستقرة فيندر فيها وجود الحاجز بين المتكلمين ، وليست هناك بالتالى ضرورة إلى بتر جزء من أجزاء الكلام . فشيء طبعى إذن ألا يكثُر حذف خبر « لا » النافية للجنس عند الحجازيين كثرته عند بني تميم .

الباب الخامس
المستوى الدلالي

الترادف : المشترك اللفظي ، والتضاد

الأصل في اللغة أن يكون للمدلول الواحد لفظ واحد يدل عليه ، لكن مرور الزمن يؤدي إلى نشوء عوامل معينة تجعل المتكلمين يطلقون على بعض المسميات أكثر من لفظ أو يطلقون بعض الكلمات على أكثر من معنى ، يقول الإمام الشافعي « وتسمى العرب الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة وتسمى بالاسم الواحد المعاني الكثيرة ، وإن ذلك من سنن العرب »^(١) . وقد يصل الاختلاف في المعنيين إلى درجة التضاد .

وقد درات مباحث كثيرة حول هذه الظواهر الثلاث بين العلماء قديما وحديثا ما بين مثبت لها ومنكر . ولسنا هنا بصدد الحديث من هذه الزاوية ، فهذا مجاله الكتب المصنفة لهذا الغرض^(٢) .

وسينحصر حديثنا في الألفاظ التي نسبها اللغويون إلى اللغة التميمية مخالفة اللغة المشتركة أو إحدى لغات القبائل العربية على أنها جزء من الثروة اللفظية للعربية .

ولن نتعرض لهذه المصطلحات الثلاثة إلا بالتقدير الذي يعيننا على دراسة الألفاظ التي عزاه اللغويون إلى تميم مخالفين غيرهم في دلالتها ، أو الألفاظ ذات الدلالة التميمية مقارنة بألفاظ أخرى معزوة لغير التميمية وتحمل دلالة الألفاظ التميمية .

وسندرس هذه الأنواع من الألفاظ تحت عناوين ثلاث ، هي : الترادف . والمشارك اللفظي ، والتضاد ، ومدار التفريق بينها النص الذي ذكره اللغويون بشأن اللفظ :
(أ) فإذا كان حديثهم عن الدلالة واختلاف تميم عن غيرهم في الألفاظ ، فمجال الدراسة الترادف .

(ب) وإذا كان حديثهم عن اللفظ واختلاف دلالة تميم عن غيرهم ، فموضعه المشترك والتضاد .

(١) الرسالة ٣٢

(٢) انظر على سبيل المثال : المظهر للسيوطي ١/٣٦٩-٤١٣ ، وفي اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ١٧٤

- ٢١٥ ، وفصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب ٣٠٨ - ٣٥٧

الفصل الأول الترادف

الترادف هو إطلاق لفظين أو أكثر على مسمى واحد ، ويعرفه الإمام فخر الدين^(١) بأنه « الألفاظ المفردة الدالة على شئ واحد باعتبار واحد^(٢) » .

ويجمع اللغويون المحدثون على إمكان وقوع الترادف في كل لغات البشر^(٣) ، لكنهم يشترطون شروطا لا بد من تحقيقتها للحكم على وجود الترادف ، وهى :

- ١ - الاتفاق اتفاقا تاما على الأقل في ذهن الآثرة الغالبية لأفراد البيئة الواحدة .
- ٢ - الاتحاد في البيئة اللغوية ، أى يكون للشخص الواحد الحرية في استعمال مترادفات اللفظ الواحد فيستعمل مرة هذا اللفظ ، ومرة ثانية ذلك ، وهكذا . .
- ٣ - الاتحاد في العصر .

٤ - ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتى للفظ الآخر كالجثل والجفل بمعنى النمل^(٤) .

وقد عالجنا ما يتصل بالشرط الرابع (الأخير) في الباب الثانى الخاص بالصوتيات . أما فيما يخص الاتحاد في العصر ، فإن هذا يصعب تحقيقه في الكلمات التى استعملت في عصور الاحتجاج ؟ لأننا نفقد شهادات ميلاد الكلمات ، اللهم إلا ما يتصل منها بالتعاليم الإسلامية

وأما بالنسبة للاتحاد في البيئة اللغوية ، فإننا ننظر إلى الألفاظ المعزوة لتمييم - رغم أنها كانت خاصة بهم - إلى أنها أصبحت بعد ذلك ميراثا عاما للغة العربية الفصحى المشتركة .

ووفقا لذلك فستكون دراستنا للألفاظ التميمية التى وجدت لها مرادفات في غيرها من اللغات أو في اللغة المشتركة .

(١) هو الإمام فخر الدين الرازى في كتابه « المحرر » فالحميرى ينقل عنه كثيرا (انظر على سبيل المثال : المظهر ١/١٦) .

(٢) المظهر ١/٤٠٢ (٣) في اللهجات العربية ١٧٨

(٤) المرجع السابق ١٧٨ ، ١٧٩ ، وانظر : فصول في فقه العربية ٣٢٢ ، ٣٢٣

وسنبداً بعرض هذه الألفاظ لفظاً لفظاً مبينين سبب استعماله ، ثم بعد عرضها نستخلص المنهج التميمي في هذه الألفاظ .

١ - الأشياء :

يذكر ابن دريد لفظين للدلالة على ما ينبت من النوى ، هما : الأشياء والفَسِيل وقد عزا الأول منهما إلى نجد^(١) التي كانت موطن التميميين وغيرهم . وللفظين مرادف ثالث هو « الوَدَيَّ »^(٢) .

وإذا رجعنا إلى مواد هذه الألفاظ الثلاث كي نعرف سبب تعدد هذه الألفاظ ، نجد :

(أ) الفَسِيل :

تدل مادة (فسل) على الضعف^(٣) . وما ينبت من النوى هو نخل في دور الطفولة الذي يتسم بالضعف ، فاشتق العربي له اسماً على « فَعِيل » بمعنى مفعول ، لأن الفسيلة تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس^(٤) .

(ب) الوَدَيَّ :

وتدل مادة (ودي) على البروز والانتشار^(٥) ، وهذا يتفق أيضاً وصغار النخل ، فهي بارزة في الأرض ، وتنتشر في بقعة منها عادة . فاشتق العربي اسماً لها على وزن « فَعِيل » .

(ج) الأشياء ، والواحدة أشاء :

أما إذا اتجهنا إلى مادة (أشأ) في المقاييس^(٦) واللسان^(٧) نجد ههما لا يذكران سوى الأشياء بمعنى صغار النخل ، مما يجعل تفسير اللفظ أمراً عسيراً ، لكن هذا العسر يزول إن صبح حدثُنا ، وهو أننا نرى أنه ليس بمستبعد أن تكون الشين مقلوبة عن الجيم ، على نحو ما لا حظنا في الإبدال^(٨) ، فقد نسب إلى التميميين قولهم « شَرُّ ما يُشِيئُكَ إلى مُحَّةٍ

(١) جمهرة اللغة ١/ ١٨٠ ، ١٨١

(٢) اللسان (فسل) ٣٤/ ١٤ (عن الأصمعي) ، وانظر (ودي) ٢٠ / ٢٦٤ والمصباح (فسل) ٤٧٣

(٣) مقاييس اللغة ٤/ ٥٠٣ (٤) المصباح (فسل) ٤٧٣

(٥) انظر : اللسان (ودي) ٢٠ / ٢٦١ - ٢٦٤ (٦) المقاييس ١/ ١٠٧

(٧) اللسان ١/ ١٥ (٨) راجع ص ١٠٨

عُرْقُوب) ، بدلا من « يُجِيئُكَ » فصيح من الفعل « جاء » اسما للدلالة على أن هذا النبات جاء من الأرض بمعنى خرج منها ونبت ، وهو بعد خروجه يكون صغيرا .

والخلاصة أن كل قوم اشتقوا اسما من مادة تختلف عن الأخرى وبكل منها صفة تدل على صفات النخل الصغير وإن كان هذا الاشتقاق لا يتضح عند التمييزين إلا إذا سلمنا أن الشين عندهم مبدلة من الجيم .

٢ - الجليل :

كان أهل نجد يطلقون على الثمام الجليل ، وسماه أهل العالية الشُّبْهَان^(١) . وفيما يلي عرض لكل من الكلمات الثلاث كي نتبين سبب ترادفها .

(١) الثمام :

وهو أشهر هذه الألفاظ الثلاثة وهذا يتضح من عرض صاحب كتاب النبات والشجر^(٢) ، فهو يقول « ومن النبت الثمام . . . وأهل نجد يسمونه الجليل . . . قال أبو بكر : أهل العالية يسمون الثمام الشُّبْهَان^(٣) » . ويعرفه علماء النبات المحدثون بأنه « عشب من الفصيلة النجيلية يسمو إلى متر وخمسين سنتيمترا . فروعه مزدحمة متجمعة ، والنورة سنبل مدلاة »^(٤) .

(ب) الشُّبْهَان :

أما الشُّبْهَان (بضم الشين والباء وبفتحهما^(٥)) الذي عزى لأهل العالية ، فقليل في التعريف به عدة أقوال .

١ - الثمام عند أهل العالية كما سبق أن ذكرنا ، وكذلك عند اليمانيين كما نقل ابن دريد^(٦)

(١) النبات والشجر (المعزو للأصمعي) ٤٣ ، ٤٤

(٢) انظر ما كتبه الدكتور رمضان عبد التواب عن هذا الكتاب (فصول في فقه العربية ٢٣٩ - ٢٤١)

(٣) النبات والشجر ٤٣ ، ٤٤ (٤) المعجم الوسيط (ثم) ١٠١/١

(٥) اللسان (شبه) ١٧/٤٠٠ (٦) المرجع السابق

٢- نبت يشبه الثمام^(١) .

٣- ضرب من العُضاه^(٢) ، وهى كل شجر له شوك ، وقيل : أعظم الشجر^(٣) .

ويبدو أن « الشبهان » أطلق أولاً على نبت يشبه الثمام ، اشتق المطلقون عليه اسمه من مادة (شبه) ، ثم انتقلت الدلالة إلى الثمام نفسه لعلاقة المشابهة بين المدلولين .

(ج) الجليل :

وسبب إطلاق هذا اللفظ على الثمام ، أنه كان ينبت فى أحد الوديان الخاصة ببني تميم اسمه « ذو الجليل » قال الأزهري : « وذو الجليل واد لبني تميم ينبت الثمام ، وهو الجليل »^(٤) .

وإطلاق التميميين هذا الاسم عليه من باب تسمية الشيء باسم محله . وقد يتساءل بعض الأشخاص لِمَ لا يكون الأمر على العكس ، سُمى هذا الوادى باسم نبات الجليل ، وهو تسمية المحل باسم ما فيه ؟ . وللإجابة عن ذلك نقول : إننا رجحنا العكس ، لأن الاسم الذى كان شائعاً هو الثمام ، وبه أخذت اللغة المشتركة .

٣- الجُجْدُ :

أطلق التميميون على البُثرة تخرج فى جفن العين « الجُجْدُ » فى حين إن ربيعة كانت تسميها « القَمَع »^(٥) ، ويرجع تعدد اللفظين إلى أن كلا منهما وضع لعلاقة المشابهة بين المدلول (بثرة العين) ، والحشرتين : الجُجْدُ ، والقَمَع .

فالجُجْدُ التى استعملها التميميون هى حشرة قفازة تشبه الجراد وتصوت بالليل^(٦) ، وتسمى أيضاً صَرَصَراً ، وصَرَّار الليل^(٧) وهذه الحشرة سوداء اللون . أما القَمَع

- وواحدته قمعة - فهو ذباب أزرق يدخل أنوف الدواب^(٨)

- | | |
|----------------------------------|---------------------------|
| (١) المرجع السابق | (٢) المرجع السابق . |
| (٣) المرجع السابق (عضة) ٤١١/١٧ | (٤) تهذيب اللغة ٤٨٩/١٠ |
| (٥) تقويم اللسان ١١١ | (٦) اللسان (جدد) ٨٦/٤ |
| (٧) المرجع السابق . | (٨) اللسان (قمع) ١٦٩/١٠ |

ووجود البثرة في العين يعد شائبة ، وبينها وبين كل من الجدجد والقمع شبه في الحجم . وأرى أن القبيلتين راعتا كذلك اللون ، فالتميمي الذي يقطن في قلب الجزيرة ^(١) وضع في اعتباره لون البثرة في عين العربي التي تتفق ولون الحدقة عنده ، لذا فقد اختار الحشرة السوداء المعروفة بالجدجد . لكن ربعة - وهي ذات فروع متعددة ، منها بكر بن وائل وكانت ديارهم من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة ^(٢) فأطراف سواد العراق فالأبلة فهي ^(٣) ، ومنها تغلب وكانت تُقيم بالجزيرة ^(٤) ، فهي إذن جاورت الأعاجم الذين اشتهروا بزرقة العيون ، لذا راعت في الحشرة التي شبهت بها بشرة العين أن تكون زرقاء فاختارت « القمعة » .

ونلاحظ أن اللفظ التميمي احتفظت به عامية بغداد ، فقد سجله ابن الجوزي في القرن الخامس الهجري بصيغة « الكدكد » ^(٥) .

٤- الجدال :

قال ابن دريد : « والجدال : الخَلال بلغة أهل نجد » ^(١) . وقبل أن نتناول الكلمتين النجدية وغير النجدية - كلا على حدة - بالدراسة ، نذكر النص التالي نقلاً عن الأصمعي توطئة لفهم دلالتيهما ، قال : « يقال : الكافور : وعاء طلع النخل فإذا انعقد الطلع حتى يصير بلحا ، فهو السَّياب... فإذا اخضر واستدار قبل أن يشتد فأهل نجد يسمونه الجدال ، فإذا عظم فهو البُسْر ، فإذا صارت فيه خطوط وطرائق فهو المَخَطَّم ، فإذا تغيرت البسرة إلى الحمرة قيل : هذه شَقْحَة ... فإذا ظهرت فيه الحمرة قيل أزهي النخل وهو الزُّهو وفي لغة أهل الحجاز الزُّهو ، فإذا بدت فيه نقط الإرتاب قيل : قد وَكَّت » ^(٢) .

(١) صفة جزيرة العرب ١٦٩

(٢) المرجع السابق ١٧

(٣) تقويم اللسان ١١١

(٤) جمهرة اللغة ٦٧/٢

(٥) النخل والكرم ٦٦ ، ٦٧

بعد هذا نعود لعرض الكلمتين

(أ) الجَدَال : إذا رجعنا إلى مادة (جدل) نجدها تدل على المثانة والقوة^(١) وهذا

ما نراه أيضا في العبرية ، فالفعل : גָּדַל معناه : كبر أو عَظُم^(٢) . ونلاحظ أن

الجدال مر بمراحل حتى أصبح شديدا . ومن هنا أطلق عليه النجديون هذه التسمية . ونسب ابن الأعرابي الشدة للنواة ، جاء في اللسان « قال ابن الأعرابي : الجدالة فوق البلحة » ، وذلك إذا جدَلَتْ نَوَاتِهَا ، أي اشتدت^(٣) ، وقد وردت هذه الكلمة بهذه الدلالة على لسان أحد الشعراء التميميين ، قال المخبل السعدي :

وسارت إلى يَبْرِينَ خمسا فأصبحتُ تَخِرُّ على أيدي السَّقَاةِ جَدَالُهَا^(٤)

(ب) الخَلال : والواحدة خلالة وقد نسبها شمر إلى أهل البصرة^(٥) والمعروف أن البصرة لم تضم بيئة لغوية واحدة . فقد سكنتها قبائل عديدة - كما ذكرنا من قبل - والمطلع على مادة (خلل) يجد كثيرا من معاني ألفاظها (مشتقاتها) يدل على وجود فتحة في وسط الشيء ، من ذلك تخليل الأصابع ، ونلاحظ أن مرحلة « الخلال » هي إحدى المراحل التي تمر بها ثمرة النخلة ، وهي مرحلة ليست في البداية ولا في النهاية . نخلص مما سبق أن كل قوم نظروا إلى اللفظ بمنظار يختلف عن غيره فاشتقوا له اسما من مادة تختلف عن المادة التي اشتق منها . سواهم ، ورغم الخلاف بين اللفظين فليس بينهما تناقض .

٥ - ٧ : الجرين - الحظيرة - المسطح (ألفاظ نجدية) :

أطلق العرب على المكان الذي يجفف فيه التمر عدة أسماء ، فقالوا : أندر ، وبندر ، وجُرْن ، وجَرِين ، وجَوْنَحان ، وحَصِيرَة ، وحَضِيرَة ، وحَظِيرَة ، ومَرَبِد ، ومسطح (بكسر الميم) ، ومسطح (بفتح الميم) ، وصُوبَة ، وفَداء ، وفيما يلي عرض لكل لفظ :

(أ) الأندر : وقد تكلم به أهل الشام^(٦) . وهذا اللفظ دخيل من الآرامية ، فهو

(١) انظر اللسان (جدل) ١٣ / ١١٠

(٢)

Gesenius, Hebrew ... p. 152.

(٤) جبهة اللغة ٦٧/٢

(٣) اللسان (جدل) ١٣ / ١١٠

(٦) اللسان (ربد) ٤ / ١٥١ ، (ندر) ٧ / ٥٣

(٥) اللسان (خلل) ١٣ / ٢٣٣

في الآرامية اليهودية وآرامية العهد القديم *iddēra* (أيدرا) ، وفي السريانية *eddēra* كما أنه في الآشورية *adru* (أدُر) ، والمراد بهذا اللفظ في كل هذه اللغات الموضع الذي تداس فيه السنابل^(١) .

ويلاحظ أن اللفظ في انتقاله من الآرامية إلى العربية حدث فيه تغاير (dissimilation) إذ حول أحد صوتي الدال المضعفة إلى نون .

(ب) البَيْدَر : وكان لأهل العراق^(٢) . وهذا اللفظ أيضاً دخيل من الآرامية ، فهو مأخوذ من *bēdrē* أي الحب الحصيد^(٣) .

(ج، د) : جُرْن وجَرِين^(٤) : ونسبت الصيغة الثانية إلى أهل اليمن^(٥) كما عزيت لأهل الحجاز^(٦) وأهل نجد^(٧) .

ويذكر اللغويون أن لفظة جرن المراد بها الحجر المنقور يصب فيه الماء^(٨) معربة عن الكلمة الآرامية جُرْنَا *ܝܢܐ ܕܝܢܐ*^(٩) . ويبدو لي أن العرب - ومنهم أهل نجد - الذين استعملوا اللفظ للدلالة على المكان الذي يجفف فيه التمر ، استعملوا اللفظ بطريقة المجاز لوجود تشابه بين الاستعمالين ، فذاك مكان لحفظ الماء ، وهذا لحفظ التمر حتى يجف ، ثم تطور اللفظ صوتياً بعد ذلك فأصبح جَرِيناً وبقيت الصيغتان تستعملان دون أن تطغى الجديدة على القديمة .

(هـ) الجَوْنَحان : ولم ينسب إلى قوم معينين واللفظ دخيل في العربية من الفارسية^(١٠) .

(١) المعجم الكبير (أندر) ٥٣٧/١

(٢) اللسان (ريد) ١٥١/٤

(٣) المعجم الكبير (بدر) ٧٠٩/٢

(٤) تهذيب اللغة (حضر) ٢٠١/٤ ، والتاج (حطر) ١٥٠/٣

(٥) اللسان (جرن) ٢٣٨/١٦

(٦) اللسان (ريد) ١٥١/٤

(٧) المرجع السابق .

(٨) المرجع السابق (جرن) ٢٣٩/١٦

(٩) غرائب اللغة ١٧٦

(١٠) Steingass, Persian - English Dictionary ... p. 377.

واللسان (جوخ) ٤٩٠/٣

(و) الحَصِيرَة^(١) : واللفظة مشتقة من حَصَرَ بمعنى حبس^(٢) وهى على فعيل بمعنى مفعول ، لأنه مكان معين يحصر فيه التمر ليَجف .

ومن الممكن أن يكون سبب التسمية أن الحَصِيرَة وهى مؤنث الحَصِير المنسوج من خوص الدَّوم^(٣) يُجفف التمر عليها عادة فالتسمية حينئذ تكون لعلاقة المكانية .

(ز) الحَظِيرَة : وكان هذا اللفظ مستعملاً عند النجديين^(٤) ، وحَظَرَ بمعنى حَصَرَ أى منع^(٥) . وحَظِيرَة مؤنث حظير ، وهى اسم على وزن فعيل بمعنى مفعول أى أن هذا الموضع يحصر فيه التمر .

(ح) الحَضِيرَة^(٦) : ولم أجده منسوباً لقوم معينين ، وليس فى مادة (حضر) صلة تربط بينهما وبين مكان تجفيف التمر ، وأرى أن الضاد مقلوبة عن الظاء فهذان الصوتان متقاربان مخرجاً مما يجعل التبادل بينهما مستساغاً .

وقد تكون الضاد مقلوبة عن الضاد وبين الصوتين صلة تبيح تبادلها فمخرج الضاد كما وصفه القدماء من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس ومخرج الضاد مما بين طرف اللسان والثنايا^(٧) . وخير دليل على القرابة بينهما أن الضاد العربية تقابل صاداً فى الأكديّة والأوجاريتية والعبرية ، فكلمة أرض مثلاً يقابلها فى الأكديّة *eršetu* و *irsitu* وفى الأوجاريتية *ers* ، وفى العبرية *éres* .

(ط) المَرَبَد : وقد نسب إلى أهل الحجاز^(٨) ، وخصه الجوهري وابن دريد بأهل المدينة^(٩) ، وهو مشتق من « رَبَد » بمعنى حبس^(١٠) . وقد أطلق اللفظ على محبس النعم^(١١) .

(١) المحكم ١٠٣/٣ ، واللسان (حصر) ٢٧١/٦ (٢) المرجعان السابقان .

(٣) اللسان (سطح) ٣١٤/٣

(٤) المحكم ٢١٠ / ٣ ، واللسان (حَظَرَ) ٢٧٩ / ٥ ، والتاج (حَظَرَ) ١٥٠ / ٣

(٥) المحكم ٢١٠ / ٣

(٦) اللسان (حضر) ٢٧٥ / ٥ ، والتاج (حَظَرَ) ١٥٠ / ٣

(٧) سر صناعة الإعراب ١ / ٥٢ ، ٥٣ (٨) المدخل إلى علم اللغة ٥٢

(٩) اللسان (ربَد) ١٥١ / ٤

(١٠) الصحاح (ربَد) ٤٧٢ / ٢ ، والجمهرة ٢٤٣ / ١ (١١) مقاييس اللغة ٢ / ٤٧٥

(١٢) المرجع السابق ٢ / ٤٧٦

ومنه مِرْبِد البصرة ، وكان في الأصل مكانا تحبس فيه الإبل^(١) وقد كسرت الميم والوزن حينئذ من أوزان الآلة . ولعل هذا كان ملحظهم في هذا المسمى . على أن الكسر علل بأن اللفظ كان يطلق في الأصل اسما لموضع خاص وليس اسما عاما لكل موضع خاص بالربود^(٢) .

(ى) المِسْطَح : ينطق بفتح أوله وبكسره^(٣) ونسب الكسر إلى أهل نجد^(٤) وكذلك إلى أهل الحجاز^(٥) وخص الأصمعي من النجديين بعض من يلى الإمامة قال : « ويسميه بعض من يلى الإمامة المِسْطَح »^(٦) .

واشتق هذا اللفظ من سَطَح الشيء بمعنى بسطه على الأرض^(٧) . وإذا كان اللفظ يدل على المكان ، وكانت الصيغة التى نسبت إلى النجديين كسر أولها ، فيمكن توجيه ذلك بأحد أمرين :

١ - الميل إلى الكسر في مقابل الفتح وهذا ملاحظناه عند التميميين .

٢ - إن مسطح وهو من أوزان الآلة والأداة كان يطلق على الحصير الذى ينسج من خوص الدَّوم^(٨) ، ثم انتقلت الدلالة لتعبر عن المكان الذى يجفف فيه التمر عن طريق المجاز لعلاقة الآلية ؛ لأن التمر يجفف عادة على الحصير .

(ك) الصُّوبَة : وهو اللفظ الذى نسب لأهل الفلج^(٩) وإذا رجعنا إلى مادة (صوب) نجد أن الصوبية تعنى الكُتْبَة من تراب أو غيره ، ومنه ما حكاه اللحياني عن أبي الدينار الأعرابي « دخلت على فلان فإذا الدنانير صُوبَة بين يديه »^(١٠) .

(ل) القَداء : ويعزى إلى عبد القيس^(١١) واعتقد أن هذا الاسم مشتق من فادى بمعنى حمى^(١٢) ، أى أن هذا مكان لحماية التمر .

(٢) شرح الشافية ١ / ١٨٤ ، وانظر الكتاب ٤ / ٩٢

(٤) جمهرة اللغة ١ / ٢٤٣ ، ٢ / ١٥٢

(٦) النخل والكرم ٧٢

(٨) المرجع السابق

(١٠) المرجع السابق (فلج) ٣ / ١٧٣

(١) اللسان (ربد) ٤ / ١٥٠

(٣) اللسان (سطح) ٣ / ٣١٤

(٥) المرجع السابق ٢ / ١٥٢

(٧) اللسان (سطح) ٣ / ٣١٤

(٩) اللسان (صوب) ٢ / ٢٥

(١١) جمهرة اللغة ٢ / ١٥٢ ، واللسان (فدى) ٢٠ / ٩

(١٢) انظر اللسان (فدى) ٢٠ / ٨

هذه اثنتا عشرة لفظة منها كلمة ذات صيغتين استعملتا للدلالة على مسمى واحد .
وبعض هذه الألفاظ عربها العرب من الآرامية والفارسية ، وبعضها استعملوها بطريق
الاشتقاق وهي وإن كانت قد اشتقت من ألفاظ متنوعة ، لكنها كلها تؤدي المعنى المراد .
واستعمل بعضها الآخر بطريق المجاز ، ونلاحظ أن ثلاثة من هذه الكلمات الاثنتي عشرة
عزيت إلى نجد ، وهي : الجرين ، والحظيرة ، والمسطح . وإذا كان الناس في غالب
أمرهم لا يستعملون في البيئة الواحدة إلا لفظا واحدا للمسمى الواحد فهذا يعنى أن هذه الألفاظ
كانت موزعة بين النجديين - ومنهم تميم - وقد حدد الأصمعي موضع إحداها وهو المسطح
بأنه كان عند بعض من يلي اليمامة . ونحن لانستطيع أن نجزم أيّا من هذه الثلاثة كان
يستعملها التميميون إذ من المحتمل أن يكونوا قد نطقوها جميعها أو إحداها . وعلى الاحتمال
الأول فهي ألفاظ مترادفة في بيئة واحدة قبل أن تصبح ميراثا في العربية المشتركة . وعلى
الاحتمال الأخير وهو نطقتهم واحدا منها فقط فنلاحظ أن واحدا منها وهو « الجرين » قد
دخل عندهم من اللغة اليمنية ، والآخران - كما لاحظنا - مشتقان . كما نلاحظ أن
اثنين من هذه الثلاثة - مع تطور فيهما - مستعملان عندنا في صعيد مصر . الأول منهما
هو الجُرْن خاص بالمكان الذي تداس فيه سنابل القمح والثاني المُسطح وهو خاص بمكان
تجفيف ثمار الذرة الرفيعة .

٨ - الحَدَج :

أطلق النجديون على الحنظل قبل أن يصفر « الحَدَج » وبماه اليمنيون « الجُحَّ »^(١) .

وإذا رجعنا إلى المادتين (ججح) و (حُحج) نجد :

١ - أن مادة « ججح » تدل على السحب ، ومنها أطلق اليمنيون « الجُحَّ » على كل
شجر انبسط على الأرض^(٢) فتسميتهم الحنظل قبل أن يصفر « جُحَّا » من باب تخصيص
العام .

(١) جمهرة اللغة (ججح) ١ / ٤٨ ، ٤٩

(٢) المرجع السابق ١ / ٤٨

٢ - أما إذا اتجهنا إلى مادة (حـجـج) فنجد أن « الحـجـج » من معانيها :

(١) الحِمْل .

(ب) مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمِخْفَة^(١) .

ويبدو أن المعنى العام هو « الحِمْل » أى حمل كان ومنه ما تحمله الأشجار ، ثم خصصه النجديون (ومنهم تميم) بحمل الحنظل مع تغير في ضبط الكلمة . ومما يرجح أن للكلمة صيغاً أخرى أنها وردت بلغة أخرى هي « الحُجْج »^(٢) فإطلاقهم « الحـجـج » على الحنظل هو إذن من باب تخصيص العام .

٩ - الخوافى :

أطلق أهل نجد على السعفات التى تلى القَلْبَة الخوافى ، وسماها أهل الحجاز العواهن^(٣) .

والقَلْبَة جمع القَلْب « وهولب النخلة وشحمتها ، وقيل هو أجود خوص النخلة وأشدهُ بياضاً »^(٤) . وفيما يلى عرض للفظين :

(أ) الخَوَافى : وهو اللفظ الذى أطلقه عليها التميميون وغيرهم من النجديين ، وكان ملحظهم فى تسميتها وضع هذه السعفات (أو الجريدة كما كان يسميها أهل الحجاز)^(٥) مع غيرها ، فهى داخلية تقع بجوار القلبة ، وهناك سعفات أخرى خارجية هى التى يراها الناظر وتحجب تلك الداخلية . وقد أخذت اللفظة اسمها بطريق الاشتقاق ، فقد اشتقوا من (خفى) اسم فاعل ، فقالوا خافية ، ثم جمعوه شأن كل الأسماء التى لها أفراد فقالوا « الخوافى » .

(١) اللسان (حـجـج) ٥٣/٣ ، ٥٤ ،

(٢) التكملة (حـجـج) ١ / ٤١١ ، واللسان (حـجـج) ٣ / ٥٥

(٣) النخل والكرم ، المنسوب للأصمى ٦٥ ، والغريب المصنف ١٢٧/ب (عن الأصمى) ، والنبات لأبى حنيفة ٥ / ١٥٣ ، والنصحاح (عنه) ٦ / ٢٠٦٩ ، والتهذيب ١ / ١٤٥ (عن الأصمى) ، والنوادر لأبى مسحل ٢ / ٤٢٦ ، واللسان (عنه) ١٧ / ١٧١ ، (خفى) ١٨ / ٢٥٩ ، والتاج (عنه) ٩ / ٣٨٧

(٤) اللسان (قلب) ٢ / ١٨١

(٥) الغريب المصنف ١٢٨ / ب

(ب) العواهن : وهى جمع عاهن^(١) وهو الاسم الذى سماه بها الحجازيون وقد نظروا إليها من زاوية أخرى - غير التى نظر منها النجديون - وهى خاصيتها الغضة الطرية فشبهوها بالعهن ، أى الصوف ذى الطبيعة الرخوة ، كما إنه يشبهها فى لونه .

ومن هاتين النظرتين المختلفتين للمدلول الواحد وجدنا له لفظين مترادفين .

١٠ - الرَبْدَة :

استعمل العرب عدة ألفاظ للدلالة على الخرقه التى تعلّى بها الإبل الجربى ، فتألوا الرَبْدَة - ونسبت هذه اللفظة إلى بنى تميم^(٢) - والثَّمَلَة والَطْلِيَة دون نسبة إلى قوم معينين^(٣) وإذا نظرنا إلى هذه الألفاظ نجد :

(أ) الثَّمَلَة :

إذا قرأنا مادة (ثمل) نجدها تدل على البقية^(٤) ومن ذلك الثَّمَلَة بمعنى الحَبِّ والسويق والتمر يكون فى الوعاء ، يكون نصفه فما دونه^(٥) ، والماء القليل يبقّى فى أسفل الحوض أو فى الوادى^(٦) .

وتتخذ الخرقه التى تستعمل فى الطلاء عادة من بقايا ملابس أو كساء ، سبق أن استعمله الإنسان . ومن هنا جاءت تسميتها بالثَّمَلَة .

(ب) الطُّلِيَة :

يقال طَلّى الشئ بالهناء وغيره^(٧) . والهناء هو القطران ويطلق عليه أيضاً الطَّلاء^(٨) . واشتق بعض العرب من المادة كلمة الطُّلِيَة للدلالة على الصوفه التى تطلّى بها الإبل الجربى^(٩) .

-
- | | |
|-----------------------------|--|
| (١) الصحاح (عنه) ٢١٦٩ / ٦ | (٢) اللسان (ربذ) ٢٥ / ٥ |
| (٣) السابق (طلى) ٢٣٤ / ١٩ | (٤) مقاييس اللغة ١ / ٣٨٩ ، واللسان (ثمل) ٩٦ / ١٣ |
| (٥) اللسان (ثمل) ٩٦ / ١٣ | (٦) المرجع السابق . |
| (٧) اللسان (طلى) ٢٣٤ / ١٩ | (٨) المرجع السابق . |
| (٩) المرجع السابق ٢٣٥ | |

(ج) الرَبْدَة :

أما الربدة وهي المعزوة إلى تميم ، فإننا إذا اطلعنا على مادة (ربد) نجد ما تدل على الخفة ، فالرَبْد ، خفة اليد والرجل في العمل والمشى^(١) .

واستعملت الربدة أيضاً للدلالة على العهن فيعلق في أعناق البعير^(٢) .

ولما كانت الخرقة المستعملة للطلاء صغيرة بحيث يستطيع الشخص تحريك يده بخفة ، اشتق لها هذا الاسم .

وبعد ، فالملاحظ أن تعدد الألفاظ الدالة على الخرقة التي يهأ بها مرجعه أن كل قوم اشتقوا لفظاً من مادة غير المادة التي اشتق منها غيرهم ما تمسكين وجود خاصية بالمدلول غير الخاصية التي لاحظها غيرهم .

١١ - الرهط :

كان النجديون يطلقون كلمة « الرهط » على « الحوف » ، الذي عرفه لنا ابن الأعرابي (ت نحو ٢٣١ هـ) ، فقال : « هو جلد يُقَدُّ سيورا عَرَضَ السَّيْرِ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ أَوْ شِبْرٍ ، تَلْبَسُهُ الجاريةُ صغيرة قبل أن تدرك وتلبسه^(٣) أيضاً وهي حائض ، حجازية^(٤) وإذا كان أبو طالب النحوي (ت نحو ٣٠٠ هـ)^(٥) قد فرق بين اللفظين ، فقال « الرهط يكون من جلود ومن صوف ، والحوف لا يكون إلا من جلود »^(٦) ، فإنني أرى أنهما واحد لكن اختلاف المادة المصنوع منها يرجع إلى ظروف معينة كوفرة أحدهما ، أي الجلد أو الصوف - عند الصناعة ، وإجادة بعض الأشخاص الصنع من هذه المادة أو تلك .

(١) اللسان (ربد) ٥ / ٢٤

(٢) المرجع السابق .

(٣) عبارة « المحكم » « تلبسها » . أما ما أثبتناه فن اللسان .

(٤) المحكم ٤ / ١٨ ، واللسان (حوف) ١٠ / ٤٠٦ ، وانظر : المحكم ٤ / ١٧٧

واللسان (رهط) ٩ / ١٧٧ ، و (رهط) ٥ / ١٤٤ ، و (حوف) ٦ / ٧٨

(٥) هو المفضل بن سلامة (انظر ترجمة مفصلة له في مقدمة كتابه : « مختصر المذكر والمؤنث » لمحققه الدكتور رمضان عبد التواب) .

(٦) التهذيب (رهط) ٦ / ١٧٥

وقد يكون شيوع الجلدى منه لمتانته وشدة تحمله ، وربما يكون سبب هذا التفريق أنه رثى عند التميميين مصنوعاً من الصوف ومن الجلد ، أما ما رثى عند من يطلقون عليه « الحوف » مصادفة فكان مصنوعاً من الجلد فقط .

ويذكر اللغويون كلمة ثلاثة تشارك الكلمتين السالفتين فى الدلالة هى « الوثر »^(١) . وإننا لنذكر سبب الترادف بين هذه الكلمات الثلاث إذا ما رجعنا إلى كتب اللغة لنبحث فى المواد التى تنتمى إليها هذه الكلمات الثلاث :

(أ) الرَّهْط : ويعنى :

١ - قوم الرجل^(٢) ، وهم ذوو قرابته الأدنى^(٣)

٢ - الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة ، أو ما دون العشرة^(٤) ، وقيل الأربعون فما دونها^(٥) .

(ب) الحَوْف : ومن معانيه :

١ - الثوب^(٦) .

٢ - ثوب تلبسه الصبيان لاكمين له^(٧) .

(ج) الوثر :

يدل المعنى الكلى لهذه المادة على وطأة الشيء^(٨) ، ومنه الوثير ، وهو كل شيء جلست أو نمت عليه فوجدته وطيئاً^(٩) .

(١) انظر المرجع السابق ١٥ / ١١٦

(٢) اللسان (رهط) ٩ / ١٧٦

(٣) التهذيب ٦ / ١٧٤

(٤) اللسان (رهط) ٩ / ١٧٦

(٥) المرجع السابق ١٧٧

(٦) المرجع السابق (حوف) ١٠ / ٤٠٦

(٧) المرجع السابق .

(٨) انظر : اللسان (وثر) ٧ / ١٤٠ ، ١٤١

(٩) التهذيب ١٥ / ١١٦

والخلاصة أن النجدي - سواء أكان تميميا أم تميميا وغير تميمي - اختار اسمه بطريق الاستعارة ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به أن الجماعة عددة أشخاص وهذا الملبس عبارة عن جلد قُدَّ عدة سيور.

أما الذين قالوا « الحَوَف » ، فإنهم وضعوه بالتجاوز من باب إطلاق الجزء على الكل ، فإذا كان الثوب يغطي الجسم كله ، فهذا يستر جزءا منه .
وأما الذين استعملوا « الوَثَر » فإن هذا الملبس لما كان يبطاً هذا الجزء الذي خصص لتغطيته من الجسم ، فالتسمية إذن لعلاقة السببية ، إذ أطلق السَّبَبَ على المُسَبَّب .

١٢ - المِسيعة :

استعمل النجديون « المِسيعة » مرادفة للمِسيجة عند اليمنيين للدلالة على الخشبة التي يدلّك بها الطين ونحوه على الحائط . كما استعمل العرب الكلمة المعربة « المألجة »^(١) . وشاعت أيضاً كلمات أخرى مرادفة لهذه الألفاظ الثلاثة ، فقالوا : « مَالِق » و « مِمْلَق » و « مِمْلَط »^(٢) . وسنتناول هذه الألفاظ السبع كلا على حده :

(أ) المِسيعة : السِّيع : الطين^(٣) . يقال : سَيَّعت الحائط أى طينته بالطين^(٤) . وقد اشتق النجديون - ومنهم تميم - اسم آلة على وزن « مِفْعَلَة » فقالوا « مِسيعة » .

(ب) المِسيجة : وكانت لغة اليمنيين ، وجاءت أيضاً على وزن « مِفْعَلَة » ونلاحظ أن مَسَجَ تستعمل بمعنى رمى برقة (وقد استعمل الفعل خاصاً بإلقاء الحيوان والطائر ما في بطنه) ، واستعمل كذلك لمسح الحائط بالطين مسحاً رقيقاً^(٥) ، ومنه اشتقت « المِسيجة » .

(ج) المَالِجة : وهى تعريب الكلمة الفارسية « مَالِج » mālich^(٦) بعد زيادة تاء التأنيث ، لأن الآلة مؤنثة تأنيثاً مجازياً ، على أن من العرب من لم يضيف هذه التاء فترك اللفظ مذكراً ، بدليل أن صاحب القاموس أوردتها كذلك (مَالِج)^(٧) وقلبت تش (ch) جماً .

(٢) اللسان (سجع) ١١٩ / ٣
(٤) المرجع السابق ٣٥ / ٩
(٦) Steingass, p. 1149

(١) جمهرة اللغة ٥٢ / ١
(٣) اللسان (سيع) ٣٤ / ٩
(٥) المرجع السابق ١١٩ / ٣
(٧) القاموس (مالج) ٢٠٨ / ١

(د، هـ) المِملَط والمِملَاط : وهما لم يخرججا في وزنهما عن أوزان أسماء الآلة وقد اشتقا من المِلاط وهو « الطين الذي يجعل بين ساقى البناء ويملط به الحائط »^(١) والكلمة دخيلة أصلها في الآرامية ملطا^(٢) .

(و، ز) : المَالِق والمِملَق : أرى أن القاف في هذين اللفظين مبدلة من الجيم في « مَالِج » (الدخيلة من الفارسية) . والمعروف - كما سبق أن ذكرنا - أن اليمنيين كانوا ينطقون الجيم كيما . ثم انتقلت من هؤلاء المتكلمين إلى من كانوا ينطقون القاف مثل هذه الجيم ، فقالوا « مَالِق » ثم نطقها غيرهم على وزن مِفْعَلَة بوصفها اسم آلة .

نخلص مما سبق أن سبب الترادف هو أن بعض هذه الكلمات عربية وبعضها معربة وأن الأسماء العربية (ومنها التميمية) وضعت بطريق الاشتقاق على وزن « مِفْعَلَة » وأنها اشتقت من كلمات مختلفة تتفق في أن كلا منها له صلة بما تؤديه هذه الآلة من مهمة . وهم على الرغم من اختلافهم لا تناقض بينهم .

أما الأسماء المعربة ، فقد أجرى عليها العرب بعض التغييرات كشأنهم في المعربات ، سواء أكان ذلك في بعض أصواتها أم في وزنها .

١٣ - الشَّفْلَح :

يذكر ابن دريد ثلاث كلمات مترادفة تدل على نوع معين من النبات ، هي : أَصْف ، وَكَبَر ، وَشَفْلَح وعزا الكلمة الأخيرة إلى أهل نجد^(٣) . ولم يتفق اللغويون على هذا الترادف في هذه الكلمات ، ولا على التعريف بها . وفيما يلي عرض لكل منها على حدة :
(أ) الأصْف : ذكر الليث أن من العرب من كان ينطقه « اللصف » وأنه ثمرة شجرة تجعل في المَرَق^(٤) . أما الفراء فيعرف اللصف بأنه نبات ينبت في أصل الكبر كأنه

(٢) الدخيل في اللغة العربية ١ / ٤٣

(١) اللسان (ماط) ٢٨١/٩

(٣) جمهرة اللغة ٣ / ٢٦٠

(٤) تهذيب اللغة ١٢ / ١٩٠

خيار ، ولم يَعْرِفِ الأصْف^(١) . وأما ابن دريد ، فقد جعل الأصْف والكبر اسما لمسمى واحد كما ذكرنا .

وإذا رجعنا إلى « اللسان » بوصفه من أكبر المعاجم ، لا نجده يذكر في مادة (أصف) إلا أنها لغة في « اللِّصْف » كما ينقل قول أبي عمرو « الأصْفُ الكبر ، وأما الذي ينبت في أصله مثل الخيار فهو اللِّصْف »^(٢) .

وإذا ذهبنا إلى مادة (لصف) نجدها تدل على البريق والتلألؤ^(٣) .

وعندما نتجه إلى علماء النبات المحدثين نجدهم لا يفرقون بين الأصْف واللصف والكبر^(٤) . ويصفونه بأنه « نبت من الفصيلة الكبرية ، له شوك وورق أخضر ناضر... »^(٥) ولعل هذا البريق في ورقه هو سر إطلاق كلمة « اللصف » عليه .

(ب) الكبر : ويعرفه صاحب اللسان بأنه « الأصْف : فارسي معرب » وأنه « نبات له شوك »^(٦) ، لكن الحقيقة أن اللفظة دخيلة من اليونانية Kapparis^(٧) ومن اليونانية : أيضاً دخلت الفارسية^(٨) .

(ج) الشفلح : ويذكره ابن دريد مرادفاً للأصْف والكبر - كما ذكرنا - خاصة ببني تميم ، وينص Steingass على أن الكلمة بالجيم وسكون الفاء « شَفْلَج »^(٩) ومعنى ذلك أن الجيم حوت حاء في العربية ، وهو إبدال شاذ لعدم التقارب بين الصوتين . لكن الأزهرى يعرفه بأنه ثمر الكبر إذا تفتح وفيه حمرة^(١٠) .

(١) تهذيب اللغة ١٢/ ١٩٠

(٢) اللسان (أصف) ١٠ / ٣٤٨

(٣) اللسان (لصف) ١١ / ٢٢٧

(٤) معجم أسماء النبات ٢٨ ، وانظر : المعجم الكبير ١ / ٣٣٣

(٥) الوسيط (أصف) ١ / ٢٠

(٦) اللسان (كبر) ٦ / ٤٤٥

(٧) غرائب اللغة العربية ٢٦٧

(٨) الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣١

(٩)

Steingass, Persian-English p. 749.

(١٠) تهذيب اللغة (شفلج) ٥ / ٣١٥ ، وانظر ١٢ / ١٩٠ عند تناول الأزهرى لمادة (الاصْف) فيثبت محقق هذا الجزء « شفلج » بالجيم وذكر في الحاشية أن ذلك نقلا عن النسختين المخطوطتين اللتين رمز لهما بالرمزين د ، ج ، ويذكر كذلك أن النسخة « م » ذكرته بالحاء ، ونلاحظ نحن أن هذا ما أراده المؤلف بدليل أنه ذكره كذلك في (شفلج) ولم يضمن في كتابه مادة (شفلج) بالجيم .

نخلص مما سبق أن من اللغويين - كابن دريد - من يرى تساوى الألفاظ الثلاثة في الدلالة ناسباً الشَّفْلَح إلى تميم ، وتعليل الترادف في هذه الحالة أن اللصف وهو أصل الأصف استعمل بالاشتقاق ، لأن الفعل لصف بمعنى برق وتلألأ مع تجوز ، لأن النضرة التي بالورق لا تبلغ درجة البريق ، أما الكبر فهي لفظة دخيلة من اليونانية ، وأما الشفاح فهي فارسية الأصل بعد قلب الجيم حاء .

ونخلص أيضاً أن من اللغويين من أطلق الأصف وكذلك اللصف على ثمرة شجرة أو على شجر ينبت في أصل الكبر ، فإذا صح كل هذا ، فإنه يعني اشتراك اللفظ في إطلاقه على أكثر من مدلول عند أقوام مختلفين ، وإذا كان من اللغويين من نقلوا أن الشفاح هو ثمر الكبر ، فهذا يعني أن ذلك كان عند أقوام من غير التميميين كانوا ينطقون كلمة الكبر وأن هذه التسمية عندهم من باب إطلاق الجزء على الكل ، لأن اللفظة تطلق في الفارسية على الكبر نفسه .

١٤ - الشُّورَان :

عزا أبو عمرو الشيباني إلى بني تميم أنهم كانوا يقولون « الشُّورَان » للدلالة على العُصْفُر . ويقولون : ثوب مُشَوَّر أي مُعَصْفَر^(١) . والعصفر نبات كان يزرع في البلاد العربية^(٢) والكلمة معربة^(٣) عن أُصْبُور الفارسية^(٤) وكان ببلاد العرب عدة مواضع يطلق عليها « شُورَان » أحدها عزي إلى بني يربوع^(٥) من تميم . فلعل العصفر كان يزرع به مما حمل هؤلاء التميميين على أن يطلقوا عليه « الشُّورَان » وذلك من باب تسمية الشيء باسم محله .

١٥ ، ١٦ - الضَّيْس والإِيْذَان :

قال الصغاني (ت ٦٥٠ هـ) : « وقال الدينوري عن الأعراب القدم : إذا أدبر الرُّطْبُ

قيل : آذن ، وهو أول الهييج وهو من كلام سفلى مضر ، قال الراعي :

وَحَارَبَتِ الْهَيْفُ الشَّمَالَ وَآذَنْتْ مَذَانِبُ مِنْهَا اللَّدْنُ وَالْمُتَصَوِّحُ

(٢) معجم البلدان (شوران) ٣٠٦/٥

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة ١١٥

(١) الجيم ١٤٣/٢

(٣) اللسان (عصفر) ٢٥٧/٦

(٥) معجم البلدان (شوران) ٣٠٦/٥

(ويروى الضَّيَّس) . قال : وأما أهل نجد ، فيقولون ضاس يضييس ، فهو ضائس^(١) .
في هذا النص كلمتان اتفقتا في المعنى ، وهو بداية جفاف النبت . هذان اللفظان
هما : الإيذان والضييس .

١ - الضَّيَّس : وينسب هذا اللفظ إلى النجديين (ومنهم تميميون) وهو يعنى عندهم
أول الهيج ، كما يعنى - دون أن ينسب إلى قوم معينين - الهيج مطلقاً^(٢) . وإن استعمال
النجديين من باب تخصيص العام . وسنتناوله أيضاً في المشترك اللفظي .

٢ - الإيذان : وينسبه أبو حنيفة - مستعملاً الفعل فقط - إلى سفلى مضر .
والإيذان هو الإعلام^(٣) ، وبداية يبس الرطب إعلان لقرب تمام جفافه ، فاستعمال
سفلى مضر هو من تخصيص العام أيضاً .

وإذا كان اللفظ الأول (ضاس) قد نسب إلى نجد ، وهذا اللفظ (آذن) عزى
إلى سفلى مضر . والمعروف أن سفلى مضر هم المضريون الذين سكنوا ما يلي الحجاز أى
شرق الجزيرة ومنها نجد ، وأن بنى تميم كانوا يندرجون تحت الاسمين وهذا ما يوقع
الإنسان في حيرة ، فهل المراد أن النجديين كانوا ينطقون اللفظين ؟ وإذا كان ذلك كذلك
فلم لم يكتف أبو حنيفة بذكرهم ، أو بذكر سفلى مضر في الموضعين ؟ أو هل المقصود
أن كل لفظ اختص به قوم ؟ وإذا كان ذلك هو المعنى ، فهل كان التميميون يقولون :
آذن أو ضاس ؟

إن هذا الأمر قد تنبه إليه الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) من قبل ، فقال « وما نقله
الصخاني فيه نوع مخالفة ، فتأمل »^(٤) .

إننى أرجح أن اللفظين كانا مستعملين عند النجديين ، وكلا منهما كان مختصاً
بأقوام وأرى أن آذن كانت عند غير التميميين ، وكانت بصفة خاصة عند النميريين ،
وهم فرع من قيس^(٥) بدليل وروده عند شاعرهم الراعى^(٦) .

(١) التكملة والذيل والصلة (ضيس) ٣ / ٣٧٥ (٢) اللسان (ضيس) ٧ / ٤٢٧
(٣) اللسان (آذن) ١٦ / ١٥٠ (٤) التاج (ضيس) ٤ / ١٧٧
(٥) جمهرة أنساب العرب ٤٨٢ (٦) انظر ترجمته في : الأغاني ٢٣ / ٣٤٨

١٧ - العيدانة :

ورد بالمخصص : « أبو عبيد : إذا صار للنخلة جذع يتناول منه المتناول ، فتلك النخلة العصيد . . . فإذا فاتت اليد ، فهي جبارة ، فإذا ارتفعت عن ذلك فهي الرقلة وجمعها رقل ورقال وهي عند أهل نجد العيدانة . . . أبو عبيد : فإذا طالت ، قال : ولا أدري لعل ذلك مع انجراد فهي سحوق^(١) . . . أبو حنينة : ثم عصيد ثم رقلة ثم مجنونة ، وهي أطول النخل ، ويقال للنخلة الطويلة بلغة أهل المدينة رقلة وفي لغة أهل نجد عيدانة وفي لغة أهل عُمان عوانة . . . ابن دريد : نخلة تَوَان وفي لغة أهل البحرين صادية ، وفي لغة طيء طروق والجمع طروق^(٢) .

يذكر هذا النص خمس كلمات مترادفة للدلالة على النخلة في إحدى مراحل نموها وهي مرحلة متوسطة ، سبقتها مراحل ، وتلتها مراحل أخرى . هذه الأسماء هي : رقلة ، وصادية ، وطرق ، وعوانة ، وعيدانة ، وفيما يلي عرض لكل لفظ :

(أ) الرقلة :

إذا رجعنا إلى مادة (رقل) نجد الإرقال بمعنى الإسراع^(٣) وأرى أن أهل المدينة أطلقوا على هذا النوع من النخل « رقلة » لأنها أسرع في نموها وكبرت .

(ب) الصادية :

أما تسمية أهل البحرين لها « الصادية » فالصادى العطش والنخلة في هذه المرحلة تكون عروقتها قد امتدت في الأرض ، فلا تُسقى . فكأن العطش قد أصابها ، وهذا التعليل يتفق وما سجله ابن منظور من أن الصوادي : النخل « التي لا تشرب الماء »^(٤) ، وما نقله ابن بَرِّي (ت ٥٨٢ هـ) عن أبي عمرو من أن « الصوادي : التي بلغت عروقتها الماء فلا تحتاج إلى سقى »^(٥) .

(ج) الطروق :

وهو الاسم الذي استعملته طيء . ومن معاني هذا اللفظ ماء الفحل ، يقال : طرق

(١) من أول النص إلى هنا (دون ذكر « أبو عبيد ») في الغريب المصنف (١٣٠ / ١) ، وقد نسبته للأصمعي ، فكان يجدر بابن سيده أن يعزوه إليه لا إلى أبي عبيد مؤلف الغريب المصنف .

(٢) المخصص ١١ / ١١١ (٣) اللسان (رقل) ١٣٠ / ٣١٢

(٤) المرجع السابق .

(٥) اللسان (صدى) ١٩ / ١٨٥

الفحلُ الناقة^(١) : وأطلق على الناقة « طروقة »^(٢) واستعمل الطرق والطروقة للإنسان أيضاً^(٣) . وأرى أن استعمال طيء لها جاء من هذا الاستعمال عن طريق المجاز ، لأن هذه النخلة التي هي في متوسط عمرها تنتج ثمرًا بعد أن يصلها الطلع من النخل الذكر ، فكأنه قد طرقها .

(د) العَوَان :

وتسميتها عند أهل عُمان بالعَوَان ، لأنها في مرحلة وسط كما حدد ذلك النص ، فلا هي بالصغيرة (عضيد) ولا هي قد بلغت من الطول منتهاه (سَحُوق) . والعوان النصف في سنّها من كل شيء^(٤) . ومن ذلك قوله تعالى : (إنها بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ ولا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)^(٥) والفارض : الكبيرة المسنة ، وقيل التي ولدت بطونا كثيرة ، والبكر : التي لم تحمل^(٦) .

(هـ) العِيدَانَة :

تدور معاني مادة (عدن) على الإقامة بالمكان والاستقرار به^(٧) ، ومنه (ومساكن طيبة في جناتِ عَدْن)^(٨) فالنجديون لاحظوا في هذه النخلة هذا المعنى ، فقالوا « عِيدَانَة » . ومما سبق عرضه يتبين أن هذه المترادفات وضع اثنان منها بطريق الاشتقاق ، راعى كل من أصحابها سمة من سمات المسمى فاشتق له اسما ليبدل عليه ، ووضع الثلاث الأخر بطريق المجاز .

١٨ - عِدَّان :

كان بنو سعد بن زيد مناة يطلقون لفظ « عِدَّان » ويعنون به « زمن » ، قال الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) « سمعت أعرابيا من بني سعد بالأحساء يقول : كان أمر كذا وكذا على عِدَّان ابن بور ، وابن بور كان واليا بالبحرين قبل استيلاء القرامطة - أبادهم الله - يريد

(١) اللسان (طرق) ١٢ / ٨٥ (٢) المرجع السابق ٨٦ (٣) المرجع السابق .

(٤) الصحاح (عون) ٦ / ٢١٦٨ ، واللسان (عون) ١٧ / ١٧٣

(٥) البقرة ٢ / ٦٨ (٦) مجمع البيان ١ / ١٣١

(٧) انظر مادة (عدن) في : العين ٢ / ٤٢ ومقاييس اللغة ٤ / ٢٤٨ ، واللسان ١٧ / ١٥٠ - ١٥٢

(٨) التوبة ٩ / ٧٢

كان ذلك أيام ولايته عليها^(١). وإذا كانت مادة (عدن) تدل على الإقامة - كما ذكرنا في اللفظ السابق (عيدانة) - أحد مرادفات رَقلة - فهذا يعنى أن هذا اللفظ صيغ من العدن واستعمل للدلالة على كلمة « زمن » الشائع استعمالها.

ويبدو أن هذا اللفظ لم يكن خاصاً ببني سعد من تميم وإنما كان شائعاً عند غيرهم من التميميين بدليل أن الفرزدق، وهو من بني مجاشع بن دارم^(٢) استعمله في شعره . قال يهجو مسكين بن عامر الدارمي وكان قد رثى زياد بن أبيه :

أتبكي امرأة من أهل ميسان كافرا
ككسرى على عدّانه أو كقيصراً^(٣)

١٩ - الفودج :

كان بنو سعد بن زيد مناة ومن وليهم يقولون فودج، ويعنون به الهودج^(٤). وإذا نظرنا إلى اللفظين، لاحظنا أن الخلاف بينهما ينحصر في الهاء والفاء. والصلة الصوتية بين هذين الصوتين بعيدة، فالأولى حلقية أو هي حنجرية بتعبير المحدثين^(٥) والثانية شفوية^(٦) وهذا ما يجعلنا نحكم بعدم وجود تبادل صوتي بين اللفظين، وبأنهما مترادفان.

تفسير ترادف اللفظين :

اللفظ السعدي (الفودج) - كما يقول اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) - « شيء يتخذُه أهل كِرْمان » وهو أصغر من الهودج الذي يتخذُه الأعراب^(٧) والمعروف أن بني سعد كانوا يقيمون شرق الجزيرة مدخل الكرمانين إليها، فلما سمع هؤلاء السعديون ومجاوروهم اللفظ الكرمانى وهو قريب في نطقه من الهودج - وإن كانت دلالة لا تنطبق على الهودج تمام الانطباق - تأثروا به واستعملوه في مقابل الهودج الذي كان شائعاً عند العرب .

(٢) بجمرة أنساب العرب ٢٣٠

(١) التهذيب (عدن) ٢ / ٢١٩

(٣) ديوان الفرزدق ١ / ٢٤٦

(٤) الكامل للمبرد ١ / ١٧١

(٥) علم اللغة للسعران ١٩٦

(٦) المرجع السابق ١٩

(٧) اللسان (فودج) ٣ / ١٦٥

٢٠ - النُّهْي :

استعمل النجديون - ومنهم التميميون - كلمة « النُّهْي » في مقابل الغدير^(١) ، وهو مستنقع ماء المطر^(٢) . ويتميز التميميون عن سواهم من النجديين بأن نطقوا الكلمة بكسر النون ، وقد تناولنا ذلك عند الحديث عن « الفتح والكسر » .

ومرجع الخلاف بين النجديين وغيرهم أن كلا من الفريقين اشتق اسما من مادة تختلف عن الأخرى ، وفيما يلي توضيح ذلك :

(أ) النُّهْي :

الفعل « نَهَى » بمعنى كف والمصدر منه النُّهْي وقد أخذ هذا المصدر طابع الاسمية . وعن طريق الاشتقاق أيضاً أطلق آخرون على المداول نفسه « تنْهَاء » و « تَنْهِيَة » وهما في الأصل مصدر على وزن « تَفْعِلَة »^(٣) كما أطلق سوى هؤلاء جميعاً عليه « النُّهَاء » وهو جمع نَهَى ويراد به : أصغر محابس المطر^(٤) ، أي الغدير الصغير .

(ب) الغدير :

أما إطلاق لفظ « الغدير » عند الناطقين به على ما يسمى عند النجديين بالنُّهْي . فمرجع ذلك أن « الغين والذال والراء » يدل في العربية - كما لاحظ ابن فارس - على ترك الشيء^(٥) ، وقيل إن الغدير سمي بذلك لأن السيل غادره^(٦) .

(١) الصحاح (نهى) ٦ / ٢٥١٧ ، واللسان (نهى) ٢٠ / ٢١٩

(٢) مقاييس اللغة ٤ / ٤١٣

(٣) اللسان (نهى) ٢٠ / ٢٢٠

(٤) المرجع السابق .

(٥) مقاييس اللغة ٤ / ٤١٣

(٦) المرجع السابق .

٢١ - هَيْد :

كان بنو تميم يقولون « هَيْد » في مقابل « مَهِيم » عند الحجازيين و « أَيِّم » عند كلب ، وكلها أسماء استفهام بمعنى مالك ؟^(١) . ومرجع الترادف بين هذه الألفاظ أن :

(١) هَيْد :

يبدو أن هذا اللفظ اختصار لقولهم « ما هذا ؟ » قال الأزهري : « والعرب تقول : هَيْد مالك ؟ إذا استفهموا الرجل عن شأنه ، كما تقول : يا هذا مالك ؟^(٢) وذلك مع قلب الدال دالاً الذي يسوغه أنهما من مخرجين متقاربين فلدال من أصول الثنايا والدال من أطرافها^(٣) .

(ب) مَهِيم :

وهذا اللفظ دخيل على اللغة الحجازية من اللغة اليمانية^(٤) .

(ج) أَيِّم :

أما « أَيِّم » فواضح أنه اختصار لمهيم بعد قلب الهاء همزة . وهذا الإبدال له ما يسوغه ، لأنهما من مخرج واحد وهو الحنجرة . وقد تناولنا ذلك في الفصل الأول من الباب الثاني .

٢٢ - الحمميم :

أطلق بنو تميم على أحد فصول السنة الأربعة ، وهو ما يأتي بعد فصل الصيف « الحمميم » في مقابل « الحريف » عند أهل الحجاز^(٥) . ومرجع هذه التسمية أن الأزمنة عند العرب ستة : ثلاثة للشتاء هي : الوَسْمِيّ و الشّتويّ والربيع ، وثلاثة للصيف هي : الصيف والحمميم والخريف^(٦) . وبَيِّن أنهم عند اقتصارهم على فصلين من فصول الصيف الثلاثة وهما : الصيف وفصل آخر اختار كل من الحجازيين والتميميين للفصل الثاني اسماً من الاسمين الآخرين (الحمميم والخريف) وهو عند الطرفين من باب توسيع مجال الدلالة . راعى كل من الفريقين ظروف البيئة التي يعيشون فيها . ولأن نجدا موطن التميميين

(٢) اللسان (هيد) ٤ / ٤٥٤

(٤) اللسان (مهيم) ١٦ / ٤٢

(٢) المرجع السابق ١٢٤

(١) النوادر لأبي مسجل ١ / ٣٤٣ ، ٣٤٤

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٣

(٥) الأزمنة لقطزب ١٢٥

كان لا يُمطر في هذا الزمن أما الحجاز فكان يُمطر^(١) والمطر يصحبه هبوب في درجة الحرارة فيناسبه كلمة « خريف » أما شدة الحرارة فيناسبها كلمة « الحميم »

* * *

التعقيب :

هذه اثنتان وعشرون كلمة تيمية لثمانى عشرة دلالة ، لم يعز منها إلى تيم صراحة سوى ثمانية ألفاظ ، هي : الجُدُجُ ، والحميم ، والرَبْدَةُ والشَّوْران ، وعِدَّان ، والفَوْدَج ، ونهى ، وهيد . وعزى ثلاثة عشر إلى نجد وواحد إلى سفلى مضر ، ودرسناها على أنها تيمية لأن تيمما جزء من كل منهما - كما وضعنا في الباب الأول .

ونلاحظ أن ثلاثة ألفاظ نسبت إلى نجد لتعبر عن مدلول واحد ، وهى : جرين ، وحظيرة ، ومسطح ، بالإضافة إلى عشرة ألفاظ أخرى عزيت إلى غيرهم لتعبر عن المدلول نفسه ، ونلاحظ كذلك أن لفظين عزى أحدهما إلى نجد (الضَّيْس) والآخر إلى سفلى مضر (الإيدان) وهما يدلان على معنى واحد . وهذه الألفاظ الخمسة التى عبر ثلاثة منها على مدلول والاثنان الباقيان على مدلول آخر ، هى التى تعد فى عرف اللغويين المحدثين مترادفة ، لأنهم يشترطون الاتحاد فى البيئة . ولكننا - كما سبق أن قلنا - جمانا دراستنا للألفاظ المغزوة لتسيم ولها لفظ آخر أو أكثر معادل سواء أكان فى البيئة التيمية نفسها أم فى خارجها ، لأنها كلها أصبحت ميراثا عاما للعربية الفصحى .

وبعد هذا العرض للكلمات المترادفة التى كان للتيميين نصيب فى نطق أحد ألفاظها يتضح لنا أن موقف تيم لم يكن بدعا يختلف عن نهج سواهم . وهذا ما تبين لنا ونحن نحلل كل كلمة ، سواء أكانت تيمية أم غير تيمية .

عوامل نشأة هذه الكلمات المترادفة :

لقد وضع لنا أن تيمما وغيرها وضعت ألفاظها السابق عرضها بالطرق التالية :

١ - الاشتقاق .

٢ - تخصيص الدلالة ، أى التضييق فى المعنى .

٣ - تعميم الدلالة ، أى توسيع مجال استعمالها .

٤ - نقل مجال الدلالة .

٥ - التعريب .

وتبين لنا أن كل لفظ وضع بهذه الطرق عدا الأخير منها لاحظ فيه العربى - تميميا كان أو غير تميمى - ملحظا معيناً . كان ينظر إلى الشيء فيلاحظ فيه عدة صفات . وكان كل قوم يرون أن إحدى هذه الصفات هى الغالبة ، فيصوغون لهذا الشيء اسماً يشتقونه من لفظ يدل على هذه الصفة أو يطلقون عليه اسماً بتخصيص المعنى بعد أن كان عاماً ، أو توسيعه بعد أن كان ضيقاً ، أو نقل مجال دلالة لعلاقة قد تكون المشابهة ويطلق على هذا الاستعارة أو المجاز الاستعارى وقد تكون العلاقة لغير المشابهة كالعلاقة المحلية وذلك بتسمية الشيء باسم مكانه ويعرف هذا النوع بالمجاز المرسل . وبهذه السبل بالإضافة إلى التعريب وجدنا للمدلول الواحد عدة ألفاظ . وفيما يلي بيان بالطرق التى وضع بها التميميون ألفاظهم السابق ذكرها مرادفة لألفاظ عند غيرهم ، وهى .

١ - الاشتقاق :

والألفاظ التى لاحظنا أنها تندرج تحت هذا النوع هى : الأشاء ، والجَدَّال ، والخوافى ، والرَبْذة ، والمِسْطَح ، والمُسْبِعة والعَيْدانة ، وعِدَّان ، والنَّهْي .

٢ - تخصيص الدلالة :

وذلك بتضييق المعنى بعد أن كان واسعاً . وقد وضع التميميون بهذا السبيل كلماتى الحَدَج والضَّيْس وكذلك الإيذان (على فرض نسبتها اليهم) .

٣ - تعميم الدلالة :

وذلك بتوسيع مجالها بعد أن كان ضيقاً ، ووجدنا ذلك فى كلمة « الحميم » .

٤ - انتقال مجال الدلالة :

(أ) لعلاقة المشابهة بين المدلولين (الاستعارة) : الجُدْجُد والرَّهْط .

(ب) لغير علاقة المشابهة : والكلمتان اللتان تدخلان تحت هذا الصنف هما الجليل

والشَّوران وذلك لعلاقة المحلية .

٥ - التعريب :

والكلمات التى استعملها التميميون بأن عربوها فى حين إن غيرهم استعمل ألفاظا

عربية ، هى : الشَّمْلَح (عن الفارسية) ، والفودج (عن الكرمانية) . ذلك إلى اشتقاق

اسم من لفظ معرب وهو الجَرين من كلمة جُرْن المعربة .

الفصل الثاني

المشترك اللفظي ١

المشترك اللفظي هو « اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة »^(١).

ولقد وجدنا كلمات معزوة إلى تميم تحمل دلالة من الدلالات وفي الوقت ذاته تحمل دلالة أو أكثر عند غيرهم. وسنعرض فيما يلي لهذه الألفاظ ثم نعقب عليها بذكر العوامل التي أدت إلى نشأة الاشتراك اللفظي في هذه الكلمات :

١- الأثلُب :

ينقل الأزهري (ت ٢٧٠ هـ) عن شمر قوله : « الأثلُب ، بلغة أهل الحجاز : الحجر ، وبلغة بني تميم : التُّراب »^(٢) ، وإذا رجعنا إلى معجمات اللغة المتقدمة نجد أنها لا تذكر للتُّراب تعريفاً ، وذلك على عادتها في المسميات المشهورة ، فإذا لجأنا إلى الحديثة المرتبطة بنصوص من عصور الاحتجاج فقط نجد أنها تعرفه بأنه : « ما تفتت ودق من جنس الأرض »^(٣) فالتراب إذن قد يكون متفتتاً من حجر أو غيره . والصلة بين كلمة « التُّراب » وهي دلالة الأثلُب عند تميم والحجر الذي كان يدل على الكلمة نفسها عند الحجازيين ، هي صلة الفرع بالأصل بعلاقة يطلق عليها البلاغيون « اعتبار ما كان » . وقد ورد اللفظ بدلالته التميمية في قول رؤبة (وهو تيمى) :

* وإن تُناهيه تجده مِنْهَا *

* تَكْسُو حُرُوفَ حَاجِبِيهِ الْأَثْلُبَا *^(٤)

(١) المزهري ١ / ٣٦٩

(٢) تهذيب اللغة ١٥ / ٩١ ، والنص أيضاً في اللسان (ثلب) ١ / ٢٣٥ ، وانظر : التاج (ثلب) ١ / ١٦٧

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ١ / ١٥٨

(٤) البيهقي في اللسان (ثلب) ١ / ٢٣٥ ونسب الأول في اللسان (نهب) ٢ / ٢٧٢ لأبيه العجاج ، والراجز يصف عيرا وأتته (يناهب : يجارى في الجرى - اللسان « نهب » ٢ / ٢٧١) .

٢- آسن :

كان بنو تميم يقولون « آسن » ويعنون « مُنْتِن » ، وذلك كما في قوله تعالى :
(ماء غير آسن)^(١)

وإذا رجعنا إلى المعجمات اللغوية نجدها تذكر « آسن » بهذه الدلالة التيممية ولكن دون عزو إلى قوم معينين^(٢) . وتذكره كذلك بدلالة أخرى هي المتغير^(٣) ، وبهذا فسر الفراء اللفظ الوارد بالآية السابقة^(٤) . وهذه الدلالة قريبة من دلالتها في عبرية التوراة حيث تعني كلمة *yāšān* (ياشان) القديم^(٥) . ومن طبيعة الماء القديم المتغير . وتغير الماء أعم من نتونته ، إذ ليس من الضروري أن يكون كل متغير منتنا . فالتميمي هنا خصص مجال الدلالة بعد أن كان عاما . وكان لبني تميم ماء يطلقون عليه « أُسْن »^(٦) ، فاعل هذا الماء ازداد تغيرا حتى أصبح منتنا . ومن هنا استعملوا اللفظ بهذه الدلالة .

٣- أمة :

وردت هذه الكلمة في قوله تعالى : (واذكر بعد أمة)^(٧) وقيل في تفسيرها إنها بمعنى « نسيان بلغة تميم »^(٨) .

ويذكر ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) لهذه الكلمة الدلالات التالية :

١- الدين .

٢- كل من كان على دين مخالف لسائر الأديان .

(١) غريب القرآن على لغات القبائل ١٠٠ ، وماورد في القرآن من لغات القبائل ٢ / ٢١٠ والآية في سورة محمد ٤٧ / ١٥

(٢) انظر : اللسان (أسن) ١٦ / ١٥٥ (٣) المرجع السابق

(٤) معاني القرآن ٣ / ٦٠

(٥) المعجم الكبير (أسن) ١ / ٢٩٩ (التأصيل السامي للمادة للدكتور يعقوب بكر)

(٦) اللسان (أسن) ١٦ / ١٥٧ (٧) يوسف ١٢ / ٤٥

(٨) رسالة في غريب القرآن على لغات القبائل ٩٣ ، وماورد في القرآن من لغات القبائل ١ / ٢١٧ وفيه « بلغة

تميم وقيس عيلان »

لهلكة ولغة القوم من أهل نجد يقولون : أبسلت البسر ، إذا طبخته وجففته فهو « مبسل »^(١) .

ويدل المعنى الكلى لمادة (بسل) على الشدة^(٢) ، ومنه : بسل بمعنى عبس غضباً أو شجاعة^(٣) ، وكلا المعنيين : النجدى ، والآخر ، وهما : تعريض الولد للهلاك : وتجفيف البسر يدلان على الشدة .

وإذا كان المعنى الحسى يسبق المعنوى ، فإن هذا يجعلنا نحكم بتقدم التسمية ونشأة الآخر عنه بطريق المجاز . ويؤيد قدم المعنى التسمي استعمال اللفظ في الساميات بالدلالة نفسها ، ففي العبرية *בִּשַׁל* (بَاشَلُ) وفي الآرامية *ܒܫܠܐ*

(بُشِلُ) وفي الآشورية *bašālu* وفي الحبشية *basala* وكلها بمعنى تضيح أو طبخ ، وفي الآشورية كذلك *bašlu* بمعنى الناضج من الفاكهة^(٤) .

٥- بغى :

قال تعالى : (بثسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده)^(٥) ، وقيل إن « بغيا : حسدا بلغة تميم »^(٦)

وإذا رجعنا إلى مادة (بغى) نجد ابن فارس يذكرها بمعنيين كليين هما : طلب الشيء ، والفساد^(٧) . ويعني هنا المعنى الثانى : فنجد بغى بمعنى اعتدى ، وظلم ، وسعى بالفساد^(٨) وكل هذه المعاني تدخل تحت الظلم .

والبغى بمعنى الحسد المعزى إلى تميم يندرج تحت الظلم وإن كان ظلما معنويا غير حسى ، إذ هو بمعنى تمنى زوال نعمة الغير^(٩) ، فهو من باب تضيق الدلالة .

(٢) اللسان (بسل) ١٣ / ٥٦ - ٥٨

(١) جمهرة اللغة ١ / ٢٨٨

(٣) المرجع السابق ١٣ / ٥٦

(٤) المعجم الكبير (بسل) ٢ / ٣٢٣ (التأصيل السامى للدكتور رمضان عبد التواب)

(٥) البقرة ٢ / ٩٠ (٦) ماورد في القرآن من لغات القبائل ١ / ١٦

(٧) مقاييس اللغة ١ / ٢٧١ (٨) اللسان (بغى) ١٨ / ٨٤

(٩) مجمع البيان ١ / ١٨٤

٦- بيض النعامة الذكر :

سمع الأصمعي (ت نحو ٢١٦ هـ) « رجلا من بني تميم يقول : بيض النعامة الذكر يعني مائه »^(١) . والعرب يطلقون النعامة على الأنثى ويطلقون على ذكرها الظليم^(٢) ، ومنهم من يطلق أيضا على الذكر نعامة^(٣) . والأصمعي هنا ألحق بالاسم المؤنث كلمة الذكر ليؤكد أنه المقصود .

وإطلاق التسمية البيض على ما يخص الذكر ، وهو الماء لعلاقة المشابهة بين المدلولين ، لأن ما يخص الذكر يؤدي الوظيفة الخاصة ببيضة الأنثى .

٧- الإجرد :

ذكر أبو زيد (ت نحو ٢١٥ هـ) أن « الكفنة عشبة منتشرة النبتة على الأرض يقال لها ما كانت رطبة كفنة ، فإذا يبست فهي الإجرد ، وتميم تسميها الإجرد على كل حال »^(٤) .

وإذا كانت مادة (كفن) تدل على التغطية^(٥) ، فهذا يعني أنه أطلق على هذه العشبة مادامت رطبة كفنة ، لأن أوراقها تغطي مساحة معينة من الأرض ، أما عند يبسها فتتجرد عنها الأوراق التي تستر الأرض فسميت حينئذ الإجرد . وجاء التميميون وعمموا اللفظ فأطلقوه على العشبة في جميع أطوار حياتها .

٨- خاشعة :

فسرت كلمة « خاشعة » في قول الله تبارك وتعالى : (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة)^(٦) بأنها « مقشعة بلغة تميم »^(٧)

(٢) اللسان (نعم) ١٦ / ٦١

(١) المخصص ١٦ / ١٠٧

(٤) التكملة (جرد) ٢ / ٢٠٩

(٣) المرجع السابق

(٥) انظر : اللسان (كفن) ١٧ / ٢٣٩ - ٢٤١

(٦) فصائل ٤١ / ٣٩

(٧) رسالة في غريب القرآن على لغات القبائل ١٠٠ ، وماورد في القرآن من لغات القبائل ٢ / ١٧٤

والخشوع قريب من الخضوع ، إلا أن الخضوع في البدن ، وهو بمعنى الإقرار بالاستخزاء ، والخشوع في البدن والصوت والبصر^(١) والفعل منه « خَشَعَ »^(٢) . وخشع بمعنى اقشعر ، أى ارتعد^(٣) . والاقشعرار بالنسبة للأرض : تقبضها وتجمعها ، وفي حديث كعب : « إن الأرض إذا لم ينزل عليها المطر اريدت واقشعرت »^(٤) .

واضح مما سبق أن الخشوع بدلالاته التيممية لا يكتفى بالتقبض وإنما يزيد عليه الرعدة والاضطراب ، فصنيع تميم هذا يعد من تخصيص العام .

٩- الرُّبْق :

سمع الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) أعراب بني تميم يطلقون كلمة « الرُّبْق » على « خيط يُثْنَى حَلْقَةً ثم يجعل رأس الشاة فيه ، ثم يشد^(٥) » .

وإذا رجعنا إلى مادة « ربق » في المعاجم اللغوية نجد أنها تستعمل الربق (وواحدة الرُّبْقَة) استعمالاً عاماً فتطلقه على « الخيط »^(٦) دون تحديد نوعه أو شكله ، ثم تخصصه كما في الدلالة التيممية التي تجعله خاصاً بما يحيط رقبة الشاة ، ولم تقتصر في تخصيصها على الشاة ، وإنما جعلته عاماً لكل بهيمة ، بل وللأطفال^(٧) . استعمال تميم إذن من باب تخصيص العام .

ونلاحظ أن استعمال هذا اللفظ ليس قاصراً على العربية ، وإنما هو مستعمل في العبرية ففيها $\text{רֶבֶק} \text{רֶבֶק}$ بمعنى مربوط^(٨) . وواضح أن الاستعمال العبري في منزلة وسط بين الاستعمال العام في العربية (خيط) والخاص (خيط حول الرقبة سواء أكان

(١) اللسان (خشع) ٩ / ٤٢٣

(٢) المرجع السابق

(٣) انظر معنى « اقشعر » في اللسان (قشعر) ٦ / ٤٠٥

(٤) النهاية لابن الأثير (قشعر) ٤ / ٦٦

(٥) تهذيب اللغة ٩ / ١٣٥

(٦) المرجع السابق ٩ / ١٣٤

(٧) راجع مقاييس اللغة (ربق) ٢ / ٨١ ، واللسان (ربق) ١١ / ٤٠٢ ، ٤٠٣

(٨) Gesenius, Hebrew ... P. 918

أكان للشاة أم لغيرها أم من البهائم أم للصبيان) . وبلاغة المناطقة يمكن أن يمثل الاستعمال العربى العام بالجنس والاستعمال العبرى بالنوع والعربى الخاص ومنه التمييزى بنوع الأنواع . ولا أحب أن أترك هذا اللفظ دون تعليق لعلنا نستطيع أن نوضح أصله وتطوره :

١- إن أول ما يرد على ذهن القارئ للدلالة التمييزية ولغيرها من الدلالات الخاصة التى تنص على إطلاق هذا الاسم على خيط يلف حول العنق (سواء أكان عنق بهيمة أو إنسان) أن أصل الكلمة « رقب » نسبة إلى الرقبة التى يلف حولها الخيط ثم حدث بالكلمة قلب مكافئ . لكن يحول دون ذلك إطلاق اللفظ على الخيط بصفة عامة .

على أنه لو صحت هذه الملاحظة لكان المعنى العام من باب تعميم الخاص .

٢- إطلاق اللفظ على الخيط بصفة عامة يجعل الإنسان يميل إلى أن هناك صلة بين « ربق » و « ربط » وأن القاف أصلها « طاء » لكن عدم تقارب المخرجين يحول دون التبادل ، فالقاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى ، والطاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا^(١)

ورغم بعد هذين المخرجين ، إلا أن اتحاد الداليتين يجعلنا نميل إلى أن الاختلاف صوتى وأنه حدث تبادل من النوع الشاذ وقد يكون سببه وجود لشغة عند أحد الأشخاص فى الطاء بأن كان ينطقها قافا ثم انتقلت منه إلى الأجيال بعده فى هذا اللفظ بالذات . وقد لاحظت هذه اللشغة فى أحد الأشخاص إذ كان ينطق كل طاء قافا صريحة ، كما لاحظت كذلك فى أحد والديه ، وهذا النوع من التبادل رأيناه فى العصر الأيوبي ، فيذكر ابن خلكان أن « الملك الكامل ما كان يعيش له ولد ، فلما ولد له المسعود قال بعض الحاضرين فى مجلسه من الأتراك : فى بلادنا إذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه أطميس ، فسماه أطميس ، والناس يقولون : أقميس بالقاف وصوابه بالكاف^(٢) » ومن أمثاله أيضا ما ذكره الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) من قولهم « مزلطة » فى « مزلقة »^(٣)

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٣

(٢) وفيات الأعيان ٤ / ١٧

(٣) التاج (زلط) ٥ / ١٤٧

١٠ - أسبع :

يعزى إلى تميم أنهم كانوا يقولون : أسبع الرجل ، إذا كان دعياً في القوم .^(١) وإذا تشبعنا مادة (سبع) في المعاجم اللغوية ، نجد لها تدور في فلك معنيين كليين ، هما : العدد سبعة ، والحيوان المنقرض^(٢) . وقد اشتق العرب من كلا المعنيين فعلاً ، فقالوا مثلاً من الثاني وهو الذي يعيننا هنا - سَبَعَتِ الذئاب الغنم ، أى افترستها ، وأسبع الرجل : أطعمه السبع^(٣) . ولم يكتفوا بهذا النوع من الاشتقاق الذي هو على سبيل الحقيقة ، وإنما نال الحقيقة مجاز . وهذا ما نلاحظه في الفعل الذي نسب إلى تميم ، فأسبع فيه على معنى تشبه بالسبع ، فهو ليس أصيلاً في القوم ، وإنما تجراً وادعى أنه منهم .

١١ - السريال :

استعملت تميم كلمة « سريال » للدلالة على القميص واستعملته كناية في معنى الدرع جاء في « غريب القرآن على لغات القبائل » : « (سراييل تقيكم الحر) القميص بلغة تميم (وسراييل تقيكم بأسكم » يعنى الدروع بلغة كناية^(٤) ومفرد الكلمة سريال^(٥) .

وإذا ما أردنا أن نعرف المقصود بالدالتين ، وجدنا :

(١) القميص :

لأنجد له تعريفاً في المعجمات فيعرفه صاحب اللسان بأنه « القميص الذي يلبس ، معروف^(٦) ، كما اكتفى الفيومي بذكره دون تعريف^(٧) . وهذا النوع من التعريف لا يغنينا ، لأنه لا يصلح إلا للزمن الذي ينتمى إليه مؤلف المعجم أو من نقل عنه ولما كان هذا اللفظ قد ورد في كتاب الله في قصة سيدنا يوسف - عليه السلام - ست

(١) الأفعال للمرقسلى ٥٠٦/٣

(٢) انظر على سبيل المثال : مقاييس اللغة (سبع) ١٢٨/٣ ، ١٢٩ ، واللسان (سبع) ١٠/٨ - ١٣

(٣) اللسان (سبع) ١١/١٠ (٤) غريب القرآن على لغات القبائل ٩٤

(٥) اللسان (سريال) ٣٥٦/١٣ (٦) اللسان (قميص) ٣٥٠/٨

(٧) المصباح (قميص) ٥١٦

مرات ، قال تعالى : « وجاءوا على قميصه بدم كذب »^(١) ، فقد لجأت إلى كتب التفسير — وبخاصة التي تعنى باللغة — فإذا بها لم تتناوله بالتوضيح^(٢) .

فإذا جئنا إلى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) نجده ينقل عن الجزرى وغيره « أن القميص ثوبٌ مخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب »^(٣) لكن هذا التوضيح لا يتفق في دلالة والقميص الذى تكرر ذكره في سورة يوسف .

وإذا كان الاستعمال الحالى في الجزيرة العربية — موطن العربية أيام الاحتجاج بها وبصفة خاصة في الجهات الصحراوية المغفلة — يعد محافظة على القديم وعلى الأنحس من حيث الدلالة ، فقد سمعت أهل « المخواة » بتهامة وهم من زهران ينطقون هذه الكلمة ويعنون بها الجلباب الذى يغطى الجسم كله وهذا البلد يقع في المنطقة التى يصف فؤاد حمزة لهجاتها بأنها أفصح اللهجات وأقربها إلى الفصحى^(٤) ، وهذه الدلالة نجدها في « معجم ألفاظ القرآن الكريم » الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عند عرضه هذا اللفظ فقد ورد فيه : « القميص من الثياب ما يحيط بالبدن ، وقد سمي شعارا وما فوقه دثارا ، وقد يسمى كل جلباب قميصاً »^(٥) .

(ب) الدرع :

والمقصود به لبؤس الحديد^(٦) ، وهو قميص من حلقات متشابكة يلبس وقاية من السلاح^(٧) . ويقصد به أيضاً ثوب المرأة ، أى القميص وكذلك الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها^(٨) لكن الدرع المعنى هنا هو النوع الأول ، لأنه يتفق والسراويل في قوله تعالى : (وسراويل تقيكم بأسكم)^(٩) .

(١) يوسف ١٢٠/١٨ وانظر الآيات : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤٩/٩ ، ومجمع البيان ٢١٥/٣

(٣) تاج العروس (قمص) ٢٨/٤ (٤) قلب جزيرة العرب ١٠٧

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٠/٢ (٦) اللسان (درع) ٣٥/٩

(٧) المعجم الوسيط (درع) ٢٨٠/١ (٨) اللسان (درع) ٣٥/٩

(٩) النحل ٨١/١٦

سبب الاشتراك :

ويرجع الاشتراك اللفظي في « سربال » وجمعها « سراويل » أن الكلمة ليست عربية المنبت ، فقد نقل جفرى عن فرايتغ في معجمه^(١) أن الكلمة دخيلة من الفارسية « شلوار » التي تعد أصلاً لها وللكلمة « سروالة » أيضاً . وقد استحسن رأيه هذا كثير من المؤلفين ، ويرى أن الكلمة توجد في الآرامية بصيغة ܣܪܒܐܠ وتعني عباءة ، كما أن ܣܪܒܐܠ و ܣܪܒܐܠ (صربال) بمعنى يغطي بالعباءة . وهذه الكلمة الآرامية مأخوذة بالطبع من الإيرانية . ومن المحتمل أن تكون كلمة سربال دخلت العربية عن الآرامية^(٢)

ولما دخلت هذه الكلمة سواء أكانت عن الفارسية مباشرة أم عن الآرامية أم عنهما معاً لم تحافظ العربية تمام المحافظة على المعنى الأصلي شأن معظم المعربات ، فاستعملها التميميون على أنها الثوب الذي يغطي الجسم كله ليقويه حر الصيف وبرد الشتاء ، واستعملها بنو كنانة للدلالة على ما يقي من هجمات وخصصوها لما يلبس في الحرب .

ويذكر الأب رفائيل نخلة أن كلمة « سربال » بمعنى قميص وسروال في الفارسية وأنها مكونة من « سر » (فوق) و « بال » (قامة)^(٣) . وإن صرح هذا كانت الدلالة التميمية هي الأقرب لمعنى الكلمة في لغتها الأصلية ، وأن المعنى الكنانى هو المستحدث ولعل سبب تخصيص الكنانيين لمعناها هذا أن كلمة الدرع هي أيضاً من المشترك اللفظي وتعني — كما قلنا — بالإضافة إلى قميص الحديد الذي يلبس في الحرب ، القميص الذي تلبسه المرأة ، أو الثوب القصير الذي تلبسه الجارية الصغيرة في الدار ، فلما رأى الكنانيون التميميين يستعملون السربال للملبس الذي يغطي الجسم كله ، استعاروا هذه هذه اللفظة للباس الحديدى المستخدم في الحرب .

V.2. p. 305

(١)

Jeffery, The foreign vocabulary of the Quran p. 168. 169.

(٢)

(٣) غرائب اللغة العربية ٢٣٣

الدلالة التميمية في اللغة المشتركة :

(أ) في النشر :

أولا - في القرآن الكريم :

شاعت الكلمة بدلالاتها التميمية والكنانية واستعملها أرقى نص أدبي بدرجة واحدة وهو القرآن الكريم حتى إنهما وردا متتابعين في قوله تعالى : (وَجَعَلَ لَكُم سِرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسِرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ)^(١) ، ووردت الدلالة التميمية وحدها في قوله عز وجل (سِرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ)^(٢)

ثانيا - في الحديث الشريف :

كما وردت الدلالة التميمية على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران»^(٣)

ثالثا - في غير القرآن والحديث :

واستعملت أيضا في قول سيدنا عثمان « لا أخلع سربالا سربلنيه الله »^(٤)

(ب) في الشعر :

نرى اللفظ بدلالاته التميمية عند أحد شعراء تميم المخضرمين وهو عبدة بن الطبيب في قوله :

تَخْلُدُو عَلَيْنَا تُلْهِمُنَا وَتُضْفِدُنَا تُلْقَى البرودُ عليها والسرابيلُ^(٥)

كما ورد في قول دوسر بن ذُهَيْل القرَيعي ، وقيل لرجل من بني يربوع :

طَوِيلُ يَدِ السَّرْبَالِ أَغْيَدُ لِلصَّبَا أَكْفٌ عَلَى ذِفْرَايَ ذَا خُصَلٍ جَعْدٍ^(٦)

(١) النحل ٨٧/١٦

(٢) إبراهيم ٥٠/١٤

(٣) صحيح مسلم ص ٦٤٤ (كتاب الجنائز رقم ٢٩)

(٤) إحياء ابن الأثير ٣٥٧/٢

(٥) المفصليات لأبى ١٤٥ (نصفها : نعلها - هامش المرجع السابق رقم ٨١ للمحققين)

(٦) الأصمعيات ١٥٠ (الأغيد : المائل العنق اللين الأعطاف ، الذفرى : انقلم الشانص خالف الأذن . أراد أن الموصوف يرد شعره إلى ما وراء أذنيه - هامش المرجع السابق رقم ٤ للمحققين)

الدلالة في الوقت الراهن :

لاتزال كلمة السربال مستعملة بدلائنها النحوية عند التميميين المقيمين الآن في حوطة بني تميم^(١)

١٢- السُّرْحان :

يذكر ابن دريد أن « السُّرْحان : الذئب بلاغة أهل نجد »^(٢) وينسب الأصمعي هذا اللفظ بمعنى الأسد إلى هذيل^(٣) ، والأسد والذئب يتفقان في أنهما حيوانان مفترسان لا حِمان^(٤) ، إلا أن الأسد أشد ضراوة . وقد لاحظ العرب ذلك ، فمن أمثالهم « الذئب خالياً أسد » والمراد أنه إذا خلا من أعوان من جنسه كان أسداً لا تكاله عما في نفسه من الصرامة والقوة ، فيشب وثبة لا بُقياً معها^(٥) فتشبيه العرب الذئب بالأسد دليل على تفوق الأسد عليه في اعتقادهم .

وتدل مادة (سرح) على الانطلاق^(٦) ، ومنه : السُّرْح : المال يسام في المرعى من الأنعام^(٧) ، وكذلك كل شجر طال^(٨) ، فاشتقاق لفظ « السرحان » للدلالة على كل من الأسد والذئب أمر مقبول .

لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : أي الدالتين هي الأصل ؟ للإجابة عن ذلك نعود إلى المادة نفسها لعلنا نجد فيها ما يعيننا على الجواب .

إذا عدنا إلى المادة نجد أن « السُّرْح : شجر كبار طوال لا يرعى وإنما يستظل فيه ، ينبت بنجد »^(٩) .

(١) عن : محمد معقل البسام ، من حوطة بني تميم .

(٢) جمهرة اللغة ٢/٢٧١

(٣) تهذيب اللغة ٤/٣٠١ ، والمحكم ٣/١٣٦ (دون نسبة في الأخير إلى الأصمعي) .

(٤) انظر : المعجم الوسيط (أسد) ١/١٧ ، (ذئب) ١/٣٠٨

(٥) مجمع الأمثال للميداني ١/٢٧٨ (رقم ١٤٦١)

(٦) انظر : مقاييس اللغة ٣/١٥٧ ، واللسان ٣/٣٠٧

(٧) اللسان (سرح) ٣/٣٠٧

(٨) المرجع السابق ٣٠٩

(٩) المحكم ٣/١٣٥ ، واللسان ٣/٣٠٩ (باختلاف في الألفاظ)

وإن وجود « السرح » بنجد يجعلنا نرجح أن السرحان بمعنى الذئب هو الأصل ،
 ويزيد هذا الاحتمال ترجيحاً قول أبي حنيفة : « وأخبرني أعرابي قال : في السَّرحة غبرة ^(١) »
 والمعروف أن الذئب يتميز بغبرة لونه وبخاصة ما يمشي منه في جزيرة العرب ^(٢)

لهذا أيل إلى أن اللغة التميمية اشتقت السرحان وأطلقت على الذئب ، ثم انتقل
 اللفظ إلى الهذليين بدلالة جديدة هي الأسد للتشابه بين الاثنين في القوة والانسراح .
 لقضاء مطالب الحياة .

١٣- اشمأز :

ورد في « غريب القرآن على لغات القبائل » المنسوب إلى ابن عباس (ت ٦٨ هـ)
 تعقيباً على قول الله تعالى : (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ^(٣))
 أن معنى اشمأزت مالت بلغة بني تميم ^(٤) .

وإذا رجعنا إلى المعاني الأخرى لكلمة « اشمأزت » والتي فسرت بها الآية الكريمة نجدها :

١- انقبض واجتمع بعضه إلى بعض ^(٥)

٢- اقشعر (عن ابن الأعرابي) ^(٦)

٣- نفر (عن الزجاج) ^(٧)

ونلاحظ أنه لا فرق بين النفور والميل عن الشيء وأن القشعريرة ينتج عنها التقبض
 وأن الأصل عند سماع الشيء غير المستحب كالقرآن الكريم بالنسبة للمشركين أن يميلوا
 عنه وينفروا ، وقد يؤدي هذا الميل إلى تقبض وقشعريرة . ومعنى ذلك أن الميل (أى
 الدلالة التميمية) هي العامة ، ثم خصصت بعد ذلك عند غيرهم ، بأن تبع هذا النفور
 تقبض أو قشعريرة .

(٢) معجم الحيوان ٤٨
 (٤) رسالة في غريب القرآن ٩٩
 (٦) المرجع السابق .

(١) المحكم ١٣٥/٣
 (٣) الزمر ٤٥/٢٩
 (٥) اللسان (شمر) ٢٢٩/٧
 (٧) المرجع السابق .

١٤ - شايح

يعزو الأصمعي (ت نحو ٢١٦ هـ) إلى تميم ومعهم قيس أنهم كانوا يقولون « شايح » بمعنى حاذر وأن هذيلًا كانت تعني به جدّ في الأمر^(١)

ونلاحظ. أن الجامع بين المعنيين : التميمي وهو الحذر ، والهذلي وهو الجد ، الاهتمام ثم خصص عند كل فريق . ومما يرجح قولنا هذا أن المعنى الأصلي لمادة (شايح) الاهتمام ، وأن شايح تعني أيضا - خلاف الداليتين التميمية والهذلية - قاتل (دون نسبة إلى قوم معينين)^(٢) !

وقد ورد اللفظ بالدلالة التميمية القيسية على لسان الشاعر أبي السّوداء العجلى :

إذا سمعن الرّز من ربّاح شايحن منه أيما شياح^(٣)

وبنو عجل الذين ينسب إليهم الشاعر بطن من بكر - كما سبق أن ذكرنا - وهذا يدل على أن اللفظ بدلالته التميمية لم يكن - في الغالب - محصورا في تميم وقيس .

١٥ - الصّدَف :

قال تعالى : (حتى إذا ساوى بين الصّدفين)^(٤) والصّدفان مثني الصّدَف وأطلقه بنو تميم على الجبل^(٥) - وقد تناولنا ضبط الكلمة لديهم عند الحديث عن الضم والفتح - ويطلق الصّدَف كذلك على جانب الجبل ، وبه فسرت الآية الكريمة لدى كثير من المفسرين^(٦) .

وإذا كان :

(أ) معنى الفعل « صادف » هو لاقى ، فإن جانبي الجبلين يقال لهما صدفان لتلاقيهما برباط بينهما يسمى الفجّ أو الشّعب أو الوادى .

(١) الغريب المصنف ١٧٤ / ١ ، والأماي للقال ٢٥٨ / ١

(٢) اللسان (شايح) ٣٣١ / ٣

(٣) المرجع السابق (الرز ؛ الصوت . رباح : اسم راع - اللسان « شايح »)

(٤) الكهف ١٨ / ٩٦ (٥) رسالة في غريب القرآن ٩٥

(٦) انظر على سبيل المثال : مجمع البيان ٣ / ٤٩٥ (٧) اللسان (صدف) ١١ / ٨٩

(ب) الصَّدَف بمعنى الميل عن الشيء^(١) ، فمن هنا يطلق على جانب الجبل « صدف »
لميل رأسه عن قاعدته وإلى هذا ذهب ابن فارس^(٢) (ت ٣٩٥ هـ) .

وسواء أكان الصدف مشتقا من صادف بمعنى قابل ، أو صدف عن الشيء أى مال عنه ، فإن الدلالة الأقرب للصدف هى « جانب الجبل » ، وإن استعماله بمعنى الجبل - كما هو الشأن عند التميميين - من باب إطلاق الكل على الجزء . وحينئذ تكون الدلالة التميمية هى الحديثة .

أما إذا كان « الصَّدَف والهِدَف واحد ، وهو كل بناء عظيم مرتفع ، كما يقول أبو عبيد^(٣) »
(ت ٢٢٤ هـ) ، فإننا إذا رجعنا إلى مادة (هدف) نجد لها تدل على كبر الشيء وضخامته^(٤) .
ومعنى ذلك أن « الصدف » مبدأة من « الهدف » وأن التميمي خصص العام ، ثم من هذه الدلالة أطلق غيره الجزء على الكل . أى أن تطور الكلمة ودلالاتها مر بالأدوار التالية :
هدف (بناء عظيم) < صادف (بالإبدال = بناء عظيم) < صدف (جبل عند تميم) < (جانب الجبل ، عند غير التميميين) .

واكن يحول دون هذا الاحتمال الثانى أن الهاء والصاد متباعدان متفرجا مما يجعل شرط التبادل غير محقق ، إلا إذا كان تبادلا شاذا .

١٦ - الضَّيْس :

تطلق كلمة « الضَّيْس » فى لغة تميم على الخب ، وفى لغة قيس على الداهية^(٥) ، والكلمتان معناهما :

(أ) الخَب : الخنداع^(٦) .

(ب) الداهية : العاقل البصير بالأمر^(٧) وكذلك الأمر المُنكر العظيم^(٨) ، والمراد هنا بالطبع الدلالة الأولى لاتفاقها مع الخب فى أن كلا منهما صفة لشخص .

(١) تهذيب اللغة ١٢ / ١٤٦ والأزهري يحمل المصادفة بمعنى التلاقى منفردة عن دلالة اللفظ (جانب الجبل)

(٢) مقاييس اللغة (صدف) ٣ / ٣٣٩ (٣) تهذيب اللغة ١٢ / ١٤٧

(٤) مقاييس اللغة (هدف) ٦ / ٣٩ ، واللسان (هدف) ١١ / ٢٦٠

(٥) تهذيب اللغة ١١ / ٤٨٦ (عن أبي عدنان) ، واللسان (ضيس) ٧ / ٤٢٢

(٦) القاموس (خب) ١ / ٥٩ (٧) اللسان (دها) ١٨ / ٣٠١ (٨) المرجع السابق

ونلاحظ أن « الضَّيْس » يدل - خلافا للمعنيين السابقين : التَّيْسِي والتَّيْسِي -
على :

١ - الشَّكْس القَيْس^(١) .

٢ - الحريص^(٢) .

والجامع بين هذه الدلالات الأربع (التَّيْمِي والقَيْسِي وغير المعزوين إلى أقوام معينين)
هو القدرة العقلية ، وكل منهما بوجهة معينة تختلف عن وجهات الدلالات الأخرى .

١ - فمن يستعملونه في مقابل الداهية ، وهم القَيْسِيون يعنون به الدقيق في عمله
الواعي لما يفعل .

٢ - والتَّيْمِي يعبر به عن قدرة العقل في الشر .

٣ - ومن يجعلونه في مقابل الشكس ، يعنون به من يتشبث برأيه ، وهو حينئذ
يوقف نشاطه العقلي .

٤ - وأما من يعنون به الحريص ، فلأن كل همه وتفكيره في جمع المال وحفظه خشية
أن يضيع جهده سدى .

١٧ - ضاس :

للفعل ضاس ومشتقاته مسندا إلى النبت دالتان هما :

(أ) الهيج بصفة عامة^(٣) ، وهو اليبس والاصفرار^(٤) كما في قوله تعالى : (ثم
يهيج فتراه مصفرا)^(٥) .

(ب) بداية جنفاف النبت وقد نسب أبو حنيفة (ت ٢٨٠ هـ) هذه الدلالة إلى
النجديين^(٦) وهم تيميون وغير تيميين .

(١) القاموس (ضيس) ٢ / ٢٢٤ (٢) التاج (ضيس) ٤ / ١٧٤

(٣) اللسان (ضيس) ٧ / ٤٢٧ (٤) اللسان (هيج) ٣ / ٢١٩

(٥) المرجع السابق ، والآية في الزمر ٣٩ / ٢١ والحديد ٥٧ / ٢٠

(٦) اللسان (ضيس) ٧ / ٤٢٧ ، والتكملة (ضيس) ٣ / ٥٣٧

وواضح أن نشوء المعنى التميمي مرده تضيق مجال الدلالة بتخصيصها بعد أن كانت عامة .

١٨ - ٢١ : الأعفت - الأعفك - الألفت - الألفك :

١ - عزى إلى تميم أنها كانت تقول الألفت وتعنى به الأعسر^(١) ، في حين إن قياسا كانت تطلقه على الأحمق^(٢) .

٢ - وقد أطلق على الدلاتين أنفسهما عند القبيلتين الألفك^(٣) .

٣ - كما أطلق الأعفك بمعنى الأعسر منسوباً إلى تميم^(٤) .

واللفظة أيضاً بمعنى الأحمق دون نسبة إلى قوم معينين^(٥) .

٤ - وعزى إلى تميم كذلك أنهم كانوا يقه لون الأعفت بمعنى الأعسر ، وفي لغة غيرهم الأحمق^(٦) .

ونخلص من هذا أن تميمًا كانت تطلق على الأعسر أربعة ألفاظ ، هي : الألفت ، والألفك ، والأعفت ، والأعفك ، وأن هذه الألفاظ أطلقت عند غيرهم على الأحمق ، وحدد ناطقوا اللفظيين الأولين بقيس .

(١) وهو الذى يعمل بيده اليسرى (القاموس - عسر ٢ / ٨٧)

(٢) الغريب المصنف ٥ / ١ وديوان الأدب ٢ / ٢٥٨ ، وتهذيب اللغة ١٤ / ٢٨٦ ، والصحاح (لفت) ١ / ٢٦٤ وانظر نسبة الصيغة التميمية في نوادر أبي زيد ٤٧٠ (الشروق) .

(٣) اللسان (لفت) ٢ / ٣٩٠ ، والتاج (لفت) ١ / ٥١١

(٤) جمهرة اللغة ٣ / ١٢٦ ، ومقاييس اللغة (عفك) ٤ / ٥٦ (عن ابن دريد)

(٥) انظر : مقاييس اللغة (عفك) ٤ / ٥٥ ، واللسان (عفك) ١٢ / ٣٥٥

(٦) الصحاح (عفك) ١ / ٢٥٨

تفسير تعدد الألفاظ واشتراكها اللفظي :

ولتفسير تعدد الألفاظ وتعدد المعنى نرجع إلى مواد هذه الألفاظ : (لفت) و (لفك) (عفت) و (عفك) لنرى المعاني الكلية لكل منهما :

١ - نجد أن مادتي (لفت) و (عفت) تدلان على اللى^(١) ، ومعنى ذلك أنه يحتمل أن يكون أحد الصوتين (العين واللام) مبدلاً من الآخر وهذان الصوتان متباعداً مخرجاً لأن الأول حلقى ، والثاني من فوق الشنبا^(٢) إلا أنهما متفقان في صفة الهمس ، ويتفقان كذلك - وفق ملاحظة القدماء - في أنهما من الأصوات المتوسطة بين بين الشدة والرخاوة^(٣) ، مما يقوى احتمال قلب أحدهما إلى الآخر .

وإذا كنا نلاحظ أن مادة (لفت) هي أكثر أصالة من (عفت) في الدلالة لكثرة المعاني التي تدل على اللى والانصراف ، فنميل إلى أنهما الأصل^(٤) ، فمن المعاني الواردة بها وتدل على اللى ، وليست في (عفت) :

١ (لفت) بمعنى صرف^(٥) .

٢ (ب) والألف : التيس المتلوى أحداً قرنيه^(٦) .

(ج) واللفوت : المرأة لها زوج وولد من غيره ، فهي تلتفت إليه^(٧) .

(د) واللفوت أيضاً : الناقة التي تلتفت عند الحلب إلى الحالب فتعضه^(٨) .

٢ - ولكننا إذا رجعنا إلى مادتي (عفك) و (لفك) وجدناهما تدلان على الحماسة^(٩) ، ومن المحتمل أن تكون إحدى الكلمتين تطورت عن الأخرى للعلّة التي حصل فيها التبادل بين (لفت) و (عفك) وسبق ذكرها .

-
- (١) انظر مقاييس اللغة (لفت) ٥ / ٢٥٨ ، وتهذيب اللغة ١٤ / ٢٨٥ ، واللسان عفت ٢ / ٣٦٤ و (لفت) ٢ / ٣٨٩
 (٢) المرجع السابق ١ / ٥٢
 (٣) المرجع السابق ١ / ٦٩
 (٤) راجع المادتين في المعاجم اللغوية كاللسان (لفت) ٢ / ٣٨٩ ، (عفت) ٢ / ٣٦٤ والقاموس (لفت) ١ / ١٥٧ ، (عفت) ١ / ١٣
 (٥) القاموس (لفت) ١ / ١٥٧
 (٦) المرجع السابق ، واللسان (لفت) ٢ / ٣٩١ (٧) اللسان (لفت) ٢ / ٣٩٠
 (٨) المرجع السابق .
 (٩) انظر : تهذيب اللغة (لفك) ١٠ / ٢٥٤ ، و (عفك) ١ / ٣٢٢ ، ومقاييس اللغة (لفك) ٥ / ٢٥٧ ، و (عفك) ٤ / ٥٥

٢ - ومن المحتمل كذلك أن يكون قد حدث تبادل بين (لفت) و (لفك) وبين (عفت) و (عفك) . حقيقة إن هناك تباعدا بين مخرجي الكاف والتاء ، فالكاف من أقصى الحنك والتاء من أدناه ، إلا أن اللغويين لاحظوا قلب الكاف تاء عند الأطفال ، فقد يقول الطفل العربي تلب بدلا من كلب والإنجليزى Cat^(١) في tat وتعليل ذلك أن الصوتين يتحدان في صفة الهمس والشدّة . ولا فرق بينهما إلا في المخرج . وانتقال المخرج من أقصى الحنك إلى أدناه يبرره أن التاء أقرب أصوات طرف اللسان إلى الكاف^(٢) .

وبعد هذا العرض أميل إلى أن الأعسر كان يعبر عنه في الأصل عند تميم بالألف ، لأنه كما ورد في التهذيب « سمي ألف ، لأنه يعمل بجانبه الأمل ، وذلك نوع من اللى ، ثم انتقلت الدلالة إلى الألفاظ الأخرى لصلتها الصوتية بها وأن الأحمق كان يعبر عنه بالألفك أو الألفت عند قيس (والأولى أرجح لاتفاق ذلك وما لاحظناه من قلب الكاف تاء عند الطفل لا العكس) . ثم انتقلت الدلالة إلى الألفاظ الأخرى لصلتها الصوتية بها . ونتج عن ذلك أن أصبحت تميم تطلق على الأعسر ألف ، وألفك وأعفت ، وأعفك ، وغيرهم أطلق هذه الألفاظ على الأحمق . وقد تكون هذه الألفاظ موزعة على بطون تميمية لم تنص عليها كتب اللغة التي اطلعنا عليها .

٢٢ - غدوى :

جاء في التهذيب « قال شمر : وبلغني عن ابن الأعرابي أنه قال : الغدوى البهم الذي يغذى ، قال : وأخبرني أعرابي من بلخيم قال : الغدوى : الحمل أو الجدوى لا يغذى بلبن أمه ، ولكن يُعاجى »^(٣) .

يذكر هذا النص لكلمة « الغدوى » دالتين ، هما :

- (١) البهم ، أى أولاد الغنم من ضأن ومعز^(٤) ، وهو المرحلة الثانية لها بعد الولادة وكانت تسمى سمخلة ، وهى اسمها ساعة وضعها^(٥) ومن شأن هذه البهم أن تغذى بلبن أمهاتها .

(٢) المرجع السابق

(١) الأصوات اللغوية ٢١٧ ، ٢١٨

(٣) تهذيب اللغة ٨ / ١٧٥ ، والنص أيضا في اللسان (١٨) ١٩ / ٣٥٥ (يعاجى : يغذى بالطعام - اللسان - ص ١٩ - ٣٥٥) .

(٥) المرجع السابق

(٤) انظر : اللسان (٣٣) ١٤ / ٣٢٢

(ب) وخصصت بأولاد الضأن والمعز التي منع عنها اللبن وغذيت بالطعام. وقد استعمله بهذه الدلالة بطن من تميم هم بنو الهجيم كما وضع ذلك النص .

وانتقال الدلالة من المعنى الأول إلى هذا المعنى لعلاقة المشابهة بين المدلولين ؛ فكلا الحيوانين يتغذى : ذاك بالغذاء الطبيعي وهو اللبن ، وهذا بغذاء سوى اللبن .

وهناك دلالة ثالثة هي :

(ج) الغدوى بمعنى بيع الشاة بما في بطنها من حمل^(١) .

٢٣ - فلفظ :

استعمل بنو تميم كلمة « فلفظ » بمعنى تخلص بسرعة ، واستعملها بنو هذيل بمعنى فاجأ . واختلاف الدلالة هنا يرجع إلى التطور الصوتي للكلمة عند تميم ، فهي مبدلة من « فلت » بقلب التاء طاء ، فاشتركت بعد الإبدال مع الكلمة الهذلية في اللفظ .

وقد تناولنا هذه الكلمة عند الحديث عن قلب التاء طاء .

٢٤ - أفاض :

وردت هذه الكلمة في قوله عز وجل : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)^(٢) وهي في لغة تميم بمعنى « نفر »^(٣) .

ولذا رجعنا إلى المعاجم اللغوية نجد المعنى الكلي للفظ (فيض) يدل على سيولة الشيء بعد كثرته ، ومنه : فاض الماء ، والدمع ونحوهما^(٤) .

(١) المرجع السابق (غذا) ٩ / ٢٥٥

(٢) البقرة ٢ / ١٩٩

(٣) غريب القرآن على لغات القبائل ٨٨

(٤) اللسان (فيض) ٩ / ٧٦

والإفاضة مصطلح فقهي خاص بأحكام فريضة الحج ، ويراد بها : الانتقال من عرفة بعد الوقوف بها إلى المزدلفة على أن يكون ذلك بعد غروب شمس التاسع من ذي الحجة ، قال تعالى : (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام)^(١) . وهذا اللفظ لم يكن وليد التعاليم الإسلامية ، إنما كان مستعملاً في الجاهلية ، لكن الإفاضة عندهم كانت قبل غروب الشمس ، فلما جاء الإسلام أخرها إلى ما بعد الغروب^(٢) . وفي الجاهلية كان الخمس ، أي التشددون في الدين والمتحمسون له ، وهم : قريش وكنانة وجذيلة من قيس^(٣) يقفون بالمزدلفة دون سائر العرب الذين كانوا يقفون بعرفة ، لأنهم من سكان الحرم ، فكانوا يرفضون الخروج منه ، ويقولون : نحن أهل الله في بلدته^(٤) .

وكانت تميم تقف بعرفة ، لأنها لم تكن من الخمس ، ولمكانتها بين القبائل كان لها الريادة ، في ذلك اليوم ، فكانت تتولى إعطاء الإشارة ببدء التحرك من عرفة والخروج منها^(٥) .

ولما كان التحرك يحدث بكثرة واندفاع ، فهو أشبه بفيضان الماء أطلق على هذا العمل « الإفاضة » وعلى الفعل منه « أفاض » .

ونلاحظ أن الفعل التميمي « أفاض » لازم ، وأن مقابله اللازم - وإن كان في غير مجال العيادة ، ولكن يشبهه في الدلالة على الكثرة التي تبلغ درجة السيالان - هو « فاض »^(٦) ، فالصيغتان إحداهما - وهي التميمية - على « أفعل » والأخرى على « فعل » وهذا يتفق وما لاحظناه من قبل من اتجاه تميم إلى « أفعل » في مقابل « فعل » عند غيرهم .

٢٥ - مُقْرِصِع :

قال الصغاني (ت ٦٥٠ هـ) « أبو عمرو : القْرِصعة : الأكل الضعيف ... وقال أعرابي من بني تميم : إذا أكل الرجل وحده من اللؤم فهو مُقْرِصِع »^(٧) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٣٥١

(٤) تفسير القرآن العظيم ١ / ٢٥٣ ، ٢٥٤

(٦) القاموس (فيض) ٢ / ٣٤١

(٧) النص « في اللسان (قرصع) ١٠٠ / ١٤٣

(١) البقرة ٢ / ١٩٩

(٣) القاموس (حمس) ٢ / ٢٠٨

(٥) راجع ص ٤٩

(٧) التكملة (قرصع) ٤ / ٣٢٧ ، « وقال أعرابي ... النص » في اللسان (قرصع) ١٠٠ / ١٤٣

وإذا رجعنا إلى مادة (قرصع) في « لسان العرب » نجد لها تدل على الاستخفاء والضعف (وهو نوع من الاستخفاء) ، فنرى القرصعة بمعنى :

١ - الانقباض^(١) . ٢ - مشية فيها تقارب^(٢) .

٣ - الأكل الضعيف^(٣) .

والفعل من ذلك كله « قرَصَع » واسم الفاعل « مُقرِصِع » .

وإذا كان التميمي قد استعمل المقرِصِع للدلالة على من يأكل وحده من اللؤم - كما في النص - فهو يتخفى خشية أن يراه أحد فيشاركه ، فهو :

١ - إما قد خصص العام (الاختفاء) .

٢ - وإما أنه نقل مجال الدلالة من أكل بضعف إلى أكل باستخفاء .

وهو في كلا الحالين قد خصص الاختفاء ، وإن كانت الدلالة في الحالة الأولى جازت مرة واحدة (من اختفاء عام إلى خاص) ، وفي الثانية جازت مرتين (أى من اختفاء عام إلى ضعف في الأكل ، وهو كما قلنا نوع من الاختفاء ، ثم إلى اختفاء في الأكل) وهذا ما يطلق عليه « مجاز المجاز » . ونلاحظ أن هذا اللفظ بدلالته التيممية ما زال مستعملاً عند التميميين من سكان حائل^(٤) .

٢٦ - كيسان :

قال الميداني (ت ٥١٨ هـ) « (أَغْدَرُ من كُناة الغدر) . هم بنو سعد تميم ، وكانوا يسمون الغدر فيما بينهم إذا راموا استعماله بكنية هم وضعوها له وهي كيسان^(٥) » .

تدل مادة « كيس » على التعقل والرزانة^(٦) ، فالكيس : العقل ، والكيس هو العاقل^(٧) ، كما أطلقت الكلمة على معان قريبة من هذا المعنى ، فهو الخفيف^(٨) والظريف^(٩) .

(١) اللسان (قرصع) ١٠ / ١٤٣ (٢) المرجع السابق . (٣) المرجع السابق .

(٤) عن « محمد العريق » (من حائل) (٥) مجمع الأمثال ٢ / ٦٥

(٦) راجع : اللسان (كيس) ٨ / ٨٤ - ٨٦ (٧) اللسان (كيس) ٨ / ٨٥

(٨) المرجع السابق ٨٤ (٩) المرجع السابق ٨٦

ويذكر هذا النص أن بنى سعد بن زيد مناة بن تميم اشتهروا بالغدر ، وأنهم أطلقوا عليه اسما خاصا بهم هو « كَيْسَان » ، وهو صفة جاءت على وزن «فَعْلَان» مثل غضبان وعطشان وهذا الاسم كان استعماله متداولاً بينهم يأخذ طابع السرية ، وهو استعمال اقتضته ظروفهم الاجتماعية ، يخاطب أحدهم الآخر دون أن يعرف غيرهما من غير بطونهم ما يقصدون بأن يعنى عليهم بهذا اللفظ الذى يعد من اللغات السرية ، يشبه ما يستعمله المصوص وقطاع الطرق . ومثل هذا الاستعمال كان المصير الطبيعى له الموت ، لو لم يسجله أحد الشعراء وهو النمر بن تولب (ت نحو ١٤ هـ) فى هجاء أخواله بنى سعد فى قوله :

إذا ما دَعَوْا كَيْسَانَ كان كُهوْلُهُم

إلى الغدر أدنى من شبابهم المُرْد^(١)

٢٧ - هِجْرَس :

عزا أبو مالك (عمرو بن كركرة) إلى أهل الحجاز أنهم كانوا يطلقون « الهِجْرَس » على القرد ، فى حين إن التميميين عَنَوْا به الثَّعلب^(٢) .

ويذكر اللغويون أن هذا اللفظ كان يطلق كذلك على :

١ - ولد الثعلب^(٣) .

٢ - الدُّب^(٤) .

٣ - كل ما يُعَسِّس بالليل من السباع مما هو دون الثعلب وفوق اليربوع^(٥) .

٤ - وصف للثيم^(٦) .

(١) شعر النمر بن تولب ٢٦

(٢) تهذيب اللغة (هجرس) ٦ / ٥٠٩ ، واللسان (هجرس) ٨ / ١٣٣

(٣) مقاييس اللغة ٦ / ٧٣ ، واللسان (هجرس) ٨ / ١٣٣

(٤) القاموس (هجرس) ٢ / ٢٥٨

(٥) اللسان (هجرس) ٨ / ١٣٣ (واليربوع : حيوان فى حجم الفأر الكبير ذو ذنب طويل . يده قصيرتان ورجلاه طويلتان - الوسيط « ربح » ١ / ٣٢٥) .

(٦) اللسان (هجرس) ٨ / ١٣٣

٥ - الشديد (مفرد شذائد) ، يقال : رمتنى الأيام عن هجارسها^(١) .

ويبدو لأول وهلة أن المعنى الثالث ، وهو السباع التي تعسّس ليلاً لتطلب فريستها هو المعنى العام ، ولكن يحول دون ذلك أنه قيد بما دون الثعالب ، وهذا يخرج الثعلب والقرد والدب .

وفي رأيي أن « الثعلب » هو الدلالة القديمة ، ويرجح هذا الرأي أن اللفظ استعمل — كما ذكرنا في الإبدال — بالقاف (هَقْرَس) بهذه الدلالة ، وعللنا ذلك — هناك — بأن اللفظة ربما تكون يمنية وكانوا ينطقونها بالعجم ، والعجم عندهم كانت تلفظ كَمَا فأخذت عنهم بدلالاتها ونطق بعض العرب الكيم جيمًا ، لأنها بمنزلة ونطقها آخرون كَافًا لتمثيل الصوتين . وهذا يعنى شيوع اللفظ بمعنى الثعلب ، ويجعلنا نميل إلى أن هذه الدلالة (الثعلب) هي القامى ، ثم انتقل منها إلى الدلالات الأخرى فخصه بعضهم بولد الثعلب من باب إطلاق العام على الخاص ، وأطلقه الحجازيون على القرد وغيرهم على الدب . وذلك على سبيل الاستعارة لكونهما يشبهانه في عدم الاستثناس . وهذا يتضح بصفة خاصة بالنسبة للدب ، ويتفق القرد والثعلب — بالإضافة إلى عدم الاستثناس — في صفة المِكر والدهاء .

وقد يكون سبب تعدد المسميات السابقة القياس الخاطيء من طفل ، ثم لما كبر ظل محتفظًا بهذا الاسم مقترنا بالمسمى الجديد ، ثم انتشر عن طريق تأثيره في بنييه ومجاورييه الذين كانوا يعيشون منعزلين .

أما استخدام اللفظ صفة للثيم فهو من باب الاستعارة لاتصاف الثعلب بهذه الصفة . وأما إطلاق الهجارس على الشذائد ، فالعلاقة هي السببية ، إذ إن أعمال الثعالب تصيب للناس الشذائد والمضايقات .

(١) المرجع السابق .

٢٨ - الهلع :

يعنى لفظ « الهلع » عند التميميين الحزن^(١) . وقد عرضنا له عند الحديث عن « القلب المكانى » ، ورجحنا أن الصيغة التميمية هى القدى . ويعيننا هنا أن نقول إن « الهلع » يعنى أيضاً « الجزع وقلة الصبر »^(٢) . وإذا كان الحزن أعم من الجزع ، فإن ذلك يعنى تضيق مجال الدلالة عند غيرهم ، بعد أن كانا عاما عندهم .

٢٩ - الهون :

نطق القرشيون هذا اللفظ وعنوا به الذل ، أما بعض التميميين فكانوا يقصدون به الشيء اليسير^(٣) . والعلاقة بين اللفظين قريبة ، فالدليل يرضى ويقنع بالشيء القليل . وبين أن الدلالة التميمية حسية والحجازية معنوية . وإذا كان الحسى يسبق المعنوى - غالباً - فهذا يجعلنا نرجح قدم الدلالة التميمية وتطور القرشية عنها بطريق المشابهة .

٣٠ - الموقف :

إذا ما اطلقت كلمة « موقف » فإنه يراد بها الموضع الذى تقف فيه حيث كان^(٤) . ونقل أبو زيد عن رجل من بنى حنظلة قوله : « ما رأيت من المرأة الا موقفها » أى يديها وعينيها وما لا بد من إظهاره^(٥) ، ويفسر أبو الحسن الأخفش (ت نحو ٢١٥ هـ) هذه الدلالة بقوله « وإنما سمي هذا موقفاً لأنه يبدو لك من المرأة حين تقف »^(٦) .

نحن إذن أمام دالتين : الأولى ، وهى عامة ، والثانية خاصة وهى التى كان ينطقها بنو حنظلة ، وهم بطن من تميم . ونلاحظ أن الصلة التى تربط الثانية بالأولى هى علاقة السببية ، إذ إن الوقوف - كما يرى الأخفش هو سبب ما يرى من المرأة .

(١) الأفعال للسرقي ١ / ١٧٢

(٢) اللسان (هلع) ١٠ / ٢٥٤

(٣) معاني القرآن ٢ / ١٠٦

(٤) اللسان (وقف) ١١ / ٢٧٧ .

(٥) نواذر أبي زيد ٤٧٠ ، ٤٧١ (الشروق) .

(٦) المرجع السابق ٤٧١ .

التعليق :

هذه ثلاثون كلمة ، لم يقتصر كل لفظ منها على دلالة واحدة ، وإنما كان له أكثر من معنى . وهذا التعدد يعنى أن هذا اللفظ كان له في أول أمره مدلول واحد ، ثم تطور هذا المدلول فأصبح لهذا اللفظ أكثر من مدلول ذى رباط بالمعاني السابقة .

ونلاحظ أن كل هذه الألفاظ نسبت إلى تميم صراحة عدا خمسة ألفاظ اثنان منها شاعا في تميم ومجاوريتها فنسبنا إلى نجد . وهما : السرحان ، والضريس ، والثلاثة الأخرى اقتصر كل منهما على بطن من تميم ؛ وهى « كيسان » وكان خاصا ببني سعد بن زيد مناة ، و « غلوى » ونطقه بنو الهجيم . و « الهون » عند بعض التميميين الذين لم يحددوا .

وقبل ذكر العوامل التى أدت إلى تعدد المعنى ، أحب أن أسجل هنا حقيقة ، وهى : أن هناك فرقا بين دراسة لغة عربية في عصور الاحتجاج مثل هذه الدراسة وأخرى بعد هذه العصور ، فالثانية نحكم دون تردد على خصائصها - ومنها الدلالة - بأنها الحديثة وعلى ما ورد بالمعاجم اللغوية بأنه القديم ، لأن هذه المعاجم - كما هو معروف - وقفت في تسجيلها للغة عند عصور الاحتجاج ، ولم تسجل بعد هذا التاريخ ، أما دراسة اللغات قبل التدوين فمن الصعب التمييز بين المعنيين القديم والحديث .

وقد بين لنا عرض هذه الألفاظ وتحليلها أن منها من كانت دلالاته التيممية هى المقدمة والمعنى الآخر هو المتأخر ، ومنها ما كان المعنى التيممى هو الحديث . وبالنسبة لهذا القسم ليس من الضرورى أن تكون الدلالة التيممية هى الحديثة ، بل قد تكون هى وموضع المقارنة معها متطوران عن دلالة أخرى . وقد تكون الدالتان غير متطورتين عن دلالة واحدة وإنما حدث تطور صوتى فى بنية لفظ بحيث أصبح مجانسا للفظ آخر .

مقياس معرفة الدلالة القديمة :

والنهج الذى اتبعته فى الحكم على المعنى المتقدم :

١ - شراك الساميات فى الدلالة .

٢ - ما كان أقرب للمعنى الكلى .

٣ - المعنى الحسى يسبق المعنوى .

٤ - المعنى المستعمل فى اللغة المشتركة ؛ لأن اللغة الخاصة تمثل القلة .

عوامل نشأة الاشتراك اللفظى :

ونختتم حديثنا عن المشترك اللفظى بتوضيح عوامل نشأته فى هذه الكلمات التى نسب إلى تمم معنى من معانيها :

١ - تخصيص الدلالة :

وذلك بتضييقها بعد أن كانت أعامه ، ويتبين ذلك فى الألفاظ التالية :

أ ، عمومها عند غير التميميين وتخصيصها عند تميم :

(١) البغى (٢) خاشع (٣) آسن (٤) الربى

(٥) الضميس (٦) الإفاضة (٧) مقرصع

ويندرج تحت هذا النوع ما أصله عام وخصص عند تميم وخصص تخصيصاً آخر عند غيرهم ، وذلك :

(١) شايح (٢) الضميس (٣) الغدوى

ويدخل تحت هذا النوع الأخير العرب ، وقد ورد منه لفظ « السربال » .

(ب) عمومها عند تميم وتخصيصها عند غيرهم ، وكانت المقارنة مع اللغة المشتركة فقط ، وذلك فى الكلمتين التاليتين :

(١) اشماز (٢) هلع

٢ - تعميم الدلالة :

وذلك بتوسيع المعنى التميمى بعد أن كان ضيقاً ، وهذا ما لاحظناه فى لفظين ، هما .

(١) الإجرد (٢) الصدف

٣ - انتقال مجال الدلالة :

أولا - بالاستعارة :

(أ) من غير التميميين إلى التميميين .

(١) أمة (٢) بيض النعامة الذكر . (٣) الإِبسال (٤) الهُؤن

(ب) من التميميين إلى غيرهم ، وذلك إلى قبائل أخرى :

(١) السُّرحان (٢) هِجْرَس

ثانيا - بالمجاز الرسل :

(من غير التميميين إلى التميميين) :

(١) الأثلب ، بقرينة اعتبار ما كان .

(٢) موقف ، بعلاقة السببية .

٤ - انحطاط الدلالة :

عند التميميين ، وذلك في :

(١) أسبع (٢) كَيْسان .

٥ - التطور الصوتي :

وهو التطور في بنية لفظ بحيث يعجّس بنية لفظ آخر ، ونجد ذلك عندهم في :

(١) فلط .

(٢ - ٥) الأعفت والأعفك والألفت والألفك .

الفصل الثالث

التضاد

التضاد نوع من الاشتراك اللفظي^(١) ، وهو عبارة عن كلمة واحدة ذات معنيين يصل الخلاف بينهما إلى حد التناقض . وقد وجدنا عدة كلمات من هذا النوع كان الخلاف بين معنييهما أن أحدهما منسوب إلى تميم والآخر إلى غيرها . على أن هذا النوع المعزى أحد معنييه إلى قبيلة معينة لقي معارضة من بعض علمائنا القدامى ، فقد نقل الزبيدي عن شيخه وهو ابن الطيب الفاسي في معجمه^(٢) « إضاعة الراموس » ، أنه « لا تضاد مع اختلاف اللغتين كما قاله جماعة »^(٣) ، ورد الزبيدي على ذلك « بأن التضاد باعتبار استعمالنا »^(٤) وهذا ما اتبعناه في كل ما يتصل بالدلالة ، فقد تناولناه على اعتبار أن لغة تميم تعد عنصرا من عناصر اللغة المشتركة .

وفيما يلي عرض لهذه الألفاظ التي ذكرها اللغويون وعُزِي أحدها للمعنيين المتضادين إلى تميم :

١ - باع :

تعني كلمة « باع » الشيء : أخرجه من يده . وعند تميم وربيعه على معنى اشتراه^(٥) . وهذا يفيد أن العرب استعملوا اللفظين : باع واشترى متزادفين ثم تخصصا على مر الأيام فأصبح الأول يدل على إخراج الشيء من اليد وتسليمه لآخر نظير مقابل . والفعل الثاني بعكسه وبقيت مع ذلك آثار قديمة مخالفة للدلالة التي شاعت في اللغة المشتركة . وقد نسب إلى تميم - ومعهم ربيعة - مخالفتهم فيما يخص اللفظ الأول ، فهم يعبرون عنه مرادفا لاشرى في اللغة المشتركة . وينقل الفراء (ت ٢٠٧ هـ) عن أبي ثروان ، وهو من عكل بنى عمومة تميم^(٥) ، أنه سمعه يقول لرجل : بع لي تمرا بدرهم ، يريد : اشترى^(٦) .

(١) المظهر ١ / ٣٨٧

(٢) المرجع السابق

(٣) راجع لسبب تميم .

(٤) التاج (سدف) ٦ / ١٣٦

(٥) معاني القرآن للفراء ١ / ٥٦

(٦) معاني القرآن ١ / ٥٦

وهذا الذى قلنا يتفق وما ذهب إليه الدكتور منصور فهمى من أن المعنى الأصلي لللفظى « باع واشترى » هو بادل . وذلك حينما كان البيع والشراء مبادلة ، فالبايع شارب والشارى بائع ثم اختص كل فعل بواحد من العاملين القائمين^(١) لكن رواسب ذلك العهد القديم ظلت تلقى ظلالها على الفعلين فتخلط بين دالتيهما.

وإذا كان الدكتور منصور فهمى لا يعتمد على سند تاريخى ، بل يتصور تاريخ هذا التطور ، فإن اشتراك الداليتين فى لفظ واحد فى القديم أمر واجب الإقرار رغم جهلنا بكيفية التطور وتحديد زمنه ، ويؤيد ذلك أننا نلاحظ شبهها له فى غير العربية ، وفى السريانية نجد الفعل ܐܫܬܪܝ (أزبن) بمعنى باع واشترى^(٢) ونجد كذلك فى العبرية קנה (زفن) بمعنى اشترى ، و בא (زبن) بمعنى باع واللفظان كما يقول الدكتور ربحى مستعاران من الآرامية^(٣) وإن كانت الباء قد قلبت فاء فى الفعل الأول .

وإذا كان الفراء قد نص على أن باع بمعنى اشترى عند تميم ، دون أن يشير إلى موقفها أو موقف غيرها من الفعل « اشترى » فإن قانون التوازن^(٤) يجعلنا نميل إلى أن تميم كانت تعنى به « باع » كما فى اللغة المشتركة ، وإلا فإنها كانت تعامل الفعلين على أنهما مترادفان وتستعمل فعلا ثالثا يدل على البيع كما فى دلالة المشتركة .

٢- الجؤنة :

نسب إلى تميم أنهم كانوا يطلقون « الجؤنة » على الشمس فى حالة اسودادها^(٥) ، جاء فى كتاب « الأزمنة والأمكنة » : « التميميون : الجؤنة : الشمس حين تسود وتدنو من الغيوب . لا يقال لها الجؤنة إلا على هذه الحال »^(٦) .

١٠٠ (١) . الأضداد للدكتور منصور فهمى (مجلة مجمع اللغة العربية) ٢ / ٢٨٢ .

(٢) التضاد ٤٦ (٣) المرجع السابق ٤٧

(٤) انظر هذا القانون فى : دراسة الصوت اللغوى ٣٢٣

(٥) قال يونس فى نوادره « أهل الحجاز جؤنة - بلا همز - وتميم جؤنة بالهمز » المزهرة ٢٩٨ / ب - خ (والجؤنة هذه ليس المراد بها الشمس - موضوع حديثنا هنا - وإنما هى « بلياة مستديرة مغطاة أدماء تكون مع العطارين » انظر - اللسان « جون » ١٨ / ٢٥٧) .

(٦) الأزمنة والأمكنة ٣٩ / ٢

ووردت الكلمة أيضا بمعنى حالة ظهورها وإمدادها بالضوء القوي ، وجاء في « الأزمنة والامكنة » : « وعرض أنيس الجرمي على الحجاج بن يوسف درع حديد وكانت صافية فجعل الحجاج لا يرى صفاءها فقال له أنيس : إن الشمس جونة أي شديدة الضوء »^(١) .

ويبدو لأول وهلة أن المعنيين يرجعان إلى « الجون » الذي استعمله بعض العرب للدلالة على الأسود ، ونسب ذلك إلى قضاة ، وبعضهم للدلالة على الأبيض . وهذا اللفظ يرجع إلى الكلمة الفارسية « گون » ومن معانيها عندهم « اللون »^(٢) دون تحديده . فلما أدخلها العرب خصصوها بعضهم باللون الأبيض وخصصها آخرون باللون الأسود ، وأطلقها فريق ثالث على اللون الأحمر^(٣) .

وقلب الكاف جيا يجعلنا نميل إلى أن الكلمة دخلت أولا بوساطة العرب الذين كانوا ينطقون الجيم كيا ، ثم عنهم نقلت الكيم جيا ، ثم أطلقت على الشمس في حالتها سوداء وشدة بياضها . ولكن يحول دون صحة هذه الملاحظة وجود « جونة » في الفارسية وإطلاقها عندهم على الشمس بصفة عامة^(٤) ، وأرى أن هذه أصل الكلمة التي بين أيدينا ، دخلت — هي الأخرى — العربية وخصصتها تيم لحالة اسودادها ودنوها من المغيب ، وخصصها غيرهم لإشراقها وشدة بياضها .

٣- السُدْفَة :

السُدْفَة في لغة تميم بمعنى الظلمة وفي لغة قيس بمعنى الضوء^(٥) . ومن العرب من كان يطلقها على اختلاط الضوء والظلمة معا ، كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار^(٦) .

(٢) Steingass, Persian-English, P.1105

(١) المرجع السابق ٤٠ / ٢

(٣) من العجيب أن الفرس أخذوا من العرب الجون بعد قلب الكاف جيمًا للدلالة على الأبيض والأسود وغير ذلك من معان في العربية تدل عليها : Ibid 379

(٤) Ibid

(٥) الأضداد للأصمعي ٣٥ ، والغريب المصنف ٢٥٥ / ١ ، والأضداد لابن السكيت ١٨٩ ، والأمل للقال ٢ / ٢٥٥ (عن أبي زيد في المراجع كلها) .

(٦) الغريب المصنف ٢٥٥ / ١ ، والمزهر ١ / ٣٨٩ ، ٣٩٠

إن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أن المعنى الأصلي للسدفة هو وقت اختلاط الضوء بالظلمة ثم تطور المعنى عند القبيلتين ، فخصصته تميم للظلمة وقصرته قيس على الضوء . وذلك بتخصيص المعنى بعد أن كان عاما .

الكلمة في الساميات :

وإذا مارجمنا إلى الساميات نرى في العبرية القديمة נִיבָה بمعنى يحترق ويصاب الزرع بآفة تحرقه (وكذلك الشأن في العبرية الحديثة) و נִיבָה شيء مصاب بأذى أو مدمر ونجد في الآرامية اليهودية נִיבָה بمعنى يحترق^(١) . ونلمح من هذا أن المعنى في اللغتين الساميتين يتفق واختلاط الضوء بالظلمة .

الدلالة التميمية في الأدب التميمي :

ورد اللفظ بمعنى الظلمة في قول العجاج :

* وأظعن الليل إذا ما أسدفا *^(٢)

٤- عِدَّ :

جاء في « تهذيب اللغة » : « وقال أبو عدنان : سألت أبا عبيدة عن الماء العِدَّ ، فقال لي : الماء العد بلغة تميم : الكثير ، قال : وهو بلغة بكر بن وائل : الماء القليل . قال : بنو تميم يقولون : الماء العد مثل كاظمة جاهلي إسلامي لم ينزح قط »^(٣) .

إذا كانت تميم قد خالفت بكر في دلالة « الماء العد » فأضحت الدالتان متضادتين ، وأفادت التميمية الكثرة والبكرية القلة ، فالمعنى الأقدم - فيما يبدو من اشتقاق الكلمة - أنه الشيء المحدود ذو الأجزاء قليلا كان أو كثيرا ثم انتقل منه إلى ما ليس له أجزاء كالماء ، وهذا يتفق وقول ابن المظفر : « والعِدَّ : ماءٌ يُجمع ويُعدُّ »^(٤) ويتفق مع دلالة

Gesenius, Hebrew ... p 995

(١)

(٢) ديوان العجاج ٤٩٤ ، والأضداد للأصمعي ٣٥ وفيه « أنطع » .

(٣) تهذيب اللغة ١ / ٨٨

(٤) تهذيب اللغة ٨٧ / ١ وابن المظفر هو « الليث » .

ثالثة غير هاتين الداليتين رويت عن الكلابية ، وهى « ماء كل ركية عِدَّ قَلَّ
أو كثر »^(١) ، ثم حدده التميميون بالماء الكثير والبكريون بالماء القليل ، ووجدت
بالطبع ملابسات اتجهت بالدلالة إلى هذين الطريقين المتضادين . نشأت التثمينية نتيجة
الركايا (الآبار) الكثيرة ذات المياه فى كاظمة التى كانت تقع على سيف البحر بالقرب من
البصرة^(٢) والى أقام بها بنو كليب بن يربوع ووردت فى شعر أحدهم :
ضَمِنْتُ لَكُنَّ أَنْ تَهْجُرْنَ نَجْدًا وَأَنْ تَسْكُنَّ كَاطِمَةَ الْبُحُورِ^(٣)

أما بكر بن وائل فسبب التسمية - فيما أظن - عدم وجود مثل هذه الركايا المتعددة
لديهم عند إطلاق هذا اللفظ بهذه الدلالة .

الدلالة التميمية واللغة المشتركة :

استعملت اللغة المشتركة الدلالة التميمية ، ووجدنا ذلك فى حديث لرسول الله - صلى
الله عليه وسلم - فعن أبيّ بن حمّال المازنى السبئى^(٤) أنه وفد إلى رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - واستقطعه الملح الذى بمأرب فأقطعه ، فلما ولى ، قال رجل : يا رسول الله :
أتدرى ما أقطعت له ؟ إنما أقطعت له الماء العِدَّ ، فانتزعه منه^(٥) .

٥ - عريض :

« قال قطرب : بنو تميم يجعلون العريض الجذع من ولد الشاة إلى أن يُثْنَى وغيرهم
يقولون : هو الصغير »^(٦) .

والعريض لفظ مشتق من عَرَضَ الشَّجَرُ أى تَعَلَّقَهُ لِيَأْكُلَ من ورقه^(٧) أو هو الذى

(١) اللسان (عدد) ٢٧٦/٤

(٢) انظر : اللسان (كظم) ١٥ / ٤٢٦

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر ترجمته فى : أسد الغابة ١ / ٥٧

(٥) الأضداد لابن الأنبارى ٣١٩

(٥) المرجع السابق .

(٧) انظر : اللسان (عرض) ٩ / ٣٦

يأكل ورق الشجر بعرض شذقة^(١) . ولبیان التضاد في هذه الكلمة ينبغي لنا أن نذكر أولاً المراد من لفظي الجذع والصغير :

(١) الجذع : هو ما يكون في المرحلة السابقة للثنى^(٢) ، والثنى هو ما يُلقى ثنيته ، ويكون ذلك في السنة الثالثة بالنسبة لذات الظلف^(٣) كالشاة^(٤) . نهاية سن الجذع من ولد الشاة إذن في السنة الثالثة من عمره أما بدايته فكما يقول ابن الأعرابي عندما يبلغ سنة^(٥) .

(ب) الصغير : أما الصغير فهي كلمة مطاطة وتختلف نسبياً وفق حالة المقارنتين ، ويكتفى صاحب اللسان بقوله : « الصغر ضد الكبر »^(٦) . وقياساً على أحد تعاريف اللسان العريض - غير المنسوبة لقوم معينين - بالنسبة للمعزى بأنّه « ما فوق الفطيم ودون الجذع »^(٧) وأن الصغير هو ما بين انتهاء فترة الفطام - وهي نحو ثلاثة أشهر^(٨) - إلى أن يبلغ ولد الشاة عاماً .

المعنيان المتضادان في رأى قطرب ، هما :

الأول : ولد الشاة عندما يبلغ عاماً إلى أن يدخل في السنة الثالثة ، وكان هذا إطلاق بنى تميم عليه .

الثاني : ولد الشاة ما بين الفطام إلى أن يبلغ العام .

ومرجع الخلاف أن العريض . كلمة عامة كانت تطلق على ولد الشاة الذي كان ينأكل ورق الشجر بعرض شذقة ، ومن هذا المعنى أيضاً أطلقت على الذي رعى وقوى^(٩) ، ثم خصصها كل قوم لفترة معينة تخطت فترة الضعف ، والضدية جاءت من كون التميمية هي فترة القوة والنشاط ، ونلمس هذا من قول ورقة بن نوفل « ليتني فيها جذعا »^(١٠) . أي عند مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - . وغير التميمية هي الفترة التي لم يكتمل فيها هذا الحيوان قوته بعد .

(١) المرجع السابق .

(٢) المصباح (جذع) ٩٤

(٣) المرجع السابق (ثنى) ٨٥

(٤) المرجع السابق (ظلف) ٣٨٥

(٥) اللسان (جذع) ٩ / ٣٩٣ .

(٦) اللسان (صغر) ٦ / ١٢٨

(٧) المرجع السابق (عرض) ٩ / ٣٦

(٨) انظر : المخصص ٧ / ١٧٦

(٩) اللسان (عرض) ٩ / ٣٦

(١٠) النهاية لابن الأثير ١ / ٣٥٠

هذا هو تفسير الضمديّة في هذا اللفظ متابعاً لرواية قطرب ، وإن كنت أرى أنّها غير واضحة ، لأنّ الفترتين اللتين أطلق عليهما التميميون وغيرهم هذا اللفظ متقاربتين وهذه الضمديّة كانت تتضح لو أنّ اللفظ أطلق عند غير التميميين على ولد الشاة بعد ولادته وهي التي يسمّى فيها « السخلة »^(١) ، أو المرحلة التي تليها والتي تسمى فيها « العدوية » وتكون عندما تبلغ أولاد الغنم أربعين يوماً^(٢) وذلك لأنّ الضّعف فيها بيّن . لذا أميل إلى أنّ هذه الكلمة أقرب إلى المشترك اللفظي منها إلى التضاد .

٦- القَلْتُ :

« القَلْتُ في كلام أهل الحجاز : نُقْرَة في الجبل يجتمع فيها الماء فيغرق فيها الجمل والفيل لو سقط فيها . والقالت في لغة تميم وغيرهم : نقرة صغيرة في الجبل يجتمع فيها الماء »^(٣) .

وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة نجدّها تذكر أنّ من معاني « القالت » الفجوة سواء أكانت في الأرض أم في البدن . ومن ذلك القالت بمعنى النقرة في الجبل^(٤) دون تحديد وهذا هو المعنى الأصلي للنقير في الأرض ، ثم خصص كل قوم دلالة فأطلقوه على نوع معين منها فخصصه التميميون للصغيرة ، والحجازيون للكبيرة .

هذا هو التفسير الذي يتبادر إلى الذهن ، لكننا إذا نظرنا إلى المعاني الأخرى للكلمة ، يبدو لنا تفسير آخر يرجّح هذا التفسير .

إن كلمة « القالت » كما قلنا تطلق على أي نقرة في البدن ، فهي :

١- المطمئن في الخاصرة^(٥) . ٢- وما بين الترقوة والعنق^(٦) .

٣- وعين الركبة^(٧) . ٤- وقلت العين : موضع الحذقة^(٨) .

(٢) المرجع السابق ٧ / ١٨٦

(٤) اللسان (قلت) ٢ / ٣٧٦

(٦) المرجع السابق ٢ / ٣٧٧

(١) المفصص ٧ / ١٨٥ ، ١٨٦

(٣) الأضداد لابن الأثير ٤٢٠ ، ٤٢١

(٥) اللسان (قلت) ٢ / ٣٧٦ ، ٣٧٧

(٧) المرجع السابق .

(٨) خالق الإنسان ١٠٦ (والحذقة : السواد الذي في وسط البياض - المرجع نفسه) .

٥- وقلت الكف : ما بين عصبه الإبهام والسَّبابَة^(١) .

٦- وقلت الفرس : ما بين لَهَوَاتِهِ إلى مُحَنَكِهِ^(٢) .

٧- وَالْقَلْتَةُ : شَقٌّ ما بين الشاربين بحِمالِ الوترَة^(٣) .

ونلاحظ أن هذه القلات كلها صغيرة في حجمها . وإذا وضعنا إلى جانب ذلك أن أصل هذه الكلمة « قل » ثم أضيفت اليها التاء ، فالدلالة القديمة للقلت ووفقا لهذا هي النقرة الصغيرة ، وهي التي حافظ عليها التميميون ، ثم تطورت عند الحجازيين فأطلقت على النقرة الكبيرة .

ومما يؤيد رأينا هذا أن كلمة « قَلِت » تستعمل وصفا للرجل القليل اللحم^(٤) ، وأن المِقات تطلق على المرأة - وكذلك الناقة - التي تلد واحدا ثم لا تلد بعد ذلك^(٥) ، وكذلك التي لا يعيش لها ولد^(٦) .

٧- الكَشُوف :

اختلفت القبائل التي كانت تقيم في النصف الشرقي من الجزيرة العربية ومنها تميم عن القبائل التي كانت تقطن نصفها الغربي في دلالة كلمة « كَشُوف » .

١- فهي عند تميم وأسد وربيعة تعني الإبل التي إذا نتجت ضربها الفحل بعد أيام فلقحت .

٢- وعند هذيل وكنانة وخزاعة تعني الإبل التي تمكث سنتين لا تحمل^(٧) .

الدلائل أن إذن شبه متناقضتين ، لأن الأولى تدل على السرعة والثانية تفيد البطء .

وإذا رجعنا إلى المعاني الأخرى للكشوف لنعرف سر هذا التضاد نجدها تعني :

(١) الناقة التي يضربها الفحل وهي حامل^(٨) .

(١) اللسان (قلت) ٢ / ٣٧٧

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ٢ / ٣٧٨

(٤) المرجع السابق ٢ / ٣٧٧

(٥) المرجع السابق .

(٦) المرجع السابق .

(٧) شرح ديوان زهير ٢٠

(٨) اللسان (كشف) ١١ / ٢١٠

(ب) الناقة التي يُحمل عليها سنتين متواليتين^(١) أو سنتين متواليتين^(٢).

(ج) الناقة التي يُحمل عليها سنة ، ثم تترك سنتين أو ثلاثا^(٣).

وإذا كان الكشف هو رفع الشيء عما يُواريه ويُغطيه^(٤) ، فإن هذا يجعلنا نميل إلى أن الدلالة في أصلها عامة ، ثم خصصت عند كل قوم ووصل الخلاف بين بعض الدلالات إلى درجة التضاد وهذا ما نلاحظه في الدالتين موضوع المقارنة .

على أن الدلالة لو كانت قد قصرت على هذين المعنيين لوجدنا المعنى التميمي هو الأقرب والأصق بالكشف . وكان هذا يدعونا حينئذ إلى القول بأنه المعنى الأقدم ، وأنه بدلالته لدى قبائل غرب الجزيرة متطور عنه .

الدلالة التميمية في الشعر التميمي :

ورد اللفظ في دلالاته التميمية على لسان أحد الشعراء التميميين ، قال الأسلمع ابن قَصَّاف :

وما تُحدثُ الأيامُ يابنةً مالِكٍ فإني لما جاءت به لَعْرُوفُ
خُطوبٌ وبابٌ ذو أطاويقٍ مُشْرِفٌ وشَهْمَاءُ تَسْتَنِمِي اللقاحَ كُشُوفُ^(٥)
والشاعر من بني حنظلة^(٥) .

* * *

التعقيب :

بعد هذا العرض التحليلي للكلمات المتضادة والتي كان لها عند تميم دلالة تناقض دلالاتها عند غيرهم . وهذه الكلمات عدتها سبعة عزيت كلها إلى تميم صراحة :

١ - كانت المقارنة في أربعة منها بين التميمية والمشاركة وهي : باع .

(١) اللسان (كشف) ١١ / ٢١٠ (٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ١١ / ٢٠٩

(٤) النوادر لأبي زيد ٣٧٢ (الشروق) ضبط « قعفاف » في الأصل بكسر القاف والصاد غير المشددة ما ضبطناه من ، المؤلف (٤٤ تحقيق عبد الستار فراج) وقد أشار إلى ذلك المحقق .

(٥) المؤلف ٤٤

(وقد شاركها رببعة) ، والجونة ، والعريض (على فرض أنها من المتضاد) والقلت .

٢ - كالماتان بين التميمية وإحدى اللغات المحلية ، وهما : السدفة (قيس) ، والعد (بكر) .

٣ - والكلمة السابعة (كشوف) شاركها فيها لغات من شرق الجزيرة (أسد وربعة) وكانت المقارنة مع لغات من غرب الجزيرة (هذيل وخزاعة وكنانة) .

ونجمل فيما يلي العوامل التي أدت إلى نشأة التضاد في هذه الكلمات :

١ - تخصيص المعنى العام :

فاللفظ كان يدل على معنى عام يشترك فيه الضدان ثم خصصه التميميون وخصص أيضاً عند غيرهم في اتجاه مضاد وذلك في الألفاظ التالية : باع ، والسدفة ، والعد ، والكشوف ، والعريض (والأخيرة أقرب إلى الاشتراك اللفظي) .

ومن هذا النوع ما كان عاماً في غير اللسان العربي ثم خصص عند تميم بمعنى وعند غيرهم بمعنى آخر مضاد وذلك لفظ « الجون » .

٢ - التفاؤل :

وكان ذلك في كلمة « القلت » والمعنى الأصلي هو التميمي ثم تطور عند غيرهم على سبيل التفاؤل .

الخاتمة

اشتمل هذا البحث على خمسة أبواب تسبقها مقدمة وتليها هذه الخاتمة . وكان الباب الأول تمهيدياً وتناول كل باب من الأبواب الأخرى أحد مستويات اللغة فكان الثانى عن المستوى الصوتى ، والثالث عن المستوى الصرفى ، والرابع عن المستوى النحوى ، والأخير عن المستوى الدلالى . وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج بعضها خاص ، وبعضها عام . وفيما يلي أهم هذه النتائج :

أولاً - النتائج الخاصة :

(١) فيما يتصل بالمستوى الصوتى :

١ - إن تبادل الأصوات الساكنة وأشباه أصوات اللين والحركات القصيرة والطويلة تم حراً أو مقيداً (تركيبياً) . وهذا التبادل إما أنه تطور عند تميم ، أو احتفظت تميم بالأصل وحدث التطور عند غيرها - وقد نجهل الأصل - وكل نوع قد يكون مطرداً ، وقد يكون غير مطرد ، أو يجمع بين الصنفين .

٢ - إن تميماً نطقت بالكشكشة والكسكسة ، والأولى عزاءها إليها علماء متقدمون أما الكسكسة فاقدم من رأيناه يعزوها إليهم هو الفيروزابادى (ت ٨١٧ هـ) وترجيحنا نسبة الظاهرتين إليهما كل فى منطقة غير التى نطقت الأخرى - دون عدّ الكسكسة تصحيفاً عند الفيروزابادى - شيوع نطقهما فى الوقت الراهن فى مناطق يسكنها تميميون .

وخالفنا ما ذهب إليه بعض العلماء المحدثين من أن القدماء أخطئوا فى وصفهما إذ كانتا تنطقان « تُشْ » و « تُسْ » فقط بأنهما كانا ينطقان بالصور المخنفة التى ذكرها اللغويون القدامى لوجود هذه الصور الآن بالنسبة للكشكشة .

٣ - إن العننة كانت خاصة بكلمتى « أَنْ » و « أَنَّ » وما وجد من قلب العين همزة . فهو من غير العننة الذى يقابله قلب العين همزة عندهم أيضاً فى بضعة أمثلة .

٤ - عدم موافقة بعض العلماء المحدثين الذين يرون أن مخرج الغين والخاء من أقصى الحنك بعد القاف من جهة الفم وليس قبلها كما كان يذكر علماء العربية . على أن من العرب القدامى من كان ينطقهما كما يرى المحدثون .

٥ - عدم موافقة المحدثين أيضاً في أن الطاء الفصيحة هي النظير المطبق للتاء ، وإثبات أن نظيرها هو الدال .

٦ - من دراسة أشباه أصوات اللين (الواو والياء) والحركات القصيرة والطويلة (مع ضم الواو للضميتين القصيرة والطويلة والياء للكسرتين القصيرة والطويلة) تبين لنا :
(١) إظهار تميم الكسر على الفتح والأولى هي أقوى الحركات الثلاث والثانية أقلها قوة .
(ب) عدم اتضاح خط معين بين :

١ - الكسرة والضممة . ٢ - الضمة والفتحة .

والثانية من كل من الحركتين تلي أولاهما في القوة .

٧ - كانت تميم تُميل الفتحيتين القصيرة والطويلة نحو الكسرتين القصيرة والطويلة ، وبالنسبة للألف (الفتحة الطويلة) تعد الإمالة الأصل فيما أصله يائي - كما ذهب إلى ذلك الدكتور إبراهيم أنيس ، والدكتور رمضان عبد التواب - وكذلك فيما أصله واو وفأوه مكسورة عند إسناده للفاعل مثل خاف .

أما الألف الممالة التي ليس أصلها ياء كما في كتاب ، فهذه أصلها الفتح والتطور عند تميم في هذا النوع تم بطريق التماثل .

٨ - إذا اشتملت الكلمة المستقلة أو المركبة من كلمتين على ثلاث حركات متتالية فأكثر فإن معظم التميميين كانوا يسكنون الصوت الثاني ما لم يكن هو وسابقه مفتوحين .

٩ - كان التميمي يحقق الهمزة ، والحجazy يخففها ، إلا بضع كلمات لاحظ اللغويون فيها مخالفة كل فريق لتهجهم . وبعد دراستها تبين أن الأصل عدم الهمز ، كما كان ينطق التميميون وأن الحجazyين نطقوها مهموزة على سبيل التفاضل سوى كلمة واحدة .

١٠ - لم تكتفِ تميم بتحقيق الهمزة وإنما تنوع الحال عندها على النحو التالى :

(١) قلبت كل واو مكسورة تقع فى أول الكلمة التى على وزن « فِعال » همزة وكان ذلك على سبيل التفاسيح .

(ب) همزت الفتحة الطويلة إذ أوليها ساكن مضعف ، وهى ظاهرة انتقلت من الشعر إلى النثر - كما يرى الدكتور رمضان عبد التواب - لأن الشعر يرفض المقطع الطويل المغلق فيحول به إلى مقطعين أولهما قصير مفتوح وثانيهما قصير مغلق .

١١ - المد نوع من الهمز والقصر تخفيف له وكان المد نهج التميميين بخلاف ما ذهب إليه بعض المحدثين .

١٢ - اختلفت تميم مع غيرها من حيث ترتيب الحروف وكانت تحتفظ أحيانا بالأصل ويتم القلب المكاني عند غيرها كما كان الأمر على العكس من ذلك فى أحيان أخرى إذ يحدث التطور فى لغتها . ولاحظت أنها عند الاحتفاظ بالأصل كانت توافق اللغة المشتركة .

١٣ - خالفت اللغة التميمية غيرها فى بعض حالات الوقف على آخر الكلمة . ومن ذلك محافظتها على الهمزة - وفق نهجها فى هذه الظاهرة - ونقل حركتها إلى الصوت الساكن السابق لها ، واتجه فريق منهم إلى أن تتبع بعد ذلك العين حركة الفاء إذا كان الوزن بعد نقل حركة الهمزة على أحد وزنى فُعل وفُعل .

(ب) المستوى الصرفى :

١ - مالت تميم إلى البنية الطويلة ، على حين كانت قصيرة عند الحجازيين ، وقد تبين أن الخلاف فى النسبة إلى « فَعِيل » و « فُعَيْل » هو خلاف بين تميم وسكان غرب الجزيرة ، وأن مرجع الخلاف طول البنية عند تميم وقصرها عند الحجازيين وذلك بحذف الياء .

٢ - لم يكن لتميم نهج خاص فى مستقبل الفعل ، وإنما تحكم فى ذلك قانون المغايرة شأنها فى ذلك شأن اللغة المشتركة ، وهو ما نبّه عليه الفارائى من علمائنا القدامى ، والدكتور إبراهيم أنيس من علمائنا المحدثين . وما بدا لنا من مخالفة ظاهرة مردها صوتى ، وهو

الخلاف في حركة عين الماضي عندها عن غيرها ، فقد اتجهت إلى الكسر حين مال غيرها إلى الفتح . وهذا يؤكد ما لاحظناه عند الكلام عن « الكسروالفتح » - في الباب الثاني - فكثير عندها باب « فَرِحَ » الذي توزع عند غيرهم إلى أبواب : نصر ، وضرب ، وفتح (بالإضافة إلى باب كَرُمَ) وانتهيت إلى نتيجة تخالف ما ذهب إليه أستاذنا المرحوم الدكتور أنيس من ميل القبائل البدوية - ومنها تميم - إلى باب نصر والقبائل الحضيرية إلى باب ضرب . فقد لاحظت أن تميما نطقت أربعة أفعال من باب نصر وسبعة من باب ضرب .

٣- فيما يخص الأجوف ، اتضح أن تميما والحجازيين تقاسموا الأمر بينهم :

(أ) صحح الحجازيون عين بعض الأفعال وأعلها التميميون .

(ب) صحح التميميون عين اسم المفعول وأعلّه الحجازيون .

وهذا يعني محافظة كل منهم على الأصل في أحد النوعين دون الآخر .

٤- وفيما يخص المصادر والمشتقات اتضح أن تميما لم يكن لها نهج خاص فيها ، وإنما مرجع ما يلاحظ من عدم اتفاق إلى خلاف في الفعل مرده :

(أ) مظاهر صوتية .

(ب) تصحيح الفعل وإعلاله .

(ج) بنية الفعل من حيث الطول والقصر . ولم نجد اختلافا حقيقيا إلا في مصدر « فَعَلَ » إذ قال التميميون « فَعُول » والحجازيون « فَعْل » .

٥- بالنسبة للجمع بنوعيه : المؤنث السالم ، والتكسير ، وجدنا أن شأنه شأن المصادر والمشتقات إذ مرجع التباين :

(أ) صوتي في الجمع نفسه أو في مفرده .

(ب) اختلاف في بنية مفرده .

٦- كان التميمي متسقا في نظره للجنس سواء أكان حقيقيا أم مجازيا ، إذ طابق

بين تذكير اللفظ وتأنثه وبين ما يدل عليه أحد نوعي الجنس .

(ج) المستوى النحوى :

ومن أهم النتائج التى وصل إليها هذا الباب :

١- معاملة التميميين لكلمة « هَلَمْ » على أنها فعل على حين إن اللغة المشتركة عدتها اسم فعل .

٢- جمع التميميون « باب سنين » جمع تكسير مخالفين اللغة المشتركة التى ألحقته بالمذكر السالم .

٣- إعرابهم « أمس » و « ما جاء على فَعَالٍ » وقد بنيا فى اللغة المشتركة .
واتفاقهم معها فى بناء « حيث » و « هيهات » وإن اختلفا فى الحركة التى سادت وهاتان الكلمتان أعربتا عند بعض العرب الذين لم يحددوا .

٤- صرفهم طائفة من الأعلام لم تصرف فى اللغة المشتركة ، لاختلاف معاملتها تذكيرا وتأنيثا عند كل فريق .

٥ - مخالفة اللغة التميمية اللغة المشتركة فى إعراب بعض الحالات كاتجاهها إلى رفع اسم « ما » و « لا » و « ليس » والاسم الذى يلي ضمير الفصل (وهذه الأسماء منصوبة فى اللغة المشتركة ما عدا الاسم الذى يلي ضمير الفصل ، فإنه يختلف حسب عامله السابق للضمير) ، ونصب خبر ليت وأخواتها ، وتمييز كم الخبرية ، والمثنى وبعض الأسماء الستة (وبالنسبة للأخيرين كان ذلك عند بعض التميميين) ، وإيثارها الإتيان على النصب فى الاستثناء المنقطع ، والعدد (من ثلاثة إلى عشرة) عند إضافته إلى ضمير يعود على اسم سابق .
٦- مطابقة عسى وأخولق وأوشك للاسم السابق لها مخالفة اللغة المشتركة التى أخذت فيها صورة واحدة هى صورة المفرد الغائب .

(د) المستوى الدلائلى :

وأهم ما حققه هذا الباب ما يلى :

١- لم يقتصر على الترادف داخل القبيلة ، وإنما درس أيضا الكلمات التميمية التى لها مقابل عند غيرهم من العرب باعتبار أن ألفاظ هذه اللغة أضحت عنصرا من عناصر العربية بعد جمعها .

٢- وجد أن الشرط الذى وضعه اللغويون المحدثون وهو الاتحاد فى العصر بالنسبة للترادف يصعب تحقيقه فى دراسة اللغات فى عصور الاحتجاج .

٣- عدد الكلمات التى درست فى الترادف اثنتان وعشرون كلمة وقد وضعها التميميون كغيرهم بإحدى طرق خمس : الاشتقاق ، وتخصيص مجال الدلالة ، وتعميمها ، وانتقال مجالها ، والتعريب . ويرجع الترادف إلى أن التميميين وضعوا اللفظ بإحدى هذه الطرق ووضع غيرهم بطريقة أخرى أو أنهم وضعوا بالطريقة نفسها ، ولكن لاحظ كل من الفريقين ملاحظا يختلف عن ملاحظ سواه .

٤ - عالج الفصل الثانى الخاص بالمشارك الخاص اللفظى الكلمات ذات المعانى المتعددة ونزا إلى تميم إحدى هذه المعانى والكلمات التى كانت موضع دراسة عددها ثلاثون . وهذه الكلمات صنفان : صنف كانت دلالاته التيممية هى القديمة ، ثم أصابه التطور عند غير التميميين ، والصنف الآخر على التقيض من ذلك تطور عند تميم . وعوامل تشابه الاشتراك هى تخصيص الدلالة أو تعميمها أو انتقال مجالها وتطور صوتى فى الكلمة جعلها تتشابه مع أخرى فى صورتها مع احتفاظ كل منهما فى دلالتها .

٥ - وكان الفصل الثالث خاصا بالتضاد وعالج سبعة ألفاظ ويرجع التضاد إلى أن هذه الكلمات كانت تدل فى الأصل على معنى عام ثم خصصت عند التميميين وغيرهم تخصصا متباينا وصل إلى حد التضاد باستثناء لفظ منها وهو « القَلْتُ » فإن معناه الأصل هو التيميمى ثم تطور عند غيرهم وكان ملاحظهم فى التغيير النظرة التفاضلية .

ثانيا - النتائج العامة :

١ - ليس هناك فرق كبير بين التيممية وغيرها من اللغات العربية ، وبخاصة العربية الفصحى (المشتركة) ، بحيث يصعب على التيممى فهم غير لغته وبصفة خاصة المشتركة ، أو على غير التيممى فهم التيممية .

٢ - إن اللغة التيممية تطورت ، وهذا أمر طبيعى بوصفها كائنا حيا ، إلا أن هذا التطور لم يكن بدرجة واحدة فى جميع مستويات اللغة وإننا لنراه واضحا فى المستويين الصوتى والصرفى على حين نراه يسير ببطء فى المستويين النحوى والدلالى . وإن ما نراه من اختلاف صرفى مرده فى الغالب إلى اختلاف صوتى .

٣ - إن لما نسب إلى تميم ما يعد عنصرا من عناصر اللغة المشتركة ومنها ما يعد عيبا من العيوب كالتعنعنة والكشكشة وهذا الصنف تبأى عنه الأدباء من أصحاب هذه اللغة ، ولم يعتد به اللغويون والنحويون مقياسا يمكن أن يحتذى . ولم يكن هذا موقفاً خاصا باللغة التميمية وحدها ، بل بكل اللغات التي دوّن عنها « قال الفراء : وكثير مما أمهاك عنه قد سمعته ، ولو تجاوزت لرخصت لك أن تقول : رأيت رجلا ، ولقلت : أردت عن تقول ذلك »^(١) .

٤ - من الظواهر التميمية ما شاركت فيه تميم غيرها من قبائل مجاورة . ومن هذه الظواهر ما نرجح أنه دخيل على تميم كإعراب المثني وبعض الأسماء الستة بالالف في حالات الإعراب الثلاث ، بدليل ورودها عند بعض بطونهم فقط .

٥ - إن القراءات القرآنية متواترها وشاذها ، اعتدّت باللغة التميمية وقلما نجد ظاهرة إلا وقرئ بها باستثناء الدلالة والاختلاف في الأصوات الساكنة وإن كنا وجدنا في الصنف الأخير قراءات قليلة شاذة لكنها مع ذلك لم تعز إلى قراء معينين .

المقترحات :

وإنني بعد عرض هذه النتائج أتقدم بمقترحات عنيت لي وأنا أكتب هذا البحث :

١ - الاهتمام بطبع الكتب التي تعزو اللغات إلى ذويها كي تعين على دراستها دراسة علمية ، وأقترح إعادة طبع الكتب التي اشتملت على أخطاء مطبعية كالزهر للسيوطي ومنه نسخة بدار الكتب المصرية تامة الشكل لم يرجع إليها محققو الكتاب .

كما أرى إعادة طبع الكتب التي نشرت غير مضبوطة كالبحر المحيط . ومنه أجزاء مضبوطة بدار الكتب المصرية .

٢ - على المحققين مراعاة ضبط الألفاظ المنسوبة إلى قوم معينين وفق نطق ذويها وعدم إخضاعها للغة المشتركة . وقد تبين لنا ذلك بالنسبة لبعض الأعلام التميمية رغم كتابتها في الأصول وفق نهج التميمية .

٣ - دراسة لهجات التميميين المقيمين بالجزيرة في الوقت الراهن وذلك قبل أن تتطور بتأثير وسائل الإعلام الحديثة ومظاهر الحضارة كتعبيد الطرق داخل الجزيرة ، ومحاولة الحكومات نشر التعليم بانتداب مدرسين من الخارج ، إلى غير ذلك ، مما يجعل لغة تميمي أواخر القرن العشرين تختلف عن لغة تميمي أوائل هذا القرن .

ودراسة هذه اللهجات الحديثة تفيد في فهم مسائل هامة في اللغة التميمية ، فقد توضح لنا ما يعرض من الأمور المشككة في أصواتها وصرفها ونحوها وألفاظها ، لأن هذه اللهجات قد تكون محتفظة في ثنائياها بخصائص صوتية أو ألفاظ وتراكيب أهمل تدوينها أو اكتفى بأن أشير إليها بأنها لغة دون عزوها إلى قوم معينين أو لغة لغير الحجازيين ، فدراسة هذه اللهجات قد يعيننا ويساعدنا على فهم هذا الغامض على نحو ما تبين لنا من أن صور الكشكشة التي ذكرها القدماء ما زالت تنطق مما جعلنا لم نوافق بعض المحدثين الذين خطئوا القدماء في وصفها . كما قد تعيننا هذه الدراسة على فهم ألفاظ وردت بالشعر واكتفى اللغويون بتدوينها دون توضيح ، كأن توصف بالفظ « معروف » ونحو ذلك .

وبعد فإنني لا أستطيع أن أزعم أن هذه دراسة شاملة لكل ما يتصل بلغة تميم ، فهناك ظواهر خاصة بها أعتقد أنها مازالت حبيسة المخطوطات التي لم يقدر لها أن تأخذ طريقها إلى المطبعة .

وإنني لآمل - بعد هذا - أن أكون قد وفقت فيما كتبت ، وحسبي أن غاية الوسع بذلت ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

المراجع

أولا : المراجع العربية :

(١) المطبوعة :

(١)

- الإبانة عن معاني القراءات ، لمكي بن أبي طالب حموش القيسى ، تحقيق الدكتور
[عبد الفتاح إسماعيل شلبي - القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- الإبدال ، لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ، تحقيق عز الدين التنوخي -
دمشق سنة ١٩٦٠ ، ١٩٦١ م .
- الإبدال ، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت ، تحقيق الدكتور حسين محمد
شرف - القاهرة سنة ١٩٧٨ م .
- إبراز المعاني من حرز الأمانى ، لأبي شامة - القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .
- الإبدال ، للأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب (ضمن كتاب الكنز اللغوي
في اللسن العربى) بيروت ١٩٠٣ م .
- أبو حيان النحوى ، للدكتورة خديجة الحديثى - بغداد سنة ١٩٦٦ م .
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، لأحمد بن محمد الدمياطى الشهير
بالبناء ، رواه وصححه وعلق عليه على محمد الضباع - القاهرة سنة ١٣٥٩ هـ .
- إتحاف الملوك الألبا ، بتقدم الجمعيات في بلاد أوربا ، تأليف روبر ستن ، ترجمة خليفة
محمود - القاهرة سنة ١٢٥٨ هـ .
- الإنثقان في صرف لغة السريان ، للمطران يوسف دريان - بيروت سنة ١٩١٣ م .
- الإنثقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم - القاهرة سنة ١٩٧٤ م .
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، لمحمد بن عبد الله لسان الدين الخطيب ، تحقيق محمد
عبد الله عنان - القاهرة سنة ١٩٧٣ م .

- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد ، لعل بن محمد الضباع - القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .
- الأزمنة ، لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن (نشر بمجلة المورد العراقية م / ١٣ ع ٣) .
- الأزمنة والأمكنة ، لأبي علي أحمد بن محمد الأصفهاني المرزوقي - حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣٢ هـ .
- أساس البلاغة ، لأبي القاسم جبار الله محمود بن عمر الزمخشري - القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- أسباب الشذوذ في اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب سنة ١٩٨٠ م .
- أسد الغابة ، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (١ - ٣) ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمود عبد الوهاب فايد - القاهرة سنة ١٩٧٠ ، ١٩٧١ م ، (٤ - ٦) القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ .
- أسرار العربية ، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري - ليدن سنة ١٨٨٦ هـ .
- أسس علم اللغة العربية ، للدكتور محمود فهمي حجازي - القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
- إسماعيل الأعيان في أنساب أهل عمان ، لسالم بن حمود السبياني - بيروت سنة ١٣٨٤ هـ .
- الأشباه والنظائر في النحو ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي - حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٩ هـ .
- الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة سنة ١٩٥٨ م .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر - القاهرة سنة ١٣٢٣ - ١٣٢٥ هـ .
- إصلاح المنطق ليعقوب بن إسحاق بن السكيت ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون - القاهرة سنة ١٩٤٩ م .
- الأصنام ، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، تحقيق أحمد زكي - القاهرة سنة ١٩٢٤ م .
- الأصوات = علم اللغة العام (القسم الثاني - الأصوات) ، للدكتور كمال محمد بشر - القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

- الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس - القاهرة سنة ١٩٧٥ م .
- الأضداد ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الكويت سنة ١٩٦٠ م .
- الأضداد ، الدكتور منصور فهمي - مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية - العدد الثاني .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، للحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق عبد العزيز الميمنى - القاهرة سنة ١٩٤١ م .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج - بيروت سنة ١٩٥٥-١٩٦٤ م .
- الأفعال ، لأبي بكر بن القوطية - القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- الأفعال ، لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافى السرقسطنى : تحقيق الدكتور حسين محمد شرف ، ومراجعة الدكتور محمد مهدى علام - القاهرة سنة ١٩٧٥-١٩٨٠ م .
- الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر السعدى - حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٠ - ١٣٦٤ هـ .
- الاقتراح فى علم أصول النحو : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى - حيدر آباد الدكن سنة ١٣١٠ هـ .
- الاقتضاب ، لابن السيد البطليوسى - بيروت سنة ١٩٠١ م .
- ألف باء ، لأبي الحجاج يوسف بن محمد البلوى - القاهرة سنة ١٢٨٧ هـ .
- الألفاظ السريانية فى المعاجم العربية ، لأغناطيوس أفرام الأول - مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق - المجلد ٢٥ - الجزء ١٠
- الألفاظ الفارسية المغربية ، لأدى شير - بيروت سنة ١٩٠٨ م .
- الألفاظ المغربية العامية التى لها أصل فصيح (مجلة « المناهل » المغربية - العدد ١٦ السنة السادسة ، المحرم سنة ١٤٠٠ هـ) لمحمد الفاسى .
- الإمالة فى القراءات القرآنية واللهجات العربية - (فى الدراسات القرآنية واللغوية : الإمالة) . للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي - القاهرة سنة ١٩٧١ م .
- الأمالى ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى - القاهرة سنة ١٩٢٦ م .

- الأمالي الشجرية ، لضيء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة الشجرى -
حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٩ هـ .
- الأمثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب ، لعبد الكريم الجهيمان - بيروت سنة ١٣٨٣ هـ .
- أمثال العرب ، للمفضل بن محمد الضبي - القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ .
- الأمثال العامية فى نجد (القسم الأول) لمحمد العبودى - القاهرة سنة ١٩٥٩ م .
- إنباه : الرواة على أنباه النحاة ، لعلى بن يوسف القفطى تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم - القاهرة سنة ١٩٥٠ - ١٩٥٥ م .
- إنسان العيون فى سيرة الأمين والمأمون (السيرة الحلبيّة) لعلى بن إبراهيم الملقب نور الدين
ابن برهان الدين الحلبي - ط. مصطفى محمد - القاهرة (بدون تاريخ) .
- الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، لأبى البركات عبد الرحمن
الأنبارى - ليدن سنة ١٩١٣ م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لأبى محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ، تحقيق
عبد المتعال الصعيدى (بدون تاريخ) .
- الإيناس فى علم الأنساب ، للحسين بن على الوزير المغربى ، تحقيق حمد الجاسر -
الرياض سنة ١٩٨٠ م .

(ب)

- البارع ، لإسماعيل بن القاسم القالى ، نشر فلتن^١ - لندن سنة ١٩٣٣ م .
- البحر المحيط ، لأبى حيان أثير الدين محمد بن يوسف - القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ .
- البحوث والمحاضرات للدورة الثالثة والثلاثين لمجمع اللغة العربية .
- بدايات الشعر العربى بين الكم والكيف ، للدكتور محمد عوفى عبد الرؤوف - القاهرة
سنة ١٩٧٦ م .
- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة سنة ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ م .

- بتمايا اللهجات العربية في الأدب العربي ، للمستشرق ليمان - مجلة كلية الآداب جامعة
فؤاد الأول المجلد العاشر - الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٤٨ م .
- بلاد العرب ، للحسن بن عبد الله الأصفهاني ، تحقيق حمد الجاسر ، والدكتور
صالح العلي - الرياض سنة ١٩٦٨ م .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، لمحمود شكري الآلوسي ، شرح وتصحيح محمد
بهجة الأثرى - القاهرة سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ م .
- البيان والتبيين ، للأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون -
القاهرة سنة ١٩٦٨ م .
- التاج = تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدي - القاهرة
سنة ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ ابن خلدون السمي بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لعبد الرحمن بن خلدون
تحقيق الأمير شكيب أرسلان (الثاني) - القاهرة ١٩٣٦) .
- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، لإبراهيم بن صالح ، أشرف على طبعه حمد
الجاسر - الرياض سنة ١٩٦٦ م .
- تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم - القاهرة سنة ١٩٦٠ - ١٩٦٩ م .
- تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد علي - مطبوعات المجمع العلمي العراقي ،
بغداد ١٩٥٠ وما بعدها .
- تاريخ الهجزة وقواعد كتابتها ، للدكتور رمضان عبد التواب (ضمن كتاب : في
أصول اللغة ج ٣ - مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .
- تاريخ اليعقوبي ، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي - بيروت -
سنة ١٩٦٠ م .
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، تحقيق علي محمد
البجاوي - القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

- التبيان (شرح ديوان المتنبي) ، لأبي البقاء العكبرى ، تحقيق مصطفى السقا - القاهرة سنة ١٩٣٦ م .
- التبيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (تصحيح وتعليق أحمد حبيب قصير العامل) النجف ١٩٥٧ - ١٩٦٣ .
- تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ، لمحمد بن محمد الجزري ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، وعبد الفتاح القاضي - القاهرة سنة ١٩٧٢ م .
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب ، للأعلام الشنتمري - على هامش كتاب سيبويه طبعة بولاق .
- تذكرة الحنماظ لشمس الدين أبي عبد الله الذهبي - حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣٣ هـ .
- تراثنا اللغوي في حاجة إلى التهذيب والتنقية ، للدكتور رمضان عبد التواب - بحوث الندوة الأولى عن التراث العربي - القاهرة سنة ١٩٨١ م .
- تصحيح الفصيح ، لابن درستويه ، تحقيق عبد الله الجبوري - بغداد سنة ١٩٧٥ م .
- التضاد في ضوء اللغات السامية ، للدكتور ربحي كمال - بيروت سنة ١٩٧٢ م .
- التطور اللغوي : مظاهره وعلمه وقوانينه ، للدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة سنة ١٩٨١ م .
- التطور النحوي للمستشرق برجشتراسر ، أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة سنة ١٩٨٢ م .
- التطور وقانون السهولة والتيسير ، للدكتور رمضان عبد التواب - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - العدد ٣٦
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك ، تحقيق محمد كامل بركات - القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
- التعاقب والمعاقبة ، للدكتور أحمد علم الدين الجندي - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد ٤٠
- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية ، للأب طوبيا العنيسي - القاهرة سنة ١٩٣٢ م .

- تفسير الطبرى = جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق محمود محمد شاكر - القاهرة دار المعارف .
- تفسير القرآن العظيم ، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين - القاهرة سنة ١٩٧١ م .
- تقويم اللسان ، لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر - القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، للحسن بن محمد بن الحسن الصغانى ، تحقيق عبد العليم الطحاوى وإبراهيم الإبيارى وأبو الفضل إبراهيم - القاهرة سنة ١٩٧٥ - ١٩٧٩ م .
- تلخيص البيان فى مجازات القرآن ، للشريف الرضى ، تحقيق محمد عبد الغنى حسن - القاهرة .
- تميم ، للمستشرق ليثى دلافيدا (بدائرة المعارف الإسلامية) ، ترجمة إبراهيم زكى خورشيد وآخرين - المجلد العاشر سنة ١٩٧٣ م .
- التنبيه والإيضاح عما وقع فى كتاب الصحاح = حواشى ابن برى لعبد الله بن برى : الأول تحقيق مصطفى حجازى ، والثانى تحقيق عبد العليم الطحاوى - القاهرة - سنة ١٩٨٠ ، ١٩٨١ م .
- التنبهات على أغاليط الرواة ، لعلى بن حمزة البصرى ، تحقيق عبد العزيز الميمنى - القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
- تهذيب اللغة ، لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين - القاهرة سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م .
- التيسير فى القراءات السبع ، لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى ، تصحيح أوتو برتزل - استانبول سنة ١٩٣٠ م .

(ج)

- الجاسوس على القاموس ، لأحمد فارس الشدياق - الآستانة سنة ١٢٢٩ هـ .
- الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى - القاهرة سنة ١٩٣٣ م وما بعدها .

— الجمانة في إزالة الرطانة ، (مجهول المؤلف) تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب —
القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

— جمع الجوامع ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ضمن همع الهوامع) — القاهرة
سنة ١٣٢٧ هـ .

— جمهرة أنساب العرب ، لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، تحقيق عبد السلام
هارون — القاهرة سنة ١٩٧١ م .

— جمهرة اللغة ، لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي — حيدر آباد الدكن بالهند
سنة ١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ .

— الجيم ، لأبى عمرو الشيبانى ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، وعبد العليم الطحاوى ،
وعبد الكريم العزباوى سنة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ م .

(ح)

— حاشية الأمير على مغنى اللبيب (هامش المغنى) .

— حاشية الصبان على شرح الأشموني (بهامش شرح الأشموني) .

— حاشية يس زين الدين على التصريح (على هامش شرح التصريح) .

— الحجة في علل القراءات السبع ، لأبى على الفارسي ، تحقيق : على النجدي ناصف ،
والدكتور عبد الحلیم النجار ، والدكتور عبد الفتاح شلبي (دار الكاتب العربى) .

— الحجة في القراءات السبع ، للحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق الدكتور عبد العال
سالم مكرم — دار الشروق سنة ١٩٧٧ م .

(خ)

— خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر المغربي — القاهرة (بولاق) —
سنة ١٢٩٩ هـ .

- الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جنى ، الجزء الأول - القاهرة سنة ١٩١٣ م ، وتحقيق محمد علي النجار - القاهرة سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م (ويشار إلى هذه الطبعة عند استخدامها) .
- خصائص اللهجة الكويتية ، للدكتور عبد العزيز مطر - الكويت سنة ١٩٦٩ م .
- خلق الإنسان ، لثابت بن أبي ثابت ، تحقيق عبد الستار فراج - الكويت سنة ١٩٦٥ م
- (د)
- دائرة المعارف ، لبطرس البستاني (تميم) السادس - بيروت سنة ١٨٨٦ م .
- الدخيل في اللغة العربية ، للدكتور فؤاد حسنين - مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (المجلد ١٠ ، ١١ ، ١٢) .
- دراسات في فقه اللغة ، للدكتور صبحي الصالح - بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- دراسات في اللغة العربية ، للدكتور خليل يحيى نامى - القاهرة سنة ١٩٧٤ م .
- دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربية ، تأليف ت . م . جونسون ، ترجمة الدكتور أحمد محمد الضبيب - الرياض ١٣٩٥ هـ .
- دراسات مقارنة في المعجم العربي ، للدكتور السيد يعقوب بكر - بيروت سنة ١٩٧٠ م .
- دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر ، للدكتور علي حلمي عيسى - القاهرة سنة ١٩٧٨ م .
- دراسة الصوت اللغوى ، للدكتور أحمد مختار عمر - القاهرة سنة ١٩٨١ م .
- دراسة صوتية في لهجة البحرين (بحث ميداني) للدكتور عبد العزيز مطر - القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- الدر اللقيط من البحر المحيط ، لتاج الدين بن مكتوم القيسى (على هامش البحر المحيط) .
- الدرر اللوامع على جمع الهوامع ، لأحمد بن الأمين الشنقيطى (طبعة بالأوفست عن طبعة القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ) - بيروت سنة ١٩٧٣ م .
- درة الغواص في أوهام الخواص ، لأبي محمد القاسم بن علي - القسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ .

- دروس في علم أصوات العربية ، لجان كانتينوا ، ترجمة صالح القرمادى - تونس
سنة ١٩٦٦ م .
- ديوان الأدب ، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي ، تحقيق الدكتور أحمد مختار
عمر ، ومراجعة الدكتور إبراهيم أنيس (مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة) -
القاهرة سنة ١٩٧٤ - ١٩٧٩ م .
- ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق الدكتور محمد حسين - القاهرة سنة ١٩٥٠ م .
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة سنة ١٩٥٨ م .
- ديوان جرير - بيروت سنة ١٩٦٤ م .
- ديوان ذى الرمة ، تحقيق كارليل هنرى هيس - كمبردج سنة ١٩١٩ م .
- ديوان رؤبة بن العجاج (الجزء الثانى من مجموع أشعار العرب) ، تحقيق آهلورت -
ليبزج سنة ١٩٠٣ م .
- ديوان العجاج (الجزء الأول من مجموع أشعار العرب) ، تحقيق آهلورت - ليبزج
سنة ١٩٠٣ م .
- ديوان العجاج برواية الأصمعى وشرحه ، تحقيق الدكتور عزة حسن - بيروت
سنة ١٩٧١ م .
- ديوان عمر بن أبى ربيعة - بيروت ١٩٦٦ م .

(ر)

- الرسالة ، للإمام الشافعى ، تحقيق أحمد محمد شاكر - القاهرة سنة ١٩٤٠ م .
- الرحل والمنزل ، المنسوب لابن قتيبة (ضمن البلغة في شذور اللغة) .
- رواية اللغة ، للدكتور عبد الحميد الشلقاني - القاهرة سنة ١٩٧١ م .

(ز)

- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ، لمحمد بن حبيب الله - القاهرة
سنة ١٩٥٤ - ١٩٥٦ م .
- زاد المسير فى التفسير ، لأبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على الجوزى - القاهرة
سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م .
- زهر الاداب فى علم معرفة أنساب ومفاخر العرب ، لمحمد بن إبراهيم الحقيقى -
المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ، دمشق سنة ١٩٦٤ م .

(س)

- سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب ، لأبى الفوز محمد أمين البغدادى السويدي -
بغداد سنة ١٢٨٠ هـ .
- السبعة فى القراءات ، لأحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوقى
ضيف - القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- سر صناعة الإعراب (الجزء الأول) ، تحقيق مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف ،
وإبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين - القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- سمط. اللآلى فى شرح أمالى القالى ، لأبى عبيد البكرى ، تحقيق عبد العزيز الميمنى -
القاهرة سنة ١٩٣٦ م .
- سنن ابن ماجه (محمد بن يزيد القزوينى) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة
سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ م .
- السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى ، وعبد الحفيظ
شلبى - القاهرة سنة ١٩٣٦ م .

(ش)

- الشافعية ، لأبى عمر عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ضمن شرح الشافعية) .
- شذا العرف فى فن الصرف ، لأحمد الحملاوى - القاهرة سنة ١٩٧١ م .

- الشاذلي في اللغة للدكتور رمضان عبد التواب - مقالة في المجلة التذكارية للمبشرين (شبيتهال) - فيسبادون سنة ١٩٨٠ م .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، لنور الدين أبي الحسن علي بن محمد الأشموني - القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) بدون تاريخ .
- شرح بانيت سجاد ، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن هشام ، تحقيق أغناطيوس كويدي - ليبزج ١٨٧١ م .
- شرح التسهيل لابن مالك (الجزء الأول) ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد - القاهرة سنة ١٩٧٤ م .
- شرح التصريح ، لخاليد بن عبد الله الأزهرى - القاهرة سنة ١٢٩٤ هـ .
- شرح درة الخواص في أوهام الخواص لأحمد شهاب الدين الخفاجي - القسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ .
- شرح ديوان ذي الرمة ، لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح - دمشق سنة ١٩٧٢ م .
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى لثعلب - القاهرة سنة ١٩٤٤ م .
- شرح ديوان علقمة ، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري تصحيح محمد بن أبي شنب - باريس سنة ١٩٢٥ م .
- شرح ديوان الفرزدق ، جمع وتعليق عبد الله إسماعيل الصاوي - القاهرة سنة ١٩٣٦ م .
- شرح ديوان الهذليين ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تحقيق عبد الستار فراج - القاهرة سنة ١٩٦٥ م .
- شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ، لرضي الدين بن محمد الاستراباذي - اسطنبول سنة ١٢٩٢ هـ .
- شرح شافية ابن الحاجب ، لرضي الدين بن الحسن الاستراباذي ، تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة سنة ١٣٥٦-١٣٥٨ هـ .
- شرح شذور الذهب ، لعبد الله جمال الدين بن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

- شرح شواهد الأشموني ، للعيني (بهامش شرح الأشموني) .
- شرح شواهد شافية ابن الحاجب ، لعبد القادر البغدادي تحقيق محمد نور الحسن ،
ومحمد الزغزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ .
- شرح شواهد المغني ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي - القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ .
- شرح ابن عقيل على ألفيه ابن مالك لبهاء الدين عبد الله بن عقيل ، تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد - القاهرة سنة ١٩٦٥ م .
- شرح القصائد السبع الطوال ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق عبد السلام
هارون - القاهرة سنة ١٩٦٣ هـ .
- شرح قطر الندى وبل الصدى ، لجمال الدين بن هشام - القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- شرح المفصل للزمخشري ، لأبي البقاء ابن يعيش - القاهرة (المطبعة المنيرية)
بدون تاريخ .
- شعر الأحوص ، جمع وتحقيق عادل سليمان تقديم الدكتور شوقي ضيف - القاهرة
سنة ١٩٧٠ م .
- الشعر عند البدو ، لشفيق الكمال - بغداد سنة ١٩٦٤ م .
- شعر النمر بن تولب ، صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي - بغداد سنة ١٩٦٩ م .
- الشعر والشعراء ، لأبي محمد عبد الله بن سلم بن قتيبة ، تحقيق المستشرق دي غويه -
ليدن سنة ١٩٠٢ م .
- (ص)
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها ، لأبي الحسين أحمد بن فارس -
القاهرة سنة ١٩١٠ م . تحقيق السيد صقر - القاهرة سنة ١٩٧٧ م (ويشار إلى
الأنخيرة عند الرجوع إليها) .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي - القاهرة سنة
١٩٢٢ م وما بعدها .
- الصبح المنير في شعر أبي بصير والأعشىين الآخرين - بيانه سنة ١٩٢٧ م .

- الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - القاهرة سنة ١٩٥٦ م .
- صحيح البخارى ، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى - القاهرة سنة ١٣١٤ هـ .
- صحيح الترمذى - القاهرة سنة ١٩٣١ - ١٩٣٤ م .
- صحيح مسلم ، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة سنة ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م .
- صفة جزيرة العرب ، للحسن بن أحمد الهمداني - لندن سنة ١٨٨٤ م .

(ط)

- طبقات فحول الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر - القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- طبقات النحويين واللغويين ، لأبى بكر الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

(ظ)

- ظواهر نادرة في لهجات الخليج العربى ، للدكتور عبد العزيز مطر - الدوحة سنة ١٩٧٦ م .

(ع)

- عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب ، لأبى بكر محمد بن أبى عثمان الحازمى الهمداني - تحقيق عبد الله كنون - القاهرة سنة ١٩٧٣ م .
- العرب قبل الإسلام ، لجرى زيدان - مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس - القاهرة (بدون تاريخ) .

- العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، للمستشرق يوهان فك ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبدربه ، تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الإبياري - القاهرة سنة ١٩٤٠ - ١٩٤٢ م .
- علم اللغة ، للدكتور علي عبدالواحد وافي - القاهرة سنة ١٩٧٢ م .
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) ، للدكتور محمود السعران - القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي :
- الأول : تحقيق الدكتور عبدالله درويش - بغداد سنة ١٩٦٧ م .
- الثاني إلى السادس : تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي وآخرين - بغداد .
- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء لأحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة - القاهرة سنة ١٨٨٢ م .

(غ)

- غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري تحقيق برجشتراسر - القاهرة سنة ١٩٣٣ م .
- غرائب اللغة العربية ، للأب روفائيل نخلة اليسوعي - بيروت سنة ١٩٦٠ م .

(ف)

- فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- فقه اللغات السامية ، للمستشرق كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب - الرياض سنة ١٩٧٧ م .
- فقه اللغة المقارن ، للدكتور إبراهيم السامرائي - بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- فقه اللغة وسر العربية ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، نشر الأب لويس شيخو - بيروت سنة ١٩٣٨ م .
- الفهرست ، لابن النديم - القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

- في أصول اللغة (مطبوعات مجمع اللغة العربية) القاهرة (الأول ، والثاني ، والثالث) -
القاهرة سنة ١٩٦٩ م ، ١٩٧٥ م ، ١٩٨٢ م .
- في سراة غامد وزهران ، لـ محمد الجاسر ، الرياض سنة ١٩٧١ م .
- في قواعد الساميات ، للدكتور رمضان عبد الثواب - القاهرة سنة ١٩٨١ .
- في اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، القاهرة سنة ١٩٧٤ م .

(ق)

- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي - القاهرة سنة ١٩٣٣ م .
- القبائل التميمية في عنيزة ، لعبد الله بن محمد البسام ومراجعة عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل - مجلة العرب ، السنة الخامسة ، العدد ٢ .
- القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، للدكتور عبد الله خورشيد البري - القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، لعبد الفتاح القاضي - القاهرة (بدون تاريخ) .
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، للدكتور عبد الصبور شاهين - القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- قضايا لغوية ، للدكتور كمال بشر - القاهرة سنة ١٩٦٢ م .
- قلب جزيرة العرب ، لفؤاد حمزة - الرياض سنة ١٩٦٨ م .
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، لأبى العباس أحمد بن علي القلقشندي تحقيق إبراهيم الإبياي - القاهرة سنة ١٩٦٣ م .
- قواعد اللغة العبرية ، للدكتور عوني عبد الرؤوف القاهرة سنة ١٩٧١ م .

(ك)

- الكامل في اللغة والأدب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، مكتبة المعارف - بيروت (بدون تاريخ) .
- الكتاب لسبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة - سنة ١٩٦٦-١٩٧٧ .

- كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد صابر الفاروقى التهانوى - ككلتا سنة ١٨٦١ م .
- الكشف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لجار الله أبو القاسم محمود بن عمر - القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ .
- كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ، لأحمد فارس الشدياق - الآستانة سنة ١٢٨٨ .
- (ل)
- لامية منظور بن مرثد الأسدي ، جمعها وحققها وعلق عليها الدكتور رمضان عبدالتواب - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد ٢٩ .
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية للدكتور عبدالعزيز مطر - القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن جلال الدين - القاهرة سنة ١٣٠٠-١٣٠٧ هـ
- لطائف الإشارات لفنون القراءات ، لشهاب الدين القسطلاني (الأول) تحقيق عامر السيد عثمان ، والدكتور عبد الصبور شاهين - القاهرة سنة ١٩٧٢ م .
- اللغة لثندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص - القاهرة سنة ١٩٥٠ م .
- اللغة العبرية : قواعد ونصوص ومقارنات ، للدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة سنة ١٩٧٧ م .
- اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ، لأحمد حسين شرف الدين - القاهرة سنة ١٩٧٥ م .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور تمام حسان - القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
- اللغة والنحو ، للدكتور حسن عون - الإسكندرية سنة ١٩٥٢ م .
- اللمع في العربية ، لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق الدكتور حسين محمد شرف - القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
- لمع الأدلة في أصول النحو ، لأبى البركات كمال الدين الأنباري ، تحقيق عطية عامر بيروت سنة ١٩٦٣ م .
- لهجات العرب لأحمد تيمور - القاهرة ١٩٧٣ م .
- لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط ، للدكتور عبدالعزيز مطر - القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

- لهجة شمال المغرب : تطوان وما حولها ، للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال - القاهرة سنة ١٩٦٨ م .
- اللهجات العربية في التراث ، للدكتور أحمد علم الدين الجندي - القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، للدكتور عبده الراجحي - القاهرة سنة ١٩٦٨ م .
- (م)
- المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم ، لأبي القاسم الحسن ابن بشر الآمدي - القاهرة سنة ١٩٥٤ هـ .
- مابنته العرب على فعال ، للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق سنة ١٩٦٤ م .
- ماورد في القرآن من لغات القبائل لأبي القاسم بن سلام (على هامش تفسير الجلالين) - القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- المثل السائر ، لضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة سنة ١٩٤٨ م .
- المجاز بين اليمامة والحجاز ، لعبد الله بن محمد بن خميس - الرياض - سنة ١٣٩٠ هـ = سنة ١٩٧٠ م .
- مجالس ثعلب ، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة سنة ١٩٤٩ م .
- مجمع الأمثال ، لأحمد بن محمد الميداني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - بيروت سنة ١٩٧٢ م .
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي علي الفضل بن الحسن الطوسي - صيدا سنة ١١٣٣ هـ .
- مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما : ماضيه وحاضره (١) للدكتور إبراهيم مدكور - القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، لمجمع اللغة العربية : الثالث سنة ١٩٦٢ م ،
والسابع سنة ١٩٦٦ م .
- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، لمحمد الخضرى - القاهرة سنة ١٣٧٠ هـ .
- المحبر ، لأبى جعفر محمد بن حبيب ، تحقيق إيلازة ليختن - حيدر آباد سنة ١٣٦١ هـ .
- المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبى الفتح عثمان بن جنى ،
تحقيق على النجدي ناصف وآخرين ، القاهرة سنة ١٩٦٦ - ١٩٦٩ م .
- المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة لأبى الحسن على بن إسماعيل ، المعروف بابن سيده
تحقيق مصطفى السقا وآخرين - القاهرة سنة ١٩٥٨ وما بعدها .
- المحيط فى اللغة للصاحب بن عباد تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - بغداد^٢
سنة ١٩٧٦ وما بعدها .
- مختصر فى شواذ القرآن (من كتاب البديع) للحسين بن أحمد بن خالويه ، نشره
برجستراسر - القاهرة سنة ١٩٣٤ م .
- مختصر المذكر والمؤنث ، للمفضل بن سلمة ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب -
القاهرة سنة ١٩٧٢ م .
- مختلف القبائل ومؤلفها ، لأبى جعفر محمد بن حبيب - تحقيق حمد الجاسر -
القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- المخصص فى اللغة ، لأبى الحسن على بن إسماعيل ، المعروف بابن سيده - القاهرة سنة ١٣١٦ -
سنة ١٣٢١ هـ .
- المدخل إلى علم اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- المذكر والمؤنث ، لأبى بكر الأنبارى (الأول) ، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة -
القاهرة سنة ١٩٨١ م .
- المذكر والمؤنث ، لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق الدكتور رمضان
عبد التواب ، والدكتور صلاح الهادى - القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

- المذكر والمؤنث لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق الدكتور رمضان عبدالتواب - القاهرة سنة ١٩٧٥ م .
- المرتجل ، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب ، تحقيق علي حيدر - دمشق سنة ١٩٧٢ م .
- مروج الذهب ، للحسن علي بن الحسين المسعودي - القاهرة سنة ١٢٤٦ هـ .
- المزهري في علوم اللغة ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوي - القاهرة سنة ١٩٥٨
- مسالك الممالك ، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري - بريل - سنة ١٨٧٠ م .
- مسطرة اللغوى ، للدكتور إبراهيم أنيس - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - العدد ٢٩ .
- مسند ابن حنبل ، لإمام أحمد بن حنبل - القاهرة سنة ١٣١٣ هـ .
- مشكل إعراب القرآن ، لأبي محمد مكى بن أبي طالب القيسى ، تحقيق حاتم صالح الضامن - بغداد سنة ١٩٧٥ م .
- مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والطاء للدكتور رمضان عبد التواب - مجلة المجمع العلمى العراقى - العدد الحادى والعشرون .
- المصباح المنير ، لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشبناوى - القاهرة سنة ١٩٧٧ م .
- المعادى النافعة ، لفرارد ، ترجمة رفاعه الطهطاوى - القاهرة سنة ١٢٤٨ هـ .
- المعارف ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق محمد إسماعيل الصاوى - القاهرة سنة ١٩٣٤ م .
- معانى الشعر ، لأبي عثمان سعيد بن هارون الأشنانداني - دمشق سنة ١٩٢٢ م .
- معانى القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين - القاهرة سنة ١٩٥٥ - ١٩٧٢ م .

- معجم الأدباء = إرشاد الأريب ، لياقوت الحموى - القاهرة سنة ١٩٣٦-١٩٣٨ م .
- معجم أسماء النبات ، للدكتور أحمد عيسى - القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .
- معجم الألفاظ الكويتية ، للشيخ جلال الحنفي - بغداد سنة ١٩٤٦ م .
- معجم البلدان لأبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى - القاهرة سنة ١٣٠٦ م .
- معجم الحيوان ، لأمين فهد المعلوف - القاهرة سنة ١٩٣٢ م .
- معجم الشعراء ، لأبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى - القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة - بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- المعجم الكبير (مطبوعات مجمع اللغة العربية) : الأول سنة ١٩٧٠ ، والثانى سنة ١٩٨٢ م .
- معجم لهجة تميم ، لفاضل المطلبى - مجلة المورد العراقية - المجلد السابع (العدد الثالث) سنة ١٩٧٨ م .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبى عبد الله بن عبد العزيز البكرى ، تحقيق مصطفى السقا - القاهرة سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٩ م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .
- المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) - القاهرة سنة ١٩٧٢ م .
- العرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، لأبى منصور الجوالقي ، تحقيق أحمد محمد شاكر - القاهرة سنة ١٣٦١ هـ .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، لشمس الدين أبى على الذهبي (الأول) تحقيق محمد سيد جاد الحق - القاهرة سنة ١٩٦٩ م .
- كتاب المعمرين ، لأبى حاتم سهل السجستاني - لندن سنة ١٨٩٩ م .
- مغنى اللبيب ، لأبى محمد عبد الله جمال الدين بن هشام - القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) بدون تاريخ .
- المفصل ، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ضمن شرح المفصل لابن يعيش) .

- المفضليات ، للمفضل بن محمد الضبي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
- مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون - القاهرة سنة ١٩٦٩ - ١٩٧٢ م .
- المقْتَضِب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ .
- مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي (الرابع) - القاهرة ١٩٦٨
- مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية) ، نشر المستشرق آرثر جفري - القاهرة سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٧٢ م .
- الممتع في التصريف ، لابن عصفور الإشبيلي ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة - بيروت ١٩٧٩
- مميزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك ، لحفني ناصف - القاهرة ١٩٥٧ م .
- مناهج البحث في اللغة ، للدكتور تمام حسان - القاهرة سنة ١٩٥٥ م .
- من أسرار اللغة ، للدكتور إبراهيم أنيس - القاهرة سنة ١٩٧٥ م .
- من الخصائص اللغوية لقبيلة « هذيل » ، للدكتور أحمد علم الدين الجندى (قدم إلى مؤتمر الدورة الثامنة والأربعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة - الجلسة الثالثة ضمن أعمال لجنة اللهجات) .
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين لمحمد بن محمد بن الجزري^{٢٧} ، تحقيق عبد الحى الفرماوى - القاهرة سنة ١٩٧٧ هـ .
- منحة الجليل على شرح ابن عقيل ، لمحمد محيى الدين عبد الحميد (بهامش شرح ابن عقيل) .
- المنصف لابن جنى بشرح التصريف للمازنى ، تحقيق إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين - القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- مهد العرب ، لعبد الرحمن عزام - القاهرة سنة ١٩٤٦ م .

(ن)

- النبات ، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينورى - ليدن سنة ١٩٥٣ م .
- النبات والشجر ، المعزو للأصمعى أبى سعيد عبد الملك بن قريب (ضمن البلغة فى شذور اللغة) ، نشر أوغست هفنىر والأب لويس شيخو - بيروت سنة ١٩١٤ م .
- النحو الوافى (الأول) ، لعباس حسن - القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- النخل والكرم ، للأصمعى (ضمن كتاب البلغة) - نشر هفنىر ولويس شيخو - بيروت سنة ١٩١٤ م .
- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء (نشر باسم : تاريخ الأدباء النحاة) لأبى البركات عبد الرحمن بن الأنبارى - القاهرة (جمعية إحياء مآثر علوم العرب - بدون تاريخ) .
- نسب عدنان وقحطان ، لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد - القاهرة سنة ١٩٣٦ م .
- النشر فى القراءات العشر ، لمحمد بن محمد الشهير بابن الجزرى - القاهرة سنة ١٣٤٥ هـ .
- نصوص فى فقه اللغة العربية ، للدكتور السيد يعقوب بكر (الأول) - بيروت - سنة ١٩٧٠ م .
- النقائض - نقائض جرير والفرزدق ، تحقيق بيثان - ليدن سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٧ م .
- نهاية الأرب فى فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى - القاهرة سنة ١٩٢٣ م وما بعدها .
- نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، لأبى العباس أحمد بن على القلقشندى ، تحقيق إبراهيم الإبيارى - القاهرة سنة ١٩٥٩ م .
- للنهاية فى غريب الحديث والأثر ، لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ، تحقيق محمود الطناحى - القاهرة سنة ١٩٦٣ - ١٩٦٥ م .
- النوادر ، لأبى مسحل الأعرابى ، تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق سنة ١٩٦١ م .

- النواذر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري ، نشر سعيد الشرتوني ، (طبعة مصورة) - بيروت سنة ١٩٦٧ م ، وتحقيق محمد عبد القادر أحمد الشروق (بيروت والقاهرة) سنة ١٩٨١ م (ويرمز إلى الثانية بالشروق ، وعند عدم الرمز فالمراد الأولى) .

(هـ)

- همع الهوامع ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي - القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .

(و)

- وفيات الأعيان ، لأبي العباس أحمد بن محمد المشهور بابن خلكان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة سنة ١٩٤٨ م .
- الولاة والقضاة ، لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي ، تهذيب وتصحيح رفن كست - سنة ١٩٠٨ م .

(ب) المخطوطة :

(١)

- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر ، لعلي بن جعفر السعدى المعروف بابن القطاع ، تحقيق الدكتور أحمد محمد عبد الدايم - رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية دار العلوم سنة ١٩٨٠ م .
- ارتشاف الضرب ، لأبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف - نسخة مصورة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (عن المكتبة الأحمدية - ٨٩٩) .
- أسماء الإشارة بين العربية واللغات السامية : دراسة مقارنة ، لعلاء الدين هاشم الخفاجي - رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية بآداب عين شمس سنة ١٩٨١ .
- إعراب القرآن ، لأبي جعفر النحاس ، مصور بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(ب)

- البحر المحيط ، لأبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف - ٥٤ تفسير - دار الكتب المصرية .
- بغية الآمال في معرفة النطق بجميع مستقبلات الأفعال ، لأحمد بن يوسف اللبلى - دار الكتب المصرية ٢٢ صرف تيمور .

(ت)

- تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدي ١٨ لغة أبو الذهب -
بدار الكتب المصرية .
- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى - نسخة مصورة بمكتبة مجمع اللغة
العربية عن نسخة دار الكتب المصرية .

(ح)

- الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي على الفارسى ، نسخة مصورة بمكتبة مجمع اللغة
العربية بالقاهرة عن مكتبة البلدية بالإسكندرية تحت رقم ٣٥٧٠ ع .

(خ)

- خصائص لغة تميم أصواتاً وبنية ودلالة ، لمحمد بن أحمد بن سعيد العمرى - رسالة
ماجستير مقدمة لكلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٣٩٦ هـ .

(ر)

- رسالة في غريب القرآن على لغات القبائل لابن عباس . - دار الكتب المصرية -
١٤٠ حديث تيمور .

(ش)

- شرح ديوان رؤبة - نسخة مصورة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- شرح السيرافى على كتاب سيبويه - دار الكتب المصرية - ٥٢٨ نحو ، تيمور .
- شرح كتاب سيبويه ، لعلى بن عيسى الرماني - مصور بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة
عن مكتبة فيض الله باستانبول رقم ١٩٨٤ .
- شواذ القراءة للكرمانى ب - ٢٠٠٧٣ مصور بدار الكتب المصرية عن مكتبة الأزهر .

(ص)

- الصوت والدلالة في اللهجات اليمنية القديمة والمعاصرة وأصولها في اللغات السامية ،
لعبد الوهاب عبيد رواح - رسالة ماجستير متقدمة لقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة
عين شمس سنة ١٩٨٢ م .

(غ)

- الغريب المصنف ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (نسخة مصورة بمكتبة مجمع اللغة العربية)
عن مكتبة فاتح^{٤٠٠٨} .

(ف)

- الفرق بين الأحرف الخمسة : الظاء والضاد والذال ، والسين والصاد ، لابن السيد
البطلوسى (ميكرو فيلم بمعهد المخطوطات - لغة) .
- فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ ، لأبي حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان - ٢٠٦ لغة تيمور
دار الكتب المصرية .
- وفي الدار أخرى برقم ٤٨٧ نسبها المفهرس خطأ للأصمعي .

(م)

- ما تفرد به بعض أئمة اللغة = الشوارد ، للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، نسخة
مخطوطة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة منقولة عن نسخة دار الكتب المصرية .
- وأخرى مصورة عن شهيد على ، أشرنا إليها في الهامش عند الرجوع إليها .
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، لأبي الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده
السفر ٢٠ بدار الكتب المصرية ٤٩ لغة .
- المزهري في علوم اللغة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي - دار الكتب المصرية ٦٤٢ لغة .

ثانيا : المراجع الأفرنجية :

1. D. Jones, An outline of English phonetics, Cambridge 1950.
 2. Ellous Bocthor, Dictionaire Français — Arabe, Caire 1871.
 3. F. Steingass, Persian-English Dictionary, London 1930.
 4. G. Jespersen, Language, Its Nature, development and origin, London, 1964.
 5. J. Marouzeau, Lexique de la terminologie Linguistique, Paris 1968.
 6. Jeffery, A. The Foreign Vocabulary of the Quran, Barada 1938,
 7. Rabin, Ancient West-Arabian, London 1951.
 8. Sabatino Moscati, An introduction to the Comparative Grammar of Sematic Languages 1969-Otto Harrassowitz. Wiesbaden.
 9. W. Gesenius, Hebrew and English Lexicon, Oxford 1929.
-

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تصدير الأستاذ الدكتور رمضان عبد الثواب	ج
المقدمة	١
الرموز المستعملة في البحث	١١

الباب الأول

(تمهيدى)

أولاً : تميم : نسبها وفروعها	١٥
ثانيا : مساكن تميم وصاتها بغيرها من القبائل	٢٩
(١) مساكن تميم	٢٩
(ب) صلة تميم بالقبائل	٣٧
(أولاً) القبائل المجاورة لتميم	٣٧
(ثانيا) صلتها بالقبائل غير المجاورة	٤١
ثالثا : تاريخ القبيلة ومكانتها	٤٤
(١) تاريخ القبيلة السياسى	٤٤
(فى الجاهلية - بعد الإسلام - بنو تميم فى الجزيرة العربية الآن)	
(ب) دياناتهم فى الجاهلية	٤٩
(ج) مكانتهم فى الجاهلية	٥١
رابعا : مرادفات اللغة التميمية ومنزلتها بين لغات القبائل	٥٣
(١) مرادفات اللغة التميمية	٥٣
(ب) اللغة التميمية ومنزلتها بين لغات العربية	٥٨
(منزلة اللغة التميمية - أخذها عن الرواة - رحلة العلماء إلى المنازل التميمية)	

الباب الثاني
(المستوى الصوتي)

الصفحة	الموضوع
٦٧	الفصل الأول : الإبدال
٦٧	توطئة
٧١	أولاً : في الأصوات الساكنة
٧١	١ - الإبدال الحر
٧١	أولاً : عند تميم
٧١	(أ) المطرد
٧١	٢، ١ - الكشكشة والكسكسة
٧٩	٤، ٣ - بين الجيم والياء
	(العلاقة بين الجيم والياء - قلب الجيم ياء -
	أ - قلب الياء الأخيرة المشددة جيما)
٨٦	(ب) غير المطرد
٨٦	١ - قلب الهمزة عينا
٨٦	(أ) العننة
٩٦	(ب) قلب الهمزة عينا في غير العننة
	(اعتنف ومشتقاها - كعص - خباج وخبعة - عدر -
	خروج عن القاعدة : نزأ - ألكول)
٩٧	١ - إبدال العين غينا (لَغْن)
٩٩	٣ - إبدال الحاء هاء (مده عند بني سعد)
١٠١	٤ - بين القاف والكاف
	(أنواع القاف عند العرب - إيثار تميم للكاف « كَشَط » -
	إيثار الكاف : « بَكَع »)
١٠٦	٥ - إبدال القاف غينا (غَس)

الموضوع	الصفحة
٦ - إبدال القاف جيما (هِجْرَس)	١٠٧
٧ - إبدال الجيم شينا (أَثْنَاء)	١٠٨
٨ - إبدال الطاء صادا (حَصَب)	١١٠
٩ - إبدال اللام نونا (إِسْرَائِيل)	١١٢
١٠ - إبدال الميم نونا (الْإِيمَن)	١١٣
١١ - إبدال الزاي لاما (لَغَب)	١١٦
١٢ - إبدال الثاء طاء (أَفْلَط)	١١٧
١٣ - إبدال الثاء فاء (جَدَف)	١١٩
١٤ - إبدال الباء فاء (مَصْطَفَاة)	١٢١
ثانيا : ما احتفظت فيه تميم بالأصل : (غير مطرد)	١٢٤
١ - إبدال الحاء عينا (الحرجلة)	١٢٤
٢ - إبدال القاف كافا (زُحْلُوقَة)	١٢٥
٣ - إبدال الضاد ظاء (فاض)	١٢٥
٤ - بين الراء واللام (مُبْرَسَم - هِجْرَس - لَغَن)	١٢٩
٥ - إبدال اللام نونا (الْجَبْرِئِيل)	١٣١
٦ - إبدال الثاء فاء (لثام - ثوم)	١٣٢
ثالثا : المجهول الأصل : (غير مطرد)	١٣٤
١ - بين القاف والكاف (النُّكَّة)	١٣٤
٢ - بين الراء والواو (التَّوْصِيص)	١٣٥
٣ - بين الراء واللام (فرق الصبح)	١٣٦
٤ - بين السين والضاد والزاي (لَصِق)	١٣٧
٥ - بين الضاد والزاي (الهيصم)	١٣٨

الموضوع	الصفحة
رابعاً : بين الأصوات المتباعدة	١٣٩
١- بين الهمزة والنون (معشّار)	١٣٩
٢- بين النون والهاء (تفكّن)	١٤٠
٣- بين الخاء والجيم (أصلج)	١٤٢
٤- بين القاف والفاء (زُحلوقة)	١٤٣
٢- الإبدال المقيد (التركيبي)	١٤٦
(١) التماثل	١٤٦
توطئة	١٤٦
أولاً : التماثل الكلي الإتياعى المتصل (مطرد)	١٤٨
(قلب تاء الفاعل طاءً ، إذا وقعت بعد صوت الإطباق :	
الطاء)	
ثانياً : التماثل الكلي الإتياعى المنفصل (غير مطرد)	١٤٨
(الأثاني)	
ثالثاً : التماثل الجزئى الإتياعى المتصل (مطرد)	١٤٩
١- قلب تاء الفاعل طاءً	١٤٩
٢- قلب تاء الفاعل دالاً	١٥١
رابعاً وخامساً : التماثل التخلقى الجزئى المتصل والمنفصل (مطردان)	١٥٢
(قلب السين صاداً)	
سادساً : التماثل التبادلى (اجتماع العين الساكنة وهاء تليها)	١٥٩
(ب) التغيرات	١٦١
توطئة	١٦١

الموضوع	الصفحة
أولاً : التغيرات عند تميم	١٦٢
(١) تغير المجاورة	١٦٢
(أيما - ذانيك - أفضى - أملى - سنبل)	١
(ب) تغير المباعدة : (لغن)	١٦٥
ثانيا : التغيرات عند غير بني تميم	١٦٥
(١) تغير المجاورة : (المن)	١٦٥
(ب) تغير المباعدة	١٦٥
(هيهات - دمه - حول ماجاء على « فَعَل »	
عند تميم و « فاعل » عند غيرهم)	
(ج) بين التماثل والتغير (الدندن)	١٦٧
(د) الفصل بين الأمثال (شرار)	١٦٧
ثانيا : بين أشباه أصوات اللين والحركات	١٦٨
١ - الإبدال الحر	١٦٩
(١) بين أشباه أصوات اللين (بين الواو والياء)	
أولاً : إيشار الواو	١٦٩
(حَوْتُ - مَوُغ - ضَحَوْتُ - قَلَنْشَوَة - قِنَوَة)	
ثانيا : إيشار الياء	١٧٢
(١) المطرد	١٧٢
١ - ما جاء على فُعْلَى (مثل دُنْيا)	١٧٢
٢ - باب وجل	١٧٤
(ب) غير المطرد	١٧٥
(حَفَاية - أُسَيْد - قَلَيْت - قُنْيان - هدايا)	

الموضوع	الصفحة
(ب) بين الحركات	١٧٩
أولاً : الحركات القصيرة	١٧٩
١ - بين الضم والكسر	١٧٩
(١) الميل إلى الضم	١٧٩
أولاً : شبه المطرد	١٧٩
١ - ٧ : ما جاء على فُعْله (أَسْوَة -	
عُدْوَة - عُشْوَة - قُدْوَة -	
رُفْقَة - غُلْظَة - مَرِيَة) .	
٨ - ١٠ : ما جاء على فُعْلان (رُضْوَان -	
صِنْوَان - قَنْيَان)	
١١ - ١٣ : ما جاء على فُعُول مَعْتَل اللام	
(عُصَى - دَلَى - قَسَى)	
ثانياً : ما جاء على غير أوزان : « فُعْلَة »	
و « فُعْلَان » ، « فُعُول »	
(بُسْط - بُطَاح - سُخْرِيَا - أُسْم -	
عُضْد - قُبْلَا - قُثَاء - قُلْنُسُوءَة - أَيْم) .	
(ب) الميل إلى الكسر	١٩٢
أولاً : المطرد	١٩٢
١ - جمع الاسم الرباعى المعتل العين	
بالياء المسبوق آخره بحرف مد .	
٢ - هاء الغائب المفرد والمثنى والجمع	
المسبوق بكسرة أو ياء .	

الموضوع	الصفحة
ثانيا : غير المطرد	١٩٤
(رجز - الشقة - مشط - منتن -	
هنا - نيهات)	
(ج) ألفاظ تأرجحت الروايات بين نسبة ضمها	
وكسرها إلى تميم (مصحف - مغزل	
سمطرف)	١٩٨
(د) لفظ تأرجحت الروايات بين نسبة فتحه	
وكسره إلى تميم (سم)	٢٠٠
التعقيب	٢٠١
٢- بين الكسر والفتح	٢٠٤
(١) الميل إلى الكسر	٢٠٤
أولاً : المطرد	٢٠٤
١- التثنية	٢٠٤
٢- كسر ياء المتكلم المضاف إليها جمع	
المذكر السالم	٢١١
٣- كسر فاء فَعِيل وفَعِل الحلق العين	٢١٢
ثانيا : غير المطرد	٢١٤
(ما جاء على فَعْلَه عند تميم وفَعْلَة عند	
غيرهم « شبه مطرد » ، كامة ، معدة ،	
نقمة » - تمام - الحِجج - حَفَايَة -	
زعم - شجرة - شرب - ضبارى -	

الموضوع الصفحة

مطليح - طنفيسة - كثرة - نعمة -
نهى - هيهات - وتر - ولاية)

(ب) الميل إلى الفتح ... ٢٢٥

(أمّا - بساط - جبرئيل - جداية - حصاد -
ربوة - ربيون - سينين - الصرع - عجلزة -
لام كى - نعام - وجد - آيم)

تعقيب ... ٢٣٢

٣- بين الضم والفتح ... ٢٣٥

(١) الميل إلى الضم ... ٢٣٥

أولاً : المطرد ... ٢٣٥

(فُعلى) ... ٢٣٥

ثانيا : غير المطرد ... ٢٣٥

(ماجاء على فُعلة « عُدوة - عُشوة -
غُرقة - غُلظة » - بُخل - ثمر -
زعم - شرب - صدقة - عُدس -
عُضد - فواق - قرح - مُثلة - يُنَع)

(ب) الميل إلى الفتح ... ٢٤٢

أولاً : المطرد ... ٢٤٢

(جمع الاسم الرباعى المسبوق آخره بمد)

ثانيا : غير المطرد ... ٢٤٢

(ماجاء على فُعالى وفَعالى « سَكَارى -
غَيارى - كَسالى » - جَلَّ - حَدَّان -
حيث - تَذَنُوب - رَبِيون - رَبوة -

الموضوع الصفحة

رَفَعَ - شَهِدَ - صَدَفَ - صَلَبَ -
 ضَعَفَ - عَقَّرَ - قَلَنَسُوهُ - لَحَدَ -
 نَعَامَ - وَجَدَ - لَفْظَانِ مَلْحَقَانِ :
 زَهُو - لَمَى)

(ج) أَلْفَاظُ تَأَرْجَحَتْ الرَوَايَاتُ بَيْنَ نَسْبَةِ ضَمِّهَا

وَفَتْحِهَا إِلَى تَمِيمٍ ٢٥٠

أَوَّلًا : مَا جَاءَ عَلَى مَفْعَلَةٍ وَمَفْعُلَةٍ ٢٥٠

(مَبْقَلَةٌ - مَزْرَعَةٌ - مَشْرَعَةٌ - مَقْبَرَةٌ -

مَيْسِرَةٌ - مَسْرِبَةٌ - مَشْرِفَةٌ)

ثَانِيًا : أَلْفَاظُ مَفْرَدَةٌ ٢٥٢

(أَرُومَةٌ - الْحَوْبُ)

كَلِمَةً تَأَرْجَحَتْ الرَوَايَاتُ بَيْنَ نَسْبَةِ

فَتْحِ صَوْتِهَا الثَّانِي وَإِمْكَانِهِ إِلَى تَمِيمٍ

وَهِيَ مَضْمُونَةٌ عِنْدَ غَيْرِهِمْ ٢٥٤

التَّعْقِيبُ ٢٥٥

ثَانِيًا : بَيْنَ الْحَرَكَاتِ الطَّوِيلَةِ : ٢٥٨

(أ) بَيْنَ أَلْفِ الْمَدِّ وَيَاءِ الْمَدِّ .

(ب) بَيْنَ وَاءِ الْمَدِّ وَيَاءِ الْمَدِّ .

كَلِمَةً خَتَامِيَّةً ٢٦٢

٢ - الْإِبْدَالُ الْمُقَيَّدُ (التَّرْكِيبِيُّ) ٢٦٣

(أ) التَّمَاثُلُ ٢٦٣

أَوَّلًا : التَّمَاثُلُ عِنْدَ تَمِيمٍ ٢٦٤

١ - الْإِتْبَاعِيُّ الْمُتَّصِلُ (غَيْرُ مَطْرُودٍ) (أُمِّيْدٌ) ٢٦٤

الموضوع	الصفحة
٢ - الإتياعى المنفصل	٢٦٤
(١) المطرد	٢٦٤
١ - كسر هاء الغائب المفرد والمثنى والعجم المسبوق بكسرة أو ياء ساكنة .	
٢ - باب وجل المسند للغائب .	
٣ - الفعل الثلاثى الأجوف عند بنائه للمفعول	
٤ - الوقف على الهمزة فيما جاء على فِعْل وفُتِل	
(ب) غير المطرد	٢٦٥
١ - فى كلمة واحدة (مُحَسَّس)	
٢ - فى كلمتين متلاصقتين (قُمُ الليل)	
٣ - التخليق المتصل	٢٦٦
(١) المطرد (كسر فاء جمع الاسم الرباعى المسبوق آخره بحرف مد)	
(ب) غير المطرد (الحج - شجرة .)	
٤ - التخليق المنفصل	٢٦٦
(١) المطرد (كسر فاء فعيل)	
(ب) غير المطرد	
(١) فى كلمة واحدة .	
(مَنَتِن - نِعْجَة - نِهْى)	
(ب) فى كلمتين متلاصقتين (الحمد لله)	
ثانيا : ما احتفظت فيه تميم بالأصل	٢٦٨
(١) التخليق المتصل (رايم)	٢٦٨

الموضوع	الصفحة
(ب) التخليق المنفصل (عصبي وما شابهها - جبريل - ربيون)	٢٦٨
(ج) تماثلان إتباعي وتخليق متصلان (ايم)	٢٦٨
الإمالة	٢٦٩
(ب) التغيرات في الحركات	٢٨٩
أولاً : عند تميم	٢٨٩
(١) المطرد	٢٨٩
١ - ما أصله على «فعل» مما عينه ولا منه من جنس واحد	
٢ - المعتل اللام بالواو مما جاء على فُعْلي	
(ب) غير المطرد (قنيان - طنفسة)	٢٩٠
(ج) بين التماثل والتغير	٢٩٠
(أولاً) ألفاظ شبه مطردة (سكاري - غياري - كسالي)	
(ثانياً) ألفاظ مفردة :	
(أسوة - عدوة - عشوة - قدوة - صنوان - قنوان -	
مرية - هيهات)	
(د) عدم تتابع ثلاث حركات	٢٩١
الفصل الثاني : الهمز	٣٠٠
أولاً : الهمز والتخفيف	٣٠٠
ثانياً : إبدال الهمزة بالواو المكسورة الواقعة فاء فعال	٣١٩
ثالثاً : نبر الهمز	٣٢٣
رابعاً : المقصور والممدود	٣٢٦

الصفحة	الموضوع
٣٣٣	الفصل الثالث : القلب المكاني
٣٤٦	الفصل الرابع : الوقف
٣٤٦	توطئة
٣٤٧	١ - الوقف على الهمزة
٣٤٩	٢ - الوقف على ضمير المفرد الغائب
٣٥٠	٣ - الوقف على ضمير المتكلم « أنا »
٣٥١	٤ - الوقف على اسم الإشارة « هذه »
٣٥٣	٥ - حالات أخرى سبقت دراستها
	- زيادة سين بعد كاف المؤنث المخاطب
	- قلب كاف المؤنث شينا
	- إضافة شين إلى كاف المؤنث
	- قلب الياء الأنخيرة المشددة جيما
٣٥٣	٦ - نوع نرجع أنه تيمى « الوقف بالتضعيف »
٣٥٥	٧ - تنوين الترسم

الباب الثالث (المستوى الصرفي)

٣٦١	الفصل الأول : البنية بين الطول والقصر
٣٦١	أولاً : في أوزان الفعل
٣٦١	(١) فعل وأفعَل
٣٦١	الأولى : نسبة أفعَل إلى تيم
٣٦١	(١) (أَجْزَأ - أَجْن - أَحْرَم - أَحْزَن - أَحَقَّ - أَحَل -

الصفحة

الموضوع

أَسَحَت - أَغْشَقَ - أَفْتَأَ - أَفْتَنَ - أَفْضَى - أَقْرَعَ -
أَكَنَ - أَلَاتَ - أَمْرَجَ - أَمَضَّ - أَنْزَفَ - أَنْكَرَ - أَهْبَطَ -
أَوْقَعَ - أَوْقَفَ)

الثانية : نسبة فعل إلى تميم ... ٣٧٤

(جبر - خلا - عذر - كن - هدى - هلك - وقد) .

٣٧٦ ... - تعقيب ...

٣٧٧ ... - أمثلة معجولة النسبة نرجح عزو صيغة أفعال إلى تميم ...

(أخلف - أزف - أشغل - أصاق - ألاق - أمحق - أمهر -
أدقع - أكمخ - ألحم)

٣٧٩ ... - تفسير الظاهرة ...

٣٨٠ ... - وزن أفعال في اللغات السامية ...

٣٨٠ ... (ب) فَعَلْ وَفَعَّلْ ...
(بَشَّرَ - عَضَّدَ)

٣٨٣ ... (ج) فَعَلْ وَفَاعِلْ : (شايح) ...

٣٨٣ ... (د) فَعَلْ وَافْتَعَلَ ...

٣٨٣ ... أولاً : نسبة افتعل إلى تميم ...
(اتخذ - ادخر - انتقد - احتسى)

٣٨٥ ... ثانيا : نسبة فعل إلى تميم : (تَقَى) ...

٣٨٥ ... (هـ) فَعَلْ وَافْعَلْ : (بَشَّرَ - سَنَبَلَ) ...

٣٨٦ ... (و) فاعل وأفعال (شايح) ...

٣٨٦ ... (ز) فَعَلْ وَفَاعِلْ (رَأَى - صَعَّرَ - ضَعَّفَ) ...

٣٨٩ ... (ح) افتعل وتفعَّل (تَعَدَّرَ) ...

- ثانيا : فى الأسماء : ... ٣٩٠
- (١) التثقيب والتخفيف ... ٣٩٠
- أولاً : التثقيب : ... ٣٩٠
- (مثنى اسمى الإشارة والموصول « ذا - تا - الذى -
التي » - رب - مصطفىة - إكبرة - هدى - هنا - الوقف
بالتضعيف)
- ثانيا : التخفيف (هو - هي) ... ٣٩٦
- (ب) النسب إلى فعيل وفعل ... ٣٩٨
- (ج) الممدود ... ٤٠٠
- (د) مصدر فعل ... ٤٠٠
- ثالثا : متفرقات : ... ٤٠١
- (١) الميل إلى طول البنية : ... ٤٠١
- (أنا - بلولة - شرار - كراهية - بطاى - جبرئيل -
اسأل - اسم - إضحيانة - قنان)
- (ب) الميل إلى قصر البنية : ... ٤٠٤
- (ثنتان - استحي - اسم الإشارة ذاك وتيك - عليهم - لد -
مذ - هناك - ود - وز)
- (ج) البنية المتوسطة (آيم) ... ٤١٥
- النتيجة ... ٤١٦
- الفصل الثانى : الفعل ومشتقاته : ... ٤١٨
- ... ٤١٨
- ... ٤٢٢
- عرش - عل - مات - لها -

الصفحة

الموضوع

- باب ضرب : بطش - ذوى - سمت - شتم - عرض - قلا - لب - ضل
- باب فتح : جنح - فرغ (ونسب إليهم أيضا من باب سمع)
- باب سَمِعَ : برىء - بعد - حسب - نعم - يئس - حقد - زهد -
- رضع - شغف - نكل - فرغ (ونسب إلى تميم أيضا من باب فتح) -
- ضل
- باب وَثِقَ : وصب - ضل :
- باب فَعَلَ يَفْعُلُ : دام .
- التعقيب ٤٣١
- (الفارابي وأبواب الثلاثي - رأى الدكتور إبراهيم أنيس - نهج القرآن الكريم - عود إلى الصيغ التميمية)
- موقف القراءات القرآنية ٤٣٦
- ثالثا : عين الأجوف بين التصحيح والإعلال ٤٤١
- (١) الفعل : ٤٤١
- (حال - هاف - أحاش - صباد - عار)
- (ب) اسم المفعول الأجوف ٤٤٣
- ١ - اليائى ٤٤٣
- ٢ - الواوى ٤٤٤
- الظاهرة فى الوقت الراهن ٤٤٥
- تفسير الظاهرة ٤٤٧
- رابعا : المصادر والمشتقات : ٤٤٩
- (١) المصادر :
- ١ - المصدر ٤٤٩
- (مصدر فعل بين الفعل والفعل - طول بنية المصدر وقصرها -

الموضوع	الصفحة
اختلاف المصدر لتنوع الحركة - اختلاف المصدر لتصحيح عين فعله أو إعلالها - اختلاف المصدر لاختلاف حركة عين الفعل - اختلاف المصدر لاختلاف بنية الفعل (٤٥٣
٢- المصدر الميمى :	٤٥٣
(أ) من الثلاثى : (مطلع - مشتمة)	٤٥٤
(ب) من غير الثلاثى	٤٥٥
٣ ، ٤ - اسما المرة والهيئة	٤٥٥
(ب) المشتقات :	
١- المشتقات واختلاف بنية الفعل :	٤٥٥
(اسم الفاعل - اسم المفعول - الصفة المشبهة - اسم التفضيل - اسما الزمان والمكان)	
٢- أمشاج من المشتقات (بين اسم المفعول واسم الآلة)	٤٥٦
(مصحف - مغزل - مطرف) .	
٣- اسما الزمان والمكان وحركة عين المضارع (مطلع)	٤٥٨
٤- فى الصفة المشبهة :	٤٥٩
(الاختلاف فى بنية الاسم - الاختلاف الصوتى)	
الفصل الثالث : الجمع :	٤٦٠
أولا - جمع المؤنث السالم	٤٦٠
(الاتجاه إلى البدء بالمقطع المغلق القصير - اختلاف صورة الجمع تبعا لاختلاف صورة المفرد)	
ثانيا - جمع التكسير :	٤٦٢
(الاتجاه إلى البدء بالمقطع المغلق القصير - اختلاف فى الحركة -	

اختلاف صورة الجمع تبعاً لاختلاف حركة المفرد - اختلاف الجمع
لاختلاف تذكير المفرد وتأنينه - اختلاف الجمع لاختلاف صيغة
المفرد (.

٤٦٩ ... الفصل الرابع : الجنس ...

٤٦٩ ... توطئة ...

٤٧١ ... أولاً : المؤنث الحقيقي بين تذكير لفظه وتأنينه (زوج وزوجة) ...

٤٧٤ ... ثانياً : المجازى ...

(أ) ماورد بصيغتين إحداهما مذكرة والأخرى مؤنثة (رقو ورقوة) .

(ب) ما ورد بصيغة واحدة مؤنثة (الأضحى - السرى) .

(ج) ما ورد بصيغة واحدة مذكرة :

١ - أما كن (الطريق - السراط - السبيل - الزقاق - السوق

الكلاء - عكاظ) .

٢ - بعض أعضاء الجسم (عضد - عجز - عنق) .

٣ - اسم آلة (صاع) .

٤٧٥ ... - موقف القراءات القرآنية من النهج التميمي ...

٤٧٧ ... - الاستعمال التميمي في الوقت الراهن ...

٤٧٨ ... ثالثاً : الجنس المميز واحده بالتاء ...

(أ) أحكام عامة .

(ب) أمثلة .

- خروج عن الإجماع

٤٧٩ ... - موقف القراءات القرآنية من النهج التميمي ...

٤٨١ ... - موقف اللغات السامية ...

الموضوع	الصفحة
- النهج التميمي في الوقت الراهن	٤٨١
- تعقيب	٤٨٢
- في تصغير الجنس ومميزه	٤٨٣
- تصغير المذكر اللفظي	٤٨٣
- تمييز المذكر اللفظي	٤٨٤

الباب الرابع (المستوى النحوي)

تقديم	٤٨٧
أولا : بين الفعلية واسمية الفعل (هلم)	٤٨٨
ثانيا : بين التصحيح والتكسير (باب سنين)	٤٩١
ثالثا : بين الإعراب والبناء	٤٩٤
(أمس - ما جاء على فعال علما لمؤنث - حيث - هيهات)	
رابعا : بين الصرف ومنعه	٥٠٢
خامسا : بين الإعراب والحكاية	٥٠٥
سادسا : ظاهرة الرفع	٥٠٧
(ما ولا وليس - الابتداء بالمصدر - ضمير الفصل بين الأعمال والإهمال)	
سابعا : ظاهرة النصب	٥١٩
(المثني وما ألحق به - بعض الأسماء الستة « أب - أخ - حم » - خبر ليت وأخواتها - تمييز كم الخبرية)	
ثامنا : ظاهرة الإتياع	٥٣٠
(الاستثناء المنقطع - العدد من ثلاثة إلى عشرة المضاف إلى ضمير يعود على اسم سابق - عسى وأخولق وأوشك)	
تاسعا : الحذف	٥٣٧

الباب الخامس
(المستوى الدلالي)

الصفحة	الموضوع
٥٤١	الترادف والمشارك اللفظي والتضاد
٥٤٢	الفصل الأول : الترادف
	(الأشاء « الفسيل - الودى » - العليل « الثمام - الشبهان » - الجندج « القمع » - الجدال « الخلال » - الجرين والحظيرة والمسطح « الأندر - البيدر - جرن. - الجوخان - الحصيرة - الحصيرة - المريد - الصوبة - الفداء » - الحدج « الجح » - الخوافى « العواهن » - الربذة « الثملة - الطلية » - الرهط - « الحوف - الوثر » - المشيعة « المسجة المألجة - المملط والمملط - الملق - المملق » - الشفلح « الأصف - الكبر » - الشوران « العصفير » - الضيس - الإيدان - العيدانة « الرقلة - الصادية - الطرق - العوان » - عدان « زمن » - القودج « الهودج » - نهى « الغدير » - هيد « منهيم - أيم » - الحميم « الخريف ») .
٥٦٥	التعقيب
٥٦٨	الفصل الثانى : المشارك اللفظي
	(الأثلب - آمن - أمة - الإيسال - بغى - بيض النعامة الذكر - الإجرد - خاشعة - الربق - أسمع - السربال - السرحان - اشماز - شايح - الصدف - الضيس - ضاس - الأعفت - الأعفك - الألفت - الألفك - غدوى - فلت - أفاض - مقرصع - كيسان - هجرس - الهلع - الهون - الموقف) .
٥٩٣	التعقيب

٥٩٦	الفصل الثالث : التضاد
	(باع - الجَوْنَةُ - السُّدْفَةُ - عِدَّةٌ - عَرِيضٌ - القَلْتُ - الكَشُوفُ)
٦٠٤	- التعقيب
٦٠٧	- الخاتمة
٦١٥	- المراجع

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة

مصطفى حسن على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٥/٢٦١٩

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٢٠٠٠-١٩٨٣-٢٣٠٥